السيرة النبوية

منهج شامل للحياة

الجزء الاول

تأليف

الدكتور/ علي بطيخ

تقديم

أ. د./ حاتم عبد العظيم
أستاذ الفقه الإسلامي

أ. د./ وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

السيرة النبوية

منهاج شامل للحياة

عرض كامل لأحداث السيرة من مصادر محققة في كل الشئون؛
الإيمانية والتربوية والاجتماعية والسياسية
مع التحليل واستخراج العظات والدلالات في كل الأحداث

تأليف

د/ علي بطيخ

تقديم:

أ. د/ وصفي أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

أ. د/ حاتم عبد العظيم
أستاذ الفقه الإسلامي



الطبعة الأولى 1442هـ - ٢٠٢٠ م

E-mail: **Professional3322@gmail.com**

Tel. : **00905524670611**

فهرس الكتاب:

إهداء

إلى كل المسلمين العاملين بإخلاص لنصرة دين الله، والدعوة إلى الإسلام في أي بقعة من بقاع الأرض،

إلى كل من أحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حبًا ملأ قلبه، واشتاق لرؤيته، وتمنى أن يحشر معه يوم القيامة،

إلى كل من أراد أن يتعرف على سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهديه في جميع شئون الحياة؛ليكون له القدوة والأسوة، والنور الهادي إلى صراط مستقيم.

تقديم أ. د/ وصفي أبو زيد

لكتاب: "السيرة النبوية منهاج شامل للحياة" للدكتور علي بطيخ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإن السيرة النبوية المشرفة هى التطبيق العملي للإسلام، ومن أراد أن يتعرف إلى الإسلام فليقرأ السيرة النبوية، ولهذا فلا يمكن فهم الإسلام فهمًا سليمًا راشدًا إلا بمطالعة هذه السيرة والمسيرة المديدة المباركة، والنظر فيها والتأمل في كيفية تحول الإسلام إلى حركة في الواقع، من خلال سيرة رسولنا ووقائع أحداثها.

ولقد اهتم المسلمون اهتمامًا بالغًا بسيرة هذا النبي المكرم (صلى الله عليه وسلم) كما لم تهتم أمة بسيرة رسولها؛ فروى لنا المسلمون من الصحابة إلى وقتنا الحاضر كل أفعال هذا النبي الأمين، ودوَّنوا أقواله وأخلاقه وصفاتِه إلى أن روَوْا جلسته ورقدته ومشيته وبسمته وإشارته، ورضاه وغضبه، وفرحه وحزنه، ويقظته ونومه، حتى روَوْا لنا عنه آداب دخول المنزل، وآداب النوم والاستيقاظ، وآداب دخول الخلاء!

روى المسلمون سيرة نبيهم بكل تفصيلاتها، فليس فيها شيء محظور الرواية، ولا يوجد فيها خط أحمر يحظر الاقتراب من روايته ونقله، بل إن علاقاته الخاصة بنسائه رواها نساؤه (رضي الله عنهن)؛ فكل شيء مروي ومكشوف وظاهر في حياته الخاصة والعامة، وهذا ما دعا بعض المستشرقين إلى القول: "إن محمدًا هو الشخص الوحيد الذي ولد على ضوء الشمس".

ومن معالم اهتمام المسلمين وعلمائهم بسيرة نبيهم أنهم روَوْها بالأسانيد المتصلة، وأعملوا فيها قواعد الجرح والتعديل، وعلم الحديث ومصطلحه وأصوله، فمحصوا أسانيدها، وميزوا فيها الصحيح من الضعيف، وهذا ما لم يتوفر لسيرة نبي من الأنبياء على

وجه الأرض، وليس بين أيدينا مصادر موثوقة لسير الأنبياء عامة إلا ما ورد منها في القرآن الكريم، بالإضافة لمصادر التاريخ الرئيسة التي بين أيدينا، وفيها المقبول والمردود!

إن سيرة النبي محمد بن عبد الله هى أصح سيرة بين أيدينا لنبي مرسل، وهى أوضح مسيرة لرسول أُرسل، كما أنها سيرة وسطية معتدلة؛ فلم تذهب بشخصه الشريف نحو الأساطير، ولا ألصقت به تهمًا لا تليق بإنسان،فضلًا عن نبي، وإنما نحتْ به منحى الإنسانية والبشرية؛ فهو يفرح كما يفرح الناس، ويحزن كما يحزن الناس، ويصوم ويفطر، ويصلي ويرقد، ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق، غير أنه يُوحَى إليه.

كما كانت السيرة النبوية المشرفة شاملة لمناحي الحياة جميعًا بحيث إذا رمقها الإنسان، استطاع أن يقتدي بها في كل مجال وكل حال، فشخصية رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه – فاقتْ قدراتُها وطاقاتُها كل مجال ومقام -على حدته-: معلمًا ومربيًا وأبًا وزوجًا وابنًا، وصاحبًا، وسياسيًّا، وقائدًاحربيًّا، فلم يكُ يصلح له (صلى الله عليه وسلم) إلا مقامُ النبوة!

ولقد ظل اهتمامُ المسلمين بسيرة نبيهم على هذا النحو في الجملة: إيرادًا وتمحيصًا، وتصحيحًا وتضعيفًا، حتى بزغ فجر الصحوة الإسلامية في القرن العشرين الميلادي، الرابع عشر الهجري؛ فتطورت الكتابة على أيدي علماء هذه الصحوة في السيرة النبوية كما لم تتطور من قبل، وحولوا السيرة النبوية إلى ملحمة للحياة، فألف محمد الغزالي ومصطفى السباعي وأبو الحسن الندوي، ومحمد الصدق عرجون، وأكرم ضياء العمري، وصفي الرحمن المباركفوري، وعبد الرحمن سالم، والبوطي، وأبو بكر الجزائري، وعلي الصلابي، وكتبَ منير الغضبان كتاباتِه الرائدةَ في السيرة ما بين منهج حركي وتربوي وقيادي وإعلامي بما يستحق الدراسة والاهتمام .. كل هؤلاء وغيرهم بينوا كيف نعيش بالسيرة المشرفة، وكيف نستلهمها للحياة بجوانبها المختلفة: عقديًّا وتشريعيًّا وأخلاقيًّا ومعاملاتيًّا وتربويًّا وحركيًّا وأمنيًّا وقياديًّا وإعلاميًّا ... الخ بما جعل السيرة النبوية تشكل منهاج حياة متكاملًا،وهذا التحول في التناول، والتطور في كتابات السيرة النبوية على أيدي علماء الحركة الإسلامية المعاصرة يحتاج لدراسة وبيان، وتأصيل وتفصيل.

أما هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء والأجيال الصاعدة "السيرة النبوية منهاج شامل للحياة" فهو ينتمي لهذه المدرسة التي طورت الكتابة في سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بل استفاد من كل هذه الكتابات وبنى عليها وأضاف إليها، مستفيدًا من مناهج الأولين، وكتب السابقين، وطريقة الدعاة والمحدِّثين.

لقد توخى هذا الكتاب تناول السيرة النبوية باعتبارها منهاجًا شاملًا للحياة؛ حيث بين كيفية الاستفادة منها في شئون الحياة وجوانبها المختلفة: التشريعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية والدعوية، وبيَّن الكتاب كيف يَقتدي بهذه السيرة والمسيرة الأفرادُ والأسر والمجتمعات، والدول والأمم والحكام والمحكومون، من خلال ما تناوله من أحداث، وعلق عليه من روايات، وبيَّنه من قيم أخلاقية وسياسية كبرى، واستخرجه من فوائد وحكم وأحكام.

كما كان هذا الكتاب موفقًا غاية التوفيق، في ربط أحداث السيرة بواقعنا المعاصر وقضاياه الساخنة، واستطاع المؤلف في مسيرته لتأليف هذا الكتاب الذي تضمن: تسعة أبواب كبيرة مبدوءة بمدخل للسيرة ومختومة بـ "صفحة الختام" وفي كل بابٍ فصولٌ كثيرة وأفكار متنوعة وفيرة - استطاع أن يستخرج (٨٠٠) درس وعبرة للأفراد والمجتمعات والدول والأمم من خلال روايات حديثية في السيرة، قام بجمعها وبلغت (١٠٤٤) رواية رقمها داخل الكتاب.

أما المؤلف فهو الأخ الكبير د. علي بطيخ، الذي تخصص في الجراحة العامة، واستفاد منها في تناوله لأحداث السيرة؛ فأعمل "مبضع" الجراح في الروايات والأحداث؛ ليفجّر منها الدروس والعبر والقيم والأخلاق والتنزيل الراشد على الواقع الشاهد، ويبين فيها معالم القدوة، ويجلي منها مواطن الأسوة، كما شفع ذلك بأنه درس كلية الشريعة والقانون بالأزهر الشريف، وقام بتهذيب "فتح الباري" لابن حجر – وما أدراك ما فتح الباري! - وهو – مع كل هذا - قيادي حركي وتنظيمي ودعوي في الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر، تقلب في مواقعها القيادية، وتنقل في وظائفها الإدارية؛ فتكوَّن لديه من مجموع هذه الوظائف والمقومات والملكات ما ظهرتْ به أزهارُه وطابتْ ثماره، ومكَّنه من أن يقدم السيرة النبوية

وجبةً شهيةً متكاملة نافعة، ويرقى بدروسها المستفادة إلى هذا السناء المستحق للثناء، مما يُرْجَى له القبول الحسن عند الله -بإذنه تعالى- ، والتغيير للأحسن عند الناس!

أسأل الله – تباركت آلاؤه، وتقدست أسماؤه – أن يبارك في هذا السِّفْر الكبير، والعمل النفيس الذي استغرق وقتًا وجهدًا ليس باليسير، وأن يكتب له القبول والنفع، وأن يوفق مؤلفه العزيز إلى المزيد من العلم النافع والعمل الصالح، وأن يختم لنا وله بالحسنى، إنه أعظم مسئول وأكرم مجيب، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو الله،

وصفي عاشور أبو زيد

اسطنبول ٢٦ جمادى الأولى ١٤٤١هـ الموافق ٢١ يناير ٢٠٢٠م

تقديم أ. د/ حاتم عبد العظيم

الحمد لله المتنعم على عباده بسائر النعم، وأَجَلُّها نعمة الهداية إليه، والدلالة عليه، والتوفيق لمعرفته، والإعانة على طاعته بما اشتمل عليه ذلك من إرسال الرسل دعاة وهداة، ومربين وأساة، وإنزال الكتب هدى للناس، وإقامة للقسط والعدل، وإقرارا للحق والخير والبر، وما كان لبشر أن يهتدي إلا بهداية الله وتوفيقه!

والصلاة والسلام على الرسول الخاتم، الذي أرسله ربه شاهدا له على الخلق، ومبشرا بدعوة الحق وكلمة الصدق، ونذيرا بين يدي يوم الحساب، وداعيا إلى الله بإذنه على محجة الحكمة وطريقة الموعظة الحسنة، وسراجا منيرا لما أظلم في حياة البشر، ولما أشكل من مسائل حارت فيها الفِكَر، فأكمل الله به الدين، وأتم به النعم، وجعله رحمة للعالمين، وأبان فضله، ورفع ذكره إلى يوم الدين.

وبعد

إن السيرة النبوية تأريخ لأهم مراحل التاريخ الإنساني وأهم أحداثه وأهم شخوصه على الإطلاق!

نعم هي نوع من التأريخ، لكنه تأريخ مختلف ... مختلف في منهجيته، وفي طبيعته، وفي مادته، وفي غايته، وفي أثره في نفس قارئه!

ففي مدارسة السيرة النبوية إشباع للعاطفة: عاطفة الشوق والمحبة للنبي- صلى الله عليه وسلم- وإشباع للعقل المتطلع للمعرفة، بأحوال تلك الأمة المسلمة التي قادت الحضارة البشرية ثلاثة عشر قرنا موصولة بعدما كانت حفنة من قبائل متناحرة في زاوية من صحراء الجزيرة!

السيرة النبوية هي القرآن المتحرك المرئي، أو هي ديوان الإسلام الحي المشاهد الذي يبين لنا: كيف يكون الوحي بكماله المطلق منهجا واقعيا لحياة بشرية مشوبة بطبائع البشر!

وكيف يمكن للوحي إذا انصاع البشر لهدايته وفهموا سننه أن يقودهم من ضعف إلى قوة، ومن ذل إلى عزة، ومن حياة تائهة زائغة إلى إقامة الدين وعمارة الرض تحقيقا لمهمة الاستخلاف التي لأجلها خلق الله البشر!

في السيرة النبوية نرى كيف عاشت الأمة المسلمة وعلى رأسها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الإسلام بشموله وسموه وعظمته في مواقف الحياة المختلفة، فتحولت الآيات إلى أحداث ملموسة، وتجسدت قيم الإسلام الكبرى مشاهد محسوسة، ينتقل فيها النبي العظيم وصحبه الكرام بين أحوال البشر المعهودة، فيبتلون ويمحصون، وينتصرون وينكسرون، ويسالمون ويحاربون، ويخطئون حينا فلا تحابيهم سنن الله في خلقه، ويواجهون الحقيقة بما فيها من قسوة، ولا يسكت الوحي لهم عن خطأ أو تقصير حتى يواصلوا مسيرة الحكمة والبصيرة والرشاد: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. (آل عمران، ١٦٥).

ومن ثم فدراسة السيرة النبوية ليست ترفا فكريا، ولا ثقافة معرفية فحسب، ولا هي سرد لأحداث تاريخية عابرة، بل هي نور من الهداية والبصيرة والسكينة والحكمة ينسكب في نفوس المؤمنين، أو هي مدرسة تربوية عظيمة لا غنى للأمة عنها في دور من الأدوار، ولا طور من الأطوار؛ فإن الأمة لن تمر بمرحلة إلا وقد مر رسول الله بمثلها هو وأصحابه، ولن تعرض لمشكل إلا وفي هدي النبي الكريم بيان إبهامه وزوال إشكاله، ومن ثم تتعاظم حاجة الأمة إلى الدراسة الواعية الواعبة للسيرة النبوية، واستخلاص الدروس والعبر التي تضبط الحركة وتوجه المسير، وتتجنب المزالق وتستوضح المسالك، وتستبين الصراط المستقيم.

يقول الشيخ الغزالي – بحق- : إن حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- ليست بالنسبة للمسلم مسلاة شخص فارغ، أو دراسة ناقد محايد، كلا كلا إنها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها، فأي حيف في عرض هذه السيرة، وأي خلط في سرد أحداثها إساءة بالغة إلى حقيقة الإيمان نفسه... إنني أكتب في السيرة النبوية كما يكتب جندي عن قائده، أو تابع عن سيده، وتلميذ عن أستاذه. إن المسلم الذي لا يعيش الرسول - صلى الله عليه وسلم- في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره لا يغني عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة" [1].

---

١ – فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٥.

ومن هذا المنطلق كان الصحابة والتابعون من بعدهم يعلمون أبناءهم المغازي كما يحفظونهم القرآن، لتنطبع في ذهنهم تلك الصورة المشرقة والمثال الكامل الذي تركه فينا رسول الله فأقام علينا الحجة والشهادة لله، روى الخطيب البغدادي عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، قال: كنا نُعَلَّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نُعَلَّم السورة من القرآن.[١]

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها. [٢]

ونقل أيضا عن الزهري أنه قال: في علم المغازي خير الدنيا والآخرة. [٣]

كيف لا وهذه المغازي أو بتعبيرنا: " السيرة النبوية " هي خلاصة التجربة المحمدية بكل ثقلها الإيماني وعمقها التربوي وتأثيرها الدعوي وعطائها الرسالي!

كيف لا وصاحب هذه السيرة هو الرجل الذي جمعت في نبوته النبوات، وختمت برسالته الرسالات، وبعثه الله للناس كافة وجعله رحمة للعالمين!

كيف لا نعلم أبناءنا سيرته سطرا سطرا وحدثا حدثا حتى ينهلوا من أنوارها وينالوا من بركتها!

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى: "يجب على كل رب أسرة أن يكون في بيته كتاب جامع من كتب السيرة النبوية، وأن يقرأ فيه دائما، وأن يتلو منه على أهله وأولاده، وأن يجعل لذلك ساعة كل يوم، لينشؤوا على معرفة سيرة الرسول الأعظم -صلى الله عليه وسلم- ، فإن سيرته الينبوع الصافي لطالب الفقه، والدليل الهادي لباغي الصلاح، والمثل الأعلى للأسلوب البليغ، والدستور الشامل لكل شعب الخير" [٤].

ويقول الدكتور محمد أبو شهبه رحمه الله تعالى: "إن خير ما يتدارسه المسلمون، ولا سيما الناشئون والمتعلمون، ويعنى به الباحثون والكاتبون دراسة السيرة المحمدية، إذ هي خير معلم ومثقف، ومهذب، ومؤدب، وأصل مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين

---

١ – الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥٢)

٢ – السابق، نفس الموضع.

٣ – السابق، نفسه.

٤ – رجال من التاريخ للشيخ علي الطنطاوي ص ٢١.

والمسلمات، الذين قلما تجود الدنيا بأمثالهم، ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم، وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة ، وإمامة وقيادة، وعدل، ورحمة، وبطولة وكفاح، وجهاد واستشهاد في سبيل العقيدة والشريعة، والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة.

ولقد كانت السيرة النبوية مدرسة تخرج فيها أمثل النماذج البشرية، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، فكان منهم: الخليفة الراشد، والقائد المحنك، والبطل المغوار، والسياسي الداهية، والعبقري الملهم، والعالم العامل، والفقيه البارع، والعاقل الحازم، والحكيم الذي تتفجر من قلبه ينابيع العلم والحكمة، والتاجر الذي يحول رمال الصحراء ذهبا، والزارع والصانع اللذان يريان في العمل عبادة، والكادح الذي يرى في الاحتطاب عملا شريفا يترفع به عن التكفف والتسول، والغني الشاكر الذي يرى نفسه مستخلفا في هذا المال ينفقه في الخير والمصلحة العامة، والفقير الصابر الذي يحسبه من لا يعلم حاله غنيا من التعفف، وكل ذلك كان من ثمرات الإيمان بالله، وبرسوله -صلى الله عليه وسلم-، وبهذا كانوا الأمة الوسط، وكانوا خير أمة أخرجت للناس ..." [١]

وقد اعتنى أسلاف هذه الأمة بسيرة النبي الحبيب حتى صارت " إنسان عيون" العلماء – كما سمى أبو الفرج، نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (المتوفى: ١٠٤٤هـ) كتابه في السيرة النبوية : " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون" -صلى الله عليه وسلم-، وقد كان هذا الاهتمام بتدوين السيرة وتحقيق أحداثها فرعا عن محبة الأمة لنبيها، وتعبيرا عن حاجتها الدائمة لدروس السيرة ومعالمها الرائدة ومواقفها الملهمة.

إن سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – هي في ذاتها أبلغ دعوة إلى الإسلام وأعظم برهان على صحته وصلاحيته وعظمته، وقد ذكر ابن منير الحلبي -رحمه الله تعالى- في شرحه لمختصر السيرة لعبد الغني المقدسي الجماعيلي، قال: ذكر لي جماعة من العلماء أن سبب تأليف عبد الغني لمختصر السيرة أنه خرج ومعه بعض أصحابه إلى أن قربا من دير فقعد المؤلف على جنب نهر، وقصد صاحبه الدير، فطرقه فخرج إليه راهب، فقال: ما دينك؟ فقال: مسلم. فقال: من تتبع؟ فقال: محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: اذكر لي نسبه وحاله.

---

١ – السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله (١/ ٧ ، ٨).

فلم يكن عنده علم، فقال: ما أقريك شيئا. فرجع صاحب المؤلف إليه، وقال ما قال له الراهب، فقال له المؤلف شيئا من نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله، فرجع إلى الراهب وأخبره، فقال له الراهب: هذا ما هو منك، هذا من ذلك الشيخ الجالس على النهر. وكان الراهب رأى الشيخ فأعجبه حاله، فجاء إليه فذكر له شيئا كثيرا من أحوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، فأسلم الراهب وحسن إسلامه فأملى الشيخ عبد الغني رحمه الله مختصر السيرة الشريفة النبوية"[١]

ولا غرابة في أن يسلم هذا الراهب لسماع قبسات من السيرة الشريفة فإن في سيرته صلى الله عليه وسلم – وهي النموذج التطبيقي والبيان العملي للوحي- كثيرا من خصائص الوحي، فهي سيرة معجزة كما وصفها – بحق- ابن حزم رحمه الله: " إن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورةً، وتشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى " [٢]

ويبين ابن حزم مقصوده فيقول: " وذلك: أنه عليه السلام نشأ كما قلنا في بلاد الجهل، لا يقرأ ولا يكتب، ولا خرج عن تلك البلاد قط إلا خرجتين: إحداهما إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع؛ والأخرى أيضاً إلى أول الشام، ولم يطل بها البقاء، ولا فارق قومه قط. ثم أوطأه الله تعالى رقاب العرب كلها، فلم تتغير نفسه، ولا حالت سيرته، إلى أن مات ودرعه مرهونة في شعيرٍ لقوت أهله أصواعا ليست بالكثيرة، ولم يبيت قط في ملكه دينار ولا درهم، وكان يأكل على الأرض ما وجد، ويخصف نعله بيده، ويرقع ثوبه، ويؤثر على نفسه؛ وقتل رجل من أفاضل أصحابه، مثل فقده يهد عسكراً، قتل بين أظهر أعدائه من اليهود، فلم يتسبب إلى أذى أعدائه بذلك، إذ لم يوجب الله تعالى ذلك، ولا توصل بذلك إلى دمائهم، ولا إلى دم واحد منهم، ولا إلى أموالهم، بلى فداه من عند نفسه بمائة ناقة، وهو في تلك الحال محتاج إلى بعير واحد يتقوى به... " [٣]

---

١ – المصباح المضي لمحمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، (المتوفى: ٧٨٣هـ) ١/ ٨ .

٢ – الملل والنحل (٢/ ٢٠).

٣ – السابق، نفس الموضع.

ولا ريب أن أي نهوض حضاري للأمة لا بد أن يكون " على منهاج النبوة"، ومنهاج النبوة هو ما تضمنته السيرة المطهرة من قواعد ومبادئ وأسس راسخة، فلا سبيل للتمكين والشهود الحضاري والاستخلاف في الأرض إلا باستجلاء ملامح هذه السيرة الشريفة والسير على هديها، فنتعلم من رسول الله : كيف تقام الحضارة؟ ونستخلص من هديه : كيف يتحقق النصر؟ وكيف تنعتق الشعوب الغارقة في الوهن إلى سنة المدافعة حتى تبلغ رتبة الاستخلاف في الأرض!

إن سيرة النبي على نحو ما دونها أتباعه الكرام تجعل من حياته كتابا منشورا ينهل منه من يريد، فكل أحواله مدونة، وكل أحداث حياته مروية محققة، من لحظة الميلاد الكريم وحتى ارتقاء الروح إلى الرفيق الأعلى، ولن أعدو الحقيقة حين أقول: إن سيرة بشرية لم تحظ بمعشار ما حظيت به سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم من الاستيعاب والتحقيق!

وهذه السيرة تنساب أحداثها في عالم الواقع المعقول، ولا تحلق بنا في فضاء الهالات المكذوبة والأساطير المزعومة، بل تقدم لنا منهجا قابلا للتطبيق في كل زمان، وتجربة ملهمة لا لننسج حولها الأساطير ونطري النبي إطراءً زائفا، يخرجه عن طبيعة رسالته التي كان فيها بشرا رسولا: يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وفي ذات الوقت يأتيه وحي السماء، جامعا بين عصمة الرسالة التي لا بد منها لكمال البلاغ وتمام الوحي، وطبيعة البشر التي لا غنى عنها لتحقيق الأسوة وتقديم المثال الإنساني الكامل.

يقول الدكتور رواس قلعجي: " إن سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تحكي سيرة إنسان أكرمه الله تعالى بالرسالة، فلم تخرجه عن إنسانيته، فقد تزوج وطلق، ورضي وغضب، وباع واشترى، هو إنسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى يمكن أن يكون قدوة لمن أراد ذلك، ولم تلحق حياته -صلى الله عليه وسلم- بالأساطير، ولم تضف عليه الألوهية قليلا ولا كثيرا، وإذا قارنا هذا بما يرويه المسيحيون عن سيرة عيسى عليه السلام، وما يرويه البوذيون عن بوذا، والوثنيون عن آلهتهم المعبودة، اتضح لنا الفرق جليا بين سيرته -صلى الله عليه وسلم- وسيرة هؤلاء، ولذلك أثر بعيد المدى في السلوك الإنساني والاجتماعي لأتباعهم، فادعاء الألوهية لعيسى عليه السلام، ولبوذا جعلهما أبعد منالا من أن يكونا قدوة نموذجية للإنسان في حياته الشخصية والاجتماعية، بينما ظل وسيظل محمد -صلى الله عليه وسلم-

المثل النموذجي الإنساني الكامل لكل من أراد أن يعيش سعيدا كريما في نفسه وأسرته وبيئته... " [1]

حقا كيف يجتمع هذا الإبهار الحضاري الذي أحرزه النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا التواضع الجم والإنسانية الراقية والحياة الهادئة التي عاشها!

كيف استطاع عليه الصلاة والسلام في سنوات معدودات -لا تعد شيئا مذكورا بحساب السنين- أن يحدث كل هذا الأثر؟ وينقل البشرية هذه النقلة البعيدة؟

لقد أحسن محمد بن إسحق –شيخ كتاب السيرة- حين قسم سرده للسيرة ثلاثة أقسام، فجعل الأول رصدا لمظاهر الحياة الجاهلية، والثاني تأريخا للبعثة النبوية إلى الهجرة المباركة، والثالث لحياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة أو ما أسماه "المغازي".

فإن في دراسة أحوال الجاهلية في كتب السيرة فوائد جمة، منها الكشف عن عظمة الإسلام الذي نقل الحياة في الجزيرة العربية من تلك الحدود القبلية الضيقة، والصراعات البدوية المرذولة، والفوضى الاجتماعية، والوثنية الدينية إلى أن تكون هذه الجزيرة ذاتها مركزا لحضارة ظللت العالم في بضعة عقود!

ومنها كذلك نقل الحياة البشرية من نموذج الإمبراطوريات الغاشمة التي لا تبالي بالإنسان بالة، والتي تغتذي على الدماء والأشلاء وسحق معاني الإنسانية الحرة المكرمة في نفس الإنسان، إلى حضارة ربانية تجعل الإنسان هو الخليفة المكرم في الأرض، وتراه ركيزة بناء هذه الحياة ومحور حركتها.

ثم تأتي مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم في رحلته التي لم تكن طويلة بميزان الزمن، لكنها كانت كثيفة في أحداثها ومعانيها، عظيمة في آثارها ونتائجها، وبالأحرى كانت تحولا ضخما في الحياة البشرية على مستوياتها جميعا: على مستوى التصورات والعقائد، وعلى مستوى التشريعات والأحكام، وعلى مستوى التربية والتزكية، وعلى مستوى الجهاد والنضال، وعلى مستوى التنظيم والقيادة ... إلخ

---

١ – مقدمة كتاب "اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون" لموسى بن راشد العازمي (١/ ٢٣).

والسيرة النبوية لا تخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي فوائدها، وهي حرية بأن يعاد البحث في رياضها الأنيفة مرارا استخراجا لكنوزها الخبيئة ومحاسنها الوضيئة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو محاولة جادة من المربي الأريب والداعية الطبيب الدكتور علي بطيخ، وهي نتاج ولع بدراسة السيرة وتتبع مروياتها وتحقيق أحداثها وحسن تحليلها واستخراج دروسها لسنوات طويلة.

وإني لأغبطه ابتداء على هذه الصحبة الطويلة التي أتاحها له هذا البحث الطيب والتي عاش فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام وأنعم بها صحبة وجوارا!

وفي هذا الكتاب من تحقيق المرويات واختيار أرجحها، ودقة ترتيبها وعمق تحليلها، وحسن تقسيمها وتبويبها ما يجعله إضافة مهمة لبحوث السيرة المشرفة.

كما أن تاريخ صاحبها في الحركة الإسلامية يجعله شغوفا باستخراج المنهجيات التربوية والإصلاحية التي تحتاج إليها الحركة الإسلامية خصوصا والأمة عموما في هذا الطور الدقيق العصيب من تاريخها، الذي تستجمع فيه نفسها، وتستعيد شيئا من رصيدها الحضاري، لتعاود الانطلاق من جديد نحو موقعها الطبيعي في قيادة الحياة البشرية والقيام بالمهمة الاستخلافية إيمانا وعمرانا.

فجزى الله الكاتب والقارئ خيرا، وألهمنا جميعا حسن الاقتداء بالنبي الكريم، ورزقنا بصيرة السير على نهجه القويم . والحمد لله رب العالمين.

أ.د. حاتم عبد العظيم

أستاذ الفقه الإسلامي

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا ببعثة نبيه الخاتم الأمين، وشَرَّفَنَا بحبه الذي ملك علينا مجامع القلب والعقل والروح.

والصلاة والسلام والتحية والتكريم على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلّم)الذي أكرمه ربه بالرسالة الأكمل والأشمل، التي ختمت الرسالات وكمّلت ما نقص من الشرائع السابقة، وأُنزلت صالحة لكل الأزمان والأمكنة ،حتى يأذن الله تعالى بنهاية الدنيا وقيام الساعة.

النبي الكريم تلقى الوحي وأخذ الكتاب بقوة ،وقام بكل عزيمة ومضاء يبلغ الدعوة ويتحمل في سبيلها كل التضحيات، ويصبر على أذى المعاندين والمشركين، حتى أذن له ربه تبارك وتعالى بالجهاد، فحمل اللواء وجاهد في سبيل الله أعظم الجهاد حتى أتاه اليقين.

وبعد ،

السيرة النبوية هى الجزء من سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي يجعلنا نصاحبه بالقراءة والفكر والعقل والقلب، من الميلاد إلى ختام حياته (صلى الله عليه وسلم)، بل من قبل الميلاد إلى ما بعد الختام.

هذه السيرة النبوية لا غناء عنها للمسلمين وهم يعايشون القرآن الكريم ،والسنة النبوية، فالسيرة النبوية هى التطبيق العملى والواقعى لكل ما جاء في القرآن الكريم ، وهى البيان المثالي للمنهج الإسلامي، والشريعة الإسلامية.

ولا يستطيع المسلم فهم هذا الدين وهذا المنهج بمجرد قراءة القرآن والأحاديث النبوية؛ لأن القرآن الكريم لم ينزل كتابًا مجملًا دفعة واحدة على النبي(صلى الله عليه وسلم)لنقرأه ونتعلمه ونطبق ما فيه، وإنما نزل القرآن مُنَجَّمًا (مُفَرَّقًا) على أحداث السيرة النبوية طيلة ثلاثة وعشرين عامًا منذ بدء نزول الوحي إلى انقطاعه بانتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى.

لذا فمن أراد أن يتعلم الإسلام فلابد له مع القرآن والسنة أن يتعرف على السيرة، وأن يعايشها – كأنه يصاحب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كل أحواله وحِلِّه وترحاله، في مراحل

الدعوة والدولة، وفي البيت وفي المسجد وفي المجتمع وفي الحكم والسياسة وفي الجهاد والتضحية، وفي الصلح والمعاهدات وفي الانتصارات والعثرات.

فسميناه (السيرة النبوية منهاج شامل للحياة).

وأول سؤال يتبادر إلى الذهن: هل يمكن إضافة شيء لكل ما كتب من دراسات في السيرة النبوية؟.

والجواب: إن المرء يستشعر أن هذا الأمر يتعدى مستوى الإجابة ب(نعم) إلى مستوى القول بأنه (واجب) ومسئولية يتحملها كل من يستطيع أن يدرس وأن يكتب في السيرة النبوية.

والحقيقة التي لا مرية فيها، أن كل من كتب في السيرة النبوية لا يدعى أبدًا أنه قد استخرج كل مكنوناتها وكشف عن كل كنوزها، بل الجميع يستشعر أنه مهما كتب ومهما درس وتعمق ، فما يزال هناك المزيد.

أضف إلى ذلك أن تتابع الزمن والحوادث والأيام يفتح أبوابًا لقضايا جديدة وعصرية تحتاج إلى معاودة النظر في الأصول الإسلامية لاستخراج المبادئ والأحكام التي تناسب كل عصر..

<u>ما هو الجديد الذي نقدمه في هذا المصنف في السيرة النبوية:</u>

نعلم أن أصول الإسلام ومبادئه ثابتة، لكن الجديد يكون في كيفية الاستفادة والتطبيق والاقتباس من هذه الأصول، لذا ما يمكن أن نسميه جديدًا هو في التناول والتطبيق والارتباط بقضايا معاصرة، والتأكيد على معان تشتد الحاجة إليها، ولذا فإن ما قدمناه من جديد أو تجديد يمكن أن نلخصه في الآتي:

١- تناول السيرة النبوية بالسرد والبحث والتحليل باعتبارها منهاجًا كاملًا للحياة؛ حتى يتمكن المسلمون على مستوى الأفراد والجماعات والحكام أن يأخذوا منها ويقتدوا بها في جميع الشئون الحياتية؛ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، يقتدي بها الأفراد في حياتهم الأسرية والعائلية، والمجتمع في شئون العمل والعلاقات بين أفراده وكياناته، والحكام في علاقاتهم بالرعية في الداخل، وبالدول والمجتمعات في الخارج.

٢- ومن منهجنا أيضًا، ربط عرض السيرة النبوية بواقع الأمة الإسلامية الحالي، وفي هذا السياق كانت هناك دروس متفرقة حسب وقائع السيرة (مثل الحديث عن الاقتصاد وأهميته، وعن الحصار الاقتصادي في الزمن الحالي عند الحديث عن حصار المسلمين في شعب بني هاشم في العهد المكي).

٣- الدروس والعبر والعظات: في مسيرتنا في تصنيف الكتاب ومع تتبعنا لوقائع السيرة كتبت نحو ٨٠٠ درس وعبرة وفكرة، بعضها قصير وبعضها مطول، تناولت فيها كل مناحي الحياة للأفراد والدول، نرجو أن تكون فيها فوائد، ومنها ثمرات،

حتى إن العناوين الجانبية وأسماء الفصول والأبواب لا تخلو من رموز ودروس وهى كثيرة جدًا.

٤- الروايات الحديثية التي جمعتها من كتب السيرة والسنة بلغت (١٠٤٤)رواية مرقمة داخل الكتاب ، وهو رقم ليس بالقليل إذا لاحظنا أن كل رواية تم اختيارها بعد تدقيق شديد في المعنى والدلالة والتفسير، وترجيحها على غيرها من الروايات، وأكثرها صحيح أو حسن، وتم بيان كل ذلك في تخريج الأحاديث.

٥- أبواب أو فصول مستقلة تشمل دراسات لقضايا مهمة، رأيت أن تكون لها وقفة خاصة ، من ذلك، هذه الدراسات:

(أ) فصل بعنوان السيرة النبوية طريق بناء الأمة والدولة: (وهو الفصل الثاني من الباب الأول). تناولنا فيه هذه القضايا:

*النظر إلى واقع المسلمين اليوم.

*المخرج والحل؟

*مشروع الحل الإسلامي: مستوحًى من مبادئ القرآن الكريم، ومن السيرة، والسنة النبوية ، وفيه الحديث عن: كيف كان

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يربي الفرد ويبني المجتمع الصالح.

وكيف كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبني الدولة في جميع الشئون الحياتية .

وفصلنا في ملامح الدولة في المدينة المنورة: (سياسيًاواقتصاديًاوعسكريًا واجتماعيًا).

(ب)فصل في المفاهيم الأساسية في الدعوة إلى الله.

(ت)فصل بعنوان: الجهاد القرآني في العهد المكي. (جهاد،مادته كلمات الوحي المنزل – لم يكن في مكة جهاد بالسلاح).

(ث)فصل في العلاقة مع اليهود في المدينة .

(ج) فصل في تأمين المدينة، ولماذا أعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) جيشًا؟

(ح) بحث حول مشروعية الحرب في الإسلام.

(خ) تناولنا بعض الحوادث التى أثارت شبهات وحاول خصوم الإسلام مهاجمة الإسلام من خلالها، كوصف الجهاد فى الإسلام بالعدوانية والإرهاب، وبَيَّنَّا حقيقة أن النبي (صلى الله عليه وسلم)فى كل حروبه وغزواته لم يكن هو المبادئ بالعدوان.

(د) وبعض الأحداث احتاج لتحليل دقيق حتى لا تلتبس المفاهيم-ولو على بعض المسلمين- مثل: لماذا تم اغتيال كعب بن الأشرف، وسلَّام بن أبي الحُقَيْق؟ ولماذا قُتِل بعض الأسري - خلافًا للمنهج الإسلامي العام واستثناء من القواعد الأصلية؟ولماذا عامل الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبيلة بنى قريظة بطريقة العقوبة المشددة، وليس بمنهجه الدائم مع أعدائه في الحلم والصفح؟ والأحداث أكثر من أن تستوعبها هذه المقدمة.

منهجي فى تأليف وتصنيف الكتاب:

كان على المرء أن يختار بين طريقين:

الطريق الأول:أن يكتب السيرة مبوبة على الشئون الحياتية، مثل سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم): في التربية - في البيت - في الجهاد - في المعاهدات - في إقامة الدولة - وفي القيام بأمر الدعوة ، و .. و...الخ.

والمنهج الثانى: هو سرد السيرة على حسب ترتيب الأحداث زمنيًا، من الميلاد إلى البعثة إلى الختام، ثم النظر إلى الأحداث بعين الدراسة والتحليل .

ولقد اخترت الطريق الثانى.

* لأن الأحداث فى السيرة أوسع وأكبر من أن يستطيع المرء تبويبها على أبواب محدّدة (القائد – الزوج – المجاهد -.........)

* ولأن الحدث الواحد يمكن أن تستخرج منه المعاني الجمة والدلالات والعظات.

* ولأن السرد التاريخي للأحداث يلقي الضوء أيضًا على أشخاص صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ونماذجهم الفذة وأعمالهم الجليلة، وقد صاحبوه طيلة هذه الرحلة المباركة.

* ولأن السرد التاريخي يقدم العرض ممزوجًا بالسياق القصصى الذييبسط القراءة ويشوق القارئ.

ومع هذا فإننى حاولت، أن أحقق جزءًا من الهدف الأول من التصنيف من خلال كتابة أبواب مستقلة في مواضيع شتى سبقت الإشارة إليها.

الرو ايات الحديثية في الكتاب:

قمت بتحقيق الروايات وبيان درجتها من الصحة والحسن، أو الضعف، وتعمدت أن أطوف بين كتب السنة؛ لمقارنة متونها بمتون كتب السير والمغازي، واستندت كثيرًا، على الروايات الصحاح للبخاري ومسلم وغيرهما.

وفي مجال الرو ايات، أود أن أبين عدة أمور:

أولًا: مجال البحث من خلال الاستفادة من المراجع الإلكترونية، قد اتسع كثيرًا، وكان لابد من توظيفه لخدمة السيرة، وقد يظن البعض أن هذا قد سهل عملية البحث، لكن الحقيقة أنه يفتح شهية الباحث إلى مراجع لا حدود لها، وأصبحت عملية قراءة الروايات واختيار الأنسب والأيسر منها، فيها بذل للجهد والوقت وفيها نَهَمٌ لا يشبع، وفيها آفاق جديدة للرواية يصعب حصرها من خلال المراجع المكتوبة.

وفي هذا المجال أذكر تنويهًا مستحقًّا للمكتبة الشاملة (الإلكترونية) التي شملت آلافًا من الكتب والمراجع، في القرآن وعلومه،وفي السنة والسيرة والتاريخ، وفي علم الرجال والجرح والتعديل وغيرها.

وأذكر أيضًا موسوعة الحديث الشريف- إنتاج شركة حرف- وفيها كتب السنة التسعة وشروحها وتخريجها،بواسطة لجنة من كرام علماء السنة المعاصرين.

ثانيًا: من المراجع المهمة: كتاب السيرة النبوية لابن هشام ط دار الحديث ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م- تحقيق وتخريج: سيد إبراهيم- جمال ثابت – محمد محمود، ولقد استفدت من تخريجهم وتحقيقهمكثيرًا، وآثرت ألا أكرر جهدهم -جزاهم الله خيرًا- وذكرت المواضع التي نقلت عنهم فيها فى الهامش السفلي، وإن كنت قد اختصرتكثيرًا، لأن تحقيق سيرة ابن هشام لم يكن هدفي،

وكذلك كتاب زاد المعاد لابن القيم ط دار التقوى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م تحقيق محمد عبد القادر عطا.

ثالثًا: سيرة ابن هشام – روايةً عن ابن إسحاق – مرجع على درجة عالية من الأهمية لكل من يكتب فى السيرة،

وقد اختلف العلماء حول توثيق ابن إسحاق واختلفت فيه الأقوال، والراجح عندهم أنه ثقة غير أنه يدلس، فإذا قال: حدثنا قبلت الرواية، إن لم يكن فيها مجهول أو ضعيف، لكن المشكلة في كثير من الأحيان أنه يسرد سردًا دون ذكر السند، وفي هذه الحالات غلب على ظني قبول روايته لأسباب عديدة: منها أني وجدت الروايات، ينقلها عنه أئمة أعلام مثل ابن كثير وابن القيم وابن حجر، والبيهقى، وكل من كتب في السيرة تقريبًا، ومنها أن الشافعي قال عنه (الناس عيال على ابن إسحاق في السير والمغازي) وقال عنه ابن القيم (إمام أهل السير والمغازي والأخبار)،

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي:

(قال المفضل الغلابي :سألت يحيى بن معين عن ابن إسحاق ، فقال : كان ثقة ، حسن الحديث،

وعن الزهري ، قال : لا يزال بالمدينة علم ما بقي هذا - يعني ابن إسحاق،

وعن الشافعي قال : من أراد أن يتبحر في المغازي ، فهو عيال على محمد بن إسحاق

وقال البخاري :رأيت عليًا بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق .وذكر عن سفيان أنه ما رأى أحدًا يتهمه.

و عن عمر بن عثمان أن الزهري كان تلقف المغازي من ابن إسحاق فيما يحدثه عن عاصم بن عمر ، والذي يذكر عن مالك في ابن إسحاق ، لا يكاد يتبين ،

قال البخاري :ولو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق ، فلربما تكلم الإنسان ، فيرمي صاحبه بشيء واحد ، ولا يتهمه في الأمور كلها،

وقال الذهبي -بعد أن أورد كثيرًا من أقوال الأئمة في ابن إسحق وفي تضعيف مالك له:

(لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة..)ا.هـ

وقد قيل إن البخاري لم يروِ عن ابن إسحاق، لكني وجدت البخاري نقل عنه في غزوة ذات الرقاع، ونوهت على ذلك في موضعه.

رابعًا: الرواية الواحدة: إذا وُجِدت عند البخاري أو مسلم أكتفي بروايتهما، وهى صحيحة، وإذا وُجِدت عند غيرهما فإني أختصر طرق التخريج، وأكتفي بما يبين صحة الرواية.

والمسكوت عنه قليل ،وقد سكت عنه أئمة التحقيق؛ لأنه لا مجال للحكم عليه، مثل مراسيل ابن إسحاق، وإن غلب على ظني قبولها،كما ذكرت.

خامسًا: نقلت -في بعض الأحيان- عن الواقدي، رغم أنه متروك عند علماء الحديث، ولجأت إلى ذلك اقتداء ببعض الأئمة كابن القيم وابن حجر ، لكن ذلك لم يكن في الأصول والأحكام ، وإنما في بعض التفاصيل التي تتفق مع الروايات الأصلية، ذكرناها للاستئناس.

سادسًا: ترقيم الأحاديث في الهامش عندي، إما نقلته عن موسوعة حرف، وهذا الترقيم اخترت منه ترقيم العالمية، أو ترقيم نقلًا عن سيرة ابن هشام تخريج دار الحديث، وقد نقلت ذلك عنهم ونسبته إليهم في مواضعه، والقليل منه من مصادر أخرى مذكورة في مواضعها.

سابعًا: تكرار الراوية من مصادر مختلفة – إذا لجأت إليه، فإنما لسبب هام ،فإذا ذكرت رواية ابن إسحاق لحدث ما، ورواية البخاري لنفس الحدث، فتكون رواية البخاري شاهدًا لتصحيح وتقوية رواية ابن إسحاق، في حين تكون رواية ابن إسحاق شاملةً لبعض الزيادات المفيدة، أو أفضل من حيث التنسيق والتتابع الزمنى، فالتكرار – بالتأكيد لا يكون لمجرد التكرار، بل لفائدة إضافية.

ثامنًا: اجتهدت- وُسْعِي- لانتقاء الروايات المبسطة، وأحيانا أقطِّع الرواية إلى مقاطع؛ ليسهل على القارئ متابعة تسلسل الأحداث، ولمزيد من التيسير: شرح معاني الكلمات في الهامش.

تاسعًا: التعليق على الأحداث أحيانًا يكون بالفقرة الطويلة أو القصيرة ،وأحيانًا يكون بالعنوان الجانبي الذي يوضح ملمحًا معينًا في الحدث، أو توصيفًا له، والعناوين يجب أن يكون هذا هدفها – وقد لجأت إليه كثيرًا ،وقديمًا قال ابن حجر (فقه البخارى في تراجمه) والتراجم هى عناوين الأبواب، أى: إن عنوان الباب كان يمثل الحكم الفقهي عند البخاري...فَتَمَثَّلْتُ كثيرًا هذا المنهج.

وختامًا:

فإن السيرة المطهرة تحتاج إلى أبحاث وأبحاث، ودراسات في كل وقت وحين، ومهما استخرجنا من كنوزها، يظل المكنون منها أكثر مما استخرجناه، وكلما ازداد التأمل كانت السيرة فياضة بالعبر والعظات.

وكلما كان التوفيق الربانى مصاحبًا للكاتب، رجونا له السير فى جنبات الأنوار المحمدية.

أسأل الله القبول، وأسأله سبحانه أن يغفر لنا الأخطاء والزلات.

وأرجو من قارئ الكتاب أن يذكرنا بصالح الدعاء، وجزى الله خيرًا من قام على طبعه ونشره وتوزيعه، وكل من قدم لنا العون في أي مرحلة من مراحل الإعداد.

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

المؤلف

الباب الأول:

المدخل إلى السيرة المطهرة

الفصل الأول:

السيرة النبوية طريق بناء الأمة والدولة

الأمة الإسلامية التي عانت في العقود الأخيرة – أو القرون الأخيرة، من الضعف والتأخر، بل والتخلف في كل المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية،
قد عاشت عقودًا من الغربة الثقافية وضياع الهوية، وهى تنظر إلى الشرق تارة ،وإلى الغرب تارة ،تبحث عن المخرج من أزمتها ،وعن نموذج يخرجها من كبوتها.

تمثل حكام هذه الأمة بمنهج الشرق الاشتراكي أو الشيوعي، أو بمنهج الغرب الرأسمالي، وفرضت على شعوب هذه الأمة تلك النماذج ووعدتها بأن هذا هو المخرج والأمل ليحقق لها التقدم والتحضر المنشود.

وكانت الثمرات المُرّة هى النتيجة الحتمية في بلاد المسلمين؛ نتيجة اتباع نظم غريبة على ثقافة هذه الأمة وهويتها، كانت الثمرات هزائم عسكرية متتالية، واحتلال للبلدان الإسلامية، وضياع أرض فلسطين لمصلحة شراذم عصابات الصهيونية، وما كانت الهزائم العسكرية إلا مظهرًا للضعف والتخلف في كل الشئون؛ السياسية والاقتصادية والعلمية والتعليمية والمجتمعية.

ثم ظهر في الأمة دعاة مصلحون، ومجددون إسلاميون، وشعور شعبي جارف، يرفض التغريب ويدعو إلى البحث عن مخرج لأزمات الأمة؛ من خلال استلهام عظمة التراث الحضاري الإسلامي.

وبَيَّن الدعاة المصلحون أنَّ تقدم الأمة وتخلفها قد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى القرب والبعد عن المنهج الإسلامي الصحيح القويم الراشد.

وانبعثت روح جديدة في هذه الأمة سميت (بالصحوة الإسلامية)، والصحوة نقيض الغفوة، وضد النوم والركون والاستسلام ، ودعوة إلى الانتفاضة في كل الشئون الحياتية.

وكونها (إسلامية) ، تعني أن المشروع الذي يبتغى تقدم الأمة وخروجها من حالة الضعف والهزائم والتخلف ، سوف يكون طريقه هو الالتزام بالمنهج الإسلامي في كل قواعده وأحكامه ومبادئه وأخلاقه وسياسته ونظامه.

والأصول التي تمثل المرجعية للأمة الإسلامية في هذه الصحوة: هى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - شاملة: الأقوال والأفعال والسيرة النبوية، وكل ذلك يحتاج إلى دراسة متعمقة ومتواصلة للتعرف على معالم و ملامح المنهج الإسلامي في كل شئون الحياة.. ومن هنا كان هدفنا من إعداد هذا الجهد المتواضع في دراسة السيرة، للتعرف على ملامح المنهج الإسلامي في كل شئون الحياة،

لقد ابتُلِيَت الأمة الإسلامية في عصرنا الحالي بحالة من الضعف والتفكك والهوان في كل شئون حياتها، وقد كان هذا بسبب ترك الأمة لمرجعيتها الإسلامية، ولم تستطع أن تستخرج من المصادر الأصلية ممثلة في الكتاب والسنة ، ما يعينها على القيام من عثرتها، وينور لها الطريق نحو نهضة شاملة.

<u>**النظر إلى و اقع المسلمين اليوم** يظهر لنا حالة مأساوية تتجلي مظاهرها في:</u>

- تفكك الأمة الإسلامية إلى دول ودويلات، لا تربطها خلافة راشدة أو وحدة إسلامية ، أو اتفاق على قرار سياسي، أو إرادة متحدة نحو قضايا الأمة المصيرية.
- تسلط الدول الاستعمارية على بلاد العالم الإسلامي، تارة باحتلال عسكري، وتارة بالسيطرة الاقتصادية على موارد الأمة لمصلحة الغرب الاستعماري. كذلك تسلطها على إرادة حكوماتها وحكامها، فلا يتخذون من المواقف والقرارات إلا ما ترضى عنه تلك الدول.
- تخلف علمي رهيب: فليس لبلاد العالم الإسلامي -تقريبًا-أي دور في الإنتاج العلمي والتقني (التكنولوجيا) وليس لنا مساهمة في أي ابتكارات حديثة، وكل ما نستعمله من منتجات العلم الحديث هو من إنتاج غير المسلمين ،مما أدى إلى تكريس التبعية أيضًا؛ لأنه لا تستطيع أمتنا أن تستغني عن استيراد حاجاتها الضرورية من خارجها.
- أدى التخلف العلمي والتقني إلى تخلف صناعي وزراعي، وبالطبع لا قيام لمجتمع بدون حاجة إلى الصناعات الحديثة المتطورة وبدون الأساليب الجديدة في الزراعة واستصلاح الأراضي التي ضاعفت من إنتاجية الأرض الزراعية؛ فأصبحنا أيضا نستورد كل شيء، حتى الطعام الضروري من خارج العالم الإسلامي .

- كمـا أدى التخلـف العلمـي والصـناعي إلى ضـعف التسـلح وتخلـف الصـناعات العسـكرية، ففقـدت الأمـة عـاملًا رئيسـيًا مـن عـوامـل بنـاء الجيـوش والقـدرة على مواجهة الأعداء.
- تخلـف إداري وانتشـار الفسـاد والرشـوة وتـولي أهـل المحسـوبية والنفـاق والتسـلط مواقع المسئولية الرئيسية في البلاد..
- أدت العوامل السابقة وغيرها إلى ضعف اقتصادي وانتشار الفقر والجهل والمرض.

ما المخرج؟ وما الحل؟

- بعـد انتشـار الضـعف والتخلـف والفقـر وفشـل الـنظم الحاكمـة في عـلاج مشـكلات الأمـة، بـدأ البحـث عـن كيفيـة النجـاة، والخـروج مـن هـذه الحالـة.. كيـف السـبيل إلى اسـتنهاض الأمـة مـن عثرتهـا وقيامهـا مـن غفلتهـا؟ كيـف السـبيل إلى التقـدم والنمـو؟ كيف يتحقق للأمة قوة اقتصادية وسياسـية وعسكرية؟
- اكتشـف المصلحون والـدعاة حقيقـة أن مـا حـدث للأمـة كان بسـبب انقطاعهـا عـن جذورها وأصولها، وتركها المنهج الإسلامي الصحيح والمتكامل، وتكلم المصلحون عن حقيقة أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأن الرجوع إلى الإسلام هو الكفيل بأن يقدم هذا المشروع الإصلاحي والتنموي، مشروع الحل الإسلامي.
- هذا المشروع لابد أن يكون مستمدًا من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ومن سيرته.
- وهنا حقيقة لا بد من توضيحها:
- إن مشـروع الحـل الإسـلامي لا يظهـر في كونـه يقـدم رؤيـة بديلـة في الـنظم الحديثـة في الزراعـة والصـناعة والكهربـاء والطاقـة والمواصـلات والطـرق والكبـاري.. لا.. لا.. إن إصلاح هـذه المنظومات ما هـو إلا ثمرة لإصلاح المجتمع كلـه على هَـدْيٍ من المبـادئ والقواعد الإسلامية.
- بمعني أن إصلاح الفرد يؤدي إلى محاربة الفساد والرشوة والمحسوبية.

- وأن قواعد العدل وحفظ الحقوق، وقواعد الحريات العامة ومحاسبة الحكام، هذه القواعد الإسلامية هي التي تضمن نظامًا للإدارة والحكم ،يحقق النجاح في حل مشكلات المجتمع في الزراعة والصناعة والمرافق وغيرها.
- وأن قيام الوحدة الإسلامية- وهى فريضة إسلامية- سوف يعمل على تقوية الأمة مجتمعة.. قوة اقتصادية، وقوة سياسية، وعسكرية في مواجهة أعداء الأمة.

إذن فلننظر إلى الإصلاح من مدخله الصحيح:

فإن كل خطط التنمية، وبرامج إصلاح الاقتصاد تفشل؛ بسبب غياب مشروع إصلاح الفرد، وإصلاح النظام الإداري وإصلاح نظام الحكم، وتفشل أيضًا بسبب غياب العدل والمساواة وضياع الحقوق.. وتفشل بسبب غياب الحريات العامة والشفافية ومحاسبة المسئولين.

وهذه المبادئ العامة الإصلاحية لا تستقيم في بلاد الإسلام وفي مجتمع المسلمين، إلا إذا كانت مستمدة من عقيدة الأمة، وتراثها وتاريخها.. وأن تستمد من كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسيرته.

ولندخل إلى شيء من التفصيل والتوضيح للقواعد الإسلامية التي تمثل مشروع الإصلاح والحل لمشاكل الأمة، وكيف تكون سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قدوة لنا في هذا الإطار، حيث إن سيرة الرسول (صلي الله عليه وسلم) هي التطبيق العملي المثالي والواقعي لقواعد القرآن الكريم.

أولًا: الرسول (صلى الله عليه وسلم) يربي الفرد ويبني المجتمع الصالح:

أريدُ للجميع أن يركزوا ويتعمقوا في هذه الفقرة:

وأعني بالجميع، أنصار المشروع الإسلامي، وأيضا المتحاملين الذين يتساءلون:ما معني الحل الإسلامي ؟!

نوضح كيف أن الفرد الصالح يمكن أن يكون مفتاح الحل ومفتاح التنمية ومفتاح إصلاح كل ما فسد في المجتمع:

١- الفرد الصالح يحافظ على المال العام فلا تمتد يده إلى الحرام.

٢- الفرد الصالح يؤدي العمل المطلوب منه وزيادة، بأمانة شديدة؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه ومراقب له.

٣- الفرد الصالح حينما يكون في موقع المسئولية؛ فإنه سوف يحقق العدل ويعطي كل ذي حق حقه.

٤- المسئول الصالح بعيدٌ عن المحسوبية، سوف يختار لكل موقع الأكفأ والأقدر ،ولن يحابي ذوي القربى، من هنا سيكون في كل موقع وفي كل مرفق رجل كفء صالح، بالتأكيد سوف تتحسن المرافق المختلفة، والكل فى النهاية سوف يصب في الحفاظ على المال العام، والتقدم الاقتصادي واقتحام المشاكل والصبر على الحلول.

٥- المسئول الصالح سوف يفضل المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، يعني لن توضع القوانين، ولن تصاغ المشروعات من أجل تحقيق منافع لأشخاص معينين، دون نظر للصالح العام.

٦- الفرد الصالح سوف يعلم أن طلب العلم فريضة، وأن عليه أن يواصل تنمية مواهبه ومهاراته الشخصية تبعًا لأحدث معطيات العلم ،وسوف يعلم أن العلم باب هام لحل المشكلات وإقامة المشروعات، لذا سيكون التحديث والتطوير لونًا من ألوان العبادة.. مأجورًا بها من عند الله.

٧- مجموع الأفراد الصالحين يساوي مجتمعًا صالحًا متعاونًا متكافلًا متراحمًا ،لن ينام وفيه فقير لا يجد الطعام والكساء والمسكن، ولن يرتاح وفيه مريض لا يجد العلاج، ولن يهدأ وفيه شباب ضائع لا يجد فرصة عمل أو مسكنًا للزوجية، سوف يتعاون المجتمع الصالح كله لإقامة العدل وأداء الحقوق ورعاية الضعيف والفقير والمسكين وذي الحاجة.

<u>كيف كانت سيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) في بناء الفرد والمجتمع؟</u>

والإجابة: بالقرآن .. بالسنة القولية.. بالسنة الفعلية.

قال تعالى(﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)﴾من هنا نعلم أن الصلاة ليست عبادة أخروية فقط ، وإنما عبادة لإصلاح المجتمعات ومحاربة المنكرات.

وقال تعالى:(﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)﴾. الصيام من أجل التقوى.

وقال تعالى:(﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَاب)﴾.

وأيضًا تتأكد العلاقة بين الحج والتقوى.

هل يختلف اثنان على أن العبادة طريق لإصلاح الفرد ؟

لا يختلف أحد.. لكن قد يغفل الناس عن دور العبادة في إصلاح الفرد في خضم الجدليات حول سبل الخروج من الأزمات.

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ.[١]

إذا كان إماطة الأذى عن الطريق عبادة، بل وشعبة من الإيمان فكيف بغيره من الأعمال الصالحة؟!

٢- "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[٢]

<u>دلالة:</u>

الأحاديث تبين ارتباط الإيمان بالمصالح العامة ، وارتباط الإسلام بالتكافل.

٣- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.[٣]"

٤- عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ."[٤]

---

[١] –البخاري كتاب الإيمان باب أمور الإيمان رقم ٨ ، ومسلم "كتاب الإيمان رقم ٥١

[٢] – البخاري كتاب الإيمان باب إطعام الطعام من الإسلام رقم ١١ ومسلم كتاب الإيمان رقم ٥٦

[٣] – البخاري كتاب الإيمان باب أي الإسلام أفضل رقم ١٠ ومسلم كتاب الإيمان رقم ٥٩

[٤] – البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٢ ومسلم كتاب الإيمان ٦٤

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".[١]

٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا"[٢].

٧- عن أَبَى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا الْبَقَرَ وَالْإِبِلَ وَالْمَتَاعَ وَالْحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي الْقُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ.

فَقَالَ النَّاسُ هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا، فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ"[٣].

٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

---

[١] – **البخاري كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره رقم ٥٥٥٩ومسلم كتاب الإيمان رقم ٦٧.**

[٢] – **البخاري كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من حمل علينا السلاح فليس منا رقم ٦٥٤٤ومسلم كتاب الإيمان برقم ١٤٣**

[٣] – **البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر رقم ٢٩٠٨ ومسلم كتاب الإيمان رقم ١٦٦ والنسائي كتاب الإيمان والنذور ٣٧٦٧**

قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فِيَّ أُنْزِلَتْ؛ كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيِّنَتُكَ أَوْ يَمِينُهُ. فَقُلْتُ: إِذًا يَحْلِفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَهْوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ"[1]

٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".[2]

تعليق:

هذه المجموعة المختارة من الأحاديث العظيمة وغيرها كثير ..كثير ،تصب في إطار علاقة المسلم بالمجتمع .. بإخوانه.. بجيرانه.. بأقاربه .. علاقة سَمَتْ فوق رغبات البشر، وارتقت إلى قمم لم تعهد لها البشرية مثيلًا!

علاقة تبدأ من عدم الإيذاء (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) وتمر بأن يعطي المسلم للمسلم حقه، ولا يتعدى على مالٍ لا يحل له،

وتصل إلى أن يحب المسلم لأخيه المسلم مثل ما يحب لنفسه.

وترتقي إلى قمة عالية في التآخي بين المهاجرين والأنصار، حيث يقسم المسلم من الأنصار نصف ماله وداره لأخيه المسلم المهاجر،

وتسمو وتسمو حتى يُفَضِّلَ المسلم أخاه على نفسه في شربة ماء، ينقذ بها نفسه من الموت في معركة اليرموك!

انظر إلى هذا وانظر إلى مجتمعات الفساد والصراع، آكل المال بالباطل وخيانة الأمانة، والعدوان على حقوق الغير،

بالتأكيد هو الفارق بين النعيم والعذاب، بين الصحراء الحارة القاحلة وبين رياض الجنة.

---

[1] – البخاري كتاب التفسير باب (إن الذين يشترون بعهد الله رقم ٤١٨٥ ومسلم كتاب الإيمان ١٩٧ والترمذي كتاب البيوع رقم ١١٩٠

[2] – البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان رقم ١٥ ومسلم كتاب الإيمان رقم ٦٠ والترمذي كتاب الإيمان رقم ٢٥٤٨

ثانيًا :الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبني الدولة في جميع الشئون الحياتية :

ملامح الدولة في المدينة المنورة:

أولًا: في شئون الحكم والسياسة:

١- إقامة العدل بين الناس:

١٠- عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟. ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ. وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا".[١]

١١-وَرَوَى أَحْمَد وَالْحَارِث وَابْن حَاتِم مِنْ طَرِيق أَبِي نَضْرَة " حَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ خُطْبَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى وَهُوَ عَلَى بَعِير يَقُول:

يَا أَيّهَا النَّاس إِنَّ رَبّكُمْ وَاحِد، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِد، أَلَا لَا فَضْل لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيّ وَلَا لِأَسْوَد عَلَى أَحْمَر إِلَّا بِالتَّقْوَى، خَيْرُكُمْ عِنْد اللَّه أَتْقَاكُمْ".[٢]

٢- تطبيق الشورى:

وسماع الرأي الآخر، والنزول عليه إذا كان صالحًا،

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

وقال تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

وشاور الرسول (صلى الله عليه وسلم)أصحابه في بدر في ثلاثة مواقف معروفة، وفي أحد وفي الأحزاب وفي غيرها.. حتى شاور زوجه- أم المؤمنين أم سلمة- رضي الله عنها- في موقف خطير في صلح الحديبية،

---

١ – البخاري كتاب الحدود برقم ٦٢٩٠ ومسلم كتاب الحدود ٣١٩٦

٢ –فتح الباري بشرح صحيح البخاري،رواه أحمد والحارث وأبن أبي حاتم.

وسيأتي تفصيل كل ذلك إن شاء الله تعالى.

٣- إقامة المعاهدات والوفاء بالعهد:

أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)معاهدات مع يهود المدينة بقبائلهم المختلفة، وعقد معاهدات مع بعض القبائل حول المدينة،

وعاهد قريشًا في صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، وغيرها.

وكان منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو احترام هذه المعاهدات بكل دقة وأمانة، حتى يهود المدينة حينما غدروا كانوا ثلاث قبائل فلم يأخذ كل القبائل بذنب القبيلة التي تغدر.

إن الوفاء بالعهود منهج قرآني أصيل وفريضة ربانية قاطعة:

قال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ .

وقال تعالي: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

وقال تعالي: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

٤- إرسال السفراء إلى الملوك والرؤساء والقبائل:

أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) سفراء إلى كسرى الفرس وقيصر الروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس في مصر، وإلى ملوك عمان والبحرين ،وإلى القبائل،

وهو عمل من أعمال الدعوة إلى الله،

وفي نفس الوقت من خصائص الأعمال السيادية في الدولة الإسلامية.

٥- إعداد الجيوش وقيادتها، أو تعيين قادتها:

وهو أمر معروف مشهور، فقد خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بنفسه قائدًا أعلى للجيش في أكثر من عشرين غزوة، وأرسل السرايا والبعوث وولى عليها القادة، وهو بلا شك عمل من أخطر أعمال السيادة في الدولة المدنية،

إذًا لم تقتصر مهمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الدعوة فقط، وإنما بيَّن النموذج للدولة.

ثانيًا: في الشئون الاقتصادية

- ابتدأت الحياة في الدولة الناشئة في المدينة بمشكلة اقتصادية خطيرة هي مشكلة المهاجرين وكفالتهم..
- وكان تشريع المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار يعني اقتسام الأموال والديار (العقارات)، وهو تشريع ما كان له أن ينجح في حل هذه المشكلة لولا أن النفوس كانت قد تربت على الإيمان وعلى التضحية والتسامي فوق الحاجات الدنيوية، وانتظار المثوبة في الآخرة.

- الدعوة إلى العمل في كل المجالات الاقتصادية وضبط أحكامها:

(ا)التجارة:

١٢- عَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ خَالِهِ قَالَ: "سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَفْضَلِ الْكَسْبِ فَقَالَ بَيْعٌ مَبْرُورٌ[١] وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ".

١٣- عن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"[٢]

١٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ "أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ[٣] وَالْأَصْنَامِ".

١٥ عَنْ ابْنِ عُمَرَ "عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَبِعْ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ[٤] إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ".

---

[١] – رواه أحمد مسند المكيين رقم ١٥٢٧٦ حديث حسن.

[٢] – البخاري كتاب البيوع باب البيعان بالخيار رقم ١٩٦٨ ومسلم كتاب البيوع رقم ٢٨٢٥

[٣] –البخاري كتاب البيوع ٢١٨٢ ومسلم كتاب المساقاة ٢٩٦٠

[٤] –البخاري كتاب البيوع ١٩٩٥ ومسلم كتاب البيوع ٢٥٣١

١٦ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "من اشتري سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في إثمها وعارها".[١]

١٧- وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ".[٢]

(ب) الزراعة:

١٨- روى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ".[٣]

١٩- وروي الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "عَامَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ".[٤]

٢٠- عَنْ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ".[٥]

قال أبو حنيفة: شرطها إذن ألإمام وإقراره،

وفرَّق مالك بين الأراضي المجاورة للعمران والأرض البعيدة عنه فشرط إذن الحاكم للمجاورة للعمران فقط.

(ج) في الصناعة والحرف اليدوية وعلاج مشكلة البطالة:

١ – البيهقي

٢ – مسلم كتاب المساقاة رقم ٢٩٩٥

٣ –البخاري كتاب المزارعة ٢١٥٢ ومسلم كتاب المساقاة رقم ٢٩٠٤

٤ – البخاري كتاب المزارعة ٢١٦١ والترمذي كتاب الأحكام ١٣٠٤

٥ – رواه النسائي والترمذي وحسنة وأبو داود كتاب الخروج والإمارة والفيء ٢٦٧١

لا شك أن الحياة على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) لم تكن الصناعة قد تطورت فيها إلى الحد الذي نراه الآن.. لكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حضَّ على القواعد الأساسية في الحرف:

٢١- فقال صلى الله عليه وسلم :"إن الله يحب المؤمن المحترف"[١]

٢٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام نَجَّارًا"[٢].

٢٣- وعَنْ الْمِقْدَاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ".[٣]

وقد بين القرآن الكريم أن سيدنا داود كان يعمل في صناعات الحديد ويصنع الدروع للحرب: قال تعالى:﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم - وهو يحض على العمل ويكره البطالة وينهىعن سؤال الناس بالصدقة-:

٢٤- "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ".[٤]

(د) والاهتمام بالتعليم:

حدّث عنه ولا حرج،فالتعليم كان رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم)وجعله الرسول (صلى الله عليه وسلم) ميراثًا للأنبياء.

(هـ) شئون أخرى:

- **وقد مارس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القضاء بين الناس وأصبح للقضاء قواعد أساسية مستمدة من الكتاب والسنة كحديث القرآن عن كتابة الدَّين، وضرورة الشهود،**
- **وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في القضاء كثيرة منها:**

---

١ – رواه البيهقي في شعب الإيمان والمنذري في الترغيب وضعفه الألباني.

٢ – مسلم كتاب الفضائل ٤٣٨٤ واحمد مسند المكثرين٧٦٠٦

٣ – البخاري كتاب البيوع ١٩٣٠ ابن ماجه كتاب التجارات ٢١٢٩

٤ – البخاري كتاب الزكاة ١٣٧٨ ابن ماجة كتاب الزكاة ١٨٢٦

٢٥- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ" [١]

٢٦- عن وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي. فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي وَفِي يَدِي لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَضْرَمِيِّ أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَكَ يَمِينُهُ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ.

قَالَ لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ لِيَحْلِفَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَدْبَرَ: لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِكَ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا لَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ".[٢]

- **وقد تكلمنا في الباب السابق عن رعاية الطفل ورعاية الضعفاء من الرجال والنساء.**

- **وقد تكلمنا عن طرف بسيط من جهد النبي (صلى الله عليه وسلم)في تيسير أمور الزواج.**

- **وقد أشرك الرسول (صلى الله عليه وسلم) المرأة في شئون الحياة ؛أُمًّا وزوجة ومجاهدة ومقاتلة، ومداوية للجرحى ، ومعالجة للمرضى، وعالمة وفقيهة .... لقد خصص النبي (صلى الله عليه وسلم) للنساء يومًا يعلمهن ويعظهن فيه.**

<u>ونختم بهذا الفصل:</u>

<u>مسئولية الحكام والولاة (في شريعة الإسلام):</u>

٢٧- عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ قَالَ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ".[٣]

---

١ – رواه الترمذي في كتاب الأحكام١٣٦١ وقال هذا حديث في إسناده مقال – أقول: لكن معناه صحيح معمول به في القضاء بدليل الحديث الذى بعده .

٢ – رواه الترمذي – كتاب الأحكام ١٢٦٠ وقال حسن صحيح.

٣ – البخاري كتاب الأحكام باب من استرعي رعية فلم ينصح رقم ٦٦١٧ ومسلم كتاب الإيمان ٣٠٢

٢٨- عـن عَبْـد اللَّهِ بْـنَ عُمَـرَ قـال: "سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَقُـولُ: كُلُّكُـمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، الْإِمَـامُ رَاعٍ وَمَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، وَالرَّجُـلُ رَاعٍ فِي أَهْلِـهِ وَهُـوَ مَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، وَالْمَـرْأَةُ رَاعِيَـةٌ فِي بَيْـتِ زَوْجِهَـا وَمَسْـئُولَةٌ عَـنْ رَعِيَّتِهَـا، وَالْخَـادِمُ رَاعٍ فِي مَـالِ سَـيِّدِهِ وَمَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ. قَـالَ: وَحَسِـبْتُ أَنْ قَـدْ قَـالَ وَالرَّجُـلُ رَاعٍ فِي مَـالِ أَبِيـهِ وَمَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".[١]

٢٩ ـ عَـنْ أَبِي حُمَيْـدٍ السَّـاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَـالَ: "اسْـتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي.
قَـالَ: فَهَـلَّا جَلَـسَ فِي بَيْـتِ أَبِيـهِ أَوْ بَيْـتِ أُمِّـهِ فَيَنْظُـرَ يُهْـدَى لَـهُ أَمْ لَا؟ وَالَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ لَا يَأْخُـذُ أَحَـدٌ مِنْـهُ شَـيْئًا إِلَّا جَـاءَ بِـهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يَحْمِلُـهُ عَلَى رَقَبَتِـهِ؛ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَـهُ رُغَـاءٌ أَوْ بَقَـرَةً لَهَـا خُـوَارٌ أَوْ شَـاةً تَيْعَـرُ، ثُـمَّ رَفَـعَ بِيَـدِهِ حَتَّى رَأَيْنَـا عُفْـرَةَ إِبْطَيْـهِ اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ ثَلَاثًا"[٢].

دلالات:

لقـد قـدم المصـطفى (صلى الله عليـه وسـلم)النموذج الأعلى للقائـد والحـاكم للدولـة ورعايتـه للرعيـة وتحمـل المسئولية كاملـة، عـن كل شـئونها بالسـنة العمليـة والـواقعيـة ، وزاد ذلـك بيانًـا بسـنته القوليـة ، لقـد تعلـم ذلـك خلفـاؤه الراشـدون فقـدموا للـدنيا نمـاذج بشـرية للحكـام لا مثيل لها؛ لأنهم تربوا في المدرسة النبوية العظيمة.

---

[١] – البخاري كتاب ٨٤٤ ومسلم كتاب الإمارة رقم ٣٤٠٨

[٢] – البخاري كتاب الهبة ٢٤٠٧ ومسلم كتاب الإمارة ٣٤١٣ شاة تيعر: تصيح وهو صوت الشاة. وعفرة إبطيه: بياض ليس بالناصع.

الفصل الثاني:

و إنك لعلى خلق عظيم:

لقد صُنفت المؤلفات الكبيرة التي تتناول جوانب العظمة والكمال والجمال والرحمة والخلق العالي للكريم (صلى الله عليه وسلم) ورويت روايات عظيمة كثيرة يصعب على المرء حصرها، وفي هذا الفصل نسلط الضوء على بعض المواقف التي تكون أمثلة شارحة ومبينة لهذا الخلق العظيم، الذي كان سجية عنده (صلى الله عليه وسلم)ومبينة للحب الكبير الذي كان من أصحاب الرسول(صلى الله عليه وسلم) له، حتى كانوا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم ويتمنون لقاءه، ولا يريدون مفارقته، وكلما فارقوه تجدد الشوق للقاء.

جَمَعت هذه المواقف رعايته للفقراء من أهل الصفة، أمثال أبي هريرة، وحلمه مع الحبر اليهودي زيد بن سعنة والذي أدى إلى إسلامه، وتدخله الشخصي لتزويج الشاب جليبيب ، وتواضعه الكبير حتى يداعب الأطفال ، ورحمته بالمرأة الضعيفة في موقف أقنع عدي بن حاتم بالإسلام، وفي تصرف نادر في زمن البداوة والقسوة يرعى امرأة من ذوي الاحتياجات الخاصة (في عقلها شيء). وتصرف غاية في الحلم مع غيرة السيدة عائشة (رضي الله عنها)، تعالوا بنا لنستكمل هذه الصحبة الشريفة،

<u>الموقف الأول:</u>

٣٠-روى البخاري : "عن مُجَاهِدٌ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ:

"واللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي[١] فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ،

١– أي : أراد أبو هريرة أن يجد فرصة للكلام مع أبي بكر رضي الله عنهما، فيدعوه أبو بكر إلى طعام يشبعه لكن أبا بكر لم يفعل لأنه لم يكن في بيته ما يضيفه به".

ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا هِرٍّ" قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ "الْحَقْ".[١] وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟ قَالُوا أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ.

قَالَ: أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ[٢] فَادْعُهُمْ لِي - قَالَ وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا - فَسَاءَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ.

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ، قَالَ: يَا أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ. حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ.

فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: أَبَا هِرٍّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ. قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ. فَقَالَ: اشْرَبْ فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا. قَالَ: فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ[٣]"

<u>دلالات وعظات:</u>

---

١ – أي اتبعني.

٢ – الصُفة كانت مكانًا بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يُصَفُّ فيه الفقراء والغرباء الذين لا يجدون مأوي أومسكنًا.

٣ – حديث صحيح رواه البخاري ٨١ كتاب الرقاق ١٧ باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا حديث رقم (٥٩٧١)ترقيم العالمية موسوعة الحديث شركة (حرف).

* تتجلي في الحديث قمة الرعاية والحنوّ من الرسول (صلى الله عليه وسلم)على أصحابه، وخاصة الفقراء والضعفاء منهم، وكيف كان الرسول(صلى الله عليه وسلم) دائم التفقد لأحوالهم،

الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرف حاجة أبي هريرة بمجرد النظر في وجهه ، مما يدل على حالة تواصل عجيبة بين النبي (صلى الله عليه وسلم)وأصحابه فلا يحتاج الرجل منهم أن يتكلم بحاجته حتى يعرفها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويلبيها له قبل أن يتكلم بها.

** انظر إلى نداء الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبي هريرة بقوله (أبا هرّ) فيه مزيد من التدليل والتبسط والتقريب، رغم أن لقب أبو هريرة أصلًا، لُقِّب به تدليلًا له ؛لحبه القطط ورحمته بها.

** دخل النبي (صلى الله عليه وسلم) بيته "فاستأذن" .. أدب نبوي عال، غاية في الذوق والكمال ،أن يستأذن حين يدخل بيته، وهذا في زمن وفي مجتمع غلبت عليه البداوة، وقَلَّتْ فيه أسباب الحضارة.

** وجد النبي (صلى الله عليه وسلم) قدح اللبن، فلم يَنْسَ أن هناك أهل الصفة ربما كانوا أحوج من أبي هريرة لشربة لبن.. فيرسل إليهم استكمالًا لمسيرته في رعاية أصحابه والقيام على شئونهم.

كيف تحكم على هذه الشخصية في هذا الزمان.. لا هي شخصية ملك مهاب، ولا قائد متسلط، ولا رئيس متجبر - حاشاه- صلى الله عليه وسلم - وإنما غاية التواضع والتبسط المبهر المُعْجِز، وإذا عرفنا أن أبا هريرة قد أسلم في السنة السابعة بعد الهجرة، أي بعد انتصارات المسلمين في بدر والأحزاب، وبني قينقاع، والنضير، وقريظة ،وبعد فتح خيبر، نعلم أن هذا التواضع لم يكن وليد عجز أو ضعف في بداية الدعوة، وإنما كان خلقًا رفيعًا،وسمتًاأصيلًا،في الحبيب (صلى الله عليه وسلم).

** أن يوجد في بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) قدح لبن، جاءه هدية من فلان أو فلانة، فقط قدح لبن، بعد هذه الفتوحات والغنائم يكمل لنا صورة الزهد في الدنيا والنظر إلى الآخرة، والصدق في الدعوة، ويسلط الضوء على جانب من جوانب الشخصية العظيمة.

وإني إذ أتذكر في عصرنا هذا، كيف انبهر العالم بشخصية مثل غاندي الزعيم الهندي-ودون مقارنة.- نقول للعالم الذي لم يتعرف على نبي الإسلام، نقول لكل الناس: تعالوا وشاهدوا وتعرفوا وتتلمذوا في مدرسة محمد (صلى الله عليه وسلم).

أهل الصفة:

لا يعيب مجتمعًا من المجتمعات أن يكون فيه بعض الفقراء، لكن أهل الصفة لم يكونوا مجرد مجموعة من الفقراء، وإنما كان فيهم الفقير الذي لا يقدر على الكسب، وكان منهم أيضًا بعض الصحابة الذين وقفوا أنفسهم ،إمَّا علي خدمة الرسول(صلى الله عليه وسلم) حبًا في الإكثار من ملازمته وإقرارًا بحقه (صلى الله عليه وسلم) على أمته أن يقوم بعضهم على خدمته ، منهم ربيعة بن كعب الأسلمي، ومنهم من أراد أن يحفظ حديث رسول الله (صلىالله عليه وسلم) باعتباره أهم علم يجب تحصيله كمثال أبي هريرة لأنه تأخر إسلامه؛ فأراد أن يعوض ما فاته فلازم الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وكان من أهل الصفة أيضا الغريب عن المدينة الذي جاء؛ ليتعلم أحكام الإسلام وليس له مكان يؤويه.

المهم أنهم لم يكونوا هملًا في المجتمع ولكن كان منهم رواة الحديث والعلماء والحكماء وحفظة القرآن،

ولو كان مثلهم في مجتمع آخر غير مجتمع الإسلام ما كان لهم ذكر ولا قيمة.

والمهم أيضًا كيف كانت رعاية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لهم ولأحوالهم!!.

الموقف الثاني: إسلام زيد بن سُعنة:

٣١- روي الطبراني : "عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال: إن الله تعالى لما أراد هُدَى زيد بن سُعنة قال زيد بن سعنة :

" ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حلمُه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت ألطف له إلى أن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يومًا من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال:

(يا رسول الله إن بقربي قرية بني فلان قد أسلموا أو دخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدًا، وقد أصابتهم سَنَةٌ[1] وشدة وقحوط من الغيث[2] فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا[3] كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت)، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه عليًّا،

فقال: (يا رسول الله ما بقي منه شيء)[4] ، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًافي حائط[5] بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟

فقال: "لا يا يهودي ولكن أبيعك تمرًامعلومًا إلى أجل كذا وكذا ولا تسمي حائط[6] بني فلان".

قلت: (نعم فبايعني فأطلقت همياني[7] فأعطيته ثمانين مثقالًا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا..)، فأعطاه الرجل .. وقال:" اعدل إليهم وأعنهم بها".

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة ودنا من جدار ليجلس، أتيته، فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له:

(ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله   ما علمتكم بني عبد المطلب لَمُطْلٌ[8] ولقد كان لي بمخالطتكم علم) ونظرت إلى عمر وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير[9] ثم رماني ببصره فقال:

---

١ – سَنَةٌ: بفتح السين: الجذب والقحط

٢ – بسبب انقطاع المطر.

٣ – أن يخرجوا من الإسلام طمعًا: أي طمعًا في غيره.

٤ – ما بقي منه شيء: يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدنا على قد قاما بتوزيع كل الطعام الموجود.

٥ – تمرًا في حائط: أى في بستان.

٦ – لا تسمي حائط فلان: لأن هناك احتمال ألا تثمر تلك الحديقة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يتعاقد على أمر مجهول (يسمي بيع الغرر وهو ممنوع شرعًا).

٧ – فأطلقت هيماني: هو كيس النقود يربط على الوسط.

٨ – مُطْلٌ: أي يماطلون في أداء الحقوق

٩ – لولا ما أحاذر فوته: يخشي سيدنا عمر أن يفوته التزام الحلال، وأن يكون ضربه لليهودى غير جائز، أو يفوته استئذان الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك.

(يا عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع وتصنع به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته[1] لضربت بسيفي رأسك).

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم،

ثم قال: "يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة[2] .. اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعًا من تمر مكان ما رُعْتَه".

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر فقلت: (ما هذه الزيادة يا عمر؟)، قال: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أزيدك مكان ما رُعْتُك.

قال: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا.. من أنت؟ قلت: زيدبن سُعنة. قال: الحَبْر؟[3] قلت: الحَبْر

قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ما فعلت وقلت له ما قلت؟

قلت: يا عمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما.. فأشهدك يا عمر أني قد رضيت باللهربّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا،وأشهدك أن شطر مالي .فإني أكثرها مالًا.صدقة على أمة محمد، قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وآمن به وصدقه وتابعه وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلًاغير مدبر ،رحم الله زيدًا"[4]

دلالات وعظات:

كان أكثر يهود المدينة قد صمموا على موقف العداء الدائم للنبي (صلىالله عليه وسلم)ودعوته، وكان الاستثناء هو البعض القليل أمثال عبد الله بن سلام وزيد بن سعنة رضي الله

---

١ –كالفلك المستدير: مثل الشمس أو النجم مثلًا،أو يقصد قرص خشب مستدير يوجد في أعلى المغزل.

٢ – حسن التباعة: أي حسن المطالبة بحقة.

٣ – الحبر: العالم اليهودي.

٤ – صحيح رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥/٢٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقات.

عنهما، وكلاهما كان من الأحبار الراسخين في العلم الذين أراد الله لهم الهدى واتباع الحق الذي عرفوه..

وكان مسلك زيد بن سعنة اختبار صفة يصعب جدًا وجودها في غير الأنبياء، أن تجهل (تسيء) إلى الشخص، فيكون معك حليمًا، وإذا ازداد الجهل عليه ازداد حلمه، من يطيق ذلك؟! ، لكن هذه السَّجِيَّة وهذا الخلق الفطري عند محمد (صلى الله عليه وسلم): الحِلْم الشديد والصبر الجميل، وألا يرد الإساءة بالإساءة، وألا يغضب لنفسه أبدًا، لا يغضب إلا إذا انْتُهِكَتْ محارمُ الله.

هذه الصفات ربما يعرفها أكثر المسلمين، لكن غير المسلمين ربما لم يعرفوا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أنه قائد عسكري محارب، ذلك أن كُتَّاب السيرة استغرقتهم تفاصيل المعارك الحربية.. ولم يتوقفوا طويلًا عند الأحداث الاجتماعية والأخلاق النبوية، وربما تركوا هذه الأحاديث ترويها كتب السنة، المهم أننا نأمل في هذا الباب أن نتقرب إلى الله بذكر مكارم الأخلاق النبوية وكمال النفس السامية لمحمد (صلى الله عليه وسلم)

الموقف الثالث: مع جليبيب:

جليبيب هذا قال عنه ابن حجر في (الإصابة): "غير منسوب"، أي أنه غير معروف النسب، واسمه هو تصغير لكلمة جلباب، فماذا كان من أمره؟

كان يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن، فكيف كان تصرف الرسول(صلىالله عليه وسلم) مع هذه النوعية.. شاب (طائش) لا يلتزم بالضوابط الإسلامية ولا بالعادات العربية؟

تعالوا نقرأ حكايته..

٣٢-**روى أحمد :" عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ:**

"أَنَّ جُلَيْبِيبًا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيُلَاعِبُهُنَّ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيبٌ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ.

قَالَ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيِّمٌ [1] لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ: زَوِّجْنِي

---

١ – إذا كان لأحدهم أيّم: الأيم هي التي لا زوج لها سواء كانت بكرًا أم ثيبًا.

ابْنَتَكَ. فَقَالَ: نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنُعْمَ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي. قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِجُلَيْبِيبٍ. قَالَ: فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُشَاوِرُ أُمَّهَا.

فَأَتَى أُمَّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكِ. فَقَالَتْ: نِعِمَّ وَنُعْمَةُ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبِيبٍ. فَقَالَتْ: أَجُلَيْبِيبٌ أَنّيهْ![1] أَجُلَيْبِيبٌ أَنّيهْ! أَجُلَيْبِيبٌ أَنّيهْ! لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تُزَوَّجُهُ.

فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا، قَالَتْ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ؟ ادْفَعُونِي فَإِنَّهُ لَمْ يُضَيِّعْنِي، فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: شَأْنَكَ بِهَا، فَزَوَّجَهَا جُلَيْبِيبًا.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ، قَالَ فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا نَفْقِدُ فُلَانًا وَنَفْقِدُ فُلَانًا، قَالَ: انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا. قَالَ فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلَى. قَالَ فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ.

فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ: قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَاعِدَيْهِ، وَحُفِرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ غَسَّلَهُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ[2] مِنْهَا.

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ هَلْ تَعْلَمْ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا.[3] قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيِّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا".

<u>دلالات وعظات:</u>

---

١ – أنّيه: لفظ يدل على الاستهجان.

٢ – فما كان من الأنصار أيّم أنفق منها: أي كثر الخير والمال عندها.

٣ –كدًا كدًا: أي شديدًا متعبًا.

هذا هو الحبيب (صلى الله عليه وسلم) الذي لم يدرس، ولم يتعلم على يد بشر..كان يتعامل مع النفوس تعامل الطبيب المعالج، والحكيم الذي يَسْبِر (يكتشف) أغوار النفوس البشرية ،ويعرف دخيلتها وعلتها ويصف لها الدواء.

لم يجنح الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى معاقبة هذا الشاب على تصرفه سواء بالقول أو بالفعل.. ولم يوبخه أو يؤنبه، أو يفضحه على مرأي ومسمع من الناس ولم يضربه (ضرب تعزير)..

لكنه (صلى الله عليه وسلم) نظر إلى العلة ووصف العلاج، الشاب يحتاج إلى زوجة يحصن بها نفسه، وتَصْرِفُهُ عن النظر لغيرها من النساء، والذي خبر الحياة يعلم أن كثيرًا من الشباب والفتيات، يتحولون من حياة اللعب و(الشَّغَب) إلى حياة الجد والمسئولية بمجرد الزواج .

إذن.. تدَخَّل النبي (صلى الله عليه وسلم) ليتوسط بشخصه رغم علو قدره ومكانته (صلى الله عليه وسلم) ليخطب لهذا الشاب من أسرة من الأنصار أو شكت أن ترفضه، لولا ثقة الإيمان عند الفتاة التي وثقت أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)لن يضيعها، وأنه لا يسوغ لهم أن يردوا أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

تحول الشاب إلى رجل جاد، وإلي فتي مجاهد في سيل الله ، وفاز بالشهادة والانتقال إلى أعلى درجات الجنة وكفاه قول الرسول(صلى الله عليه وسلم):(جليبيب مني وأنا منه).

وكفاه أن اليدين الشريفتين هما اللتان حملتاه إلى قبره وأن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) هو الذي تولى لحده في القبر.

<u>قضية ثانية تفيدنا في (عصرنا) تتعلق بموضوع الزواج:</u>

تصرف الرسول(صلى الله عليه وسلم) يبين أن قضية الزواج ليست قضية شخصية تخص الشاب والفتاة عليهم أن يبحثوا لها عن حلول، وإذا تعقدت الحلول فالعنوسة هي الشبح الذي ينتظرهم.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعلمنا أن قضية الزواج قضية مجتمع... قضية دولة.. ينشغل لها وبها المسئول الأول عن المجتمع؛ لأن إهمالها يؤدي إلى فساد وانحرافات.

أسـفي على دول تجعـل همها تـأخير سـن الـزواج وزيـادة مشـكلة (العنوسـة) بـين الشـباب والفتيـات، دون أن تقـدم أي حلـول للمشـكلة سـواء في تيسـير إيجـاد مسـكن الزوجيـة أو حـل مشكلة البطالة، أو دعم الراغبين في الزواج.

تعْجَبْ إذا رأيت هَمَّ الدولـة هـو سَنّ تشريع يرفع سن الـزواج، كأن المشكلة هى كثرة الـزواج، وليسـت انتشار العنوسة.

****

وننتقـل إلى ملمـح جديـد في الحيـاة العظيمـة والشخصـية الجليلـة للحبيـب محمـد (صلى الله عليه وسلم).

رعاية الطفل:

الموقف الرابع:

٣٣-عن محمود بن الربيع قال: "(عَقَلْتُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً[١]مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ[٢] دَلْوٍ)" [٣]

دلالات وعظات:

واقعة بسيطة جدًا، ربما تمر على كثير من أصحاب الفكر والرأي دون أن يلتفتوا إليها.
إن المؤرخين الـذين أرَّخُـوا لحيـاة قـائد شـهير أو رئـيس أو ملـك، أثَّـر في مصير الشـعوب، سـوف يدرسون بالتحليل خططه الحربية وقراراته السياسية وعلاقاته الدولية.

ولقـد نقـل إلينـا الصحابة كل ذلـك مـن حيـاة الرسـول (صلى الله عليـه وسـلم)، لكـنهم لـم يكتفـوا بـذلك، بـل نقلـوا إلينـا بأسـانيد صحيحة، وقـف على تحقيقهـا جهابـذة العلمـاء نقلـوا إلينا (مَجَّة) مجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)في وجه طفل في الخامسة، نقلوا هذا:
أولًا:لشـدة حبهم وتعلقهم بشخص الرسـول الكريم(صلى الله عليـه وسـلم) فكل مـا يـؤثر عنـه محبب إلى النفس.

---

١ –مجَّة: المج هو إرسال الماء من الفم من على بعد.

٢ – من دلو: عند النسائي: من دَلْو معلق وفي رواية أخري عند البخاري (من دلو كانت في دارهم)،وللبخاري أيضا (من بئر) فيجمع بينها على أن الماء أخذ بالدلو من البئر وتناوله النبي صلى الله عليه وسلم من الدلو.

٣ – رواه البخاري كتاب العلم برقم (٧٧)

ثانيًا: لأنهم علموا أن نقل أي شيء أو تصرف من تصرفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو سُنَّة يؤجرون عليها.

ثالثًا: لأنهم علموا أن الحدث البسيط في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو بالنسبة لنا جزء من الدِّين نتعبد إلى الله بالاقتداء به.

رابعًا:لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مؤيَّدٌ بالوحي لا ينطق عن الهوى.

وأخيرًا: لأن التصرف البسيط من الرسول(صلى الله عليه وسلم)إنما يحمل دلالات كبرى تقف أمامها الدراسات النفسية والاجتماعية .المعاصرة .مبهورة،فالرسول(صلى الله عليه وسلم)يعطي الطفولة حقها ؛لأنها المستقبل للأمة، فلا يغفل وسط انشغالاته عن أن يعلم طفلًا، أو يوجهه ويرشده، وأيضًا لا يغفل(صلى الله عليه وسلم) عن حاجة الطفل النفسية إلى المداعبة والملاعبة؛ ليكبر شخصًا سويًا، فإن لكل مرحلة عمرية حاجاتها ومتطلباتها، إذا أُشبعت؛ نشأ الشخص سويًا، متزنًا، مثمرًامنتجًا ، صالحًا غير منحرف.

<u>الموقف الخامس:</u>

٣٤- " عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ - نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ - فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا[١]"

<u>الموقف السادس:</u>

٣٥- "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُفُّ عَبْدَ اللَّهِ وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْزَمُهُمْ [٢].

<u>التعليق على الحديثين:</u>

يقال عن الحديثين ما قلناه عن حديث محمود بن الربيع، ونضيف إلى ذلك كلمة عامة عن الطفولة:

---

١ – متفق عليه.

٢ – رواه أحمد في مسنده (٢١٤/١)وقال الهيثمي: إسناده حسن.

لقد ظهرت في العصر الحديث جمعيات ترعي حقوق الأطفال، وانتشرت في أرجاء الأرض لتكتشف حجم الجرائم التي ترتكب في حق الأطفال من حرمان من التعليم، وتشغيل في سوق العمالة في سن صغيرة، واختطاف للأطفال وبيعهم ؛للاستغلال الجنسي عند شذاذ الآفاق.. وغيرها من الممارسات غير الآدمية.

والمقارنة واضحة، مع فارق الزمان والمكان لنعلم أن النبي(صلى الله عليه وسلم) كانت فطرته رحمة بالجميع، ونعلم أنه جاء معلمًا مربيًا هاديًا، فاق في أميته، وفي عصره، كل ما يمكن أن تأتي به العصور من مكارم ومبادئ،

وهذا جانب آخر من عطفه ورحمته ورقة مشاعره(صلى الله عليه وسلم)

رعاية الضعفاء:

الموقف السابع:

٣٦- روىالبخاري "عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ[١] مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ"[٢]

الموقف الثامن:

٣٧- روى مسلم عَنْ أَنَسٍ "أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ. فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا"[٣].

ومرة أخرى ومرات.... نجد أنفسنا أمام إبهار يصل إلى أن يكون معجزة [١] أن يتفرغ محمد الإنسان (صلى الله عليه وسلم) للرفق بامرأة، في عقلها شيء، وأمثال هؤلاء أيضًا لم يجدوا

---

١ – الأمة: أي الجارية أو الخادمة أو المملوكة، لم تكن تجد مانعا أن تأخذ بيد الرسول صلى الله عليه وسلم شخصيًا؛لتذهب به إلى حيث يقضي لها حاجة أو مصلحة، تستعين به صلى الله عليه وسلم وهو لا يردها ولا يرفض ولا يجد في نفسه صلى الله عليه وسلم أي غضاضة أن ينزل إلى مستوى مساعدة الخدم والعبيد.

٢ –البخاري (٥٦١٠)كتاب الأدب باب الكبر.

٣ – مسلم برقم ٤٢٩٣ كتاب الفضائل باب قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس.

رعاية إلا في بعض الأماكن في عصرنا هذا، المعوقون ذهنيًا مازالوا - ربما في كثير من الدول الحديثة - لا يجدون إلا الإهمال والزجر من أقرب أقاربهم.
ويَعِنُّ لي -سريعًا- أن أقول: لماذا غفل المسلمون عن أن يكونوا سباقين للأمم والعصور، باتباع هدي الرسول(صلى الله عليه وسلم) في مثل هذه الأمور؟

الموقف التاسع:

قصة إسلام عدي بن حاتم :

في سيرة ابن هشام:

٣٨- "قال عدى بن حاتم: فخرجت حتى أقدم على رسول ا(لله صلى الله عليه وسلم) ، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم؛ فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانطلق بي إلى بيته. فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته فوقف لها طويلًا تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك"[٢]

دلالة:

هذه أخلاق نبي بُعِث ليتمم مكارم الأخلاق كما أخبر عن نفسه(صلى الله عليه وسلم)، نبي يتولي قيادة أمة، ويستقبل رجلًا مهمًا كان في قومه (قبيلة طيئ) مِلِكًا مُتَوَّجًا عليهم، وفي الطريق، وهو يسير مع هذه الشخصية المهمة تلقاه امرأة ضعيفة كبيرة فتستوقفه فيقف لها طويلًا تكلمه في حاجتها.

تصرف حليم عند غيرة زوجة:

٣٩- روي البخاري عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ [٣] فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا

---

١ – معجزة أن يكون كل ذلك في بشر، فإذا وجد في بشر فهو نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ – سيرة ابن هشام ج٢ ص ٥٨١.

٣ – صحفة فيها طعام: إناء كالقصعة.

يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ.[1] فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ.[2] ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ[3] حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا. فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ" [4]

٤٠- وروى النسائى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ "أَنَّهَا يَعْنِي أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ[5] فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ فِلْقَتَيْ الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ مَرَّتَيْنِ. ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ. [6]

التعليق:

أما غيرة السيدة عائشة فليست بغريبة لشدة حبها للنبي(صلى الله عليه وسلم)إنما النظر العميق لتصرف الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مثل هذا الموقف، معه ضيوف والسيدة عائشة تكسر الإناء الذي فيه الطعام؛ حتى لا تتميز زوجة أخرى عليها.

والنبي(صلى الله عليه وسلم)... لا يزجرها ولا يرفع صوته عليها.. ولا يضرب.. ولا يعاقب.. ولا يجد حرجًا أمام أضيافة لهذا الموقف، بل يذكر لهم علة هذا التصرف، إنها الغيرة...
وببساطة شديدة يجمع الطعام ويقول لضيوفه (كلوا ..غارت أمكم) ثم يبدل إناءً بإناءٍ، وتكون هذه هى العقوبة الوحيدة لتصرف الغيرة.
سمو النبي الزوج ورقته في معاملته لزوجته ..تصرف لا يرقى إليه أكثر المتحضرين في كل العصور.

---

١ – فسقطت الصحفة فانفلقت: لأنها كانت مصنوعة من فخار.
٢ – غارت أمكم: أي أن السيدة عائشة غارت من الزوجة الأخرى التي أرسلت الطعام .
٣ –حبس الخادم: أي جعلها تنتظر، وليس المقصود حبس السجن.
٤ – البخارى٤٨٣٤ كتاب النكاح باب الغيرة.
٥ –فِهرْ:أي حجر.
٦ – رواه النسائي رقم٣٨٩٤ كتاب عشرة النساء باب الغيرة.

هذه بعض معاملات الرسول(صلى الله عليه وسلم)للأصناف الضعيفة من البشر، الإماء والمرأة الكبيرة والضعيفة.

ولو تتبعنا هذه المواقف لضاقت بنا الصفحات...

لعل كل جانب من جوانب هذه الشخصية المتفردة للنبي (صلى الله عليه وسلم) يحتاج إلى مزيد بحث وشرح وتبيان.

لكني سأكتفي بالإشارة إلى هذه اللمحات؛ لكي توضع بجوار شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم) القائد والمعلم، والمجاهد والمعاهد والداعية ، ومؤسس الدولة الإسلامية التي غيرت وجه العالم في ذلك الزمان وإلى آخر الزمان -إن شاء الله-.

الفصل الثالث:

النسب النبوي الزكي:

مقدمة في أهمية النسب:

لا يكاد يخلو كتاب في السيرة النبوية من ذِكر نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) وذِكْر شيء عن الأب والأجداد وصولًا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وما فوقه من الآباء.

ويحتاج الأمر إلى تقدمة توضيح، لماذا الاهتمام بذكر النسب؟ رغم أن الإسلام علمنا أن انتساب أحد لأحد لن ينفعه يوم الحساب، وإنما ينفعه العمل الصالح.

٤٢- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا"[١] وورد أيضًا ما يوحي ظاهره بأن الحديث عن الآباء والأجداد مذموم، والحقيقة: أنه يكون مذمومًا إذا كان علي سبيل التفاخر والتعالي على الناس بالدم أو العرق، وليس تفاخرًا بمكارم الأخلاق.

٤٣- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):"يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم عُبّيّة الجاهلية وتعظمها بالآباء.."[٢]

فلماذا كان هذا الاهتمام الشديد بنسب النبي صلى الله عليه وسلم؟:

أولًا:ليس من المنطقي أن يأتي إلى الناس شخص يقوم بتبليغ رسالة عن الإله الخالق القادر، ولا يعرف الناس شيئًا عن شخصيته، من أين جاء؟ من أبوه؟ ومن أمه؟ وما قبيلته؟ لأن هذا هو المدخل الأول للتعرف على الناس، ولا يعقل أن يوجد نبي مجهول الهوية؛ فإن ذلك سوف يثير الريب والأقاويل.

ثانيًا: كون النبي معروف النسب والمولد والنشأة سوف يعطي ملامح ثقة حول (صدقه وأمانته) بل ملامح أيضًا حول حقيقته،لقد تحدث القرآن عن أناس حاولوا التشكيك في مصدر الرسالة فقالوا: (إنما يعلمه بشر)، وادّعوا أن هذا المعلم من بلاد فارس، فرد عليهم

---

١ – جزء من حديث رواه البخاري كتاب المناقب ٣٢٦٤ ومسلم كتاب الإيمان ٣٠٣

٢ – جزء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع مروي من عدة طرق في بعضها ضعف وأقواها ما رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي نضرة عن جابر (حلية الأولياء ١١٩/٣)

القرآن (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين). كيف يكون المعلم أعجميًا، لا يعرف العربية ولا يتقنها ،والقرآن جاء معجزة لأهل الفصاحة واللغة؟.

فلو جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى أهل مكة بهذا الدين، والناس لا يعرفون من أين جاء؟ وما قبيلته؟ ومن أبوه؟...كثر القيل والقال.

والخطير في المسألة أن هذه الجزئية سوف تستهلك الناس في الجدل بعيدًا عن أصل الدعوة والرسالة.

ثالثًا: الانطباع السائد لدى أكثر الناس، أن الشخص غالبًا ما يتأثر بما يتحلي به آباؤه وأفراد قبيلته من شمائل وصفات، فتشتهر قبيله كذا بالشجاعة وقبيلة كذا بالكرم، وأخري بالحكمة والسياسة وهكذا.

والكل يعلم أن لهذه القاعدة- قطعًا-استثناءات، لكن الغالب من الأمور له احترامه دائمًا.

في دول الغرب - وبعض المدن في حواضر الدول العربية والإسلامية - يقل الاهتمام فيها بالأنساب وبمعرفتها، وأصبحت هناك معايير ومقاييس للحكم على الأشخاص باعتبار مكانتهم الشخصية ودرجتهم العلمية.

لكن الحقيقة: أن الاهتمام بالأسرة والقبيلة لم يختف تمامًا، وانظر إلى عائلة (كيندي .فورد . بوش) في أمريكا أكثر بلاد الدنيا في عدم التجانس بين البشر.

والحقيقة أيضًا أن الناس في الحواضر قد يخسرونوكثيرًا ؛لعدم معرفة الأصول والجذور لبعضهم البعض، وانظر إلى رجل يتقدم لخطبة فتاة ويبدأ أهل الفتاة في السؤال عنه وعن أسرته، وكيف يكون الأمر عسيرًا عليهم ،ليس هذا فقط، إن الناس عند حدوث المشاكل والخلافات تلجأ للعائلة والأصول والجذور، ويمنعهما من الفجور واللدد في الخصومة تدخل العقلاء والكبراء في الأسر والعائلات .

خامسًا: إن العائلة والقبيلة هم أولو الأرحام وأولى الناس بالنسبة للشخص بالرعاية والمودة والتضحية والمعاونة، والإسلام من هذه الزاوية يؤكد بشدة على أهمية الأنساب والأرحام؛ لأنها المدخل الطبيعي لإشاعة الخير والبر في المجمع ككل.

سادسًا: قبيلة محمد(صلى الله عليه وسلم)- قريش تحديدًا- كان لها الدور الأكبر في أمر الرسالة منذ اليوم الأول وطيلة حياة النبي(صلى الله عليه وسلم)ثم بعد وفاته.

إن أول المؤمنين بالرسالة كانوا من قريش، بعضهم من ذوي الأرحام مثل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وعلي بن أبي طالب ثم بعد سنين حمزة بن عبد المطلب ثم العباس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

والمؤمنون الأوائل من غير أرحام النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا من باقي بطون قريش وهم الذين حملوا عبء الرسالة في سنواتها الأولى، أمثال الصديق وأبى عبيدة وابن عوف ثم عمر وغيرهم رضي الله عنهم،

حتى المعاندين الأوائل كانوا من قريش ،لكن هؤلاء المعاندين إما انتهوا إلى الموت، أو شاء الله لهم الهدى والدخول في الإسلام بعد حين.

ثم حملت قريش الرسالة إلىالعالمين، وبلغتها عن النبي(صلى الله عليه وسلم)أفضل بلاغ.. كانت قريش.. في المركز الوسط وفي الصدارة والقيادة، فالحقيقة أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا، ودولة بني أمية ودولة العباسيين، كلهم من قريش.

ألا تستحق هذه القبيلة أن يذكر نسبها وجذورها وأصولها مع بدء الحديث عن سيرة خير هذه القبيلة وخير الناس محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ خاصة إذا كانت تنتسب في الأصل إلى سيدنا إسماعيل وسيدنا إبراهيم عليهما السلام!

إبراهيم عليه السلام:

هو النبي العظيم من أولي العزم من الرسل ،الذي لقب بأبي الأنبياء؛ لأن كل الأنبياء بعده، كانوا من نسله عليه السلام.

وقد أنجب سيدنا إبراهيم عليه السلام ولدين: الأكبر هو إسماعيل وقد كان من نسله محمد(صلى الله عليه وسلم) مرورًا بعدد كبير من الزعماء وأصحاب الأعمال العظيمة من آباء الرسول(صلى الله عليه وسلم) مثل: عدنان .. وقصي.. وهاشم بن عبد مناف، وعبد المطلب ثم عبد الله والد النبي(صلى الله عليه وسلم)، وكان الابن الثاني لسيدنا إبراهيم، هو سيدنا إسحاق، ومنه كان كل أنبياء بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام.

وسنذكرطرفًا من قصة إبراهيم عليه السلام:

قال صاحب الرحيق[١]:

"وأما العرب المستعربة فأصل جدهم الأعلى وهو سيدنا إبراهيم من بلاد العراق.. من مدينة يقال لها، (أور) علىالشاطئ الغربي من نهر الفرات بالقرب من الكوفة، وقد جاءت الحفريات والتنقيبات بتفاصيل واسعة عن هذه المدينة ، وعن أسرة إبراهيم عليه السلام ، وعن الأحوال الدينية والاجتماعية في تلك البلاد.

ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام هاجر منها إلى حاران أو حرَّان، ومنها إلى فلسطين، فاتخذها قاعدة لدعوته، وكانت له جولات في أرجائها وأرجاء غيرها من البلاد، وفي إحدى هذه الجولات أتى إبراهيم عليه السلام علىجبار من الجبابرة[٢] ومعه زوجته سارة وكانت من أحسن النساء، فأراد ذلك الجبار أن يكيد بها ولكن سارة دعت الله تعالى؛ فرد الله كيده في نحره ، وعرف الظالم أن سارة امرأة صالحة ذات مرتبة عالية عند الله فأخدمها هاجر اعترافًا بفضلها، أو خوفًا من عذاب الله، ووهبتها سارة لإبراهيم عليه السلام، ورجع إبراهيم عليه السلام إلى قاعدته في فلسطين، ثم رزقه الله تعالى من هاجر ابنه إسماعيل[٣] وصار ذلك سببًا لغيرة سارة" ا.هـ.

ونتابع القصة مع عبد الله بن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري:

٤٤- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ[٤] مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ؛ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ[٥] ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ[٦]فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ[١]، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ.

---

١ – الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.. للمرحوم: صفي الرحمن المباركفوري توفي في ذي القاعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م ، تغمده الله بواسع الرحمات.

٢ – أحد فراعنة مصر

٣ – البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ٣١١٤

٤ – منطق: رباط يشد به الوسط.

٥ – لتعفي أثرها على سارة: أقسمت سارة أن تقطع من هاجر ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقا فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها خلفها لتخفي أثرها على سارة.(عن فتح البارى).

٦ – دوحة: شجرة كبيرة.

ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ[٢] مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ[٣] حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: {رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} حَتَّى بَلَغَ {يَشْكُرُونَ}. وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ. حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ.[٤]

فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا". فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَهٍ[٥]تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ. فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ.

فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ[٦]وَتَقُولُ بِيَدِهَا[٧] هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

---

١ – في أعلى المسجد: أي مكان المسجد لأنه لم يكن حينئذ بُني.

٢ – ثم قفى إبراهيم: أي رجع

٣ – حتى إذا كان عند الثنية: موضع دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح .

٤ – يتلبط: يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع حال الموت.

٥ – فقالت صه: كأنها تخاطب نفسها تقول: اسكتي.

٦ – فجعلت تحوضه: تجعله مثل الحوض.

٧ – تقول بيدها: أي تحركها لتحوّض على الماء.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ" أَوْ قَالَ "لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا"[1] قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا. فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ[2] فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ. وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ[3] تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ. فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ[4] أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ[5] فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا[6] فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ. لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا[7] أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا. قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ. قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ" فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ.

حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ[8] وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ.

فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا

---

[1] – لكانت زمزم عينًا معينًا: أي ظاهرًا جاريًا على وجه الأرض نعمة من الله لا يحتاج لعمل بَشَرٍ يغرفه من البئر.. فلما خالطها تحويط هاجر داخلها عمل البشر فاستقر وضع زمزم على ذلك أنها تحتاج لجهد إخراجها من البئر.

[2] –لا تخافوا الضيعة: أي لا تخافوا الهلاك ولا نفاد الماء.

[3] – وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية: عند ابن ابي حاتم لما كان زمن الطوفان رفع البيت وكان الأنبياء يحجونه لا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم وأعلمه مكانه.. روى البيهقي في الدلائل وروى عبد الرزاق أن آدم أول من بني البيت (عن فتح الباري).

[4] – جرهم: عن ابن إسحاق: أن جرهم وأخاه قطورا أول من تكلم العربية عند تبلبل الألسن.

[5] – مقبلين من طريق كداء: كداء مدخل مكة من أعلاها، وكدي مدخلها من أسفلها.

[6] – فرأوا طائرا عائفا: هو الذي يحوم على الماء.

[7] – فأرسلوا جَرِيًّا: أي مبعوثًا.

[8] – وأنفسهم: صار نفيسًا، عاليَ القدر عندهم ورغبوا في مصاهرته.

فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ.[1] قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا. قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ. قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ. قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ. قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ. قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي، قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا. قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ.[2]

فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ[3] فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}".

---

١ – عتبة بابك: كناية عن المرأة لما فيها من الصفات الموافقة لعتبة الباب وهي: حفظ الباب وصون ما بداخله.

٢ – رفعا القواعد من البيت: القواعد التي رفعها إبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك.

٣ – جاء بهذا الحجر: هو مقام إبراهيم المعروف اليوم، كان إبراهيم عليه السلام يقف عليه ليكمل البناء بعد أن ارتفع .

نسل إسماعيل في مكة:

بينت رواية البخاري السابقة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل عليه السلام تزوج زوجتين من قبيلة جرهم.

وقد رزق الله إسماعيل من زوجته الثانية اثني عشر ولدًا ذكرًا، منهم قيدار الذي تناسل أبناؤه بمكة حتى كان منهم عدنان، وعدنان هو الجد الحادي والعشرون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)،وهذا جزء متفق عليه بين الرواة وكتاب السير، وبين عدنان وإبراهيم عليه السلام أربعون أبًا -على الراجح-.

وتفرق أبناء عدنان في جزيرة العرب، وأقامت بطون قريش بمكة وضواحيها، وكانوا متفرقين لا تجمعهم جامعة، حتى نبغ فيهم قصي بن كلاب فجمعهم وكون لهم وحدة رفعت من قدرهم[1].

الولاية على مكة:

كانت لإسماعيل عليه السلام طول حياته ثم لولديه نابت وقيدار من بعده، ثم انتقلت إلى جدهم الجرهمي (مضاض بن عمرو) بعدهما، وظلت قبيلة جرهم لها الزعامة على مكة زمنًا طويلًا، حوالي عشرين قرنًا، حتى أساؤوا في مكة، وظلموا الوافدين إليها، فتحالفت قبيلة خزاعة مع بطون عدنان ،وأجْلَت جرهم عن مكة، واستولت خزاعة على مكة ثلاثمائة سنة حتى ظهر قصي بن كلاب في قريش وسنذكر طرفًا من قصته.

قصي بن كلاب:

هو الجد الرابع للرسول(صلى الله عليه وسلم)

وهو شخصية متميزة استطاع أن يتولى إمرة مكة، وولاية البيت الحرام بعد حرب بينه (ومعه قريش) وبين خزاعة.

وبعد ذلك أصبح قصي هو الرئيس الديني للبيت الحرام الذي كانت تفد إليه العرب من جميع أنحاء الجزيرة. وقد جمع قصي قومه قريش من منازلهم إلى مكة وكون نوعًا من أنواع التنظيم لهذا المجتمع .

١ – عن الرحيق المختوم وسيرة ابن هشام والروض الأنف.

١- أسس دار الندوة، وفيها تناقش الأمور الهامة لقريش ،فكانت هذه الدار منتدى لحل المشاكل واتخاذ القرارات.

٢- راية الحرب تعقد في هذه الدار وتكون بيد قصي أو أحد أولاده.

٣- حجابة الكعبة: فلا يفتح بابها إلا قصي، وهو الذي يتولى أمر خدمتها وسدانتها.

٤- سقاية الحجيج وإطعامهم: كان قصي يجمع من قريش خرجًا،يخرجونه كل موسم؛ لعمل طعام للحجيج يأكل منه من ليس له طعام ولا زاد.

إذن فقصي كان من الزعماء المهمين في تاريخ قريش ،وفي سلسلة النسب النبوي، يتشرف به من ينتسب إليه.

هاشم بن عبد مناف بن قصي:

هو الذي تولى السقاية والرفادة (إطعام الحجيج) من بني عبد مناف، وكان غنيًا موسرًا ذا شرف كبير.

ومن مآثره أنه أول من أطعم الثريد للحجيج بمكة، وكان اسمه (عمرًا) فما سمي هاشمًا إلا لأنه هشم الخبز (هَشْمُ الخبز: تكسيره) ؛من أجل عمل الثريد.

ومن مآثره أيضًا أنه مهد لقريش رحلتي الشتاء والصيف، لكونه عقد عدة أحلاف مع القبائل على طريق الشام واليمن لتأمين تجارة قريش في الصيف والشتاء، وفيه قال الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قومٍ بمكةَ مسنِتِينَ عجافِ

سُنَّتْ إليه الرحلتان كلاهما ... سَفَرُ الشتاءِ ورحلةُ الأصيافِ[1]

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف:

هو الزعيم الشريف في قريش، وكان صاحب فضل وسخاء في قومه، وهو الجد الأول للرسول (صلى الله عليه وسلم)،

ومن مآثره، حادثة الفيل، وحفر بئر زمزم.

---

[1] – ابن هشام . الروض الأنف . تاريخ الطبري.

حادثة الفيل:

نذكر هذه الحادثة بشيء من التفصيل مأخوذة عن سيرة ابن هشام ونحذف منها بعض الزيادات، نذكر الحادثة لأهميتها الشديدة في كونها معجزة من الله تعالى ؛لحماية بيته الحرام ،وتبيان مكانته عند الله عز وجل، ويكون ذلك تمهيدًا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أن تخضع العرب وتستجيب لرسول، يخرج من هذا البلد الحرام: مكة، ومن نسل عبد المطلب الذي كان له هذا الشأن مع أبرهة، وأن يتأكدوا أنه نبي من عند الله القوي القادر، الذي حمى هذا البيت الحرام دون تدخل من بشر:

جاء في سيرة ابن هشام[١]:

٤٥- ثُمّ إنّ أَبْرَهَةَ بَنَى الْقُلّيْس[٢] بِصَنْعَاءَ ، فَبَنَى كَنِيسَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا فِي زَمَانِهَا بِشَيْءٍ مِنْ الْأَرْضِ، ثُمّ كَتَبَ إلَى النّجَاشِيّ : إنّي قَدْ بَنَيْتُ لَك أَيّهَا الْمَلِكُ كَنِيسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَك، وَلَسْت بِمُنْتَهٍ حَتّى أَصْرِفَ إلَيْهَا حَجّ الْعَرَبِ، فَلَمّا تَحَدّثَتْ الْعَرَبُ بِكِتَابِ أَبْرَهَةَ ذَلِكَ إلَى النّجَاشِيّ غَضِبَ رَجُلٌ مِنْ النّسَأَةِ[٣] (من بَنِي كِنَانَةَ ـ مِنْ مُضَرَ) .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَخَرَجَ الْكِنَانِيّ حَتّى أَتَى الْقُلّيْس فَقَعَدَ فِيهَا[٤] ... ثُمّ خَرَجَ فَلَحِقَ بِأَرْضِهِ. فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ أَبْرَهَةُ فَقَالَ مَنْ صَنَعَ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ صَنَعَ هَذَا رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الّذِي تَحُجّ الْعَرَبُ إلَيْهِ بِمَكّةَ لَمّا سَمِعَ قَوْلَك: "أَصْرِفُ إلَيْهَا حَجّ الْعَرَبِ" غَضِبَ فَجَاءَ فَقَعَدَ فِيهَا، أَيْ أَنّهَا لَيْسَتْ لِذَلِكَ بِأَهْلِ. فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبْرَهَةُ وَحَلَفَ لَيَسِيرَن إلَى الْبَيْتِ حَتّى يَهْدِمَهُ.

ثُمّ أَمَرَ الْحَبَشَةَ فَتَهَيّأَتْ وَتَجَهّزَتْ ثُمّ سَارَ وَخَرَجَ مَعَهُ بِالْفِيلِ وَسَمِعَتْ بِذَلِكَ الْعَرَبُ، فَأَعْظَمُوهُ وَفَظِعُوا بِهِ وَرَأَوْا جِهَادَهُ حَقّا عَلَيْهِمْ حِينَ سَمِعُوا بِأَنّهُ يُرِيدُ هَدْمَ الْكَعْبَةِ، بَيْتِ اللّهِ الْحَرَامِ.

فَخَرَجَ إلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ يُقَالُ لَهُ (ذُو نَفْرٍ) ، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللّهِ الْحَرَامِ ـ وَمَا يُرِيدُ مِنْ هَدْمِهِ

---

١ – سيرة ابن هشام ج ١ (١٦٤ – ١٧٦)

٢ –القليس: هى الكنيسة التي بناها أبرهة ليصرف إليها حج العرب.

٣ – النسأة: من الذين ينسئون الأشهر الحرم . راجع تفسير قوله تعالى: (إنما النسيء زيادة في الكفر).

٤ – فقعد فيها: أى تبرز فيها ، إهانة لها .

وَإِخْرَابِهِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَهُ ثُمّ عَرَضَ لَهُ فَقَاتَلَهُ، فَهُزِمَ ذُو نَفْرٍ وَأَصْحَابُهُ وَأُخِذَ لَهُ ذُو نَفْرٍ فَأُتِيَ بِهِ أَسِيرًا، فَلَمّا أَرَادَ قَتْلَهُ قَالَ لَهُ ذُو نَفْرٍ: أَيّهَا الْمَلِكُ لَا تَقْتُلْنِي فَإِنّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَائِي مَعَك خَيْرًا لَك مِنْ قَتْلِي، فَتَرَكَهُ مِنْ الْقَتْلِ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ فِي وَثَاقٍ وَكَانَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا حَلِيمًا.

نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَثْعَمِيّ:

ثُمّ مَضَى أَبْرَهَةُ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ يُرِيدُ مَا خَرَجَ لَهُ حَتّى إذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمَ عَرَضَ لَهُ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَثْعَمِيّ فِي قَبِيلَيْ خَثْعَمَ: شَهْرَانِ وَنَاهِسُ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، فَقَاتَلَهُ فَهَزَمَهُ أَبْرَهَةُ وَأُخِذَ لَهُ نُفَيْلٌ أَسِيرًا فَأُتِيَ بِهِ فَلَمّا هَمّ بِقَتْلِهِ قَالَ لَهُ نُفَيْلٌ أَيّهَا الْمَلِكُ لَا تَقْتُلْنِي فَإِنّي دَلِيلُك بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَهَاتَانِ يَدَايَ لَك عَلَى قَبِيلَيْ خَثْعَمَ : شَهْرَانِ وَنَاهِسُ بِالسّمْعِ وَالطّاعَةِ فَخَلّى سَبِيلَهُ.

فضَّلَتْ سقيفٌ اللاتَ على الحرم:

وَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ يَدُلّهُ حَتّى إذَا مَرّ بِالطّائِفِ خَرَجَ إلَيْهِ مَسْعُودُ بْنُ مُعَتّبٍ... فِي رِجَالِ ثَقِيفٍ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَقَالُوا لَهُ أَيّهَا الْمَلِكُ إنّمَا نَحْنُ عَبِيدُك سَامِعُونَ لَك مُطِيعُونَ لَيْسَ عِنْدَنَا لَك خِلَافٌ. وَلَيْسَ بَيْتُنَا هَذَا الْبَيْتَ الّذِي تُرِيدُ - يَعْنُونَ اللّاتِ - إنّمَا تُرِيدُ الْبَيْتَ الّذِي بِمَكّةَ. وَنَحْنُ نَبْعَثُ مَعَك مَنْ يَدُلّك عَلَيْهِ فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَالٍ يَدُلّهُ عَلَى الطّرِيقِ إلَى مَكّةَ فَخَرَجَ أَبْرَهَةُ ومعه أَبُو رِغَالٍ حَتّى أَنْزَلَهُ الْمُغَمّسَ[1] ؛ فَلَمّا أَنْزَلَهُ بِهِ مَاتَ أَبُو رِغَالٍ هُنَالِكَ فَرَجَمَتْ قَبْرَهُ الْعَرَبُ، فَهُوَ الْقَبْرُ الّذِي يَرْجُمُ النّاسُ بِالْمُغَمّسِ.

إبل عبد المطلب:

فَلَمّا نَزَلَ أَبْرَهَةُ الْمُغَمّسَ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ مَقْصُودٍ عَلَى خَيْلٍ لَهُ حَتّى انْتَهَى إلَى مَكّةَ، فَسَاقَ إلَيْهِ أَمْوَالَ تِهَامَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَأَصَابَ فِيهَا مِئَتَيْ بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيّدُهَا فَهَمّتْ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةُ وَهُذَيْلٌ، وَمَنْ كَانَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ بِقِتَالِهِ. ثُمّ عَرَفُوا أَنّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ فَتَرَكُوا ذَلِكَ.

وَبَعَثَ أَبْرَهَةُ - حُنَاطَةَ الْحِمْيَرِيّ إلَى مَكّةَ، وَقَالَ لَهُ سَلْ عَنْ سَيّدِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَشَرِيفِهَا ثُمّ قُلْ (لَهُ): إنّ الْمَلِكَ يَقُولُ لَك: إنّي لَمْ آتِ لِحَرْبِكُمْ إنّمَا جِئْت لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ فَإِنْ لَمْ تَعْرِضُوا

---

[1] – المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

دُونَهُ بِحَرْبِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِدِمَائِكُمْ فَإِنْ هُوَ لَمْ يُرِدْ حَرْبِي فَأْتِنِي بِهِ. فَلَمّا دَخَلَ حُنَاطَةَ مَكّةَ سَأَلَ عَنْ سَيّدِ قُرَيْشٍ وَشَرِيفِهَا؟ فَقِيلَ لَهُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ. فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَمَرَهُ بِهِ أَبْرَهَةُ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ: وَاَللّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللّهِ الْحَرَامُ وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السّلَامُ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنْ يَمْنَعْهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ. وَإِنْ يُخَلّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَوَاَللّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ فَقَالَ حُنَاطَةُ: فَانْطَلِقْ مَعِي إلَيْهِ فَإِنّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِك.

<u>للبيت رب يحميه:</u>

فَانْطَلَقَ مَعَهُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ، وَمَعَهُ بَعْضُ بَنِيهِ حَتّى أَتَى الْعَسْكَرَ فَسَأَلَ عَنْ ذِي نَفْرٍ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، حَتّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَحْبِسِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا ذَا نَفْرٍ هَلْ عِنْدَك مِنْ غَنَاءٍ[1] فِيمَا نَزَلَ بِنَا؟ فَقَالَ لَهُ ذُو نَفْرٍ: وَمَا غَنَاءُ رَجُلٍ أَسِيرٍ بِيَدَيْ مَلِكٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْتُلَهُ غُدُوّا أَوْ عَشِيّا مَا عِنْدَنَا غَنَاءٌ فِي شَيْءٍ مِمّا نَزَلَ بِك، إلّا أَنّ أُنَيْسًا سَائِسَ الْفِيلِ صَدِيقٌ لِي، وَسَأُرْسِلُ إلَيْهِ فَأُوصِيهِ بِك، وَأُعْظِمُ عَلَيْهِ حَقّك، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَك عَلَى الْمَلِكِ فَتُكَلّمُهُ بِمَا بَدَا لَك وَيَشْفَعُ لَك عِنْدَهُ بِخَيْرٍ إنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ حَسْبِي.

فَبَعَثَ ذُو نَفْرٍ إلَى أُنَيْسٍ فَقَالَ لَهُ: إنّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ سَيّدُ قُرَيْشٍ، وَصَاحِبُ عِيرِ مَكّةَ، يُطْعِمُ النّاسَ بِالسّهْلِ وَالْوُحُوشَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَقَدْ أَصَابَ لَهُ الْمَلِكُ مِئَتَيْ بَعِيرٍ فَاسْتَأْذِنْ لَهُ عَلَيْهِ. وَانْفَعْهُ عِنْدَهُ بِمَا اسْتَطَعْت؛ فَقَالَ أَفْعَلُ. فَكَلّمَ أُنَيْسٌ أَبْرَهَةَ فَقَالَ: لَهُ أَيّهَا الْمَلِكُ هَذَا سَيّدُ قُرَيْشٍ بِبَابِك يَسْتَأْذِنُ عَلَيْك، وَهُوَ صَاحِبُ عِيرِ مَكّةَ، وَهُوَ يُطْعِمُ النّاسَ فِي السّهْلِ وَالْوُحُوشَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ فَأْذَنْ لَهُ عَلَيْك، فَيُكَلّمْك فِي حَاجَتِهِ (وَأَحْسِنْ إلَيْهِ) قَالَ فَأَذِنَ لَهُ أَبْرَهَةُ.

قَالَ وَكَانَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ أَوْسَمَ النّاسِ وَأَجْمَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ فَلَمّا رَآهُ أَبْرَهَةُ أَجَلّهُ[2] وَأَعْظَمَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ أَنْ يُجْلِسَهُ تَحْتَهُ، وَكَرِهَ أَنْ تَرَاهُ الْحَبَشَةُ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ فَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ فَجَلَسَ عَلَى بِسَاطِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَيْهِ إلَى جَنْبِهِ ثُمّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُ حَاجَتُك ؟ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ التّرْجُمَانُ فَقَالَ حَاجَتِي أَنْ يَرُدّ عَلَيّ الْمَلِكُ مِئَتَيْ بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي ، فَلَمّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ أَبْرَهَةُ لِتَرْجُمَانِهِ قد كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُك ، ثُمّ قَدْ زَهِدْت فِيك حِين كَلّمْتنِي ، أَتُكَلّمُنِي فِي مِئَتَيْ بَعِيرٍ أَصَبْتهَا لَك ، وَتَتْرُكُ بَيْتًا هُوَ دِينُك وَدِينُ آبَائِك قَدْ جِئْتُ أَهْدِمُهُ لَا تُكَلّمْنِي فِيهِ قَالَ

---

[1] – هل عندك من غناء: أي شيء يغني عنا وينفعنا في موقفنا هذا.

[2] – أجله: من الإجلال وهو التعظيم والإكبار.

لَـهُ عَبْـدُ الْمُطّلِبِ : إنّي أَنَا رَبّ الْإِبِلِ وَإِنّ لِلْبَيْتِ رَبّا سَيَمْنَعُهُ قَالَ مَا كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنّي ، قَالَ أَنْتَ وَذَاكَ.

يـارب: فَلَمّـا انْصَـرَفُوا عَنْـهُ انْصَـرَفَ عَبْـدُ الْمُطّلِـبِ إلَى قُـرَيْشٍ ، فَـأَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ ، وَأَمَـرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكّةَ ، وَالتّحَـرّزِ فِي شَـعَفِ[1] الْجِبَالِ وَالشّـعَابِ[2] تَخَـوّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَـرّةِ[3] الْجَيْشِ ثُـمّ قَـامَ عَبْـدُ الْمُطّلِـبِ ، فَأَخَـذَ بِحَلْقَـةِ بَـابِ الْكَعْبَـةِ ، وَقَـامَ مَعَـهُ نَفَـرٌ مِـنْ قُـرَيْشٍ يَـدْعُونَ اللّهَ ويستنصرونه عَلَى أَبْرَهَةَ وَجُنْدِهِ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ :

لَا هُمّ إنّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ ... رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ[4]

لَا يَغْلِبَنّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ[5]

زاد الواقدي :

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك[6]

دُخُولُ أَبْرَهَةَ مَكّةَ:

فَلَمّـا أَصْبَحَ أَبْرَهَـةُ تَهَيّـأَ لِـدُخُولِ مَكّـةَ ، وَهَيّـأَ فِيلَـهُ وَعَبّى جَيْشَـهُ وَكَانَ اسْـمُ الْفِيـلِ مَحْمُـودًا وَأَبْرَهَـةُ مُجْمِعٌ لِهَدْمِ الْبَيْتِ ، ثُمّ الِانْصِرَافِ إلَى الْيَمَنِ فَلَمّا وَجّهُوا الْفِيلَ إلَى مَكّةَ ، أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتّى قَامَ إلَى جَنْبِ الْفِيلِ ثُمّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ . فَقَالَ اُبْرُكْ مَحْمُودُ أَوْ ارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْت ، فَإِنّك فِي بَلَدِ اللّهِ الْحَرَامِ ثُمّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ فَبَرَكَ الْفِيلُ وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشْتَدّ حَتّى أَصْعَدَ فِي الْجَبَلِ.

الفيل ممنوع بأمر الله تعالى: وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى ، فَضَرَبُوا (فِي) رَأْسِهِ بِالطّبَرْزِينِ[1] لِيَقُومَ فَأَبَى فَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ[2] لَهُمْ فِي مَرَاقّهِ[3] فَبَزَغُوهُ[4] بِهَا لِيَقُومَ فَأَبَى ، فَوَجّهُوهُ رَاجِعًا إلَى

---

١ – شعف الجبال: رءوس الجبال.

٢ – الطرق الضيقة في الجبال..أو المواضع الخفية.

٣ – معرة الجيش : شدته وقوته.

٤ – امنع حلالك: الحلال : هم القوم المجتمعون أي دافع ،يا رب ، عن قومك أهل الحرم.

٥ – محالهم: قوتهم.

٦ – فأمرٌ مّا بدا لك: هذا التفويض لأمر الله جعل بعض الرواة يرى أن عبد المطلب كان من الحنفاء الذين يعبدون الله على دين إبراهيم عليه السلام.

الْيَمَنِ ، فَقَامَ يُهَرْوِلُ وَوَجّهُوهُ إلَى الشّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَوَجّهُوهُ إلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَوَجّهُوهُ إلَى مَكّةَ فَبَرَكَ.

المعجزة الكبرى:

فَأَرْسَلَ الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف[٥] والبلسان[٦] مع كل طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا : حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَمْثَالُ الْحِمّصِ وَالْعَدَسِ لَا تُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إلّا هَلَكَ وَلَيْسَ كُلّهُمْ أَصَابَتْ . وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَدِرُونَ الطّرِيقَ الّذِي مِنْهُ جَاءُوا ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلِ بْنِ حَبِيبٍ لِيَدُلّهُمْ عَلَى الطّرِيقِ إلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ نُفَيْلٌ حِينَ رَأَى مَا أَنْزَلَ اللّهُ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ:

أَيْنَ الْمَفَرّ وَالْإِلَهُ الطّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ تَسْقُطُ (أَنَامِلُهُ) أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً كُلّمَا سَقَطَتْ أُنْمُلَةٌ أَتْبَعَتْهَا مِنْهُ مِدّةٌ تَمُثّ قَيْحًا وَدَمًا ، حَتّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطّائِرِ فَمَا مَاتَ حَتّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذَا الْبَيْتِ:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَلَمّا بَعَثَ اللّهُ تَعَالَى مُحَمّدًا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ مِمّا يَعُدّ اللّهُ عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ مَا رَدّ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْحَبَشَةِ لِبَقَاءِ أَمْرِهِمْ وَمُدّتِهِمْ فَقَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} وَقَالَ: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشّتَاءِ وَالصّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذَا الْبَيْتِ الّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}.

---

١ – الطبرزين: آلة من حديد طرفها محني.

٢ – المحاجن: جمع محجن: عصا معوجة في طرفها حديد.

٣ – في مراقه: المراق: أسفل البطن.

٤ – فبزغوه: أدموه

٥ – الخطاطيف:جمع خطاف وهو طائر أسود .

٦ – والبلسان: هي طيور الزرازير أمثال العصافير.

دلالات حادثة الفيل:

- معجزة حماية البيت الحرام من جيش أبرهة جاء خبرها في القرآن الكريم وتواتر نقلها في كتب السيرة.
- والحديث عن المعجزات . عمومًا. قد لا يقنع غير المسلمين، وقد يرى بعض المسلمين عدم الاستغراق فيه ؛لأنه يأخذ الناس إلى مجهول وغيب، ولا يتناسب مع احترام الإسلام للعقل والتفكير والعلم، وقد يدعو إلى التواكل ،لكن الأمر غير ذلك.
- إذا كان البشر مخاطبين بأحكام ربانية تجبرهم على (افعل كذا) و(لا تفعل كذا) وقد تكون صعبة على النفس ؛لأنها قد تعاكس شهوة البطن والفرج ،وهوي النفس وحب المال،فقد شاءت حكمة الله تعالى أن يظهر للناس آثار قدرته وعظمته في الأحداث يرونها بأعينهم.
- وإذا كان خلق السموات والأرض والناس والحيوان معجزًا في ذاته ،فإنه يفوت على البعض استشعار عظمة الله فيه ؛لكونه صار مألوفًا،وقد اعتادوا عليه، وله قوانين ونواميس نمطية تتكرر في الليل والنهار.
- ويستشعر الناس المعجزات الربانية بصورة أوضح، حينما يخرق الله تعالى بقدرته القوانين الكونية في الزمان والمكان والنسبة والتناسب؛ليعلم الناس بعض حقائق القدرة الربانية .. فتكون المعجزات تمهيدًا لبعثة الرسل، أو تصاحب هذه البعثة.

- يفسر صاحب الرحيق المختوم انتصار أهل الشرك (في مكة) على جيش النصارى أهل الكتاب هكذا : قال[1]:

فهذه الواقعة لفتت أنظار العالم ودلته على شرف بيت الله، وأنه هو الذي اصطفاه الله للتقديس، فإذن لو قام أحد من أهله بدعوى النبوة ،كان ذلك هو عين ما تقتضيه هذه الواقعة، وكان تفسيرًا للحكمة الخفية التي كانت في نصرة الله للمشركين على أهل الإيمان بطريق يفوق عالم الأسباب".

---

[1] – الرحيق المختوم: حفر بئر زمزم وواقعة الفيل ص٥٨ ط دار الوفاء.

- ويقول في فقرة أخرى:

"ولكن لم يتم استيلاء نصارى الحبشة على الكعبة وهم المسلمون إذ ذاك، وأهل الكعبة كانوا مشركين".

هذا تفسير الشيخ صفي الرحمن المباركفورى رحمه الله،

- لكننا نختلف معه في تفسير الحكمة الربانية هكذا:

أولًا: لم يكن النصارى في ذلك الزمان على الدين الحق ، فقد كانت المسيحية قد حرفت، واعتبروا المسيح عليه السلام هو الله، وعبدوه من دون الله ، فأشركوا .

ثانيًا: كيف ينتصر نصارى الحبشة وقد جاءوا من بلادهم معتدين دون أي مبرر علي البلد الأمين حتى لو كان أهله مشركين؟!

ثالثًا: أنه لم تكن الحرب بين النصارى وبين المشركين أهل مكة، وقد كان أبرهة واضحًا: إنه لم يأت لحرب قريش وإنما جاء يقصد الكعبة، دون مبرر أيضًا، يجعله يدعي أن هذا في دين النصارى، والكعبة هي بيت الله منذ بناها آدم - على الراجح - ورفع قواعدها إبراهيم- عليهما السلام -فكان دفاع الله عن البيت وإهلاكه الجيش المعتدي؛لأن أهل مكة لم يكن لهم قدرة على الدفاع عن بيت الله الحرام، وليكون هذا نموذجًا إلى آخر الزمان لكل من تسول له نفسه الاعتداء على البيت العتيق، فلم تكن الحرب بين أهل حق من نصارى الحبشة، وبين مشركي مكة، ولكن كانت عدوانًا من أهل كتاب، حرفوا كتابهم على بلد آمن وبيت تكفل الله عز وجل بحمايته.

حفر زمزم

رؤيا عبد المطلب:

١- قَالَ مُحَمّدُ بْنُ إسْحَاقَ الْمُطّلِبِيّ[١]: بَيْنَمَا عَبْدُ الْمُطّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ ، إذْ أُتِيَ فَأُمِرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ ، وَهِيَ دَفْنٌ[٢] بَيْنَ صَنَمَيْ قُرَيْشٍ : إسَافٍ وَنَائِلَةٍ . عِنْدَ مَنْحَرِ[٣]

١ – سيرة ابن هشام ج١ ص٢٧٦

٢ – وهي دفن بين صنمي قريش: أي مكان مدفون غير ظاهر على الأرض حتى ذلك الوقت .

٣ – عند منحر قريش: المكان الذي تذبح فيه قريش.

قُرَيْشٍ. وَكَانَتْ جُرْهُمُ دَفَنَتْهَا حِينَ ظَعَنُوا[١] مِنْ مَكّةَ ، وَهِيَ بِئْرُ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السّلَامُ ، الّتِي سَقَاهُ اللّهُ حِينَ ظَمِئَ وَهُوَ صَغِيرٌ.

قَالَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ : إنّي لَنَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ احْفِرْ طَيْبَةَ . قَالَ قُلْت : وَمَا طَيْبَةُ ؟ قَالَ ثُمّ ذَهَبَ عَنّي . فَلَمّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إلَى مَضْجَعِي فَنِمْت فِيهِ فَجَاءَنِي فَقَالَ احْفِرْ بَرّةَ . قَالَ وَمَا بَرّةُ ؟ قَالَ ثُمّ ذَهَبَ عَنّي ، فَلَمّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْت إلَى مَضْجَعِي فَنِمْت فِيهِ فَجَاءَنِي فَقَالَ احْفِرْ الْمَضْنُونَةَ . قَالَ فَقُلْت : وَمَا الْمَضْنُونَةُ ؟ قَالَ ثُمّ ذَهَبَ عَنّي . فَلَمّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إلَى مَضْجَعِي فَنِمْت فِيهِ فَجَاءَنِي فَقَالَ احْفِرْ زَمْزَمَ . قَالَ قُلْت : وَمَا زَمْزَمُ ؟ قَالَ: لا تُنْزَفُ أبدا ولا تُذَمّ[٢] تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم[٣] عند نقرة الغراب الأعصم [٤] عِنْدَ قَرْيَةِ النّمْلِ .

<u>قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ</u> : فَلَمّا بُيّنَ لَهُ شَأْنُهَا ، وَدُلّ عَلَى مَوْضِعِهَا ، وَعَرَفَ أَنّهُ صُدّقَ غَدَا بِمِعْوَلِهِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، لَيْسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَلَدٌ غيره فحفر فيها حتى بَدَا لِعَبْدِ الْمُطّلِبِ الطّيّ[٥] كَبّرَ فَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنّهُ قَدْ أَدْرَكَ حَاجَتَهُ.

<u>قريش تخاصمه فيها:</u>

فَقَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا : يَا عَبْدَ الْمُطّلِبِ ، إنّهَا بِئْرُ أَبِينَا إسْمَاعِيلَ وَإِنّ لَنَا فِيهَا حَقّا فَأَشْرِكْنَا مَعَك فِيهَا ؛ قَالَ مَا أَنَا بِفَاعِلِ إنّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِصْتُ بِهِ دُونَكُمْ وَأُعْطِيته مِنْ بَيْنِكُمْ فَقَالُوا لَهُ فَأَنْصِفْنَا فَإِنّا غَيْرُ تَارِكِيك حَتّى نُخَاصِمَك فِيهَا ، قَالَ فَاجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَنْ شِئْتُمْ أُحَاكِمُكُمْ إلَيْهِ قَالُوا : كَاهِنَةُ بَنِي سَعْدٍ هُذَيْمٌ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَكَانَتْ بِأَشْرَافِ الشّامِ . فَرَكِبَ عَبْدُ

---

١ – حين ظعنوا من مكة: حين ارتحلوا من مكة

٢ – لا تزم: لا ترى قليلة الماء، ولا تنزف : لا تفنى ولا تنفد.

٣ – بين الفرث والدم: روى أن عبد المطلب لما ذهب عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل، بينما هو كذلك فرت بقرة من جازرها فأدركها بعد أن دخلت المسجد الحرام فذبحها هناك حيث يقف عبد المطلب، فعرف أنه الموضع المقصود.

٤ – الغراب الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

٥ – الطيّ: الحجارة التي يطوى بها البئر.

الْمُطَّلِبِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَرَكِبَ مِنْ كُلّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرٌ . قَالَ وَالْأَرْضُ إذْ ذَاكَ مَفَاوِزُ[1].

قَالَ فَخَرَجُوا حَتّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ تِلْكَ الْمَفَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشّامِ ، فَنِيَ مَاءُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ وَأَصْحَابِهِ فَظَمِئُوا حَتّى أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ فَاسْتَسْقَوْا مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ . وَقَالُوا : إنّا بِمَفَازَةٍ وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ فَلَمّا رَأَى عَبْدُ الْمُطّلِبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ وَمَا يَتَخَوّفُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ مَاذَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : مَا رَأْيُنَا إلّا تَبَعٌ لِرَأْيِك ، فَمُرْنَا بِمَا شِئْت؛ قَالَ فَإِنّي أَرَى أَنْ يَحْفِرَ كُلّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بِكُمْ الْآنَ مِنْ الْقُوّةِ فَكُلّمَا مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حُفْرَتِهِ ثُمّ وَارَوْهُ حَتّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا ، فَضَيْعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضَيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا ، قَالُوا : نِعْمَ مَا أَمَرْتَ بِهِ . .

فَقَامَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حُفْرَتَهُ ثُمّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطَشًا ، ثُمّ إنّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَاَللّهِ إنّ إلْقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْمَوْتِ لَا نَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَبْتَغِي لِأَنْفُسِنَا ، لَعَجْزٌ فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِبَعْضِ الْبِلَادِ ارْتَحِلُوا ، فَارْتَحَلُوا . حَتّى إذَا فَرَغُوا ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ يَنْظُرُونَ إلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعِلُونَ تَقَدّمَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ إلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا.

فَلَمّا انْبَعَثَتْ بِهِ انْفَجَرَتْ مِنْ تَحْتِ خُفّهَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ فَكَبّرَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ وَكَبّرَ أَصْحَابُهُ ثُمّ نَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَصْحَابُهُ وَاسْتَقَوْا حَتّى مَلِئُوا أَسْقِيَتَهُمْ ثُمّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ هَلُمّ إلَى الْمَاءِ فَقَدْ سَقَانَا اللّهُ فَاشْرَبُوا وَاسْتَقَوْا ، فَجَاءُوا فَشَرِبُوا وَاسْتَقَوْا . ثُمّ قَالُوا : قَدْ وَاَللّهِ قُضِيَ لَك عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْمُطّلِبِ ، وَاَللّهِ لَا نُخَاصِمُك فِي زَمْزَمَ أَبَدًا ، إنّ الّذِي سَقَاك هَذَا الْمَاءَ بِهَذِهِ الْفَلَاةِ لَهُوَ الّذِي سَقَاك زَمْزَمَ ، فَارْجِعْ إلَى سِقَايَتِك رَاشِدًا . فَرَجَعَ وَرَجَعُوا مَعَهُ وَلَمْ يَصِلُوا إلَى الْكَاهِنَةِ وَخَلّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

التعليق على حفر زمزم:

- هل يشك أحد في أن زمزم مازالت معجزة قائمة لكل ذي عقل وبصر ؟! في قلب صحراء الجزيرة العربية توجد بئر فيها من الماء ما يسقي ملايين الحجاج والمعتمرين ولا ينفد ماؤها بعد أكثر من أربعة عشر قرنًا!

---

١ – مفاوز: جمع مفازة: الصحراء المهلكة.

- هذا بيان شاف للمتشكك.
- أما المؤمنون فقد جربوا أن (ماء زمزم لما شرب له) [1] (وأنها طعام طعم وشفاء سقم)[2] كما أخبر الرسول (صلى الله عليه وسلم)وقد شربها وجرب أثرها في شفاء أمراض عضال ليس لها دواء، كثيرٌ من المسلمين ،وكاتب هذه السطور أحد من جربوا ذلك ، ولله الحمد والمنة.
- الحياة ليست مادة منظورة فقط، إنما فيها الروح وفيها الإيمان ،فيها إيمان بالإله الأعظم الذي لا نراه ولكن نرى آثار عظمته وقدرته في الكون، فيها إيمان برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وكل ما جاء به عن ربه. وفيها إيمان بالملائكة وبالمعجزات والبعث بعد الموت وبالجنة والنار، هكذا يعيش الإنسان مؤمنًا متوازنًا، قد زالت عنه الشكوك والريب.

عبد الله الذبيح:

والد النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم):

٤٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : (مختصر):

وَكَانَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ - فِيمَا يَزْعُمُونَ وَاَللّهُ أَعْلَمُ - قَدْ نَذَرَ حِينَ لَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا لَقِيَ عِنْدَ حَفْرِ زَمْزَمَ ، لَئِنْ وُلِدَ لَهُ عَشَرَةُ نَفَرٍ ثُمّ بَلَغُوا مَعَهُ حَتّى يَمْنَعُوهُ لَيَنْحَرَن أَحَدَهُمْ لِلّهِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ . فَلَمّا تَوَافَى بَنُوهُ عَشَرَةً وَعَرَفَ أَنّهُمْ سَيَمْنَعُونَهُ جَمَعَهُمْ ثُمّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ وَدَعَاهُمْ إلَى الْوَفَاءِ لِلّهِ بِذَلِكَ فَأَطَاعُوهُ وَقَالُوا : كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ لِيَأْخُذْ كُلّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني . ففعلوا ثم أَتَوْهُ فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلَ[3] فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ هُبَلُ عَلَى بِئْرٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبِئْرُ هِيَ الّتِي يُجْمَعُ فِيهَا مَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ .

---

[1] – سنن ابن ماجة ٣٠٥٣ كتاب المناسك ، ومسند أحمد ١٤٣٢٠ ورواته ثقات.

[2] – جملة طعام طعم رواها مسلم في حديث إسلام أبي ذر ٤٥٢٠ وزاد الطيالسى من نفس الطريق: (وشفاء سقم) ذكره ابن حجر في الفتح.

[3] – هبل: اسم صنم في جوف الكعبة.

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ اضْرِبْ عَلَى بَنِيّ هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ وَأَخْبَرَهُ بِنَذْرِهِ الّذِي نَذَرَ فَأَعْطَاهُ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِدْحَهُ الّذِي فِيهِ اسْمُهُ وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ أَصْغَرَ بَنِي أَبِيهِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - أَحَبّ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ إلَيْهِ فَكَانَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ يَرَى أَنّ السّهْمَ إذَا أَخْطَأَهُ فَقَدْ أَشْوَى[1]. وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَلَمّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا، قَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ عِنْدَ هُبَلَ يَدْعُو اللّهَ ثُمّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللّهِ فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ بِيَدِهِ وَأَخَذَ الشّفْرَةَ ثُمّ أَقْبَلَ بِهِ إلَى إسَافٍ وَنَائِلَةٍ لِيَذْبَحَهُ فَقَامَتْ إلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ أَنْدِيَتِهَا، فَقَالُوا: مَاذَا تُرِيدُ يَا عَبْدَ الْمُطّلِبِ؟ قَالَ أَذْبَحُهُ فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ وَبَنُوهُ وَاَللّهِ لَا تَذْبَحُهُ أَبَدًا حَتّى تُعْذِرَ فِيهِ. لَئِنْ فَعَلْتَ هَذَا لَا يَزَالُ الرّجُلُ يَأْتِي بِابْنِهِ حَتّى يَذْبَحَهُ فَمَا بَقَاءُ النّاسِ عَلَى هَذَا.

وقالت له قُرَيْشٌ وَبَنُوهُ لَا تَفْعَلْ وَانْطَلِقْ بِهِ إلَى الْحِجَازِ، فَإِنّ بِهِ عَرّافَةً لَهَا تَابِعٌ[2] فَسَلْهَا، ثُمّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِك، إنْ أَمَرَتْكَ بِذَبْحِهِ ذَبَحْتَهُ و إنْ أَمَرَتْك بِأَمْرٍ لَك وَلَهُ فِيهِ فَرَجٌ قَبِلْته.

فَانطَلَقُوا حَتّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَوَجَدُوهَا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - بِخَيْبَرِ. فَرَكِبُوا حَتّى جَاءُوهَا، فَسَأَلُوهَا، وَقَصّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطّلِبِ خَبَرَهُ وَخَبَرَ ابْنِهِ وَمَا أَرَادَ بِهِ وَنَذْرَهُ فِيهِ فَقَالَتْ لَهُمْ ارْجِعُوا عَنّي الْيَوْمَ حَتّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فَأَسْأَلُهُ. فَرَجَعُوا مِنْ عِنْدِهَا، فَلَمّا خَرَجُوا عَنْهَا، قَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ يَدْعُو اللّهَ ثُمّ غَدَوْا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ قَدْ جَاءَنِي الْخَبَرُ كَمْ الدّيَةُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: عَشْرٌ مِنْ الْإِبِلِ وَكَانَتْ كَذَلِكَ. قَالَتْ فَارْجِعُوا إلَى بِلَادِكُمْ ثُمّ قَرّبُوا صَاحِبَكُمْ وَقَرّبُوا عَشْرًا مِنْ الْإِبِلِ ثُمّ اضْرِبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ فَزِيدُوا مِنْ الْإِبِلِ حَتّى يَرْضَى رَبّكُمْ وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا عَنْهُ فَقَدْ رَضِيَ رَبّكُمْ وَنَجَا صَاحِبُكُمْ.

فَخَرَجُوا حَتّى قَدِمُوا مَكّةَ، فَلَمّا أَجَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الْأَمْرِ قَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ يَدْعُو اللّهَ ثُمّ قَرّبُوا عَبْدَ اللّهِ وَعَشْرًا مِنْ الْإِبِلِ وَعَبْدُ الْمُطّلِبِ قَائِمٌ عِنْدَ هُبَلَ يَدْعُو اللّهَ عَزّ وَجَلّ ثُمّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللّهِ فَزَادُوا عَشْرًا مِنْ الْإِبِلِ فَبَلَغَتْ الْإِبِلُ عِشْرِينَ وَقَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ

---

[1] – أشوى السهم: إذا لم يصب المقتل.

[2] – عرافة لها تابع: أي من الجن.

يَدْعُو اللّهَ عَزّ وَجَلّ ثُمّ ضَرَبُوا ... فَبَلَغَتْ الْإِبِلُ مِئَةً وَقَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ يَدْعُو اللّهَ ثُمّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبِلِ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ حَضَرَ قَدْ انْتَهَى رِضَا رَبّك يَا عَبْدَ الْمُطّلِبِ فَزَعَمُوا أَنّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ قَالَ لَا وَاَللّهِ حَتّى أَضْرِبَ عَلَيْهَا ثَلَاثَ مَرّاتٍ فَضَرَبُوا عَلَى عَبْدِ اللّهِ وَعَلَى الْإِبِلِ وَقَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ يَدْعُو اللّهَ فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبِلِ ثُمّ عَادُوا الثّانِيَةَ وَعَبْدُ الْمُطّلِبِ قَائِمٌ يَدْعُو اللّهَ فَضَرَبُوا، فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبِلِ ثُمّ عَادُوا الثّالِثَةَ وَعَبْدُ الْمُطّلِبِ قَائِمٌ يَدْعُو اللّهَ فَضَرَبُوا ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبِلِ فَنُحِرَتْ ثُمّ تُرِكَتْ لَا يُصَدّ عَنْهَا إنْسَانٌ وَلَا يُمْنَعُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ إنْسَانٌ وَلَا سَبُعٌ.

<u>التعليق على قصة الذبيح:</u>

عبد المطلب يريد أن يشكر الإله على أن رزقه عشرًا من الولد، فيقدم أحب ولده إليه؛ ليضحي به ويذبحه تقربًا إلى الله تعالي!، عجيب أمر هذه النفس البشرية التي يمكن أن تدفعها غواية الشيطان إلى أحط دركات الفجور! ويمكن أن تسمو بالخوف من الله والرغبة في إرضائه؛ حتى يقدم عبد المطلب ولده ويذبحه شكرًا لله على أن رزقه الذرية الكثيرة التي كانت تمثل للعرب في ذلك الزمان قوة ومنعة وعونًا له على بلايا الزمن.

هذه الطاقة العجيبة في النفس البشرية الطامحة إلى الخير، هي البذرة وهي النبتة التي تتجه إليها تذكرة الدعاة، ووعظ المصلحين ؛ لكي تنمي هذه النبتة وتستخرج طاقات الخير فيها ، وما أكثر ما نرى من نماذج لبشر كانوا غاية في الغلظة والقسوة! ثم تحولوا بفعل الكلمة الطبية والموعظة الحسنة إلى منارات للخير وقمم في العطاء والتضحية.

وفي التعليق على القصة أيضًا، ربما لم يكن عبد المطلب حين نذر أن يذبح ولده يتوقع أن يرزق هذا العدد، لكن لمَّا حدث وتحققت الأمنية الغالية ،لم يتراجع عن نذره خوفًا من الله ورغبة في الوفاء بالعهد والنذر.

وفي التعليق أيضًا: أن الله تعالى يبين لنا أن قدره نافذ ومشيئته غالبة ،فنجى إسماعيل عليه السلام من الذبح، ونجى عبد الله.. إكرامًا لهذه النسمة الطاهرة المباركة محمد(صلى الله عليه وسلم)ليأتي إلى الدنيا .. ويملأها نورًا وعدلًا ورحمة وبركة.

زواج عبد الله من آمنة:

٤٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ (مختصر):

ثُمّ انْصَرَفَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ آخِذًا بِيَدِ عَبْدِ اللّهِ فَمَرّ بِهِ - فِيمَا يزعمون - على امرأة من بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى ، وَهِيَ أُخْتُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى ، وَهِيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ حِينَ نَظَرَتْ إلَى وَجْهِهِ أَيْنَ تَذْهَبُ يَا عَبْدَ اللّهِ ؟ قَالَ مَعَ أَبِي ، قَالَتْ لَك مِثْلُ الْإِبِلِ الّتِي نُحِرَتْ عَنْك ، وَقَعْ[1] عَلَيّ الْآنَ قَالَ أَنَا مَعَ أَبِي ، وَلَا أَسْتَطِيعُ خِلَافَهُ وَلَا فِرَاقَهُ.

فَخَرَجَ بِهِ عَبْدُ الْمُطّلِبِ حَتّى أَتَى بِهِ وَهْبَ بْنَ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا ، فَزَوّجَهُ ابْنَتَهُ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ نَسَبًا وَمَوْضِعًا .

فَزَعَمُوا أَنّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا حِينَ أُمْلِكَهَا مَكَانَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ، فَأَتَى الْمَرْأَةَ الّتِي عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَا عَرَضَتْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا لَك لَا تَعْرِضِينَ عَلَيّ الْيَوْمَ مَا كُنْتِ عَرَضْتِ عَلَيّ بِالْأَمْس؟ قَالَتْ لَهُ فَارَقَك النّورُ الّذِي كَانَ مَعَك بِالْأَمْسِ فَلَيْسَ (لِي) بِك الْيَوْمَ حَاجَةٌ . وَقَدْ كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ أَخِيهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ - وَكَانَ قَدْ تَنَصّرَ وَاتّبَعَ الْكُتُبَ أَنّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمّةِ نَبِيّ.

تعليق حول قصة الزواج من آمنة:

الرواية التي تقول بأن امرأة رأت نورًا في وجه عبد الله فأرادت أن يضاجعها .بالزواج على الراجح- لأن امرأة عرفت ببشرى ظهور نبي، وأرادت أن يكون من صلبها، لا نتصور أن تطلب أن يكون ذلك عن طريق الزنا.

لكن في المجمل روايات ما قبل عصر النبوة يصعب التحقق من صدق رواتها فتحتمل الصدق وتحتمل التأليف والخيال البشري ، والله أعلم بالحقيقة.

لكن لو صدقت الرواية وكان في عبد الله نور فليس ذلك بمستغرب ؛لأن حديث الرسول(صلى الله عليه وسلم) الصحيح فيه "ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري"[2] فالنبي محمد(صلى الله عليه وسلم) نور معنوي ونور مادي، لا نشك ولا نرتاب.

---

١ – لك مثل الإبل التي نُحِرَت عنك وَقَعْ عَلَيَّ الآن: تطلب منه أن يضاجعها (يجامعها) في مقابل مائة من الإبل.

٢ – قال ابن حجر في الفتح أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم.

الفصل الرابع:

البشارات

ببعثته (صلى الله عليه وسلم):

جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع تأكيد لا لبس فيه ولا شك فيه، أن التوراة والإنجيل فيهما بشارات ببعثته (صلى الله عليه وسلم) وأن أهل الكتاب كانوا يعلمون ببعثته ويعلمون أوصافه ويعلمون قرب ظهوره في ذلك الزمان.

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

وقال تعالى في طائفة من أهل الكتاب:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

وقال تعالى:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

والراويات التي تثبت وقائع شهادة أهل الكتاب -وعلماؤهم على وجه الخصوص- كثيرة ..لكن هذه الروايات تزيد أهل الإيمان إيمانًاويقينًا،ولكنها ربما لا تخاطب غير المسلمين.

أما خطاب غير المسلمين حول هذه البشارات فقد تخصص فيه وأتقنه من خلال دراسة عميقة لنصوص التوارة والإنجيل العلامة الداعية العظيم: الشيخ أحمد ديدات رحمه اللهتعالى،

وسوف أبدأ الحديث عن البشارات بفصل من كتاب له صدر باللغة الإنجليزية وطبع في جنوب أفريقيا، وحمله إليَّ أحد الأصدقاء، جزاه الله خيرا، كان قد سافر إلى جنوب أفريقيا - الكتاب بعنوان:

كتاب أحمد ديدات: الاختيار[1]:

The CHOICE

Islam and Christianity

A search for truth

وأنا أترجم في هذا الفصل مقاطع من هذا الكتاب:

يخبر الشيخ أحمد ديدات أنه دعي إلى مقاطعة ترانسفال؛ لإلقاء محاضرة بمناسبة الاحتفال بمولد الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم).

يقول ديدات إنه اتصل بعدد من قساوسة كنائس تلك المقاطعة [2] راغبًا فى الحديث معهم لكن معظمهم رفض ، والذي قبل كان رقم ١٣ في ترتيب الاتصال التليفوني واسمه (فان هيردن) ..

قال ديدات عن الحوار:

سألت : ما الذي قاله الكتاب المقدس (التوراة) عن محمد؟

أجاب بلا تردد: لا شيء.

سألت : لماذا لا شيء؟ إنه حسب تفسيركم فإن التوراة بها أشياء كثيرة تتحدث عن ظهور الاتحاد السوفيتي وعن الأيام الأخيرة[3]،وعن بابا الرومان الكاثوليك قال : نعم ولكن ليس هناك شيء عن محمد.

سألت ثانية: لماذا لا شيء؟ بالتأكيد هذا الإنسان محمد (صلى الله عليه وسلم) ،كان مسئولًا عن ظهور أمة جديدة من المؤمنين لها حضور وانتشار في العالم كله هذه الأمة تؤمن بـ:

- معجزة ميلاد يسوع (عيسى).
- أنه أحيا الموتى بإذن الله ،وأنه أبرأ الأعمى والأبرص بإذن الله.

---

١ – إصدار مركز الشيخ أحمد ديدات ١٢٤ ش الملكة – ديربان ٤٠٠١ جنوب أفريقيا.

٢ – بين الشيخ ديدات أنه أراد أن يتقن اللغة الأفريقية التي يتحدث بها أهل تلك المقاطعة فأراد أن يجري حوارًا حول التوراة والإنجيل مع القساوسة الذين يتكلمون بهذه اللغة.

٣ – لم أعرف المقصود بقوله Last Days هل يقصد الحياة الأخروية في الدار الآخرة ..هذا هو الراجح.

بالتأكيد هذا الكتاب يجب أن يحتوي شيئًا عن هذا القائد الذي تحدث عن عيسى وأمه (عليهما السلام) حديثًا حسنًا.

أجاب الرجل المسن (الذي كان حاضرًا الحوار):

"يا بني إني أقرأ الكتاب المقدس من خمسين سنة، ولو كان فيه أي ذكر عنه كنت عرفته".

ليس واحدا بالاسم

يقول ديدات:

سألتهم: إنكم تقولون إن التوراة فيها مئات البشارات الخاصة بمجيء يسوع في العهد القديم.

قال الراهب: ليست مئات بل آلاف.

قلت: لن أجادل في البشارات الألف وواحد في العهد القديم الخاصة بمجيء يسوع (عيسى) لأن كل العالم الإسلامي يؤمن به بدون أي نبوءة من التوراة .. نحن المسلمين نقبل بحقيقة عيسى لأنمحمدًا(صلى الله عليه وسلم) أخبر عنه .. يوجد في العالم اليوم ٩٠٠ مليون [١]من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، يحترمون ويجلون رسول الله العظيم عيسى بدون حاجة إلى إقناع من المسيحيين من خلال جدلهم حول التوارة.

لكن من بين هذه البشارات الألف التي أشرت إليها في التوراة، هل يمكن أن تذكر لي نبوءة واحدة تذكر عيسى (يسوع) بالاسم؟ إن كلمة المسيح[٢] التي ترجمت إلى الإنجليزية (Christ) ليست الاسم، وإنما اللقب، هل يوجد نبوءة واحدة تقول إن المسيح هو عيسى (يسوع) (Jesus) وأن اسم أمه سوف يكون ماري (مريم) وأن أباه المفترض هو يوسف النجار، وأنه سوف يولد في مملكة هيرود الملك..الخ الخ؟ لا .. لا يوجد مثل هذه التفاصيل .. إذن كيف تستنتج أن هذه البشارات الألف تشير إلى يسوع (عيسى)؟

---

١ – العدد اليوم يقارب المليار ونصف المليار مسلم.

٢ – كلمة Messiah مأخوذة من الكلمة العبرية والعربية Mesaha والتي تعني صاحب رسالة أو المقدس ولا تعني إله أو رب.

ما هي النبوءة (البشارة) ؟

قال الراهب: إن النبوءة عبارة عن صورة كلامية بشيء سوف يحدث في المستقبل عندما يحدث هذا الشيء فإننا نرى بوضوح تحقق ما تنبأت به البشارة في الماضي.

قلت: وما تفعله أنت حقيقة أنك تستنتج .. تفسر .وتضع اثنين مع اثنين معًا.

قال : نعم.

قلت: لو كان هذا هو ما تفعله مع (الألف) نبوءة، لتؤكد ادعاءك حول حقيقة (يسوع).. لماذا لا نتبنى نحن نفس الطريقة بالنسبة لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ؟

وافقني الراهب على أن هذا اقتراح عادل ،وطريقة مناسبة لتناول القضية.

سألته أن يفتح الإصحاح الخامس الفصل ١٨ الآية ١٨ ففعل قرأت له الآية من الذاكرة باللغة الأفريقية وترجمتها:

[سوف أبعث نبيًا

من بين إخوتهم

مثلك

وسوف أضع كلماتي في فمه

وسوف يتحدث إليهم

بما سوف آمره به]

البشارة بنبي يشبه موسى

سألت مستفسرًا: إلى من تشير هذه البشارة؟

قال بلا أدنى تردد: يسوع.

سألت : لماذا يسوع (عيسى)[1] إن اسمه ليس مذكورًا في هذه الآية؟

أجاب الراهب: حيث أن النبوءات هي صورة لفظية لشيء سيحدث في المستقبل.

فإننا نجد أن كلمات هذه الآية تصفه بدقة ، أنت تريأن أهم كلمات في هذه البشارة هي (مثلك) أي مثل موسى، ويسوع مثل موسى.

١ – في ترجمتنا لكلمة Jesus بالإنجليزية نذكرها أحيانًا يسوع كترجمة المسيحيين لها وأحيانًا نترجمها عيسى حسب الترجمة العربية القرآنية.

سألته: في أي شيء يشبه يسوع موسى؟
كانت إجابته: الأمر الأول أن موسى يهودي ويسوع يهودي .
ثانيًا: موسى كان نبيًا، ويسوع كان نبيًا أيضًا، وعليه فإن عيسى يشبه موسى تمامًا، وهذا هو ما أنبأ الرب به موسى .
سألت : هل يمكن أن تفكر في أي تشابه آخر بين موسى ويسوع ؟
أجاب: لا أستطيع أن أفكر في شبه آخر.
قلت: إذا كانت هاتان فقط هما الصفتان المتعلقتان بمن قصدته نبوءة الإصحاح الخامس آية (١٨/١٨) فإن النبوءة يمكن أن تنطبق على أي من هذه الشخصيات التوراتية بعد موسى، سليمان . إيزايا . ايزيكيل . دانييل . هوسيا . جويل . مالاشي . جون . يوحنا (المعمدان) ... الخ، لأن كل هؤلاء كانوا يهودًا وكانوا أنبياء ، لم لا نطبق هذه النبوءة (البشارة) على أي من هؤلاء الأنبياء؟ ولماذا يسوع فقط؟ ، لم يكن لدي الراهب جواب.
تابعت: أنت ترى أن استنتاجاتي هي أن يسوع ليس هو الأشبه بموسى ولو أنني مخطئ أرجو أن تصحح لي.

<u>ثلاثة اختلافات جوهرية بين موسى وعيسى عليهما السلام</u>:

<u>وقد شرحت له كلامي بالأسباب:</u>

<u>الأول:</u> في المقام الأول عيسى يسوع لا يشبه موسى ؛لأنه حسب كلامكم يسوع إله، وموسى ليس بإله هل هذا حقيقي؟ قال: نعم.
قلت: إذن يسوع لا يشبه موسى.
<u>الثاني:</u> حسب كلامكم فإن يسوع مات من أجل تكفير خطايا العالم، ولكن موسى لم يكن عليه أن يموت لتكفير خطايا العالم.. هل هذا حقيقي؟ أجاب مرة ثانية: نعم
قلت: وعليه فإن يسوع لا يشبه موسى.
<u>الثالث:</u> حسب كلامكم فإن يسوع ذهب إلى جهنم لمدة ثلاثة أيام لكن موسى لم يفعل ذلك هل هذا حقيقي؟ أجاب بوداعة: نعم.
قلت مستنتجًا: وعليه فإن يسوع لا يشبه موسى.

لكن أيها الراهب - تابعتُ الحديث - هذه ليست حقائق صلبة ولا قوية ولا حقائق ملموسة، إنما هي أشياء اعتقادية قد يتلعثم أو يسقط فيها الأولاد الصغار، دعنا نناقش أشياء سهلة جدًا، وبسيطة جدًا لدرجة أن صغارك لو دعوناهم ليستمعوا إلى المناقشة، سوف لا يجدون أي صعوبة في متابعتها..هيا؟

كان الراهب سعيدًا تماما بهذا الاقتراح.

حجج ثمانية تؤكد البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم:

والد ووالدة

١. قلت: موسى له والد ووالدة، ومحمد أيضًا له والد ووالدة، لكن يسوع عيسى ليس له أب بشري وله أم فقط.. هل هذا حقيقي؟

قال نعم. قلت إذن عيسى لا يشبه موسى ولكن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) يشبهه.

ميلاد بمعجزة

٢. موسى ومحمد كلاهما ولد بطريقة طبيعية وعادية، أي بواسطة اقتران رجل وامرأة ، لكن عيسى خلق بمعجزة خاصة ،إنك تتذكر أننا أُخبِرنا في إنجيل القديس (متى) (١:١٨) "قبل أن يلتقيا معًا - يقصد يوسف النجار ومريم - وُجِدت مريم ومعها طفل جاء بواسطة الشبح".

والقديس لوقا يخبرنا أنه عندما جاءت الأخبار السارة لمريم (ماري) بميلادالابن المقدس تعجبت وقالت: كيف يكون ذلك، وأنا لم أعرف رجلًا، فأجابها الملَك إن الشبح المقدس سوف يأتي عليك، وإن القوة العليا سوف تظلل ذلك (لوقا ٣٥/١).

القرآن أيضا يؤكد الميلاد المعجزة لعيسى يسوع بعبارات أنبل وأسمى وأروع من هذا:

" قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " [القرآن الكريم ٣/٤٧].

إن الله لا يحتاج لإنبات بذرة في إنسان أو حيوان، يكفي أن الله يريدشيئًا، فيوجد.

هذا هو فهم المسلمين لميلاد عيسى.. يقول ديدات في فقرة اعتراضية: (عندما قارنت الآيات القرآنية والتوراتية عن ميلاد عيسى للقس دَنْكَرْز رئيس الجمعية التوراتية في مدينتا الكبيرة ، ثم سألته، أي الآيتين تفضل أن تعطيها لابنتك: الآية القرآنية أم التوراتية؟ أحنى الرجل رأسه وأجاب: القرآنية.

<u>سألت الراهب:</u>

باختصار هل حقًا: يسوع ولد بطريقة إعجازية على غير الطريقة الطبيعية لميلاد موسى ومحمد؟ أجاب بفخار: نعم.

قلت إذن : يسوع ليس مثل موسى .. ومحمد مثل موسى !! والرب يقول لموسى في الإصحاح الخامس (١٨/١٨) [مثلك].

الرابطة الزوجية

٣. كل من محمد وموسى تزوج وأنجب أولادًا، ولكن عيسى بقي عازبًا طول حياته.. هل هذا حقيقي؟ قال الراهب نعم .

قلت إذن : يسوع ليس مثل موسى .. ومحمد مثل موسى !!

يسوع رفض من شعبه

٤. موسى ومحمد كلاهما كان مقبولًا كنبيٍّ عند شعبه في خلال حياته.

ولا شك أن اليهود قد خلقوا مشاكل لا حصر لها مع موسى، وجادلوا ولغطوا كثيرًا خلال مرحلة التيه، لكنهم كأمة وشعب قد آمنوا بأن موسى كان رسولًا من الرب إليهم، العرب أيضًا جعلوا حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) صعبة، وقد عانى كثيرًا على أيديهم، وكان عليه أن

يهاجر من مكة بعد ١٣ عامًا من الدعوة، ولكن قبل وفاته فإن أمة العرب بصفة عامة قبلته كرسول لله تعالى.

لكن حسب التوراة (يسوع جاء إلى قومه لكن قومه لم يقبلوه) [يوحنا١/١١].

وحتى الآن بعد ألفي عام فإن شعبه .اليهود .مازالوا يرفضونه هل هذا حقيقي؟

قال: نعم.

قلت: إذن يسوع لا يشبه موسى ولكن محمدًا (صلى الله عليه وسلم)يشبه موسى.

مملكة دنيوية

٥- كل من موسى ومحمد كان نبيًا، وكان ملكًا، وأعني بالنبي :هو الرجل الذي يستقبل رسالة إلهية؛ لإرشاد الناس ،وهذا الإرشاد ينقله إلى خلق الله كما استقبله، دون زيادة أو نقصان.

أما الملك: فهو الشخص الذي له القدرة على الحكم بالحياة أو الموت بالنسبة لشعبه، أو سلطة، طالما أنه يملك صلاحية توقيع العقوبات الكبرى فهو ملك، موسى كان يملك هذه القوة: هل تذكر الإسرائيلي الذي وجد يجمع حطب النار (يحتطب) يوم السبت ؛ فرجمه موسى بالحجارة حتى الموت؟

وهناك جرائم أخرى ذكرت في التوراة، ووقع فيها على اليهود عقوبة كبرى بأمر من موسى، (محمد صلى الله عليه وسلم)أيضًا كان يملك سلطة الحكم بالموت والحياة على الأفراد من شعبه.

هناك في التوراة ذكر لأشخاص كانت لهم النبوة فقط، لكن لم يكونوا في موقع يسمح لهم بفرض تحقيق أهدافهم .. بعض هؤلاء الرجال المكرمين من قبل الله كانوا لا يقدرون على شيء في مواجهة الرفض العنيف لرسالتهم، ومنهم لوط ، دانييل ، يوحنا ، عزرا، ويوحنا المعمدان.

كل هؤلاء كان بمقدورهم فقط نقل الرسالة الإلهية لكن لم يقدروا على فرض القانون.

النبي الكريم يسوع لسوء الحظ، ينتمي أيضًا إلى هذه المجموعة .. الإنجيل المسيحي يؤكد ذلك، عندما أُخِذ يسوع أمام الحاكم الروماني (بونتياس بايلات) متهمًا بالتمرد، فإنه قدم نقطة مقنعة؛ ليدفع التهمة الزائفة عن نفسه قال: إن مملكتي ليست في هذا العالم، لو كانت

مملكتي في هذا العالم كان على اتباعي أن يحاربوا، وما كنت أرسلت إلى اليهود ، لكن مملكتي ليست هنا.

هذا الكلام أقنع الحاكم الروماني بأن يسوع -وإن لم يكن متفقًا معه ثقافة وعقلًا-لكنه لا يمثل تهديدًا أو خطرًا على حكمه.

يسوع دعا إلى مملكة روحية فقط، أي إنه كان نبيًا فقط. هل هذا حقيقي ؟ قال الراهب: نعم قلت: إذن يسوع لا يشبه موسى ولكن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) يشبه موسى.

لا قوانين (شريعة) جديدة

٦- موسى ومحمد جاءا بشريعة جديدة ونظم جديدة لشعبيهما ،موسى لم يأت فقط بالوصايا العشر وإنما جاء بشريعة كاملة شاملة لقيادة شعبه، محمد جاء إلى شعب عرف بالبربرية والجهل، وكانوا يتزوجون زوجات الأب ويدفنون بناتهم أحياء، كانوا يقضون أيامهم في شرب الخمر والزنا وعبادة الأوثان والقمار،

ومن هذه البربرية الحقيرة، رفعهم محمد - كما قال توماس كارليسيل - إلى حَمَلة مشاعل النور والعلم.. بالنسبة للأمة العربية كان بمثابة ميلاد من الظلام إلى النور: العربية أصبحت لغة حية، الراعي الفقير الذي كان يطوف بالصحراء لا يلتفت إليه أحد منذ خلق العالم، أصبح محط الأنظار، في خلال قرن من بعثته أصبحت العربية منتشرة من جرانادا إلى دلهي في الهند، وأشرقت أنوار العبقرية العربية على قطاع كبير من العالم.

الحقيقة إن محمدًا قد جاء لقومه بشريعة ونظام لم يعرفوه قبل ذلك أبدًا، أما بالنسبة لعيسى فإنه لما تشكك اليهود أن لديه خططًا لمعارضة تعاليمهم ، فقد عانى كثيرًا لإقناعهم أنه ما جاء بدين جديد ولا قوانين ولا نظم جديدة قال:

"أنا ما جئت لأهدم شريعة ولا أهدم الأنبياء بل جئت لأكمل"، بمعنى آخر لم يأت بقوانين ولا نظم جديدة.

ومن هنا فإن عيسى لا يشبه موسى .. ولكن محمدًا (صلى الله عليه وسلم)يشبه موسى؟

كيف رحلوا؟

٧- كل من موسى ومحمد مات بطريقة طبيعية؟

لكن حسب الديانة المسيحية فإن يسوع قُتِل بطريقة وحشية على الصليب .هل هذا حقيقي؟

قال الراهب: نعم. فأكدت له: إذن عيسى لا يشبه موسى .. ولكن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) يشبه موسى؟

إقامة في السماء

٨- موسى ومحمد كلاهما يرقد مدفونًا في الأرض،

أما عيسى فإنه حسب كلامكم يرقد في السماء هل هذا حقيقي؟

قال الراهب: نعم. قلت: إذن عيسى لا يشبه موسى ولكن محمدًا (صلى الله عليه وسلم)يشبه موسى؟

خاتمة: انتهت الأسباب الثمانية التي ساقها الشيخ ديدات ليثبت الشبه بين محمد(صلى الله عليه وسلم)وموسى عليه السلام وأن عيسى عليه السلام لا يشبهما.

لكن هذه الأسباب الثمانية تتعلق فقط بكلمة (مثلك) من هذه البشارة.

ولقد تابع ديدات الحديث عن بقية البشارات في كلمة (من إخوتهم) وأنها تعني بالتأكيد العرب. ثم يذكر تفصيلًا لمعنى الوحي كما جاء فى البشارة: (وأجعل كلامي في فمه)، ويذكر ما جاء في سفر أشعياء(١٢/٢٩) عن الوحي:

"ويدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال: اقرأ هذا فيقول : لا أعرف الكتابة".

فهذا هو النبي الأمي (محمد صلى الله عليه وسلم).

الكتاب من القيمة والعظمة وعمق الدراسة ما يحتاج إلقراءة متأنية، لكننا لا نستطيع في هذا الباب أن ننقل منه أكثر من ذلك لضيق المجال، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

ثم ننتقل إلى أنواع أخرى من المبشرات.

الفصل الخامس:

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

في هذا الجزء نعرض لروايات إسلامية عن صحابة وتابعين ،تبين معرفة أهل الكتاب لأوصاف الرسول(صلى الله عليه وسلم)وموعد ظهوره ومكان مولده وظهوره بالتقريب، حسب ما يعرفونه من كتبهم.

بعض أهل الكتاب جحد وأنكر، وبعضهم صرح ولم يؤمن ،وبعضهم عرف الحق فاتبعه وآمن بالنبي الخاتم وبالإسلام الحق.

وهذه الروايات قد لا تكون حجة على المعاندين من أهل الكتاب؛ لأن رواتها مسلمون، لكن هذه الروايات لها دور هام بالنسبة للمسلمين، فما هو؟

الإسلام منذ بعثة النبي(صلى الله عليه وسلم) يتعرض لهجمات شرسة من أعدائه، أحيانًا تكون عسكرية عدوانية، وأحيانًا تتخذ شكل الشبهات والتشكيك.

نعلم أن إيمان المسلمين بالنبي(صلى الله عليه وسلم)والرسالة لا يعتمد على وجود هذه الروايات، لكن وجود هذه الروايات مع ثقتنا في جهد العلماء والمحققين والرواة في تمحيصها، يكون لها أثر معاون في إزالة الشبهات والرد على الريب والتشكيك، ومن أجل أن (يزداد الذين آمنوا إيمانًا).

<u>شهادة عبد الله بن سلام:</u>

٤٩- قال القرطبي "ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام أتعرف محمدًا كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنَعْتِهِ[١] فعرفتُه، وإني لا أدري ما كان من أمه[٢].

---

١ – بنعته: بصفته.

٢ – تفسير ابن كثير صـ٢٥٢ ، في تفسير قوله تعالى: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

قصة إسلام عبد الله بن سلام:

هو من علماء اليهود وأحبارهم وفي قصة إسلامه كثير من العبر والدلالات.

٥٠-روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال:

" سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهْوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا. قَالَ جِبْرِيلُ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ[١].

وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ[٢] وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ.

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.. يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[٣] وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي.

فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ؟ قَالُوا خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا. قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ فَقَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ قَالَ فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ"[٤].

---

١ – زيادة كبد الحوت: قطعة معلقة منفردة في الكبد من أشهي وألذ الطعام .

٢ – سبق ماء الرجل (وفي رواية علا ماء الرجل) هي من الإعجاز العلمي الذي يفسر بسيادة بعض الصفات الوراثية ويحتاج لمزيد بحث وتحقيق.

٣ – قوم بهت: كذب وافتراء وزور وبهتان.

٤ – صحيح رواه البخاري (٣٦٤٥)

وفي هذا السياق أيضًا نذكِّر بقصة إسلام زيد بن سعنة التي أوردناها في أول الكتاب- باب في حب الرسول صلى الله عليه وسلم - وفيها أن زيد بن سعنة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عرف في وجه كل علامات النبوة.

إقرار هرقل بالنبوة:

ثم نذهب إلى هذه الرواية الممتعة الطويلة الجليلة التي رواها ابن عباس رضي الله عنه عن أبي سفيان في قصته مع هرقل الروم والأسئلة التي سألها هرقل؛ ليستوثق بها من حقيقة النبي(صلى الله عليه وسلم) وتعليق هرقل على إجابات أبي سفيان التي تؤكد تصديق القيصر لكون محمد (صلى الله عليه وسلم)هو النبي الموصوف في التوراة والإنجيل .. عرفه هرقل ولم يره فكيف لو كان رآه؟!

٥١- روى البخاري[١] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

"أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ[٢] أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ[٣] الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ[٤] فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا[٥].

فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ لَا.

قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ لَا.

---

١ – رواه البخاري رقم (٦) حديث صحيح.

٢ – هرقل: اسم ملك الروم ولقبه قيصر.

٣ – في المدة: مدة صلح الحديبية.

٤ – بيت المقدس ومعناها بيت الله.

٥ – أنا أقربهم نسبا: هو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فهو يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في الأب الرابع عبد مناف .

قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.
قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ.
قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ لَا.
قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ لَا.
قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. "قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ".
قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ نَعَمْ.
قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[1] يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.
قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ يَقُولُ: (اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ).

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا..
وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ..
وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ..
وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ..
وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ..
وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ..

---

[1] – الحرب سجال: السجل هو الدلو: شبه المتحاربين بالرجلين يستقيان من البئر يملأ هذا مرة وهذا مرة ..فهو سجال..وفي الحرب يكون النصر لهذا مرة وهذا مرة.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ..

وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ.. فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ..

وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ[١] لَتَجَشَّمْتُ[٢] لِقَاءَهُ.. وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ[٣] إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ،[٤] وَ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}).

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ[٥] ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٦] إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

---

١ – أخلص إليه : اصل إليه.

٢ – تجشمت: أي تكلفت يدل على خوف هرقل على نفسه لو أسلم.

٣ – دحية: هو الصحابي دحية بن خليفة الكلبي ..حمل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظيم بصرى الذي أرسله إلى قيصر مع عدي بن حاتم وكان إذا ذاك نصرانيًا، ومعه دحية، قاله ابن حجر في الفتح.

٤ – الأريسيين: الفلاحين وهم غالب أهل مملكته.

٥ – أمِرَ أمر: عَظُم أمره.

٦ – ابن أبي كبشه: قصد به النبي صلى الله عليه وسلم. أما أبو كبشة فقيل أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل أبوه من الرضاعة.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ[1] صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا[2] عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ - قَالَ ابْنُ النَّاطورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ - فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ.

ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ.

فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[3] لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ[4] إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ، قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[5].

شهادة حيي بن أخطب اليهودي:

وهذه رواية ترويها أم المؤمنين عن أبيها عدو الله حيي بن أخطب أحد رؤوس اليهود الخطرين وكيف أنه عرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتثبت منه:

[1] – ابن الناطور: اسم أعجمي معناه بالعربي صاحب البستان.

[2] – سقًّفًا: أي أسقف..أي رئيس في دين النصاري.

[3] – دسكرة: قصر حوله بيوت.

[4] – حَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ: أي نفروا مثل حمر الوحش.

[5] – آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ: أي في هذه الرواية والحادثة لكنه بعد ذلك جهز الجيوش في معركة مؤتة وأيضًا تبوك.

٥٢- قال ابن إسحاق: حُدِّثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت: (كنت أحَبَّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذإني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي؛ حيى بن أخطب، وعمى أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسِين[1]، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كَالَّيْن[2] كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنَى[3]. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمى أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت[4]).

كان قبيل بعثة الرسول(صلى الله عليه وسلم) أناس من ذوي العقول والبصيرة لم يقتنعوا بعبادة الأصنام وأجهدوا أنفسهم في البحث عن الدين الحق، وسافروا والتقوا ببعض الرهبان، لعلهم يجدون عندهم إجابة عن هذه الحيرة النفسية والعقلية الباحثة عن الإله المستحق للعبادة.

وهؤلاء قد بشروا بمبعث محمد(صلى الله عليه وسلم) وأخبروا بأوصافه وكان من هؤلاء زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وقيل منهم أيضًا عبد المطلب جد الرسول وكانوا يطلقون عليهم الحنفاء.

وهذه بعض سيرهم:

حديث زيد بن عمرو بن نفيل:

٥٣- قال الواقدي:

حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال :

---

١ – مغلسين: ظلمة آخر الليل إذا أختلط بضوء الصبح.

٢ – كالين: أي متعبين.

٣ – الهويني: ببطء وتؤدة.

٤ – ابن هشام (٣٨٣/١) هكذا ذكره ابن اسحاق في المغازي وفيه رواه لم يذكر وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢٣٥/١) تخريج دار الحديث.

سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيًا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب و لا أراني أدركه، و أنا أومن به و أصدقه و أشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام و سأخبرك ما نعته[1] حتى لا يخفى عليك قلت : هلم قال : هو رجل ليس بالطويل و لا بالقصير و لا بكثير الشعر و لا بقليله وليست تفارق عينه حمرة ، و خاتم النبوة بين كتفيه و اسمه أحمد و هذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به، حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره فإياك أن تخدع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكان من أسأل من اليهود و النصارى و المجوس يقولون : هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك يقولون : لم يبق نبي غيره .

قال عامر بن ربيعة : فلما أسلمت أخبرت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قول زيد بن عمرو وإقرائه منه السلام فرد عليه السلام و ترحم عليه وقال : [قد رأيته في الجنة يسحب ذيول][2].

٥٤- وقال أبو داود الطيالسي :

إن زيدًا بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ فقال : من بِنْيَة[3] إبراهيم فقال : و ما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك.

قال : فأما ورقة فتنصر وأما أنا فعزمت على (دين) النصرانية فلم يوافقني

فرجع وهو يقول: لبيك حقًا حقًا تعبدًا ورقًا[4].

٥٥- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: (..... فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ[5] فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ

١ – ما نعته: أي ما هي صفته.

٢ – عن سيرة ابن كثير ص ١٥٩ .

٣ – أين من عند الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام.

٤ – عن سيرة ابن كثير صـ١٥٧ .

٥ – وفي رواية : الكتاب (العربي) وكلاهما صحيح لأن ورقة كان يكتب بالاثنين بالعربي والعبري .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ[١] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا[٢] لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[٣] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ)[٤] .

١ – الناموس: أي صاحب السر، إشارة إلى المَلَك جبريل عليه السلام.

٢ – أي شابًا لأن الجذع هو الصغير من البهائم.

٣ – أي لم يتعلق بشيء حتى مات وهذا أصح مما ورد عن ابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب .

٤ – رواه البخاري برقم ٣.

الباب الثاني:

من الميلاد إلى البعثة:

:

الفصل الأول:

مولد النور:

(صلى الله عليه وسلم)

حاجة البشرية إليه (صلى الله عليه وسلم):

أَذِنَ الخالق جل في علاه بمولده(صلى الله عليه وسلم)ليفتح به قلوبًا غلفًا ،وأعينًا عميًا، وآذانًا صمًا.

ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ليُخرِجَ البشرية من الظلمات إلى النور، ويخرج قريشًا من عبادة الأحجار والأصنام إلى عبادة الله الخالق الواحد الأحد ،الذي تقدس سبحانه عن الوالدة والوالد والولد، وعن الزوجة وعن الشبيه وعن المعين، والذي تفرد سبحانه بخلق السماوات والأرض وما فيهن، وكل ما فيهن معجز ينطق بدلائل القدرة.

ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) ليخرج قريشًا من رذائل الجاهلية وما فيها من شرب للخمر ووأد للبنات، وزنًا، وربًا، ومحرمات ، وما فيها من عبودية الفرد للفرد، وما فيها من ظلم القوي وعدوانه على الفقير الضعيف.

جاء محمد(صلى الله عليه وسلم) إلى البشرية كلها في جزيرة العرب وفي بلاد فارس والروم والحبشة وكل العالمين، ليصحح عقائد أهل الكتاب ، وينقذ المجوس من الضلال وعبادة النار ، وينقذ البشر من استبداد الأكاسرة والقياصرة والملوك والطغاة.

ولد محمد (صلي الله عليه وسلم)والعالم كله محتاج إليه وإلى دعوته.

وما أشد حاجة البشرية اليوم كما كانت بالأمس، إلى هذه الرسالة الخاتمة الكاملة الشاملة.!

زمن الميلاد المبارك:

ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عام الفيل: وصحَّت بذلك روايات عدة:

٥٦- روى الذهبي بسنده عن ابن عباس أن النبي(صلى الله عليه وسلم) ولد عام الفيل وقال: صحيح[١].

---

١ – سير أعلام النبلاء، مكتبة الصفا. ج١ ص٢٧.

٥٧- وعن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب قال ولدت أنا ورسول الله في عام الفيل كنا لِدَين، أخرجه الترمذي وإسناده حسن [١]. - لِدَين : أي مولودين في زمن متقارب.

وقال خليفة بن خياط: المُجْمَع عليه أنه ولد عام الفيل [٢].

٥٨- قال ابن إسحاق : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عن الجمهور .

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ، وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل[٣].

ووردت روايات غير ذلك ضعفها العلماء.

<u>وولد يوم الأثنين:</u>

٥٩-سأل أعرابي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ قال: ذاك يوم ولدت فيه، وفيه أُوحي إلي.[٤].

٦٠- <u>وما رواه الإمام أحمد في مسنده:</u>

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَاسْتُنْبِئَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَتُوُفِّيَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَرَفَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ"[٥].

<u>أما شهر المولد:</u>

ففيه خلاف : أكثر الرواة على أنه شهر ربيع الأول، والبعض على أنه شهر رمضان.

<u>وكذا الخلاف في يوم الميلاد:</u> فقيل لعشر خلون من ربيع الأول ،وقيل لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول.. وقد أورد الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية والذهبي في سير أعلام النبلاء هذه الأقوال وغيرها، دون ترجيح ..فالله أعلم.

<u>وفاة عبد الله والد النبي (صلى الله عليه وسلم):</u>

---

١ – المصدر السابق ص٢٨ .

٢ – المصدر السابق ص٢٨.

٣ – البداية والنهاية ج٣ ص٢٩٩ ط دار التقوى.

٤ – صحيح رواه مسلم ١٩٧٨.

٥ – مسند أحمد ٢٣٧٦ وفيه ابن لهيعة وثقة قوم وضعفه آخرون وبقية رواته ثقات.

اختلف في وفاته هل مات ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) حمل في بطن أمه، أم مات بعد ميلاده(صلى الله عليه وسلم)بفترة ؟ الصحيح الأول.

قال ابن كثير:

٦١- "والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور.

٦٢- قال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر هو الواقدي حدثنا موسى بن عبيدة اليزيدي وحدثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال:

خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عير من عيران قريش يحملونه تجارات ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا، فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرًا، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد[1] عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدًا شديدًا،ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومئذ حمل ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي، خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسنه عندنا[2].

رؤيا آمنة:

٦٣- روى ابن إسحاق بسنده عن بعض أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال:

" دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأن نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام"[3].

وروى أحمد مثله عن أبي أمامة.

٦٤- "وقال محمد بن إسحاق:

---

١ – أي حزن عليه حزنًا شديدًا.

٢ – البداية والنهاية ٢٩٨/٢ ط دار التقوى.

٣ – صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٤٥.

وَيَزْعُمُونَ - فِيمَا يَتَحَدّثُ النّاسُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ - أَنّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ أُمّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَتْ تُحَدّثُ أنها أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقِيلَ لَهَا : إنّك قَدْ حَمَلْتِ بِسَيّدِ هَذِهِ الْأُمّةِ فَإِذَا وَقَعَ إلَى الْأَرْضِ فَقُولِي : أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرّ كُلّ حَاسِدٍ ثُمّ سَمّيهِ مُحَمّدًا . وَرَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ أَنّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ رَأَتْ بِهِ قُصُورَ بُصْرَى ، مِنْ أَرْضِ الشّامِ . فإذا وقع فسميه محمدا فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمد. وهذا وذاك يقتضي أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، ثم لما وضعته رأت عيانًا تأويل ذلك كما رأته قبل ذلك هاهنا، والله أعلم.

لحظة الميلاد المبارك:

أورد الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية روايات من عدة طرق - لم يضعفها:

٦٥- عن ابن عباس أن آمنة بن وهب قالت: لقد علقت به - تعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)- فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم - يعني الرواة - وقع جاثيًا على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى،رافعًا رأسه إلى السماء[1].

هل ولد النبي صلى الله عليه وسلم مختونًا:

ورد في ذلك حديث عند البيهقي:

٦٦- عن ابن عباس عن العباس رضي الله عنهما قال: ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)مختونًامسرورًا - ومسرورًا ،أي مقطوع السرة من بطن أمه.

قال عنه ابن كثير هذا الحديث في صحته نظر، وأورد عدة طرق أخربللحديث وقال هذا كله في صحته نظر.

وقال ابن القيم في الختان: روي في ذلك حديث لا يصح، ورجح أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ختن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة.

---

١ – البداية والنهاية ٣٠٠/٢

وقـال أيضًـا - في كونـه ولـد مختونًـا صـلى الله عليـه وسـلم - قـال: لـيس هـذا مـن خواصـه فإنكثيرًامن الناس يولد مختونًا[1].

ورجح الذهبي أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدًا صلى الله عليه وسلم "[2].

الجد والحفيد المبارك (صلى الله عليه وسلم):

يفرح العرب بمولد الذكور بصفة عامة لكن وفاة عبد الله الأب جعلت لهذا المولود مكانة خاصة عند عبد المطلب الجد بأمر الله وتقديره.

٦٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا وَضَعَتْهُ أُمّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْسَلَتْ إلَى جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ: أَنّهُ قَدْ وُلِدَ لَك غُلَامٌ فَأْتِهِ فَانْظُرْ إلَيْهِ فَأَتَاهُ فَنَظَرَ إلَيْهِ وَحَدّثَتْهُ بِمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ وَمَا قِيلَ لَهَا فِيهِ وَمَا أُمِرَتْ بِهِ أَنْ تُسَمّيَهُ .

فَيَزْعُمُونَ أَنّ عَبْدَ الْمُطّلِبِ أَخَذَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ ؛ فَقَامَ يَدْعُو اللّهَ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني * هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان * أعيذه بالبيت ذي الأركان

حتى يكون بلغة الفتيان * حتى أراه بالغ البنيان[3].

ثُمّ خَرَجَ بِهِ إلَى أُمّهِ فَدَفَعَهُ إلَيْهَا وَالْتَمَسَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الرّضَعَاءَ .

دلالات وعظات:

- ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قبيلة وبيت من أشرف بيوت العرب ،وهذه كرامة أكرمه الله عز وجل بها، مثل كثير من فيوضاته سبحانه على نبيه (صلى الله عليه وسلم).

[1] – زاد المعاد ج١ ص٣١ طبعة دار التقوى .

[2] – سير أعلام النبلاء ج١ ص٢٩.

[3] – سيرة ابن هشام ١/١٢٢.

- ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)في مكة البلد الحرام الذي تعظمه العرب كلها، ويعلم قدره ومكانته اليهود والنصارى ؛لأن الكعبة بناها إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وأبو اليهود وأبو العرب الإسماعيليين.
- ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عام الفيل حيث معجزة هزيمة جيش أبرهة بالطير الأبابيل.

والملاحظ أن أحداث المعجزات ستصاحب سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قبل الميلاد إلى وقت الوفاة والانتقال إلى الرفيق الأعلى.

هذه المعجزات في ميزان النبوة شيء عادي ومتوقع ؛لأنها تأييد من الله عز وجل لأنبيائه ورسله، والله قادر لا يعجزه شيء، وهذه المعجزات يؤمن بها كل أتباع الأنبياء، فلقد حدثت المعجزات الحسية لكل الأنبياء والرسل بلا استثناء، وإن كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قد اختصه الله عز وجل بمعجزة غير مسبوقة ولا متكررة هي معجزة القرآن الكريم.

ونحن لن نرهق أنفسنا في إقناع غير المؤمنين بحقيقة المعجزات فهؤلاء عبدوا العقل وجعلوه إلها يوجههم إلى الإيمان بما يرونه ويحسونه فقط، ونسوا أن أقل التفكير العقلي لابد أن يؤدي إلى اكتشاف أن هناك عوالم وراء العالم المحسوس المنظور نرى أثارها في الكون، وفي خلق الإنسان وفي دواخل النفس والروح.

أما دورنا فيما يتعلق بمعجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودلائل نبوته ،فهو بذل كل الجهد في تمحيص الروايات وانتقاء الصحيح منها.

** ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) عدة معجزات صاحبت مولده (صلى الله عليه وسلم) منها سقوط كثير من الأصنام في تلك الليلة على وجوهها ، وظهور النور معه حين ولد ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنوّ النجوم منهم.

وروى حديثًا عن ابن إسحاق عن يهودي كان بمكة يتّجر بها أخبر أن نبي هذه الأمة قد ولد تلك الليلة .. وأنه سأل عن هذا المولود فلما دُلَّ على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)كشف عن كتفه فوجد خاتم النبوة بين كتفيه فوقع مغشيًا عليه[1].

هذا حديث رواه ابن سعد أيضًا في الطبقات الكبرى [1].

---

١ – البداية والنهاية وسيرة ابن هشام.

أما رواية ابن أبي الدنيا عن سقوط أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وأن بحيرة ساوة غاضت، وأن نار الفرس خمدت، فقد قال الذهبي عن هذا الحديث (منكر وغريب).

** ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمًا:

وربما كان هذا من تقدير الله له، مما جعله رحيمًا باليتيم وبالطفل وبالضعيف وبالفقير والمسكين.

وكان هذا اليتم مما ألقى الحب في قلب أمه وجده وعمه وكل من حاطه بحنانه ورعايته.

وكان هذا من تقدير الله حتى يشب الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوي الشخصيةمعتمدًا على قدراته وكده وتعبه، دون حياة الترف التي كان يمكن أن يوفرها له أبوه .

وكان هذا تقديرًا علويًا من المولى سبحانه وتعالى- كما يرى البوطي في "فقه السيرة" - للنبي محمد(صلى الله عليه وسلم) حتى لا يكون للمشككين سبيل إلى اتهامه بأنه ورث النبوة.

فقد مات أبوه وهو حمل في بطه أمه، وماتت أمه ومات جده وهو طفل، وقد تربى بعيدًا عنهما في بادية بني سعد (حديث الرضاعة) أما عمه الذي كفله بعد جده فإنه مات ولم يؤمن بدعوة الرسول(صلى الله عليه وسلم) مما يبعد أي شك عن أي صلة قوية دائمة بشخص يغذيه بالرسالة.

---

[١] – الطبقات الكبري ٢/١٦٢– ١٦٣ وأورده الشيخ سعيد حوى في كتاب (الأساس) مما يدل على تحسينه أو صحته.

الفصل الثانى:

الرضاعة:

رضع النبي (صلى الله عليه وسلم) لبن عدد من المراضع:

** منهم (ثويبة) مولاة أبي لهب أرضعته أيامًا، وأرضعت معه: أبا سلمة المخزومي (الصحابيلاحقًا)[١]، وأرضعت معهما : عمه حمزة بن عبد المطلب.

** وأرضعته حليمة: مع ابنها عبد الله بن الحارس بن عبد العزى، وأرضعت معهما ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان شديد العداوة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مكة، ولكنه أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، وكان يمسك بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة حنين وكان من الثابتين.

وإخوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)من الرضاعة من حليمة هما عبد الله وأخته الشيماء .

** ومرضعة أخرى من قبيلة حليمة السعدية كانت ترضع حمزة بن عبد المطلب فأرضعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا، وهو عند حليمة فصار حمزة عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخًا له من الرضاعة من جهتين؛ من جهة ثويبة ومن جهة المرأة السعدية.

لكننا سنذكر حديث حليمة السعدية مفصلًا ؛لما فيه من الروعة والمعجزة والدلالات:

٦٨ - قال ابن إسحاق[٢] : كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء[٣] ، لم تبق لنا شيئا . قالت : فخرجت على أتان[٤] لي قمراء[٥] ، معنا شارف[٦] لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه ، وما في

---

١ – إرضاع ثويبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي سلمة ثابت في حديث في الصحيحين عن أم حبيبة بت أبي سفيان.

٢ – سيرة ابن هشام ١٢٤/١ قال عنه الذهبي : هذا حديث جيد الإسناد.

٣ – شهباء: مجدبة بيضاء لا يرى فيها خضرة.

٤ – أتان: أنثى الحمار.

٥ – قمراء، يميل لونها إلى الخضرة.

٦ – شارف: ناقة مسنة.

شارفنا ما يغذيه - قال ابن هشام : ويقال : يغذيه - ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك ، فلقد أدمت بالركب،[1] حتى شق ذلك عليهم ضعفًا وعجفًا[2]، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء.

فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا ،إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجده؟! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق ، قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم أخذ رضيعًا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ؛ قال : لا عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره.

قالت : فلما أخذته ، رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي[3] إلى شارفنا تلك ، فإذا هى حافل[4]، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعًا فبتنا بخير ليلة.

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلمين والله يا حليمة ، لقد أخذت نسمة مباركة؛ قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك ، قالت : ثم خرجنا وركبت أنا أتاني ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لي : يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ! أربعي علينا[5] ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهي هي ؛ فيقلن : والله إن لها لشأنًا .

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح، على حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا

---

١ – أدمت بالركب : أبطأت بالركب بسبب ضعفها.

٢ – عجفًا: هزالًا

٣ – تعني زوجها: عبد الحارث بن عبد العزى.

٤ – حافل: امتلأ ضرعها باللبن.

٥ – أربعي علينا : تمهلي علينا.

حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم[١] جياعا ما تبض بقطرة[٢] لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا.

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفَصَلْتُه[٣] ، وكان يشبّ شبابًا لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا[٤].

حادثة شق الصدر:

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا به بشهر مع أخيه لفي بُهْم[٥] لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه ، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه[٦] . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنتَقَعا[٧] وجهه . قالت : فالْتَزَمْتُه[٨] والتزمه أبوه ، فقلنا له : ما لك يا بني ؛ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاني وشقا بطني ، فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا به إلى خبائنا .

قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئر[٩] وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته إليك كما تحبين ؛ قالت : ما هذا شأنك، فاصدقيني خبرك .

---

١ – تروح أغنامهم: ترجع.

٢ – ما تبض بقطرة: ما ترشح قطرة لبن.

٣ – فصلته: فطمته.

٤ – جفرا: شديدا غليظا.

٥ – بَهم: صفار الأغنام.

٦ – يسوطانه: يحركانه.

٧ – منتقعا لونه: شديد الصفرة.

٨ – التزمته: احتضنته.

٩ – ظئر: المرأة ترضع ولد غيرها.

قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت: قلت : نعم ؛ قالت : كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبنيَّ لشأنا، أفلا أخبرك خبره ، قالت : قلت : بلى ؛ قالت : رأيت حين حملت به، أنه خرج مني نور أضاء قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليَّ ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقي راشدة[1] .

ملامح الروعة في الحديث:

** أعد الله عز وجل بقدرته، البيئة التي سوف تحتضن الحبيب (صلى الله عليه وسلم)الرضيع أعدها بهذا القدر من القحط والجفاف، حتى تظهر آثار القدرة الإلهية في إكرامها للرضيع الذي أعدته لحمل الرسالة الخاتمة.

فتذكر حليمة: أن السنة شهباء ، وأن الناقة مسنة، وأنها لا تبض بقطرة لبن، وأن الأتان (الحمارة) ضعيفة بطيئة مملة للركب، وأن رضيعها لا ينام؛ لأنه لا يجد ما يكفي في صدر أمه، ولا ما يشرب من لبن الناقة وهم لا ينامون من كثرة بكائه.

** صراحة بلا مواربة: وهي تروي أن كل المراضع ردت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما علمت أنه يتيم، وأنها ما أخذت محمدًا (صلى الله عليه وسلم)إلا لأنها لم تجد غيره.

** وما هي إلا سويعة بعد أن أخذت المعجزة في حجرها حتى تبدل الحال كله: ثدياها يمتلئان لبنا، فيشرب محمد ويشرب ولدها، وينام الطفلان .. في نفس التوقيت تمتلئ الناقة العجفاء باللبن ويشرب الرجل وزوجه، وينام الجميع بخير ،الليلة.

ويستمر تبدل الأحوال، فالحمار تسرع حتى تسبق الركب كله، أغنام حليمة في منازل القبيلة ترعى وتسرع وتعود شباعًا لبنًا".

تقول حليمة: وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع..

إنها القدرة الإلهية في عظمتها.. إنها الرعاية الربانية للنسمة المباركة إنها فيوضات الخير لكل من يتصل بسبب إلى(محمد صلى الله عليه وسلم).

---

١ – قال عنه الذهبي: هذا حديث جيد الإسناد.

** أما الرضاعة في البادية فيقول كُتَّاب السيرة إن هذا كان مقصودًا من أهل الحواضر؛ حتى يُربَّي الطفل في بيئية صحية نقية الهواء، متفاعلًا مع الطبيعة في فطرتها، في شمسها وهوائها ، وفي قسوتها وخشونتها فيشب الغلام صحيحا، قويا، خشنا صلبا قادرًا على مواجهة أحداث الحياة.

وكان مقصودًا أيضًا؛ ليتعلم اللغة العربية في فصاحتها وبداوتها دون أن تمتزج بها ألفاظ غريبة في بلاد الحضر والتجارة.

ويبقى الحديث عن حادثة شق الصدر:

مرت بنا حادثة شق الصدر في رواية ابن إسحاق عن حليمة السعدية وهذه الرواية تأكدت أيضًا في صحيح مسلم عن شق الصدر في سن الطفولة في قول أنس: (وهو يلعب مع الغلمان):

٦٩ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ"[١]

وتكررت الحادثة مرة ثانية قبل الإسراء والمعراج وثبتت في الصحيحين:

٧٠ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ....)[٢]حديث الإسراء.

وقد وردت روايات أخرى حول حادثة شق الصدر حتى أن بعض العلماء رجح أن هذا الأمر تكرر عدة مرات.

---

١ – صحيح مسلم ٢٣٦.

٢ – البخاري ٣٣٦ ومسلم ٢٣٦.

قال القسطلاني في المواهب:[1]

وهذا الشق روي أنه وقع له عليه الصلاة والسلام مرات في حال طفولته إرهاصًا[2].. وتَقدُّم المعجزة على زمان البعثة جائز للإرهاص. أقول: وقد اكتفيت بذكر الواقعتين لقوة وصحة الروايتين فهما عند ابن اسحاق والبخاري ومسلم، وعند غيرهما (الحاكم، والنسائي، وأحمد..).

دلالات وعظات:

** خَلْقُ اللهِ أثرٌ من أثار قدرته وعظمته .. ومساحة الاختلاف بين الإنس والجن والملائكة كبيرة فى خَلْقِ ربنا، مثل كبر الفرق بين الجمادات والمخلوقات الحية.

والمولي عز وجل إذا تجلي بقدرته للجبل اندك الجبل وصُعِق البشر، تمامًا مثلما حدث مع سيدنا موسى والجبل، لذا فإن المولى يكلم الأنبياء وحيًا أو من وراء حجاب، أو يرسل ملكًا فيوحي للنبي بما شاء الله.

ثم إن اتصال المَلَك بالأنبياء عمل مُجْهِد وعسير على الآدمي، لذا فإن الله سبحانه يهيئ الأنبياء تهيئة خاصة ليتحملوا هذا الاتصال الملائكي، وقد تكون عملية شق الصدر جزءًا من هذه التهيئة.

** استخراج حظ الشيطان من النبي(صلى الله عليه وسلم)وهو في سن الطفولة قبل التكليف يُفَسَّرُ أيضًا ببساطة أنه عصمة للنبي(صلى الله عليه وسلم)؛ حتى لا تنزع نفسه إلى وساوس الشياطين قبل البعثة، فيكون ذلك مطعنًا للكفار والمشككين، وربما يتماشى هذا مع حديث النبي (صلى الله عليه وسلم)أنه أيضًا له شيطان ولكن الله أعانه عليه فأسلم.[3]

** تجدد الحادثة قبل رحلة الإسراء والمعراج قد حدث، إما لمزيد من التطهير والتنقية من كل وساوس وحظوظ الشيطان ،أو أن ذلك كان من أجل الاستعداد لمرحلة أعلى وأعظم، وهي ارتفاع النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى الحضرة الإلهية.

---

[1] – عن الأساس في السيرة. سعيد حوى ج١ ص ١٦٦ ط دار السلام.

[2] – مقدمة لشيء سوف يحدث.

[3] – النسائي ٣٨٩٥ صحيح رواته ثقات ثبت – موسوعة الحديث الشريف – حرف.

** فإن قيل إذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد استخرج منه حظ الشيطان فإن باقي الناس لا يحاسَبُون على أفعالهم؛ لأنه لم تُنْزَع منهم علقة الشيطان.

فالجواب: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) مازال بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويجاهد نفسه في مضمار العبادة والطاعة ولكن:

- استخراج العلقة مقصود به حماية الرسالة التي يبلغها النبي(صلى الله عليه وسلم)إلى الناس لأنها رسالة ربانية.

- وباقي البشر يجوز لهم الخطأ ويغفر لهم، أما النبي (صلى الله عليه وسلم)فهو معصوم من الخطأ! حتى لا يتسرب أي شك إلى الوحي والرسالة، وليعلم الجميع أنه ما ينطق عن الهوى.

** اتخذت حادثة شق الصدرشكلًا ماديًا رآه الغلمان وروته كتب السيرة ؛ليزداد يقين الناس بعصمة النبي(صلى الله عليه وسلم) .

** العملية كانت متعجبة في الزمان القديم، ولكني أرى أنها لون من الإعجاز العلمي والطبي في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛لأنها إشارة ربانية إلى أن نوعًا من هذه الجراحات يمكن أن يحدث في زمن من الأزمان هى عمليات القلب المفتوح: حيث يشق الصدر ، ويستخرج القلب ، وتجري فيه الجراحة .. وهناك أنواع من التخدير يشعر فيها المريض بكثير مما يحدث أثناء الجراحة دون شعور بالألم.

وفي رواية أنس أن اثر المخيط مازال في صدر النبي(صلى الله عليه وسلم) .

وتظل المعجزة في سرعة إجراء العملية ، وفي سرعة الالتئام.. ولعل ذلك يحدث في أزمنة قادمة بإذن الله تعالي.

الفصل الثالث:

البيت الكفيل:

اليُتْم الثاني:

شاء الله عز وجل أن يفقد النبي (صلى الله عليه وسلم)أمه بعد أن فقد أباه:

٧١- ذكر ابن إسحاق أن آمنة بنت وهب توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم فماتت وهي راجعة به إلى مكة[١].

٧٢- وروى مسلم عن أبي هريرة قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكي وأبكى من حوله ثم قال: "استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي".[٢].

والحديث صححه أهل الحديث لأنه مروي في صحيح مسلم.

لكن الشيخ محمد الغزالي يرى أن الحديث معارض بآيتين.

قوله تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا". الإسراء (١٥).

وقوله تعالى: " لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ". السجدة(٣).

ويري أن أبوي النبي(صلى الله عليه وسلم)ليسا في النار؛ لأنه لم يأتهم نذير.. والله أعلم، وإليه يرجع الأمر كله.

كفالة الجد عبد المطلب:

إن وضع النبي (صلى الله عليه وسلم)بعد وفاة أمه بطبيعة الحال يلقي الشفقة والحنان في قلوب المحيطين به،

لكنني سأنظر للأمر من زاوية أن هذه الأسرة الكريمة التي احتضنت النبي صلى الله عليه وسلم (الأم بعد الأب ،والجد بعد الأم، والعم بعد الجد) هي أسرة قوية متماسكة شريفة ذات

١ – سيرة ابن هشام ١/١٢٦.

٢ – حديث صحيح رواه مسلم.

مبادئ ومثل ،هي من الخيار في الجاهلية وكان منها الخيار ممن أسلموا مثل علي وحمزة وعباس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

إذن فقد أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم)في كفالة جده عبد المطلب.

٧٣ - قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَعَ جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَكَانَ يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمُطّلِبِ فِرَاشٌ فِي ظِلّ الْكَعْبَةِ ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتّى يَخْرَجَ إلَيْهِ لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إجْلَالًا لَهُ ؟

قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْتِي وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ حَتّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ فَيَأْخُذَهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤَخّرُوهُ عَنْهُ فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطّلِبِ ، إذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ دَعُوا ابْنِي ، فَوَاَللّهِ إنّ لَهُ لَشَأْنًا ، ثُمّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ وَيَسُرّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ"[1] .

كفالة عمه أبي طالب:

في هذه الأسرة المتماسكة التي تتكافل معًا، ولا تترك أبناءها للضياع والتي يعتبر الجد فيها الحفيد ولده وكذلك يعتبره عمه ابنًا له تنتقل كفالة الرسول(صلى الله عليه وسلم)إلى عمه الزعيم الشريف العطوف الحنون.

ونرى آثار هذه العطف المقدر من عند الله أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شب يتيمًا لكنه متوازن نفسيًا، ليس فيه ما نسميه في عصرنا (عقد نفسية) لأنه لم يتعرض لإهمال أو قسوة.

٧٤ - قال ابن إسحاق :

فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ثماني سنين هلك جده عبد المطلب بن هاشم.

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى السقاية وزمزم بعده ابنه العباس، وهو من أحدث إخوته سنًا، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرها في يده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله - أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

---

[1] – سيرة ابن هشام . والبداية والنهاية لابن كثير ٣١٨/٢.

قال فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)وكان إليه ومعه"[1].

٧٥ - وروى الواقدي عن ابن عباس قال:

لما توفي عبد المطلب كفل أبو طالب رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم)فكان يكون معه وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولدَه، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج فيخرج معه وصب به أبو طالب صبابة[2] لم يصب مثلها بشيء قط، وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل معهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شبعوا، فكان إذا أراد أن يغديهم قال كما أنتم حتى يأتي ولدي فيأتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن منهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب إنك لمبارك، وكان الصبيان يصبحون رمصا شعثا[3] ويصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دهينا كحيلا [4].

قصة بحيرا الراهب:

تروي كتب السيرة قصة سفر النبي (صلى الله عليه وسلم)مع عمه في تجارة إلى الشام وكانت سنه اثنتي عشرة سنة، ورآه في هذه الرحلة راهب يقال له بحيرا، لكن الرواية صححها بعضهم وأنكرها البعض، وصحح جزءًا منها آخرون وأنكروا جزءًا وهذه هي الرواية.

٧٦- عن أبي موسى الأشعرى قال:

(خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب يعني بحيرَى هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي(صلى الله عليه وسلم) فقال هذا سيد العالمين. وفي رواية البيهقي زيادة هذا رسول رب العالمين بعثه الله رحمة للعالمين.

---

١ – سيرة ابن هشام والبداية والنهاية ٣١٩/٢.

٢ – صبا به: أحبه حبا شديدًا وكان يشتاق إليه بشدة.

٣ – رمص: جمع أرمص : إفرازات في العين من أثر التهاب ونحوه. شعث: جمع أشعث وهو تفرق الشعر وتغبره.

٤ – البداية والنهاية ٣١٩/٢.

فقال له أشياخ من قريش وما علمك؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خر ساجدًا ولا يسجدون إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال انظروا إليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ،قال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال فهل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا لا إنما أخبرناه خبره إلى طريقك هذه، قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده فقالوا لا. قال فبايعوه وأقاموا معه عنده قال فقال الراهب أنشدكم الله أيكم وليه قالوا أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر و بلالًا ،وزوده الراهب من الكعك والزيت) [1].

تحقيق الرواية:

الرواية رواها ابن إسحاق بدون سند وليس في رواية ابن إسحاق ذكر أبي بكر وبلال.

ولكن هذه الرواية التي فيها ذكر أبي بكر وبلال رواها الترمذي وحسنها والبيهقي وابن عساكر وغير واحد من الحفاظ، وذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء، وابن كثير في البداية والنهاية كلهم من طريق (قراد أبي نوح) قال عنه الذهبي وهو ثقة احتج به البخاري والنسائي وقال عنه ابن كثير هو من الثقات أخرج له البخاري ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ.

لكن كلا من الذهبي وابن كثير رأي في الحديث غرابة ونكارة رغم صحة السند.

قال الذهبي:

وهو حديث منكر جدًا وأين كان أبو بكر ؟ كان ابن عشر سنين وأين كان بلال في هذا الوقت لم يكن ولد بعد، وأيضا إذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أنه يميل فيء الشجرة، لأن ظل الغمامة يعدم (أي يلغي) ظل الشجرة، ولم نري النبي صلي الله عليه وسلم

---

[1] – البداية والنهاية ٣٢١/٢.

ذكَّر أبا طالب قط بقول الراهب ولا تذاكرته قريش ولا حكته أولئك الأشياخ، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار ولبقي عنده صلى الله عليه وسلم حس من النبوة، ولما أنكر مجيء الوحي إليه وأتي خديجة خائفا علي عقله، وأيضا لو أثر هذا الخوف في أبي طالب كيف كانت نفسه تطيب أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرًا لخديجة[1].

فماذا قال ابن كثير؟ قال:

قال عباس الدوري: ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح، ثم قال ابن كثير قلت: فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة أو كان هذا مشهورًا فأخذه من طريق الاستفاضة. الثاني: أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا. الثالث: كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة وعمر بلال أقل من ذلك، فأين كان أبو بكر ثم أين كان بلال كلاهما غريب[2].

الرأي عندي في القصة:

لم يكتف الذهبي بصحة السند وكون الرواة موثوقين، وإنما عرض القصة بتفاصيلها على تمحيص وتدقيق يجعلنا لا نتأكد من صحة أجزاء من الرواية.

لكن الثمرة والنتيجة هي:

إذا صحت الرواية فهي تدل على دلالتين:

* معرفة أهل الكتاب بصفات النبي(صلى الله عليه وسلم)

* وحدوث معجزات للرسول(صلى الله عليه وسلم) مثل ظل الغمامة والشجرة.

أما بالنسبة لمعرفة أهل الكتاب ،فهي أمر أكده القرآن وورد في السيرة والسنن بطرق أكثر من أن تحصر.

وأما حدوث المعجزات فليس بعجيب، وقد صحت الروايات بمعجزاته صلى الله عليه وسلم ،بما لا يتطرق إليه جدل أو تضعيف.

---

١ – سير أعلام النبلاء (ج١ص٤٣).

٢ – البداية والنهاية لابن كثير ٢/٣٢٢.

فيبقي أن نـؤمن بـالثمرتين (معرفـة أهـل الكتـاب ، المعجـزات) ونقـول في الروايـة، الله أعلـم بصحتها.

حرب الفجار:

كانت حرب الفجار بين قريش وكنانة من طرف ،وقائدهم حرب بن أمية (والد أبي سفيان) وبين قيس عيلان (من قبيلة هوازن) حدثت ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)ابن عشرين سنة.

وسببها:

أن عروة الرجال (من هوازن) أجار تجارة للنعمان بن المنذر فقال البراض (من كنانة) أتجيرها على كنانة قال: نعم وعلى الخلق كله.

فترصد البراض لعروة الرجال وقتله في الشهر الحرام (فلذلك سمي الفجار) فاقتتلت قريش وكنانة مع قيس عيلان أيامًا.

قال ابن هشام: وشهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كنت أنبل على أعمامي، أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

<u>تعقيب:</u> لأتفه الأسباب كانت تقوم الحرب بين قبائل العرب؛ لم يكن عندهم هداية من وحي أو قانون.

وقول ابن هشام: شهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعض أيامهم غير دقيق. فالواضح أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يشترك في قتال، وأن أعمامه هم الذين أخرجوه.. ولم يكن يستطيع عصيانهم في حرب تخص القبيلة ولا يتبين فيها وجه الحق..كما أن الوحي لم يكن قد تنزل عليه(صلى الله عليه وسلم)؛ليرشده إلى صاحب الحق فيكون معه.

<u>كيف انتهت الحرب؟ مثل رائع من أخلاق العرب:</u>

<u>قال ابن كثير عن السهيلي قال:</u>

ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ فلما توافَوْا الموعد ركب عتبة بن ربيعة جمله ونادى يا معشر مضر علام تقاتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح.

قالوا وكيف؟ قال: ندى[1] قتلاكم، ونرهنكم رهائن عليها، ونعفو عن دياتنا.
قالوا ومن لنا بذلك؟ قال: أنا.
قالوا: ومن أنت؟ قال: عتبة بن ربيعة.
فوقع الصلح على ذلك وبعثوا إليهم أربعين رجلًا، فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة (من هوازن) الرُّهُن في أيديهم عفوا عن دياتهم وانقضت حرب الفجار[2].

تعليق:

هذا مثل رائع من أيام العرب أن يقوم رجل عاقل حكيم فيدعو إلى الصلح ويتنازل عن الكبرياء الفارغة ويحفظ الدماء وينقذ القبائل، وقد ردت هوازن على تصرف عتبة بن ربيعة بتصرف كريم مماثل: العفو عن الديات.

هل يوجد في العرب والمسلمين اليوم عقلاء يبلغون شيئًا مما كان عليه كرام العرب في الجاهلية فيحقنوا الدماء ويوقفوا قتل المسلم لأخيه المسلم ؟! لا أكاد أرى أمثال هؤلاء العقلاء برغم أننا شرفنا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة بين أيدينا.

أضيف إلى ذلك : إن عتبة بن ربيعة أراد أن يحقن الدماء قبل معركة بدر لكن أبا جهل رفض، اتهمه بالجبن.

وقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا.

حلف الفضول من مكارم العرب أيضًا:

٧٧- روى الحميدي بسنده عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلومًا [3].

---

١ – أي ندفع الدية لقتلاكم.

٢ – البداية والنهاية ٣٢٨/٢.

٣ – البداية والنهاية ٣٢٨/٢ ، ولم يضعفه ابن كثير، وابن هشام، ورواه البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٢٨٥٩ ورواه أحمد بلفظ (حلف المطيبين) وقال المحققون هو حلف الفضول والغلط من الرواة – وسند الإمام أحمد فيه عبد الرحمن ابن اسحق صالح الحديث ، وبقية رواته ثقات، وقوله: (ولا يعد ظالم مظلوما) كذا في الاصل وفي السهيلي: ولا يعز ظالم على مظلوم. ومعناه أى لا يُنصر ظالم على مظلوم.

قال ابن كثير:

٧٨- قالوا وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر، وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجُمَحًا وسَهمًا وعَدِيّ بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل، وزبروه - أي انتهروه - فلما رأى الزبيدي الشر أوْفَى على أبي قبيس[١] عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر[٢] لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار[٣] والنفر[٤]

ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مَتْرَك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعامًا وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة[٥] وما رسى ثبير وحراء مكانهما(٦)، وعلى التأسي في المعاش.

فسمَّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك:

حلفت لنعقدن حلفا عليهم وإن كنا جميعا أهل دار

نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لذي الجوار

---

١ – أي صعد علي جبل أبي قبيس.

٢ – فهر: هو قريش أي يا معشر قريش.

٣ – نائي الدار: غريب بعيد الدار.

٤ – والنفر: ليس معه رجال يساعدونه.

٥ – أي طالما بقي في البحر ماء، أي أبد الدهر.

٦ – ما رسي ثبير وحراء: أي طالما بقي جبل ثبير وجبل حراء.

ويعلم من حوالي البيت أنا   أباة الضيم نمنع كل عار

تعليق:

هكذا تكون النخوة والصفات الكريمة في قوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضد أقاربهم من بقية قريش من أجل نصرة مظلوم يستجير بهم وبالكعبة وبحجر إسماعيل وبالحجر الأسود.

وهذا بعض حكمة الله في اختيار هؤلاء القوم لحمل الرسالة الخاتمة إلى الناس أجمعين لما فيهم من مكارم الأخلاق.

الفصل الرابع:

الرعي والتجارة:

رعيه الغنم (صلي الله عليه وسلم) :

اشتغل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صباه بالعمل الذي كان معروفا منتشرا في بيئته وهو رعي الغنم.. لكن تقدير الله عز وجل له بالعمل في رعي الغنم ..له حكمة بالغة وخصوصًا أن الأنبياء قبله اشتغلوا أيضًا برعي الغنم.

٧٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ[١].

وفى تفسير الحديث أن الأجرة كانت قيراطًا عن كل شاة يرعاها أما عن حكمة الله في اشتغال الأنبياء برعي الغنم ، فقد قال ابن حجر فى الفتح:

قَالَ الْعُلَمَاء :

الْحِكْمَة فِي إِلْهَام الْأَنْبِيَاء مِنْ رَعْي الْغَنَم قَبْل النُّبُوَّة:

- أَنْ يَحْصُل لَهُمْ التَّمَرُّن بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنْ الْقِيَام بِأَمْرِ أُمَّتهمْ.
- وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتهَا مَا يُحَصِّل لَهُمْ الْحِلْم وَالشَّفَقَة لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيهَا وَجَمْعهَا بَعْد تَفَرُّقهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلهَا مِنْ مَسْرَح إِلَى مَسْرَح وَدَفْع عَدُوّهَا مِنْ سَبُع وَغَيْره كَالسَّارِقِ وَعَلِمُوا اِخْتِلَاف طِبَاعهَا وَشِدَّة تَفَرُّقهَا مَعَ ضَعْفهَا وَاحْتِيَاجهَا إِلَى الْمُعَاهَدَة أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْر عَلَى الْأُمَّة وَعَرَفُوا اِخْتِلَاف طِبَاعهَا وَتَفَاوُت عُقُولهَا فَجَبَرُوا كَسْرهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُد لَهَا فَيَكُون تَحَمُّلهمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَل مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَام بِذَلِكَ مِنْ أَوَّل وَهْلَة لِمَا يَحْصُل لَهُمْ مِنْ التَّدْرِيج عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَم.
- وَخُصَّتْ الْغَنَم بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَف مِنْ غَيْرهَا ، وَلِأَنَّ تَفَرُّقهَا أَكْثَر مِنْ تَفَرُّق الْإِبِل وَالْبَقَر لِإِمْكَانِ ضَبْط الْإِبِل وَالْبَقَر بِالرَّبْطِ دُونهَا فِي الْعَادَة الْمَأْلُوفَة ، وَمَعَ أَكْثَرِيَّة تَفَرُّقهَا فَهِيَ أَسْرَع اِنْقِيَادًا مِنْ غَيْرهَا.

---

[١] – صحيح البخارى برقم (١٢٠٢) ترقيم العالمية. والقيراط جزء من عشرين أو أربعة وعشرين جزءًامن الدينار.

- وَفِي ذِكْر النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ بَعْد أَنْ عُلِمَ كَوْنه أَكْرَم الْخَلْق عَلَى اللَّه مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَظِيم التَّوَاضُع لِرَبِّهِ وَالتَّصْرِيح بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَانه مِنْ الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِر الْأَنْبِيَاء .ا .هـ .

هكذا ما من حدث في حياته (صلى الله عليه وسلم) إلا كان بقدر ورعاية إلهية وحكمة بالغة. وهكذا رأيناه (صلى الله عليه وسلم) يرعى أصحابه ويحوطهم برعايته ويتفقد أحوالهم ورأيناه غاية في الحلم واللين مع جميع الخلق مسلمهم وكافرهم.. صلى الله عليه وسلم .

اشتغاله بالتجارة صلى الله عليه وسلم :

انتقل الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين شب إلى عمل التجارة فقد ورد أنه كان له شريك في التجارة ، وورد أنه خرج إلى الشام تاجرًا في مال خديجة رضي الله عنها، وكان هذا سببًا في زواجه (صلى الله عليه وسلم) منها.

٨٠- ففي سنن أبي داود:

أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان شريكا للسائب بن أبي السائب المخزومي: "عن السائب قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم[١] فجعلوا يثنون علي ويذكروني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم يعني به قال: صدقت بأبي وأمي كنت[٢] شريكي فنعم الشريك كنت لا تداري[٣] ولا تماري[٤]"[٥] .

الزواج المبارك من خديجة رضي الله عنها:

لم يتزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى بلغ سن الخامسة والعشرين وهي سن ليست صغيرة بل تعد كبيرة في ظل تقاليد بيئته في ذلك الزمان، وقد يكون سبب ذلك

١ – بعد فتح مكة.

٢ – يا رسول الله.

٣ – لا تداري: لا تخالفني أو تختلف معي.

٤ – ولا تماري : لا تجادل وتخاصم.

٥ – حديث حسن رواه أبو داود ٤١٩٦ وابن ماجه ٢٢٧٨ ورواته ثقات إلا ابن المهاجر صالح الحديث ووثقه محمد بن سعد.

أنه(صلى الله عليه وسلم) لم يكن كثير المال، وقد يكون سببه أيضًا تمهله وانتظاره؛ حتى يجد الزوجة التي يجد فيها صفات العقل والكمال والنسب والشرف مما يدل على عمق نظرته وحسن تصرفه (صلى الله عليه وسلم)، ولم يرد في السيرة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عُرِض عليه الزواج من امرأة قبل خديجة ،لكن لا نستبعد ذلك على رجل في أخلاق ونسب وشرف محمد(صلى الله عليه وسلم)أن يكون عرضت عليه نساء كثيرات قبل خديجة والله أعلم.

فلماذا خديجة؟:

نذهب معًا إلى رواية ابن اسحق في سيرة ابن هشام ثم نبحث في الدلالات والعبر:

٨١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ ، تستأجر الرجال فى مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ إيّاهُ بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجّارًا ؛ فَلَمّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا بَلَغَهَا ، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ بَعَثَتْ إلَيْهِ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إلَى الشّامِ تَاجِرًا ، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التّجّارِ مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسَرَةَ فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهَا.

وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ حَتّى قَدِمَ الشّامَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ظِلّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنْ الرّهْبَانِ فَاطّلَعَ الرّاهِبُ إلَى مَيْسَرَةَ فَقَالَ لَهُ مَنْ هَذَا الرّجُلُ الّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ ؟ قَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ؛ فَقَالَ لَهُ الرّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشّجَرَةِ قَطّ إلّا نَبِيّ.

ثُمّ بَاعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سِلْعَتَهُ الّتِي خَرَجَ بِهَا ، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ ثُمّ أَقْبَلَ قَافِلًا إلَى مَكّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ . فَكَانَ مَيْسَرَةُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - إذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدّ الْحُرّ ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلّانِهِ مِنْ الشّمْسِ - وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ.

فَلَمّا قَدِمَ مَكّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا ، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضْعَفَ أَوْ قَرِيبًا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب وَعَمّا كَانَ يَرَى مِنْ إظْلَالِ الْمَلَكَيْنِ إيّاهُ . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً مَعَ مَا أَرَادَ اللّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ فَلَمّا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ بَعَثَتْ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ

عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَتْ لَهُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يَا ابْنَ عَمّ . إنّي قَدْ رَغِبْتُ فِيك لِقَرَابَتِك ، وَسِطَتِكَ[1] فِي قَوْمِك وَأَمَانَتِك وَحُسْنِ خُلُقِك ، وَصِدْقِ حَدِيثِك ، ثُمّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا ، وَأَعْظَمَهُنّ شَرَفًا ، وَأَكْثَرَهُنّ مَالًا ؛ كُلّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ .

فَلَمّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ عمه حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، رَحِمَهُ اللّهُ حَتّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ ، فَخَطَبَهَا إلَيْهِ فَتَزَوّجَهَا . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِشْرِينَ بَكْرَةً[2] وَكَانَتْ أَوّلَ امْرَأَةٍ تَزَوّجَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ يَتَزَوّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتّى مَاتَتْ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا.[2]

دلالات وعظات:

كانت خديجة أوسط نساء قريش نسبًا وأعظمهن شرفًا... وهي التي رفضت الأزواج قبل النبي(صلى الله عليه وسلم) وهي التي اختارته دون غيره من الرجال؛ لأنها راجحة العقل عرفت كيف تختار ومن تختار.. اختارت صاحب الخلق الأرفع ،ولم تختر صاحب المال الأوفر.

وكان هذا الزواج من أهم زيجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،فقد كان لخديجة رضي الله عنها أكبر الأثر في حياته.

تزوجها وهو في الخامسة والعشرين وهي في سن الأربعين وبقي معها خمسا وعشرين سنة ..لم يتزوج عليها غيرها.

أكبر دليل ضد من يروجون عنه(صلى الله عليه وسلم) أنه كان رجلا شهوانيا مِزواجا .. لقد قضي معظم شبابه مع زوجة واحدة تكبره بخمس عشرة سنة ..أرأيتم ؟!

ولقد أثبتت الحوادث عظمة شخصية السيدة المتفردة خديجة(رضي الله عنها)،كيف استقبلت حادث الوحي والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد رجع إليها يرجف فؤاده؟

في رواية البخاري عن عائشة رضي الله عنها هذا المقطع:

---

[1] – شرفك وكرامة نسبك.

[2] – عشرين ناقة بكرة: والبكرة هي الأنثي الفتية من الإبل.

[2] – سيرة ابن هشام (١/ ١٤٢) ، وذكره الهيثمى فى المجمع (١٥٢/٤) وقال: رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح.(عن دار الحديث).

٨٢- فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ.[١].

<u>دلالات:</u>

١- هذا القدر من الثبات وقوة القلب وحسن التصرف في موقف عجيب غير مسبوق وهو نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي هو زوجها ، يبين عظمة هذه الشخصية.

٢- كما وأن حُكمها أن الله لا يمكن أن يخزي محمدًا هذا الذي:

* يصل الرحم.
* ويحمل الكل (يساعد الضعيف).
* ويكسب المعدوم.
* ويقري الضيف.
* ويعين على نوائب الحق، هذا يدل على حكمة وبصيرة.

٣- وهذا الحوار التثبيتي المطمئن للنبي (صلى الله عليه وسلم) حوار فذ في التاريخ، ويبين حجم وقيمة المرأة والزوجة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي ميزان الإسلام.

٤- أما مكانة هذه السيدة العظيمة فهي موثقة بالروايات التي تذكر مكانتها في الجنة، وببشرى لها ببيت من قصب، وبأن الله يقرئها السلام وبأنها من أفضل نساء العالمين.

٨٣- <u>عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:</u>

---

١ – **رواه البخاري برقم ٣**

أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ."[1]

٨٤- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَّ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ لِمَ خَطَطْتُ هَذِهِ الْخُطُوطَ قَالُوا لَا قَالَ أَفْضَلُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ ابْنَةُ مُزَاحِمٍ[2].

وظل النبي صلي الله عليه وسلم وفيًّا لها ولذكراها حتى كان ذلك يثير غيرة السيدة عائشة التي لم تطق هذا فقالت (قد أبدلك الله خيرا منها) فغضب صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا.

٨٥- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ[3].

٨٦- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ فَغِرْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قَالَ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ[4].

وننقل عن الإمام ابن حجر في فتح الباري هذه الفقرة الرائعة في الكلام على أكرم أمهات المؤمنين (رضى الله عنها).

---

[1] – رواه صحيح البخاري.

[2] – رواه أحمد ٢٨٠٥ حديث صحيح رواته ثقات .

[3] – صحيح رواه البخاري ٣٥٣٤

[4] – حديث حسن رواه أحمد برقم ٢٣٧١٩ رواته ثقات إلا مجالد ليس بالقوي .

قال ابن حجر:

"قَوْلـه : (إِنَّهَـا كَانَـتْ وَكَانَـتْ) أَيْ كَانَـتْ فَاضِـلَة وَكَانَـتْ عَاقِلَـة وَنَحْـو ذَلِـكَ ، وَعِنْـد أَحْمَـد مِنْ حَـدِيث مَسْـرُوق عَـنْ عَائِشَـة " آمَنَـتْ بِي إِذْ كَفَـرَ بِـي النَّـاس ، وَصَـدَّقَتْنِي إِذْ كَـذَّبَنِي النَّـاس ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاس ، وَرَزَقَنِي اللَّه وَلَدهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَاد النِّسَاء " .

قَوْلـه : (وَكَانَ لِي مِنْهَـا وَلَـد) وَكَانَ جَمِيـع أَوْلَاد النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مِنْ خَدِيجَـة ، إِلَّا إِبْرَاهِيم فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَارِيَته مَارِيَة ، وَالْمُتَّفَق عَلَيْهِ مِنْ أَوْلَاده مِنْهَا الْقَاسِم وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى ، مَاتَ صَغِيرًا قَبْل الْمَبْعَث أَوْ بَعْـده ، وَبَنَاتـه الْأَرْبَع : زَيْنَـب ثُـمَّ رُقَيَـة ثُـمَّ أُمّ كُلْثُـوم ثُـمَّ فَاطِمَـة ، وَقِيـلَ : كَانَتْ أُمّ كُلْثُوم أَصْغَر مِنْ فَاطِمَة ، وَعَبْد اللَّه وُلِدَ بَعْد الْمَبْعَث فَكَانَ يُقَال لَهُ الطَّاهِر وَالطَّيِّب . وَيُقَال هُمَا أَخَوَانِ لَهُ . وَمَاتَتْ الذُّكُور صِغَارًا بِاتِّفَاقٍ.

وَوَقَعَ عِنْد مُسْلِم: " قَالَتْ عَائِشَة : فَأَغْضَبْتُه يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَة ، فَقَالَ : إِنِّي رُزِقْت حُبّهَا". قَالَ الْقُرْطُبِيّ كَانَ حُبّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا لِمَا تَقَدَّمَ ذِكْره مِنْ الْأَسْبَاب ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، كُلٌّ مِنْهَا كَانَ سَبَبًا فِي إِيجَاد الْمَحَبَّة .

وَمِمَّا كَافَأَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بِـهِ خَدِيجَـة فِي الـدُّنْيَا أَنَّـهُ لَـمْ يَتَزَوَّج فِي حَيَاتهَا غَيْرهَـا، فَـرَوَى مُسْلِم مِنْ طَرِيق الزُّهْرِيّ عَـنْ عُـرْوَة عَـنْ عَائِشَـة قَالَـتْ : "لَـمْ يَتَزَوَّج النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَة حَتَّى مَاتَتْ" وَهَذَا مِمَّا لَا اِخْتِلَاف فِيهِ بَيْن أَهْل الْعِلْم بِالْأَخْبَار.

وَفِيهِ دَلِيل عَلَى عِظَمِ قَدْرهَا عِنْده وَعَلَى مَزِيد فَضْلهَا لِأَنَّهَا أَغْنَتْهُ عَنْ غَيْرهَا وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اِشْتَرَكَ فِيـهِ غَيْرهَـا مَرَّتَيْنِ، لِأَنَّـهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ عَـاشَ بَعْـد أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَـة وَثَلَاثِينَ عَامًا اِنْفَـرَدَتْ خَدِيجَـة مِنْهَا بِخَمْسَـةٍ وَعِشْـرِينَ عَامًا وَهِيَ نَحْـو الثُّلُثَيْنِ مِنْ الْمَجْمُـوع، وَمَعَ طُول الْمُدَّة فَصَانَ قَلْبَهَا فِيهَا مِنْ الْغَيْرَة وَمِنْ نَكَد الضَّرَائِر الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّش عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَهِيَ فَضِيلَة لَمْ يُشَارِكهَا فِيهَا غَيْرهَا .

وَمِمَّا اِخْتُصَّتْ بِهِ: سَبْقُهَا نِسَاء هَذِهِ الْأُمَّة إِلَى الْإِيمَان ، فَسَنَّتْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَتْ بَعْدهَا ، فَيَكُون لَهَا مِثْل أَجْرهنَّ ، لِمَا ثَبَتَ " أَنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنَة " .وَقَدْ شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرِّجَال . وَلَا يَعْرِف قَدْر مَا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنْ الثَّوَاب بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ النَّوَوِيّ : فِي هَذِهِ الْأَحَادِيث دَلَالَة لِحُسْنِ الْعَهْد، وَحِفْظ الْوُدّ، وَرِعَايَة حُرْمَة الصَّاحِب وَالْمُعَاشِر حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِكْرَام مَعَارِف ذَلِكَ الصَّاحِب ".ا.هـ [1].

بالإجمال:

كان هذا الزواج من أعظم مِنَن الله عز وجل على نبيه(صلى الله عليه وسلم) سَعِد به النبي(صلى الله عليه وسلم) خمسة عشر عامًا قبل البعثة وعشرة أعوام بعدها.

وكانت شخصية السيدة خديجة (رضي الله عنها) متفردة متميزة في كل شيء، وكانت العلاقة الزوجية بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وخير الأزواج نموذجا لكل الرجال والنساء.. رضي الله عن خديجة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بنيان الكعبة وقصة التحكيم:

اشترك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بنيان الكعبة قبل البعثة - في رواية وهو غلام ،وفي رواية أخري وهو ابن خمس وثلاثين.

عند البخاري ومسلم أنه(صلى الله عليه وسلم) كان يحمل الحجارة على كتفه، فلما وضع إزاره ليحمي كتفه تعرى فوقع مغشيا عليه.

٨٧- عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ يَا ابْنَ أَخِي لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ قَالَ فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2].

٨٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

فَلَمّا بَلَغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِبُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، وَكَانُوا يُهِمّونَ بِذَلِكَ لِيُسَقّفُوهَا وَيَهَابُونَ هَدْمَهَا، وإنما كانت رضما[3]فَوْقَ الْقَامَةِ فَأَرَادُوا رَفْعَهَا وَتَسْقِيفَهَا ، وَذَلِكَ أَنّ نَفَرًا سَرَقُوا كَنْزًا لِلْكَعْبَةِ وَإِنّمَا كَانَ يَكُونُ فِي بِئْرٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ الّذِي وُجِدَ عِنْدَهُ الْكَنْزُ دُوَيْكًا مَوْلًى لِبَنِي مُلَيْحِ بْنِ عَمْرٍو مِنْ خُزَاعَةَ . قَالَ ابْنُ

---

[1] – فتح الباري شرح صحيح البخاري في شرح الحديث السابق برقم ٣٥٣٤.

[2] – صحيح – رواه البخاري (٣٥١) ، وقريب منه عند مسلم (٥١٤).

[3] – رضما من الحجارة: حجارة مرصوصة بغير ملاط (طلاء).

هِشَامٍ : فَقَطَعَتْ قُرَيْشٌ يَدَهُ . وَتُزْعِمُ قُرَيْشٌ أَنّ الّذِينَ سَرَقُوهُ وَضَعُوهُ عِنْدَ دُوَيْكٍ . وَكَانَ الْبَحْرُ قَـدْ رَمَـى بِسَـفِينَةٍ إلَى جُـدّةَ لِرَجُـلٍ مِـنْ تُجّـارِ الـرّومِ ، فَتَحَطّمَـتْ فَأَخَـذُوا خَشَـبَهَا ، فَأَعَـدّوهُ لِتَسْقِيفِهَا ، وَكَانَ بِمَكّةَ رَجُلٌ قِبْطِيّ نَجّارٌ فَتَهَيّأَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْضُ مَا يُصْلِحُهَا . وَكَانَتْ حَيّةٌ تَخْرَجُ مِنْ بِئْرِ الْكَعْبَةِ الّتِي كَانَ يُطْرَحُ فِيهَا مَا يُهْدَى لَهَا كُلّ يَوْمٍ فَتَتَشَرّقُ عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَتْ مِمّا يَهَابُونَ وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ لَا يَدْنُو مِنْهَا أَحَدٌ إلّا احْزَأَلّتْ[1] وكشّتْ[2]وَفَتَحَتْ فَاهَا ، وَكَانُوا يَهَابُونَهَا . فَبَيْنَا هِيَ ذَاتُ يَوْمٍ تَتَشَرّقُ عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ ، كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ بَعَثَ اللّهُ إلَيْهَا طَائِرًا فَاخْتَطَفَهَا ، فَذَهَبَ بِهَا؛

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : إنّا لَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللّهُ قَدْ رَضِيَ مَا أَرَدْنَا ، عِنْدَنَا عَامِلٌ رَفِيقٌ وَعِنْدَنَا خَشَبٌ وَقَدْ كَفَانَا اللّهُ الْحَيّةَ . فَلَمّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ فِي هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا ، قَامَ أَبُو وَهْبِ عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ - فَتَنَاوَلَ مِنْ الْكَعْبَةِ حَجَرًا ، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ حَتّى رَجَعَ إلَى مَوْضِعِهِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إلّا طَيّبًا ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرُ بِغَيّ وَلَا بَيْعُ رِبًا ، وَلَا مُظْلَمَةُ أَحَدٍ مِنْ النّاسِ .

ثُمّ إنّ قُرَيْشًا جَزّأَتْ الْكَعْبَةَ ، فَكَانَ شِقّ الْبَابِ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَزُهْرَةَ ، وَكَانَ مَا بَيْنَ الرّكْنِ الْأَسْوَدِ وَالرّكْنِ الْيَمَانِي لِبَنِي مَخْزُومٍ وَقَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ انْضَمّوا إلَيْهِمْ وَكَانَ ظَهْرُ الْكَعْبَةِ لِبَنِي جُمَحٍ وَسَهْمٍ ابْنَيْ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ ، وَكَانَ شِقّ الْحَجَرِ لِبَنِي عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ ، وَلِبَنِي أَسَدِ بْنِ الْعُزّى بْنِ قُصَيّ ، وَلِبَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ ، وَهُوَ الْحَطِيمُ .

ثُمّ إنّ النّاسَ هَابُوا هَدْمَهَا وَفَرِقُوا مِنْهُ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ : أَنَا أَبْدَؤُكُمْ فِي هَدْمِهَا، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ ثُمّ قَامَ عَلَيْهَا ، وَهُوَ يَقُولُ اللّهُمّ لَمْ تُرَعْ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ لَمْ نَزِغْ[3] ، اللّهُمّ إنّا لَا نُرِيدُ إلّا الْخَيْرَ . ثُمّ هَدَمَ مِنْ نَاحِيَةِ الرّكْنَيْنِ فَتَرَبّصَ النّاسُ تِلْكَ اللّيْلَةَ وَقَالُوا : نَنْظُرُ فَإِنْ أُصِيبَ لَمْ نَهْدِمْ مِنْهَا شَيْئًا وَرَدَدْنَاهَا كَمَا كَانَتْ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ فَقَدْ رَضِيَ اللّهُ صُنْعَنَا ، فَهَدَمْنَا . فَأَصْبَحَ الْوَلِيدُ مِنْ لَيْلَتِهِ غَادِيًا عَلَى عَمَلِهِ فَهَدَمَ وَهَدَمَ النّاسُ مَعَهُ حَتّى إذَا انْتَهَى الْهَدْمُ بِهِمْ إلَى

---

١ – رفعت رأسها .

٢ – كشت : صوت احتكاك جلدها ببعض.

٣ – لم نزغ: أي لم ننحرف عن دينك.

الْأَسَاسِ أَسَاسِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السّلَامُ ، أَفْضَوْا إلَى حِجَارَةٍ خُضْرٍكَالْأَسْنِمَةِ[١] آخِذٌ بَعْضُهَا بَعْضًا . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي بَعْضُ مَنْ يَرْوِي الْحَدِيثَ أَنّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، ممن كَانَ يَهْدِمُهَا ، أَدْخَلَ عَتَلَةً بَيْنَ حَجَرَيْنِ مِنْهَا لِيُقْلِعَ بِهَا أَحَدَهُمَا ، فَلَمّا تَحَرّكَ الْحَجَرُ تَنَقّضَتْ مَكّةُ بِأَسْرِهَا[٢] ، فَانْتَهَوْا عَنْ ذَلِكَ الْأَسَاسِ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

ثُمّ إنّ الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ جَمَعَتْ الْحِجَارَةَ لِبِنَائِهَا ، كُلّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ثُمّ بَنَوْهَا ، حَتّى بَلَغَ الْبُنْيَانِ مَوْضِعَ الرّكْنِ[٣] فَاخْتَصَمُوا فِيهِ كُلّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْأُخْرَى ، حَتّى تَحَاوَزُوا[٤] وَتَحَالَفُوا ، وَأَعَدّوا لِلْقِتَالِ فَقَرّبَتْ بَنُو عَبْدِ الدّارِ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا ، ثُمّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عَدِيّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ عَلَى الْمَوْتِ وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فَسُمّوا لَعَقَةَ الدّمِ . فَمَكَثَتْ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا ، ثُمّ إنّهُمْ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا.

هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا:

فَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الرّوَايَةِ أَ نّ أَبَا أُمَيّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرِ بْنِ مَخْزُومٍ، وَكَانَ عَامَئِذٍ أَسَنّ قُرَيْشٍ كُلّهَا ؛ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَفَعَلُوا . فَكَانَ أَوّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْأَمِينُ رَضِينَا ، هَذَا مُحَمّدٌ ؛ فَلَمّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَلُمّ إلَيّ ثَوْبًا ، فَأُتِيَ بِهِ فَأَخَذَ الرّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ . ثُمّ قَالَ لِتَأْخُذَ كُلّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنْ الثّوْبِ ثُمّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا ، فَفَعَلُوا : حَتّى إذَا بَلَغُوا بِهِ مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ هُوَ بِيَدِهِ ثُمّ بَنَى عَلَيْهِ .

وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين[٥] .

---

١ – الأسنمة: جمع سنام (أعلى ظهر البعير).

٢ – اهتزت وتزلزلت.

٣ – ركن الحجر الأسود.

٤ – تحاوزوا: انحاز كل فريق إلى بعضه البعض.

٥ – سيرة ابن هشام (١/١٤٤-١٤٧) ، وهذا الجزء الأخير أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (١١٣) والحاكم فى مستدركه (٤٥٨/١) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى _ وكذا أخرجه غيرهما (عن دار الحديث).

هذه رواية ابن إسحاق وقد نقل الذهبي في السيرة بسنده عن الزهري أن ذلك كان لما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحلم وأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي حكم بينهم وهو غلام ووضع الحجر بيده.

ونقل الذهبي عن عروة ومجاهد أن ذلك كان قبل البعثة بخمس عشرة سنة (أي: وسنه صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة) فالله أعلم.

دلالات وعبر:

أوشكت القبائل أن تعلن الحرب على بعضها البعض، وما أكثر ما اشتعلت الحروب لأشياء أقل من ذلك بكثير ! وقد سبق الحديث عن حرب الفجار، وإذا لم يوجد بين الناس صوت العقل والحكمة تحول الشر إلى حرائق كبري.

انظر كيف كان الشعور العام بالراحة والاطمئنان حينما كان الداخل عليهم محمد الأمين ! ..

لقد عبرت كلماتهم أصدق تعبير: هذا الأمين رضينا هذا محمد.

وقد صدقت فراستهم وتم لهم أملهم في حل عبقري لم يهتد إليه أحد .. حل حكيم يقدمه الأمين محمد(صلى الله عليه وسلم) يراعي فيه كل العوامل والأعراف والنعرات القبلية، وينزع به فتيل الأزمة.

حل يقدمه النبي صلى الله عليه وسلم قبل مجيء الوحي إليه ، مما يعني كمال هذه النفس الذكية وكمال العقل، وحفظ الله له وعنايته به حتى صار مستوى الكمال البشري عنده يؤهله لتلقي الوحي الملكي والرسول الإلهي إليه.

معنى آخر هو: كلمة الأمين حينما تلتصق بشخص، وتطلقها عليه كل قبائل قريش مع ما بينهم من الاختلافات.

وكلمة الأمين، وفي روايات (الصادق الأمين) كلمة وصف شامل ؛فالأمانة تشمل أمانة الكلمة وأمانة الأفعال وأمانة الحكم وأمانة المسئولية.. إنها وصف في الشخص يجعل كل من يتعامل معه يطمئن تمام الاطمئنان إلى حديثه ونزاهته وكماله وحسن تصرفه.. فاللهم صل وسلم وبارك على النبي الأمين محمد وعلى آله أجمعين.

معلومات حول بناء البيت العتيق(الكعبة المشرفة):

١- هذا ملخص لفصل عقده الإمام ابن كثير في البداية والنهاية صحح فيه وضعَّف الروايات، وخلص إلى ما ترجح لديه، وهو حجة في علم الحديث وعلم الرجال.

٢- الصحيح ما ثبت في الصحيحين أن أول بيت وضع للناس هو المسجد الحرام، وبعده بني المسجد الأقصى وبينهما أربعون سنة، وقد تأكد أن يعقوب عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى فيكون إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الحرام.

٣- ذكر ابن كثير أن ما ورد عن بنائه زمن آدم عليه السلام هو من الإسرائيليات ولا يصح، ويعارض ظاهر القرآن.

٤- رواية البيهقي عن عبد الله بن عمرو قال: وكان البيت قبل الأرض بألفي سنة قال عنها ابن كثير: وهذا غريب جدًا ، واحتمل أنها من الإسرائيليات.

ورواية ثانية للبيهقي مرفوعة إلى النبي(صلى الله عليه وسلم) بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا لي بيتا، قال ابن كثير تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف.

٥- رواية عن محمد بن كعب القرظي قال: حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا: بر نسكك يا آدم ،لقد حججنا قبلك بألفي سنة.

ورواية عن عروة بن الزبير أنه قال ما من نبى إلا وقد حج البيت ،إلا ما كان من هود وصالح.
قال ابن كثير: قد قدمنا حجهما إليه (هود وصالح) ثم قال: والمقصود الحج إلى محله وبقعته وإن لم يكن هناك بناء.

٦- يستنتج ابن كثير من الروايات السابقة مع إضافة رواية الصحيحين عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض" – يستنتج أن هذه البقعة كانت مُعظَّمة قبل

ذلك معتنى بها، مشرقة في سائر الإعصار والأوقات.. لكن إبراهيم أول من بناه مبتدئًا،وأول من أسسه.

<u>عدد مرات بناء البيت:</u>

رواية البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يضعفها ابن كثير:

١- أن إبراهيم أول من بناه.
٢- فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته العمالقة.
٣- ثم انهدم، فبنته جرهم.
٤- ثم انهدم، فبنته قريش (البناء الذي شارك فيه النبي صلى الله عليه وسلم).

<u>بناء البيت بعد قريش:</u>

٨٩- <u>في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها:</u>

أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لها:

" ألم ترَ أن قومك قصُرت بهم النفقة[1]، ولولا حدثان قومك بكفر [2] لنقضت الكعبة وجلعت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وأدخلت فيها الحجر [3].

فلما تولي ابن الزبير إمرة مكة والمدينة وبويع فيهما بالخلافة، بنالكعبة علي ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت في غاية الحسن والبهاء كاملة علي قواعد إبراهيم فيكون هذا هو البناء الخامس.

ولما كانت الحرب بين بني أمية وبين ابن الزبير وقتله الحجاج بن يوسف.. أمر عبد الملك بن مروان بهدم البيت وإعادته إلى ما كان عليه (أي الحِجْر خارج البيت) واعتقدوا أن ابن الزبير فعل ذلك من تلقاء نفسه، وكان هذا هو البناء السادس وكان هذا آخر بناء، لأن الخليفة المهدي أو المنصور أراد أن يعيد الكعبة إلى بناء عبد الله بن الزبير لكن الإمام مالك قال له: إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة .. فتَرَكَها على ما هي عليه فهي إلى الآن كذلك.

---

١ – لم يجدوا ما يكفي من النفقة من المال الحلال الذي ليس فيه بيع ربا ولا مهر بغي ولا مظلمة.

٢ – لم يمض إلا زمن قليل بين تحولهم من الكفر إلى الإسلام.

(٣) – أي حجر إسماعيل.

هذا ملخص عن البداية والنهاية لابن كثير.

الباب الثالث:

من البعثة إلى الجهر بالدعوة:

الفصل الأول:

الوحي يتنزل بالرسالة الأكمل،

على النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم:

أفضل ما يروى عن هذا الحدَث الجَلَل - الذي سعدت فيه البشرية بخبر السماء يتنزل إلى الأرض في أي ساعة من ليل أو نهار، ويوجه حركة الحياة بكلام من عند الله هو أشرف شيء بين أيدينا في هذا الوجود - أفضل ما يروى هو حديث البخاري الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها .. ويكون بعده شروح وحقائق وروايات:

٩٠- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ:

(أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ.

قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ.

قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[١] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ.

قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ.

فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ "

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ:

لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي[٢] فَقَالَتْ خَدِيجَةُ:

---

[١] – أراد: ضمني وعصرني ، والغط هو حبس النفس.

[٢] – الْخَشْيَة الْمَذْكُورَة اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْمُرَاد بِهَا فقيل خشى الْجُنُون وَأَنْ يَكُون مَا رَآهُ مِنْ جِنْس الْكَهَانَة ، جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي عِدَّة طُرُق ، وَأَبْطَلَهُ أَبُو بَكْر بْن الْعَرَبِيّ وَحُقّ لَهُ أَنْ يُبْطِل ، لَكِنْ حَمَلَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ لَهُ قَبْل حُصُول الْعِلْم الضَّرُورِيّ لَهُ أَنَّ الَّذِي جَاءَهُ مَلَك وَأَنَّهُ مِنْ عِنْد اللَّه تَعَالَى .(فتح الباري).

كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[1] وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ .

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:

هَذَا النَّامُوسُ[2] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا[3] لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ (بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ إِلَى قَوْلِهِ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ)[4]

<u>شروح وروايات وحقائق حول نزول الوحي:</u>

---

[1] – (تحمل الكَلّ) الكل هو من لا يستطيع أن يعيش مستقلا بأمره ولا يقوم بحاجيات نفسه.

[2] –َ الْمُرَاد بِالنَّامُوسِ هُنَا جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام . وَقَوْله " عَلَى مُوسَى " وَلَمْ يَقُلْ عَلَى عِيسَى مَعَ كَوْنه نَصْرَانِيًّا ؛ لِأَنَّ كِتَاب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام مُشْتَمِل عَلَى أَكْثَر الْأَحْكَام ، بِخِلَافِ عِيسَى . وَكَذَلِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[3] – الجَذَع: هُوَ الصَّغِير مِنْ الْبَهَائِم ، كَأَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ يَكُون عِنْد ظُهُور الدُّعَاء إِلَى الْإِسْلَام شَابًّا لِيَكُونَ أَمْكَنَ لِنَصْرِهِ.

[4] – البخاري كتاب بدء الوحي برقم ٣ وكتاب التعبير برقم ٦٤٦٧ حديث صحيح.

أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحي، الرؤيا الصالحة، وقد استمرت هذه المرحلة ستة أشهر، وحيث إن مدة الوحي ثلاثة وعشرون عامًا فتكون الرؤيا الصالحة جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، قاله ابن حجر في (الفتح) .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى عجائب قبل بعثته:

٩١- ففي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)قال:

"إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن"[١].

٩٢- وروى البيهقي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

" كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله" وفي رواية "لقد رأيتني أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه"[٢].

وروى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد ؛حتى يحسر الثوب عنه ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله قال: فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة ،فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان[٣].

أقول أصح ما ورد في هذا الباب هو ما رواه الإمام مسلم، أما الروايتان بعده ففيهما رواة مجهولون لكن المتن يتفق في بعض أجزائه مع حديث مسلم، والروايات يقوي بعضها البعض.

٩٣-روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

بُعث رسول الله وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين ،ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة [٤].

---

١ – صحيح مسلم ٤٢٢٢ ترقيم العالمية ومسند أحمد ١٩٩١٢ ، ١٩٩٨٨

٢ – رواه البيهقي من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ١٧/٣ وفيه عباد بن عبد الله قال عنه ابن حجر في لسان الميزان : لا يعرف.

٣ – سيرة ابن هشام ٢٣٥/١ وابن كثير في البداية والنهاية ١٢/٣

٤ – رواه أحمد في مسنده برقم ٢٠٠٦ حديث صحيح رواته ثقات – تخريج موسوعة الحديث (شركة حرف).

٩٤- وروى البخاري عن ابن عباس:

قال بُعث رسول الله (صلى الله عله وسلم) وهو ابن أربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ،ثم توفي صلى الله عليه وسلم[١].

أقول : وهذا هو المشهور عند أهل العلم والسير.

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتعبد في غار حراء في كل عام شهرًا، والغالب أنه كان شهر رمضان .. والراجح أنه كان على شريعة إبراهيم عليه السلام.

وحراء جبل بمكة على بعد ثلاثة أميال منها على يسار المار إلى منى،

وكانت فترة الخلوة بغار حراء فرصة للتأمل في ملكوت الله وفي خلق السماوات والأرض، وفرصة لصفاء النفس ونقاء الروح؛لتتأهل لاستقبال الوحي الأعلى.

كان ابتداء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين كما ثبت في صحيح مسلم وعند ابن إسحاق وغيرهما.

وكان ذلك في شهر رمضان. واختلف في أي ليلة فقيل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وقيل في الواحد والعشرين وقيل في الرابع والعشرين ورجح المباركفوري في الرحيق المختوم أنها ليلة الواحد والعشرين من رمضان ١٠ أغسطس سنة ٦١٠هـ.

أول ما نزل من القرآن: هو صدر هذه السورة الكريمة " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)" قرره ابن كثير في التفسير.

قصة ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل:

ارتحل ورقة بن نوفل إلى الشام هو وزيد بن عمرو بن نُفَيْل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش فتنصروا كلهم؛ لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلا وتخبيطا وتبديلا وتحريفا وتأويلا فأبت فطرته الدخول فيه أيضًا.

---

١ – البخاري ٣٥٦٢ وروي مسلم (٤٣٢٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وبشره الأحبار والرهبان بوجود نبي قد أزف زمانه واقترب أوانه ،فرجع يتطلب ذلك واستمر على فطرته وتوحيده، لكن اخترمته المنية قبل البعثة المحمدية .

وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما قدمنا بما كانت خديجة تنعته له وتصفه له، وما هو منطوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة، وما ظهر عليه من الدلائل والآيات، ولهذا لما وقع ما وقع، أخذت بيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاءت به إليه فوقفت به عليه وقالت: ابنَ عمِّ.. اسمع من ابن أخيك، فلما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، قال ورقة: سبوح سبوح هذا الناموس الذي أنزل على موسى.

ولم يذكر عيسى وإن كان متأخرًا بعد موسى لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام ،ونَسَخت بعضها في الصحيح من قول العلماء كما قال: (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم) وقول ورقة هذا كما قالت الجن: (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ).

ثم قال ورقة "يا ليتني فيها جذعا" أي يا ليتني أكون اليوم شابا متمكنا من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، يعني حتى أخرج معك وأنصرك، فعندها قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أَوَ مُخْرِجيَّ هُمْ ؟ " قال السهيلي: وإنما قال ذلك؛ لأن فراق الوطن شديد على النفوس، فقال "نعم إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا" أي أنصرك نصرا عزيزا أبدا.

وقوله "ثم لم ينشب ورقة أن توفي" أي توفي بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه؛فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي ونية صالحة للمستقبل[1] .

٩٥- <u>وقد قال الإمام أحمد:</u>

---

١ – البداية والنهاية (٣/ ١٠).

حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل فقال قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض،فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض[1].

٩٦- وعن جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل فقال قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس. وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث يوم القيامة أمة وحده. وسئل عن أبي طالب فقال أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها. وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب[2].

فترة الوحي:

بعد نزول الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم في حراء المرة الأولى، بصدر سورة اقرأ، شاء الله عز وجل أن ينقطع الوحي عنه (صلى الله عليه وسلم) فترة من الزمن الراجح أن هذه الفترة كانت أيامًا قلائل.

<u>وقد جاء في رواية البخاري السابقة:</u>

" وَفَتَرَ الْوَحْيُ حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ".

وهذا يبين حكمة الله عز وجل من انقطاع الوحي هذه الفترة؛ حتى تهدأ نفس النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يشتاق للوحي ثم يحزن لتأخر نزوله مرة ثانية إلى درجة أنه يذهب كى (يتردى من رءوس شواهق الجبال).

فلما تكرر ذلك مرارًا - يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في رواية الصحيحين:

٩٧- " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ إِلَى قَوْلِهِ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ ".

إذن كانت سورة المدثر أول ما نزل بعد فترة الوحي، وهو الصحيح الراجح.

---

[1] – أحمد(٢٣٢٣١) قال ابن كثير: وهذا إسناد حسن.

[2] – رواه أبو يعلي وقال عنه ابن كثير إسناده حسن ولبعضه شواهد في الصحيح.

ومدة الفترة التي انقطع فيها الوحي كانت أياما كما جاء عن ابن عباس.
والرواية عن جابر رضي الله عنه في الصحيح أن أول ما نزل من القرآن يا أيها المدثر تُحْمَل على أن ذلك أول ما نزل بعد فترة الوحي.
وقول ابن اسحق أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة الضحى، إنما كان بعد فترة أخرى للوحي، كانت قصيرة - ذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

حدثُ الوحي وأهميته:

حدث الوحي حدثٌ فاصل في تاريخ البشر؛ لأنه يعني رسالة إلى البشر من خالق البشر، رسالة رعاية وعناية لأنه في هذه الرسالة يبين الخالق سبحانه وتعالي للبشر الطريق الأمثل طريق الهداية للبشر وهو أعلم سبحانه بما يصلحهم (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير) يبين للبشر كيف يعبدون الخالق ويشكرونه وكيف ينظمون حياتهم على الأرض بمنهج رباني لا يعتريه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إذا سار البشر على هذا المنهج كان لهم سعادة في الدنيا ونجاة في الآخرة، ومن أعرض عن المنهج فإن له معيشة ضنكًا ويحشر يوم القيامة أعمي.

أهمية الإيمان بالوحي:

إن الإيمان بحقيقة الوحي هو أساس الإيمان برسالة النبى الأمين (صلى الله عليه وسلم) وبكل ما جاء به عن ربه تبارك وتعالى، وهذا ما يفرق بين كل مذهب أو دعوى أرضية وبين شريعة منزَّلة من عند العليم الحكيم ؛ فشريعة الله هي الشريعة المحكمة التي شملت كل شئ وأحاطت بكل شيء وقوانينها منزهة عما يعتري قوانين البشر من غلبة الهوى والجوْر والخطأ والنسيان.

والإيمان بالوحي هو الذى يرد على أولئك الذين يحاولون المروق من الشريعة ؛بدعوى أن ما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) هو اجتهادات بشرية تصلح لزمن الرسالة فقط ، ويمكن أن تُعَدَّل باجتهاداتهم البشرية ، أما صادق الإيمان فهو يقول: (سمعنا وأطعنا) ويسلم بكل ما جاء به الوحي.

كيف كان مجيء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

المؤكد أن عملية اتصال أمين الوحي جبريل عليه السلام بالنبي صلىالله عليه وسلم كانت عملية شاقة مجهدة.

والمؤكد أيضا أن الوحي كان يأتي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بأشكال مختلفة نذكر روايات البخاري عن عائشة رضي الله عنها وعن ابن عباس رضي الله عنه ثم نورد ما لخصه ابن القيم في زاد المعاد:

٩٩- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[١].

١٠٠- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنْ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا.

وَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}. قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ .. {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} قَالَ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ[٢].

قال ابن القيم:

وَكَمّلَ اللّهُ لَهُ مِنْ مَرَاتِبِ الْوَحْيِ مَرَاتِبَ عَدِيدَةً:

إحْدَاهَا : الرّؤْيَا الصّادِقَةُ وَكَانَتْ مَبْدَأَ وَحْيِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إلّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصّبْحِ .

---

١ – البخاري كتاب بدء الوحي حديث رقم٢.

٢ – البخاري كتاب بدء الوحي حديث رقم ٤.

الثّانِيَةُ: مَا كَانَ يُلْقِيهِ الْمَلَكُ فِي رَوْعِهِ وَقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ كَمَا قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:
١٠١- " إنّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتّقُوا اللّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللّهِ فَإِنّ مَا عِنْدَ اللّهِ لَا يُنَالُ إلّا بِطَاعَتِهِ".

الثّالِثَةُ: أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ يَتَمَثّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُخَاطِبَهُ حَتّى يَعِيَ عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصّحَابَةُ أَحْيَانًا . الرّابِعَةُ: أَنّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَكَانَ أَشَدّهُ عَلَيْهِ فَيَتَلَبّسُ بِهِ الْمَلَكُ حَتّى إنّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشّدِيدِ الْبَرْدِ وَحَتّى إنّ رَاحِلَتَهُ لِتَبْرُك بِهِ إلَى الْأَرْضِ إذَا كَانَ رَاكِبَهَا . وَلَقَدْ جَاءَ الْوَحْيُ مَرّةً كَذَلِكَ وَفَخْذُهُ عَلَى فَخْذِ زيد بن ثابت، فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ حَتّى كَادَتْ تَرُضّهَا .

الْخَامِسَةُ: أَنّهُ يَرَى الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا فَيُوحِي إلَيْهِ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يُوحِيَهُ وَهَذَا وَقَعَ لَهُ مَرّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ اللّهُ ذَلِكَ فِي سورة [النّجْمِ] .

السّادِسَةُ: مَا أَوْحَاهُ اللّهُ وَهُوَ فَوْقَ السّمَوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرْضِ الصّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

السّابِعَةُ: كَلَامُ اللّهِ لَهُ مِنْهُ إلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ كَمَا كَلّمَ اللّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ ثَابِتَةٌ لِمُوسَى قَطْعًا بِنَصّ الْقُرْآنِ وَثُبُوتُهَا لِنَبِيّنَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هُوَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ . وَقَدْ زَادَ بَعْضُهُمْ مَرْتَبَةً ثَامِنَةً وَهِيَ تَكْلِيمُ اللّهِ لَهُ كِفَاحًا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ إنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَأَى رَبّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهِيَ مَسْأَلَةُ خِلَافٍ بَيْنَ السّلَفِ وَالْخَلَفِ وَإِنْ كَانَ جُمْهُورُ الصّحَابَةِ بَلْ كُلّهُمْ مَعَ عَائِشَةَ كَمَا حَكَاهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدّارِمِيّ إجْمَاعًا لِلصّحَابَةِ[١].

---

١ – زاد المعاد ١/ ٣٠

الفصل الثاني:

الدعوة إلى الله تعالى:

نبدأ الحديث عن قيام النبي(صلى الله عليه وسلم) بأمر الرسالة بأمر الدعوة إلى الله بتكليف من الله تعالي بعد نزول الوحي إليه (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وبنزول (يا أيها المدثر قم فأنذر).

وقبل أن نبدأ مع النبي (صلى الله عليه وسلم)رحلة الدعوة والبلاغ والكفاح والمجاهدة لنشر الإسلام.

نتكلم في هذا الفصل عن حقيقة الدعوة إلى الله تعالى، ومفهومها الذي قد يغيب عن كثير ممن يقومون بالدعوة إلي الله.

مفاهيم أساسية في الدعوة إلى الله تعالي:

أولًا : الدعوة إلى الله تعالى، من أهم وسائلها الكلمة .. الكلمة قد تكون آية من كتاب الله أو حديثا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،أو كلمة صالحة من الداعية، لكن هذه الكلمة خطيرة الأثر..إنها في جانبها الإيجابي تربي الفرد وتبني أمة، تحض على الأخلاق وتدعو إلى الجهاد، وتعرف الناس بأحكام دينهم.. هذا إذا أحسن الداعية وقام بواجب الدعوة على الوجه الصحيح.

لكن الداعية قد يخطئ الفهم ويجهل الأحكام ويتسرع في اتخاذ المواقف أو الدعوة إليها دون علم أو بصيرة أو حكمة؛ فتكون الكلمة معول هدم وربما أدت إلى كوارث وصراعات، فليحذر الداعية كل الحذر من خطر الكلمة وأهميتها.

ثانيًا: الدعوة إلى الله واجب.. قام به الرسول (صلى الله عليه وسلم)،فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وجب على الأمة الإسلامية حمل هذه الأمانة ..وتبليغها للناس قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}(1)

١٠٢- وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" (2).

---

١ – سورة يوسف

٢ – رواه البخاري ٣٢٠٢.

لكن هذا الواجب هو فرض كفاية .. يتوزع على الأمة كل فئة بنصيب هكذا:

١- عموم الأفراد الذين حظهم من العلوم الشرعية قليل يمكنهم الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة وإلى عبادة الله الواحد، دون الدخول في تفاصيل معاني القرآن والسنة وأحكام الحلال والحرام.

٢- طائفة من الأمة تكون مهمتها التفرغ للتفقه في الدين، قال تعالي: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون) وهذه الطائفة عليها مهام جسام في تبيان الحلال والحرام ،وتبيان رأي الدين في القضايا التي تهم المجتمع وتهم الناس في عبادتهم ومعاملاتهم، وتهم الأمة ككل في نظام حياتها على منهاج الشريعة الإسلامية الغراء.

ثالثًا : الدعوة إلى الله قد يتصورها البعض خطبة وعِظَة على منبر تذكر الناس بالموت وبالآخرة.. ويقتصر دور كثير من أئمة المساجد على هذا النمط.

وهذا تصور خاطئ.

لابد للداعية أن يعلم أن الدعوة لابد أن تكون منهجية لتحقيق الهدف من الدعوة.. والهدف من الدعوة كما سنفهمه من منهج النبي (صلى الله عليه وسلم)هو:

** بناء الفرد وتربيته كما كان الحال في الدعوة في العهد المكي،يتربى الفرد على معرفة الله تعالي، وقوة الإيمان والالتزام بالأخلاق الإسلامية والعبادة الصحيحة التي تؤدي إلى صلاح الفرد التزامًا وسلوكًا ومعاملات.

** بناء الدولة كما كان الحال في الدعوة في العهد المدني ويتم من خلال تعريف الناس بمنهج الإسلام كاملا شاملا في جميع نواحي الحياة في العقيدة والعبادة، في السلوك والمعاملات في البيع والشراء ، في الزواج وتكوين الأسرة..في القضاء وأحكامه.. في الجهاد وأحكامه، في نظام الحكم وقواعده (الشورى - العدل مسئولية الحاكم.. مسئولية المحكومين)..الخ.

قد يتعجب البعض هل يستطيع الداعية ذلك؟ ونقول: نعم إذا كان عالي الهمة.. وقد يستطيع بعض ذلك بحسب قدراته، وقد يتم ذلك باجتماع الجهود في نظام مؤسسي.. لكن المهم أن يعرف الناس المطلوب ويجتهدوا في القيام بالواجب قدر

الطاقة والاستطاعة،لكن الذي لا نريده هو أن تتحول الدعوة إلى الله ،إلى مجرد كلمة وعظية في مواضيع محدودة ..ثم لا خطة ولا هدف.

رابعًا:الدعوةإلى الله تكون دائما بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا معنى واسع لأن (مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا).

وهذا يعني أن الداعية يجب عليه أن يتخير الوسائل والأساليب التي تقرب الناس إلى الإسلام وترغبهم في نظامه وأحكامه، وعلى الداعية أن يتعلم علوم العصر ووسائله ليسخرها لخدمة الدعوة.

وعلى الداعية أن يتخذ دائما الأسلوب الذي يؤلف القلوب، الأسلوب السهل البعيد عن الغلو والتطرف، الأسلوب اللين الرفيق الحليم، الذي ييسر على الناس ،ولا يضيق عليهم فهذا هو أسلوب النبي(صلى الله عليه وسلم).

خامسًا: سوف نتعلم من سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في العهد المكي، خصوصًا أن الداعية لن يجد الأرض ممهدة دائما ولن يجد الفراش حريرًا، إنما قد يتعرض للتكذيب والسخرية وقد يتعرض للابتلاء والمحن.

هذه سنة الله في الدعوات، سنة عرفناها في أول حديث ذكر قصة الوحي حينما قال ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم: (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي).

وكأنه قانون سماه البعض: قانون ورقة بن نوفل، وعرفناه من آيات القرآن الكثيرة.

قال تعالى: " الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ "

قال تعالى:" وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ "

الفصل الثالث:

الدعوة إلى الإسلام في العهد المكي:

تحمل الرسول(صلى الله عليه وسلم)الأمانة العظمى، وقام ينهض بما كلفه الله به بعد أن هدأت نفسه واطمأن إلى حقيقة الوحي والرسالة،

كانت مهمة شاقة وكبيرة،

عليه أن يواجه مجتمعه بما يخالف عقيدتهم وعقائد آبائهم وما توارثوه،

عليه أن يغير وجه الدنيا.. ويحمل الناس إلى الدين الجديد؛ فيلتزموا بمبادئه ويخرجوا من عادتهم ومعاملاتهم ليدخلوا في حياة جديدة ومبادئ جديدة، وهذا صعب على الناس بالتأكيد.

مراحل الدعوة:

أولًا: الدعوة السِّرِّيَّة

تصرُّفُ الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) في الجهد الدعوى إما أن يكون بأوامر صريحة مباشرة من الله عز وجل، أو باجتهادٍ منه والوحي يراقبه ويقره عليه، ولا نستطيع أن نفرق بين مساحة الاجتهاد النبوي في الدعوة والبلاغ وبين مساحة الوحي والإلهام للنبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أننا نعلم أن كليهما حق وصدق علينا أن نؤمن به ونتبعه، ونتدبر معانية ونستخرج الحكمة والمعاني والدلالات.

البداية:

المنطقي في هذه الظروف أن يبدأ الرسول(صلى الله عليه وسلم) الدعوة سرًا، وأن يبدأها في الأقربين منه وأهل الثقة لديه. والدعوة السرية استمرت ثلاث سنوات على الراجح، ذكر ذلك ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق قال " ثم أَمر الله رسوله (صلي الله عليه وسلم) بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أُمر...".

السابقون الأولون إلى الإسلام:

إسلام خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

يفهم من حديث البخاري الطويل في نزول الوحي وذهاب خديجة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ورقة بن نوفل أنها أول من آمنت به مطلقا من الرجال والنساء.

وتأكد هذا أيضًا في هذه الروايات:

١٠٣- قال ابن إسحاق:

"وَآمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَصَدّقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنْ اللّهِ وَوَازَرَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَتْ أَوّلَ مَنْ آمَنْ بِاَللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَصَدّقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ . فَخَفّفَ اللّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ فَيُحْزِنُهُ ذَلِكَ إلّا فَرّجَ اللّهُ عَنْهُ بِهَا إذَا رَجَعَ إلَيْهَا ، تُثَبّتُهُ وَتُخَفّفُ عَلَيْهِ وَتُصَدّقُهُ وَتُهَوّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النّاسِ رَحِمَهَا اللّهُ تَعَالَى [١].

وقال موسى بن عقبة عن الزهري:

كانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسوله ،قبل أن تفرض الصلاة.

قال ابن كثير: يعني قبل الصلوات الخمس ليلة الإسراء ،فأما أصل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها[٢].

إسلام علي بن أبي طالب وإسلام أبي بكر رضي الله عنهما:

اختلفت الروايات كثيرًا في تحقيق أي الرجلين كان الأسبق إلى الإسلام، حتى إن المرء ليجد صعوبة في تحقيق أيها أرجح ؟

وهذه بعض الروايات:

رواية ابن إسحق في إسلام علي رضي الله عنه بعد خديجة بيوم:

١٠٤- قال ابن إسحاق: ثم إن عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان، فقال علي: يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى.

---

[١] – سيرة ابن هشام ١٧٤/١ والبداية والنهاية ٢٦/٣

[٢] – البداية والنهاية ٢٦/٣.

فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له يا علي إذ لم تسلم فاكتم فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه، فقال ماذا عرضت علي يا محمد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد ففعل عليّ وأسلم ،ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم عليّ إسلامه ولم يظهره[1].

<u>أنعم الله على عليٍّ (رضي الله عنه) بأن تربى عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم):</u>

١٠٥- <u>روى ابن إسحاق عن مجاهد قال:</u>

" كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللّهِ عَلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمِمّا صَنَعَ اللّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ أَنّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ : فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْعَبّاسِ عَمّهِ وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَا عَبّاسُ إنّ أَخَاك أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ فَانْطَلِقْ بِنَا إلَيْهِ فَلْنُخَفّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا ، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا ، فَنَكِلُهُمَا عَنْهُ فَقَالَ الْعَبّاسُ نَعَمْ . فَانْطَلَقَا حَتّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ إنّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفّفَ عَنْك مِنْ عِيَالِك حَتّى يَنْكَشِفَ عَنْ النّاسِ مَا هُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ إذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَال : عَقِيلًا وَطَالِبًا . فَأَخَذَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلِيّا ، فَضَمّهُ إلَيْهِ وَأَخَذَ الْعَبّاسُ جَعْفَرًا فَضَمّهُ إلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيّ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى بَعَثَهُ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيّا ، فَاتّبَعَهُ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَآمَنَ بِهِ وَصَدّقَهُ"[2].

روي ابن جرير أن عليًا أول من أسلم، وعن الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين وعن ابن إسحاق قال: أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلي معه وصدقه علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام.

وروى الواقدي بسنده عن مجاهد قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين.

---

١ – سيرة ابن هشام ١٧٨/١ والبداية والنهاية ٢٦/٣–٢٧

٢ – سيرة ابن هشام ١٧٨/١ والرواية صحيحة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهما من رجال البخاري .

وقال محمد بن كعب: أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي وأسلم عليّ قبل أبي بكر .. وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام، وكان علي يكتم إيمانه خوفًا من أبيه حتى لقيه أبوه قال: أسلمت قال: نعم، قال: وازر[1]ابن عمك وانصره.

١٠٦- وفي صحيح البخاري:

"فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ[2] فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا". وهذا يوحي بأن أبا بكر أول من أسلم.

١٠٧- وفي صحيح البخاري عن عمار بن ياسر قال:

"رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ"[3]

وهذه الرواية تبين أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم قبل علي رضي الله عنه، لكن هذا ربما يُحْمَل على أن عليًا كان يكتم إسلامه، أو أن عمار بن ياسر لم يعلم بإسلامه حينئذ.

وروي الواقدي بأسانيده عن جماعة من السلف:

أن أول من أسلم أبو بكر الصديق.

وهو رأي ابن عباس(رضي الله عنه)رواه أبو بكر بن أبي شيبة.

قال ابن كثير:

وقال آخرون :أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق ،والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء، وقيل الرجال أيضًا، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب، فإنه كان صغيرًا دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت.

---

١ – كن له وزيرًاومعينًا.

٢ – صحيح أخرجه البخاري برقم (٣٣٨٨).

٣ – صحيح أخرجه البخاري برقم (٣٣٨٧).

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم، إذ كان صدرًا معظما ورئيسا في قريش مكرما وصاحب مال وداعية إلى الإسلام وكان محببا متألفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله[١].

قصة إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

١٠٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج أبو بكر رضي الله عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صديقا له في الجاهلية فلقيه فقال: يا أبا القاسم: فقدت من مجالس قومك، واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني رسول الله أدعوك إلى الله" فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الأخشبين[٢] أحد أكثر سرورًا منه بإسلام أبي بكر[٣].

١٠٩- وعن ابن إسحاق قال:

ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آبائنا؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):بلى إني رسول الله ونبيه بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله الحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والموالاة على طاعته. وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.

قال ابن كثير: وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر منكر، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله؟!ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله ،بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ولا عكم.. (عكم: أى تلبث) (أى لم يتباطأ)

---

١ – البداية والنهاية ٢٩/٣

٢ – الأخشبين : جبلان بمكة.

٣ – أخرجه الحافظ أبو الحسن الإطرابلسي – عن حياة الصحابة للكاندهلوي (٤٧/١).

١١٠- قال ابن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته ولا تردد فيه[١].

إسلام زيد بن حارثة رضي الله عنه:

١١١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : ثُمّ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَ أَوّلَ ذَكَرٍ أَسْلَمَ ، وَصَلّى بَعْدَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنْ الشّامِ بِرَقِيقٍ فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَصِيفٌ، فدخلت عليه عمته خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ يَوْمئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَهَا : اخْتَارِي يَا عَمّةُ أَيّ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ شِئْتِ فَهُوَ لَك ؛ فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ فَرَآهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَهَا ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا ، فَوَهَبَتْهُ لَهُ فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَبَنّاهُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إلَيْهِ .

وَكَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ قَدْ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَبَكَى عَلَيْهِ حِينَ فَقَدَهُ .

ثُمّ قَدِمَ عَلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي ، وَإِنْ شِئْت فَانْطَلِقْ مَعَ أَبِيك ، فَقَالَ بَلْ أُقِيمُ عِنْدَك . فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى بَعَثَهُ اللّهُ فَصَدّقَهُ وَأَسْلَمَ، وَصَلّى مَعَهُ فَلَمّا أَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ } قَالَ أَنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ[٢].

أول سبعة أو ثمانية أسلموا:

١١٢- روىالبخاري عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر[٣].

١١٣- وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

" أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد "[١].

---

١ – البداية والنهاية ٢٩/٣ والبيهقي في دلائل النبوة (١٦٤/٢).

٢ – سيرة ابن هشام ٨٨/٢–٨٩ بتصرف واختصار.

٣ – البخاري ٣٣٨٧ .

وفي فتح الباري في شرح حديث عمار:

أن الأعبد هم: بلال ، وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة مولي أبي بكر وأبو فكيهة مولي صفوان بن أمية.

وأما الخامس فيحتمل أنه شقران، ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه.

ويحتمل أنه عمار بن ياسر.

وأما المرأتان فهما: خديجة رضي الله عنها، والثانية أم أيمن بركة ،وقد ورثها رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا عن أبيه - أو سمية أم عمار.

تحقيق: أقول: في حديث ابن مسعود صهيب والمقداد زيادة على الذين ذكرهم ابن حجر في حديث عمار، وهم تسعة ، فيكون المجموع أحد عشر شخصية يرجح أنهم أول من سبقوا أو أظهروا الإسلام.

يضاف إلى ذلك:

الروايات التي ذكرت سيدنا علي أبن أبي طالب.

ويضاف أيضا: أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب وأبو رافع مولى العباس ذكر ابن حجر سبقهما إلى الإسلام فيكون المجموع ١٤ ذكروا حتى الآن:

حديث سعد بن أبي وقاص:

١١٤- روى البخاري عن سعد قال: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام[٢].

قال ابن حجر وذلك بالنسبة إلى من اطلع على إسلامه ممن سبق إسلامه. (أي: فى حدود علم سيدنا سعد).

الذين أسلموا على يدي أبي بكر:

في رواية ابن إسحاق: الزبير بن العوم وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فهؤلاء خمسة.

١١٥- وفي رواية أبي الحسن الأطرابلسي عن عائشة:

---

١ – رواه أحمد ٣٦٤٠ حديث حسن رواته ثقات إلا عصام بن أبي النجود صدوق له أوهام – تخريج موسوعة الحديث الشريف شركة حرف.

٢ – البخاري ٣٤٤٧

" ومضي أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا".

لم تذكر ابن عوف واتفقت مع أربعة في الرواية السابقة.

لكن قالت عائشة: " ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم".

فيكون المجموع تسعة أسلموا في السابقين على يدي أبي بكر ،فيهم ستة من العشرة المبشرين بالجنة بالإضافة إلى أبي بكر نفسه رضي الله عنه.

إذن فنحن أمام (٢٣) صحابيا وصحابية هم من السابقين الأوائل إلى الإسلام.

ومن السابقين أيضًا:

عدد من الصحابة ذكرهم ابن إسحاق زاد على الأربعين..سبق ذكر بعضهم ثم نذكر عددًا منهم من المشهورين أمثال:

سعيد بن زيد من العشرة المبشرين بالجنة، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر.

وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة.

وخبَّاب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود، وعمير بن أبي وقاص وعبد الله بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس وخالد بن سعيد، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة،

قال ابن اسحق:

ثم دخل الناس أرسالًا من الرجال والنساء ،حتى فشا الإسلام بمكة وتحدث به.

وقال المباركفوري في الرحيق:

ويظهر بعد التتبع والاستقراء أن عدد الموصوفين بالسبق إلى الإسلام وصل إلى مائة وثلاثين رجلًا وامرأة، ولكن لا يعرف بالضبط أنهم كلهم أسلموا قبل الجهر بالدعوة أو تأخر إسلام بعضهم إلىالجهر بها.

قصص إسلام بعض السابقين:

إسلام عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه:

١١٦- روى مسلم بسنده عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ قال:

كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ.

فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ،

فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ مَا أَنْتَ قَالَ أَنَا نَبِيٌّ فَقُلْتُ وَمَا نَبِيٌّ قَالَ أَرْسَلَنِي اللَّهُ فَقُلْتُ وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ قَالَ أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ قُلْتُ لَهُ فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا قَالَ حُرٌّ وَعَبْدٌ قَالَ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ.

فَقُلْتُ إِنِّي مُتَّبِعُكَ قَالَ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقُلْتُ مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَالُوا النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي قَالَ نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ .... "[١]

إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

١١٧- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ فَرَّا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَا يَا غُلَامُ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا قُلْتُ إِنِّي مُؤْتَمَنٌ وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ قُلْتُ نَعَمْ فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرْعُ ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ اقْلِصْ فَقَلَصَ فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَالَ إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ قَالَ فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ "[٢].

---

[١] – مسلم ١٣٧٤ باب إسلام عمرو بن عبسة.

[٢] – رواه أحمد ٤١٨٠ وأبو داود الطيالسي وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥/٣ حديث حسن رواته ثقات إلا العاصم بن بهدلة صدوق له أوهام.

إسلام خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه:

١١٨- روى البيهقى عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال:

كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديمًا، وكان أول إخوته أسلم. وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار فذكر من سعتها ما الله أعلم به، ويرى في النوم كأن آت أتاه يدفعه فيها، ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحقويه لا يقع ففزع من نومه، فقال أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له فقال أريد بك خيرا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها. فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأجياد فقال يا رسول الله يا محمد إلى ما تدعو قال أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا يبصر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لا يعبده، قال خالد فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وتغيب خالد وعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه فأُتِي به فأنَّبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه وقال والله لأمنعنك القوت فقال خالد وإن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به وانصَرَف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يُكرِمه ويكون معه"[1].

إسلام أبي ذر رضي الله عنه:

١١٩- روي البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ فَقَالَ مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ.

فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ

[1] – رواه البيهقي فى الدلائل (٤٨٠) المكتبة الشاملة ، وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥/٣ .

وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَمْسَى فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ[1] أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ قَالَ إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي.

فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ قَالَ وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِتِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ عَادَ مِنْ الْغَدِ لِمِثْلِهَا فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ"[2].

<u>وقد أورد البيهقي عن أبي ذر أنه قال:</u>

كنت ربع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع.. فلعله أيضًا أخبر بما علم، مثل عمرو بن عبسة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

إسلام ضماد الأزدي:

١٢٠- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ فَقَالَ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ.

قَالَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ.

---

[1] – وتروى (أما آن للرجل) وهما بمعنى واحد.

[2] – البخاري ٣٥٧٢

قَالَ فَقَالَ أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ فَقَالَ هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ قَالَ فَبَايَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى قَوْمِكَ قَالَ وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً فَقَالَ رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ[1].

التعليق على مرحلة الدعوية السرية:

١- حمل النبي صلى الله عليه وسلم أمانة عظمي وكلف بتبليغ الرسالة للعالمين.. للناس كافة، والحقيقة أنه فرد واحد سوف يواجه الدنيا كلها بهذه الرسالة الجديدة،يواجه عالما مليئا بالكفر، بدءا من قبيلته وصولًا إلىكل الناس.

كيف نتصور أنه يمكن لفرد أن يتصرف حيال هذا الموقف؟

هذا درس للمسلمين ،ودرس للدعاة.

الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل الرسالة وهو واحد.. بالعمل والإيمان والجهاد والصبر.. يختم حياته في حجة الوداع ومعه مائة وعشرون ألفا، طبعا الأمر يتعلق بتأييد رباني، ولكنه لا ينفك ولا ينفصل عن جهد بشري.. كلاهما ضروري للداعية، إنها دروس للدعاة في قوة العزيمة، وفي الصبر الطويل، وفي تحمل المشاق وفي الأمل الدائم في النصر والتمكين.

٢- الميدان الأول للداعية هو بيته وأقرب الناس إليه.. عليه أن يبدأ بهم، وأن يستمر معهم ، وأن يظل يتعهدهم ، فهؤلاء هم أحب الناس إليه فهم أولى بهذا الخير الذي جاء به..هذه واحدة. الثانية: أن العجز عن توصيل الدعوة إلى الزوجة والابن والصديق أمر غريب، ورغم أن الهدى من عند الله ، لكن الداعية الذي يعجز عن دعوة الأقربين، عليه أن يراجع نفسه، ويراجع أسلوبه في الدعوة ويراجع علاقته بربه الذي بيده مفاتيح القلوب.

---

[1] – مسلم (١٤٣٦) ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

٣- إن إيمان الأقربين من رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، وأبو بكر، وزيد رضي الله عنهم أجمعين، إن إيمان هؤلاء هو أقوىدليل على كمال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في شخصيته وفي صدقه، وفي أمانته ؛لأن هؤلاء يعلمون من حياته الشخصية ومن سيرته الذاتيه أدق..أدق التفاصيل، فلو كان فيه - حاشا لله - أي عيب أو نقص كان هؤلاء الأقربون أبعد الناس عن تصديقه، إذن فإيمان هؤلاء، شهادة واقعية على عظمة شخصية النبي محمد (صلىالله عليه وسلم) .

٤- أبو بكر الصديق رضي الله عنه حالة نادرة وغير متكررة وشهادات النبي(صلى الله عليه

وسلم)له كثيرة ،ويكفيه شهادة الوحي، وتزكية الله عز وجل له في كتابه العزيز.

ونحن في هذا الفصل نكتفي من أبي بكر رضي الله عنه بأمرين: الأول: أنه لم يتردد ولم يتباطأ، ولماذا وهو يثق ثقة مطلقة في صديقه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يخبره عن شيء، طالما كان عقله وقلبه يتمناه وهو أن يترك عبادة الأحجار وأدران الجاهلية، ويتجه نحو الإله الواحد خالق الكون والسماوات والأرض والإنس والجن.

الثانية: من أبي بكر هو إيمانه العملي المتفجر طاقة وحركة وعطاء، ففي اليوم الذي يؤمن فيه يذهب إلى أحبابه وأصدقائه ليؤمنوا، ويأتي بهم في اليوم التالي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)مؤمنين مبايعين.

والعجيب أن مجموعة أبي بكر هذه كانت تقريبا أعظم وأكبر وأهم مجموعة تدخل الإسلام دفعة واحدة (الزبير، وعثمان، وطلحة ، وسعد ، وعبد الرحمن) وفي الرواية الثانية عن عائشة أنه جاء في اليوم التالي ومعه عثمان بن مظعون وأبو عبيدة الجراح وأبو سلمة والأرقم.

شخصيات فذة، كان لها في صحبة الرسول(صلى الله عليه وسلم)أعظم المكانة وأكثرهم من المبشرين بالجنة، وعطاؤهم للإسلام نادر فذ متميز.

٥- دار الأرقم: علامة في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونموذج يجب أن نتوقف عنده ، وندرسه ونكرره.

الرسـول (صلى الله عليـه وسـلم) يبـدأ الطريـق طريق الـدعوة، وإبلاغ الرسـالة، وبنـاء الدولـة ..
لكن البداية هي: مجموعة من الأفراد المؤمنين بدعوته هم الذين يشاركون الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حمل الأمانة .. وإقامة البناء .

على أن هذه المجموعة نفسها بعد أن أسلمت تحتاج إلى تربية وتعليم وتكوين وبناء.

المجموعة تحتاج إلى زاد إيماني وتحتاج إلى مزيد فهم لحقائق الدين وتحتاج إلى من يحتضنها ويهتم بأمرها.. تحتاج إلى أن تكون بجوار القائد لتستمد منه الروح: روح الإيمان والعمل وروح التحمل والصبر، وروح الأمل في النصر.

هذه المجموعة تريد أن تشعر أنها تبدأ حياة جديدة ، ومجتمعًا جديدًا ،مجتمعًا فيه التكافل والتعارف والتآسي، كل يحكي لإخوانه ما تعرض له اليوم ويشرح أخبار النجاحات في تبليغ الدعوة للآخرين، ويشرح أخبار المعاناة والإيذاء الذي يتعرض له من المشركين.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتابع ذلك كله ، ويعطيهم من نفسه القدوة والأسوة، ويفيض عليهم من الأمل والثقة بنصر الله ويقرأ عليهم القرآن، وهم ينتظرون بلهفة الجديد الذي يأتي به الوحي، ويعلمون ويشعرون أن الله عز وجل مطلع عليه، ويحفظهم ويرعاهم، ويبشرهم بعاقبه الإيمان.. جنات النعيم خالدين فيها أبدًا.

هذا بعض ما كانت دار الأرقم توفره للصحابة مع النبي (صلى الله عليه وسلم)كانت الدار بناء من حجر، لكنها شاركت المسلمين الأوائل العبودية لله والتسبيح للخالق الأعظم، وسوف تكون شاهدا لهم يوم القيامة.

دار الأرقم كانت المحضن التربوي الذي تربي فيه أعظم الرجال وخير الخلق بعد الرسل، وكانت النواة للمجتمع الجديد المسلم النقي الطاهر. والذين تربوا فيها أثبتت الأيام أنهم كانوا أعمدة الدعوة وركائز الإسلام ، هم الذين فتحوا الدنيا وسادوا الأمم، ولم تلههم الدنيا بعد أن فتحت عليهم عن حقائق الرسالة ومتطلبات الأمانة، كان الواحد منهم أميرا على بلد من البلاد، أو خليفة لا يدخل إليه كبر، أو غرور، ولا تشغله المادة عن التواضع لخلق الله أو التذلل للخالق المعبود.

٦- <u>سرّية الدعوة:</u>

قد يتصور البعض أن طبيعة الرسالة وكونها من عند الله العزيز القادر على كل شيء كانت تقتضي أو تجعلنا نتوقع أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)سوف يواجه قومه علانية بالحقيقة وبالإبلاغ من أول يوم، وليكن بعد ذلك ما يكون ،وهو مطمئن أن الله سبحانه سوف يتولى حمايته، وفتح قلوب الناس لهذا الدين.

لكن الأمر يحتاج لفهم وبصيرة.

فلقد شاءت حكمة الله عز وجل أن يتعلم المسلمون من نبيهم ما يلي:

- التدرج في الخطوات وعدم الاستعجال .
- اختيار التوقيت المناسب قبل اتخاذ الخطوة القادمة.
- دراسة كل الظروف والأحوال قبل القيام بأي عمل.
- الحيطة والحذر قبل مواجهة الخصوم.
- بناء قاعدة أولية لدعوته من خلال الدعوة الفردية والدعوة السرية لأشخاص منتقين بعناية ويطمئن إلى حسن إجابتهم.
- تقدير قوته وقوة أتباعه في مواجهة قوة خصومه.

وبالإجمال اعتبار أهمية الجهد البشري والتخطيط والإعداد واستفراغ كل الجهد والطاقة قبل القول بالتوكل على الله، فالمؤمن يعمل دائما بجناحي الأخذ بالأسباب ثم التوكل علي الله.

يفهم من سرية الدعوة في المرحلة المكية الأولي، ومن اختفاء أهل الكهف في كهفهم، أن المسلم عليه أن يُبقِي على نفسه أو على أصحابه إذا غلب على ظنهم أنهم يَهلكون أو يُبادون إذا أعلنوا عن إسلامهم. وهذا الأمر في حقيقته حفاظ على الدعوة قبل الحفاظ على أشخاص الدعاة. لأن هلاك الدعاة - وهم فقط الذين يحملون الدعوة في وقت من الأوقات - يعني ضياع الدعوة.

وإن كان الحفاظ على الحياة عمومًا أمر محترم في مقياس الشرع ،خصوصًا إذا أمكن الحفاظ على الدعوة والداعية معًا.

٧- قصة إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

هذا رجل سمع بنبيٍّ يأتيه الخبر من السماء فاستشعر أهمية الأمر وخطره، فأرسل أخاه ليأتيه بالخبر، فلم يأته بمعلومات كافيه، فحمل زاده وسافر أميالًا طويلة، إلى بلد غريب

ليس له فيه إقامة ولا صاحب ولا قريب، ويعلم خطورة الأمر فلم يشأ يسأل عن النبى (صلى الله عليه وسلم) مباشرة حتى استوثق من أن عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه لن يفشى سره وأمره.

لماذا اخترت هذا النموذج للتعليق عليه:

لأنني في الحقيقة راجعت نفسي حول مقولة أن العرب كانوا أمة من الهمل لم يتعرفوا على الحضارة، وقد يفهم من مثل هذه الكلمات أنهم كانوا أناسًا سذَّجاً وبسطاء،

لكن ما رأيناه من مثل هذه الأعمال وغيرها، وما تفتقت عنه عبقريات أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة.

وإذا راجعنا سفر ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم؛ بحثًا عن الدين الحق.

إذا راجعنا كل ذلك عرفنا أننا أمام أمة عظيمة الفكر تحترم الدين، وتحترم مكارم الأخلاق، وتعيش على الفطرة السليمة لم تتلوث بفلسفات أهل الحضارة وأهل الكتب السابقة، وكانت هذه الأمة وعاء جيدًا لاستقبال وحي السماء وحمل الرسالة الخاتمة.

فرضية الصلاة:

قال ابن حجر: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قبل الإسراء يصلي قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس، من الصلوات أم لا، فقيل إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

وقال المقريزي:

١٢١- " فعندما أتى رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) الوحيُ وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت، كانت هي وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يصلون معه، وكان صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلي صلاة الضحي، وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك، قعد علي أو زيد رضي الله عنهما يرصدانه[١].

١٢٢- وعن عَفيفٍ الْكِنْديِّ قَالَ:

---

١ – إمتاع الأسماع للمقريزي.

كُنْتُ امْرَأً تَاجِرًا فَقَدِمْتُ الْحَجَّ فَأَتَيْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِأَبْتَاعَ مِنْهُ بَعْضَ التِّجَارَةِ وَكَانَ امْرَأً تَاجِرًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُ بِمِنًى إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِبَاءٍ قَرِيبٍ مِنْهُ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ فَلَمَّا رَآهَا مَالَتْ[1] يَعْنِي قَامَ يُصَلِّي قَالَ ثُمَّ خَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَامَتْ خَلْفَهُ تُصَلِّي ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ حِينَ رَاهَقَ الْحُلُمَ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ فَقَامَ مَعَهُ يُصَلِّي قَالَ فَقُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَنْ هَذَا يَا عَبَّاسُ قَالَ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنُ أَخِي قَالَ فَقُلْتُ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ قَالَ هَذِهِ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدٍ قَالَ قُلْتُ مَنْ هَذَا الْفَتَى قَالَ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ قَالَ فَقُلْتُ فَمَا هَذَا الَّذِي يَصْنَعُ قَالَ يُصَلِّي وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَمْ يَتْبَعْهُ عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَابْنُ عَمِّهِ هَذَا الْفَتَى وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيُفْتَحُ عَلَيْهِ كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ قَالَ فَكَانَ عَفِيفٌ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ – يَقُولُ: (وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ) : لَوْ كَانَ اللَّهُ رَزَقَنِي الْإِسْلَامَ يَوْمَئِذٍ فَأَكُونُ ثَالِثًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

١٢٣- وقال ابن إسحاق:

وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به ، ثم إن جبريل أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين افترضت عليه الصلاة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي؛ فانفجرت له عين من ماء زمزم فتوضأ جبريل ومحمد(عليهما السلام) ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ثم رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد أقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ثم ركع ركعتين وأربع سجدات ثم كان هو وخديجة يصليان سرًا.

قال ابن كثير: صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين، فبين له أوقات الصلوات الخمس أولها وآخرها ،فإن ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء[3].

١٢٤- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا صَلّوْا ، ذَهَبُوا فِي الشّعَابِ فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ

---

١ – فلما رآها مالت: أي مالت للغروب وقت الزوال.

٢ – رواه أحمد ١٦٩١ ورواته ثقات قاله الهيثمي في مجمع الزوائد.

٣ – ابن كثير في البداية والنهاية ٢٦/٣– ٤٠/٣.

وَسَلّمَ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكّةَ ، إذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلّونَ فَنَاكَرُوهُمْ وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتّى قَاتَلُوهُمْ فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ بَعِيرٍ[1] فَشَجّهُ فَكَانَ أَوّلَ دَمٍ أُهْرِيقَ فِي الْإِسْلَامِ .

فنخلص من هذه الروايات أن النبي(صلى الله عليه وسلم) أمر بالصلاة في الأيام الأولى من بعثته(صلى الله عليه وسلم) وصلى معه:السيدة خديجة وسيدنا علي ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه وكذلك صلى المسلمون الأوائل، واستخفوا بصلاتهم في الشعاب.

وكانت الصلاة حتى قبل الإسراء والمعراج عبارة عن ركعتين ركعتين ،في الغداة والعشي.. والرواية التي ذكرت بعد أن مالت الشمس ،قال بعض الشراح: إن العشي من الزوال إلى الغروب.

[1] – **العظم الذي على الخد.**

الباب الرابع:

الجهر بالدعوة وإبلاغ الناس جميعًا:

الفصل الأول:

الجهر بالدعوة:

ملامح المرحلة:

الانتقال بالدعوة إلى مرحلة جديدة احتمالات المواجهة فيها قائمة:

١. المعاندة من كفار قريش .
٢. تعرض المسلمين الأوائل للأذى والتعذيب.
٣. صمود الصحابة الشامخ وثباتهم في مواجهة معسكر الكفر والشرك.
٤. تعرض شخص الرسول الكريم للأذى النفسي والبدني.
٥. افتراءات المشركين على الرسالة وصاحبها(صلى الله عليه وسلم):تكذيب وسخرية واستهزاء ومجادلة بالباطل.
٦. القرآن الكريم سلاح الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مواجهة الأعداء دفاعًا وهجومًا نستطيع أن نسميه: الجهاد بالقرآن.
٧. دور القبيلة في الدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)ودور أبي طالب خصوصًا في حماية الرسول(صلى الله عليه وسلم)
٨. الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) دائم البحث عن وسائل متعددة ؛لمواجهة التحديات وللخروج من الأزمة وكسر الحصار على الدعوة.
٩. من هذه الوسائل: دعوة القبائل في موسم الحج، ورحلة الطائف والهجرة إلى الحبشة، ثم البحث عن موطن جديد للدعوة.

ولقد سقت هذه الملامح مجتمعة، قبل السرد ولم أخصص فصلًا لكل ملمح من هذه الملامح؛ لأن كل حدث تتداخل فيه هذه الملامح كليا أو جزئيا، لذا فضلت أن يكون القارئ مستوعبا لهذه الملامح قبل أن يقرأ تفاصيل الأحداث، ولا بأس أن نعلق على بعض الأحداث التي تحتاج لمزيد توضيح.

الأمر القرآني بالجهر بالدعوة:

ارتبط الجهر بالدعوة بنزول قوله تعالي :" وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " والمشهور عند الناس هو صعود الرسول صلى الله عليه وسلم علي جبل الصفا ونداء بطون قريش، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فعل غير ذلك أيضا،فهناك حديثه إلى بني عبد المطلب أخص أقربائه وعشيرته، يدعوهم إلى الإسلام.

وهناك رواية أن النبي(صلى الله عليه وسلم)جمع عددًا من أهل بيته ثلاثين فأكلوا وشربوا ،ثم أبلغهم بما أرسله الله تعالى به، وهذه هي الروايات:

١٢٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ. فَقَالُوا مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ قَالُوا مُحَمَّدٌ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ[١] أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. قَالَ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ" وَقَدْ تَبَّ"[٢].

١٢٦- وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} قَالَ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا قَالَ فَقَالَ لَهُمْ مَنْ يَضْمَنُ عَنِّي دَيْنِي[٣] وَمَوَاعِيدِي وَيَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي، فَقَالَ رَجُلٌ .لَمْ يُسَمِّهِ شَرِيكٌ .يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ كُنْتَ بَحْرًا مَنْ يَقُومُ بِهَذَا. قَالَ ثُمَّ قَالَ الْآخَرُ قَالَ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا[٤].

---

١ – سفح الجبل: أسفله. تبَّ: خسر. وقد تبَّ: هذه من الراوي (الأعمش) وليست من القرآن.

٢ – صحيح – رواه البخاري (٤٥٨٩).

٣ – من يضمن عني ديني: تحسُّبٌ من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يموت في سبيل هذا الدين.

٤ – رواه أحمد (٨٤١) ترقيم العالمية – حديث حسن رواته ثقات إلا شريك (صدوق يخطئ كثيرا) – تحقيق موسوعة حرف، وروي مثله أبن أبي حاتم في تفسيره.

١٢٧- وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فِيهِمْ رَهْطٌ كُلُّهُمْ يَأْكُلُ الْجَذَعَةَ[1] وَيَشْرَبُ الْفَرَقَ قَالَ فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا[2] مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. قَالَ وَبَقِيَ الطَّعَامُ كَمَا هُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ ثُمَّ دَعَا بِغُمَرٍ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا وَبَقِيَ الشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُمَسَّ أَوْ لَمْ يُشْرَبْ.

فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي بُعِثْتُ لَكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ بِعَامَّةٍ وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَا رَأَيْتُمْ فَأَيُّكُمْ يُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي؟ قَالَ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، قَالَ فَقَالَ اجْلِسْ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ أَقُومُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لِي اجْلِسْ.

١٢٨ – وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ[3].

١٢٩- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللَّهِ لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا[4].

حَتَّى كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِي.

ردود فعل قريش:

اختلفت ردود أفعال قريش اختلافًا كثيرًا،ولكن كانت في مجملها ردود فعل عنيفة، ومعارضة ومعاندة شرسة لدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)إلى التوحيد، ولنبدأ بهذين النموذجين العجيبين:

---

[1] – الجذعة: الصغير من البهائم. يشرب الفرق: الكثير من الشراب. فصنع لهم مُدًا:كمية قليلة من الطعام.

[2] – رواه الإمام أحمد برقم (١٣٠٠) حديث صحيح رواته ثقات.

[3] – حديث صحيح رواه مسلم ٣٠٤ – ترقيم العالمية.

[4] – حديث صحيح رواه البخاري ٣٢٦٤ – ترقيم العالمية.

- أبو لهب.
- أبو طالب.

وهما أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم وقرابته الأولى، وكلاهما مات ولم يؤمن بالرسالة.

لكن الأول اتخذ أَحَطَّ طريق وأدناه، والثاني تحمل العبء الضخم في حماية ابن أخيه في مواجهة قريش بأسرها بما تفرضه عليه كرامة الرجال والحب الفطري لابن أخيه، وبما تفرضه عليه واجبات المسئولية العامة عن أهل بيته وفصيلته بني عبد المطلب، فالحب الفطري لابن أخيه يأبى أن يتعرض لأذى من أي نوع، ومسئوليته العامة عن الفصيلة لا تقبل أن يتعرض ابن أخيه - صلى الله عليه وسلم - للقتل أو للعدوان عليه دون أن يقف بنو عبد المطلب - وهو زعيمهم - للدفاع أو الأخذ بالثأر ،حتى لو ثارت الحرب بينهم وبين قريش بأسرها.

ولذلك كان الفارق في المآل والمصير: أبو لهب مصيره قعر جهنم، وأبو طالب يُخَفَّفُ عنه العذاب يوم القيامة حتى قيل إنه أقل الناس عذابا يوم القيامة .. بسبب هذا الموقف النبيل من الرسول صلى الله عليه وسلم.

أبو لهب مصيره من اسمه: نار ذات لهب:

قد مر بنا ما قاله أبو لهب في أول رد فعل لدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)علي جبل الصفا.

١٣٠- وقد روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد الديلي - وكان جاهليا فأسلم - قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين[1] ويقول: إنه صابئ كاذب ويتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[2].

١٣١- وقال ابن إسحق:

---

١ – غديرة: ضفيرة الشعر.

٢ – رواه الإمام أحمد(١٥٤٥١) – ترقيم العالمية.

فكان ممن سُميّ لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب، وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب؛ لأنها كانت فيما بلغني، تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،حيث يمر فأنزل الله تعالى فيهما:

" تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)"[1]

١٣٢- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَذُكِرَ لِي : أَنّ أُمّ جَمِيلٍ : حَمّالَةَ الْحَطَبِ حِينَ سَمِعَتْ ما نَزَلَ فِيهَا ، وَفِي زَوْجِهَا مِنْ الْقُرْآنِ أَتَتْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ[2] مِنْ حِجَارَةٍ فَلَمّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللّهُ بِبَصَرِهَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَا تَرَى إلّا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَتْ يَا أَبَا بَكْرٍ : أَيْنَ صَاحِبُك، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنّهُ يَهْجُونِي ، وَاَللّهِ لَوْ وَجَدْته لَضَرَبْتُ بِهَذَا الْفِهْرِ فَاهُ. أَمَا وَاَللّهِ إنّي لَشَاعِرَةٌ ثُمّ قَالَتْ:

مُذَمّمًا عَصَيْنَا ... وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا...وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثُمّ انْصَرَفَتْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللّهِ أَمَا تَرَاهَا رَأَتْك ؟ فَقَالَ مَا رَأَتْنِي ، لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ بِبَصَرِهَا عَنّي[3].

أبو طالب : الرحم والرجولة، الزعامة والحكمة:

نعم كان أبو طالب كل ذلك: مراعاة للرحم التي تربطه بابن أخيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وكان رجلا شجاعا أبيا يأبى أن يتعرض أحد بسوء لابن أخيه وهو حيٌّ يمشي على الأرض.

[1] – سيرة ابن هشام (٢٤٦/١) وابن كثير في التفسير (٥٣٦/٨) والطبري (٢١٩/٣٠) عن تخريج دار الحديث.

[2] – فهر: حجارة ملء الكف.

[3] – سيرة ابن هشام ٢٤٧/١ ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، وقال ابن حجر إسناده حسن – تخريج دار الحديث.

وكان يتعامل مع قريش بحكمة توازن بين القوة في مواجهتهم، وتبيان أنه لن يتهاون في الدفاع عن ابن أخيه ويعتمد في ذلك على زعامته لبني هشام وقوة القبيلة، وحكمة أيضًا تدعوه إلى أن يلاين قريشًا، ويتلطف في معاملتهم حتى لا تصل الأمور إلى حد الأزمة.

وإذا كان هذا الموقف يجعله أقل الناس عذابا يوم القيامة.. وإذا كان كثيرون يتمنون لو لم يكن أبو طالب من أهل النار ،لكننا نقول:

إن أبا طالب لم يعبد الله عز وجل، ولم يفعل ما فعله مع النبي (صلى الله عليه وسلم) تقربا إلى الله ،وإنما لهذه العلاقة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

إذن فعدم إيمانه أوجب له النار، لكن حبه للنبي صلى الله عليه وسلم أفاده شفاعة تخفف من عذابه كثيرا، ولو تصورنا كيف أن أهل النار يتمنون شربة ماء (أن أفيضوا علينا من الماء) أو تخفيف العذاب يوما واحدا (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) ولا يُجابون لذلك.. عرفنا أن أبا طالب يُكرم كرما ربانيا عظيما، بهذا التخفيف، إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه بعض فقرات من رواية ابن هشام وابن إسحاق حذفنا منها العنعنات والأشعار:

١٣٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

فَلَمّا بَادَى رَسُولُ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بَهْ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ وَلَمْ يَرُدّوا عَلَيْهِ - فِيمَا بَلَغَنِي - حَتّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا ؛ فَلَمّا فَعَلَ ذَلِك أَعْظَمُوهُ وَنَاكَرُوهُ وَأَجْمَعُوا خِلَافَهُ وَعَدَاوَتَهُ إلّا مَنْ عَصَمَ الله تَعَالَى مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَهُمْ قَلِيلٌ مُسْتَخْفُونَ. وَحَدِبَ[1] عَلَى رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ وَمَضَى رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى أَمْرِ اللهِ مُظْهِرًا لِأَمْرِهِ لَا يَرُدّهُ عَنْهُ شَيْءٌ.

فَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ، أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَعْتِبُهُمْ مِنْ شَيْءٍ[2] أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَرَأَوْا أَنّ عَمّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدِبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُونَهُ فَلَمْ يُسْلِمْهُ لَهُمْ مَشَى رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إلَى أَبِي طَالِبٍ - (ذكرهم ابن اسحاق وابن هشام) - فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ إنّ ابْنَ أَخِيك قَدْ سَبّ آلِهَتَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَسَفّهُ أَحْلَامَنَا ، وَضَلّلَ آبَاءَنَا ؛ فَإِمّا أَنْ

---

١ – حدب: عطف عليه وقام على حمايته.

٢ – لا يعتبهم في شيء: لا يقبل عتابهم ويجيبهم إلى مطالبهم.

تَكُفّهُ عَنّا ، وَإِمّا أَنّ تُخِلّي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَإِنّك عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَنَكْفِيكَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا ، وَرَدّهُمْ رَدّا جَمِيلًا ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ يُظْهِرُ دِينَ اللّهِ وَيَدْعُو إلَيْهِ ثُمّ شَرِيَ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ[١] حَتّى تَبَاعَدَ الرّجَالُ وَتَضَاغَنُوا ، وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْنَهَا ، فَتَذَامَرُوا[٢] فِيهِ وَحَضّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ثُمّ إنّهُمْ مَشَوْا إلَى أَبِي طَالِبٍ مَرّةً أُخْرَى ، فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا طَالِبٍ إنّ لَك سِنّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا ، وَإِنّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيك فَلَمْ تَنْهَهُ عَنّا ، وَإِنّا وَاَللّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا ، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا ، حَتّى تَكُفّهُ عَنّا ، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيّاكَ فِي ذَلِكَ حَتّى يَهْلِكَ أَحَدُ الفريقين أو كما قَالُوا لَهُ.

(ثُمّ) انْصَرَفُوا عَنْهُ فَعَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُول اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَهُمْ وَلَا خِذْلَانِهِ[٣].

١٣٤- <u>وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:</u>

وَحَدّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنّهُ حُدّثَ أَنّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بَعَثَ إلَى رَسُولِ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ أَخِي ، إنّ قَوْمَك قَدْ جَاءُونِي ، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ فَأَبْقِ عَلَيّ وَعَلَى نَفْسِك ، وَلَا تُحَمّلْنِي مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ.

قَالَ فَظَنّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَدْ بَدَا لِعَمّهِ فِيهِ بَدَاءٌ أَنّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ وَأَنّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ . قَالَ فَقَالَ رَسُول اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَا عَمّ، وَاَللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ قَالَ ثُمّ اسْتَعْبَرَ[٤] رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَبَكَى ثُمّ قَامَ فَلَمّا وَلّى

---

١ – كثر واستفحل.

٢ – زاد غضبهم وتحريضهم عليه.

٣ – سيرة ابن هشام ١/١٨٥ –١٨٦ ط دار الحديث، والرواية ذكرها هكذا ابن هشام عن ابن اسحق ولم ينسبها ابن اسحق إلى أحد فلا سبيل إلى تحقيقها.

٤ – استعبر:بكى...نزلت منه عبرات.

نَـادَاهُ أَبُـو طَالِـبٍ فَقَـالَ أَقْبِـلْ يَـا ابْـنَ أَخِي ، قَـالَ فَأَقْبَـلَ عَلَيْـهِ رَسُـولُ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ فَقَالَ اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاَللّهِ لَا أُسْلِمُك لِشَيْءٍ أَبَدًا[1].

١٣٥-روى ابن كثير:

أن قريشًا جاءت إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا.

فقال: يا عقيل انطلق فأتني بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كنس - أو قال خنس - يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم فحلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ببصره إلى السماء.

فقال: " ترون هذه الشمس ؟ " قالوا نعم ! قال: " فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة ".

فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا[2].

محاولة للمبادلة:

١٣٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

ثُمّ إنّ قُرَيْشًا حَيْن عَرَفُوا أَنّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خِذْلَانَ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَإِسْلَامَهُ وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ مَشَوْا إلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالُوا لَهُ - فِيمَا بَلَغَنِي - يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بن الوليد ، أَنهدُ[3] فَتَـىً فِى قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ فَخُذْهُ فَلَك عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ وَاتّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَك ، وَأَسْلِمْ إلَيْنَا ابْنَ أَخِيك هَذَا ، الّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَك وَدِينَ آبَائِك ، وَفَرّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِك ، وَسَفّهُ أَحْلَامَهُمْ فَنَقْتُلَهُ فَإِنّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلِ.

---

[1] – هذه الرواية ضعفها الألباني لكن قال إن للحديث طرقا أخرى بسند حسن.

[2] – قال ابن كثير : رواه البخاري في التاريخ عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير.
ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به – وهذا لفظه.

[3] – أنهد فتى: اشد وأقوى فتى.

فَقَالَ وَاَللّهِ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي أَتُعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ هَذَا وَاَللّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا . قَالَ فَقَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ : وَاَللّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَك قَوْمُك ، وَجَهَدُوا عَلَى التّخَلّصِ مِمّا تَكْرَهُهُ فَمَا أَرَاك تُرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا؛ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِلْمُطْعِمِ وَاَللّهِ مَا أَنْصَفُونِي ، وَلَكِنّك قَدْ أَجْمَعْتَ خِذْلَانِي وَمُظَاهَرَةَ الْقَوْمِ عَلَيّ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَحَقَبَ الْأَمْرُ[1] وَحَمِيَتْ الْحَرْبُ وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ[2] وَبَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا[3].

قريش تتحالف ضد أبي طالب، و أبو طالب يستنفر بني هشام:

١٣٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

ثُمّ إنّ قُرَيْشًا تَذَامَرُوا بَيْنَهُمْ عَلَى مَنْ فِي الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رسول الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ فَوَثَبَتْ كُلّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُعَذّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَمَنَعَ اللّهُ رَسُولَهُ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمْ بِعَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ حِينَ رَأَى قُرَيْشًا يَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ فَدَعَاهُمْ إلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْقِيَامِ دُونَهُ فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ . وَقَامُوا مَعَهُ وَأَجَابُوهُ إلَى مَا دَعَاهُمْ إلَيْهِ إلّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ عَدُوّ اللّهِ الْمَلْعُونِ.

فَلَمّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرّهُ فِي جَهْدِهِمْ مَعَهُ وَحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ وَيَذْكُرُ قَدِيمَهُمْ وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهِمْ وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ لِيَشُدّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ وَلِيَحْدَبُوا[4] مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ[5].

---

١ – حقب الأمر: اشتدت الأزمة

٢ – عادى بعضهم بعض ، ونبذوا العهود.

٣ – سيرة ابن هشام ١٨٧/١.

٤ – الحدب: العطف والرعاية.

٥ – سيرة ابن هشام ١٨٨/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٥٠–٥١.

الاحتماء بالقبيلة غير المسلمة:

كانت حماية أبي طالب ومعه بنو هاشم للنبي (صلى الله عليه وسلم)حقيقة واقعة، وكانت من تقدير الله عز وجل لنبيه(صلى الله عليه وسلم) وكانت لها دلالات مهمة في التطبيقات العصرية:

- جواز أن يحتمي المسلم بغير المسلم.
- الاستفادة من كل معطيات الحياة من أجل الحفاظ على الدعوة والداعية ،فكما يحتمي الإنسان بحصن أو جبل أو غار ،يحتمي أيضا بالبشر الذين يطمئن إلى إخلاصهم وصدقهم.
- كانت حماية القبيلة للنبي صلى الله عليه وسلم مرجعها إلى الحَمِيَّة القَبَلِيَّة نعم، ولكن هذه الحمية ما كانت لتتجلى لولا أن النبي (صلىالله عليه وسلم)كان وصولًا للرحم ، تربطه بأقاربه أفضل العلاقات ولولا ذلك ما تحمسوا له.
- وكانت هذه الحماية من القبيلة - رغم أنها مشركة في الغالب – بسبب وجود قناعة داخلية بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ،بل وأكثر من ذلك، قناعة بعظمة المبادئ التي يدعو إليها، وبمكارم الأخلاق، بل وأكثر وأكثر من ذلك.. ربما كانت هذه الدعوة مثار فخر لهذه القبيلة واعتزاز!! ألم يكن عناد أبي جهل بسبب حقده على تميز هذه القبيلة أو البطن من القبيلة، بهذه المزية، حين قال: "تنافسنا نحن وبنو عبد مناف الشرف... وفي آخره يقول حتى قالوا: "منا نبي يأتيه الوحي من السماء" فمتى ندرك هذه ؟ ".

- في التطبيقات العصرية: احتمى كثير من أفراد الحركات الإسلامية المعرضين للقتل والتعذيب والسجن في بلادهم بالبلاد الأوروبية غير المسلمة، وقد قبلت تلك البلاد حماية هؤلاء، وكان الواجب على هؤلاء المسلمين أن يحفظوا لهم هذا الصنيع، كما حفظه رسول الله صلىالله عليه وسلم لأبي طالب ولبني هاشم، حين نهى عن قتلهم في معركة بدر كما سيأتي .. وكان الواجب عليهم أن يكونوا عناصر تنمية واستقرار لهذه البلاد، وقد فعل ذلك كثير منهم، لكن العجيب هو ذاك الفصيل الذي اعتبر

تلك البلاد دار كفر ودار حرب، أما كونها دار كفر فتلك حريتهم الدينية و (لكم دينكم ولي دين)، أما كونها دار حرب فهو العجيب أن تسمي الدار التي يحتمي بها المسلم دار حرب تجري عليها أحكام دار الحرب، وإذا قال قائل: إنها بلاد تدعم إسرائيل فلتكن معارضتك لذلك بوسائل سلمية ومقبولة لدى تلك الدولة، وهم لا يمانعون في ذلك ، ولا يكون الرد أبدا بتفجير القنابل وسط الآمنين.

متابعة ردود فعل قريش:

أبو جهل: الطاغية الأشد جرمًا:

أبو جهل: الحكم بن هشام هو قاتل ياسر وسمية رضي الله عنهما، أول شهيدين في الإسلام قتلهما بأبشع وسائل التعذيب المتواصل .. وكانت له محاولات لقتل النبي(صلى الله عليه وسلم) لكن الله عصمه منها.

١٣٨- روىالبخاري وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ[1].

١٣٩- وروىأحمد ومسلم والنسائي وغيرهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ. قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا[2].

قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ - (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) .يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ .(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ

---

[1] – البخاري ٤٥٧٦ وأحمد٢١١٥ – ترقيم العالمية.

[2] – أحمد ٨٤٧٥ ومسلم ٥٠٠٥ – ترقيم العالمية.

يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ) وَزَادَ ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ: يَعْنِي قَوْمَهُ.

١٤٠- وروى البيهقي: عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب قال:

كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل لعنه الله فقال إن لِلَّه عليَّ إن رأيت محمدا ساجدا أن أطأ على رقبته. فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ؛ فخرج غضبانا حتى جاء المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط[١] فقلت هذا يوم شر فاتزرت[٢] ثم اتبعته فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) فلما بلغ شأن أبي جهل (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى).

فقال إنسان لأبي جهل يا أبا الحكم هذا محمد فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى والله لقد سد أفق السماء علي فلما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)آخر السورة سجد[٣].

١٤١- وقال محمد بن إسحاق: حدثني رجل من أهل مصر قديما -منذ بضع وأربعين سنة- عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

فَلَمّا قَامَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّ مُحَمّدًا قَدْ أَبَى إلّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْبِ دِينِنَا ، وَشَتْمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا ، وَشَتْمِ آلْهِتَنَا ، وَإِنّي أُعَاهِدُ اللّهَ لَأَجْلِسَنّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْلِمُونِي عِنْدَ ذَلِكَ أَوْ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعْ بَعْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مَا بَدَا لَهُمْ قَالُوا : وَاَللّهِ لَا نُسْلِمُك لِشَيْءٍ أَبَدًا ، فَامْضِ لِمَا تُرِيدُ .

فَلَمّا أَصْبَحَ أَبُو جَهْلٍ أَخَذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ثُمّ جَلَسَ لِرَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - يَنْتَظِرُهُ وَغَدَا رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - كَمَا كَانَ يَغْدُو . وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّه

---

١ – خرج من بيته فاقتحم الحائط بدلًا من الدخول من الباب استعجالًا للأمر.

٢ – فاتزرت: لبست الإزار ، وهو الثوب يلف على الوسط والعورة.

٣ – البيهقي في السنن وابن كثير في البداية والنهاية ٤٦/٣ .

عَلَيْهِ وَسَلّم - بِمَكّةَ وَقِبْلَتُهُ إلَى الشّامِ ، فَكَانَ إذَا صَلّى صَلّى بَيْنَ الركنين الرّكْنِ الْيَمَانِيّ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشّامِ ، فَقَامَ رَسُولُ الله - صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم - يُصَلّي وَقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ فَجَلَسُوا فِي أَنْدِيَتِهِمْ يَنْتَظِرُونَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ.

فَلَمّا سَجَدَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم - احْتَمَلَ أَبُو جَهْلٍ الْحَجَرَ ، ثُمّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتّى إذَا دَنَا مِنْهُ رَجَعَ مُنْهَزِمًا مُنْتَقِعًا[1] لَوْنُهُ مَرْعُوبًا قَدْ يَبِسَتْ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتّى قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدِهِ . وَقَامَتْ إلَيْهِ رِجَالُ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ مَا لَك يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ قُمْتُ إلَيْهِ لِأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ فَلَمّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مِنْ الْإِبِلِ لَا وَاَللّهِ مَا رَأَيْت مِثْلَ هَامَتِهِ[2] وَلَا مِثْلَ قَصَرَتِهِ[3] وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطّ ، فَهَمّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَذُكِرَ لِي أَنّ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم - قَالَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السّلَامُ - لَوْ دَنَا لَأَخَذَه[4] .

الطاغية يستعجل العذاب:

١٤٢- عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال:

قَالَ أَبُو جَهْلٍ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَنَزَلَتْ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... الْآيَةَ[5].

وهذه سخرية أبي جهل بالزقوم أعاذنا الله منها:

١٤٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

وَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ بِشَجَرَةِ الزَّقُّومِ، هَاتُوا تَمْرًا وَزُبْدًا فَتَزَقَّمُوا[6].

---

١ – ممتقعا لونه: تغير اللون من فزع أو حزن أو مرض.

٢ – هامته: رأسه.

٣ – قصرته: أعلى الجمل.

٤ – سيرة ابن هشام ٢٠٩/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٤٦/٣ والبيهقي في الدلائل ١٩١/٢ وفيه شيخ مجهول. أقول: راجعت رواته كلهم ثقات إلا إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال عنه ابن حجر: ضعيف وقال في التقريب متروك.

٥ – البخاري ٤٢٨١– ٤٢٨٢– ترقيم العالمية.

٦ – مسند أحمد – جزء من حديث صحيح رواته ثقات برقم ٣٣٦٥ – ترقيم العالمية.

الطاغية يتمادى في إيذاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) :

١٤٤- روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَنَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وَنُحِرَتْ جَزُورٌ بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ فَأَرْسَلُوا فَجَاءُوا مِنْ سَلَاهَا[٢] وَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ. فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَلْقَتْهُ عَنْهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، لِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ[٣] قَتْلَى.[٤] قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ وَنَسِيتُ السَّابِعَ.

وروایة مسلم فیها بعض التفصیل:

١٤٥- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:

بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ

---

١ – هو ابن مسعود رضي الله عنه.

٢ – سلا الجزور : غشاء يخرج مع الجنين.

٣ – قليب بدر: بئر جافة ألقي فيها قتلى المشركين.

٤ – صحيح، أخرجه البخاري برقم ٢٧١٧. ترقيم العالمية.

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضِّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ.

فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ غَلَطٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ[1].

---

[1] – رواه مسلم برقم ٣٣٤٩ ترقيم العالمية.

الفصل الثانى:

فتنة التعذيب ونماذج الصمود:

الإيمان ليس كلمة تقال باللسان وكفى....

إنما لابد أن يصحب الإيمان عمل: عبادة وسلوك ومعاملات ، ليس هذا فقط إنما على المؤمن أن يجتاز امتحان الصدق في الإيمان ، وهو امتحان وابتلاء من الله شديد:

* ليتميز الصادق من الكاذب.

* وليعلم المؤمن أن هذا طريق تضحيات.

* وليعلم الناس أن طريق الإيمان ليس فيه مغانم دنيوية.

* وليثبت الذين عرفوا حقيقة الإيمان: إنه بيعة مع الله عز وجل نقدم فيها النفس والمال (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم).

* ولأن الثابت على فتنة التعذيب النفسي والبدني يعلم أن الجزاء من عند الله وافر عظيم، وأن موعود الله عز وجل بالجنة للمؤمنين الصادقين جائزة تستحق أن نضحي في سبيلها بالغالي والنفيس .

* ولأن الداعية لابد أن يوطن نفسه على الصبر.. صبر جميل طويل: صبر على طول الطريق.. وصبر على الناس ؛حتى يهتدوا إلى الحق، وصبر علىالدعوة؛ حتى تستقر في النفوس، وصبر على قضاء الله وقدره، فكل قضائه سبحانه خير وحكمة.

* ولأن الداعية واثق بنصر الله وإن تأخر، واثق بأن الحق سوف يعلو ويزيل الباطل من طريقه.

وقد شاءت حكمة الله عز وجل أن يقدم الرسول(صلى الله عليه وسلم)النموذج الأعلى في الصبر والثبات، وفي تحمل الأذى والتكذيب والاستهزاء والافتراءات رغم أنه صلى الله عليه وسلم هو الكريم الحبيب إلى ربه، لو شاء لأخضع له الدنيا بأسرها في لحظة، لكن الرسل جاءت لتقدم للناس القدوة والأسوة.

وقد تحمل الإيذاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم كوكبة من صحابته الكرام الذين تربوا في مدرسة النبوة، ومدرسة العقيدة والأخلاق، مدرسة الصبر والتحمل والثبات، فكانوا مشاعل هادية ونماذج عالية، وبهم فتحت الدنيا وتعلمت منهم حقائق الإسلام - رضي الله عنهم أجمعين.

اعتداء عقبة بن أبي معيط على الرسول (صلى الله عليه وسلم):

عقبة هذا المجرم هو الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند البيت الحرام، بأمر من أبي جهل ، كما مر معنا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، هذا المجرم اعتدى على الرسول صلى الله عليه وسلم مرة ثانية:

١٤٧- روى البخاري عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ:

سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ[1].

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح حاله في مكة بين الإيذاء والجوع والتخويف:

١٤٨- عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ.

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ حِينَ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَارِبًا مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ بِلَالٌ إِنَّمَا كَانَ مَعَ بِلَالٍ مِنْ الطَّعَامِ مَا يَحْمِلُهُ تَحْتَ إِبْطِهِ[2].

ولعل النبي (صلى الله عليه وسلم) كان في رحلة دعوة إلى الله خارج مكة، ومعه بلال وهما يستخفيان من قريش، والرحلة كانت طويلة نحو شهر،والزاد قليل والأعداء متربصون

---

[1] – صحيح رواه البخاري برقم ٣٤٠٢ – ترقيم العالمية ، وفي مواضع أخرى

[2] – حديث صحيح رواه الترمذي ٢٣٩٦ وقال حسن صحيح، وأحمد في مسنده ١١٧٦٧ ورواته ثقات، ترقيم العالمية.، معني. أُخِفت في الله أي هددت وتعرضت للتخويف وذلك من أجل دين الله. ما يخاف أحد : أي لا يهدد أحد مثل هذا التهديد والتخويف.

ويربالشراح أن هذه الرحلة ربما كانت إلى الطائف، أو غيرها لكنها لم تكن رحلة الهجرة إلى المدينة ؛لأن بلالا رضي الله عنه لم يكن مع النبي صلي الله عليه وسلم في الهجرة.

أبو بكر يقوم خطيبًا، ويتعرض للضرب حتى الإغماء:

١٤٩- عن عائشة قالت:

لما اجتمع أصحاب النبي(صلى الله عليه وسلم) وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور، فقال يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته. وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم . وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربا شديدا ووطئ أبو بكر[١] وضرب ضربا شديدا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين[٢] ويحرفهما لوجهه ونزا على بطن[٣] أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعادون فأَجْلَتْ المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه[٤] ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه فلما خلت به أَلَحَّتْ عليه وجعل يقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله مالي علم بصاحبك فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ،قالت نعم.

---

١ – وطئ أبو بكر: داسوه وركبوه.

٢ – مخصوفتين: من طبقتين مخيطتين بالمخصف.

٣ – نزا علي بطنه: وثب على بطنه.

٤ – عذلوه : خاصموه.

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنِفًا[1] فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت هذه أمك تسمع قال فلا شيء عليك منها، قالت سالم صالح، قال أين هو قالت في دار ابن الأرقم قال فان لله علي أن لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأَمْهَلَتَا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت[2].

وهذه رواية ابن كثير في البداية والنهاية.

<u>وفي رواية الحافظ أبي الحسن الإطرابلسي زيادة :</u>

وأقاموا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شهرًا وهم تسعة وثلاثون رجلا، وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم يوم ضُرب أبو بكر رضي الله عنه.

<u>دلالات وعظات:</u>

هذا أبو بكر رضي الله عنه ضُرب حتى ظن أهله أنه ميت من شدة الضرب..لكنه حين أفاق: يسأل: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ويرسل إلى أم جميل بنت الخطاب وهو يثق بإسلامها وكتمانها وحسن تصرفها؛ ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم جميل تتصرف بحكمة كأحسن ما يكون التصرف، ثم في النهاية أبو بكر في حالته هذه يهتم أن يستنقذ أمه من النار، فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لها.

<u>خباب يتعلم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) درسًا:</u>

١٥٠- <u>عن خَبَّاب بن الأرت رضي الله عنه قال:</u>

---

١ – دنف: مشرف على الموت.

٢ – رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٢/٣ ، وفي حياة الصحابة عن الحافظ أبي الحسن الإطرابلسي ٢١٨/١ ط دار الفجر.

أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ؟

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ - زَادَ بَيَانٌ: وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ[1].

أما الدرس ، فملخصه الصبر الطويل .. والثقة بنصر الله مهما اشتدت المحنة.

نموذج مما تعرض له خباب رضي الله عنه من الأذى:

١٥١- عن الشعبي قال:

دخل خباب بن الأرت على عمر رضي الله عنه فأجلسه على متكئه وقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد قال خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال، فقال خباب: ما هو بأحق مني، إن بلالًا كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني ، فلقد رأيتني يوما أخذوني فأوقدوا لي نارًا ثم سلقوني فيها ثم وضع رجلٌ رجله على صدري، فما اتقيت الأرض إلا بظهري، ثم كشف عن ظهره ، فإذا هو قد برص[2].

١٥٢- وعن أبي نعيم في الحلية عن الشعبي قال:

سأل عمر رضي الله عنه بلالًا عما لقي من المشركين فقال خباب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فقال عمر:ما رأيت كاليوم، قال أَوقَدوا لي نارًا فما أطفأها إلا وَدَك ظهري[3].

وقد استحل المشركون أموال المسلمين أيضًا مع استباحة دمائهم:

١٥٣- عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ سَمِعْتُ خَبَّابًا قَالَ:

جِئْتُ الْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ السَّهْمِيَّ أَتَقَاضَاهُ حَقًّا لِي عِنْدَهُ فَقَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ لَا حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ

---

١ - صحيح رواه البخاري برقم ٣٥٦٣- ترقيم العالمية.

٢ - طبقات ابن سعد ١١٧/٣ وكنز العمال ٣١/٧.

٣ - أبو نعيم في حلية الأولياء ١٤٤/١ وقريب منه عند ابن سعد في الطبقات وابن أبي شيبة في كنز العمال ٧٠/١-٧١

إِنَّ لِي هُنَاكَ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَهُ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا)[1].

بلال وصمود الجبال:

١٥٤- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

ثُمّ إنّهُمْ عَدَوْا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ ، وَاتّبَعَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَثَبَتْ كُلّ قَبِيلَةٍ عَلَى مَنْ فِيهَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَجَعَلُوا يَحْبِسُونَهُمْ وَيُعَذّبُونَهُمْ بِالضّرْبِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَبِرَمْضَاءِ مَكّةَ إذَا اشْتَدّ الْحَرّ ، مَنْ أُسْتُضْعِفُوا مِنْهُمْ يَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُفْتَنُ مِنْ شِدّةِ الْبَلَاءِ الّذِي يُصِيبُهُ وَمِنْهُمْ مِنْ يَصْلُبُ لَهُمْ وَيَعْصِمُهُ اللّهُ مِنْهُمْ .

وَكَانَ بِلَالٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، لِبَعْضِ بَنِي جُمَحٍ مُوَلّدًا مِنْ مُوَلّدِيهِمْ وَهُوَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ ، وَكَانَ اسْمُ أُمّهِ حَمَامَةَ وَكَانَ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ، وَكَانَ أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ يُخْرِجُهُ إذَا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مَكّةَ ، ثُمّ يَأْمُرُ بِالصّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعَ عَلَى صَدْرِهِ ثُمّ يَقُولُ لَهُ (لَا وَاَللّهِ) لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمّدِ وَتَعْبُدَ اللّاتَ وَالْعُزّى ، فَيَقُول وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَحَدٌ أَحَدٌ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ[2] يَمُرّ بِهِ وَهُوَ يُعَذّبُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَقُول : أَحَدٌ أَحَدٌ ؛ فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ وَاَللّهِ يَا بِلَالُ ثُمّ يُقْبِلُ عَلَى أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ ، وَمَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَيَقُولُ أَحْلِفُ بِاَللّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتّخِذَنّهُ حَنَانًا[3].

وأبو بكر يعتقه:

يقول ابن إسحاق:

حَتّى مَرّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ (ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَوْمًا ، وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُمَحٍ فَقَالَ لِأُمَيّةِ بْنِ خَلَفٍ أَلَا تَتّقِي اللّهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ ؟ حَتّى مَتَى ؟ قَالَ أَنْت الّذِي أَفْسَدْته فَأَنْقِذْهُ مِمّا تَرَى ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ . أَفْعَلُ عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ

---

[1] – البخاري ٤٣٦٣ ، ٢١١٤– ترقيم العالمية.

[2] – لم يعش ورقة إلى هذا الوقت. ضعَّف العلماء هذا المقطع من الرواية – قاله ابن حجر في الفتح.

[3] – سيرة ابن هشام ٢٢٤/١ وقريب منه عند أبي نعيم في الحلية ١٤٨/١ وابن الأثير في أسد الغابة ٢٤٣/١.

وَأَقْوَى ، عَلَى دِينِك ، أُعْطِيكَهُ بِهِ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ فَقَالَ هُوَ لَك . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ[1].

أبو بكر يواصل بذل المال ؛لتحرير العبيد المسلمين الضعفاء:

١٥٥- قال ابن إسحاق:

ثُمّ أَعْتَقَ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إلَى الْمَدِينَةِ سِتّ رِقَابٍ بِلَالٌ سَابِعُهُمْ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا ، وَقُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ شَهِيدًا ؛ وَأُمّ عُبَيْسٍ وَزِنّيرَةُ ، وَأُصِيبَ بَصَرُهَا حِينَ أَعْتَقَهَا ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا أَذْهَبَ بَصَرَهَا إلّا اللّاتُ وَالْعُزّى ؛ فَقَالَتْ كَذَبُوا وَبَيْتِ اللّهِ مَا تَضُرّ اللّاتُ وَالْعُزّى وَمَا تَنْفَعَانِ فَرَدّ اللّهُ بَصَرَهَا . وَأَعْتَقَ النّهْدِيّةَ وَبِنْتَهَا ، وَكَانَتَا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ فَمَرّ بِهِمَا وَقَدْ بَعَثَتْهُمَا بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهي تقول : والله لا أعتقكما أَبَدًا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ حِلّ يَا أُمّ فُلَانٍ فَقَالَتْ حِلّ أَنْت أَفْسَدْتَهُمَا فَأَعْتِقْهُمَا ، قَالَ فَبِكَمْ هُمَا ؟ قَالَتْ بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ قَدْ أَخَذْتُهُمَا وَهُمَا حُرّتَانِ أَرْجِعَا إلَيْهَا طَحِينَهَا ، قَالَتَا : أَوَنَفْرُغُ مِنْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ ثُمّ نَرُدّهُ إلَيْهَا ؟ قَالَ وَذَلِكَ إنْ شِئْتُمَا .

وَمَرّ بِجَارِيَةِ بَنِي مُؤَمّلٍ ، وَكَانَتْ مُسْلِمَةً وَعُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ يُعَذّبُهَا لِتَتْرُكَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ وَهُوَ يَضْرِبُهَا ، حَتّى إذَا مَلّ قَالَ إنّي أَعْتَذِرُ إلَيْك ، إنّي لَمْ أَتْرُكْ إلّا مَلَالَةً فَتَقُولُ كَذَلِكَ فَعَلَ اللّهُ بِك . فَابْتَاعَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَأَعْتَقَهَا[2].

روايات أخرىعن بلال رضي الله عنه:

١٥٦- عن الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ

---

١ – المصدر السابق.

٢ – المصدر السابق .

نَفْسُهُ فِي اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ[١].

السابقون إلى الشهادة عمار وسمية (رضي الله عنهما):

١٥٧- عن جابر رضي الله عنه:

أن رسول الله مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: ابشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة[٢].

١٥٨- وعن عثمان رضي الله عنه قال:

بينما أنا أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس؛ ليرتدوا عن الإسلام فقال أبو عمار: يا رسول الله: الدهر هكذا فقال: صبرا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت[٣].

١٥٩- وعند أحمد عن مجاهد قال: أول شهيد كان في أول الإسلام استُشهِد: أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلها[٤].

وعند ابن حجر في الفتح:

فإن الثلاثة كانوا ممن يعذب في الله ،وأمه أول من استشهدت في الإسلام طعنها أبو جهل في قَلْبِها فماتت[٥].

إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان:

قال ابن حجر والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر والآية قوله تعالي (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ).

---

١ – البداية والنهاية ٢٨/٣ ، وأحمد ٣٦٤٠ ، وابن ماجة ص ١٥٠ وسنده حسن.

٢ – أخرجه الطبراني والحاكم ٣٨٨/٣–٣٨٩ وصححه ووافقه الذهبي.

٣ – أخرجه الحاكم في الكُنَى وابن عساكر، والبيهقي وغيرهم كما في الكنز ٧٢/٧ وابن سعد ١٧٧/٣ وفي مسند أحمد برقم ٤١٢ ورواته ثقات – عن تخريج دار الحديث.

٤ – البداية والنهاية ٥٩/٣

٥ – فتح الباري شرح حديث ٣٣٨٧– ترقيم العالمية.

١٦٠- وعن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمارًا فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكي ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالإيمان، قال فإن عادوا فعد[١].

١٦١- وأخرج عبد بن حميد من طريق ابن سيرين:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عمار بن ياسر وهو يبكي ،فجعل يمسح الدموع عنه ويقول: أخذك المشركون فغطوك في الماء، حتى قلت لهم كذا، إن عادوا فعد[٢].

وعند الطبري أن المشركين عذبوا عمارًا وأباه وأمه وصهيبًا وبلالًا وخبابًا وسالم مولى أبي حذيفة ؛فمات ياسر وامرأته في العذاب، وصبر الآخرون.

كلمة لابد منها:

هذه نماذج للمدى الذي وصل إليه إجرام قريش وزعمائها في حرب المؤمنين، وفي التعدي على إنسانية البشر، يُقتل ياسر وسمية ، ويُكرَه عمار على النطق بكلمة الكفر.

هؤلاء هم الذين حاربهم الرسول (صلى الله عليه وسلم)وحاربهم المسلمون في بدر وأحد والخندق، وفتح مكة وغيرها.

هذه النماذج هي التي نزل فيها قوله تعالى: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وهذا في سورة التوبة وهي من آخر ما نزل من القرآن.

نقول هذا حتى لا يفتري المفترون على الإسلام والمسلمين، ويقولون كيف يقاتل الإسلام المشركين حتى يسلموا بالإكراه؟!وهو زعم الباطل.

ونقول هذا حتى لا يأتي مسلم ويفهم من الآية أنها تدعو لقتال كل المشركين حتى يسلموا.

ونرد ببساطة بالآية من سورة التوبة أيضًاالتي تبين سبب هذا الحكم:

(أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

إذن حكم الإسلام الصحيح، أنه لا يعادي من لم يبدأ المسلمين بالعدوان والبغي والظلم.

---

١ – قال ابن حجر: وهو مرسل ورجاله ثقات: أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق.

٢ – قال ابن حجر:ورجاله ثقات مع إرسال أيضا وهذه المراسيل تقوَّي بعضها ببعض.

وأن الرسـول (صلى الله عليـه وسـلم)والمسـلمين حـاربوا هـؤلاء المشـركين بعـد أن ارتكبـوا كل الجرائم في حق الإنسانية (جرائم حرب وانتهاك حقوق الإنسان بلغة العصر)، وبعد أن فاق إجرامهم كل الحدود ،فكانت حرب المسلمين لهم حقًا طبيعيًا، وردًا على العدوان.

ونتابع جرائم العدوان على المسلمين:

العدوان على المسلمين من بني مخزوم:

١٦٢- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي الزّبَيْرُ بْنُ عُكَاشَةَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ أَنّهُ حُدّثَ أَنّ رِجَالًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مَشَوْا إلَى هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَسْلَمَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ (بْنِ الْمُغِيرَةِ) ، وَكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا فِتْيَةً مِنْهُمْ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا ، مِنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ ، وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ[1] . قَالَ فَقَالُوا لَهُ - وَخَشُوا شَرّهُمْ - إنّا قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نُعَاتِبَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ عَلَى هَذَا الدّينِ الّذِي أَحْدَثُوا ، فَإِنّا نَأْمَنُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِهِمْ[2] .

قَالَ:(هشام بن الوليد) فَعَلَيْكُمْ بِهِ فَعَاتِبُوهُ وَإِيّاكُمْ وَنَفْسَهُ[3] احْذَرُوا عَلَى نَفْسِهِ فَأُقْسِمُ باللّهَ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَأَقْتُلَنّ أَشْرَفَكُمْ رَجُلًا[4].

أول من جهر بالقرآن:

هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

١٦٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

كَانَ أَوّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِمَكّةَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - قَالَ اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَقَالُوا : وَاَللّهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطّ ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : أَنَا ؛ قَالُوا : إنّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْك ، إنّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنْ الْقَوْمِ إنْ أَرَادُوهُ قَالَ

---

١ – كلهم من بني مخزوم.

٢ – أي لا يخافون ممن أسلم من غير بني مخزوم.

٣ – أي إياكم أن تقتلوه.

٤ – سيرة ابن هشام ٢٢٦/١ عن ابن اسحق عن الزبير بن عكاشة بن أبي أحمد عن مجهولين.

دَعُـونِي فَـإِنّ اللّهَ سَـيَمْنَعُنِي . قَـالَ فَغَـدَا ابْـنُ مَسْـعُودٍ حَتّى أَتَـى الْمَقَـامَ فِي الضّـحَى ، وَقُـرَيْشٌ فِي أَنْـدِيَتِهَا ، حَتّى قَـامَ عِنْـدَ الْمَقَـامِ ثُـمّ قَـرَأَ " بِسْـمِ اللّهِ الـرّحْمَنِ الـرّحِيمِ " رَافِعًـا بِهَـا صَـوْتَهُ { الـرّحْمَنُ عَلّمَ الْقُرْآنَ } قَالَ ثُمّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا . قَالَ فَتَأَمّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ مَاذَا قَالَ؟

قَالَ ثُمّ قَالُوا : إنّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ فَقَامُوا إلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَـاءَ اللّهُ أَنّ يَبْلُغَ . ثُمّ انْصَرَفَ إلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثّرُوا فِي وَجْهِهِ فَقَالُوا لَهُ هَذَا الّذِي خَشِينَا عَلَيْك ؛ فَقَالَ مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللّهِ أَهْوَنَ عَلَيّ مِنْهُمْ الْآنَ وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَأُغَادِيَنّهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا ؛ قَالُوا : لَا ، حَسْبُك ، قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ[1] .

[1] – سيرة ابن هشام ٢٢١/١ وإسناده صحيح متصل وذكره القرطبي في تفسيره عن عروة بن الزبير ١٤٧/٧

الفصل الثالث:

الجهاد القرآني:

اشتمل القرآن على حكم بالغة وحجج قوية :

١- كان القرآن سلاحًا في يد الرسول صلى الله عليه وسلم يرد به على افتراءات الكفار والمعاندين .

٢- كان القرآن سلاحًا يهاجم به الرسول صلى الله عليه وسلم عقائد المشركين وموروثاتهم الباطلة.

٣- كان القرآن مادة تشبع العقل والقلب بآيات الله في الكون وفي الخلق ،يؤمن بها من كانت فطرته سليمة، وكان باحثا عن الحقيقة ، متجردًا من كل هوى.

٤- كان القرآن عامل التثبيت والدعم للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين يعينهم على الصبر على أذي الكافرين، ويذكرهم بمن سبق من الرسل الكرام وأتباعهم، وما حدث لهم على أيدي الطغاة والمتجبرين.

٥- كان القرآن يتحدث عن التوحيد وعن الموت والبعث والحساب وعن جزاء المؤمنين، وخسران الكافرين ومآلهم إلى عذاب الجحيم.

٦- كان القرآن يؤكد في أكثر من موضع على الثقة بنصر الله للنبى صلىالله عليه وسلم وللمؤمنين، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) ينقل هذه الثقة إلى أصحابه دائما فكان هذا من أهم عوامل الثبات والتحمل والصبر.

وهذه بعض المواقف التي كان للقرآن فيها الرد المفحم والقول الفصل:

القرآن ينزل في الوليد بن المغيرة:

١٦٥- عن ابن عباس أن الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّهُ قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمُ وَإِنّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا ، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا ، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذّبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَيَرُدّ قَوْلُكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا.

قَالُوا : فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُولُ بِهِ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعْ قَالُوا : نَقُولُ كَاهِنٌ قَالَ لَا وَاَللّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنِ لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ[١] الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ قَالُوا : فَنَقُولُ مَجْنُونٌ قَالَ مَا هُوَ بِمَجْنُونِ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ[٢] وَلَا وَسْوَسَتِهِ قَالُوا : فَنَقُولُ شَاعِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرِ لَقَدْ عَرَفْنَا الشّعْرَ كُلّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَبْسُوطَهُ فَمَا هُوَ بِالشّعْرِ قَالُوا : فَنَقُولُ سَاحِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِسَاحِرِ لَقَدْ رَأَيْنَا السّحّارَ وَسِحْرَهُمْ فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ[٣] وَلَا عَقْدِهِمْ قَالُوا : فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ؟ قَالَ وَاَللّهِ إنّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً ، وَإِنّ أَصْلَهُ لَعَذِقٌ[٤] وَإِنّ فَرْعَهُ لَجُنَاةٌ[٥]- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَال لَغَدِقٌ - وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إلّا عُرِفَ أَنّهُ بَاطِلٌ وَإِنّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لَأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرّقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ.

فَتُفَرّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ بِسُبُلِ النّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ لَا يَمُرّ بِهِمْ أَحَدٌ إلّا حَذّرُوهُ إيّاهُ وَذَكَرُوا لَهُمْ أَمْرَهُ . فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَفِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلّا إنّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } أَيْ خَصِيمًا . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَنِيدٌ مُعَانِدٌ مُخَالِفٌ . { سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إنّهُ فَكّرَ وَقَدّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدّرَ ثُمّ قُتِلَ كَيْفَ قَدّرَ ثُمّ نَظَرَ ثُمّ عَبَسَ وَبَسَرَ } قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : بَسَرَ: كَرّهَ وَجْهَهُ . { ثُمّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إنْ هَذَا إلّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إنْ هَذَا إلّا قَوْلُ الْبَشَرِ }.[٦]

---

١ – الزمزمة: كلام خفي لا يسمع.

٢ – تخالج الجنون: اضطرابه.

٣ – كان الساحر يعقد خيطا ثم ينفث فيه.

٤ – العذق: النخلة.

٥ – جناة: مثمر.

٦ – سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ١٨٩/١ ولم يذكر سندًا لكني وجدت الرواية عند ابن كثير في البداية والنهاية ٦٤/٣ عن البيهقي عن الحاكم (إمام حافظ) عن الأصم (إمام ثقة) عن أحمد بن عبد الجبار (لا بأس به) ، عن يونس بن بكير (حافظ صدوق)عن محمد بن إسحاق (صاحب المغازي) عن محمد بن أبي محمد مجهول، هكذا قال عنه ابن حجر في لسان الميزان عن

١٦٦- وعن ابن عباس :

أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال لم ؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله، قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له [أو أنك كاره له].

قال وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر - يأثره عن غيره فنزلت: (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا) [1].

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

١٦٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ ، قَالَ:

حُدّثْت أَنّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ سَيّدًا ، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إلَى مُحَمّدٍ فَأُكَلّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيّهَا شَاءَ وَيَكُفّ عَنّا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ

سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس. فالرواية فيها مجهول محمد بن أبي محمد لكن المتن مقبول له شواهد أخرى في الرواية التالية.

١ – هذه الرواية تشهد لسابقتها وهي صحيحة عن ابن كثير في البداية والنهاية ٦٣/١ عن إسحاق بن راهويه (سيد الحفاظ) عن عبد الرزاق (إمام حافظ) عن معمر (ثقة) عن أيوب السختياني (إمام حافظ) عن عكرمة عن ابن عباس.والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ١٩٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٥٠٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ قُمْ إلَيْهِ فَكَلّمْهُ.

فَقَامَ إلَيْهِ عُتْبَةُ حَتّى جَلَسَ إلَى رَسُولِ اللّه صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إنّك مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ[1] وَالْمَكَانِ فِي النّسَبِ وَإِنّك قَدْ أَتَيْت قَوْمَك بِأَمْرِ عَظِيمٍ فَرّقْت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفّهْت بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْت بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ فَاسْمَعْ مِنّي أَعْرِضْ عَلَيْك أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلّك تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا.

قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوّدْنَاك عَلَيْنَا[2] ، حَتّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك ، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ[3] لَا تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك ، طَلَبْنَا لَك الطّبّ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ.

حَتّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاسْمَعْ مِنّي ؛ قَالَ أَفْعَلُ. فَقَالَ: بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ { حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ كِتَابٌ فُصّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنّةٍ مِمّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ } ثُمّ مَضَى رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمّ انْتَهَى رَسُولُ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى السّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمّ قَالَ قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْت وَذَاكَ .

فَقَامَ عُتْبَةُ إلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ نَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ . فَلَمّا جَلَسَ إلَيْهِمْ قَالُوا : مَا وَرَاءَك يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ وَرَائِي أَنّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاَللّهِ مَا سَمِعْت مِثْلَهُ قَطّ ، وَاَللّهِ مَا هُوَ بِالشّعْرِ وَلَا بِالسّحْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ يَا

---

١ – السطة في العشيرة: المكان الوسط وهو مكان الشرف في العشيرة.

٢ – جعلناك سيدا علينا.

٣ – رئيا تراه: ما يتراءى للإنسان من الجن.

مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي ، وَخَلّوا بَيْنَ هَذَا الرّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ فَوَاَللّهِ لَيَكُونَنّ لِقَوْلِهِ الّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وَعِزّهُ عِزّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النّاسِ بِهِ قَالُوا : سَحَرَك وَاَللّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ قَالَ هَذَا رَأْيِي فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ[1].

١٦٨- <u>وفي رواية أخرى عند البيهقي:</u>

" فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة، ما حسبنا إلا أنك صبوت إلى محمد ، وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدا . قال : ولقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيته فقص عليهم القصة : فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون - قال يحيى : كذا قال يعقلون - حتى بلغ ، فقال : {أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود} فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب[2] »

<u>دلالات الرواية:</u>

وضح أن عتبة بن ربيعة وقريشا يعانون من صوت الحق ،يقرع آذانهم ليل ونهار، ويعانون من صمود المسلمين في مواجهة أساليب القهر والتعذيب ،ويعانون من زيادة أعداد المسلمين والخوف من المستقبل الذي سوف يشهد مزيدا من الأبناء والأشقاء الذين يفارقون أهلهم ومعتقداتهم، ويدخلون في الإسلام، لذلك يقول عتبة (ويكف عنا) وأصبح سكوت الرسول صلى الله عليه وسلم مطلبًا عزيزًا عليهم.

---

١ – سيرة ابن هشام ٢٠٦/١ ورواه ابن كثير في البداية ٦٥/٣ –٦٧ من أكثر من طريق عند البيهقي وهذه الرواية عند ابن إسحاق عن يزيد ابن أبي يزيد وقيل يزيد ابن زياد وثقة النسائي فهي رواية صحيحة في ذاتها وفيما ينضم إليها من طرق أخرى.

٢ – البداية والنهاية ٦٥/٣–٦٦ عن البيهقي في دلائل النبوة ٢٠٤/٢ . ٢٠٥ وهي في نفس معنى الرواية السابقة تقريبا فهي مقبولة.

فشلت سياسات القهر فبدأت سياسات الإغراء (المال . الملك . السيادة ..الخ) وهو منهج متكرر عند أعداء الحق، يظنون واهمين أن المبادئ تباع بالثمن.

يقول عتبة: إنك منا حيث قد علمت، من السطة في العشيرة والمكانة في النسب .. بداية ناعمة لحوار المغريات.

وفي كل الحالات يتضح من الرواية ،بداية طريق التنازلات من قبل قريش.. كثمرة من ثمرات ثبات المسلمين وصمودهم.

ماذا كان رد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ :

أبلغ رد وأقواه: كلمات ليست من عند البشر.. كلمات القرآن العظيم المعجز ، جعلت عتبة يذهل لما يسمع.. ألقي بيده خلف ظهره معتمدًا عليها ليسمع منه.

إذن فقد كان القرآن سلاحا في يد الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه به الكفر.. سلاح أقوى من كل السيوف والحراب.

(فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) عندها ارتعد عتبة وظل يستعطف الرسول صلى الله عليه وسلم ويناشده بحق القرابة والرحم أن يكف !! منتهي الشعور اليقيني بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبعظمة القرآن وإعجازه.. وقد قالها صريحة لأبي جهل ولقومه (وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينزل عليكم العذاب).

عرض عتبة على قريش خطة عاقلة، أن يخلوا بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين العرب وينتظروا النتيجة، ولن يخسروا في كلتا الحالتين، ولكن أنَّى للعقل أن يحكم تصرفات مجرمين كأمثال أبي جهل وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ..وغيرهم ..لعنهم الله...؟

يستمعون القرآن في دجى الليل:

كانت قريش تخشى سماع القرآن، كانوا يخشون أن يؤثر فيهم القرآن فيسلموا ويؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ولذلك تواصوا ألا يستمعوا للقرآن:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ).

أي وإذا رأيتم من يقرأ القرآن فشوشوا عليه باللغو وبالكلام المعارض؛ حتى لا تكون هناك فرصة للاستماع الهادئ..

لكن رؤوسًا من قريش خرجت لتستمع سرًا في الليل إلى قراءة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

روى البيهقي بسنده عن الزهري قال:

١٦٩- حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع منه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له.

حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ،ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها فقال الأخنس وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال ماذا سمعت؟!تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان ؛قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه! والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأخنس بن شريق[1].

وهذه الرواية تثبت يقينا أن أبا جهل والقرشيين كانوا يصدقون الرسولصلى الله عليه وسلم لكن يمنعهم من الإيمان الكبر والتجبر وعصبية الجاهلية.

يقول عز وجل مخاطبا نبيه(صلى الله عليه وسلم) :

---

[1] – الرواية أوردها ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٦٧–٦٨ ، والسند من البيهقي حتى ابن إسحاق سند جيد، والزهري إمام حافظ لكنه قال: حُدِّثت ، فهناك راو لم يذكر اسمه وهذا يضعف السند لكنه ربما لا يضعف المتن، والرواية تكتسب قوتها من كون الزهري لن يحدث عن ضعفاء.

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام ٣٣]

ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا:

١٧٠- عن ابن عباس قال:

نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متَوَارٍ بمكة: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [الإسراء١١٠] قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا)[1].

١٧١- وعن ابن عباس قال:

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم؛ فرقا منهم ،فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا، فأنزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا)[2].

وما زال القرآن يتصدى لأكابر مجرمي قريش:

يتصدي لأبي جهل ثانية وثالثة:

بهذه الآيات الرهيبة يتنزل القرآن، واصفا شجرة الزقوم التي يستخف بها أبو جهل:

---

[1] – حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأحمد.

[2] – البداية والنهاية ٦٩/٣ رواه ابن كثير عن محمد بن إسحق بسنده عن ابن عباس وفيه داود بن الحصين وثقة ابن معين وضعفه البعض، والرواية حسنة.

١٧٢- قال ابن اسحق:

وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ لَمّا ذَكَرَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ شَجَرَةَ الزّقّومِ تَخْوِيفًا بِهَا لَهُمْ، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ تَدْرُونَ مَا شَجَرَةُ الزّقّومِ الّتِي يُخَوّفُكُمْ بِهَا مُحَمّدٌ ؟ قَالُوا : لَا ؛ قَالَ عَجْوَةُ يَثْرِبَ بِالزّبْدِ وَاَللّهِ لَئِنْ اسْتَمْكَنّا مِنْهَا لَنَتَزَقّمَنّهَا تَزَقّمًا . فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِ { إِنّ شَجَرَةَ الزّقّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ } أَيْ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْمُهْلُ كُلّ شَيْءٍ أَذَبْته ، مِنْ نُحَاسٍ أَوْ رَصَاصٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.[1].

انظر أخي المسلم إلى هذا المجرم الذي يرى أن الزقوم هي العجوة بالزبد.. فيرد عليه القرآن أنها طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ، أعاذنا الله منها.. وسبحان الله، لا شيء أبلغ من ذلك في التعبير ..إنها معجزة القرآن.

أُبَيٌّ بن خلف ينكر البعث بطريقته فكيف أفحمه القرآن:

١٧٣- قال ابن إسحاق:

وَمَشَى أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِعَظْمٍ بَالٍ[2] قَدْ ارْفَتّ[3] فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَنْتَ تَزْعُمُ أَنّ اللّهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمّ ثُمّ فَتّهُ فِي يَدِهِ ثُمّ نَفَخَهُ فِي الرّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، يَبْعَثُهُ اللّهُ وَإِيّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ هَكَذَا ، ثُمّ يُدْخِلُك اللّهُ النّارَ .

فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِ { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الّذِي أَنْشَأَهَا أَوّلَ مَرّةٍ وَهُوَ بِكُلّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ }[4].

هذا الرد المُفحِم كما يخاطب القلب يخاطب العقل أيضًا.

---

١ – سيرة ابن هشام ٢٥٣/١ هكذا ذكره ابن إسحاق بدون سند.

٢ – بال: قديم صار هشا.

٣ – ارفت: صار رفاتا: أي متكسرا صار حطامًا

٤ – سيرة ابن هشام ٢٥٢/١ وفي روايات أخرى أنه العاص بن وائل السهمي، وقيل غيره، والحديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٢٩/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهو أيضا عند ابن جرير في التفسير ٢١/٢٣ وعند ابن كثير ٥٨٠/٦ – من تخريج دار الحديث بتصرف.

(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي كما خلقت من قبل.. تخلق مرة ثانية فما هي صعوبة البعث على القادر الذي خلق السماوات والأرض وجعل من الشجر الأخضر حطبا للنار. ألا يرى الجاحدون كل هذه الآيات التي تنطق بالإعجاز؟ أم عميت أبصارهم وقلوبهم؟!

الرد على الهماز اللماز أمية بن خلف:

١٧٤- قال ابن إسحاق:

وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ كَانَ إذَا رَأَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِ {وَيْلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدّدَهُ يَحْسَبُ أَنّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلّا لَيُنْبَذَنّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللّهِ الْمُوقَدَةُ الّتِي تَطّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدّدَةٍ} قَالَ ابْنُ هِشَامٍ الْهُمَزَةُ الّذِي يَشْتُمُ الرّجُلَ عَلَانِيَةً وَيَكْسِرُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ وَيَغْمِزُ بِهِ، وَجَمْعُهُ هُمَزَاتٌ. وَاللّمَزَةُ الّذِي يَعِيبُ النّاسَ سِرّا وَيُؤْذِيهِمْ(١).

الرد على النضر بن الحارث مؤلف القصص:

قال ابن اسحق:

١٧٥- وَالنّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ كَلَدَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ، كَانَ إذَا جَلَسَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَجْلِسًا، فَدَعَا فِيهِ إلَى اللّهِ تَعَالَى وَتَلَا فِيهَا الْقُرْآنَ وَحَذّرَ (فِيهِ) قُرَيْشًا مَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إذَا قَامَ فَحَدّثَهُمْ عَنْ رُسْتُمَ السنديد وَعَنْ أسفنديار وَمُلُوكِ فَارِسَ، ثُمّ يَقُولُ وَاَللّهِ مَا مُحَمّدٌ بِأَحْسَنَ حَدِيثًا مِنّي، وَمَا حَدِيثُهُ إلّا أَسَاطِيرُ الْأَوّلِينَ اكْتَتَبَهَا كَمَا اكْتَتَبْتُهَا. فَأَنْزَلَ اللّه فِيهِ {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الّذِي يَعْلَمُ السّرّ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} وَنَزَلَ فِيهِ {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوّلِينَ} وَنَزَلَ فِيهِ {وَيْلٌ لِكُلّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمّ يُصِرّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَفّاكُ الْكَذّابُ(٢).

أبو جهل يهزأ بزبانية النار، والقرآن يرد عليه:

١٧٦- قال ابن إسحاق:

---

١ – ابن هشام ٢٤٨/١.

٢ – ابن هشام ٢٤٩/١.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمًا وَهُوَ يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْحَقّ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ يَزْعُمُ مُحَمّدٌ أَنّمَا جُنُودُ اللّهِ الّذِينَ يُعَذّبُونَكُمْ فِي النّارِ وَيَحْبِسُونَكُمْ فِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ النّاسِ عَدَدًا ، وَكَثْرَةً أَفَيَعْجِزُ كُلّ مِئَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْله: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)[1].

الوليد بن المغيرة كان يرى نفسه أحق بالرسالة:

١٧٧- قال ابن اسحق:

وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ أَيُنَزّلُ عَلَى مُحَمّدٍ وَأُتْرَكُ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيّدُهَا وَيُتْرَكُ أَبُو مَسْعُودٍ عَمْرُو بْنُ عُمَيْرٍ الثّقَفِيّ سَيّدُ ثَقِيفٍ ، وَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرْيَتَيْنِ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِ فِيمَا بَلَغَنِي : { وَقَالُوا لَوْلَا نُزّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[2].

حوار مؤلم محزن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم):

حوار حَزِن له الرسول(صلى الله عليه وسلم)؛بسبب شدة تعنتهم:

فقد ذكر ابن إسحاق اجتماع عدد من زعمائهم منهم عتبة، وشبية، وأبو سفيان والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وأبو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم وعرضوا عليه الأمور التي عرضوها من قبل (الملك ، المال ، السيادة..الخ)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١٧٨- مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا الشّرَفَ فِيكُمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيّ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ،

---

١ – ابن هشام ٢٢٠/١.

٢ – ابن هشام ٢٢٥/١.

فَبَلّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللّهِ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَوْ كَمَا قَالَ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

قَالُوا : يَا مُحَمّدُ فَإِنْ كُنْت غَيْرَ قَابِلٍ مِنّا شَيْئًا مِمّا عَرَضْنَاهُ عَلَيْك فَإِنّك قَدْ عَلِمْتَ أَنّهُ لَيْسَ مِنْ النّاسِ أَحَدٌ أَضْيَقَ بَلَدًا ، وَلَا أَقَلّ مَاءً وَلَا أَشَدّ عَيْشًا مِنّا ، فَسَلْ لَنَا رَبّك الّذِي بَعَثَك بِمَا بَعَثَك بِهِ فَلْيُسَيّرْ عَنّا هَذِهِ الْجِبَالَ الّتِي قَدْ ضَيّقَتْ عَلَيْنَا ، وَلْيَبْسُطْ لَنَا بِلَادَنَا ، وَلْيُفَجّرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا ، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يُبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصَيّ بْنُ كِلَابٍ ، فَإِنّهُ كَانَ شَيْخَ صِدْقٍ فَنَسْأَلَهُمْ عَمّا تَقُولُ أَحَقّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ فَإِنْ صَدّقُوك وَصَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاك صَدّقْنَاك ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَك مِنْ اللّهِ وَأَنّهُ بَعَثَك رَسُولًا كَمَا تَقُول . فَقَالَ لَهُمْ - صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - : مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إلَيْكُمْ إنّمَا جِئْتُكُمْ مِنْ اللّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ وَقَدْ بَلّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْت بِهِ إلَيْكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللّهِ تَعَالَى ، حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

قَالُوا : فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ هَذَا لَنَا ، فخذ لنفسك ، سل رَبّك أَنْ يَبْعَثَ مَعَك مَلَكًا يُصَدّقُك بِمَا تَقُولُ وَيُرَاجِعُنَا عَنْك وَسَلْهُ فَلْيَجْعَلْ لَك جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضّةٍ يُغْنِيك بِهَا عَمّا نَرَاك تَبْتَغِي ، فَإِنّك تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ حَتّى نَعْرِفَ فَضْلَك وَمَنْزِلَتَك مِنْ رَبّك إنْ كُنْت رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وَمَا أَنَا بِاَلّذِي يَسْأَلُ رَبّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْت إلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا - أَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللّهِ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ:

قَالُوا : فَأَسْقِطْ السّمَاءَ عَلَيْنَا كِسَفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنّ رَبّك إنْ شَاءَ فَعَلَ فَإِنّا لَا نُؤْمِنُ لَك إلّا أَنْ تَفْعَلَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - : ذَلِكَ إلَى اللّهِ إنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ قَالُوا : يَا مُحَمّدُ أَفَمَا عَلِمَ رَبّك أَنّا سَنَجْلِسُ مَعَك وَنَسْأَلُك عَمّا سَأَلْنَاك عَنْهُ وَنَطْلُبُ مِنْك مَا نَطْلُبُ فَيَتَقَدّمَ إلَيْك فَيُعَلّمَك مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ وَيُخْبِرُك مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا ، إذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْك مَا جِئْتنَا بِهِ إنّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنّك إنّمَا يُعَلّمُك هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَال لَهُ الرّحْمَنُ وَإِنّا وَاَللّهِ لَا

نُؤْمِنُ بِالرّحْمَنِ أَبَدًا ، فَقَدْ أَعْذَرْنَا إلَيْك يَا مُحَمّدُ وَإِنّا وَاَللّهِ لَا نَتْرُكُك وَمَا بَلَغْتَ مِنّا حَتّى نُهْلِكَك ، أَوْ تُهْلِكَنَا.

وَقَالَ قَائِلُهُمْ نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَهِيَ بَنَاتُ اللّهِ . وَقَالَ قَائِلُهُمْ لَنْ نُؤْمِنَ لَك حَتّى تَأْتِيَنَا بِاَللّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا[1].

وفي هذه الرواية أيضا اشتد حزن النبي صلى الله عليه وسلم لموقف عبد الله بن أبي أمية، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب .

قال ابن اسحق:

فَلَمّا قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - قَامَ عَنْهُمْ وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمّتِهِ فَهُوَ لِعَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ - فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمّدُ . عَرَضَ عَلَيْك قَوْمُك مَا عَرَضُوا فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ ثُمّ سَأَلُوك لِأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِهَا مَنْزِلَتَك مِنْ اللّهِ كَمَا تَقُول ، وَيُصَدّقُوك وَيَتّبِعُوك فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمّ سَأَلُوك أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِك مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضْلَك عَلَيْهِمْ وَمَنْزِلَتَك مِنْ اللّهِ فَلَمْ تَفْعَلْ ثُمّ سَأَلُوك أَنْ تُعَجّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا تُخَوّفُهُمْ بِهِ مِنْ الْعَذَابِ فَلَمْ تَفْعَلْ - أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ - فَوَاَللّهِ لَا أُومِنُ بِك أَبَدًا حَتّى تَتّخِذَ إلَى السّمَاءِ سُلّمًا ، ثُمّ تَرْقَى فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إلَيْكَ حَتّى تَأْتِيَهَا ، ثُمّ تَأْتِي مَعَك أَرْبَعَةٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَك أَنّك كَمَا تَقُول ، وَأَيْمُ اللّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنّي أُصَدّقُك ، ثُمّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم.

وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم - إلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا لِمَا فَاتَهُ مِمّا كَانَ يَطْمَعُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَوْهُ وَلِمَا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إيّاهُ[2].

وتنزلت آيات سورة الإسراء:

---

[1] – سيرة ابن هشام ٢٠٧/١.

[2] – بقية الرواية السابقة والرواية كاملة كما هي في سيرة ابن هشام وهي أيضا في تفسير ابن كثير ١١٦/٥-١١٧،وفي البداية والنهاية ٥٠/٣-٥٢، وفي الرواية شيخ ابن اسحق واسمه محمد بن أبي محمد قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء، وابن حجر في لسان الميزان أنه مجهول. أقول : يرى البعض أن جهالة هذا الراوي تضعف الرواية لكني أبين أنها تضعف السند ، لكن المتن قد يكون صحيحا خصوصا إذا كان متفقا مع المعنى القرآني وأن ابن كثير أورده دون تضعيف وهو من هو.

قال تعالي: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا).

القرآن يوصي النبي(صلى الله عليه وسلم) بالرفق بالضعفاء:

عبس وتولى أن جاءه الأعمى:

١٧٩- قال ابن إسحاق:

وَوَقَفَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُكَلّمُهُ وَقَدْ طَمِعَ فِي إسْلَامِهِ، فَبَيْنَا هُوَ فِي ذَلِكَ إذْ مَرّ بِهِ ابْنُ أُمّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى ، فَكَلّمَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَعَلَ يَسْتَقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَشَقّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى أَضْجَرَهُ، وَذَلِكَ أَنّهُ شَغَلَهُ عَمّا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ وَمَا طَمِعَ فِيهِ مِنْ إسْلَامِهِ . فَلَمّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ انْصَرَفَ عَنْهُ عَابِسًا وَتَرَكَهُ.

فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِ { عَبَسَ وَتَوَلّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى } إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : { فِي صُحُفٍ مُكَرّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهّرَةٍ } أَيْ إنّمَا بَعَثْتُك بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، لَمْ أَخُصّ بِك أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ ، فَلَا تَمْنَعْهُ مِمّنْ ابْتَغَاهُ . وَلَا تَتَصَدّيَنّ بِهِ لِمَنْ لَا يُرِيدُهُ[1].

عظة ودلالة:

عوتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في رجل بسيط أعمى لم يهتم به الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان مهتما بشخصية هامة هى الوليد بن المغيرة وقد طمع في إسلامه.

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يطمع في جاه الوليد أو ماله ،إنما طمع في إسلامه؛ لأنه بإسلامه يسلم أناس كثيرون، وبه يعز الله الإسلام.

ورغم هذا عاتبه ربه.

---

١ – صحيح أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٣٣١/٥ والحاكم في المستدرك من كتاب التفسير ٥١٤/٢ من حديث عائشة وغيرهما (عن دار الحديث).

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل كلمة تضجُّر أو جرح لمشاعر الأعمى، كل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم أنه عبس، أي ظهر على وجه الضَّجَر، وهذا أمر لا يراه ابن أم مكتوم ؛لأنه أعمى، وبرغم ذلك عاتبه ربه.

هذه هي القواعد والمبادئ والمثل التي جاء بها الإسلام ؛لينير بها وجه الدنيا: الإنسان كريم على الله بإيمانه، ولو لم يكن عنده من حطام الدنيا شيء وليست له كرامة عند الله ما لم يسلم قلبه لله، ولو كان يملك مشارق الأرض ومغاربها.

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي:

١٨٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ إلَيْهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: خَبّابٌ وَعَمّارٌ وَأَبُو فَكِيهَةَ يَسَارٌ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ مُحَرّثٍ ، وَصُهَيْبٌ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ هَزِئَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ كَمَا تَرَوْنَ، أَهَؤُلَاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا بِالْهُدَى وَالْحَقّ؟ لَوْ كَانَ مَا جَاءَ بَهْ مُحَمّدٌ خَيْرًا مَا سَبَقَنَا هَؤُلَاءِ إلَيْهِ وما خَصّهُمْ اللّهُ بِهِ دُونَنَا . فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِمْ { وَلَا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةَ أَنّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[1].

عظَة:

هؤلاء المستضعفون الذين هزئت بهم قريش هم الذين أقاموا دولة الإسلام وهم الذين فتحوا الدنيا، وكانوا أصحاب النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وأعوانه في إظهار دين الله وسيادته على العالمين.

---

[1] – صحيح ، أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ١٨٧٨/٤ وابن ماجة في كتاب الزهد ٤١٢٧/٢–٤١٢٨ وابن جرير في التفسير ١٢٧/٧– عن دار الحديث.

قريش تتنازل:

١٨١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَاعْتَرَضَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ - فِيمَا بَلَغَنِي - الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السّهْمِيّ ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ فَقَالُوا : يَا مُحَمّدُ هَلُمّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ ، وَتَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ فَنَشْتَرِكُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ فَإِنْ كَانَ الّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمّا نَعْبُدُ كُنّا قَدْ أَخَذْنَا بِحَظّنَا مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمّا تَعْبُدُ كُنْت قَدْ أَخَذْت بِحَظّك مِنْهُ.

فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِمْ { قُلْ يَا أَيّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }[١].

تعقيب:

يظهر لي -والله أعلم- أن هذا العرض من قريش، وكذلك العرض الذي قدمه عتبة ابن ربيعة في قوله: (إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا..الخ) هو عرض يدل على هزيمة نفسية وفشل حقيقي من قريش في التصدي للدعوة ،برغم كل ما فعلوه من تعذيب وإيذاء للمؤمنين.. ولذلك تنازلوا عن عبادة أصنامهم عاما يعبدون الله فيه، ويفعل محمد مثل ذلك مع أصنامهم.. لكنهم لم يعرفوا أن صاحب الحق أقوي صمودًا من الجبال الرواسي.

وهذا يبين أيضا كم كان أثر القرآن فيهم.. زلزل عقائدهم، وأربك حساباتهم.

ويبين أيضا أن قوة المبادئ لا تقاس بمقاييس مادية ، ففي ذلك الوقت كان محمد صلى الله عليه وسلم في نفر محدود من أصحابه، يواجه آلافًا من مشركي مكة، وغير مكة...لكن الكثرة هي التي قدمت التنازلات وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

المعاني الجليلة والحكم البالغة (الأخرى) التي تناولها القرآن الكريم:

إثبات وحدانية الله تعالى:

سلك القرآن سبيل العقل والقلب لإثبات وحدانية الله تعالى،

قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ).

وقال تعالى : (إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ).

---

١ – ابن هشام ٢٥٣/١ عن ابن إسحاق ولم يذكر سندًا

أيُّ خطابٍ للعقل أحكم من هذا؟! ببساطة لو كانا إلهين لتنازعا الملك ولَاخْتلَّ نظام الكون، كلُّ إلهٍ يأمر خلقه بأمر غير الإله الثاني فلا تستقيم الحياة.

قال تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ).

هذا توجيه للإيمان بالخالق من خلال النظر المتعمق في جمال خلقه ودقة صنعته سبحانه وتعالي.

وقال تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ).

وقال تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)

انظر أيها الإنسان وتفكر وتدبر ، وانبَهِرْ ، واعلم أن هذا الخلق هو إعجاز الخالق.. كما أن القرآن كلام الخالق، ينبئ عن هذا الإعجاز فهذه دروس وعبر لدعاة الإسلام في كل زمان ومكان: أن يغترفوا من بحر القرآن الزاخر بالكنوز والحكم والمواعظ ويعرضوها للناس.

<u>أمثلة القرآن لإثبات البعث بعد الموت:</u>

يبين القرآن الكريم للذين يتعجبون من البعث يوم القيامة ومن الحياة بعد الممات ، لأنهم لم يروا ذلك في الدنيا - يبين لهم هذه الحقائق بهذه الأمثلة، قال تعالي: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) وقال تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) وقال تعالى: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ)..الخ.

الحقيقة بسيطة قوية ساطعة مبهرة، والذي خلق المرة الأولى سبحانه قادر على أن يعيد الخلق مرة ثانية ، فلماذا تكذبون بالبعث؟!

<u>حديث القرآن المتوجه للقلب والفؤاد:</u>

قال تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ).

هذا حديث يوقظ الغافل من غفلته.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ).

هذا حديث يزلزل الكيان وتقشعر منه الجلود ، وتنخلع له القلوب .. نعم .. كيف النجاة ؟ لا ملجأ إلا إلى الله.

حديث عن الجنة وأوصافها:

يمكن أن تفرد له الكتب والصحائف، ولا نوفيه حقه.. المستمع إليه تطير نفسه شوقا..إلى ذلك النعيم.

قال تعالي – مثلا:

(وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا....)أكمل أنت يا أخي المسلم السياحة في آيات سورة الإنسان وتفكر وتدبر..

فإذا تحدث القرآن عن جهنم - أعاذنا الله منها:

قال تعالى: - مثلا:

(وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ..) وقال تعالى: (وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ)

فهذه مداخل إلى النفس البشرية بتركيبتها المعقدة، وبما فيها من صفاء وكدر، وما فيها من فطرة ووساوس، وما فيها من استعداد للخير ونزوع إلى الشر، وما فيها من غرائز الشهوة وما فيها من سمو نحو الكمال.

لا يعلم ذلك كله إلا الله تعالى.

ومن رحمته أنزل إلينا كلامه المقدس الممنوع من التحريف والخطأ، ليكون منهاجا لنا ، ولغيرنا في كل نواحي الحياة.. ومرة أخرى،لا يجب أن يغفل عنه الدعاة.

وختامًالهذا الفصل عن الجهاد القرآني في مكة:

نقول:

- يستمر الأثر القرآني مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة وفي مواجهة الخصوم في كل مراحل الدعوة مكية ومدنية ،لكنني أفردت هذا الفصل للتركيز على هذا الأثر القرآني لأهميته البالغة واحتمال غفلة الناس عنه.
- الجهاد القرآني جهاد سلمي ،يحتاج إليه المسلمون في مواطن كثيرة لا يتيسر - أو لا يجوز - فيها الجهاد بالسلاح.
- الجهاد القرآني جهاد هدفه الهداية للخصوم، والدفاع عن المسلمين أمام الغزو الثقافي والشبهات المعادية.
- هذه دعوة لكل المسلمين ليغْتَرِفُوا من هذا المَعِين القرآني الذي لا ينْفدْ ،والذي تتعدد أوجه الرشاد والهداية فيه بقدر لا يمكن حصره، ويحتاج إلى مزيد اجتهاد في تحصيله واكتشاف أسراره.

الفصل الرابع:

هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة:

في بداية الكلام عنها نتأمل في تصرف القائد محمد (صلى الله عليه وسلم): إنه في مكة ،لكنه يتابع أحوال الدنيا كلها فيختار من بين ملوك فارس والروم وملوك الشام والعراق ومصر، يختار ملك الحبشة لأنه؛ يعلم أنه ملك عادل لا يظلم عنده أحد.

إذن فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) منفتحا على العالم متابعا لأخباره مع صعوبتها في ذلك الزمان ولم يكن منغلقا على نفسه.

أيضا يتضح أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم التفكير في الوسائل والبدائل والخيارات؛ لأنه يرى ما يصيب أصحابه في مكة من ظلم وقهر وبلاء، وهو مسئول عنهم ،لذلك وجد هذه الفكرة - أو هذه الهجرة - وسيلة تأمين ممتازة للدعاة، بل وللدعوة أيضًا.

ولنبدأ في سرد روايات السلف حول هذه الهجرة:

روى الواقدي:

أن خروجهم إلى الحبشة كان في رجب سنة خمس من البعثة وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلًا، وأربع نسوة، وذكر فيهم عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر فيهم أيضا الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود.

قال ابن جرير: وقال آخرون بل كانوا ٨٢ رجلًا سوى نسائهم وأبنائهم.

١٨٢- وقال محمد بن إسحاق:

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر على أن يمنعهم، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر بعض أهل العلم.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس وولدت له بها عبد الله بن جعفر، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة.

وقد زعم موسى بن عقبة أن خروج جعفر بن أبي طالب كان في الهجرة الثانية ،وذلك بعد عودة بعض من كان خرج أولًا ،حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا.

قال ابن كثير: "وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرعيل الأول أظهر، لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولا، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ".

ثم سرد ابن إسحاق أسماء الخارجين فى صحبة جعفر رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: "فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارًا، وولدوا بها ،ثلاثة وثمانون رجلًا، إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه.

قال ابن كثير: وذِكرُ ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريب جدًا.

وذَكَر ابن كثير إسنادًا قويًا عن الإمام أحمد يذكر فيه أبا موسى أيضا فيهم لكن ابن كثير يرىأن اسمه قد يكون مدرجًا من بعض الرواة.

قال ابن كثير: والصحيح[1]عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى:

١٨٣- أنهم بلغهم مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] وهم باليمن ،فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلًا في سفينة، فألقتهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فأمرهم جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر.

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة.

حوارات جعفر بن أبي طالب مع النجاشي:

روى ابن إسحاق بسند صحيح:

---

١ – رواية صحيحة روى مثلها البخاري ٢٩٠٣– ترقيم العالمية. وسوف تأتي قريبا.

٢ – أي هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

١٨٤- عَنْ أُمّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَتْ:[1]
" لَمّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النّجَاشِيّ ، أَمِنّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللّهَ تَعَالَى لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ فَلَمّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ، ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إلَى النّجَاشِيّ فِينَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا لِلنّجَاشِيّ هَدَايَا مِمّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا الْأُدْمُ[2] فَجَمَعُوا لَهُ أُدمًا كَثِيرًا ،

وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إلّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيّةً ثُمّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ، وَأَمَرُوهُمَا بِأَمْرِهِمْ وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعَا إلَى كُلّ بِطْرِيقٍ هَدِيّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلّمَا النّجَاشِيّ فِيهِمْ ثُمّ قَدّمَا إلَى النّجَاشِيّ هَدَايَاهُ ثُمّ سَلَاهُ أَنْ يُسَلّمَهُمْ إلَيْكُمَا قَبْل أَنْ يُكَلّمَهُمْ . قَالَتْ فَخَرَجَا حَتّى قَدِمَا عَلَى النّجَاشِيّ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ عِنْدَ خَيْرِ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بِطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلّا دَفَعَا إلَيْهِ هَدِيّتَهُ قَبْل أَنْ يُكَلّمَا النّجَاشِيّ ، وَقَالَا لِكُلّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ إنّهُ قَدْ ضَوَى[3] إلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنّا غِلْمَانٌ سفهاء فارقوا دين دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينِ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ وَقَدْ بَعَثَنَا إلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِيَرُدّهُمْ إلَيْهِمْ فَإِذَا كَلّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلّمَهُمْ إلَيْنَا وَلَا يُكَلّمَهُمْ فَإِنّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ.

ثُمّ إنّهُمَا قَدّمَا هَدَايَاهُمَا إلَى النّجَاشِيّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ، ثُمّ كَلّمَاهُ فَقَالَا لَهُ أَيّهَا الْمَلِكُ إنّهُ قَدْ ضَوَى إلَى بَلَدِك مِنّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِك ، وَجَاءُوا بِدِينِ ابْتَدَعُوهُ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْت ، وَقَدْ بَعَثَنَا إلَيْك فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدّهُمْ إلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا[4] ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ . قَالَتْ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إلَى عَبْدِ اللّهِ بْن أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمْ

---

١ –رواية صحيحة رواها ابن إسحاق عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام – وهما من رجال البخاري – عن أم سلمة ..وأخرجه أحمد في مسنده ١٧٤/٣٠٢/١ (شاكر) ، بإسناد صحيح وقال الهيثمي في المجمع رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع (تخريج دار الحديث لسيرة ابن هشام ٢٣٤/١).

٢ – الأدم: الجلود.

٣ – ضوى إلى بلد الملك: انحاز ولجأ.

٤ – أعلى بهم علينا: أبصر بهم وأعلم بهم.

النّجَاشِيّ . قَالَتْ فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ صَدَقَا أَيّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمْهُمْ إلَيْهِمَا فَلْيَرُدّاهُمْ إلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

قَالَتْ فَغَضِبَ النّجَاشِيّ ، ثُمّ قَالَ لَاهَا اللّهِ[1] إذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إلَيْهِمَا ، وَلَا يَكَادُ قَوْمٌ جَاوَرُونِي ، وَنَزَلُوا بِلَادِي ، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ عَمّا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتهمْ إلَيْهِمَا ، وَرَدَدْتُهُمْ إلَى قَوْمِهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا ، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ ثُمّ أَرْسَلَ إلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَدَعَاهُمْ فَلَمّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ، ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ مَا تَقُولُونَ لِلرّجُلِ إذَا جِئْتُمُوهُ قَالُوا : نَقُول : وَاَللّهِ مَا عَلِمْنَا ، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيّنَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ . فَلَمّا جَاءُوا ، وَقَدْ دَعَا النّجَاشِيّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ مَا هَذَا الدّينُ الّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا (بِهِ) فِى دِينِي ، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمِلَلِ ؟

قَالَتْ فَكَانَ الّذِي كَلّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ) ، فَقَالَ لَهُ:

"أَيّهَا الْمَلِكُ كُنّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ وَيَأْكُلُ الْقَوِيّ مِنّا الضّعِيفَ فَكُنّا عَلَى ذَلِكَ حَتّى بَعَثَ اللّهُ إلَيْنَا رَسُولًا مِنّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلَى اللّهِ لِنُوَحّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدّمَاءِ وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصّلَاةِ وَالزّكَاةِ وَالصّيَامِ - قَالَتْ فَعَدّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدّقْنَاهُ وَآمَنّا بِهِ وَاتّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ اللّهِ فَعَبَدْنَا اللّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرّمْنَا مَا حَرّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَذّبُونَا ، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا ، لِيَرُدّونَا إلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللّهِ تَعَالَى ، وَأَنْ نَسْتَحِلّ مَا كُنّا نَسْتَحِلّ مِنْ الْخَبَائِثِ فَلَمّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيّقُوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إلَى بِلَادِك ، وَاخْتَرْنَاك عَلَى مَنْ سِوَاك ؛ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِك ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَك أَيّهَا الْمَلِكُ .

---

١ – لا ها الله: لا والله.

قَالَتْ فَقَالَ لَهُ النّجَاشِيّ : هَلْ مَعَك مِمّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ النّجَاشِيّ : فَاقْرَأْهُ عَلَيّ قَالَتْ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ { كهيعص } قَالَتْ فَبَكَى وَاَللّهِ النّجَاشِيّ حَتّى اخْضَلّتْ لِحْيَتُهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتّى أَخْضَلّوا مَصَاحِفَهُمْ حِين سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ . ثُمّ قَالَ (لَهُمْ) النّجَاشِيّ : إنّ هَذَا وَاَلّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ[1] وَاحِدَةٍ انْطَلِقَا ،

قَالَتْ فَلَمّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : وَاَللّهِ لَآتِيَنّهُ غَدًا عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ[2] . قَالَتْ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَكَانَ أَتْقَى الرّجُلَيْنِ فِينَا : لَا نَفْعَلُ فَإِنّ لَهُمْ أَرْحَامًا ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا ؛ قَالَ وَاَللّهِ لَأُخْبِرَنّهُ أَنّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ . قَالَتْ ثُمّ غَدَا عَلَيْهِ (مِنْ) الْغَدِ فَقَالَ (لَهُ) : أَيّهَا الْمَلِكُ إنّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسِلْ إلَيْهِمْ فَسَلْهُمْ عَمّا يَقُولُونَ فِيهِ . قَالَتْ فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ . قَالَتْ وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا قَطّ . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاَللّهِ مَا قَالَ اللّهُ وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيّنَا ، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

قَالَتْ فَلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟ قَالَتْ فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ الّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيّنَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ (يَقُولُ) : هُوَ عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ[3] . قَالَتْ فَضَرَبَ النّجَاشِيّ بِيَدِهِ إلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ، ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ[4] قَالَتْ فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَالَ وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاَللّهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالشّيُومُ الْآمِنُونَ - مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ ثُمّ قَالَ مَنْ سَبّكُمْ غرم ثم قَالَ مَنْ سَبّكُمْ غَرِمَ . مَا أُحِبّ أَنّ لِي دَبَرًا مِنْ ذَهَبٍ وَأَنّي آذَيْت رَجُلًا مِنْكُمْ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ دَبَرًا مِنْ ذَهَبٍ وَيُقَالُ فَأَنْتُمْ سُيُومٌ وَالدّبَرُ (بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ) : الْجَبَلُ - رُدّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا ، فَوَاَللّهِ مَا أَخَذَ اللّهُ مِنّي الرّشْوَةَ حِينَ رَدّ عَلَيّ مُلْكِي ، فَآخُذَ الرّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النّاسَ فِيّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

---

[1] – مشكاة: كوة في الجدار يوضع فيها المصباح .

[2] – أي ما يؤدي إلى إبادتهم (وأستأصل خضراءهم: أي الشجرة التي تفرعوا منها).

[3] – البتول: المنقطعة عن الأزواج.

[4] – ما عدا هذا العود: أي ما زاد على مقدار هذا العود.

قَالَتْ فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ .

قَالَتْ فَوَاَللّهِ إنّا لِعَلَى ذَلِكَ إذْ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ الْحَبَشَةِ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ.

قَالَتْ فَوَاَللّهِ مَا عَلِمْتُنَا حَزِنّا حُزْنًا قَطّ كَانَ أَشَدّ (عَلَيْنَا) مِنْ حُزْنٍ حَزِنّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَخَوّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الرّجُلُ عَلَى النّجَاشِيّ ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقّنَا مَا كَانَ النّجَاشِيّ يَعْرِفُ مِنْهُ . قَالَتْ وَسَارَ إلَيْهِ النّجَاشِيّ ، وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ النّيلِ ، قَالَتْ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلّمَ مَنْ رَجُلٌ يَخْرَجُ حَتّى يَحْضُرَ وَقِيعَةَ الْقَوْمِ ثُمّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ ؟ قَالَتْ فَقَالَ الزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ : أَنَا . قَالُوا : فَأَنْتَ . وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنّا . قَالَتْ فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتّى خَرَجَ إلَى نَاحِيَةِ النّيلِ الّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ ثُمّ انْطَلَقَ حَتّى حَضَرَهُمْ . قَالَتْ فَدَعَوْنَا اللّهَ تَعَالَى لِلنّجَاشِيّ بِالظّهُورِ عَلَى عَدُوّهِ وَالتّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ.

قَالَتْ فَوَاَللّهِ إنّا لَعَلَى ذَلِكَ مُتَوَقّعُونَ لِمَا هُوَ كَائِنٌ إذْ طَلَعَ الزّبَيْرُ وَهُوَ يَسْعَى ، فَلَمَعَ بِثَوْبِهِ[1] وَهُوَ يَقُولُ أَلَا أَبْشِرُوا ، فَقَدْ ظَفِرَ النّجَاشِيّ ، وَأَهْلَكَ اللّهُ عَدُوّهُ وَمَكّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ . قَالَتْ فَوَاَللّهِ مَا عَلِمْتنَا فَرِحْنَا فَرْحَةً قَطّ مِثْلَهَا . قَالَتْ وَرَجَعَ النّجَاشِيّ ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللّهُ عَدُوّهُ وَمَكّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ وَاسْتَوْسَقَ[2] عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ ، فَكُنّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ بِمَكّةَ .

قال ابن كثير: في البداية والنهاية[3]:

"والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله ابن أبي ربيعة والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغير واحد، أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة."

وقال في موضع آخر: "وقد قيل إن قريشا بعثت إلي النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولي مع عمرو بن العاص وعمارة، والثانية: عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة والله أعلم.

---

١ – لمع بثوبه: رفعه وحركة ليراه غيره.

٢ – استوثق: اجتمع.

٣ – البداية والنهاية ٣/٨٠ دار التقوى .

إسلام النجاشي:

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال[1]:

١٨٥- " اجْتَمَعَتْ الْحَبَشَةُ فَقَالُوا لِلنّجَاشِيّ إنّك قَدْ فَارَقْتَ دِينَنَا وَخَرَجُوا عَلَيْهِ . فَأَرْسَلَ إلَى جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ فَهَيّأَ لَهُمْ سُفُنًا وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا وَكُونُوا كَمَا أَنْتُمْ فَإِنْ هُزِمْتُ فَامْضُوا حَتّى تَلْحَقُوا بِحَيْثُ شِئْتُمْ وَإِنْ ظَفِرْتُ فَاثْبُتُوا.

ثُمّ عَمَدَ إلَى كِتَابٍ فَكَتَبَ فِيهِ هُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَيَشْهَدُ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ ؛ ثُمّ جَعَلَهُ فِي قُبَائِهِ عِنْدَ الْمَنْكِبِ الْأَيْمَنِ وَخَرَجَ إلَى الْحَبَشَةِ ، وَصُفّوا لَهُ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ ، أَلَسْتُ أَحَقّ النّاسِ بِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ؛ قَالَ فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرَ سِيرَةٍ قَالَ فَمَا بَالُكُمْ ؟ قَالُوا : فَارَقْت دِينَنَا ، وَزَعَمْت أَنّ عِيسَى عَبْدٌ قَالَ فَمَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ فِي عِيسَى ؟ قَالُوا : نَقُول هُوَ ابْنُ اللّهِ فَقَالَ النّجَاشِيّ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ عَلَى قُبَائِهِ هُوَ يَشْهَدُ أَنّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا شَيْئًا ، وَإِنّمَا يَعْنِي مَا كَتَبَ فَرَضُوا وَانْصَرَفُوا (عَنْهُ).

فَبَلَغَ ذَلِكَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا مَاتَ النّجَاشِيّ صَلّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى النجاشي في شأن جعفر وأصحابه:

ذكر ابن كثير رواية البيهقي بسنده عن محمد بن إسحاق قال[2]:

١٨٦- بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عَمرًا بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك

---

١ – الرواية صحيحة في البداية والنهاية ٣/٨٠ عن زياد البكائي عن ابن إسحاق عن جعفر بن محمد عن أبيه (كلاهما ثقة من رجال مسلم) وجعفر هو الملقب بجعفر الصادق وأبوه هو محمد الباقر وهما من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا.

٢ – هذه الرواية لم يذكر ابن إسحاق سندها لكن ابن كثير حسنها بقوله: وأنسب من هذا ما ذكر البيهقي..الخ، البداية والنهاية ٣/٨٧ .

إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى".

قدوم جعفر رضي الله عنه إلى المدينة مع ابن أخي النجاشي:

قدم جعفر بن أبى طالب مع مهاجري الحبشة ، ومع أبى موسى الأشعرى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأدركوه في خيبر بعد فتحها.

قال ابن كثير:

١٨٧- " روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والله ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب".

وقال: "وقدموا معهم بهدايا وتحف من عند النجاشي - رضي الله عنه - للنبي صلي الله عليه وسلم، وصحبتهم أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم، ومع جعفر هدايا النجاشي ،ابن أخي النجاشي: ذو نختر أو ذو مخمر، أرسله ليخدم النبي صلى الله عليه وسلم عوضا عن عمه[١] رضي الله عنهما وأرضاهما"[٢] .

وروى البخاري[٣] هذه العودة عند فتح خيبر:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

١٨٨- بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ فِي بِضْعٍ وَإِمَّا قَالَ فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ.

فَقَالَ جَعْفَرٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنَا هَاهُنَا وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ

---

١ – أي بديلا عن النجاشي شخصيا الذي كان يتمنى أن يأتي المدينة ويخدم النبي صلى الله عليه وسلم .

٢– البداية والنهاية.

٣ – صحيح البخاري برقم٣٩٠٢ .

لَنَا، أَوْ قَالَ فَأَعْطَانَا مِنْهَا وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.

وفاة النجاشي أصحمة،

وصلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)عليه:

تبين لنا من الروايات السابقة أن النجاشي أصحمة، ويقال: أصحمة قد أسلم إسلاما حقيقيا فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وفاته، صلى عليه.

١٨٩- روى البخاري: عن أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى لَهُمْ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ.[١]

وروي أيضا من طريق أخرى :

١٩٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ يَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ؛ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا.[٢]

وروى الإمام أحمد:

١٩١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ النَّجَاشِيِّ قَالَ: صَلُّوا عَلَى أَخٍ لَكُمْ مَاتَ بِغَيْرِ بِلَادِكُمْ، قَالَ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ جَابِرٌ فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوْ الثَّالِثِ، قَالَ وَكَانَ اسْمُهُ أَصْحَمَةَ.[٣]

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

"وقال بعض العلماء إنما صلى عليه؛ لأنه كان يكتم إيمانه من قومه، فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه، فلهذا صلى عليه النبي (صلى الله عليه وسلم)، قالوا: فالغائب إن كان قد صُلِّي عليه ببلده ،لا تشرع الصلاة ببلد أخرى.

وقال أيضا:

---

١ – صحيح البخاري برقم ٣٥٩١ ترقيم العالمية.

٢ – صحيح البخاري برقم ١٢٤٢ ترقيم العالمية.

٣ – صحيح رواه الإمام أحمد برقم١٤٤٣٤ بسند رجاله ثقات حفاظ عن شركة حرف موسوعة الحديث الشريف..

وشهود أبي هريرة(رضي الله عنه)الصلاة على النجاشي دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر.

سجود سورة النجم وعودة بعض مهاجري الحبشة:

١٩٢- روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

"سَجَدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالنجمِ وسجدَ معهُ المسلمونَ والمشركونَ والجنِّ والإنسِ[١].

وروي أيضا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

" قَرَأَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم [والنجم] بمكَّةَ فسجَدَ فيها وسَجَدَ منْ معهُ غيرَ شيخٍ أخَذَ كفًّا منْ حصَى أو ترابٍ فرَفَعَهُ إلي جبهتِهِ، وقال: يكفيني هذا، فَرَأَيْتُهُ بعدُ قُتِلَ كَافِرًا "[٢].

قال ابن كثير في البداية والنهاية[٣]:

ثم ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة.

قال ابن كثير: وكان النقل ليس بصحيح، والمقصود أن الناقل[٤] لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه، ولم يبق نزاع بينهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها، فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل، فذكر ابن إسحاق أسماء من رجع – منهم: عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر ابن إسحاق أن جميع من قدم مكة من الصحابة من أرض الحبشة ثلاث وثلاثون رجلا من دخل منهم بجوار: عثمان بن مظعون ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد المخزومي، فى حدود ما بلغ ابن إسحاق".

توضيح:

---

١ – صحيح البخاري برقم ٢٠٠٩ ترقيم العالمية.

٢ – صحيح البخاري برقم ١٠٠٥ ترقيم العالمية

٣ – البداية والنهاية ٣/٩٤-٩٥

٤ – أى: ناقل الخبر إلى مهاجري الحبشة.

إذن فالغالب أن الهجرة الأولى، تضمنت دفعتين: أول دفعة كانت ١٢رجلًا ،ا وأربع نسوة، وتلتها دفعة ثانية ..لا يُعرف عددها، وكان فيهم جعفر بن أبي طالب كما يرى ابن كثير.
وكل من هاجر قبل حادثة سجود المشركين.. كان في الهجرة الأولي ، ثم بعد حادثة سجود المشركين مع المسلمين عند سماع سورة النجم وعودة ٣٣ رجلًا.... بعد ذلك حدثت الهجرة الثانية..هل كان عدد من هاجر في الهجرة الثانية ٨٣ رجلًا و١٨ امرأة ؟أم أن هذا الرقم هو إجمالي من هاجر أولًا وثانيًا إلىالحبشة؟ الله أعلم.

الدلالات والعظات في هجرة الحبشة:

١- التفاعل الإسلامي مع العالم:

في هذه الهجرة يتضح مدى الانفتاح وسعة الأفق التي كان يتسم بها نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) فهو ينظر إلى ما بعد الواقع الذي يعيشه في مكة، ولا يرى أنه منغلق على قوم أو على بلد، وأنه مستعد للتعايش والتعامل مع البشر جميعا، ولو كانوا غير مسلمين، والإسلام يتعايش مع الآخر بشرط أن يكون هذا الآخر (عادلًا) ولا مانع أن يطلب الحماية والمساعدة من هذا الآخر العادل.

٢- دعوة الإسلام دعوة عالمية:

لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم على دراية ودراسة تامة بأحوال العالم من حوله؛لأن هذا العالم هو أرض الدعوة التي يتوجه بها النبي صلي الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين، إذن فلابد أن يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم الاتجاهات العالمية والسياسية والدينية في النظم الحاكمة في العالم، ليعلم من هو الأشد عداء ومن هو الأقرب، من هو الظالم ومن هو العادل، وما هي عقائد هؤلاء البشر.

٣- تعدد الوسائل:

المسلمون يعيشون في مكة تحت ضغط الابتلاء والتعذيب وعدوان الزعماء الطغاة من قريش.. وبقاء الحال هكذا دون وجود أمل قوي في التغير.. استدعى أن يفكر الرسول صلى الله عليه وسلم في تعدد الوسائل لمواجهة هذا العدوان وهذا الطغيان.

فتكون الهجرة إحدى هذه الوسائل.. وسوف نتعرف في فصول السيرة القادمة على وسائل أخرى متعددة ،قد لا تنتهي، فالوسائل تتغير وتتطور بتطور الزمان والمكان، طالما حافظ المسلمون على مبادئ العقيدة وجوهر الدين.

٤- العرض المبدع للداعية (جعفر) رضي الله عنه:

إنه عرض يأخذ بالألباب حينما أرسل النجاشي إلى المسلمين ؛ليسمع منهم قبل أن يسلمهم إلى وفد قريش.. كان سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه هو المتحدث باسم المجموعة.

وقد كان اختياره قمة في حسن الاختيار وتوظيف الشخص في المكان المناسب ،وسواء كان الاختيار سابقا بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو بمشورة المجموعة التي بالحبشة، أو كان باقتراح وتطوع منه.

إنه الرجل الفاهم لدعوته.. المدافع عن قضيته.. يستطيع أن يكسب الدعوى ويواجه الخصوم، ويكون سببا رئيسيا ومحوريا ومفصليا لِسَوْق الخير إلى جماعته الذين يمثلهم، فكسب القضية كان يعني العيش في جوار النجاشي وفي أمان وعدل ، وخسران القضية كان يعني تسليمهم إلى قريش ،وفيه ما فيه، وقد كسبها رضي الله عنه.

تعالوا نحلل ترتيبه وتنسيقه وإبداعه في عرض القضية:

ا) ابتدأ بتصوير الحالة التي كانوا عليها قبل الإسلام كأبشع ما يكون، قال: " كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف". هل يرضى عاقل بهذه الحالة ؟؛

ب) ثم وصف الرسول النبي الذي جاءهم بالإسلام وصفًا موجزًا عبقريًا، قال: "بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه".

ج) عرض الإسلام في كلمات قليلة لكنها حملت تلخيصا وافيا لمبادئ الإسلام العظيمة: تكلَّمَ عن الأصول لا عن الفروع، وعن الجوهر لا الشكل.

عرض يعجز كثير من خطباء اليوم الذين يخطبون بالساعات أن يقلدوه في إيجازه وشموله.

قال: فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار،والكف عن

المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور،وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات ... وعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه".

د) ثم عرض عدالة قضيتهم وسبب لجوئهم إلى الحبشة، وما تعرضوا له من ظلم: قال: "فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من دون الله تعالي، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك".

ه) ثم ساق تزكية للملك وعدله وحكمه وهو خطاب مؤثر: "واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك" .

ما أروع هذا العرض! وما أعظم هذا الدرس !!

و) وحينما طلب منه أن يسمع الملك شيئا من القرآن .. كان الاختيار أيضا مناسبا لمسيحية الملك، ليبين له موقف القرآن من السيدة العذراء فقرأ أوائل سورة مريم حتى بكى الملك ،وبكى البطارقة الذين كانوا من دقائق قليلة .. في جانب الخصوم.

٥- <u>أسباب للهجرة يذكرها صاحب الظلال:</u>

يرى الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى أن الهجرة إلى الحبشة لم تكن مجرد فرارًا بالدين من التعذيب والفتن، ولكن كانت لتكوين قاعدة جديدة للدعوة تحميها وتؤمِّنُها إذا ما قُدِّر للأمور أن تتأزم في مكة.

يقول رحمه الله تعالى:

"والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس جاها وقوة ومنعة من المسلمين، غير أن الأمر كان على النقيض من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كانوا يُصَبُّ عليهم معظم الاضطهاد والتهذيب لم يهاجروا، إنما هاجر رجال ذوو عصبيات لهم ما يحميهم من الأذى والفتنة ،منهم جعفر بن أبي طالب، وأبوه وبنو هاشم هم الذين كانوا يحمون النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم الزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة المخزومي ، وعثمان بن عفان الأموي ، وغيرهم، وهاجرت

نساء كذلك من أشرف بيوت مكة ما كان الأذى لينالهن أبدا، ربما هاجرن لإثارة هزة في أوساط البيوت الكبيرة في قريش مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان زعيم الجاهلية.[1]

ويؤيد هذا الأستاذ منير الغضبان في المنهج الحركي فيقول:

فلم نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث في طلب مهاجري الحبشة، حتى مضت هجرة يثرب وبدر وأحد والخندق والحديبية.

لقد بقيت يثرب معرضة لاجتياح كاسح من قريش خمس سنوات، وبعد أن انتهى الخطر في اجتياح المدينة بعد الخندق، وجاء صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة.. وحين اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن المدينة قد أصبحت قاعدة آمنة للمسلمين وانتهى خطر اجتياحها، عندئذ بعث في طلب المهاجرين من الحبشة[2].

من الدروس التي استخلصها الشيخ سعيد حوى-رحمه الله تعالى-[3]:

أ) يلاحظ أن مهاجري الحبشة لم يكلفوا بأية مهام دعوية على أرض الحبشة، وهذا يفتح أمامنا بابا واسعا في آداب المسلم إذا ما اضطرته ظروفه إلى الهجرة فإنه في هذه الحالة يسعه أن يلاحظ قوانين البلد الآخر، وألا يتدخل في شئونه الداخلية إلا بالقدر الذي يسمح به البلد الآخر.

ب) النجاشي أسلم في النهاية وبقي على رأس نظام له قوانين غير إسلامية، وقَبِلَ الرسول صلى الله عليه وسلم منه ذلك وصلى عليه لما مات.

٦- وأخيرًا نقول:

إن آخر من يتوقع منهم قبول الدعوات الجديدة والرسالات، هم الملوك فالملك عنده من الدنيا متاع عريض ،ومن الحاشية من يقف رهن إشارته، والدعوة الجديدة ستحمله على التواضع والتنازل عن جبروته، بل والتنازل عن بعض سلطاته طاعةً لِلَّه ولرسوله ولشريعته، ومع هذه الصعوبات نجد النجاشي يؤمن بهذه الرسالة من أول ساعة، ويتهدد ملكه

---

١ – في ظلال القرآن ط دار الشروق ص٢٩ بتصرف يسير.

٢ – المنهج الحركي للسيرة النبوية مكتبة المنار ص(٦٧–٦٨) بتصرف يسير.

٣ – راجع الأساس في السيرة النبوية ج١ص٢٥٦ ط دار السلام.

بالخارجين عليه الرافضين لحماية هؤلاء المسلمين.. ويرسل ابن أخيه ليخدم النبي صلى الله عليه وسلم بديلا عنه وقد كان مستعدا ليقوم بذلك بنفسه.

هذا رجل خشع قلبه لله عز وجل.. والقلوب ملك لله القدير المقدر سبحانه يقلبها كيف يشاء.

الله سبحانه هو القادر على أن يهيِّئ للدعوة مَلِكًا أو رئيسا طائعا خاشعا لله تعالي، يُسَخِّر ملكه لتأمين الدعاة.

مثل .. وحكمة.. وعبرة.

بقدر ما يتحمل الدعاة من الأذى والبلاء.. ينتظرون من الله دائما الفرج والأمانة والتمكين.

الفصل الخامس:

عزُّ الإسلام بحمزة وعمر

(رضي الله عنهما):

الله لطيف بعباده، وفي ابتلائه لهم لطف ورحمة وأجر ومثوبة.. وحينما يقدر الله على المؤمنين فترة شدة، فإنما هي امتحان لقوة إيمانهم واستعدادهم للتحمل والثبات والصبر والتضحية في سبيل الله.

لكنَّ عِلْم الله سبحانه بطبيعة البشر وضعفهم جعلت رحمته تدركهم حينما تشتد الأزمات.

وفي وسط أزمة الاضطهاد في مكة يقدر الله عز وجل إسلام بطلين من أبطال الإسلام ورجلين مُهَابَيْنِ من رجالات قريش ذوي الشكيمة والقوة والبأس وهما: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي رواية صحيحة أن إسلام حمزة رضي الله عنه كان أسبق من إسلام الفاروق بثلاثة أيام فقط.. يعني في خلال ثلاثة أيام ينتقل المسلمون من حال إلى حال أعز وأقوي.. وهذا فضل الله يتنزل في كل حين.

إسلام حمزة:

١٩٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

حَدّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ ، كَانَ وَاعِيَةً:

أَنّ أَبَا جَهْلٍ مَرّ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ الصّفَا ، فَآذَاهُ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنْ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتّضْعِيفِ لِأَمْرِهِ فَلَمْ يُكَلّمْهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَمَوْلَاةٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ في مسكن لها تسمع ذلك - ثم انصرف عنه فَعَمَدَ إلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ . فَلَمْ يَلْبَثْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوَشّحًا[1] قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ[2] لَهُ وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ وَكَانَ إذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ

---

١ - يلبسه كالوشاح يكشف كتفا ويغطي الأخرى.

٢ - قنص: صيد.

يَصِلُ إِلَى أَهْلِهِ حَتّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُرّ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلّا وَقَفَ وَسَلّمَ وَتَحَدّثَ مَعَهُمْ وَكَانَ أَعَزّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَأَشَدّ شَكِيمَةً.

فَلَمّا مَرّ بِالْمَوْلَاةِ وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِلَى بَيْتِهِ، قَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيك مُحَمّدٌ آنِفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ! وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا فَآذَاهُ وَسَبّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يُكَلّمْهُ مُحَمّدٌ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ .

فَاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الْغَضَبُ لِمَا أَرَادَ اللّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فَخَرَجَ يَسْعَى وَلَمْ يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ ، مُعِدّا لِأَبِي جَهْلٍ إذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ. فَلَمّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتّى إذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجّهُ شَجّةً مُنْكَرَةً، ثُمّ قَالَ: أَتَشْتِمُهُ وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ فَرُدّ ذَلِكَ عَلَيّ إنْ اسْتَطَعْت.

فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ إلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ فَإِنّي وَاَللّهِ قَدْ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمّ حَمْزَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَلَى إسْلَامِهِ وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ قَوْلِهِ . فَلَمّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ عَزّ وَامْتَنَعَ وَأَنّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ فَكَفّوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ[1] .

<u>دلالة:</u>

يتضح من الرواية أن حكمة الله عز وجل أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قبيلة، عزيزة الجانب، قوية.

يتضح ذلك عندما يغضب حمزة- رضي الله عنه- كل هذا الغضب لمجرد سب ابن أخيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ويكون ردُّهُ بهذه القوة على أبي جهل برغم زعامة أبي جهل ومكانته في قريش وبني مخزوم.

وفي هذا شبه لما جاء في سورة هود، فقد قال قوم شعيب لنبيهم عليه السلام:

{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجمَنْاَكَ} ، إذن، فالظاهر أن حكمة الله شاءت أن يتحمل محمد صلى الله عليه وسلم بعض الأذى النفسي والحزن ويجاهد جهادًا طويلًا...لكن

مع ذلك يوفر الله عز وجل له بعض الحماية من عشيرته حتى لا يتعرض لمهانة قد لا تتناسب مع مكانة الأنبياء.. والله أعلم.

<u>حمزة يراجع نفسه:</u>

<u>قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:</u>

١٩٥ - ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك؟! لَلْموتُ خيرٌ لك مما صنعت. فأقبل حمزة على نفسه وقال: ما صنعت؟ .. اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا.

فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على مالا أدري ما هو، أَرُشْدٌ أم غيٌّ شديد ؟، فحدِّثْني حديثا ، فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني.

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكَّرَهُ ووعظه وخوَّفه وبشَّرَهُ ، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأَظْهِرْ يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول، فكان حمزة ممن أعز الله به الدين[١].

في تصوري أن هذه المراجعة كانت نتيجة وسوسة الشيطان.. وإذا وقعت وسوسة الشيطان في قلب طاهر نقي ،فإنها تكون فرصة لكي يراجع نفسه: هل هو قد أسلم لمجرد الغضب للعصبية.. أم أنه أسلم لله رب العالمين .. وإيمانا بحقائق الإسلام.

ثم قال في نهاية حواره مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن وعظه وخوفه وبشره قال: "فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول". إنه الإيمان الحقيقي.. والهداية المتبصرة المتيقنة الثابتة.

---

١ – هذا الجزء من الرواية ليس في سيرة ابن هشام لكن أورده ابن كثير في البداية والنهاية عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق وقال في آخره: وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به. أقول: وهؤلاء الرواة الذين ذكرهم البيهقي ثقات إلا أحمد بن عبد الجبار لم أجد في لسان الميزان لابن حجر إلا أحمد بن عبد الجبار السكوني ويروي حديثا عن القاضي أبو يوسف وأظنه غير هذا المذكور الذي يكثر البيهقي الرواية عن الحاكم عن الأصم عنه وكلاهما إمام ثقة حافظ.

إسلام الفاروق رضي الله عنه:

مثلما كان إسلام أبي بكر رضي الله عنه فاتحا، كان إسلام عمر رضي الله عنه فارقا.. كان إسلام أبي بكر فاتحا كأول من يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال، وهو صاحبه وصديقه وموضع ثقته.. انشرح صدر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، وكذلك كان فاتحا لأن الدفعة الأولى من السابقين إلى الإسلام قد أسلموا بدعوة أبي بكر.

وكان إسلام عمر فارقا - ولذا سمي الفاروق - بين مرحلتين: مرحلة تَخَفِّي الصحابة بإسلامهم وخوفِهِم من قريش ، وبين مرحلة عِزّة وقوة وإعلان الإسلام ، بل والصلاة عند الكعبة وكانت بعد إسلام عمر رضى الله عنه.. وخصوصا أن إسلام عمر جاء بعد إسلام حمزة رضي الله عنه بأيام معدودة رجح (المباركفوري) أنها ثلاثة أيام وأن إسلامهما في شهر ذي الحجة من السنة الخامسة للبعثة.

يبين لنا سيدنا عبد الله بن مسعود هذه العزة:

روىالبخاري رضي الله عنه ابن مسعود قال:

١٩٦- "ما زلنا أعزة، منذ أسلم عمر بن الخطاب"[١].

وكذا روى زياد البكائي بسنده عن ابن مسعود أيضًا ،قال:

١٩٧- "إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة، حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر ،قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه"[٢].

اللين يطرق قلب ابن الخطاب:

١٩٨- روى ابن إسحاق:

عَنْ أُمّ عَبْدِ اللّهِ بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ ، قَالَتْ وَاَللّهِ إنّا لَنَتَرَحّلُ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ فِي بَعْضِ حَاجَاتِنَا ، إذْ أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ حَتّى وَقَفَ عَلَيّ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ - قَالَتْ وَكُنّا نَلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَذًى لَنَا وَشِدّةً عَلَيْنَا - قَالَتْ فَقَالَ إنّهُ لَلِانْطِلَاقُ يَا أُمّ عَبْدِ اللّهِ . قَالَتْ فَقُلْت :

---

١ – رواه البخاري (٣٤٠٨) ترقيم العالمية.

٢ – صحيح البداية والنهاية ٨٢/٣ والهيثمي في المجمع والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

نَعَمْ وَاَللّهِ لَنَخْـرُجَنّ فِي أَرْضِ اللّهِ آذَيْتُمُونَـا وَقَهَرْتُمُونَـا ، حَتّى يَجْعَـلَ اللّهُ مَخْرَجًـا . قَالَـتْ فَقَـالَ صَحِبَكُمْ اللّهُ وَرَأَيْت لَهُ رِقّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا ، ثُمّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ - فِيمَا أَرَى - خُرُوجُنَا.

قَالَتْ فَجَاءَ عَامِرٌ بِحَاجَتِهِ تِلْكَ فَقُلْت لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آنِفًا وَرِقّتَهُ وَحُزْنَهُ عَلَيْنَا . قَالَ أَطَمِعْتِ فِي إسْلَامِهِ ؟ قَالَتْ قُلْت : نَعَمْ قَالَ فَلَا يُسْلِمُ الّذِي رَأَيْتِ حَتّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطّابِ قَالَتْ يَأْسًا مِنْهُ لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنْ الْإِسْلَامِ [١].

دلالة وعظة:

تقول أم عبد الله: "ورأيت له رقة لم أكن أراها" هذا يدل على حاسة إيمانية قوية ،التقطت الإشارات الأولى في تغير عمر بن الخطاب، لكن زوجها -لأنه لم يسمع شخصيا من عمر- كان يظن أنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب.

يبحث عن الخَمَّار فإذا هو يهتدي إلى سيد الأخيار صلى الله عليه وسلم :

يقول عن نفسه:

١٩٩- كُنْت لِلْإِسْلَامِ مُبَاعِدًا ، وَكُنْت صَاحِبَ خَمْرٍ فِي الْجَاهِلِيّةِ أُحِبّهَا وَأُسِرّ بِهَا، وَكَانَ لَنَا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْحَزْوَرَةِ، قَالَ: فَخَرَجْت لَيْلَةً أُرِيدُ جُلَسَائِي أُولَئِكَ فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ، قَالَ فَجِئْتهمْ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدًا . قَالَ فَقُلْت: لَوْ أَنّي جِئْتُ فُلَانًا الْخَمّارَ وَكَانَ بِمَكّةَ يَبِيعُ الْخَمْرَ لَعَلّي أَجِدُ عِنْدَهُ خَمْرًا فَأَشْرَبَ مِنْهَا.

قَالَ فَخَرَجْتُ فَجِئْته فَلَمْ أَجِدْهُ . قَالَ فَقُلْت: فَلَوْ أَنّي جِئْتُ الْكَعْبَةَ فَطُفْت بِهَا سَبْعًا أَوْ سَبْعِينَ . قَالَ فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَائِمٌ يُصَلّي ، وَكَانَ إذَا صَلّى اسْتَقْبَلَ الشّامَ ، وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشّامِ، وَكَانَ مُصَلّاهُ بَيْنَ الرّكْنَيْنِ الرّكْنِ الْأَسْوَدِ وَالرّكْنِ الْيَمَانِيّ. قَالَ فَقُلْت حِينَ رَأَيْتُهُ وَاَللّهِ لَوْ أَنّي اسْتَمَعْت لِمُحَمّدٍ اللّيْلَةَ حَتّى أَسْمَعَ مَا يَقُولُ (قَالَ) فَقُلْت : لَئِنْ دَنَوْتُ مِنْهُ أَسْتَمِعُ مِنْهُ لَأُرَوّعَنّهُ فَجِئْت مِنْ قِبَلِ الْحِجْرِ، فَدَخَلْت تَحْتَ ثِيَابِهَا، فَجَعَلْتُ أَمْشِي رُوَيْدًا، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَائِمٌ يُصَلّي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَتّى قُمْت فِي قِبْلَتِهِ مُسْتَقْبِلَهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلّا ثِيَابُ الْكَعْبَةِ.

قَالَ فَلَمّا سَمِعْتُ الْقُرْآنَ رَقّ لَهُ قَلْبِي، فَبَكَيْتُ وَدَخَلَنِي الْإِسْلَامُ[١].

---

١ – حديث حسن رواه ابن اسحق عن عبد الرحمن بن الحارث (صدوق له أوهام) عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ثقة من كبار التابعين، عن أمه صحابية.

دلالة وعظة:

خرج عمر رضي الله عنه يريد الخمار ليشرب الخمر، لكن الله سبحانه يقدر له الهدى فيدخل الكعبة، فيسمع القرآن فتتنزل آياته على هذا القلب، الذي طالما وصف بالقسوة والفظاظة والغلظة.. ليبدأ هذا القلب رحلة التحول العظيم إلى الإيمان.

وفي بقية القصة السابقة أنه تبع النبي صلى الله عليه وسلم حتى دار ابن أزهر في الطريق إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه آمن بالله ورسوله تلك الساعة، لكن ابن إسحاق يروي أيضا الرواية الأشهر عن إسلام عمر رضي الله عنه.

في بيت فاطمة بنت الخطاب:

٢٠٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَكَانَ إسْلَامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنّ أُخْتَه فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطّابِ، وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بَعْلُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ النّحّامُ ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمَ ، وَكَانَ أَيْضًا يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ فَرَقًا مِنْ قَوْمِهِ.

وَكَانَ خَبّابُ بْنُ الْأَرَتّ يَخْتَلِفُ إلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصّفَا ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَمَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَمّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصّدّيقُ وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ مِمّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فَقَالَ لَهُ أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ أُرِيدُ مُحَمّدًا هَذَا الصّابِئَ الّذِي فَرّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ ، وَسَفّهُ أَحْلَامَهَا ، وَعَابَ دِينَهَا ، وَسَبّ آلِهَتَهَا ، فَأَقْتُلَهُ فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ وَاَللّهِ لَقَدْ غَرّتْك نَفْسُك مِنْ نَفْسِك يَا عُمَرُ أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيك تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْت

---

[١] – صحيح رواه ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح المكي(ثقة) تخريج طبعة دار الحديث عن إسحاق. وهو خطأ والصحيح عن عطاء ومجاهد وهما من كبار التابعين.

مُحَمّدًا أَفَلَا تَرْجِعُ إلَى أَهْلِ بَيْتِك فَتُقِيمَ أَمْرَهُمْ ؟ قَالَ . وَأَيّ أَهْلِ بَيْتِي ؟ قَالَ خَتَنُك[1] وَابْنُ عَمّك سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأُخْتُك فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ ، فَقَدْ وَاَللّهِ أَسْلَمَا ، وَتَابَعَا مُحَمّدًا عَلَى دِينِهِ فَعَلَيْك بِهِمَا.

قَالَ فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إلَى أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ وَعِنْدَهُمَا خَبّابُ بْنُ الْأَرَتّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا: { طَه } يُقْرِئُهُمَا إيّاهَا ، فَلَمّا سَمِعُوا حِسّ عُمَرَ تَغَيّبَ خَبّابٌ فِي مِخْدَعٍ لَهُمْ أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ الصّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا.

وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبّابٍ عَلَيْهِمَا ، فَلَمّا دَخَلَ قَالَ مَا هَذِهِ الْهَيْنَمَةُ[2] الّتِي سَمِعْتُ ؟ قَالَا لَهُ مَا سَمِعْتَ شَيْئًا ؛ قَالَ بَلَى وَاَللّهِ لَقَدْ أُخْبِرْت أَنّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمّدًا عَلَى دِينِهِ وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ؛ فَقَامَتْ إلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطّابِ لَتَكُفّهُ عَنْ زَوْجِهَا ، فَضَرَبَهَا فَشَجّهَا ؛ فَلَمّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَخَتَنُهُ نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنّا بِاَللّهِ وَرَسُولِهِ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك.

فَلَمّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنْ الدّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَارْعَوى[3] ، وَقَالَ لِأُخْتِهِ أَعْطِينِي هَذِهِ الصّحِيفَةَ الّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَءُونَ آنِفًا أَنْظُرْ مَا هَذَا الّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا ؛ فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ إنّا نَخْشَاك عَلَيْهَا ؛ قَالَ لَا تَخَافِي . وَحَلَفَ لَهَا بِآلِهَتِهِ لَيَرُدّنّهَا إذَا قَرَأَهَا إلَيْهَا ؛ فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ طَمِعَتْ فِي إسْلَامِهِ فَقَالَتْ لَهُ يَا أَخِي ، إنّكَ نَجِسٌ عَلَى شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها { طَه } فَقَرَأَهَا ؛ فَلَمّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا، قَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ.

فَلَمّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبّابٌ خَرَجَ إلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ وَاَللّهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللّهُ قَدْ خَصّك بِدَعْوَةِ نَبِيّهُ فَإِنّي سَمِعْته أَمْسِ وَهُوَ يَقُولُ اللّهُمّ أَيّدْ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرِ بْنِ الْخَطّابِ فَاَللّهَ اللّهَ يَا عُمَرُ.

فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدُلّنِي يَا خَبّابُ عَلَى مُحَمّدٍ حَتّى آتِيَهُ فَأُسْلِمَ فَقَالَ لَهُ خَبّابٌ هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصّفَا ، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشّحَهُ ثُمّ عَمَدَ إلَى رَسُولِ

---

١ – ختنك: أي زوج أختك.

٢ – الهينمة: صوت كلام لا يفهم.

٣ – فارعوى: تراجع عن شدته وغلظته.

اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ الْبَابَ، فَلَمّا سَمِعُوا قام رجل من أصحاب صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَرَآهُ مُتَوَشّحًا السّيْفَ فَرَجَعَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ فَزِعٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ مُتَوَشّحًا السّيْفَ؟ فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ: فَأْذَنْ لَهُ فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ وَإِنْ كَانَ (جَاءَ) يُرِيدُ شَرّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ائْذَنْ لَهُ فَأَذِنَ لَهُ الرّجُلُ وَنَهَضَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ حُجْزَتَهُ أَوْ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ثُمّ جَبَذَهُ (بِهِ) جَبْذَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ مَا جَاءَ بِك يَا ابْنَ الْخَطّابِ؟ فَوَاَللّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتّى يُنْزِلَ اللّهُ بِك قَارِعَةً؟ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّهِ جِئْتُك لِأُومِنَ بِاَللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ، قَالَ فَكَبّرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ[1].

---

١ – حديث حسن جاء في تخريج (دار الحديث) لسيرة ابن هشام أن إسناده ضعيف وعلته القاسم بن عثمان البصري قال الحافظ في اللسان ٥٤٢/٤ قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، قال الحافظ: حدث عنه إسحق الأزرق بمتن محفوظ وتعقبه إسلام وهي منكرة جدًا ا.هـ. أقول: ووجدت في العبارة الأخيرة جزءًا غير مفهوم كأنه خطأ مطبعي وكان كذلك، كما أن تضعيف الرواية لا أقرهم عليه – جاء في لسان الميزان لابن حجر – ط مكتب المطبوعات الإسلامية تحقيق أبو غدة : "قال البخاري له أحاديث لا يتابع عليها. قال ابن حجر: حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ بقصة إسلام عمر، وهي منكرة جدًا أ.هـ، وبقية لسان الميزان فيه: وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه وذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني: ليس بقوي. وقد علق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على قول الحافظ "قال البخاري له أحاديث لا يتابع عليها" فقال: لم أجد قول البخاري في تاريخه أو الضعفاء الكبير أو الصغير، ورجَّحَ أن العبارة قد تكون للعقيلي ووهم ابن حجر في ذلك.

أقول : وقصة إسلام عمر رضي الله عنه مشهورة جدًا.. وقد ذكروا هم أنفسهم – أصحاب تخريج دار الحديث – أن القصة في دلائل البيهقي وطبقات ابن سعد وفي موضع آخر قالوا: وإسلام عمر رضي الله عنه مشهور محفوظ وفيه أحاديث صحاح غير ما تقدم منها على سبيل المثال...الخ.

أقول: يكفينا ذكر ابن حبان للقاسم في الثقات وقول الدارقطني: ليس بقوى لم يصرح بالضعف يجعلنا نرتفع بالرواية إلى درجة (الحسن).

عمر يواجه قريشًا بإسلامه:

كعادته رضي الله عنه في صراحته وقوته ،أخبر قريشًا صراحة وفورًا بإسلامه، في وقت لم يكن أحد يجرؤ على ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه وقليل من الصحابة.

٢٠١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ لَمّا أَسْلَمَ أَبِي عُمَرُ قَالَ أَيّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ لِلْحَدِيثِ ؟ فَقِيلَ لَهُ: جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْجُمَحِيّ . قَالَ فَغَدَا عَلَيْهِ . قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ : فَغَدَوْت أَتْبَعُ أَثَرَهُ وَأَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ كُلّ مَا رَأَيْتُ حَتّى جَاءَهُ فَقَالَ لَهُ أَعَلِمْتَ يَا جَمِيلُ أَنّي قَدْ أَسْلَمْت : وَدَخَلْت فِي دِينِ مُحَمّدٍ ؟ قَالَ فَوَاَللّهِ مَا رَاجَعَهُ حَتّى قَامَ يَجُرّ رِدَاءَهُ وَاتّبَعَهُ عُمَرُ وَاتّبَعْت أَبِي ، حَتّى إذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، وَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، أَلَا إنّ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ قَدْ صَبَأَ. قَالَ (و) يَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ كَذَبَ وَلَكِنّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَثَارُوا إلَيْهِ فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ حَتّى قَامَتْ الشّمْسُ عَلَى رُءُوسِهِمْ . قَالَ وَطَلِحَ[١] فَقَعَدَ وَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَأَحْلِفُ بِاَللّهِ أَنْ لَوْ قَدْ كُنّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ (لَقَدْ) تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا ، قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، عَلَيْهِ حُلّةٌ حِبْرَةٌ[٢] وَقَمِيصٌ مُوَشّى ، حَتّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : صَبَا عُمَرُ فَقَالَ فَمَهْ رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا فَمَاذَا تُرِيدُونَ ؟ أَتَرَوْنَ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ هَكَذَا خَلّوا عَنْ الرّجُلِ . قَالَ فَوَاَللّهِ لَكَأَنّمَا كَانُوا ثَوْبًا كُشِطَ[٣] عَنْهُ.

قَالَ فَقُلْت لِأَبِي بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ إلَى الْمَدِينَةِ : يَا أَبَتْ مَنْ الرّجُلُ الّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْك بِمَكّةَ يَوْمَ أَسْلَمْت ، وَهُمْ يُقَاتِلُونَك ؟ فَقَالَ ذَاكَ أَيْ بُنَيّ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ السّهْمِيّ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :

---

١ – أي قاتلهم سيدنا عمر حتى تعب.

٢ – حلة حبرة: ثوب موشي أو به خطوط.

٣ – كشط عنه: أي نزع عنه، يعني تفرقوا عنه سريعا.

وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّهُ قَالَ يَا أَبَتْ مَنْ الرّجُلُ الّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْك (بِمَكّةَ) يَوْمَ أَسْلَمْتَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَك، جَزَاهُ اللّهُ خَيْرًا. قَالَ يَا بُنَيّ ذَاكَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ لَا جَزَاهُ اللّهُ خَيْرًا[1].

عمر يغيظ أبا جهل:

٢٠٢- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ بَعْضِ آلِ عُمَرَ أَوْ بَعْضِ أَهْلِهِ قَالَ:

قَالَ عُمَرُ: لَمّا أَسْلَمْتُ تِلْكَ اللّيْلَةَ تَذَكّرْت أَيّ أَهْلِ مَكّةَ أَشَدّ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَدَاوَةً حَتّى آتِيَهُ فَأُخْبِرَهُ أَنّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالَ قُلْت : أَبُو جَهْلٍ - وَكَانَ عُمَرُ لِحَنْتَمَةَ بِنْتِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ - قَالَ فَأَقْبَلْت حِينَ أَصْبَحْتُ حَتّى ضَرَبْتُ عَلَيْهِ بَابَهُ . قَالَ فَخَرَجَ إلَيّ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِ أُخْتِي ، مَا جَاءَ بِك ؟ قَالَ جِئْتُ لِأُخْبِرَك أَنّي قَدْ آمَنْت بِاَللّهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمّدٍ وَصَدّقْت بِمَا جَاءَ بِهِ، قَالَ فَضَرَبَ الْبَابَ فِي وَجْهِي وَقَالَ: قَبّحَك اللّهُ وَقَبّحَ مَا جِئْت بِهِ[2]
.

دلالات وعظات في إسلام الفاروق (رضي الله عنه):

سبق أن ذكرنا أن أم عبد الله بنت حثمة كانت لها فراسة المؤمن ،حين رأت بوادر رقة في قلب عمر حينما أشفق عليهم، وقال: صحبكم الله ، عندما رآها مهاجرة إلى الحبشة .. إذن ،أغلظ القلوب وأقساها لا تستعصي على هدى الله ، {قل إن هدى الله هو الهدى}.

ربما انتهى أثر تلك الحادثة، بدليل أن عمر توشح سيفه يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، برغم أن هذا عمل خطير على عمر؛ لأنه يعلم أن بني هاشم يمكن أن يثأروا لمحمد صلى الله عليه وسلم ويقتلوه، إلى هذه الدرجة كانت كراهية عمر للإسلام.

** نعيم بن عبد الله النحام رضي الله عنه تصرف بمنتهى الإحساس بالمسئولية و بمنتهى حسن التصرف:

- فهو لم يخبر عمر بإسلامه.
- ولم يُظهر له أنه يريد صرف وجهته عن النبي صلى الله عليه وسلم .
- وبدا كأنه ينصحه: أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟

---

١ – الرواية صحيحة حدث فيها ابن إسحاق عن نافع (تابعي إمام حافظ) عن ابن عمر رضي الله عنه.

٢ – رواه ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث وهو إسناد قوي عن بعض آل عمر رضي الله عنه.

- وربما رأىأن عناد عمر يمنعه من الرجوع، فاستثار فيه خاصية أخرى غير التخويف من بني هاشم، فيذكر له - وكأنه يعيره - إسلام ناس من أهل بيته لا يستطيع السيطرة عليهم!!.

وقد نجحت خطته.

لكن هل دفعته حكمته أن يوازن بين الخطر على شخص النبي العظيم صلىالله عليه وسلم صاحب الرسالة وبين الخطر على أخت عمر وزوجها ؛فرأى أن يضحي بأخت عمر وزوجها ؛إنقاذًا للنبي صلى الله عليه وسلم ؟؟

ربما كان هذا أمرًا صحيحًا، لكنه ربما رأى أيضا أن العاطفة التي تربط عمر رضي الله عنه بأخته قد تمنعه من الإضرار الجسيم بها.

** خباب بن الأرَتّ يختفي خوفًا من عمر، شعور فطري غير معيب وعمر يبطش بأخته وختنه، فتعلن أخته الحقيقة وتواجه عمر، وتكون هذه المواجهة سببًا في مراجعته نفسه.

** عمر أسلم ؛لأنه قرأ صدرًا من سورة طه، فكان الأثر القرآني هو ذروة الأثر ،وتتمة بعض الجهود البشرية، وكانت الهداية القرآنية لعمر هي الجائزة الربانية للمؤمنين جميعًا في هذه المرحلة من الدعوة.

** فيجب أن يكون القرآن مادة للدعوة في أيدي المؤمنين بما اشتملت عليه آياته من نظام عجيب ، وحكَمٍ بالغة، بل،وبركة قرآنية نوقن بها أيضًا.

الفصل السادس:

المقاطعة العامة والحصار الاقتصادي:

فكرة شيطانية جديدة اجتمع عليها شياطين قريش من الكفار والمعاندين، الذين لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمة.

قد جربوا مع المسلمين كل أنواع الظلم والقهر والبطش..عذبوا المستضعفين واستهزءوا بالرسول(صلى الله عليه وسلم)، وبالمسلمين، واجتهدوا كي لا يسمع الناس القرآن وحذروا كل أفراد القبائل التي تأتي إلى موسم الحج.. حذروهم من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سماع القرآن.

لكن الدعوة الإسلامية مع الوقت تكتسب أفرادًا جددًا، وأرضًا جديدة.. فلقد تغير الأمر ،وأقلق قريشًا أمان المسلمين في أرض الحبشة .. وإسلام حمزة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فكانت هذه الفكرة الجديدة والشاذة على التقاليد العربية، التي كانت كما سبق أن ذكرنا تفتخر بصلة الأرحام وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف.

وهذه رواية موسى بن عقبة عن الزهري[1] قال:

٢٠٣- "ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية".

موقف أبي طالب:

قال الزهري: فلما رأى أبو طالب عمل القوم، جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يُدخِلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعبهم وأمرهم أن يمنعوه ممن أراد قتله، فلما عرفت قريش أن

---

١ – هذه رواية جيدة عن إمام كبير (الزهري)..وسنذكرها مجزأة بقولنا: قال الزهري: في كل مقطع . وقد أوردها ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٨٨ وفي آخرها قال : قال البيهقي : هكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ، يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله، أقول يريد ابن كثير مزيد توثيق للرواية برواية البيهقي بسند صحيح، وأقول أيضا: ورواية ابن إسحاق التي سنذكرها أيضا في مقاطع تتقوى بالروايتين.

القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا على ذلك؛ اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم ألايجالسوهم.....الخ .

سبب آخر يراه ابن إسحاق :

٢٠٤- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ نَزَلُوا بَلَدًا أَصَابُوا بِهِ أَمْنًا وَقَرَارًا ، وَأَنّ النّجَاشِيّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إلَيْهِ مِنْهُمْ وَأَنّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ ، فَكَانَ هُوَ وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ يَفْشُو فِي الْقَبَائِلِ اجْتَمَعُوا وَائْتَمَرُوا (بَيْنَهُمْ)...

بنود الصحيفة الظالمة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

اجْتَمَعُوا وَائْتَمَرُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ عَلَى أَنْ لَا يُنْكِحُوا إلَيْهِمْ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا ، وَلَا يَبْتَاعُوا[1] مِنْهُمْ، فَلَمّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ ثُمّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَى ذَلِكَ ثُمّ عَلّقُوا الصّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وقال الزهري: أجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

اشتد البلاء على بني هاشم وعلى المسلمين:

قال الزهري: فلبثت بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعامًا، يقدم مكة، ولا بيعًا،إلا بادروهم إليه فاشتروه.

وقال ابن إسحاق: ثم عَدَوْا على من أسلم، فأوثقوهم وآذوهم، واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالًا شديدًا .

قال ابن كثير: ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شِعب أبي طالب، وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد، حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع.

---

[1] – يبتاعوا منهم:يشتروا منهم.

أبو طالب يفتدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأبنائه:

قال الزهري : فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرًا واغتيالًا له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يأتي بعض فرشهم، فينام عليه.

خرق سري للحصار:

وُجِد في قريش أناس لم يقبلوا هذا الظلم وقطع الأرحام، وتمسكوا بالرحمة والمروءة، لكنهم فعلوا ذلك سرًّا من قريش.

قال ابن إسحاق:

وكان هشام لبني هاشم واصلًا - يقصد هشام بن عمرو بن الحارث، قريب لبعض بني عبد مناف من جهة أمه - وكان ذا شرف في قومه، فكان فيما بلغني يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلًا قد أوْقَرَه[1] طعاما، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطامه[2]من رأسه ثم ضرب على جبينه، فدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بُرًّا؛ فيفعل به مثل ذلك.

وحكيم بن حزام أيضًا:

قال ابن إسحاق:

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتّى جَهَدُوا لَا يَصِلُ إلَيْهِمْ شَيْءٌ إلّا سِرّا مُسْتَخْفِيًا مِمَنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

وَقَدْ كَانَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ - فِيمَا يَذْكُرُونَ لقى حَكِيمَ بْنَ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ ، مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قَمْحًا يُرِيدُ بِهِ عَمّتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَعَهُ فِي الشّعْبِ ، فَتَعَلّقَ بِهِ وَقَالَ أَتَذْهَبُ بِالطّعَامِ إلَى بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَاَللّهِ لَا تَبْرَحُ أَنْت وَطَعَامُك حَتّى أَفْضَحَك بِمَكّةَ.

---

١ – أوقره طعاما: حمله بالطعام.

٢ – خطام: لجام.

فَجَاءَ أَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ ، فَقَالَ مَا لَك وَلَهُ ؟ فَقَالَ يَحْمِلُ الطّعَامَ إلَى بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ (لَهُ) أَبُو الْبَخْتَرِيّ طَعَامٌ كَانَ لِعَمّتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ إلَيْهِ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا؟ خَلّ سَبِيلَ الرّجُلِ فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ حَتّى نَالَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيّ لَحْيَ بَعِيرٍ فَضَرَبَهُ بِهِ فَشَجّهُ وَوَطِئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابَهُ فَيَشْمَتُوا بِهِمْ .

انهيار الحصار:

- تحمل المسلمون ومعهم بنو عبد مناف - إلا أبا لهب - تحملوا هذه القطيعة وهذا الحصار في الشعب ،ثلاث سنين.
- وهذه بطولة ورجولة.. تستحق الإشادة.
- وهذا ما يمكن أن نسميه في عصرنا الحاضر: " الصمود ".
- وأعني بذلك أنك قد لا تستطيع أن تقهر عدوك ماديا وعسكريا إذا كان تفوقه فوق الطاقة.
- وقد لا يستطيع المسلمون فك الحصار الذي يفرضه عليهم الأعداء.
- لكن المسلمين يقهرون عدوهم بالصمود، إذا تحملوا كل هذه الضغوط، ولم يستسلموا لمطالبه، ولم يتنازلوا عن المبادئ مهما تحملوا من شدائد.
- عند ذلك يمكن أن ينهار الحصار.

<u>وقد حدث ذلك في حصار الشعب المذكور:</u>

- ظهر أناس من قريش يرفضون هذا الظلم.
- وتحولوا من الرفض السلبي إلى الرفض الإيجابي.
- وتدخلت قدرة الله في تسليط الأرضة على الصحيفة؛ لتكون المعجزة أمام قريش تثبت بطلان ما في الصحيفة.

<u>وهذا تفصيل ما حدث:</u>

<u>قال الزهري:</u>

" وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق، ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسمًا لِلَّه فيها إلا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة[1] رحم.

وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم، فذكر ذلك رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) لأبي طالب، فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب، حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش".

<u>قريش ظنت انهيار أبي طالب:</u>

<u>قال الزهري :</u>

"فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها.

فأَتَوْا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفوعا إليهم، فوضعوها بينهم وقالوا قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرًا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

<u>أبو طالب يواجههم بما يصدمهم:</u>

<u>قال الزهري:</u>

" فقال أبو طالب إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيهنَصَفٌ: إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم، فان كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال

---

[1] – هذه رواية مختلفة عن رواية ابن هشام الذي روى عن بعض أهل العلم أن الأَرَضَة لم تَدَع اسما لله في الصحيفة إلا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان، لكن رواية البيهقي عن ابن إسحاق تتفق مع رواية الزهري ، ومعنى أن (الأرضة لحست كل ما كان في الصحيفة من اسم لله) أن الله تعالى تبرأ مما في الصحيفة من ظلم ،كما فسرها أبو طالب في بقية الرواية انظر البداية والنهاية: (٨٨/٣ ، ٩٠،٨٩ ،٩١) (١٠٠/٣-١٠٢) وانظر ابن هشام (٢٤٤/١)، (٢٦٠/١-٢٦١).

فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم.

قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ،قد أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب ،قالوا: .... ".

العناد هو العناد:

قال الزهري:

" قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتَكَسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ،ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم، طمس الله ما كان فيها من اسمه، وما كان فيها من بغي تركه ، أفنحن السحرة أم أنتم ؟ ".

لكن هذا استثار رجالا رافضين للقطيعة:

قال الزهري:

"فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم: أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو، وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي، في رجال من أشرافهم ووجوههم:

نحن برءاء، مما في هذه الصحيفة فقال أبو جهل- لعنه الله -:هذا أمر قضي بليل. "

تفصيل خطة نقض الصحيفة:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطّلِبِ فِي مَنْزِلِهِمْ الّذِي تَعَاقَدَتْ فِيهِ قُرَيْشٌ عَلَيْهِمْ فِي الصّحِيفَةِ الّتِي كَتَبُوهَا ، ثُمّ إنّهُ قَامَ فِي نَقْضِ تِلْكَ الصّحِيفَةِ الّتِي تَكَاتَبَتْ فِيهَا قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يُبْلَ فِيهَا أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْ بَلَاءِ هِشَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بن.... ، وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ ابْنَ أَخِي نَضْلَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ لِأُمّهِ فَكَانَ هِشَامٌ لِبَنِي

هَاشِمٍ وَاصَلًا ، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ فَكَانَ - فِيمَا بَلَغَنِي - يَأْتِي بِالْبَعِيرِ وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فِي الشّعْبِ لَيْلًا ، قَدْ أَوْقَرَهُ طَعَامًا ، حَتّى إذَا أَقْبَلَ بِهِ فَمَ الشّعْبِ خَلَعَ خِطَامَهُ مِنْ رَأْسِهِ ثُمّ ضَرَبَ عَلَى جَنْبِهِ فَيَدْخُلُ الشّعْبَ عَلَيْهِمْ ثُمّ يَأْتِي بِهِ قَدْ أَوْقَرَهُ بَزّا ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ .

ثُمّ إنّهُ مَشَى إلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بن ...، وَكَانَتْ أُمّهُ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، فَقَالَ يَا زُهَيْرُ ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطّعَامَ وَتَلْبَسَ الثّيَابَ وَتَنْكِحَ النّسَاءَ وَأَخْوَالُك حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إلَيْهِمْ ؟ أَمَا إنّي أَحْلِفُ بِاَللّهِ أَنْ لَوْ كَانُوا أَخْوَالَ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، ثُمّ دَعَوْتَهُ إلَى مَا دَعَاك إلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَك إلَيْهِ أَبَدًا ؛ قَالَ وَيْحَك يَا هِشَامُ فَمَاذَا أَصْنَعُ ؟ إنّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَاَللّهِ لَوْ كَانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْت فِي نَقْضِهَا حَتّى أَنْقُضَهَا ، قَالَ قَدْ وَجَدْت رَجُلًا قَالَ فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ أَنَا ، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ أَبْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا.

فَذَهَبَ إلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيّ (بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ) فَقَالَ لَهُ يَا مُطْعِمُ أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِقُرَيْشِ فِيهِ أَمَا وَاَللّهِ لَئِنْ أَمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنّهُمْ إلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا ؛ قَالَ وَيْحَك فَمَاذَا أَصْنَعُ إنّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ قَالَ قَدْ وَجَدْت ثَانِيًا ؛ قَالَ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ أَنَا ، قَالَ أَبْغِنَا ثَالِثًا ، قَالَ قَدْ فَعَلْتُ قَالَ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ ، قَالَ أَبْغِنَا رَابِعًا .

فَذَهَبَ إلَى الْبَخْتَرِيّ بْنِ هِشَامٍ فَسَأَلَ لَهُ نَحْوًا مِمّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيّ ، فَقَالَ وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ ، وَأَنَا مَعَك ، قَالَ أَبْغِنَا خَامِسًا .

فَذَهَبَ إلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ ...، فَكَلّمَهُ ذَكَرَ لَهُ قَرَابَتَهُمْ وَحَقّهُمْ فَقَالَ لَهُ وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الّذِي تَدْعُونِي إلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالَ نَعَمْ ثُمّ سَمّى لَهُ الْقَوْمَ .

فَاتّعَدُوا خَطْمَ الْحَجُونِ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكّةَ ، فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ . فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصّحِيفَةِ حَتّى يَنْقُضُوهَا ، وَقَالَ زُهَيْرٌ : أَنَا أَبْدَؤُكُمْ فَأَكُونُ أَوّلَ مَنْ يَتَكَلّمُ . فَلَمّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إلَى أَنْدِيَتِهِمْ وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ عَلَيْهِ حُلّةٌ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ يَا أَهْلَ مَكّةَ ؟ أَنَأْكُلُ الطّعَامَ وَنَلْبَسُ الثّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَى لَا يُبَاعُ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ وَاَللّهِ لَا أَقْعُدُ حَتّى تُشَقّ هَذِهِ الصّحِيفَةُ . الْقَاطِعَةُ الظّالِمَةُ . قَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ : كَذَبْتَ وَاَللّهِ لَا تُشَقّ ، قَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ : أَنْتَ وَاَللّهِ أَكْذَبُ مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ

كُتِبَتْ قَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيّ صَدَقَ زَمْعَةُ ، لَا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا ، وَلَا نُقِرّ بِهِ قَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ : صَدَقْتُمَا وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ نَبْرَأُ إلَى اللّهِ مِنْهَا ، وَمِمّا كُتِبَ فِيهَا ، قَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلِ تُشُووِرَ فِيهِ بِغَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ.

(قَالَ) : وَأَبُو طَالِبٍ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَقَامَ الْمُطْعِمُ إلَى الصّحِيفَةِ لِيَشُقّهَا ، فَوَجَدَ الْأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْهَا ، إلّا " بِاسْمِك اللّهُمّ " .

وَكَانَ كَاتِبَ الصّحِيفَةِ مَنْصُورُ بْنُ عِكْرِمَةَ . فَشُلّتْ يَدُهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ . [1]

<u>دلالات وعظات:</u>

ثلاث سنوات من الحصار الاقتصادي والاجتماعي رتبه طغاة قريش ،وتحملهاالمسلمون ومعهم بنو هاشم ، وهي فترة زمنية طويلة ومؤثرة وفكرة شيطانية مبتكرة وجديدة على البيئة العربية.

وهذا يفتح أعيننا على لون من الحروب اسمه: (الحرب الاقتصادية):

<u>الحرب الاقتصادية:</u>

يخطئ من يظن أن أمر المال أو الاقتصاد أمر هين في حياة الأفراد والشعوب.. والأمة التي تتصور ذلك تعرض نفسها للهلكة والفناء، وأخشى أن يكون لدى كثير من المسلمين هذا التصور.. وأعني به تصور أن علاقة المسلم بالدنيا هي الزهد فيها.. نعم هناك العديد من الآيات العظيمة والأحاديث الشريفة تحذر من حب الدنيا والافتتان بها...لكن هذا يفهم من زاويتين على الأقل.في هذا الموضع:

<u>الزاوية الأولى:</u> أن الزهد في الدنيا يمكن أن يكون سِمَةً لبعض الأفراد، لكنه لا يكون سمة لحكومة من الحكومات الإسلامية، ولم يكن هذا تصرف الخلفاء الراشدين وإنما أعطوا المال أهمية كبيرة وتنظيما دقيقا .. فعمر الفاروق مثلا في خلافته كان غاية في الزهد الفردي،

---

[1] – سبق وأن نبهنا إلى أن قصة الحصار كلها قد نقلناها عن موسى ابن عقبة بسنده عن الزهري وقد وثق الرواية البيهقي وابن كثير، ونقلنا أيضا قصة الحصار والصحيفة عن ابن إسحاق وهي تتفق في كثير منها مع رواية الزهري فهي حسنة أو صحيحة..راجع البداية والنهاية (٣/٨٨-٩١) ،(٣/١٠٠-١٠٢)، وراجع ابن هشام (١/٢٤٤) (١/٢٦٠-٢٦١).

اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، لكنه رتب أمور بيت المال ورواتب الجند، وأعطيات الصحابة من بيت المال ترتيبا دقيقا.

أي أن الحكومة الإسلامية لا يجب أن تهمل شأن المال والاقتصاد بدعوى الزهد.. يزهد أفرادها بقدر ما يستطيعون ..لكن المال هو الذي يقيم حياة الناس، ويعمر الأرض وينشئ المشاريع ويشتري السلاح، ويعين على الاستقلال والصمود في مواجهة الأعداء.

<u>الزاوية الثانية:</u> يفهم الزهد في الدنيا على أنه رادع للنفس البشرية، الميالة بطبيعتها إلى الاستزادة من كل متاع الدنيا..

رادع لها؛ كي لا يدفعها حب المال إلى اتخاذ الطرق الحرام وسيلة لكسب المال..أو يدفعها حب المال إلى حرمان أصحاب الحقوق في هذا المال.

<u>نعود للحرب الاقتصادية في العصر الحديث:</u>

نذكر -ونحن نكتب هذا الكلام في عام ١٤٢٨- الهجري ٢٠٠٧ الميلادي-في طبعته الأولى- نذكر الحصار الاقتصادي الذي فرضته أمريكا على العراق عام ١٩٩٠م حتى عام ٢٠٠٣م باسم الأمم المتحدة، ولقد استغاثت هيئات الأمم المتحدة ذاتها من الآثار المدمرة على الشعب العراقي والطفل العراقي، وأحصت آلاف القتلى بسبب نقص الطعام والدواء.. ولم تتراجع أمريكا عن الحصار.

نذكر أيضًا الحصار المفروض علىالسودان في أيامنا هذه .

نذكر الحصار الجزئي المفروض على إيران.

ونذكر أشد أنواع الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني؛ بسبب اختياره حكومة صالحة أمينة، في انتخابات حرة.

حينما عجزت اسرائيل عن مواجهة المقاومة بالقوة المسلحة ،استعانت بالعالم كله لفرض الحصار الاقتصادي على الفلسطينيين، ويا للألم! لقد شاركت الدول العربية والإسلامية، في هذا الحصار .

هل كان رئيس أمريكا ورؤساء إسرائيل يعلمون بما فعله زعماء قريش.. وقلدوهم، أم أن الشياطين هي التي أوصت للجميع بهذه الأفكار الإجرامية ؟!

وصدق الله العظيم إذ يقول: {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}.

الجوار (الحماية):

دخول بعض المسلمين في جوار غير المسلمين:

المجتمعات البشرية حتى لو كانت كافرة ، لا تخلو من مبادئ إنسانية ومُثُل عليا، ولا تخلو من بعض الشخصيات التي تستحق الاحترام، حتى وإن كانت تفعل ذلك لتنال الشرف والمكانة في الدنيا، دون أن يكون ذلك عملًا خالصًا لوجه الله.

بالتأكيد لو عملت هذا ابتغاء مرضاة الله لكان أفضل ،لكن .حتى الكفار، أو غير المؤمنين لا يجب أن نسوى بينهم، فهناك كافر يرتكب الفواحش، ويظلم ويقتل، وهناك كافر مسالم، وهناك كافر يعمل أعمال الخير، ويجب أن يفرق المسلمون في المعاملة بين كل هؤلاء.

من المبادئ المحترمة في ذلك المجتمع الجاهلي، الجوار:

أي دخول بعض المستضعفين في حماية بعض الزعماء وهؤلاء الزعماء كانوا يتحملون كل شيء ،من أجل الحفاظ على حق الجوار هذا ،وهذه قصص ثلاثة من السابقين للإسلام في جوار غير المسلمين.

عزم أبي بكر رضي الله عنه الهجرة إلى الحبشة:

ودخوله في جوار ابن الدغنة:

٢٠٤- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْها[١] أن أَبا بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَكّةُ وَأَصَابَهُ فِيهَا الْأَذَى ، وَرَأَى مِنْ تَظَاهُرِ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ مَا رَأَى ، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْهِجْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا ، حَتّى إذَا سَارَ مِنْ مَكّةَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ لَقِيَهُ ابْنُ الدّغُنّةِ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيّدُ الْأَحَابِيشِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَالْأَحَابِيشُ : بَنُو الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ وَالْهُونُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ ، وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ .

---

١ – الرواية صحيحة: قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم بن شهاب (الزهري) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة... الحديث ، وهو سند صحيح حدث فيه ابن إسحاق عن أئمة ثقات.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : تَحَالَفُوا جَمِيعًا ، فَسُمّوا الْأَحَابِيشَ لِأَنّهُمْ تَحَالَفُوا بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الْأَحْبَشُ بِأَسْفَلِ مَكّةَ لِلْحِلْفِ.

قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: فَقَالَ ابْنُ الدّغُنّةِ: أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ قَالَ أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي ، وَضَيّقُوا عَلَيّ .

قَالَ: وَلِمَ ؟ فَوَاَللّهِ إنّك لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ وَتُعِينُ عَلَى النّوَائِبِ وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي . فَرَجَعَ مَعَهُ حَتّى إذَا دَخَلَ مَكّةَ ، قَامَ ابْنُ الدّغُنّةِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّي قَدْ أَجَرْت ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَا يَعْرِضَنّ لَهُ أَحَدٌ إلّا بِخَيْرٍ، قَالَتْ فَكَفّوا عَنْهُ.

قَالَتْ وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحٍ ، فَكَانَ يُصَلّي فِيهِ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا ، إذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى . قَالَتْ فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنّسَاءُ يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ . قَالَتْ فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى ابْنِ الدّغُنّةِ فَقَالُوا: يَا ابْنَ الدّغُنّةِ إنّك لَمْ تُجِرْ هَذَا الرّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا إنّهُ رَجُلٌ إذَا صَلّى وَقَرَأَ مَا جَاءَ به مُحَمّدٌ يَرِقّ وَيَبْكِي ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْوٌ فَنَحْنُ نَتَخَوّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضَعَفَتِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ فَأْتِهِ فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ.

قَالَتْ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ.

قَالَتْ فَقَامَ ابْنُ الدّغُنّةِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدّ عَلَيّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ. [1]

عظَة:

- أبو بكر حين يقرأ القرآن، يرق، ويبكي.
- هذا حال القلب العامر بالإيمان، وهذا مصداق قول النبي(صلى الله عليه وسلم):"لو وزن إيمان الأمة وإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر".
- وهذا سر قدرة أبي بكر على فتح القلوب للإسلام.

---

[1] – أخرجه البخاري (٤/٢٢٩٧– فتح) وأحمد في مسنده (٦/١٩٨) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (تخريج دار الحديث).

- وهذا سر قوة أبي بكر حين ثبت في حال وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد طار صواب عمر بن الخطاب رضي الله عنه،
- وسر قوته حين أصر على قتال المرتدين،
- وهذا سر خوف قريش على أبنائهم ونسائهم من أن يستمعوا لقراءة أبي بكر ..
- ما أعظم أسرار القرآن لمن قرأه بوعي وتدبر وحضور قلب!

أبو سلمة في جوار أبي طالب:

٢٠٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَأَمّا (أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ) فَحَدّثَنِي أَبِي إسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنّهُ حَدّثَهُ:

أَنّ أَبَا سَلَمَةَ لَمّا اسْتَجَارَ بِأَبِي طَالِبٍ مَشَى إلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ مَنَعْت مِنّا ابْنَ أَخِيك مُحَمّدًا ، فَمَا لَكَ وَلِصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ مِنّا ؟ قَالَ إنّهُ اسْتَجَارَ بِي ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْنَعْ ابْنَ أُخْتِي لَمْ أَمْنَعْ ابْنَ أَخِي،

فَقَامَ أَبُو لَهَبٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاَللّهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَى هَذَا الشّيْخِ مَا تَزَالُونَ تَوَثّبُونَ عَلَيْهِ فِي جِوَارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ وَاَللّهِ لَتَنْتَهُنّ عَنْهُ أَوْ لَنَقُومَنّ مَعَهُ فِي كُلّ مَا قَامَ فِيهِ حَتّى يَبْلُغَ مَا أَرَادَ . قَالَ فَقَالُوا : بَلْ نَنْصَرِفُ عَمّا تَكْرَهُ يَا أَبَا عُتْبَةَ وَكَانَ لَهُمْ وَلِيّا وَنَاصِرًا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَبْقَوْا عَلَى ذَلِكَ . فَطَمِعَ فِيهِ أَبُو طَالِبٍ حَيْنَ سَمِعَهُ يَقُولُ مَا يَقُولُ وَرَجَا أَنْ يَقُومَ مَعَهُ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.[١]

عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة:

لما رجع عثمان بن مظعون من الحبشة ،دخل في جوار الوليد بن المغيرة وقد كان الرجل وفيًّا كريم الجوار، فلماذا ر د عليه عثمان جواره؟

---

١ – حدَّث ابن إسحاق عن أبيه (إسحاق بن يسار) وهو ثقة (موسوعة حرف) أما سلمة بن عبد الله فلم أجد عنه شيئا في تخريج دار الحديث أو البداية والنهاية ولا في لسان الميزان لا بن حجر، ووجدته في تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، حديث ٢٦٤٩. نقلا عن تهذيب التهذيب أنه رَوَى عن جَدَّة أبيه أم سلمة وعن جَدِّه عمر بن أبي سلمة وله صحبة وقال في التقريب (مقبول من الثالثة) ، قلت: فالرواية حسنة مقبولة.

<u>جاء في سيرة ابن هشام:</u>

٢٠٦- لَمّا رَأَى عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْبَلَاءِ وَهُوَ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي أَمَانٍ مِنْ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ وَاَللّهِ إنّ غُدُوّي وَرَوَاحِي آمِنًا بِجِوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشّرْكِ وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ مِنْ الْبَلَاءِ وَالْأَذَى فِي اللّهِ مَا لَا يُصِيبُنِي ، لَنَقْصٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِي،

فَمَشَى إلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، وَفّتْ ذِمّتُك ، قَدْ رَدَدْتُ إلَيْك جِوَارَك فَقَالَ لَهُ: لم يَا ابْنَ أَخِي ؟ لَعَلّهُ آذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي ، قَالَ لَا ، وَلَكِنّي أَرْضَى بِجِوَارِ اللّهِ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِهِ ؟ قَالَ فَانْطَلِقْ إلَى الْمَسْجِدِ فَارْدُدْ عَلَيّ جِوَارِي عَلَانِيَةً كَمَا أَجَرْتُك عَلَانِيَةً .

قَالَ فَانْطَلَقَا فَخَرَجَا حَتّى أَتَيَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ الْوَلِيدُ هَذَا عُثْمَانُ قَدْ جَاءَ يَرُدّ عَلَيّ جِوَارِي ، قَالَ صَدَقَ قَدْ وَجَدْته وَفِيّا كَرِيمَ الْجِوَار ، وَلَكِنّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللّهِ فَقَدْ رَدَدْت عَلَيْهِ جِوَارَهُ ثُمّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ فَجَلَسَ مَعَهُمْ عُثْمَانُ،

فَقَالَ لَبِيدٌ: أَلَا كُلّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللّهَ بَاطِلُ قَالَ عُثْمَانُ صَدَقْتَ.

قَالَ (لَبِيدٌ): وَكُلّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ

قَالَ عُثْمَانُ كَذَبْت ، نَعِيمُ الْجَنّةِ لَا يَزُولُ .

قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، وَاَللّهِ مَا كَانَ يُؤْذَى جَلِيسُكُمْ فَمَتَى حَدَثَ هَذَا فِيكُمْ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : إنّ هَذَا سَفِيهٌ فِي سُفَهَاءَ مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا ، فَلَا تَجِدَنّ فِي نَفْسِك مِنْ قَوْلِهِ فَرَدّ عَلَيْهِ عُثْمَانُ حَتّى شَرِيَ أَمْرُهُمَا ، فَقَامَ إلَيْهِ ذَلِكَ الرّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَخَضّرَهَا وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ قَرِيبٌ يَرَى مَا بَلَغَ مِنْ عُثْمَانَ فَقَالَ أَمَا وَاَللّهِ يَا ابْنَ أَخِي إنْ كَانَتْ عَيْنُك عَمّا أَصَابَهَا لَغَنِيّةٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي ذِمّةٍ مَنِيعَةٍ . قَالَ يَقُولُ عُثْمَانُ: بَلْ وَاَللّهِ إنّ عَيْنِي الصّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إلَى مِثْلِ مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللّهِ وَإِنّي لَفِي جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعَزّ مِنْك وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ هَلُمّ يَا ابْنَ أَخِي، إنْ شِئْت فَعُدْ إلَى جِوَارِك فَقَالَ لَا "[١].

<u>دلالة وعظة:</u>

[١] – الرواية في سيرة ابن هشام ٢٥٦/١ وفي السند راوٍ مجهول .

حينما يمتلئ القلب إيمانًا،وحينما يصبح لدى المرء قضية تملك عليه كيانه، وحينما تسمو عاطفة الأخوة.. يكون تصرف عثمان بن مظعون رضي الله عنه قدوة للعاملين في حقل الدعوة.

(والله إن غدوي ورواحي آمنا..وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي).

لا يطيق الصحابي أن يعيش آمنا وإخوانه يعذبون ،فيأبى إلا أن يشاركهم الألم والأذى في سبيل الله.. هنا فقط يشعر بالارتياح؛ لأن الألم النفسي الذي يصيبه حينما يُعذب إخوانه -وهو آمن-أشد عليه من الألم البدني، فيختار الألم البدني ليشعر بالراحة النفسية.

وعثمان بن مظعون يعطي الرجل الذي أجاره حقه قال: (قد وجدته وفيًا كريم الجوار).

ويعطي قريشًا درسًا (قد أحببت ألا أستجير بغير الله).

ويرد ردًا بليغًا على الوليد حينما قال له: (إن كانت عينك عما أصابها لغنيّة، لقد كنت في ذمة منيعة) فيقول عثمان: (بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله) !

يالروعة الإيمان!

مسلمون من خارج مكة:

الجهود المتواصلة التي كان يبذلها النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم)في دعوة الناس من غير المكيين، الذين يأتون إلى مكة في المواسم وأهمها موسم الحج، هذه الجهود بذلها الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا فيها أفرادًا وقبائل.. فكانت هذه الجهود تؤتي بعض الثمرات - على قلتها - كأنها رسائل من الحق تبارك وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى المسلمين ،أن الله تعالى لا يضيع الجهود الدعوية، بل تؤتي ثمرات .. وفي المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أن هداية رجل واحد أهم من حمر النعم.

التواريخ الدقيقة لإسلام هؤلاء الأفراد غير معروفة، لكننا سنذكر الروايات بقصص إسلام هؤلاء الأفراد ، ونؤخر أخبار دعوة القبائل.

إسلام ضماد الأزدي:

٢٠٧- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ.

قَالَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا بَعْدُ" قَالَ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ،وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ[1] قَالَ فَقَالَ هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ فَبَايَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى قَوْمِكَ قَالَ وَعَلَى قَوْمِي.

قَالَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً فَقَالَ رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ[2].

تعليق:

يتضح من الرواية أن إسلام ضماد الأزدي كان في سنوات الدعوة الأولى حيث كانت قريش في صدمتها الأولى، تتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنون، وكان القادمون إلى مكة لم يسمعوا بعد كثيرا ،عن محمد صلى الله عليه وسلم ،لكن الواضح بعد ذلك أن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم انتشر في القبائل رغم عدم إيمانهم.

ولذلك أورد ابن كثير إسلام ضماد بعد ذكر إسلام السابقين الأولين.

---

[1] – في كل الروايات غير مسلم . قاموس البحر، أي وسطه أو قعره.

[2] – صحيح رواه مسلم (١٤٣٦) العالمية.

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي:

٢٠٨- وَكَانَ الطّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدّوْسِيّ يُحَدّثُ أَنّهُ قَدِمَ مَكّةَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهَا ، فَمَشَى إلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ الطّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا ، فَقَالُوا لَهُ يَا طُفَيْلُ ، إنّك قَدِمْتَ بِلَادَنَا ، وَهَذَا الرّجُلُ الّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا ، وَقَدْ فَرّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتّتْ أَمْرَنَا، وَإِنّمَا قَوْلُهُ كَالسّحْرِ يُفَرّقُ بَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ وَبَيْنَ الرّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ وَإِنّا نَخْشَى عَلَيْك وَعَلَى قَوْمِك مَا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا، فَلَا تُكَلّمَنّهُ وَلَا تَسْمَعَنّ مِنْهُ شَيْئًا .

قَالَ فَوَاَللّهِ مَا زَالُوا بِي حَتّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا أُكَلّمَهُ حَتّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيّ حِينَ غَدَوْتُ إلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا[1] فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ . قَالَ فَغَدَوْت إلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَائِمٌ يُصَلّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ . قَالَ فَقُمْت مِنْهُ قَرِيبًا فَأَبَى اللّهُ إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ .

قَالَ فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا قَالَ فَقُلْت فِي نَفْسِي : واثُكْلَ أُمّي ، وَاَللّهِ إنّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيّ الْحَسَنُ مِنْ الْقَبِيحِ فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرّجُلِ مَا يَقُولُ فَإِنْ كَانَ الّذِي يَأْتِي بِهْ حَسَنًا قَبِلْتُهُ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ .

قَالَ فَمَكَثْت حَتّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى بَيْتِهِ فَاتّبَعْتُهُ، حَتّى إذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْت: يَا مُحَمّدُ إنّ قَوْمَك قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلّذِي قَالُوا ، فَوَاَللّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوّفُونَنِي أَمْرَك حَتّى سَدَدْت أُذُنَيّ بِكُرْسُفٍ لِئَلّا أَسْمَعَ قَوْلَك ، ثُمّ أَبَى اللّهُ إلّا أَنْ يُسْمِعَنِي قَوْلَك ، فَسَمِعْتُهُ قَوْلًا حَسَنًا ، فَاعْرِضْ عَلَيّ أَمْرَك . قَالَ فَعَرَضَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيّ الْقُرْآنَ فَلَا وَاَللّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ .

قَالَ فَأَسْلَمْت وَشَهِدْت شَهَادَةَ الْحَقّ وَقُلْت: يَا نَبِيّ اللّهِ إنّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إلَى الْإِسْلَامِ فَادْعُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْنًا عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إلَيْهِ، فَقَالَ اللّهُمّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً قَالَ فَخَرَجْت إلَى قَوْمِي ، حَتّى إذَا كُنْت بِثَنِيّةٍ[2] تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ[1] وَقَعَ

---

١ – الكرسف: القطن.

٢ – موضع خروجه من الجبل (فرجة بين جبلين).

نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ فَقُلْت: اللّهُمّ فِي غَيْرِ وَجْهِي ، إنّي أَخْشَى ، أَنْ يَظُنّوا أَنّهَا مُثْلَةٌ[٢] وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِي دِينَهُمْ .

قَالَ فَتَحَوّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي. قَالَ فَجَعَلَ الْحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النّورَ فِي سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلّقِ وَأَنَا أَهْبِطُ إلَيْهِمْ مِنْ الثّنِيّةِ ، قَالَ حَتّى جِئْتُهُمْ فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ .

قَالَ فَلَمّا نَزَلْت أَتَانِي أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ فَقُلْت : إلَيْك عَنّي يَا أَبَتِ فَلَسْتُ مِنْك وَلَسْتَ مِنّي قَالَ وَلِمَ يَا بُنَيّ ؟ قَالَ قُلْت : أَسْلَمْتُ وَتَابَعْت دِينَ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ أَيْ بُنَيّ فَدِينِي دِينُك ، قَالَ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ وَطَهّرَ ثِيَابَهُ .

قَالَ ثُمّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ .

(قَالَ) ثُمّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي، فَقُلْت : إلَيْك عَنّي ، فَلَسْتُ مِنْك وَلَسْت مِنّي ، قَالَتْ لِمَ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، قَالَ : فَرّقَ بَيْنِي وَبَيْنَك الْإِسْلَامُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قَالَتْ فَدِينِي دِينُك ، قَالَ قُلْت فَاذْهَبِي إلَى حِمَى ذِي[٣] الشّرَى - فَتَطَهّرِي مِنْهُ ، وَكَانَ ذُو الشّرَى صَنَمًا لِدَوْسٍ وَكَانَ الْحِمَى حِمًى حَمَوْهُ لَهُ بِهِ وَشَلٌ مِنْ مَاءٍ[٤] يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ . قَالَ فَقَالْت بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي ، أَتَخْشَى عَلَى الصّبِيّةِ مِنْ ذِي الشّرَى شَيْئًا ، قَالَ قُلْت : لَا ، أَنَا ضَامِنٌ لِذَلِكَ فَذَهَبَتْ فَاغْتَسَلَتْ ثُمّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ .

ثُمّ دَعَوْت دَوْسًا إلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَئُوا عَلَيّ ثُمّ جِئْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ فَقُلْت لَهُ يَا نَبِيّ اللّهِ إنّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزّنَا[٥].

فَادْعُ اللّهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ اللّهُمّ اهْدِ دَوْسًا ارْجِعْ إلَى قَوْمِك فَادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ .

قَالَ فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ حَتّى هَاجَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَضَى بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ ، ثُمّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعِي مِنْ قَوْمِي وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِخَيْبَرَ .

---

١ – القوم على الماء.

٢ – مُثْلة: شيء معيب خاف أن يظنوه غضبا من الله عليه .

٣ – حوض به ماء خاص بهذا الصنم.

٤ – الماء القليل.

٥ – الزّنا: نوع من لهو

حَتّى نَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ ، ثُمّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِخَيْبَرِ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِين.[1]

قصة الطفيل بن عمرو في صحيح مسلم:

نورد القصة هنا رغم أنها مختصرة لكنها شاهد يقوي رواية ابن إسحاق التي رواها بغير إسناد:

٢٠٩- عَنْ جَابِرٍ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ قَالَ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّذِي ذَخَرَ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ.

فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ[2] هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ فَمَرِضَ فَجَزِعَ فَأَخَذَ مَشَاقِصَ[3] لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ[4] فَشَخَبَتْ يَدَاهُ[5] حَتَّى مَاتَ.

فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ فَقَالَ غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،فَقَالَ مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ قَالَ قِيلَ لِي لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ.[6]

دلالات وعظات:

رجل يساوي أُمَّةً: (الطفيل بن عمرو)، لقد أسلم، فتحرك بإيجابية وإحساس بالمسئولية الفردية؛ لأنه بعيد الموطن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبرغم هذا تحمل مسئولية

[1] – سيرة ابن هشام ٢٦٤/١ ومما جاء في تخريج دار الحديث: ذكره ابن حجر في الإصابة مختصرا في أكثر من موضع ٢٨٧/٣ وقال: ذكره ابن إسحاق بلا إسناد وفيه أيضا: وقال السيوطي وصله ابن إسحاق في بعض النسخ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة.

[2] –كرهوا الإقامة بها لضجر أو سقم.

[3] – جمع مشقص: وهو سهم فيه نصل عريض.

[4] – شرايين في اليد (وقيل مفاصل الأصابع).

[5] – نزفت الدم.

[6] – رواة مسلم برقم ١٦٧ العالمية.

دعـوة أبيـه، وزوجـه، ثـم قبيلتـه، سـنوات طويلـة حتى جـاء بسـبعين أو ثمـانين مـن قبيلتـه مسلمين بعد سبع سنوات من الهجرة.

جاء الطفيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يقول له: (فادع الله عليهم) لكن رحمة الله للعالمين، محمدًا صلى الله عليه وسلم يقول(اللهم اهد دوسًا).

** قصة الرجل الذي قطع براجمه وغفر الله له بهجرته، ودعا له النبي صلىالله عليه وسلم.. القصة فيها دليل لمن يقول بأن من يقتل نفسه قد لا يكون مصيره النار، وهي قضية خلافية لوجود أحاديث أخرتعارض هذا الحديث، والخلاصة أن الكل موكول أمره إلى رحمة الله، هو أعلم بالنيات.

حديث سويد بن صامت الأنصاري:

٢١٠- قَدِمَ سُوَيْدُ بْنُ صَامِتٍ مَكّةَ حَاجّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، وَكَانَ سُوَيْدُ إنّمَا يُسَمّيهِ قَوْمُهُ فِيهِمْ الْكَامِلَ ، لِجَلَدِهِ وَشِعْرِهِ وَشَرَفِهِ وَنَسَبِهِ ، فَتَصَدّى لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ سَمِعَ بِهِ فَدَعَاهُ إلَى اللّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ : فَلَعَلّ الّذِي مَعَك مِثْلُ الّذِي مَعِي ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَا الّذِي مَعَك ؟ قَالَ مَجَلّةُ لُقْمَانَ - يَعْنِي حِكْمَةَ لُقْمَانَ - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اعْرِضْهَا عَلَيّ فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ إنّ هَذَا لَكَلَامٌ حَسَنٌ وَالّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، قُرْآنٌ أَنْزَلَهُ اللّهُ تَعَالَى عَلَيّ هُوَ هُدًى وَنُورٌ.

فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقُرْآنَ وَدَعَاهُ إلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ وَقَالَ إنّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ . ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ ، فَإِنّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ إنّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ . وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ.[1]

[1] – صحيح الإسناد الرواية في سيرة ابن هشام ٣٠٨/٢ ط دار الحديث نقلناها مختصرة وقد رواها ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه، جاء في تخريج دار الحديث أن إسناده صحيح لأن الأشياخ إما من الصحابة أو من التابعين وتنجبر جهالتهم لكونهم جماعة، قاله صاحب السيرة الذهبية.

إسلام إياس بن معاذ:

٢١١- عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، قَالَ لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، مَكَّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنْ الْخَزْرَجِ ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟ فَقَالُوا لَهُ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ أَنَا رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ قَالَ ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ.

قَالَ: فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا : أَيْ قَوْمِ هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ قَالَ فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ دَعْنَا مِنْك ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هَذَا . قَالَ فَصَمَتَ إِيَاسٌ وَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

قَالَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ قَالَ مَحْمُودُ بْنُ لَبِيدٍ : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ اللهَ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ فَمَا كَانُوا يَشُكُّونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ، لَقَدْ كَانَ اسْتَشْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ. [١]

---

١ - صحيح أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٧/٥ والحاكم في المستدرك ١٨٠/٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٤٢٠/٢ وقال الحاكم في المستدرك : صحيح على شرط مسلم وقال الحافظ في (الإصابة) ٩٣/١ في هذا الحديث: من صحيح ابن إسحاق.(عن تخريج دار الحديث).

الفصل السابع:

انشقاق القمر:

تكلمنا في أوائل السيرة على أهمية وأثر المعجزات، وصدقها في حياة النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) وجميع الأنبياء عليهم السلام.

فالمعجزات - لمن يراها ويعاينها - دليل صدق على أن النبي مؤيَّد من قوة أعلى وأجل، قوة الله العلي القدير، التي تقدر على ما لا يقدر عليه بشر أو جن أو ملك.

والمعلوم أن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم العظمى هي القرآن الكريم.. لكن المعجزات المادية والحِسّية الأخرى، قد حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أكثر من أن تحصى، وقد حاول استقصاءها الأئمة السلف ،مثل: البيهقي في دلائل النبوة، وكذا أبو نعيم ،وقد كانت حادثة انشقاق القمر من هذا النوع، وكانت ردًّا على تعنت قريش وطلبهم الآيات.

قال تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ).

وقال ابن كثير (في البداية والنهاية) وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها.

<u>طائفة من أحاديث انشقاق القمر:</u>

<u>نبدأ بأصح الأسانيد عن الإمامين البخاري ومسلم.</u>

روى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

٢١٢- انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشْهَدُوا.[1]

وروى أيضًا:

٢١٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى فَقَالَ: اشْهَدُوا. وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ وَقَالَ أَبُو الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ انْشَقَّ بِمَكَّةَ. [2]

---

[1] – رواه البخاري برقم ٣٣٦٤ العالمية.

تعقيب:

في هذين الحديثين روايتان، إحداهما تذكر وجود مجموعة من الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلمبمنى، والرواية الثانية : أن ذلك كان في مكة.

ويفسر ابن حجر في الفتح ذلك بأن الرواية الأولى فيها (ونحن بمنى) والرواية التي فيها (بمكة) لم يقل فيها (ونحن) وإنما قال: "انشق القمر بمكة " يعني أن الانشقاق كان وهم بمكة - أى قبل أن يهاجروا إلى المدينة.

ورى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود رضي الله عنه:

٢١٤- قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلْقَتَيْنِ فَسَتَرَ الْجَبَلُ فِلْقَةً وَكَانَتْ فِلْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.[٣]

وروى الترمذي بسنده:

٢١٥- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فَلْقَتَيْنِ فَلْقَةٌ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ وَفَلْقَةٌ دُونَهُ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا، يَعْنِي اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. [٤]

تعقيب:

هذه رواية فيها انشقاق القمر فلقتين، وهناك رواية فيها انشقاق القمر مرتين نذكرها، ونذكر الشرح الوارد في تحفة الأحوذي.

٢١٦- عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتْ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ إِلَى قَوْلِهِ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ يَقُولُ ذَاهِبٌ.[٥]

جاء في شرح الحديث في تحفة الأحوذي:

---

[١] – هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[٢] – رواه البخاري برقم ٣٥٨٠ العالمية.

[٣] – مسلم ٥٠١٢ العالمية.

[٤] – رواه الترمذي برقم ٣٣٠٧ العالمية وقال : حسن صحيح.

[٥] – الترمذي برقم ٣٣٠٨ وقال حسن صحيح.

قَوْلُهُ : (سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَذَا مِنْ مَرَاسِيلِ الصَّحَابَةِ لِأَنَّ أَنَسًا لَمْ يُدْرِكْ هَذِهِ الْقِصَّةَ، وَقَدْ جَاءَتْ الْقِصَّةُ مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ أَيْضًا مِمَّنْ لَمْ يُشَاهِدْهَا وَمِنْ حَدِيثِ اِبْنِ مَسْعُودٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَحُذَيْفَةَ وَهَؤُلَاءِ شَاهَدُوهَا.

(آيَةً) أَيْ عَلَامَةً دَالَّةً عَلَى نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ (فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ) وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فَأَرَاهُمْ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ . قَالَ الْحَافِظُ مَا مُلَخَّصُهُ : وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ مَرَّتَيْنِ , وَفِي مُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ بِلَفْظِ مَرَّتَيْنِ أَيْضًا ، كَذَلِكَ أَخْرَجَهُ الْإِمَامَانِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ فِي مُسْنَدَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَقَدْ اِتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ بِلَفْظِ فِرْقَتَيْنِ .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ قَدْ حَفِظَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ قَتَادَةَ عَنْهُ: " مَرَّتَيْنِ " .

قَالَ الْحَافِظُ لَكِنْ اُخْتُلِفَ عَنْ كُلٍّ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَلَمْ يُخْتَلَفْ عَلَى شُعْبَةَ وَهُوَ أَحْفَظُهُمْ ، وَلَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ حَدِيثِ اِبْنِ مَسْعُودٍ بِلَفْظِ: " مَرَّتَيْنِ " ، إِنَّمَا فِيهِ (فِرْقَتَيْنِ أَوْ فِلْقَتَيْنِ) ، وَكَذَا فِي حَدِيثُ اِبْنِ عُمَرَ (فِلْقَتَيْنِ). وَفِي حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ (فِرْقَتَيْنِ).

ثُمَّ ذَكَرَ الْحَافِظُ رِوَايَاتٍ عَدِيدَةً وَقَعَ فِي بَعْضِهَا : (اِنْشَقَّ بِاثْنَتَيْنِ). وَفِي بَعْضِهَا شِقَّتَيْنِ وَفِي بَعْضِهَا (قَمَرَيْنِ).

ثُمَّ قَالَ: وَلَا أَعْرِفُ مَنْ جَزَمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ بِتَعَدُّدِ الِانْشِقَاقِ فِي زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ شُرَّاحِ الصَّحِيحَيْنِ.

<u>دلالة وعظة:</u>

من أعجب ما ذكر د/ زغلول النجار في أحاديثه عن الإعجاز العلمي ، ما ذكره من أنه أهدى أحد الأشخاص غير المسلمين (من الإنجليز) نسخة من معاني القرآن الكريم بالإنجليزية، فلما قرأ الرجل فيها (انشق القمر) استخف بالقضية ، وبالكتاب وترك القرآن أكثر من خمس سنوات، حتى شاهد برنامجا عن النزول على سطح القمر (في التليفزيون) يتحدث فيه العلماء عن نوع من الصخور، لما حَلَّلُوها لم يجدوها من صخور القمر، ولم يجدوا لها إلا تفسيرًا واحدًا هو أن يكون القمر قد انشق في زمن مَّا ، ثم التحم، الرجل الإنجليزي شاهد هذا الكلام مذهولًا ،وراجع القرآن ، وأسلم.

أقول: وتظل المعجزات خارج القوانين التي يفهمها العقل البشري.. لا يملك المرء المؤمن إلا أن يصدق بها.. لا يملك إلا أن يؤمن بقدرة الإله القادر على خرق نواميس الكون، لأنه سبحانه هو خالقها والعليم بأسرارها وخفاياها.

الفصل الثامن:

الجزء الأخير من المرحلة المكية:

عام الحزن:

* وفاة أبي طالب عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).
* وفاة أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها).

٢١٧- قال ابن كثير " فصل وفاة أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ورضي الله عنها، وقيل بل هي توفيت قبله والمشهور الأول.

وقال ابن إسحاق ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين.

وجاء في البداية والنهاية:

قال عروة بن الزبير: وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تُفرَض الصلاة ،وعن الزهري أنه قال: توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقبل أن تُفرض الصلاة.

قال ابن كثير: مرادهم قبل أن تُفرَض الصلوات الخمسة ليلة الإسراء.

وقال البيهقي : بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام ،وزعم الواقدي أن خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عام خروج من الشعب وأن خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة.[1]

واختار صاحب الرحيق المختوم:

أن وفاة أبي طالب كانت في رجب سنة عشر من النبوة أو في رمضان قبل خديجة بثلاثة أيام.

وأن وفاة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت في رمضان من السنة العاشرة بعد أبي طالب بشهرين ، أو بثلاثة أيام ، على اختلاف القولين.

---

[1] – أخذناها بتصرف من البداية والنهاية لابن كثير ١٣٣/٣ ط دار التقوى.

وفاة أبي طالب:

٢١٨- روى البخاري...عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَيْ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ.

فَنَزَلَتْ {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} وَنَزَلَتْ {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}.[١]

تعليق:

الرواية صحيحة في أن أبا طالب مات على ملة عبد المطلب ولم يسلم،

ولكن في رواية ابن إسحاق كلمة التَبَستْ على بعض الشيعة فتمسكوا بها على أن أبا طالب مات مسلما.

وهذه هي رواية ابن إسحاق:

٢١٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَعْبَدِ (بْنِ عَبّاسٍ) عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَالَ مَشَوْا إلَى أَبِي طَالِبٍ فَكَلّمُوهُ ؟ وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ إنّك مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ وَقَدْ حَضَرَك مَا تَرَى ، وَتَخَوّفْنَا عَلَيْك ، وَقَدْ عَلِمْتَ الّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيك ، فَادْعُهُ فَخُذْ لَهُ مِنّا ، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ لِيَكُفّ عَنّا ، وَنَكُفّ عَنْهُ وَلِيَدَعَنَا وَدِينَنَا ، وَنَدَعَهُ وَدِينَهُ.

فَبَعَثَ إلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَهُ . فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي : هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِك، قَدْ اجْتَمَعُوا لَك ، لِيُعْطُوك ، وَلِيَأْخُذُوا مِنْك.

قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: نَعَمْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونِيهَا تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ . قَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ نَعَمْ وَأَبِيك ، وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ قَالَ تَقُولُونَ لَا إلَهَ إلّا

---

[١] – البخاري برقم ٣٥٩٥ العالمية.

اللّهُ وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ . قَالَ فَصَفّقُوا بِأَيْدِيهِمْ ثُمّ قَالُوا : أَتُرِيدُ يَا مُحَمّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْآلِهَةَ إلَهًا وَاحِدًا ، إنّ أَمْرَك لَعَجَبٌ (قَالَ) : ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ إنّهُ وَاَللّهِ مَا هَذَا الرّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمّا تُرِيدُونَ فَانْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . قَالَ ثُمّ تَفَرّقُوا .

طَمَعُ الرّسُولِ فِي إسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ وَحَدِيثُ ذَلِكَ:

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: وَاَللّهِ يَا ابْنَ أَخِي ، مَا رَأَيْتُك سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا ، قَالَ فَلَمّا قَالَهَا أَبُو طَالِبٍ طَمِعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي إسْلَامِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: أَيْ عَمّ فَأَنْتَ فَقُلْهَا أَسْتَحِلّ لَك بِهَا الشّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قَالَ فَلَمّا رَأَى حِرْصَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْهِ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، وَاَللّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ السّبّةِ عَلَيْك وَعَلَى بَنِي أَبِيك مِنْ بَعْدِي ، وَأَنْ تَظُنّ قُرَيْشٌ أَنّي إنّمَا قُلْتهَا جَزَعًا مِنْ الْمَوْتِ لَقُلْتهَا لَا أَقُولُهَا إلّا لِأَسُرّك بِهَا.

قَالَ فَلَمّا تَقَارَبَ مِنْ أَبِي طَالِبٍ الْمَوْتُ قَالَ نَظَرَ الْعَبّاسُ إلَيْهِ يُحَرّكُ شَفَتَيْهِ قَالَ فَأَصْغَى إلَيْهِ بِأُذُنِهِ قَالَ: فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي: وَاَللّهِ لَقَدْ قَالَ أَخِي الْكَلِمَةَ الّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُولَهَا ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَمْ أَسْمَع .[1]

وقد اعترض الإمام ابن كثير على تمسك بعض الشيعة بهذه الرواية لإثبات أن أبا طالب مات مسلما، وحجته في ذلك أن في سند ابن إسحاق مبهما لا يعرف حاله وأن أحمد والنسائي وابن جرير رووا نحوًا من سياق ابن إسحاق دون ذكر قول العباس (والله لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها)، وأن سياق ابن إسحاق عارضه ما هو أصح منه، وهو حديث البخاري السابق، وقد اتفق عليه مسلم أيضا.

وكذا الروايات الصحيحة بكون أبي طالب في النار، ومن أمثلة هذه الروايات:

٢٢٠- روى البخاري بسنده:

عن الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ.[1]

---

[1] - سيرة ابن هشام ٢/٣٠٢ -٣٠٣.

٢٢١- وروى مسلم أيضًا:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ.[٢]

فقدان الحماية:

بموت أبي طالب: فقد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حماية بشرية مؤثرة كان يتولاها أبو طالب فتعرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم)للإيذاء .

قال ابن إسحاق:

٢٢٢- فَلَمّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ حَتّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ ، قَالَ لَمّا نَثَرَ ذَلِك السّفِيهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَلِكَ التّرَابَ، دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْتَهُ وَالتّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إلَيْهِ إحْدَى بَنَاتِهِ فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لَهَا : لَا تَبْكِي يَا بُنَيّةِ فَإِنّ اللّهَ مَانِعٌ أَبَاك .

قَالَ وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ مَا نَالَتْ مِنّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ. [٣]

وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها:

لا عجب أن يسمى العام العاشر من البعثة عام الحزن ؛إذ اجتمعت فيه على رسول(صلى الله عليه وسلم) المصيبتان، موت العم الذي كان يتولى الحماية الخارجية بشرف وشهامة ورجولة، وواجه كل قبائل قريش حتى لا يُمسَّ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم)بسوء.

أما خديجة (رضي الله عنها) فقد كانت الحماية الداخلية ، كانت الأمن واليد الحانية التي تمسح عنه الهموم صلى الله عليه وسلم، كانت المستشار ووزير الصدق، كانت الحكمة والعقل الراجح الذي يشارك الرسول (صلى الله عليه وسلم)همومه ومشاغله وشئونه.

---

١ – روه البخاري برقم ٣٥٤٩ العالمية.

٢ – رواه مسلم برقم ٣١٢ العالمية.

٣ – سيرة ابن هشام ٣٠١/٢-٣٠٢ ط دار الحديث.

ماتت في سن الخامس والستين على الراجح، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمسين، عاش معها خمسة وعشرين عامًا، لم يفكر في الزواج عليها ..لأنها أغنته عن كل النساء.

قال ابن حجر في الفتح:

وَمِمَّا كَافَأَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ خَدِيجَة فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّج فِي حَيَاتهَا غَيْرهَا ، فَرَوَى مُسْلِم مِنْ طَرِيق الزُّهْرِيّ عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَة قَالَتْ : "لَمْ يَتَزَوَّج النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَة حَتَّى مَاتَتْ"، وَهَذَا مِمَّا لَا اِخْتِلَاف فِيهِ بَيْن أَهْل الْعِلْم بِالْأَخْبَارِ .

وَفِيهِ دَلِيل عَلَى عِظَمِ قَدْرهَا عِنْده وَعَلَى مَزِيد فَضْلهَا لِأَنَّهَا أَغْنَتْهُ عَنْ غَيْرهَا وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اِشْتَرَكَ فِيهِ غَيْرهَا مَرَّتَيْنِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ بَعْد أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَة وَثَلَاثِينَ عَامًا اِنْفَرَدَتْ خَدِيجَة مِنْهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا وَهِيَ نَحْو الثُّلُثَيْنِ مِنْ الْمَجْمُوع ، وَمَعَ طُول الْمُدَّة فَصَانَ قَلْبهَا فِيهَا مِنْ الْغَيْرَة وَمِنْ نَكَد الضَّرَائِر الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّش عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَهِيَ فَضِيلَة لَمْ يُشَارِكهَا فِيهَا غَيْرهَا .

وَمِمَّا اِخْتُصَّتْ بِهِ: سَبْقُهَا نِسَاء هَذِهِ الْأُمَّة إِلَى الْإِيمَان ، فَسَنَّتْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَتْ بَعْدهَا ، فَيَكُون لَهَا مِثْل أَجْرهنَّ ، لِمَا ثَبَتَ " أَنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنَة " .وَقَدْ شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرِّجَال . وَلَا يَعْرِف قَدْر مَا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنْ الثَّوَاب بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ . ا.هـ.

٢٢٣- وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ.

فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ :كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ،فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ[1].

قال الحافظ في الفتح:

قَوْله : (إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ) أَيْ كَانَتْ فَاضِلَة وَكَانَتْ عَاقِلَة وَنَحْو ذَلِكَ ، وَعِنْد أَحْمَد مِنْ حَدِيث مَسْرُوق عَنْ عَائِشَة " آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاس ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاس ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاس ، وَرَزَقَنِي اللَّه وَلَدهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَاد النِّسَاء " . قَوْله : (وَكَانَ لِي

[1] – رواه البخاري برقم (٣٥٣٤).

مِنْهَا وَلَد) وَكَانَ جَمِيع أَوْلَاد النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَدِيجَة ، إِلَّا إِبْرَاهِيم فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَارِيَته مَارِيَة ، وَالْمُتَّفَق عَلَيْهِ مِنْ أَوْلَاده مِنْهَا الْقَاسِم وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى ، مَاتَ صَغِيرًا قَبْل الْمَبْعَث أَوْ بَعْده ، وَبَنَاته الْأَرْبَع : زَيْنَب ثُمَّ رُقَيَّة ثُمَّ أُمّ كُلْثُوم ثُمَّ فَاطِمَة ، وَقِيلَ : كَانَتْ أُمّ كُلْثُوم أَصْغَر مِنْ فَاطِمَة ، وَعَبْد اللَّه وُلِدَ بَعْد الْمَبْعَث فَكَانَ يُقَال لَهُ الطَّاهِر وَالطَّيِّب ، وَيُقَال هُمَا أَخَوَانِ لَهُ ، وَمَاتَتْ الذُّكُور صِغَارًا بِاتِّفَاقٍ ، وَوَقَعَ عِنْد مُسْلِم مِنْ طَرِيق حَفْص بْن غِيَاث هَذِهِ فِي آخِر الْحَدِيث " قَالَتْ عَائِشَة : فَأَغْضَبْته يَوْمًا فَقُلْت خَدِيجَة ، فَقَالَ : إِنِّي رُزِقْت حُبّهَا " قَالَ الْقُرْطُبِيّ كَانَ حُبّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا لِمَا تَقَدَّمَ ذِكْره مِنْ الْأَسْبَاب ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، كُلٌّ مِنْهَا كَانَ سَبَبًا فِي إِيجَاد الْمَحَبَّة.

وَقَالَ النَّوَوِيّ : فِي هَذِهِ الْأَحَادِيث دَلَالَة لِحُسْنِ الْعَهْد وَحِفْظ الْوُدّ وَرِعَايَة حُرْمَة الصَّاحِب وَالْمُعَاشِر حَيًّا وَمَيِّتًا , وَإِكْرَام مَعَارِف ذَلِكَ الصَّاحِب ".ا.هـ

مشهد من الحياة الاجتماعية:

زواجه صلى الله عليه وسلم (بعد) خديجة رضي الله عنها:

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة في المنام:

٢٢٤- روى البخاري [١]عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ[٢] مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَاكْشِفْ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ.

وقوله صلى الله عليه وسلم (إن يكُ هذا من عند الله) رغم أنه من المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، يحتاج لبيان ولذلك فسَّر الشراح هذا القول بعدة معان:

- قد تكون الرؤيا قبل النبوة.
- أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد: إن كانت هذه الرؤيا على ظاهرها، ولا تحتاج إلى تأويل وصرف عن ظاهرها.

١ – رواه البخاري رقم ٣٦٠٦ رقم العالمية.

٢ – سرقة من حرير: أي قطعة من حرير.

- أو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)لم يعرف قصد الملَك: هذه امرأتك هل يقصد في الدنيا، أم في الجنة.

البِكْر الوحيدة من زوجاته صلى الله عليه وسلم :

٢٢٥- روى البخاري بسنده أن ابن عباس رضي الله عنه قال لعائشة: لم ينكح النبي صلى الله عليه وسلم بِكرًا غيرك.

٢٢٦- وروى البخاري أيضا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا ،وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا. تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا.[1].

الرسول صلى الله عليه وسلم يخطبها من أبي بكر :

٢٢٧- عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عَائِشَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا أَنَا أَخُوكَ ،فَقَالَ: أَنْتَ أَخِي فِي دِينِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ وَهِيَ لِي حلال[2].

سنُّها عند الزواج والبناء (رضي الله عنها):

اتفق الرواة على أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها ،أي عقد عليها وهي ابنة ست سنين وبنى بها(أي دخل بها) وهي ابنة تسع سنين، قال ابن كثير: وهذا مما لا خلاف عليه بين الناس وقد ثبت في الصحاح وغيرها.

لكن الروايات اختلفت هل كان العقد عليها بعد وفاة خديجة رضي الله عنها بقليل ،أم بعد ثلاث سنين؟

تفاصيل زواجه (صلى الله عليه وسلم) بعائشة وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما:

عند الإمام أحمد الرواية مفصلة، نذكرها في مقاطع لتيسير قراءتها، والعناوين الجانبية من عندنا:

الخاطبة خولة بنت حكيم:

---

١ – رواه البخاري برقم ٤٦٨٧ العالمية.

٢ – رواه البخاري برقم ٤٦٩١ العالمية.

٢٢٦- عن أَبى سَلَمَةَ وَيَحْيَى[١] قَالَا: لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ مَنْ؟ قَالَتْ إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ فَمَنْ الْبِكْرُ؟ قَالَتْ ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ وَمَنْ الثَّيِّبُ؟ قَالَتْ سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ. قَالَ فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ.

خولة في بيت أبي بكر:

فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! قَالَتْ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَتْ يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ ،قَالَ وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ. قَالَ :ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ ،وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ.

أبو بكر يراجع المطعم بن عدي، ثم يزوج رسول الله(صلى الله عليه وسلم) :

قَالَ انْتَظِرِي وَخَرَجَ، قَالَتْ[٢] أُمُّ رُومَانَ إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَى ابْنِهِ فَوَاللَّهِ مَا وَعَدَ مَوْعِدًا قَطُّ فَأَخْلَفَهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَى، فَقَالَتْ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ لَعَلَّكَ مُصْبٍ صَاحِبَنَا مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ آقَوْلَ هَذِهِ تَقُولُ؟ قَالَ إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ. فَرَجَعَ فَقَالَ لِخَوْلَةَ ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ .

خولة تخطب سودة رضي الله عنهما:

---

١ – هو يحى بن عبد الرحمن بن حاطب، وعند البيهقي أنه قال: قالت عائشة لما ماتت خديجة... وذكر الحديث نحو ما تقدم.

٢ – أي هل تقول أنت مثل ما تقول زوجتك؟

ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ فَقَالَتْ مَاذَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكِ مِنْ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ! قَالَتْ مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ وَدِدْتُ ادْخُلِي إِلَى أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَهُ السِّنُّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ الْحَجِّ.

فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ قَالَ فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ كُفْءٌ كَرِيمٌ مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ ادْعُهَا لِي فَدَعَيْتُهَا، قَالَ أَيْ بُنَيَّةُ إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ؟ قَالَتْ نَعَمْ، قَالَ ادْعِيهِ لِي فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

فَجَاءَهَا أَخُوهَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ مِنْ الْحَجِّ فَجَعَلَ يَحْثِي فِي رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ يَوْمَ أَحْثِي فِي رَأْسِي التُّرَابَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ .

البناء بعائشة (رضي الله عنها) في المدينة وتفاصيل العُرس:

قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فِي السُّنْحِ، قَالَتْ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ بَيْتَنَا وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَنِسَاءٌ، فَجَاءَتْنِي أُمِّي وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ بَيْنَ عَذْقَيْنِ[1] تَرْجَحُ بِي، فَأَنْزَلَتْنِي مِنْ الْأُرْجُوحَةِ وَلِي جُمَيْمَةٌ [2]فَفَرَقَتْهَا وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَقُودُنِي حَتَّى وَقَفَتْ بِي عِنْدَ الْبَابِ وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنَ مِنْ نَفْسِي.

ثُمَّ دَخَلَتْ بِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَتْ هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَكِ فِيهِمْ وَبَارَكَ لَهُمْ فِيكِ، فَوَثَبَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَخَرَجُوا، وَبَنَى بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا، مَا

---

١ – أرجوحة بن عذقين: أرجوحة الأطفال حبل يربط بين قائمين.

٢ – جميمة : الجُمةَّ..مجتمع شعر الناصية ، ويقال للشعر إذا سقط على المنكبين جُمة، وجُمَيْمَة: تصغير جُمَّة.

نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ، حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَارَ إِلَى نِسَائِهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.[1].

ملامح من الحديث:

- عقد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)على عائشة رضي الله عنها قبل سودة بنت زمعة رضي الله عنها ،لكنه بَنَي بسودة بمكة، أما دخوله على عائشة فكان في المدينة في السنة الثانية.
- قد يتعجب البعض من صغر سن عائشة رضي الله عنها عند الخطبة والبناء ،لكن العجب يزول حينما نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أول خاطب لها بل سبقه، المطعم بن عدي لولده، كما أن اقتراح الزواج كان من خولة بنت حكيم، مما يعني أن ذلك كان عرفًا جائزًا في البيئة العربية في ذلك الزمان.
- قدَّر الله عز وجل صغر سن السيدة عائشة لتحفظ من رسول الله صلىالله عليه وسلم كمًّا عظيمًا من سُنَّتِه، وتعيش بعده فترة طويلة تروي فيها للأمة هذه السّنن.
- احترام أبي بكر لعهده وكلمته، رغم الفرحة الشديدة عندما يخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته، لكنه أراد أن يراجع المطعم ،فكان التراجع من المطعم ومن زوجته، ليهدأ ضمير أبي بكر ويزوج النبي صلىالله عليه وسلم دون كدر.
- بساطة الفرح أو العرس الذي دخل به أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم على الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق.! هذا النموذج سُنَّة، للمقتدي بها أجر، ونتمنىللأمة أن تتحول السنة إلى عرف اجتماعي يسهل الزواج على الشباب، فنعجل بصيانة الشباب من الانحراف، وتتوجه الشهوة نحو الطريق الشرعي الحلال، وتنفرج أزمة (العنوسة) بين الشباب والفتيات الذين تقدر أعدادهم بالملايين (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ).

---

١ – رواه الإمام أحمد برقم ٢٤٥٨٧ بسند رجاله ثقات إلا محمد بن عمر وهو صالح الحديث وقال عنه ابن كثير: وهذا السياق كأنه مرسل ، وهو متصل لما رواه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار..عن يحي بن عبد الرحمن بن حاطب ، قال قالت عائشة ..حديث.

الفصل التاسع:

الإسراء والمعراج:

كان الإسراء معجزة وشرفًا، ورحلة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتسريةً عنه:

كان معجزة أكبر من كل معجزات الأنبياء السابقين، سخَّر له ربه تبارك وتعالى كل ملكوت السموات والأرض، وخرق له قوانين المسافة والسرعة وجمع له في الرحلة من المعجزات ما يفوق كل معجزات الرسل (عليهم السلام).

وكان الإسراء شرفًا ومكانة للنبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغها غيره لا نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب، حيث جمع له الأنبياء فصلى بهم إمامًا، وحيث رَقَى إلى القرب من المولى عز وجل، فى موضع، كلمه الله عز وجل فيه، موضع بعد السموات السبع التي فيها الأنبياء، وبعد سدرة المنتهى، وبعد الحدود التي يصل إليها أمين الوحي جبريل عليه السلام.

وكان الإسراء رحلة وتسريةً عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) تمسح عنه آلام الحزن ومتاعب البشر، وتخفف عنه هموم الدعوة، ويبين له فيها مولاه عز وجل بعض أسرار القدرة الإلهية، ليكون هذا مددًا له ،على مرحلة الجهاد والدعوة، وتبيانًا له أن أهل السموات يعلمون قدره الشريف صلى الله عليه وسلم، وإذا كان أهل الأرض قد آذوه، فإن أهل السموات يكرمونه.

تاريخ الإسراء:

القول الأول: ربيع الأول سنة ١٣ من البعثة:

٢٣٠- روى البيهقي بسنده عن الزهري، وابن لهيعه عن أبي الأسود عن عروة: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أُسْرِي به قبل خروجه إلى المدينة بسنة.

قال ابن كثير (في البداية) فعلى هذا يكون الإسراء في ربيع الأول.

أقول: أي في أوائل السنة ١٣ من البعثة، لأن الهجرة كانت في ربيع الأول من السنة ١٤ من البعثة.

القول الثاني: في ذي القعدة سنة ١٢ من البعثة:

٢٣١- روي الحاكم بسنده عن السُّدِّي أنه قال: فُرض على رسول الله صلىالله عليه وسلم الخَمْس ببيت المقدس ليلة أسري به، قبل مهاجره ،بستة عشر شهرًا فعلى هذا - يقول ابن كثير - يكون الإسراء في شهر ذي القعدة.

أقوال أخرى:

أنه في أوائل البعثة - ذكره ابن عساكر.

في السنة العاشرة من البعثة - ذكر ابن إسحاق الإسراء في هذا التاريخ.

ليلة السابع والعشرين من رجب - قال ابن كثير عن الحديث أنه لا يصح.

كثرة أحاديث الإسراء:

الإسراء والمعراج مروي بأحاديث كثيرة عند كل أئمة الحديث تقريبًا،ومروي عن عدد كبير من الصحابة (رضي الله عنهم)،وفي بعض الأحاديث أشياء ليست مذكورة في غيرها، وفي بعض الأحاديث اختصار، ويصعب أن تجد حديثًا واحدًا يشمل كل أحداث الإسراء والمعراج.

وسنبدأ بأحد أحاديث البخاري باعتبارها الأقوى سندًا، وهي كثيرة في الإسراء والمعراج.. اخترنا منها حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، ثم نعقبه ببعض شروح العلماء، أو الزيادات الثابتة في أحاديث أخرى.

٢٣٢- عن أَنَس بْن مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا.

وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ.

فَانطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ؟ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ.

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ.

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ ،قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ.

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ نَعَمْ ،قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ.

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟قِيلَ مُحَمَّدٌ ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ.

فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ.

فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي.

فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ.

فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ.

وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ.

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، قَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ ثُمَّ ثَلَاثِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ، فَجَعَلَ عِشْرِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلَهُ قُلْتُ سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ.

فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا.[1]

شروح وزيادات:

١- في الحديث إثبات أن الإسراء كان بالليل، وفيه (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان) وفي روايات أخرى (في الحطيم وربما قال في الحجر) والحطيم هو الحجر- أي حجر إسماعيل، وهو في المسجد الحرام، وفي أخرى (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة) وفي روايات أخرى أنه كان في بيت أم هانئ في شعب أبي طالب.

والجمع بين الروايات كما ذكره الحافظ في الفتح، أنه نام في بيت أم هانئ وقال بيتي ، لأنه كان يسكنه [أقول ربما يقصد سكناه تلك الليلة أو سكناه بصفة دائمة] .. فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد ،فأركبه البراق.

٢- قوله (وذكر رجلًا بين رجلين) معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نائما بين رجلين هما حمزة وجعفر كما ثبت في روايات أخرى، وأن جبريل قال لمن معه (أحد الثلاثة بين الرجلين).

٣- إثبات وقوع حادثة شق الصدر ليلة الإسراء، وقد سبق ثبوتها أيضا في الطفولة، وهو (صلى الله عليه وسلم) مسترضع عند حليمة السعدية وقال في الفتح: [ثم وقع شق الصدر عند البعثة زيادة في إكرامه؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي، في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء؛ ليتأهب للمناجاة].

[1] – رواية البخاري برقم ٢٩٦٨

٤- البراق دابة دون البغل وفوق الحمار، وقد أُتِي به ليركبه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أمر معتاد له (أي ركوب البغلة والحمار)، ليكون تأنيسا له(صلى الله عليه وسلم)وسط المعجزة.

والبراق من السرعة بحيث يضع حافره عند منتهى بصره.

وكان الذي أمسك بركابه جبريل ، والذي أمسك بزمامه ميكائيل.

وفي روايةٍ أن البراق استصعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل: "ما حملك على هذا؟!فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه" صححه ابن حبان.

<u>٥- عند بيت المقدس ، والصلاة فيه:</u>

في الفتح عن أنس عن النبي(صلى الله عليه وسلم) قال:" أتيت بالبراق ، فوصفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين" ، وقال البيهقي (المُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النَّافي) يعني مَنْ أثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه زيادة عِلم على مَنْ نفي ذلك.

ووقع في رواية بريدة عند البزار: " لما كان ليلة أسري بي، فأتي جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع إصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق".

وفي الفتح أيضا: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه زيادة " ثم دخلت المسجد، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم".

وعند ابن أبي حاتم عن أنس (فلم ألبث: إلا يسيرًا حتى اجتمع ناس كثير، ثم أذَّن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل فقدَّمَني فصليت بهم".

وفي حديث ابن مسعود عند مسلم (وحانت الصلاة فأممتهم).

أقول: فهذه روايات عّدة تثبت إمامة النبي صلى الله عليه وسلم للنبيين دلالة على فضله عليهم، ودلالة على أن شريعته هي الأكمل ،وهي الشريعة الناسخة لكل الشرائع السابقة.

قال القاضي عياض: "يُحتمل أن يكون صلى بالأنبياء جميعا في بيت المقدس، ثم صعد معه إلى السماوات مَنْ ذَكَرَ أنه(صلى الله عليه وسلم)رآه، ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضا".

<u>٦- سدرة المنتهي:</u>

في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند مسلم قال صلى الله عليه وسلم: "انتهي بي إلى سدرة المنتهي، وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط فيقبض منها.

وقال النووي " سميت سدرة المنتهي لأن علم الملائكة ينتهي إليها ،ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)".

ولقد رجح القرطبي حديث أنس أنها في السابعة، قال: "وهو الذي يقتضيه وصفها بأنها ينتهي إليها علم كل نبي مرسل ،وكل ملك مقرب، وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله".

أقول: لكن ابن حجر جمع بين الروايتين [في السادسة] و[في السابعة] أن أصلها في السادسة، بينما أغصانها وفروعها في السابعة.

إذ يغشى السدرة ما يغشى:

عند مسلم: (فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ،فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها [1] من حُسنها).

وفي روايات أنه (غشيها فَرَاش من ذهب أو جراد من ذهب) وفي أخرى عن ابن عباس (يغشاها الملائكة).

و(نبقها)، هو النبق، وهو ثمر شجرة السدر.

و(مثل قلال هجر) أي كبيرة الحجم، والقلال : جمع قلة وهي الجرة.

(وإذا ورقها مثل آذان الفيلة) أي كبيرة الحجم.

قال ابن دِحْيه: اختيرت السدرة دون غيرها؛ لأن فيها ثلاثة أوصاف: ظل ممدود، وطعام لذيذ، ورائحة ذكية.

٧- رؤية الأنهار:

تثبت الروايات أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)رأى في أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار، نهران باطنان في الجنة، ونهران ظاهران هما النيل والفرات، ثم رقى النبي صلى الله عليه وسلم في السماء، فرأى نهر الكوثر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر، وفيه آنية الذهب والفضة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، أخبر جبريل النبي (صلى الله عليه وسلم)أنه

---

١ – ينعتها: أي يصفها.

الكوثر الذي أعطاه الله له، فشرب منه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحلى من العسل، وأشد رائحة من المسك.

٧- فرضت الصلاة: ليلة الإسراء بكلام مباشر من المولى عز وجل، إلى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بغير واسطة ملك، وهذا تبيان لمكانتها.

٨- وفي الحديث شفقة سيدنا موسى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، حتى نصح نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال ربه التخفيف. وفي الحديث أيضا حياء النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل التخفيف بعد الخمس، وفيه رحمة المولى سبحانه بعباده، أن جعلها خمسًا في الفعل ، وخمسين في الأجر.

٩- وقعت زيادات في روايات أخرى:

منها عند البخاري في كتاب الصلاة (حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) وفي رواية أبي ذر في الصحيح أيضا (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) وفي حديث ابن مسعود عند مسلم (وأُعْطِي رسول الله الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته المقحمات، يعني الكبائر).

من المشاهد ما جاء في سنن أبي داود:

٢٣٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ." [١].

ومن المشاهد ما رواه الإمام أحمد في مسنده:

٢٣٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "انْتَهَيْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا فَوْقِي بِرَعْدٍ وَصَوَاعِقَ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا. فَلَمَّا نَزَلْتُ وَانْتَهَيْتُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا

---

[١] – أبو داود برقم ٤٢٣٥ والحديث حسن فيه ابن المصفي صدوق له أوهام ويدلس (موسوعة حرف).

فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْت مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ الشَّيَاطِينُ يَحْرِفُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَتْ الْعَجَائِبَ[1].

قريش تكذب النبي(صلي الله عليه وسلم) :

٢٣٥- عن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ"[2].

٢٣٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. قَالَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ"[3].

ونكتفي بهذا القدر:

لأن الحديث عن إسرائه ومعراجه (صلى الله عليه وسلم)يطول والأحداث المتفق عليها والمختلف فيها لم نأت عليها كلها، والحِكَم والعبر المستفادة أكثر من أن تحصى، فليرجع القارئ الكريم إلى كتب الحديث وشروحه وتفسير سورة الإسراء ،والله الموفق.

================

[1] – مسند أحمد ٨٤٠٢ والحديث ضعيف فيه على بن زيد (ضعيف) وأبو الصلت (مجهول) .

[2] – صحيح رواه البخاري٣٥٩٧.

[3] – صحيح رواه مسلم ٢٥١ العالمية.

الباب الخامس:

الإعداد للدولة:

تمهيد:

بعد مراحل وسنوات المعاناة في مكة، وبعد وضوح مدى قوة المشركين في مكة، وقدرة الزعماء العتاة على استمرار مواجهة الدعوة الإسلامية وقدرتهم على تعويق انتشار الإسلام ووصوله إلى الناس في مكة، وإلى القبائل خارجها، بعد كل هذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في البحث عن مخرج للأزمة والبحث عن حل غير تقليدي ، فكان الخروج لطلب النصرة من القبائل خارج مكة للتحالف، والانتقال إليهم لبدء مرحلة جديدة فكان يقول لهم "من يحملني لكي أبلغ دعوة ربي".

وكانت هذه هي البدايات للإعداد للدولة.

وفي هذا الإطار نذكر:

١- رحلة الطائف.

٢- العرض على القبائل.

٣- بيعة الأنصار.

٤- الهجرة المباركة إلى المدينة.

الفصل الأول:

رحلة الطائف

إلى قبيلة ثقيف لطلب النصرة:

٢٣٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

"وَلَمّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الطّائِفِ ، يَلْتَمِسُ النّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللّهِ عَزّ وَجَلّ فَخَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ، قَالَ: لَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الطّائِفِ ، عَمَدَ إلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَهُمْ إخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ عَبْدُ يَالَيْل بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، فَجَلَسَ إلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَكَلّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ".

أسوأ ردود:

"فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ[١] ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إنْ كَانَ اللّهُ أَرْسَلَك، وَقَالَ الْآخَرُ: أَمَا وَجَدَ اللّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَك وَقَالَ الثّالِثُ: وَاَللّهِ لَا أُكَلّمُك أَبَدًا، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ اللّهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدّ عَلَيْك الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْت تَكْذِبُ عَلَى اللّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلّمَك. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ - فِيمَا ذُكِرَ لِي: إذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي ، وَكَرِهَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذْئِرَهُمْ[٢] ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَفْعَلُوا ."

إيذاء أشرف الخلق(صلى الله عليه وسلم):

---

١ – يمرط ثياب الكعبة: أي يمزقها.

٢ – يزئرهم عليه: يستثيرهم عليه لكونه خرج يطلب نصرة قبيلة أجنبية على قريش.

نتابع رواية ابن إسحاق:

"وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ حَتّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النّاسُ وَأَلْجَئُوهُ إلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا فِيهِ وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ فَعَمَدَ إلَى ظِلّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ فَجَلَسَ فِيهِ وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إلَيْهِ وَيَرَيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطّائِفِ[١]."

زاد موسى بن عقبة في سياقه:

238- وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مرَّ، جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، حتى أدموه فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى ظل نخلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله"[٢].

دعاء يزلزل الكون:

نتابع رواية ابن إسحاق:

" فَلَمّا اطْمَأَنّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ – فِيمَا ذُكِرَ لِي - : اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي ، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي ، إلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي ؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِك."

رحمات الله تتنزل:

" قَالَ فَلَمّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَمَا لَقِيَ تَحَرّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا ، فَدَعَوْا غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيّا ، يُقَالُ لَهُ عَدّاسٌ فَقَالَا لَهُ خُذْ قِطْفًا (مِنْ هَذَا) الْعِنَبِ فَضَعْهُ فِي هَذَا الطّبَقِ ثُمّ اذْهَبْ بِهِ إلَى ذَلِكَ الرّجُلِ فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ .

---

١ – رواية ابن إسحاق حدث فيها عن يزيد بن أبي زياد لكن محمد بن كعب لم يذكر الصحابي الذي حدَّث عنه ، فالرواية مرسلة، لكن لها شواهد فى الصحيحين كما سيأتى، وقد نقلها ابن كثير في البداية والنهاية بغير تحفظ ١٤٢/٣.

٢ – البداية والنهاية ١٤٣/٣.

فَفَعَلَ عَدّاسٌ ثُمّ أَقْبَلَ بِهِ حَتّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، ثُمّ قَالَ لَهُ كُلْ، فَلَمّا وَضَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهِ يَدَهُ قَالَ بِاسْمِ اللّهِ ثُمّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدّاسٌ فِي وَجْهِهِ ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ إنّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمِنْ أَهْلِ أَيّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدّاسُ وَمَا دِينُك ؟ قَالَ نَصْرَانِيّ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ قَرْيَةِ الرّجُلِ الصّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتّى ، فَقَالَ لَهُ عَدّاسٌ وَمَا يُدْرِيك مَا يُونُسُ بْنُ مَتّى ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَاكَ أَخِي ، كَانَ نَبِيّا وَأَنَا نَبِيّ ، فَأَكَبّ عَدّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُقَبّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، قَالَ يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَمّا غُلَامُك فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْك .

فَلَمّا جَاءَهُمَا عَدّاسٌ قَالَا لَهُ وَيْلَك يَا عَدّاسُ مَالَكَ تُقَبّلُ رَأْسَ هَذَا الرّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ؟ قَالَ يَا سَيّدِي مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرِ مَا يَعْلَمُهُ إلّا نَبِيّ ، قَالَا لَهُ وَيْحَك يَا عَدّاسُ لَا يَصْرِفَنّك عَنْ دِينِك، فَإِنّ دِينَك خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ.

ما جاء في الصحيحين:

٢٣٩- عن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ.

فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. [1]

دلالة وعظة:

---

[1] – رواه البخاري ٢٩٩٢ ومسلم ٣٣٥٢ ترقيم العالمية.

أن يكون يوم الطائف أشد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أُحد.. فهذا معناه أن الإيذاء النفسي الذي تعرض له الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان أشد عليه من جروحه التي أصيب بها في أُحد.. وهذا يدل أيضا على أن الدعوة في مكة وصلت في هذه المرحلة إلى درجة المأزق.

و المولى جلت حكمته لا يترك عبده المأزوم يلقى الإيلام والهموم، ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، يفيض بأسمى معاني التذلل والافتقار إلى الله عز وجل ويظهر فيه روح تفويض الأمر كله لله (إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي) والإجابة الربانية سريعة وحاضرة: جبريل مع ملك الجبال..

نعم ! وهل يملك مقاليد السماوات والأرض والجبال إلا الله تعالى، فمن كان الله معه فمن يكون عليه؟!

ثم إن الحبيب صلى الله عليه وسلم، المرسل رحمة للعالمين، لا يستخدم هذه الجنود الكونية في إهلاك قومه.. لكنه يصبر حتى يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا.

إسلام الجن:

ربما كان في إسلام الجن تعويضًا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عما فاته من إسلام الإنس.

٢٤٠- قَالَ ابنُ إسْحَاقَ: ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْصَرَفَ مِنْ الطّائِفِ رَاجِعًا إلَى مَكّةَ ، يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، حَتّى إذَا كَانَ بِنَخْلَةَ[1] قَامَ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ يُصَلّي ، فَمَرّ بِهِ النّفَرُ مِنْ الْجِنّ الّذِينَ ذَكَرَهُمْ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُمْ - فِيمَا ذُكِرَ لِي - سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنّ أَهْلِ نَصِيبِينَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ فَلَمّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلّوْا إلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إلَى مَا سَمِعُوا، فَقَصّ اللّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

---

١ – موضع بين مكة والطائف.

قَـالَ اللّهُ عَـزّ وَجَـلّ { وَإِذْ صَـرَفْنَا إِلَيْـكَ نَفَـرًا مِـنَ الْجِـنّ يَسْـتَمِعُونَ الْقُـرْآنَ } إِلَى قَـوْلِـهِ تَعَـالَى { وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ } وَقَـالَ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى : { قُـلْ أُوحِيَ إِلَيّ أَنّـهُ اسْـتَمَعَ نَفَـرٌ مِـنَ الْجِـنّ } إِلَى آخِرِ الْقِصّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السّورَة. [١]

الرسول(صلى الله عليه وسلم)في جوار المطعم بن عدي:

بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب نصرة قبيلة ثقيف على قريش لم يكن يستطيع أن يدخل مكة إلا في جوار أحد زعمائها.

٢٤١- قال ابن كثير في البداية:

وقد ذكر الأموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أريقط إلى الأخنس بن شريق، فطلب منه أن يجيره بمكة ، فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها .

ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي .

فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال نعم ! قل له فليأت. فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعا فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: طف، واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم ، فقال: أمجير أو تابع ؟ قال لا بل مجير .

قال: إذًا لا تُخْفَر، فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه، فلما انصرف ،انصرفوا معه ، وذهب أبو سفيان إلى مجلسه .

قال فمكث أياما ثم أذن له في الهجرة، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفي مطعم بن عدي بعده بيسير، فقال حسان بن ثابت والله لأرثينه[٢].

قال ابن كثير:

---

١ – قال ابن كثير في التفسير (وهذا صحيح ولكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة) فيه نظر لأن الجن كان استماعهم في ابتداءالإيحاء. وهذا ختام رواية ابن اسحاق عن يزيد بن أبي يزيد عن محمد بن كعب القرطبي.

٢ – البداية والنهاية ١٤٤/٣

قلت ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أسارى بدر " لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَه "[1]

دلالات هامة في قصة الجوار:

هذه الواقعة القصيرة عظيمة الدلالات:

* كان في المشركين من تعلل بأسباب ضعيفة لكي يرفض حماية الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن رفض حماية المستجير عيب في تقاليد الرجولة وتقاليد الجاهلية، فتعلل الأخنس بن شريق بأنه حليف لقريش وليس من أصلهم، وتعلل سهيل بن عمرو بأن بني عامر لا تجير على بني كعب، وكلها حجج ضعيفة.

أما رجولة المطعم بن عدي فتستحق الإشادة بلاشك!! رجل يأخذ أبناءه السبعة حاملين السيوف مستعدين لأية مواجهة، من أجل حماية محمد صلى الله عليه وسلم رغم أنه لا يؤمن بدينه، وربما كان مثل قريش، في حالة عداوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

*هذا الرجل يستحق الإشادة منا، وقد استحق الرثاء من حسان بن ثابت بعد وفاته، بل واستحق الوسام الأكبر من محمد صلى الله عليه وسلم ،الذي حفظ له هذا الصنيع وهذا المعروف وكان مستعدا أن يهبه أسارى بدر بغير فداء.

العلاقة مع الكفار:

تعالوا نتبين ونوضح، ونؤكد أن الإسلام لا يسوي في المعاملة بين الكفار، أو غير المسلمين:

* هناك كفار يساعدون المسلمين.
* وهناك كفار على الحياد.
* وهناك كفار يسوقون الجيوش والأسلحة عدوانًا على المسلمين.

هل يسوي الإسلام بين كل هؤلاء؟.

بالتأكيد لا..

وفي قصة المطعم بن عدي دلالة على ذلك.

وفي حلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع قبيلة خزاعة وهي على شركها دليل.

وفي معاهدة الدفاع المشترك عن المدينة.. دليل.

---

[1] – صحيح رواه البخاري ٢٩٠٦

هل يفهم هذا الكلام -في عصرنا-بعض الشباب، قليلي العلم والفقه، الذين يرون أن علاقة المسلم بغير المسلم هي علاقة حرب دائمة، ولا يفهمون النصوص حق الفهم.

اللهم وفق الأمة الإسلامية للهدى والرشاد.

الفصل الثاني:

مفاوضات الرسول(صلى الله عليه وسلم)مع القبائل، لحمل الدعوة والداعية:

كثيرة هي القبائل التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وإلى حمل الدعوة، وهذا يدل على جهد متواصل لتبليغ الإسلام، أما الجهد البدني فهو متوقع من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ،منذ أن قال لخديجة رضي الله عنها: "لقد مضى عهد النوم يا خديجة". لكن الجهد النفسي قد يكون أكبر؛ لأن كثيرا من القبائل كانت لها ردود سلبية فيها من الإيذاء النفسي للنفس الكريمة، للكريم صلى الله عليه وسلم.

قال ابن كثير في البداية:

" قد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي فقص [خبر] القبائل واحدة واحدة، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر، وغسان، وبني فزارة، وبني مرة، وبني حنيفة، وبني سليم، وبني عبس، وبني نضر بن هوازن، وبني ثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبني الحارث بن كعب، وبني عذرة، وقيس بن الحطيم وغيرهم ".

فهذه ١٤ قبيلة مذكورة بالاسم بخلاف (غيرهم).

وسوف ننتقي -بعون الله -بعض هذه الأخبار محاولين استقصاء السند وصحته، والمتن واتفاقه مع الروح العامة للسيرة.

<u>بنو عامر بن صعصعة:</u>

<u>٢٤٢- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:</u>

وَحَدّثَنِي الزّهْرِيّ أَنّهُ أَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ - يُقَالُ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: وَاَللّهِ لَوْ أَنّي أَخَذْت هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ، لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ، ثُمّ قَالَ أَرَأَيْتَ إنْ نَحْنُ بَايَعْنَاك عَلَى أَمْرِك ، ثُمّ أَظْهَرَك اللّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَك ، أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِك ؟ قَالَ الْأَمْرُ إلَى اللّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. قَالَ فَقَالَ لَهُ أَفَتُهْدَفُ نَحُورُنَا لِلْعَرَبِ دُونَك ، فَإِذَا أَظْهَرَك اللّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِغَيْرِنَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِك ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ.

فَلَمّا صَدَرَ النّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتْهُ السّنّ ، حَتّى لَا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمْ الْمَوَاسِمَ فكَانُوا إذَا رَجَعُوا إلَيْهِ حَدّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِك الْمَوْسِمِ. فَلَمّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِك الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ ، يَدْعُونَا إلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ إلَى بِلَادِنَا، قَالَ فَوَضَعَ الشّيْخُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمّ قَالَ: يَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ[1] هَلْ لِذُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ[2] وَالّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقَوّلَهَا إسْمَاعِيلِيّ قَطّ ، وَإِنّهَا لَحَقّ ، فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ[3] .

دلالة هامة:

رغم حالة الدعوة في مكة وحاجة الرسول صلى الله عليه وسلم للنصرة ،فإنه رفض قبول عرض بني عامر أن يكون لهم الأمر من بعده، أي تتحول النبوة إلى ملك يورث، وهذا يعني أن من أراد الإسلام فلا يقبل منه إلا الطاعة الكاملة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعني أيضا أن الإسلام دين كامل شامل لا يقبل مَنْ يأخذ منه شيئا ويترك شيئا.

قبيلة كندة:

٢٤٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَدّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ : أَنّهُ أَتَى كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَفِيهِمْ سَيّدٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ مُلَيْحٌ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ. [4]

بنو كلب:

٢٤٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ حُصَيْنٍ أَنّهُ أَتَى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ إلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَبْدِ اللّهِ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتّى إنّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ يَا بَنِي عَبْدِ اللّهِ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ. فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عليهم .

بنو حنيفة:

---

١ – هل يمكن استرجاع ما فات.

٢ – أصله ذنابي الطير إذا افلت من الحبل فأردت الأخذ به.

٣ – سيرة ابن هشام ٣٠٧/٢ ط دار الحديث وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من الزهري وهو إمام ثقة رغم أن الحديث مرسل (لم يذكر اسم الصحابي الذي نقل الزهري عنه) لكن الرواية صحيحة إن شاء الله.

٤ – نفس التخريج السابق.

٢٤٤- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَتَى بَنِي حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الْعَرَبِ أَقْبَحَ عَلَيْهِ رَدّا مِنْهُمْ.

تعقيب:

ليس بغريب أن تكون قبيلة بني حنيفة صاحبة الرد الأسوأ؛ فقد كان فيهم مسيلمة الكذاب.

مع قبائل ربيعة، وبني شيبان ثم الأنصار:

هذه رواية حسنة وهي مطولة فيها لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومعه أبو بكر وعلي بن أبي طالب راوي الواقعة، مع قبائل ربيعة ثم بني شيبان، ثم وفد الانصار.

والرواية عند أبي نعيم، والحاكم والبيهقي، والسياق لأبي نعيم.

وسنترك من الرواية الجزء الأول الخاص بقبائل ربيعة وحوار أبي بكر معهم وحوارهم معه؛ فهو مطول وأكثره كلام عن الأنساب.

ونذكر الجزء الثاني من الرواية الخاص بوفد بني شيبان لأهميته.

٢٤٥- عن ابن عباس قال : حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقدما في كل خير، وكان رجلا نسابة، فقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة.

قال ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم ، فقال لهم أبو بكر ممن القوم ؟ قالوا من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس .

وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بيانا ولسانا، وكانت له غديرتان[1] تسقطان على صدره، فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم ؟ فقال له إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة .

---

١ – غديرتان: شعر مجدول (ضفيرتان).

فقال له: فكيف المنعة فيكم ؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد .
فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح[1]، والنصر من عند الله، يديلنا مرة ويديل علينا مرة، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو هذا.

فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس - وقام أبو بكر يظله بثوبه - فقال: فإلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وأن تؤووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد.

قال له: وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) إلى قوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فقال له مفروق: وإلامتدعو أيضا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفِك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا.

فقال له هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإني أرى أنَّ تَرْكَنا ديننا واتِّباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر.

وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به،

---

[1] – السلاح على اللقاح: أي يفضلون الحرب على الإبل.

والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا، وإنا إنما نزلنا بين صَرِيَّيْن[١] أحدهما اليمامة، والآخر السماوة[٢].

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما هذان الصريان" ؟ فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثا، ولا نؤوي محدثا، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا .

فقال رسول ا(لله صلى الله عليه وسلم):" ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه".

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟"، فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يدي أبي بكر .

قال علي: ثم التفت إلينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يا علي، أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية – ما أشرفها - بها يتحاجزون في الحياة الدنيا ."

قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم .

قال علي: وكانوا صدقاء صبراء فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم .

---

١ – الصيريين: وقيل صيرين، تثية صير ، وهو الماء الذي يحضره الناس (وقيل الماء إذا تغير) وهو يقصد أن بني شيبان في منطقة بين العرب وبين الفرس.

٢ – السماوة: ماء بالردية بين الكوفة والشام، سميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر فيها (معجم البلدان).

قال فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: "احمدوا الله كثيرا فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا. قال وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذي قار[1]".[2]

<u>دلالات وعظات في لقاء وفد بني شيبان:</u>

- "ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بهذا الدين إلا من حاطه من جميع جوانبه".
- هذه كلمات المصطفى صلى الله عليه وسلم تعليقا على عرض بني شيبان أن يمنعوه من العرب لكن لا يمنعوه من فارس.
- الرسول صلى الله عليه وسلم امتدح صدقهم في عدم قدرتهم على القيام بكل أوامر الدين .
- لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقبل منهم هذا الإسلام (المنقوص) أو المجزأ؛ لأنه لابد لمن يريد أن يسلم أن يدخل في الإسلام دخولا كاملا شاملا ،لا تردد فيه ولا شروط ولا خوف ولا بخل بتضحية مهما عظمت، وهذا مصداق قوله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ".
- وفي نفس السياق يرفض القرآن الكريم منهج تجزئة الدين: قال عز وجل "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ".
- قال علي رضي الله عنه: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، امتدح سيدنا علي رضي الله عنه وقارهم وأقدارهم، واتضح صدق فراسته من طريقة تفكيرهم وحوارهم.

---

[1] – وقعة ذي قار انتصرت فيها قبائل بكر على العجم، الفرس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث، وأخبر أصحابه بها.

[2] – حديث حسن رواه الحاكم وأبو نعيم في الدلائل (عن أبان بن عبد الله أبو حازم البجلي) وثقه ابن معين، وقال الذهبي في الميزان: حسن الحديث، (عن أبان بن تغلب) صدوق في نفسه عالم كبير– قاله الذهبي في السير، (عن عكرمة) تابعي إمام عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال القسطلاني في المواهب، أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم بإسناد حسن.

- قال علي رضي الله عنه: فتقدم أبو بكر فسلم ، وكان أبو بكر مقدما في كل خير.. إنها شهادة قيمة من سيدنا علي، لسيدنا أبي بكر -رضي الله عنهما- أثبتها كل أحداث السيرة النبوية وسيرة أبي بكر.
- قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم:

من الصفات المهمة في الصديق أبي بكر هو علمه الغزير بكل قبائل العرب وبطونها، وهو علم له أهمية كبيرة في البيئة العربية، وقد أفاد بعلمه هذا الدعوة الإسلامية إفادة كبيرة.

- قول مفروق من بني شيبان: دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخرق ومحاسن الأعمال، ولقد أفِك قوم كذبوك وظاهروا عليك، هذا لسان الفطرة السليمة ، ولقد اقتربت بنو شيبان من الإسلام، لكن قدر الله غالب، والكرامة قد ادخرها الله عز وجل للأوس والخزرج.
- قول هانئ بن قبيصة: إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، لم نتفكر في أمرك وننظر في عاقبة ما تدعو إليه، زلة في الرأي وطيشة في العقل وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة.

هذا قول رجل عاقل هادئ، ومنهج في الحياة جميل صحيح محمود، وقوله يدل على أنه لم يعترض على شيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لكنه أراد مزيدا من الوقت للتفكير، نقول هذا منهج في الحياة جيد محمود ، لكن أفضل منه من يعرف الحق فلا يتردد في قبوله لحظة واحدة، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

- قال صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرًا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ، ويفرشكم بناتهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟"

هذه نبوءة من معجزات النبوة ما كان يحلم بها قادة بني شيبان.

ثم تحققت النبوءة في وقعة قراقر وأخبر بها رسول الله صلي الله عليه وسلم أصحابة فقال لهم: احمدوا الله كثيرًا ، فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس قتلوا ملوكهم، واستباحوا عسكرهم، وبي نصروا.

المرحلة الأخيرة في الإعداد للدولة:

الفصل الثالث:

لقاء وفد الأنصار:

اللقاء الأول مع ستة نفر من الخزرج:

٢٤٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَلَمّا أَرَادَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ إظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمَوْسِمِ الّذِي لَقِيَهُ فِيهِ النّفَرُ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلّ مَوْسِمٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنْ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللّهُ بِهِمْ خَيْرًا .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا:

لَمّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا :نَفَرٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، قَالَ أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلّمُكُمْ ؟ قَالُوا: بَلَى.

فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ . قَالَ وَكَانَ مِمّا صَنَعَ اللّهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ فَكَانُوا إذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ إنّ نبيًّا مبعوثٌ الآنَ قدْ أَظَلّ زَمَانُهُ نَتّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ .

فَلَمّا كَلّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُولَئِكَ النّفَرَ وَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَا قَوْمِ تَعْلَمُوا وَاَللّهِ إنّهُ لَلنّبِيّ الّذِي تَوَعّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ فَلَا تَسْبِقُنّكُمْ إلَيْهِ .

فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إلَيْهِ بِأَنْ صَدّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْإِسْلَامِ وَقَالُوا : إنّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ وَالشّرّ مَا بَيْنَهُمْ فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ اللّهُ بِك، فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ إلَى أَمْرِك ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمْ الّذِي أَجَبْنَاك إلَيْهِ مِنْ هَذَا الدّينِ فَإِنْ يَجْمَعْهُمْ اللّهُ

عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزّ مِنْك . ثُمّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَاجِعِينَ إلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدّقُوا. [1]

دلالة وعظة:

هذا اللقاء البسيط ..البسيط في عدده، والبسيط في حواره، كان البداية لتغيير مسيرة الدعوة ، وكان البداية في بناء الدولة، فهو لقاء على أعلى درجات الأهمية، يلاحظ فيه أمران:

- أنه تيسر للرسول صلى الله عليه وسلم، بتقدير من ربه تبارك وتعالى، بعد سنوات طويلة ومقابلات كثيرة مع وفود العرب، إذن فالعطاء الرباني يأتي لمن يعمل ويجتهد.
- أن الجهد البشري وحده لا يكفي، إنما كانت الأرض ممهدة بتقدير الله تعالى في توعد اليهود للأنصار وإخبارهم بقرب ظهور نبي آخر الزمان، وكانت ممهدة بعد طول الحروب بين الأوس والخزرج ورغبة العقلاء منهم في وقف هذه الحروب ،فاستجابوا للرسول صلى الله عليه وسلم لعل الله أن يجمعهم به.

سجل الشرف للأوائل الستة من الخزرج:

٢٤٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَهُمْ - فِيمَا ذُكِرَ لِي - : سِتّةُ نَفَرٍ مِنْ الْخَزْرَجِ ، مِنْهُمْ:

مِنْ بَنِي النّجّارِ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ - وَهُوَ أَبُو أُمَامَةَ - وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ - وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ.

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: رَافِعُ بْنُ مَالِكِ.

وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ : قُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ .

وَمِنْ بَنِي حَرَامِ: عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ ، .. وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ : جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ رِئَابِ .

ملحوظة: اكتفينا بذكر أسماء الشهرة لهؤلاء الصحابة الكرام وحذفنا ما ذكره ابن إسحاق من أنسابهم ؛تجنبًا للتطويل.

---

[1] – إسناده حسن رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن اشياخ من قومه، والأشياخ إما من الصحابة أو جمع من التابعين، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في الدلائل والطبري في تاريخه.

الفصل الرابع:

بيعة العقبة الأولى:

لما رجع وفد النفر الستة إلى يثرب، حدثوا قومهم عن الإسلام وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٤٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

حَتّى إذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ وَافَى الْمَوْسِمَ مِنْ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَلَقَوْهُ بِالْعَقَبَةِ . (قَالَ) وَهِيَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى بَيْعَةِ النّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ الْحَرْبُ.

رجال العقبة الأولى:

من الخزرج: عشرةرجال:

- أسعد بن زرارة.
- عوف بن الحارث بن رفاعة.
- معاذ بن الحارث بن رفاعة.
- رافع بن مالك.
- ذكوان بن عبد قيس.
- عبادة بن الصامت.
- يزيد بن ثعلبة (أبو عبد الرحمن).
- العباس بن عبادة بن نضلة .
- عقبة بن عامر من بني حرام.
- قطبة بن عامر (من بني سواد).
- ومن الأوس: رجلان:
- أبو الهيثم بن التيهان.
- عويم بن ساعدة.

بنود البيعة الأولى:

وتسمي بيعة النساء؛ لأنها لم تكن فيها بيعة على الحرب، وهذه البيعة رواها أكثر أئمة الحديث نختار منها رواية الإمام مسلم:

٢٤٨- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ[1].

ورواية ابن إسحاق تبين أن هذه البنود كانت في العقبة الأولى:

٢٤٩- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ، قَالَ كُنْت فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى، وَكُنّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى بَيْعَةِ النّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاَللّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانِ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ.

فَإِنْ وَفّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنّةُ. وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ إنْ شَاءَ عَذّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ، عَنْ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ الْخَوْلَانِيّ أَنّ عُبَادَةَ بْنَ الصّامِتِ حَدّثَهُ أَنّهُ قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاَللّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانِ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذْتُمْ بِحَدّهِ فِي الدّنْيَا، فَهُوَ كَفّارَةٌ لَهُ وَإِنْ سُتِرْتُمْ عَلَيْهِ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ إنْ شَاءَ عَذّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَر[2].

---

[1] – صحيح رواه مسلم ٣٢٢٣ وغيره.

[2] – سيرة ابن هشام ٢/٣١٤ وهي رواية صحيحة مطابقة لرواية مسلم بخلاف الزيادة التي اشرنا إليها.

مصعب بن عمير سفيرًا إلى يثرب:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

٢٥٠- فَلَمّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمْ الْقُرْآنَ وَيُعَلّمَهُمْ الْإِسْلَامَ وَيُفَقّهَهُمْ فِي الدّينِ فَكَانَ يُسَمّى الْمُقْرِئَ بِالْمَدِينَةِ : مُصْعَبٌ .

وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ بْنِ عُدَسَ أَبِي أُمَامَةَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنّهُ كَانَ يُصَلّي بِهِمْ وَذَلِكَ أَنّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَؤُمّهُ بَعْضٌ [١] .

أَوّلُ جُمُعَةٍ أُقِيمَتْ بِالْمَدِينَةِ:

كانت قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وكان الذي صلى بالمسلمين وكانوا أربعين رجلًا، هو أسعد بن زرارة رضي الله عنه، وأظن ذلك ربما كان قبل هجرة مصعب بن عمير رضي الله عنه ؛لتتوافق مع الرواية السابقة.

وهذا هو حديث الجمعة الأولى:

٢٥١- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:كُنْتُ قَائِدَ أَبِي حِينَ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ بِهِ إِلَى الْجُمُعَةِ فَسَمِعَ الْأَذَانَ اسْتَغْفَرَ لِأَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ وَدَعَا لَهُ، فَمَكَثْتُ حِينًا أَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ إِنَّ ذَا لَعَجْزٌ إِنِّي أَسْمَعُهُ كُلَّمَا سَمِعَ أَذَانَ الْجُمُعَةِ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِي أُمَامَةَ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ وَلَا أَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ لِمَ هُوَ.

فَخَرَجْتُ بِهِ كَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ بِهِ إِلَى الْجُمُعَة فَلَمَّا سَمِعَ الْأَذَانَ اسْتَغْفَرَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتَاهُ أَرَأَيْتَكَ صَلَاتَكَ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ كُلَّمَا سَمِعْتَ النِّدَاءَ بِالْجُمُعَةِ لِمَ هُوَ؟ قَالَ أَيْ بُنَيَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى بِنَا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فِي نَقِيعِ الْخَضَمَاتِ[٢] فِي هَزْمٍ[٣] مِنْ حَرَّةِ[٤] بَنِي بَيَاضَةَ. قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ قَالَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا. [١]

---

١ – سيرة ابن هشام وإسناده حسن ذكره ابن حجر في الفتح عن ابن إسحاق وكذا الطبري في تاريخه.

٢ – نقيع الخضمات، موضع بالمدينة.

٣ – هزم : منطقة مستوية من الأرض.

٤ – حرة: الحرة جبل ليس بمرتفع.

جهود مصعب بن عميروأسعد بن زرارة في نشر الدعوة:

يتضح أن بيت أسعد بن زرارة كان القاعدة التي اتخذها مصعب بن عمير لينطلق إلى نشر الدعوة.

والرواية التالية عن إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما تبين ما كان عليه مصعب بن عمير من ذكاء وحصافة وقوة حجة وبيان.

إِسْلَامُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ:

٢٥٢- روى ابْنُ إسْحَاقَ بسنده أنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنَ خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ ، وَاجْتَمَعَ إلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمّنْ أَسْلَمَ - وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ،

فَلَمّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَك ، انْطَلِقْ إلَى هَذَيْنِ الرّجُلَيْنِ اللّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفّهَا ضُعَفَاءَنَا ، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا ، فَإِنّهُ لَوْلَا أَنّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْت كَفَيْتُك ذَلِكَ هُوَ ابْنُ خَالَتِي ، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدّمًا.

قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمّ أَقْبَلَ إلَيْهِمَا ، فَلَمّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ : هَذَا سَيّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَك ، فَاصْدُقْ اللّهَ فِيهِ قَالَ مُصْعَبٌ إنْ يَجْلِسْ أُكَلّمْهُ .

قَالَ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتّمًا ، فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمَا إلَيْنَا تُسَفّهَانِ ضُعَفَاءَنَا ؟ اعْتَزِلَانَا إنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ أَوَتَجْلِسُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ وَإِنْ كَرِهْته كُفّ عَنْك مَا تَكْرَهُ قَالَ أَنْصَفْتَ ثُمّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إلَيْهِمَا، فَكَلّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَقَالَا : فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا : وَاَللّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلّمَ فِي إشْرَاقِهِ وَتَسَهّلِهِ .

ثُمّ قَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدّينِ ؟ قَالَا لَهُ تَغْتَسِلُ فَتَطّهّرُ وَتُطَهّرُ ثَوْبَيْك ، ثُمّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقّ ثُمّ تُصَلّي .

فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهّرَ ثَوْبَيْهِ وَتَشَهّدَ شَهَادَةَ الْحَقّ ثُمّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ قَالَ لَهُمَا : إنّ وَرَائِي رَجُلًا إنْ اتّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ وَسَأُرْسِلُهُ إلَيْكُمَا الْآنَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ،

---

[١] – حديث صحيح رواه ابن إسحاق : سيرة ابن هشام ٣١٤/٢ وابن ماجه ١٠٧٣ وأبو داود ٩٠٣ ورواته ثقات.

ثُمّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ فَلَمّا نَظَرَ إلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا ، قَالَ أَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ فَلَمّا وَقَفَ عَلَى النّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ مَا فَعَلْت ؟ قَالَ كَلّمْت الرّجُلَيْنِ فَوَاَللّهِ مَا رَأَيْت بِهِمَا بَأْسًا ، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا ، فَقَالَا : نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ وَقَدْ حُدّثْت أَنّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ وَذَلِكَ أَنّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنّهُ ابْنُ خَالَتِك ، لِيُخْفِرُوكَ.

قَالَ فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا ، تَخَوّفًا لِلّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ مَا أَرَاك أَغْنَيْت شَيْئًا ، ثُمّ خَرَجَ إلَيْهِمَا ، فَلَمّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنّيْنِ عَرَفَ سَعْدٌ أَنّ أُسَيْدًا إنّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتّمًا ، ثُمّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ يَا أَبَا أُمَامَةَ (أَمَا وَاَللّهِ) لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَك مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْت هَذَا مِنّي ، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ - وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ أَيْ مُصْعَبُ جَاءَك وَاَللّهِ سَيّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ إنْ يَتّبِعْك لَا يَتَخَلّفُ عَنْك مِنْهُمْ اثْنَانِ - قَالَ فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ أَوَتَقْعُدُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْت فِيهِ قَبِلْتَهُ وَإِنْ كَرِهْته عَزَلْنَا عَنْك مَا تَكْرَهُ ؟ قَالَ سَعْدٌ أَنْصَفْت .

ثُمّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ قَالَا : فَعَرَفْنَا وَاَللّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْل أَنْ يَتَكَلّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهّلِهِ ثُمّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدّينِ ؟ قَالَا : تَغْتَسِلُ فَتَطّهّرُ وَتُطَهّرُ ثَوْبَيْك ، ثُمّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقّ ثُمّ تُصَلّي رَكْعَتَيْنِ قَالَ فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهّرَ ثَوْبَيْهِ وَتَشَهّدَ شَهَادَةَ الْحَقّ ثُمّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَامِدًا إلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ .

قَالَ فَلَمّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا ، قَالُوا : نَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ رَجَعَ إلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ فَلَمّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ ؟ قَالُوا : سَيّدُنَا (وَأَوْصَلُنَا) وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا ، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً قَالَ فَإِنّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيّ حَرَامٌ حَتّى تُؤْمِنُوا بِاَللّهِ وَبِرَسُولِهِ قَالَا : فَوَاَللّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إلّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً .

وَرَجَعَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبٌ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيّةَ بْنِ زَيْدٍ وَخَطْمَةَ وَوَائِلٍ وَوَاقِفٍ وَتِلْكَ أَوْسُ اللّهِ وَهُمْ مِنْ الْأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ.[١]

دلالات وعظات:

- اختيار الرسول (صلى الله عليه وسلم) لمصعب بن عمير هو القمة في تقييم الرجال وقدراتهم، لقد هاجر وحده ؛ليحمل تبعة وأمانة الدعوة في المدينة كلها وليس فيها مسلمون سوى اثني عشر رجلا، وقد قام بالمهمة كأروع ما يكون القيام.. وانظر إلى طريقته العقلانية في الحوار: (أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره؟).
- قال أسعد لمصعب حين رأى أسيد بن حضير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه.
- سادة القوم لهم أهمية ومكانة لا تنكر.. وحبذا لو أمكن إقناعهم بحقيقة الدعوة ونبل الغاية.
- وقوله" فاصدق الله فيه" نصيحة جليلة لأنها تُرجِع الأمر كله لله، فالعبد يجتهد ما وسعه الجهد، لكن الإيمان والهدى أمر بيد الله وحده سبحانه، وعلى الداعية أن يصدق مع الله ويخلص النية.
- سعد بن معاذ: الحزم والعزم، وأخذ الأمر بقوة ، قال تعالى" خذوا ما آتيناكم بقوة" قال سعد لقومه: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.
- قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة.

---

[١] – ذكره ابن كثير في البداية والنهاية من طريق ابن إسحاق وإسناده صحيح وهذه قصة مشهورة صرح فيها أبن إسحاق بالسماع وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر (تخريج دار الحديث).

الفصل الخامس:

بيعة العقبة الكبرى:

ليلة مشهودة:

كانت بيعة العقبة تتويجا عظيما لجهود كثيرة، جهود المصطفى (صلىالله عليه وسلم) طيلة اثنتي عشرة سنة ، وجهود المسلمين وصبرهم، وجهود مصعب بن عمير مع المسلمين من الأنصار، حتى تحقق مجيء سبعين رجلًا وامرأتين للبيعة (وحقق ابن كثير أنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين).

والبيعة كانت بيعة خطيرة .. بيعة على السمع المطلق والطاعة لله ولرسوله، وبيعة على تقديم المال والنفس حماية للدعوة وللرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ،فكانت في حقيقتها تعني محاربة العرب كافة بل والعجم أيضًا.

بضع وسبعون من الرجال ، وامرأتان لا يقدرون على ذلك إلا إذا كانت قدراتهم الإيمانية فوق التصور البشري العادي وأضعاف قدراتهم المادية.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال:

٢٥٣- خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا.

البراء بن معرور (رضي الله عنه) صلى إلى الكعبة مخالفًا المسلمين:

فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا: يَا هَؤُلَاءِ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ رَأْيًا وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي تُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ قَالَ قُلْنَا لَهُ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَدَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ يَعْنِي الْكَعْبَةَ، وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا قَالَ فَقُلْنَا وَاللَّهِ مَا بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّنَا يُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ، فَقَالَ إِنِّي أُصَلِّي إِلَيْهَا قَالَ فَقُلْنَا لَهُ لَكِنَّا لَا نَفْعَلُ.

فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ، قَالَ أَخِي وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَيْهِ فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَإِنَّهُ وَاللَّهِ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ.

قَالَ فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ قُلْنَا لَا قَالَ فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا قَالَ فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ.

قَالَ فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ جَالِسٌ؟ فَسَلَّمْنَا ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟ قَالَ نَعَمْ هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ. قَالَ فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّاعِرُ؟ قَالَ نَعَمْ.

قَالَ فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا وَهَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، فَرَأَيْتُ أَنْ لَا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ خَالَفَنِي ،أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: لَقَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا قَالَ فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ. قَالَ وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ.[1]

إسلام عبد الله بن حرام، والد الصحابي جابر بن عبد الله:

قال كعب بن مالك:

وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ الْحَجِّ وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا ،فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا[2] .

عدد من حضروا العقبة الثانية:

---

[1] – سيرة ابن هشام ٣١٨/٢.

[2] – الحديث السابق.

قال كعب:

فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ : نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ ،وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ[1] .

لقاء الرسول(صلى الله عليه وسلم)بالأنصار ومعه عمه العباس:

فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ .فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، قَالَ وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِه[2].

وفي حديث عامر زيادة تدل على سرّية الأمر وخطورته:

٢٥٤- عَنْ عَامِرٍ قَالَ انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ إِلَى السَّبْعِينَ مِنْ الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ وَلَا يُطِيلُ الْخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ عَيْنًا وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ[3].

إجابة الأنصار:

عودة إلى حديث كعب بن مالك قال:

فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

---

١ – نفس الحديث السابق مسند احمد ١٥٢٣٧ .

٢ – نفي الحديث السابق.

٣ – حديث حسن رواه أحمد ١٦٤٦١ عن عامر بن شراحيل وهو من الطبقة الوسطى من التابعين والحديث مرسل لكن رواته ثقات عن شركة حرف.

بنود البيعة:

فيها روايات نختار منها رواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند البخاري ورواية جابر بن عبد الله رضي الله عند أحمد.

٢٥٥- عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ[1] .

وفي حديث جابر عند أحمد قال:

٢٥٦- فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَايِعُكَ، قَالَ تُبَايِعُونِي عَلَى :

السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ،

وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ،

وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ،

وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ،

وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ[2] .

ردود الفعل على بنود البيعة:

قول البراء بن معرور:

قال كعب :

٢٥٧- فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[1] .

---

[1] – البخاري ٦٥٣٢

[2] – حديث رواه أحمد في مسنده برقم ١٣٩٣٤ العالمية (عن عبد الرازق) ثقة حافظ، (عن معمر) ثقة ثبت (عن أبي خثيم) صدوق (عن أبي الزبير) صدوق مدلس – عن موسوعة حرف.

قول الهيثم بن التيهان:

قال كعب:

٢٥٨- فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ-َ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا وَإِنَّا قَاطِعُوهَا يَعْنِي الْعُهُودَ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: بَلْ الدَّمَ الدَّمَ وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ.[1]

العباس بن عبادة بن نضلة:

يوضح لهم خطورة البيعة ويشد العقد لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).

٢٥٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنّ الْقَوْمَ لَمّا اجْتَمَعُوا لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ الْعَبّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ الْأَنْصَارِيّ ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرّجُلَ؟

قَالُوا : نَعَمْ. قَالَ إنّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنْ النّاسِ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنّكُمْ إذَا نُهِكَتْ أَمْوَالُكُمْ مُصِيبَةً وَأَشْرَافُكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ فَمِنْ الْآنَ فَهُوَ وَاَللّهِ إنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إلَيْهِ عَلَى نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ فَخُذُوهُ فَهُوَ وَاَللّهِ خَيْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالُوا: فَإِنّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ .

غفَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللّهِ إنْ نَحْنُ وَفّيْنَا (بِذَلِكَ) قَالَ: الْجَنّةُ .

قَالُوا : اُبْسُطْ يَدَك . فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ.

وَأَمّا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فَقَالَ وَاَللّهِ مَا قَالَ ذَلِك الْعَبّاسُ إلّا لِيَشُدّ الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَعْنَاقِهِمْ .

وَأَمّا عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبّاسُ إلّا لِيُؤَخّرَ الْقَوْمَ تِلْك اللّيْلَةَ رَجَاءَ أَنْ يَحْضُرَهَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ ، فَيَكُونَ أَقْوَى لِأَمْرِ الْقَوْمِ . فَاَللّهُ أَعْلَمُ أَيّ ذَلِكَ كَانَ[2] .

وأسعد بن زرارة يشدد البيعة أيضًا:

---

[1] – سبق تخريجه . جزء من حديث كعب عند أحمد.

[2] – سيرة ابن هشام إسناد صحيح صرح فيه أبن إسحاق بالتحديث عن عاصم .

قال جابر في حديثه:

٢٦٠- فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُم ،وأَنَّ تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَبَيِّنُوا ذَلِكَ فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

قَالُوا أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ فَوَاللَّهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ[١] .

دلالات وعظات:

- حينما انتشر الإسلام في المدينة، وأسلم زعماء لهم ثقل ووزن، وأصبح كل بيت في المدينة فيه ذكر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) هنا قرر الأنصار أن يطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحاز إليهم ؛ليقوموا بالواجب عليهم في الحماية والنصرة.

ويقول جابر في روايته" فقلنا :حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف؟!فرحل إليه منا سبعون رجلا" يعني كانت المبادرة من الأنصار رضي الله عنهم، وكان السبعون، جزءًا من المسلمين وليسوا كل من أسلم في المدينة.

- الحذر الشديد والحيطة والتكتم في ميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلمة الليل والناس نيام، والعباس يقول: "ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا وإن يعلموا بكم يفضحوكم".
- الثقة التامة في العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم في حرصه على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى مصلحته، رغم أنه كان على الشرك، وقد استأمنه الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر خطير وهو البيعة، إذن الثقة في رجولة الرجل وحبه وكتمانه قد يتوفر في مشرك، وبرغم هذا قد يكون هناك من المسلمين من لا تأمنه على سر!! ولله في خلقه شئون!

---

[١] – سبق تخريجه.

- نموذج الأنصار في قوة إسلامهم، وفي استعدادهم للتضحية وفي شجاعتهم في مواجهة العرب قاطبة، مهما كلفهم ذلك، نموذج فذ في التاريخ، تظل مواقفهم معنا في السيرة.. نتابعها في مواضعها.. تجمع كل المعاني الشريفة والنبيلة.. عطاء بلا حدود.
- بنود البيعة: دليل قوي على شمول الإسلام ووجوب أخذه كله، وبعد ما مر بنا من رفض الرسول صلى الله عليه وسلم شروط بني عامر بن صعصعة وشرط بني شيبان.. عرفنا أنه لا يقبل من المسلم إلا الخضوع التام والاستسلام لله ورسوله وللمنهج الإسلامي كله.
- يكفينا للدلالة على ذلك شرط:

(السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره).

فهو دليل أبلج، على قبول كل ما يأتي من عند الله وعند رسوله (صلى الله عليه وسلم).

- إجابة البراء بن معرور "نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك..."

هي إجابة الفطرة وإجابة الصدق في البيعة.

- وقول أبو الهيثم بن التيهان، إن بيننا وبين القوم حبالًا ،وإنا قاطعوها يعني اليهود، يدل على أنهم فهموا أنهم يدخلون في دين جديد يفرض عليهم التزامًا جديدًا وتعلو رابطته والتزاماته على كل رابطة أو التزام يخالفها.
- كلام العباس بن عبادة بن نضلة، ومثله كلام أسعد بن زرارة يدل على أن الأنصار كانت تعي جيدًا التبعات التي سوف تواجهها من وراء هذه البيعة، وأراد الرجلان أن يؤكدا هذا العهد لرسول الله(صلىالله عليه وسلم)ولقومهم.
- <u>"فما لنا إن نحن وفينا؟" قال: "الجنة":</u>

ما أعظم الرد وما أبلغه!، لم يعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمكافأة دنيوية رغم أنه يعلم صلى الله عليه وسلم أن الإسلام سوف يبلغ ما بلغ الليل والنهار، وأن المال سوف يفيض ، لكن كل هذا يهون ويصغر أمام قلوب آمنت بموعود الله عز وجل الأخروى، وبالجائزة الكبرى:

(الجنة) ما أقصرها من كلمة وما أعظمها من حقيقة !هي الجنة التي تطير الأنفس المؤمنة شوقا إليها مضحية بكل متاع الدنيا.. هي التي من أجلها يقدم الشهداء أرواحهم رخيصة.. ومن

أجلها تكون العبادة والقيام بالتكاليف الشرعية، ولو كانت فيها مشقة على النفس ومخالفة للهوى.

أَسَمَاءُ النّقَبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ :

من الْخَزْرَجِ:

أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ - وَسَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ - وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ - وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ - وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورِ - - وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامِ - وَعُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ - وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو.

نُقَبَاءُ الْأَوْسِ:

أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ - وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ - وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ .

الشيطان يصرخ منبهًا قريشًا!

٢٦١- قَالَ: فَلَمّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَرَخَ الشّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطّ : يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ - وَالْجُبَاجِبُ : الْمَنَازِلُ - هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمّمٍ[١] وَالصّبَاةُ[٢] مَعَهُ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ . قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذَا أَزَبّ الْعَقَبَةِ هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ[٣] - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ ابْنُ أُزَيْبٍ - أَتَسْمَعُ أَيْ عَدُوّ اللهِ أَمَا وَاَللّهِ لَأَفْرُغَنّ لَك.

اسْتِعْدادُ الْمُبَايِعِينَ لِلْحَرْبِ :

قَالَ: ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: ارْفَضّوا[٤] إلَى رِحَالِكُمْ .

قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ : وَاَللّهِ الّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ إنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا ؟ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ وَلَكِنْ ارْجِعُوا إلَى رِحَالِكُمْ . قَالَ: فَرَجَعْنَا إلَى مَضَاجِعِنَا ، فَنِمْنَا عَلَيْهَا حَتّى أَصْبَحْنَا. [٥]

قريش تراجع أهل يثرب في الخبر:

---

١ – يقصد (محمدًا صلى الله عليه وسلم) ولكن كفار قريش كانوا يقولون عليه كما قال الشيطان مذمم.

٢ – الصباة: أي الصابئين يقصد المسلمين .

٣ – أزب بن أزيب: اسم هذا الشيطان .

٤ – ارفضوا: تفرقوا .

٥ – سيرة ابن هشام ٢/٣٢٤-٣٢٥ ، والسند صحيح.

فَلَمّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جُلّةُ قُرَيْشٍ ، حَتّى جَاءُونَا فِي مَنَازِلِنَا ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إنّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا ، وَإِنّهُ وَاَللّهِ مَا مِنْ حَيّ مِنْ الْعَرَبِ أَبْغَضُ إلَيْنَا ، أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ . قَالَ فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ بِاَللّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَمَا عَلِمْنَاهُ . قَالَ وَقَدْ صَدَقُوا ، لَمْ يَعْلَمُوهُ . قَالَ وَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إلَى بَعْضٍ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنّهُمْ أَتَوْا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ كَعْبٌ مِنْ الْقَوْلِ، فَقَالَ لَهُمْ (وَاَللّهِ) إنّ هَذَا الْأَمْرَ جَسِيمٌ مَا كَانَ قَوْمِي لِيَتَفَوّتُوا عَلَيّ بِمِثْلِ هَذَا ، وَمَا عَلِمْته كَانَ . قَالَ فَانْصَرَفُوا عَنْهُ[1] .

قريش تأكدت من الخبر فخرجت في طلب الأنصار:

قال كعب:

٢٦٢- قَالَ وَنَفَرَ النّاسُ مِنْ كُلّ مِنًى ، فَتَنَطّس[2] الْقَوْمُ الْخَبَرَ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ كَانَ وَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بِأَذَاخِرَ وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا . فَأَمّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ وَأَمّا سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إلَى عُنُقِهِ بِنِسْعِ رَحْلِهِ ثُمّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتّى أَدْخَلُوهُ مَكّةَ يَضْرِبُونَهُ وَيَجْذِبُونَهُ بِجُمّتِهِ وَكَانَ ذَا شَعَرٍ كَثِيرٍ .

قَالَ سَعْدٌ فَوَاَللّهِ إنّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إذْ طَلَعَ عَلَيّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أَبْيَضُ شَعْشَاعٌ حُلْوٌ مِنْ الرّجَالِ، قَالَ فَقُلْت فِي نَفْسِي : إنْ يَكُ عِنْدَ أَحَد مِنْ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ هَذَا ، قَالَ فَلَمّا دَنَا مِنّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً . قَالَ فَقُلْت فِي نَفْسِي : لَا وَاَللّهِ.

قَالَ فَوَاَللّهِ إنّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إذْ أَوَى لِي رَجُلٌ مِمّنْ كَانَ مَعَهُمْ فَقَالَ وَيْحَك أَمَا بَيْنَك وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جِوَارٌ وَلَا عَهْدٌ ؟ قَالَ قُلْت : بَلَى، وَاَللّهِ لَقَدْ كُنْت أُجِيرُ لِجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيّ تِجَارَةً وَأَمْنَعُهُمْ مِمّنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ بِبِلَادِي ، وَلِلْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيّةَ، قَالَ وَيْحَك فَاهْتِفْ بِاسْمِ الرّجُلَيْنِ وَاذْكُرْ مَا بَيْنَك وَبَيْنَهُمَا .

قَالَ فَفَعَلْت ، وَخَرَجَ ذَلِك الرّجُلُ إلَيْهِمَا ، فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُمَا : إنّ رَجُلًا مِنْ الْخَزْرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ وَيَهْتِفُ بِكُمَا ، وَيَذْكُرُ أَنّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جِوَارًا ؟ قَالَا : وَمَنْ

---

١ – المصدر السابق.

٢ – تنطسوا الخبر : دققوا وراجعوا.

هُوَ ؟ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؛ قَالَا: صَدَقَ وَاَللّهِ إنْ كَانَ لَيُجِيرُ لَنَا تِجَارَنَا، وَيَمْنَعُهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِبَلَدِهِ.
قَالَ فَجَاءَا فَخَلّصَا سَعْدًا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَانْطَلَقَ. وَكَانَ الّذِي لَكَمَ سَعْدًا ، سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ الرّجُلُ الّذِي أَوَى إلَيْهِ أَبَا الْبَخْتَرِيّ بْنَ هِشَامٍ[1].

دلالات وعظات:

- **ثمرة الجهد الكبير والصبر الطويل**:

ثلاثة عشر عامًا منذ نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،كانت كلها جهدًاوجهادًا، وتحمل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون ألوانًا كثيرة من المعاناة والتعذيب والحصار الاقتصادي، وقدموا نموذجا عاليا للصبر الطويل والتحمل وعدم الاستفزاز، حتى اللحظة الأخيرة في العقبة حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"لم نؤمر بعد بقتال" وكان هذا تربية ربانية عالية للمسلمين حتى يخرجوا من الطبيعة البشرية إلى طبيعة إسلامية تعرف الصبر والتحمل، وتخرج حظ النفس وثورتها وفورانها، وتنظر إلى ما يحقق مصلحة الدعوة.

- وكانت الثمرة فتحًا ربانيًّا عظيما بعقد هذه البيعة وهذا الحلف مع الأنصار ؛لتخرج الدعوة من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة القوة والتمكين ووضع لبنات الدولة الإسلامية.

- الرسول(صلى الله عليه وسلم) بحث عن مخرج للأزمة ووجده:

تكلمنا عن الصبر والتحمل في الدلالة الأولى، لكننا هنا نبين أنه لم يكن صبرًا سلبيًا ، أو عجزًا عن الحركة، لقد كان صبرًاحركيًا، مع العمل الدائب والبحث عن حل للأزمة ومنطلق جديد للدعوة، فكانت هناك محاولات الهجرة إلى الحبشة والرحلة إلى الطائف، والمرور على القبائل عامًا بعد عام، حتى أذن الله بالفرج، وآتت الجهود أُكُلها وثمارها.. وهكذا تكون الأسوة والقدوة للدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي: دراسات.. ومراجعات.. وتقييم.. وبحث عن الحلول والخيارات، واختيار اللحظة المناسبة لكل عمل ولكل مرحلة.

---

١ – المصدر السابق.

...فُرْقَان:

هناك مواقف ولحظات فارقة (أي:فُرْقَان) في عمر الأفراد والجماعات والدعوات.. من هذه المواقف في السيرة: بيعة العقبة .الهجرة .معركة بدر .فتح مكة .حروب الردة . وغيرها.. ولكل حدث حديث، في موضعه إن شاء الله تعالى.

- لكننا نؤكد على معنى: أن انتظار الفرج الرباني ،ليس معناه قلة الحيلة والعجز عن التصرف، إنما معناه إضافة قوة غيبية لها تأثيرها المادي والمعنوي على المؤمن العامل، ينتظرها عند الابتلاء وعند الأزمات.

الفصل السادس:

الهِجْرةُ المباركةُ:

تم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أراده وما سعى إليه سنوات،
وهو أن يجد قبيلة قوية تتحالف مع المسلمين وتتولى الحماية والنصرة، وقدَّر الله سبحانه أن تكون هذه الكرامة من نصيب الأنصار؛ الأوس والخزرج.

وقد أصبحت الأرض الآن ممهدة في المدينة لبناء الدولة الأولى الإسلامية، وذلك من خلال هجرة المسلمين إليها فيتم التوافق والتعاون والتناصر بين أصحاب الأرض المستعدين للتضحية، وبين السابقين إلى الإسلام،السابقين إلى التضحية، وباجتماع الرجال من هؤلاء وهؤلاء،يمكن أن تنشأ قوة قادرة على الدفاع عن النفس، ومواجهة مؤامرات أعداء الإسلام.

<u>ولقد أذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه بالهجرة قبله:</u>

روى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

٢٦٦- إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ[١]

<u>الرحلة الخطرة:</u>

مثلما كانت الهجرة نصرًا، وفرجًا من الله تعالى، فرج به الضيق عن المسلمين المضيَّق عليهم في مكة .كانت الهجرة أيضًا رحلة شاقة مليئة بالمخاطر؛ لأن قريشًا بعد أن تبينت الخبر، علمت أن المسلمين سوف ينتقلون إلى المدينة؛ فتكون فيها قوة معادية لقريش، وتحمل عقيدة التوحيد التي ترفضها قريش، وسوف يكون لعقيدة التوحيد قوة تحميها في مواجهة عدوان المشركين، يعني ستنتهي قدرة قريش على محاصرة الدعوة ومنع انتشارها.. فبذلت قريش كل وسعها لمنع هذه الهجرة.

وهذه نماذج للمهاجرين الأوائل ورحلاتهم الشاقة:

---

[١] – رواه البخاري برقم (٣٦١٦) العالمية.

هجرة أبي سلمة وزوجه أم سلمة رضي الله عنهما:

هاجر أبو سلمة بعد العقبة الأولى، وقبل العقبة الثانية،

٢٦٧- قَالَ ابنُ إسحَاقَ:

٢٦٨- فَكَانَ أَوّلُ مَنْ هَاجَرَ إلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللّهِ، هَاجَرَ إلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ بَيْعَةِ أَصْحَابِ الْعَقَبَةِ بِسَنَةٍ، وَكَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَلَمّا آذَتْهُ قُرَيْشٌ وَبَلَغَهُ إسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ الْأَنْصَارِ، خَرَجَ إلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا[١].

تفاصيل القصة ترويها أم سلمة رضي الله عنها:

عَنْ أُمّ سَلَمَةَ زَوْجِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَتْ لَمّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ فَلَمّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُك غَلَبْتنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْت صَاحِبَتَك هَذِهِ ؟ عَلَامَ نَتْرُكُك تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟

قَالَتْ فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا: لَا وَاَللّهِ لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

قَالَتْ فَتَجَاذَبُوا ابنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتّى خَلَعُوا يَدَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ وَانطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ فَفُرّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي.

قَالَتْ فَكُنْت أَخْرُجُ كُلّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطُحِ فَمَا أَزَالُ أَبْكِي حَتّى أُمْسى، سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتّى مَرّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ فَرّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا قَالَتْ فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِك إنْ شِئْت، قَالَتْ وَرَدّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي.

قَالَتْ فَارْتَحَلْت بَعِيرِي ثُمّ أَخَذْت ابْنِي فَوَضَعْته فِي حِجْرِي، ثُمّ خَرَجْت أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللّهِ. قَالَتْ فَقُلْت:أَتَبَلّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتّى أَقْدمَ عَلَى زَوْجِي، حَتّى إذَا كُنْت بِالتّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدّارِ فَقَالَ لِي: إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ

---

١ – اختلف الرواة في أول من قدم المدينة مهاجرًا فقيل مصعب بن عمير ،وقيل أبو سلمة.

أَبِي أُمَيّةَ ؟ قَالَتْ فَقُلْت: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ أَوَمَا مَعَك أَحَدٌ ؟ قَالَتْ فَقُلْت : لَا وَاَللّهِ إلّا اللّهُ وَبُنَيّ هَذَا .

قَالَ: وَاَللّهِ مَا لَك مِنْ مَتْرَكٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فَوَاَللّهِ مَا صَحِبْت رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطّ، أَرَى أَنّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ كَانَ إذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمّ اسْتَأْخَرَ عَنّي، حَتّى إذَا نَزَلْت اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطّ عَنْهُ ثُمّ قَيّدَهُ فِي الشّجَرَةِ، ثُمّ تَنَحّى وَقَالَ ارْكَبِي.

فَإِذَا رَكِبْت وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَهُ حَتّى يَنْزِلَ بِي، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بقُباءٍ قَالَ زَوْجُك فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ ثُمّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكّةَ.

قَالَ فَكَانَتْ تَقُولُ وَاَللّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْت صَاحِبًا قَطّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ[١].

<u>دلالات وعظات:</u>

١- أم سلمة وأبو سلمة زوجان من نوع فوق العادة، ملأ الإيمان قلبهما.. فكانت عظائم التضحيات: هجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وفراق بين الزوج، والزوجة والطفل.. ومع ذلك يُصرّ الزوج على الهجرة، وتظل الزوجة تبكي زوجها ووليدها سنة كاملة أو قريبًا منها.. حتى جاءها الفرج.. نماذج عملية.. هل تقبل التكرار؟.. ربما..

٢- عثمان بن طلحة.. كان على الشرك، ومع ذلك أبت رجولته وشهامته أن يترك امرأة وحيدة تسير هذه المسافة البعيدة دون حماية من أهلها .ولو لم يكن أقرب أهلها إليها.. ولو كانت تضحي من أجل دين لا يؤمن به:

"فَقَالَ لِي: إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيّةَ ؟ قَالَتْ فَقُلْت: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ أَوَمَا مَعَك أَحَدٌ ؟ قَالَتْ فَقُلْت : لَا وَاَللّهِ إلّا اللّهُ وَبُنَيّ هَذَا، قَالَ وَاَللّهِ مَا لَك مِنْ مَتْرَكٍ".

لم يفكر في مشاق الطريق ولا في مَصَالِحِه التي تتعطل ولا في أسرته التي يغيب عنها قرابة شهر في مشوار، لا ناقة له فيه ولا جمل، إلا معاني الكرامة والشهامة، أين هذه الأخلاق في مجتمعات اليوم؟!

---

١ – إسناده حسن رواه ابن إسحاق عن أبيه (إسحاق بن يسار) وهو ثقة، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة . قال عنه الحافظ في التقريب (مقبول) عن جدته أم سلمة.

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

"أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد صلح الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد معا، ودفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، وإلى ابن عمه شيبه - والد بني شيبة - مفاتيح الكعبة.. أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل في ذلك قوله تعالي: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا).ا.هـ.

المهاجرون بعد أبي سلمة[١]:

٢٦٩- ثُمّ كَانَ أَوّلَ مَنْ قَدِمَهَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ أَبِي سَلَمَةَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ.

ثُمّ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشٍ، حَلِيفُ بَنِي أُمَيّةَ، احْتَمَلَ بِأَهْلِهِ وَبِأَخِيهِ عَبْدِ بْنِ جَحْشٍ وَهُوَ أَبُو أَحْمَدَ – (وَكَانَ أَبُو أَحْمَدَ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ وَكَانَ يَطُوفُ مَكّةَ، أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا، بِغَيْرِ قَائِدٍ وَكَانَ شَاعِرًا، وَكَانَتْ عِنْدَهُ الْفَرْعَةُ ابْنَةُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَكَانَتْ أُمّهُ أُمَيْمَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ – عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فَغُلّقَتْ دَارُ بَنِي جَحْشٍ هِجْرَةً. فَمَرّ بِهَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ. وَالْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَأَبُو جَهْلٍ، فَنَظَرَ إلَيْهَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ تَخْفِقُ أَبْوَابُهَا يَبَابًا، لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ فَلَمّا رَآهَا كَذَلِكَ تَنَفّسَ الصّعَدَاءَ ثُمّ قَالَ:

وَكُلّ دَارٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهَا... يَوْمًا سَتُدْرِكُهَا النّكْبَاءُ وَالْحُوبُ.

في قباء:

كَانَ مَنْزِلُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وعبد الله بن جحش، وَأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ عَلَى مُبَشّرِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بقُباءٍ.

ثُمّ قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْسَالًا.

وَكَانَ بَنُو غَنْمِ ابْنِ دُودَانَ أَهْلَ إسْلَامٍ قَدْ أَوْعَبُوا إلَى الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ (صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) هِجْرَةً رِجَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ، وَعُكّاشَةُ بْنُ

[١] – أخذنا ذلك بتصرف عن سيرة ابن هشام.(عن ابن إسحاق).

مِحْصَنٍ، وَشُجَاعٌ وَعُقْبَةٌ ابْنَا وَهْبٍ وَأَرْبَدُ بْنُ حميدة، وَمُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ جَحْشٍ. وغيرهم - ذكرهم ابن إسحاق.

هِجْرَةُ نِسَائِهِمْ:

وَمِنْ نِسَائِهِمْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَأُمّ حَبِيبٍ بِنْتُ جَحْشٍ، وحَمْنةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَجُذَامَةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ، وَأُمّ قَيْسٍ بِنْتُ مُحْصَنٍ، وَأُمّ حَبِيبٍ بِنْتُ ثُمَامَةَ، وَآمِنَةُ بِنْتُ رُقَيْشٍ، وَسَخْبَرَةُ بِنْتُ تَمِيمٍ".

هجرة عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة:

عن عمر بن الخطاب قال:

٢٧٠- اتّعَدْتُ لَمّا أَرَدْنَا الْهِجْرَةَ إلَى الْمَدِينَةِ، أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ السّهْمِيّ (التّناضِبَ[١] مِنْ أَضَاةِ[٢] بَنِي غِفَارٍ)، فَوْقَ سَرِفٍ[٣]، وَقُلْنَا: أَيّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فَلْيَمْضِ صَاحِبَاهُ.

قَالَ فَأَصْبَحْت أَنَا وَعَيّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عِنْدَ التّنَاضِبِ، وَحُبِسَ عَنّا هِشَامٌ وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ.

فَلَمّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بقُباءٍ وَخَرَجَ أَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ إلَى عَيّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنَ عَمّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمّهِمَا، حَتّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ، فَكَلّمَاهُ وَقَالَا: إنّ أُمّك قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتّى تَرَاك، وَلَا تَسْتَظِلّ مِنْ شَمْسٍ حَتّى تَرَاك، فَرَقّ لَهَا، فَقُلْت لَهُ يَا عَيّاشُ إنّهُ وَاَللّهِ إنْ يُرِيدَك الْقَوْمُ إلّا لِيَفْتِنُوك عَنْ دِينِك فَاحْذَرْهُمْ فَوَاَللّهِ لَوْ قَدْ آذَى أُمّك الْقَمْلُ لَامْتَشَطَتْ وَلَوْ قَدْ اشْتَدّ عَلَيْهَا حَرّ مَكّةَ لَاسْتَظَلّتْ. قَالَ فَقَالَ أَبَرُّ قَسَمَ أُمّي، وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَآخُذُهُ.

قَالَ فَقُلْت: وَاَللّهِ إنّك لَتَعْلَمُ أَنّي لَمِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَك نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا. قَالَ فَأَبَى عَلَيّ إلّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا؛ فَلَمّا أَبَى إلّا ذَلِكَ قَالَ قُلْت لَهُ: أَمّا إذْ قَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْت، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ فَإِنّهَا نَاقَةٌ نَجِيبَةٌ ذَلُولٌ فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَابَك مِنْ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا.

---

١ – موضع . ويقال جمع: تنضب وهو شجر.

٢ – أضاة: الماء المستنقع من سيل.

٣ – سَرِف: موضع على بعد ستة أميال من مكة.

فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطّرِيقِ قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ يَا ابْنَ أَخِي، وَاَللّهِ لَقَدْ اسْتَغْلَظْتُ بَعِيرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبَنِي عَلَى نَاقَتِك هَذِهِ ؟ قَالَ بَلَى.

قَالَ فَأَنَاخَ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوّلَ عَلَيْهَا، فَلَمّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ ثُمّ دَخَلَا بِهِ مَكّةَ، وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي بِهِ بَعْضُ آلِ عَيّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: أَنّهُمَا حَيْنَ دَخَلَا بِهِ مَكّةَ دَخَلَا بِهِ نَهَارًا مُوثَقًا، ثُمّ قَالَا: يَا أَهْلَ مَكّةَ، هَكَذَا فَافْعَلُوا بِسُفَهَائِكُمْ كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِيهِنَا هَذَا.

قال عمر فى حديثه: فَكُنّا نَقُولُ مَا اللّهُ بِقَابِلٍ مِمّنْ اُفْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً قَوْمٌ عَرَفُوا اللّهَ ثُمّ رَجَعُوا إلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ قَالَ وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ.

فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ { قُلْ يَا عِبَادِيَ الّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إنّ اللّهَ يَغْفِرُ الذّنُوبَ جَمِيعًا إنّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ وَأَنِيبُوا إلَى رَبّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمّ لَا تُنْصَرُونَ وَاتّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [ص ٤٧٦].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ: فَكَتَبْتهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْت بِهَا إلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِي: فَلَمّا أَتَتْنِي جَعَلْت أَقْرَؤُهَا بِذِي طُوًى، أُصَعّدُ بِهَا فِيهِ وَأُصَوّبُ وَلَا أَفْهَمُهَا، حَتّى قُلْت: اللّهُمّ فَهّمْنِيهَا.

قَالَ فَأَلْقَى اللّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِي أَنّهَا إنّمَا أُنْزِلَتْ فِينَا، وَفِيمَا كُنّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِينَا. قَالَ فَرَجَعْت إلَى بَعِيرِي، فَجَلَسْت علَيْهِ فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ[1].

<u>وهذه رواية ثانية عن هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:</u>

٢٧١- عن عبد الله بن العباس قال: قال لي علي بن أبي طالب: ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب

---

[1] – سيرة ابن هشام٢/٣٤٦-٣٤٧ حديث صحيح صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث عن نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، واختصرعنزته[1]، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها.

فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا،ثم أتى المقام فصلى متمكنًا، ثم وقف على الحِلَق واحدة واحدة، وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يُرغِم الله إلا هذه المعاطس[2]، من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، ويرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين، علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه"[3].

<u>دلالات وعظات:</u>

- الجمع بين الرواية الأولى والثانية، أن عمر تواعد مع صاحبيه عند ذلك الموضع (سَرَف)، فحُبِس هشام بن العاص، وخرج عيَّاش سرًّا لكن عمر رضي الله عنه خرج من مكة جهرًا علانية؛ ليكون ذلك أغيظ لقريش.
- واضح أن الهجرة كانت تمثل للقرشيين المشركين خطرًا كبيرًا، ولذا حرصوا على منعها بكل الوسائل حتى يصل الأمر إلى أنَّ أبا جهل والحارث بن هشام يسافران إلى المدينة ويحتالان لإرجاع عياش.
- أما عمر رضي الله عنه فقد أدى حق الأخوة والصحبة والنصح لأخيه عياش، وحاول توضيح صورة المؤامرة التي دبرها أبو جهل والحارث، وبرغم رفض النصيحة العمرية فإن عمر يظل وفيًّا لحق الأخوة والصحبة: " أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها" فإن رابك من القوم ريْبٌ، فانْجُ عليها".
- كان عمر وغيره ممن مّنَّ الله عليهم بقوة الإيمان وتيسير طريق الهجرة، يظنون أن الذين حبسوا أو رجعوا إلى مكة أو لم يقدروا على تحمل البلاء، أنهم لا تقبل توبتهم، ولكن رحمة الله وسعت كل شيء وحكمته فوق حكم البشر، ورحمته سبقت غضبه، ومغفرته سبقت عقوبته.. سبحانه وتعالى.

---

[1] –عَنَزَته: العنزة عصا قدر نصف الرمح، وهي أطول من العصا وفي طرفها حديدة.

[2] – المعاطس: الأنوف.

[3] – أسد الغابة٣١٨/٢ لابن الأثير، والخبر لا بأس به كما قال صاحب صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص٣٠.

- ومع شدة عمر رضي الله عنه في الحق؛فإنه فرح أشد الفرح بآيات سورة الزُّمَر ،وما فيها من فيوضات الرحمة، وأرسل بها إلىأخيه في الله ،هشام بن العاص رضي الله عنه.

اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأمر عياش وهشام:

٢٧٢- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

فَحَدّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ: مَنْ لِي بِعَيّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: أَنَا لَك يَا رَسُولَ اللّهِ بِهِمَا، فَخَرَجَ إلَى مَكّةَ، فَقَدِمَهَا متخفيا، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ اللّهِ ؟ قَالَتْ أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ - تَعْنِيهِمَا - فَتَبِعَهَا حَتّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ فَلَمّا أَمْسَى تَسَوّرَ عَلَيْهِمَا، ثُمّ أَخَذَ مَرْوَةً[1] فَوَضَعَهَا تَحْتَ قَيْدَيْهِمَا، ثُمّ ضَرَبَهُمَا بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُمَا، فَكَانَ يُقَالُ لِسَيْفِهِ " ذُو الْمَرْوَةِ " لِذَلِكَ ثُمّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ وَسَاقَ بِهِمَا، فَعَثَرَ فَدَمِيَتْ أُصْبُعُهُ فَقَالَ:

هَلْ أَنْتِ إلّا أُصْبُعٌ دَمَيْتِ... وَفِي سَبِيلِ اللّهِ مَا لَقَيْتِ

ثُمّ قَدِمَ بِهِمَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم الْمَدِينَة"[2].

هجرة صهيب رضي الله عنه:

٢٧٣- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

وَذُكِرَ لِي عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النّهْدِيّ أَنّهُ قَالَ بَلَغَنِي أَنّ صُهَيْبًا حَيْنَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ قَالَ لَهُ كُفّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، فَكَثُرَ مَالُك عِنْدَنَا، وَبَلَغْت الّذِي بَلَغْت، ثُمّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِك وَنَفْسِك، وَاَللّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ أَرَأَيْتُمْ إنْ جَعَلْت لَكُمْ مَالِي أَتُخْلُونَ سَبِيلِي ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ فَإِنّي جَعَلْت لَكُمْ مَالِي. قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ رَبِحَ صُهَيْبٌ رَبِحَ صُهَيْبٌ"[3]

---

[1] – مروة: حجارة بيض رقيقة براقة، تقدح منها النار.

[2] – سيرة ابن هشام٢/٣٤٧، وذكره ابن حجر في الفتح ١/٥٥٧،وقال هي من زيادات ابن هشام في السيرة.

[3] – رواه الحاكم في المستدرك٣/٣٩٨، وأبو نعيم في الحلية ١/١٥١–١٥٣، وغيرهما وقال البوصيري: رواه ابن إسحاق وابن مردويه في تفسيره بسند صحيح. (من تخريج دار الحديث مختصرًا).

هجرة الحبيب

(صلى الله عليه وسلم):

بقاء أبي بكرٍ وعليٍّ رضي الله عنهما بمكة:

٢٧٤- قَالَ ابنُ إسحَاقَ:

وَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ بَعْدَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَتَخَلّفْ مَعَهُ بِمَكّةَ أَحَدٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ إلّا مَنْ حُبِسَ أَوْ فُتِنَ إلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ الصّدّيق رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ كَثِيرًا مَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْهِجْرَةِ فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تَعْجَلْ لَعَلّ اللّهَ يَجْعَلُ لَك صَاحِبًا فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَكُونَهُ "[1].

الوحي بالهجرة:

قال ابن كثير في البداية:

٢٧٥- قال الله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء وأن يجعل له مما هو فيه فرجا قريبا ومخرجا عاجلا، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب، فصارت له دارا وقرارا، وأهلها له أنصارا.

٢٧٦- وقال أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة: عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأمر بالهجرة وأنزل عليه: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) وقال قتادة:

---

[1] – وهذا كلام ابن اسحاق بدون إسناد، وله شاهد ذكره الهيثمي في المجمع٦/٦٢ وفي حديث عائشة الطويل عند البخاري. عن تخريج دار الحديث.

(أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) المدينة (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) الهجرة من مكة (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) كتاب الله وفرائضه وحدوده[1].

مؤامرة قريش لقتل النبي (صلى الله عليه وسلم):

٢٧٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَأَصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلَدِهِمْ وَرَأَوْا خُرُوجَ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ إلَيْهِمْ عَرَفُوا أَنّهُمْ قَدْ نَزَلُوا دَارًا، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَنَعَةً فَحَذِرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْهِمْ وَعَرَفُوا أَنّهُ قَدْ أَجمَعَ لِحَرْبِهِمْ. فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النّدْوَةِ - وَهِيَ دَارُ قُصَيّ بْنِ كِلَابٍ الّتِي كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إلّا فِيهَا - يَتَشَاوَرُونَ فِيهَا مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَيْنَ خَافُوهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَبِي الْحَجّاجِ وَغَيْرِهِ مِمّنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
لَمّا أَجْمَعُوا لِذَلِكَ وَاتّعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِي دَارِ النّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِيهَا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ غَدَوْا فِي الْيَوْمِ الّذِي اتّعَدُوا لَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يُسَمّى يَوْمَ الزّحْمَةِ فَاعْتَرَضَهُمْ إبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ بَتْلَةٌ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدّارِ فَلَمّا رَأَوْهُ وَاقِفًا عَلَى بَابِهَا، قَالُوا: مَنْ الشّيْخُ ؟ قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالّذِي اتّعَدْتُمْ لَهُ فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ وَعَسَى أَنْ لَا يُعْدِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا وَنُصْحًا.

قَالُوا: أَجَلْ فَادْخُلْ فَدَخَلَ مَعَهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْب، وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف: طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ.
وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ..... وَغَيْرُهُمْ مِمّنْ لَا يُعَدّ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إنّ هَذَا الرّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ فَإِنّا وَاَللّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا فِيمَنْ قَدْ اتّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا. قَالَ فَتَشَاوَرُوا.

---

[1] – البداية والنهاية٣/١٨٢ ط دار التقوى.

ثُمّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا، ثُمّ تَرَبّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنْ الشّعَرَاءِ الّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ زُهَيْرًا وَالنّابِغَةَ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ حَتّى يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: لَا وَاَللّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ.

وَاَللّهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الّذِي أَغْلَقْتُمْ يُكَاثِرُوكُمْ بِهِ حَتّى يَغْلِبُوكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ فَتَشَاوَرُوا .

ثُمّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فَإِذَا أُخْرِجَ عَنّا فَوَاَللّهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا حَيْثُ وَقَعَ إذَا غَابَ عَنّا وَفَرَغْنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأَلْفَتْنَا كَمَا كَانَتْ.

فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: لَا وَاَللّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ، وَاَللّهِ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمِنْتُمْ أَنْ يَحِلّ عَلَى حَيّ مِنْ الْعَرَبِ، فَيَغْلِبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتّى يُتَابِعُوهُ عَلَيْهِ ثُمّ يَسِيرُ بِهِمْ إلَيْكُمْ حَتّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ فِي بِلَادِكُمْ فَيَأْخُذَ أَمْرَكُمْ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمّ يَفْعَلَ بِكَمْ مَا أَرَادَ دَبّرُوا فِيهِ رَأْيًا غَيْرَ هَذَا.

قَالَ فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَاَللّهِ إنّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابّا جَلِيدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا، ثُمّ نُعْطِي كُلّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمّ يَعْمِدُوا إلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحَ مِنْهُ. فَإِنّهُمْ إذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا، فَرَضُوا مِنّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ. قَالَ فَقَالَ الشّيْخُ النّجْدِيّ: الْقَوْلُ مَا قَالَ الرّجُلُ هَذَا الرّأْيُ الّذِي لَا رَأْيَ غَيْرُهُ فَتَفَرّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ.

فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَا تَبِتْ هَذِهِ اللّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِك الّذِي كُنْت تَبِيتُ عَلَيْهِ.

قَالَ فَلَمّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنْ اللّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى يَنَامُ فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، فَلَمّا رَأَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكَانَهُمْ قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجّ بِبُرْدِي هَذَا الْأَخْضَرِ، فَنَمْ فِيهِ فَإِنّهُ لَنْ يَخْلُصَ إلَيْك شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إذَا نَامَ[١].

١- سيرة ابن هشام٢/٢٥٢ رواه ابن إسحاق وقال عنه ابن كثير في البداية، وهذه القصة قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك وغيرهم، دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم.

النبي (صلى الله عليه وسلم)يقرأ (يس) ويضع على رؤوسهم التراب:

٢٧٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ قَالَ:

لَمّا اجْتَمَعُوا لَهُ وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ: إنّ مُحَمّدًا يَزْعُمُ أَنّكُمْ إنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ فَجُعِلَتْ لَكُمْ جِنَانٌ كَجِنَانِ الْأُرْدُنّ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ ذَبْحٌ ثُمّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ثُمّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا. قَالَ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمّ قَالَ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ أَنْتَ أَحَدُهُمْ.

قَالُوا: ضرب اللّهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو هَذه الْآيَاتِ مِنْ يس: { يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرّحِيمِ } إلَى قَوْلِهِ {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } حَتّى فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إلّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، ثُمّ انْصَرَفَ إلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ.

فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا ؟ قَالُوا: مُحَمّدًا؛ قَالَ خَيّبَكُمْ اللّهُ قَدْ وَاَللّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمّدٌ ثُمّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إلّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ ؟ قَالَ فَوَضَعَ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ.

ثُمّ جَعَلُوا يَتَطَلّعُونَ فَيَرَوْنَ عَلِيّا عَلَى الْفِرَاشِ مُتَسَجّيًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَيَقُولُونَ وَاَللّهِ إنّ هَذَا لَمُحَمّدٌ نَائِمًا، عَلَيْهِ بُرْدُهُ. فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتّى أَصْبَحُوا فَقَامَ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْ الْفِرَاشِ فَقَالُوا: وَاَللّهِ لَقَدْ كَانَ صَدَقَنَا الّذِي حَدّثَنَا[1].

دلالات وعبر:

١- كان أبو بكر رضي الله عنه يتمنى صحبة النبي (صلى الله عليه وسلم)في رحلة الهجرة؛ يتمني ذلك حبًّا، ويتمنى ذلك رغبة في خدمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويتمنى ذلك خوفًا على النبي (صلى الله عليه وسلم) ورغبة أن يكون قريبا منه

---

[1] – فيه يزيد بن زياد، قال البخاري لا يتابع على حديثه ووثقه النسائي هكذا قال الذهبي في الميزان، وقال الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٥١٠أخرجه ابن مردويه وله شاهد سيأتي بعده. (عن تخريج دار الحديث).

؛ليدفع عنه أي مكروه بكل ما يستطيع، ولم يكن أبو بكر يعلم أن هذه الصحبة سوف تخلد ذكره أبد الآبدين، حين ذكر ذلك رب العالمين ،وخلده في كتابه الحكيم (ثانيَ اثنينِ إذْ هُمَا في الغَارِ) بقيت هذه ميزة لأبي بكر على كل المسلمين لا يدانيه فيها أحد، ويعرف فضله القريب والبعيد.

٢- أخيرًا، اتخذت قريش أخطر قرار إجرامي ألا وهو: قتل محمد صلى الله عليه وسلم بفكرة شيطانية مبتكرة، وهو أن تشترك أربعون قبيلة في هذا القتل، فيصعب على بني هاشم الثأر من كل هذه القبائل، وكان الثأر والخوف من قيام حرب داخلية في مكة هو الذي يمنع قريشًا من اتخاذ قرار حازم بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم.

نذكر هذا ونتوقف عنده؛ حتى إذا ما كان ذكر حروب الرسول (صلى الله عليه وسلم)مع قريش نعرف من كان البادئ بالعدوان.

٣- الوحي يتدخل: العبد مأمور بالأخذ بالأسباب بكل ما يمكنه من استطاعة وقدرة، لكن المولى عز وجل رقيب سميع عليم، ويحفظ عبده ونبيه(صلى الله عليه وسلم) من كيد الكائدين، لذا يتنزل جبريل لإخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) بالمؤامرة، ويأمره بألا يبيت في بيته.

إن المؤمن يحتاج دائمًا ـ مهما اتخذ من أسباب ـ يحتاج إلى اللجوء إلى الله عز وجل ضارعًا فقيرا متذللًا ،يسأله العون والنصر، فبدون ذلك لا طاقة له بسدّ كل الثغرات، واتخاذ كل أسباب النجاة وحده، دون عون خالقه ومولاه.

نوم علي بن أبي طالب في الفراش:

نموذج لغاية التضحية وقمة الاستعداد للفداء، لم يتردد ولم يتلعثم، ونام في الفراش النبوي؛ ليتلقى أيَّة ضربة، فداءً للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي الأمر أيضًا ثقة إيمانية، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم)قال له: "لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم".

حديث الهجرة في البخاري:

الحديث مرويٌّ عن عائشة رضي الله عنها: أما الجزء الأول فيه، فهي تتحدث عن خروج أبي بكر مهاجرًا إلى الحبشة، ثم رجوعه قبل أن يصل ،بعد أن لقيه ابن الدُّغُنَّة عند بَرك الغمام وأقنعه بالعودة إلى مكة في جواره، أي في جوار ابن الدُّغُنَّة،

ثم يأتي حديث الهجرة:

٢٧٩- قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ:

فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا[1] فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالثَّمَنِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ[2] وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[3]".

دلالات وعظات:

١- مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم في ساعة في نحر الظهيرة ،لم يكن اعتاد المجيء إلى أبي بكر فيه ؛ربما كان لفائدة التخفي، حيث كل الناس في الظهيرة داخل بيوتهم، ويدل عليه قولها (متقنعًا)، وربما كان ذلك للسرعة والاستفادة من عنصر الوقت، ويدل عليه قولها (أحث جهاز) أي تجهيز سريع.

٢- استأذن رسول الله قبل دخول منزل أبى بكر: أدب نبويٌّ عالٍ في زمن البداوة، ليت كل المسلمين يتعلم هذا الأدب في زمن الحضارة المزعوم.

٣- أعد أبو بكر راحلتين، لكن الرسول (صلى الله عليه وسلم)يقول :(بالثمن).

زيادات عند ابن إسحاق:

---

[1] – متقنعا: يضع غطاء الرأس على وجهه من شدة الحر – وهذه عادة عربية – أو ربما للتخفي.

[2] – أحث جهاز: تجهيز سريع.

[3] – جزء من حديث البخاري ٣٦١٦ العالمية.

٢٨٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ أَنّهَا قَالَتْ:

كَانَ لَا يُخْطِئُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النّهَارِ إمّا بُكْرَةً وَإِمّا عَشِيّةً، حَتّى إذَا كَانَ الْيَوْمُ الّذِي أُذِنَ فِيهِ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْهِجْرَةِ وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْ قَوْمِهِ أَتَانَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْهَاجِرَةِ فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِي فِيهَا.

قَالَتْ: فَلَمّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ مَا جَاءَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذِهِ السّاعَةَ إلّا لِأَمْرٍ حَدَثَ. قَالَتْ فَلَمّا دَخَلَ تَأَخّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ فَجَلَس رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ إلّا أَنَا وَأُخْتِي أَسَمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخْرِجْ عَنّي مَنْ عِنْدَك؛ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّمَا هُمَا ابْنَتَايَ وَمَا ذَاكَ ؟ فِدَاك أَبِي وَأُمّي، فَقَالَ إنّ اللّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ. قَالَتْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ الصّحْبَةَ.

قَالَتْ: فَوَاَللّهِ مَا شَعُرْت قَطّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنّ أَحَدًا يَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ حَتّى رَأَيْت أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمئِذٍ. ثُمّ قَالَ يَا نَبِيّ اللّهِ إنّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْت أَعْدَدْتهمَا لِهَذَا.

فَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ أَرْيقَطِ - رَجُلًا مِنْ بَنِي الديل بْنِ بَكْرٍ وَكَانَتْ أُمّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَهْمِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ مُشْرِكًا - يَدُلّهُمَا عَلَى الطّرِيقِ فَدَفَعَا إلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، فَكَانَتَا عِنْدَهُ يَرْعَاهُمَا لِمِيعَادِهِمَا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَلَمْ يَعْلَمْ فِيمَا بَلَغَنِي، بِخُرُوجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحَدٌ، حَيْنَ خَرَجَ إلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ، وَآلُ أَبِي بَكْرٍ. أَمَا عَلِيّ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - أَخْبَرَهُ بِخُرُوجِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلّفَ بَعْدَهُ بِمَكّةَ حَتّى يُؤَدّيَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْوَدَائِعَ الّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْسَ بِمَكّة أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إلّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ، لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ[1] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

---

[1] – سيرة ابن هشام (٢/٣٥٤).

تعقيب: في رواية ابن إسحاق زيادات، منها:

١- (تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله)، أدب معهود من أبي بكر رضي الله عنه.

٢- (وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء)، (إنما هما ابنتاي) وعند البخاري إنما هم أهلك.

٣- (فَوَاَللّهِ مَا شَعُرْت قَطّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنّ أَحَدًا يَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ حَتّى رَأَيْت أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمئِذٍ) أبو بكر يبكي من الفرح!

٤- (وَلَمْ يَعْلَمْ فِيمَا بَلَغَنِي، بِخُرُوجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحَدٌ، حَيْنَ خَرَجَ إلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ، وَآلُ أَبِي بَكْرٍ).

٥- (وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْسَ بِمَكّة أَحَدٌ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُخْشَى عَلَيْهِ إلّا وَضَعَهُ عِنْدَهُ لِمَا يُعْلَمُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ[1] صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ).

موقف يحتاج إلى طول تأمل وتدبر؛ حتى نتعلم الأمانة. حق الأمانة- من الأمين (صلى الله عليه وسلم) ،إذ إنه يؤدي الأمانات:

- إلى المشركين.
- الذين حاربوه وأخرجوه.
- ويستبقي عليًا ،خصيصًا؛ للانشغال بهذه المهمة رغم انشغاله بأمر هام خطير ،وهو الهجرة.

تتابع رواية البخاري عن عائشة:

٢٨١- قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ.

وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنْ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

---

[1] – سيرة ابن هشام ٢/٣٥٤.

وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا ـ وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ ـ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ[1].

رواية ابن إسحاق:

٢٨٢- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْخُرُوجَ أَتَى أَبَا بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ ثُمّ عَمَدَ إلَى غَارٍ بِثَوْرٍ - جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكّةَ - فَدَخَلَاهُ وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَسَمّعَ لَهُمَا مَا يَقُولُ النّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ ثُمّ يَأْتِيهِمَا إذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْخَبَرِ؛ وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أَنْ يَرْعَى غَنَمَهُ نَهَارَهُ ثُمّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا، يَأْتِيهِمَا إذَا أَمْسَى فِي الْغَارِ. وَكَانَتْ أَسَمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تأتيهما مِنْ الطّعَامِ إذَا أَمْسَتْ بِمَا يُصْلِحُهُمَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيّ قَالَ انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ إلَى الْغَارِ لَيْلًا، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَبْلَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمَسَ الْغَارَ لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبُعٌ أَوْ حَيّةٌ يَقِي رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِنَفْسِهِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْغَارِ ثَلَاثًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ فِيهِ حَيْنَ فَقَدُوهُ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَرُدّهُ عَلَيْهِمْ.

وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَكُونُ فِي قُرَيْشٍ نَهَارَهُ مَعَهُمْ، يَسْمَعُ مَا يَأْتَمِرُونَ بِهِ وَمَا يَقُولُونَ فِي شَأْنِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبِي بَكْرٍ، ثُمّ يَأْتِيهِمَا إذَا أَمْسَى فَيُخْبِرُهُمَا الْخَبَرَ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَرْعَى فِي رِعْيَانِ أَهْلِ مَكّةَ، فَإِذَا أَمْسَى أَرَاحَ عَلَيْهِمَا غَنَمَ أَبِي بَكْرٍ فَاحْتَلَبَا وَذَبَحَا، فَإِذَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ غَدَا مِنْ عِنْدِهِمَا إلَى مَكّةَ، اتّبَعَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ أَثَرَهُ بِالْغَنَمِ حَتّى يُعَفّي عَلَيْهِ حَتّى إذَا مَضَتْ الثّلَاثُ وَسَكَنَ عَنْهُمَا النّاسُ أَتَاهُمَا صَاحِبُهُمَا الّذِي اسْتَأْجَرَاهُ بِبَعِيرَيْهِمَا وَبَعِيرٍ لَهُ، وَأَتَتْهُمَا أَسَمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا

---

[1] – نفس حديث البخاري السابق.

بِسُفْرَتِهِمَا، وَنَسِيَتْ أَنْ تَجْعَلَ لَهَا عِصَامًا فَلَمّا ارْتَحَلَا ذَهَبَتْ لِتُعَلّقَ السّفْرَةَ فَإِذَا لَيْسَ لَهَا عِصَامٌ فَتَحِلّ نِطَاقَهَا فَتَجْعَلُهُ عِصَامًا، ثُمّ عَلّقَتْهَا بِهِ، فَكَانَ يُقَالُ لِأَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ذَاتُ النّطَاقِ لِذَلِكَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَسَمِعْت غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ ذَاتُ النّطَاقَيْنِ. وَتَفْسِيرُهُ أَنّهَا لَمّا أَرَادَتْ أَنْ تُعَلّقَ السّفْرَةَ شَقّتْ نِطَاقَهَا بِاثْنَيْنِ فَعَلّقَتْ السّفْرَةَ بِوَاحِدٍ وَانْتَطَقَتْ بِالْآخَرِ[1].

<u>دلالات وعظات:</u>

درس عظيم في التخطيط، وفي توزيع المهام، وفي الأخذ بالأسباب:

لقد مر بنا سلفًا حجم الجهود الضخمة التي بذلها النبي صلى الله عليه وسلم؛حتى يوفر دار هجرة آمنة للمسلمين: من دعوة للقبائل إلى بيعة للأنصار، إلى إرسال سفير يعلمهم.. سنوات طويلة من الإعداد.

<u>وها نحن نرى في رحلة الهجرة ملامح لروعة الإعداد وتوزيع المهام:</u>

١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار رفيقه في الرحلة ويستبقيه.

٢) الرفيق .أبو بكر رضي الله عنه- يُعِدُّ الزاد والراحلتين.

٣) الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد دور سيدنا علي: يبيت في فراشه ،تعميةً على قريش، ليؤخر بحثهم عنه ليلة كاملة وبعض نهار.

٤) الرسول (صلى الله عليه وسلم)يقرر التحرك للهجرة .أو ربما بأمر من الوحي، في ساعة الهاجرة .أي في عز الحرَّ. حيث لا تتوقع قريش.

٥) الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد أن تكون المعلومة سِّرية في أضيق نطاق، بينه وبين أبي بكر فقط، فلما طمأنه أبو بكر على الثقة بأهله ؛أخذ بتوثيق أبي بكر.

٦) الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج مع أبي بكر من خوخة في ظهر بيته.

٧) الرسول صلى الله عليه وسلم يتجه جنوبًا إلى غار ثور، عكس اتجاه المدينة الذي تتوقعه قريش.

٨) وتم توزيع المهام على أكمل صورة: عبد الله بن أبي بكر يأتيهم بأخبار مكة، وعامر بن فهيرة يذهب بالغنم إليهم، فيخفي آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر، ويسقيهم من

---

[1] – سيرة ابن هشام (٢/٣٥٤-٣٥٥).

لبنها، وأسماء تحمل لهم الطعام وكان هذا الدور خاصًّا بالعائلة الكريمة عائلة أبي بكر، وقد قاموا بأدوارهم خير قيام، وكانوا أمناء على السر، وأذكياء في أداء المهام فلم يرصدهم أحد من قريش، أو يتتبعهم .رغم أن المتوقع أنهم كانوا تحت أعين الرقباء.

٩) أما عبد الله بن أريقط -وكان مشركًا-فإن الاستعانة به في هذه المهمة الخطيرة مثَّلَت في الإسلام قاعدة هامة: جواز التعامل مع غير المسلمين، والاستعانة بهم في الأمور العامة ومصالح المسلمين، وأكثر من ذلك: "ائتمانهم على أسرار خطيرة"، ويقاس عليها الأسرار الحربية، إذا كانوا أهلًا للثقة والأمانة.

الراحلة بالثمن:

٢٥٠- قَالَ ابنٌ إسحاقٍ: فَلَمّا قَرّبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ الرّاحِلَتَيْنِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدّمَ لَهُ أَفَضْلَهُمَا، ثُمّ قَالَ ارْكَبْ فِدَاك أَبِي وَأُمّي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّي لَا أَرْكَبُ بَعِيرًا لَيْسَ لِي؛ قَالَ فَهِيَ لَك يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، قَالَ لَا، وَلَكِنْ مَا الثّمَنُ الّذِي ابْتَعْتَهَا بِهِ ؟ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ قَدْ أَخَذْتهَا بِهِ قَالَ هِيَ لَك يَا رَسُولَ اللّهِ. فَرَكِبَا وَانْطَلَقَا وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ خَلْفَهُ لِيَخْدِمَهُمَا فِي الطّرِيقِ[1].

ذات النطاقين تواجه أبا جهل:

٢٨٣- قَال ابنُ إسْحَاق: فَحُدّثْت عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنّهَا قَالَتْ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَتَانَا نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجْتُ إلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوك يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَتْ قُلْت: لَا أَدْرِي وَاَللّهِ أَيْنَ أَبِي ؟ قَالَتْ فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا، فَلَطَمَ خَدّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي[2].

---

[1] – سيرة ابن هشام ٣٥٦/٢ وهو عند البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحمد فى مسنده ٩٨/٦–٢١٢ ، والبيهقي في الدلائل وغيرهم، وأخرج البخاري جزءًا من الحديث في كتاب الإجارة باب استئجار المشركين عند الضرورة (دار الحديث) .

[2] – سيرة ابن هشام ٣٥٦/٢

عظَة:

هذه فتاة صغيرة ،تكمل دورها البطولي في حمل الطعام إلى الغار؛لتواجه نفرًا من قريش ،فيهم الخبيث المجرم أبو جهل، بثبات ولا تتلعثم، ولا تعطيهم معلومة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها الصدّيق.

فلا عجب إن كانت قد واجهت الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن تخطت سنها المائة عام، وأسمعت الحجاج كلامًا قاسيًا ،عجز عن مثله فطاحل الرجال.

ذات النطاقين مع جدها .أبي قحافة:

٢٨٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَحَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ أَنّ أَبَاهُ عَبّادًا حَدّثَهُ عَنْ جَدّتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ:

لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلّهُ وَمَعَهُ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ أَوْ سِتّةُ آلَافٍ فَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ. قَالَتْ فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَقَالَ وَاَللّهِ إنّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قَالَتْ قُلْت: كَلّا يَا أَبَتِ إنّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا. قَالَتْ فَأَخَذْت أَحْجَارًا فَوَضَعْتهَا فِي كُوّةٍ فِي الْبَيْتِ الّذِي كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمّ وَضَعْت عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمّ أَخَذْت بِيَدِهِ فَقُلْت: يَا أَبَتِ ضَعْ يَدَك عَلَى هَذَا الْمَالِ. قَالَتْ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا بَأْسَ إذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ. وَلَا وَاَللّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا وَلَكِنّي أَرَدْت أَنْ أُسَكّنَ الشّيْخَ بِذَلِكَ[1].

حديث سر اقة عند البخاري:

٢٨٥- قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ:

جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً [2] بِالسَّاحِلِ

---

١ – سيرة ابن هشام ٣٥٧/٢

٢ – أسودة : أشخاص . جمع سواد ، وهو الشخص.

أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا.

ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ [1] فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي[2] حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فناديتهم بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا.

فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3].

<u>ماذا فعل سراقة بالكتاب بعد فتح مكة:</u>

<u>روى ابن إسحاق بسنده عن سراقة قال:</u>

٢٨٦- حَتّى إذَا كَانَ فَتْحُ مَكّةَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ وَالطّائِفِ، خَرَجْت وَمَعِي الْكِتَابَ لَأَلْقَاهُ فَلَقِيته بِالْجِعْرَانَةِ. قَالَ فَدَخَلْت فِي كَتِيبَةٍ مِنْ خَيْلِ الْأَنْصَارِ. قَالَ فَجَعَلُوا يَقْرَعُونَنِي بِالرّمَاحِ وَيَقُولُونَ إلَيْك (إلَيْك)، مَاذَا تُرِيدُ ؟ قَالَ فَدَنَوْت مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وَاَللّهِ لَكَأَنّي أَنْظُرُ إلَى سَاقِهِ فِي غَرْزِهِ كَأَنّهَا جُمّارَةٌ. قَالَ

---

١ – أكمة: رابية مرتفعة عن الأرض من جميع جوانبها

٢ – تقرب بي: تعدو عدوًا دون الإسراع.

٤ – البخاري .كتاب مناقب الأنصار . حديث عائشة السابق.

فَرَفَعْت يَدِي بِالْكِتَابِ ثُمّ قُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا كِتَابُك (لِي)، أَنَا سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرّ ادْنُهْ.

قَالَ فَدَنَوْت مِنْهُ فَأَسْلَمْت. ثُمّ تَذَكّرْت شَيْئًا أَسْأَلُ رَسُولَ الله صلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْهُ فَمَا أَذْكُرُهُ إلّا أَنّي قُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ الضّالّةُ مِنْ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي، وَقَدْ مَلَأْتهَا لِإِبِلِي، هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي أَنْ أَسْقِيَهَا؟ قَالَ نَعَمْ فِي كُلّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرّى[1] أَجْرٌ، قَالَ ثُمّ رَجَعْت إلَى قَوْمِي، فَسُقْتُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَدَقَتِي[2].

أبو بكر يمشي حول الرسول صلى الله عليه وسلم من كل جانب:

٢٨٧- عن محمد بن سيرين قال:

ذُكِر رجال على عهد عمر رضى الله تعالى عنه - فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله تعالى عنهما - قال فبلغ ذلك عمر رضى الله تعالى عنه، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر وليوم من أبي بكر خير من آل عمر.

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟ فقال يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: يا أبا بكر لو كان شيء أحببتَ أن يكون بك دوني؟ قال نعم، والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء لك الغار فدخل واستبرأه، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرىء الحجرة، فقال مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء الحجرة [3] فدخل واستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله ،فنزل، فقال عمر والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر[4].

---

١ – في كل ذات كبد حرًى : شديدة العطش . تأنيث حران.

٢ – إسناد صحيح . رواه ابن إسحاق عن الزهري بلفظ (حدثنا) . سيرة ابن هشام ٣٥٨/٢.

٣ – أستبرئ الجحرة: الجحرة: جمع جحر، يستبرئها: أي يبحث هل فيها من حيوان ضارّ.

٤ – المستدرك ٦/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (الأساس في السيرة).

اثنان...الله ثالثهما:

٢٨٨- عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا.

قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا [1].

تاريخ الهجرة:

قال المباركفوري: نقلًا عن " رحمة للعالمين":

غادر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيته في ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٣/١٢سبتمر سنة ٦٢٢م.

وعنه، نقلًا عن البخاري وابن إسحاق: أنه غادر الغار بعد ثلاث ليال ،ليلة الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١ هـ.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه على موعد مع الدليل ، عبد الله بن أريقط الليثي، الذي استأمناه على السرِّ .كما بينا.

قال المباركفوري: وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار، أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربا نحو الساحل،حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس؛ اتجه شمالًا.

استراحة في الطريق:

٢٨٩- روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قَالَ:

أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنْ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ فَنَامَ.

---

[1] – البخاري (٣٦٢٩) ، ترقيم العالمية.

وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، قُلْتُ أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ نَعَمْ، قُلْتُ أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ نَعَمْ. فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ انْفُضْ الضَّرْعَ مِنْ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالْقَذَى، قَالَ فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ.

فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ فَصَبَبْتُ مِنْ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟ قُلْتُ بَلَى، قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتْ الشَّمْسُ"[١].

حديث أم معبد:

قال ابن القيم:

٢٩٠- ثُمّ مَرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ حَتّى مَرّ بِخَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيّةِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ ثُمّ تُطْعِمُ وَتَسْقِي مَنْ مَرّ بِهَا.

فَسَأَلَاهَا: هَلْ عِنْدَهَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ وَاَللّهِ لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ مَا أَعْوَزَكُمْ الْقِرَى وَالشّاءُ عَازِبٌ، وَكَانَتْ مُسِنّةً شَهْبَاءَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ مَا هَذِهِ الشّاةُ يَا أُمّ مَعْبَدٍ ؟ قَالَتْ شَاةٌ خَلّفَهَا الْجَهْدُ عَنْ الْغَنَمِ. فَقَالَ هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ؟ قَالَتْ نَعَمْ بِأَبِي وَأُمّي إنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا.

فَمَسَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمّى اللّهَ وَدَعَا، فَتَفَاجّتْ عَلَيْهِ وَدَرّتْ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ لَهَا يُرْبِضُ الرّهْطَ، فَحَلَبَ فِيهِ حَتّى عَلَتْهُ الرّغْوَةُ فَسَقَاهَا فَشَرِبَتْ حَتّى رَوِيَت، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتّى رَوَوْا، ثُمّ شَرِبَ وَحَلَبَ فِيهِ ثَانِيًا حَتّى مَلَأَ الْإِنَاءَ ثُمّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا فَارْتَحَلُوا.

فَقَلّمَا لَبِثَتْ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا، لَا نِقْيَ بِهِنّ فَلَمّا رَأَى اللّبَنَ عَجِبَ! فَقَالَ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا وَالشّاةُ عَازِبٌ وَلَا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ!؟ فَقَالَتْ: لَا وَاَللّهِ إلّا أَنّهُ مَرّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ وَمِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ وَاَللّهِ إنّي لَأَرَاهُ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الّذِي تَطْلُبُهُ، صِفِيهِ لِي يَا أُمّ مَعْبَدٍ قَالَتْ:

---

[١] – صحيح البخاري ٣٣٤٦ ترقيم العالمية .

ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجُ الْوَجْهِ حَسَنُ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَة وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صُعْلَة، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، أَحْوَرُ أَكْحَلُ أَزَجّ أَقْرَنُ شَدِيدُ سَوَادِ الشّعْرِ، إذَا صَمَتَ عَلَاهُ الْوَقَارُ وَإِنْ تَكَلّمَ عَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْسَنُهُم وَأَحْلَاهُم مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلٌ، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ،كَأَنّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يَتَحَدّرْنَ، رَبْعَةٌ: لَا تُقْحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ وَلَا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ فَهُوَ أَنْضَرُ الثّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفّونَ بِهِ إذَا قَالَ اسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ وَإِذَا أَمَرَ تَبَادَرُوا إلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفْنِدٌ.

فَقَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: وَاَللّهِ هَذَا صَاحِبُ قُرَيْشٍ الّذِي ذَكَرُوا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرُوا لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبُهُ وَلَأَفْعَلَنّ إنْ وَجَدْتُ إلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَأَصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكّةَ عَالِيًا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَ الْقَائِلَ:

جَزَى اللّهُ رَبّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلّا خَيْمَتَيْ أُمّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلَا بِالْبِرّ وَارْتَحَلَا بِهِ ... وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمّدِ

فَيَالَقُصَيّ مَا زَوَى اللّهُ عَنْكُمْ ... بِهِ مِنْ فَعَالٍ لا يُجازَى وَسُؤدَدِ

لِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنّكُمْ إنْ تَسْأَلُوا الشّاءَ تَشْهَدِ

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: مَا دَرَيْنَا أَيْنَ تَوَجّهَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ الْجِنّ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ، فَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَالنّاسَ يَتْبَعُونَهُ وَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَلَا يَرَوْنَهُ، حَتّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَاهَا. قَالَتْ فَلَمّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ تَوَجّهَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنّ وَجْهَهُ إلَى الْمَدِينَةِ[1].

شرح غريب الكلمات:

(جلدة): صلبة، (الاحتباء): الجلوس على الأرض مع ضم الرجلين إلى البطن بثوب، أو باليدين، (أبلج): وضيء، (ثجله): كبر البطن. (لم تزر به صعلة): لم يعبه صغر الرأس، (الدعج): شدة سواد الحدقة، (أشفار): رموش. (وطف): طول.

---

[1] – ذاد المعاد ٣/٥٠ . المكتبة الشاملة . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/١٠٢٩ وصححه ووافقه الذهبي.

(صحل): بحّة يسيرة. (سطع): طول. (أحور): شديد بياض العين في شدة سواد الحدقة. (أزج): مقوس الحاجبين. (لا نزر ولا هذر): لا قليل ولا كثير، (محفود): يخدمه أصحابه. (محشود): يجمع إليه الناس، (مفنِّد): لا يعيب أحدًا ولا يستقل عقله.

تعقيب:

١- هذا حديث من أروع الأحاديث التي وصفت رسول الله صلي الله عليه وسلم وصفًا كأنك تراه رأي العين وفيه دقة شديدة، وفيه الفصاحة وجزالة العبارة واللغة من امرأة تعيش في البادية، لم تتلق أي لون من العلوم، ولكنها مواهب فطرية.

٢- يستمر معنا دور المعجزات النبوية في السيرة العطرة، وفي حلب الشاة المجهدة العجفاء التي بمجرد مسح ضرعها باليد المباركة له صلى الله عليه وسلم، وذكر اسم الله، تمتلئ لبنًا غزيرًا يشبع الرهط.

رجل يهديني الطريق:

روىالبخاري عن أنس قال:

٢٥٩- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، قَالَ فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ. قَالَ فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ"[1].

فائدة:

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يستخدم التورية عند الضرورة القصوى، كحالة الحرب مثلًا، عندما قال لرجل قبل غزوة بدر (أنا من ماء) - يقصد أصل الخلق - فظنَّ الرجل أنه من قبيلة (ماء) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يكذب أبدًا، ولو لضرورة الحرب أو إنقاذ الحياة - فهو الذي ينقل عن الله، وعن الوحي ،الرسالة والدين.

---

[1] - البخاري ٣٦٢١ . ترقيم العالمية.

وهنا أبو بكر يستخدم نفس أسلوب التورية؛ ليجمع الخيرين: عدم إفشاء السر، وعدم الكذب، فيقول: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ.

وهذا منهج نبيل حبَّذا لو التزمه كل المسلمين، والدعاة من باب أولى،أقول هذا رغم أنه أُبيح لعموم الناس الكذب في الحرب والحرب خدعة.. فإذا أمكن التورية في الحرب كان أفضل، فكيف بالكذب في الأمور الحياتية التافهة التي يستسهل فيها الناس الكذب؟!

إسلام بريدة الأسلمي:

٢٩١- وفي الطريق لقي النبي صلى الله عليه وسلم بريدة الأسلمى الذيأسلم ،حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرًا، هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتًا، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة فصلوا خلفه، وأقام بأرض قومه، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان من ساكني المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وابتنى بها دارًا، ثم خرج منها غازيًا إلى خراسان، فأقام بمرو، حتى مات ودفن بها، وبقي ولده بها.

وقال عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير، فركب بريدة في سبعين راكبًا من أهل بيته من بني سهم، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: " ممن أنت"؟: قال: من أسلم، فقال لأبي بكر: " سلمنا " ، ثم قال: " مِنْ بني مَنْ " ؟ قال: من بني سهم، قال: "خرج سهمك"[1].

لقاء الزبير في الطريق:

في رواية البخاري السابقة:

٢٩٢- قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تجَّارًا قَافِلِينَ مِنْ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ.

---

[1] – أسد الغابة ١/١١٠– المكتبة الشاملة.

النزول بقباء:

<u>تبدُّل الأحوال: مطاردة هناك..واحتفال هنا:</u>

<u>تقديم:</u>

بعد رحلة المطاردة الطويلة والجهد الشاق، وغياب الأمن، واجتهاد قريش في البحث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولات قتله.. يأذن الله عز وجل بتبدل الأحوال وتقلبها، من الخوف إلى الأمن، ومن العداء إلى الترحيب، ومن السخرية والاستهزاء من قريش، إلى التكريم الهائل في المدينة، والذي ابتدأ في قباء، وهي قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار الذاهب من المدينة إلى مكة.

كان استقبال الحبيب صلى الله عليه وسلم في قباء، ثم المدينة، استقبالًا حافلًا حاشدًا، بعد طول شوق وانتظار، وبمشاعر الحب الفيَّاض، وحماس التديُّن والاستعداد التام للتضحية وتسليم القيادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، وهذه روايات تبين روعة الاستقبال:

<u>عن عروة بن الزبير:</u>

٢٩٣- وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ.

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمْ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكْ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.

فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ".[1].

<u>تعقيب:</u>

غادر النبي صلي الله عليه وسلم غار ثور يوم ١ من ربيع الأول سنة ١ هجرية يوم الاثنين، ووصل قباء يوم الاثنين .أيضًا.٨ من ربيع الأول، فقد استغرقت الرحلة نحوًا من أسبوع كامل.

٢٩٤- وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عُوَيْمِرِ بْنِ سَاعِدَةَ قَالَ حَدّثَنِي رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالُوا:

" لَمّا سَمِعْنَا بِمَخْرَجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ مَكّةَ، وَتَوَكّفْنَا قُدُومَهُ كُنّا نَخْرُجُ إذَا صَلّيْنَا الصّبْحَ إلَى ظَاهِرِ حَرّتِنَا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَوَاَللّهِ مَا نَبْرَحُ حَتّى تَغْلِبَنَا الشّمْسُ عَلَى الظّلَالِ فَإِذَا لَمْ نَجِدْ ظِلّا دَخَلْنَا، وَذَلِكَ فِي أَيّامٍ حَارّةٍ.

حَتّى إذَا كَانَ الْيَوْمُ الّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَلَسْنَا كَمَا كُنّا نَجْلِسُ حَتّى إذَا لَمْ يَبْقَ ظِلّ دَخَلْنَا بُيُوتَنَا، وَقَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَيْنَ دَخَلْنَا الْبُيُوتَ فَكَانَ أَوّلُ مَنْ رَآهُ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ، وَقَدْ رَأَى مَا كُنّا نَصْنَعُ وَأَنّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْنَا، فَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا بَنِي قَيْلَةَ، هَذَا جَدّكُمْ قَدْ جَاءَ.

قَالَ فَخَرَجْنَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ فِي ظِلّ نَخْلَةٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي مِثْلِ سِنّهِ وَأَكْثَرُنَا لَمْ يَكُنْ رَأَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَكِبَهُ النّاسُ وَمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، حَتّى زَالَ الظّلّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَظَلّهُ بِرِدَائِهِ فَعَرَفْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ."[2].

<u>وروىالحاكم عن أنس رضي الله عنه:</u>

[1] – رواية البخاري السابقة عن ابن شهاب عن عروة ، حديث رقم ٣٦١٦ ترقيم العالمية

[2] – ابن هشام ٣٦٠/٢ وأخرجه البخاري، في حديثه الذي ذكرناه قبل هذا ، والبيهقي في الدلائل، والبغوي في شرح السنة، وابن سعد في الطبقات (دار الحديث) .

قال:" شهدت يوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فلم أر يومًا أحسن ولا أضوأ منه؟"[1]

وروى الحاكم .أيضًا .عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: ومضى رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى قدم المدينة، وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق وصاح النساء والخُدَّام والغلمان:

"جاء رسول الله - الله أكبر جاء محمد - جاء رسول الله".

فلما أصبح انطلق فنزل حيث أُمِر. [2]

تأسيس مسجد قباء:

٢٩٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بقُباءٍ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَأَسّسَ مَسْجِدَهُ.

ثُمّ أَخْرَجَهُ اللّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يُزْعِمُونَ أَنّهُ مَكَثَ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَاَللّهُ أَعْلَمُ أَيّ ذَلِكَ كَانَ، فَأَدْرَكَتْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَصَلّاهَا فِي الْمَسْجِدِ الّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي، وَادِي رَانُونَاءَ، فَكَانَتْ أَوّلَ جُمُعَةٍ صَلّاهَا بِالْمَدِينَةِ"[3].

وروى الطبراني عن الشموس بنت النعمان قالت:

"نزلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد، مسجد قباء، فرأيتُه يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره [4]، الحجر، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سُرته، فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: بأبي وأمي يا رسول الله أعطني، أكفك.

---

١ – الحاكم في المستدرك ١٢/٣ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقة الذهبي .

٢ – الحاكم في المستدرك ١٢/٣ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقة الذهبي .

٣ – سيرة ابن هشام ٣٦٢/٢ عن ابن إسحاق مرسلًا وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، والبيهقي.

٤ – يهصره: يميله.

فيقول: "لا خذ مثله" ، حتى أسسه، ويقول: إن جبريل عليه السلام هو يؤمُّ الكعبة، قال فكان يقال: إنه أقوم مسجد قبلة"[1].

يعني أدق المساجد في تحرى القبلة لأن جبريل هو الذي ضبطها.

الإقامة بقباء:

في رواية ابن إسحاق السابقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في قباء من الاثنين إلى الجمعة، أي حوالي أربعة أيام، وفي رواية البخاري السابقة (فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة) فالله أعلم.

فائدة من بناء مسجد قباء:

هو أهم عمل عمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدة القصيرة التي بقي فيها بقباء، وهذه إشارة عظيمة إلى أهمية وأولوية المسجد في حياة الأمة الإسلامية، فهو موضع العبادة، وهو مجتمع المسلمين للتراحم والتكافل، والتشاور في الأمور الهامة، ببساطة هو محور حركة الحياة في المجتمع المسلم.

ومسجد قباء هو أول مسجد أسس على التقوى، كما في رواية البخاري التي معنا "فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أُسِّس على التقوى، وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ولادة عبد الله بن الزبير بقباء:

روىالبخاري ومسلم:

٢٩٦- عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ[2] فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

[1] – الطبراني :المعجم الكبير ٣١٨/٢٤ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١١/٤ ، وقال رواه الطبراني ، ورجاله ثقات، (عن الأساس في السيرة ، سعيد حوى).

[2] – متم: يقال للحامل: متم عندما يقترب موعد ولادتها أي أتمت شهور الحمل.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ"[1].

وفي رواية ففرحوا به فرحًا شديدًا؛ لأنهم قيل لهم إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم.

أنواره صلى الله عليه وسلم تضيء أرجاء المدينة أبد الآبدين :

رواية البخاري: عن عائشة قالت:

٢٩٧- ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ، حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: "هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ" ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا لَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا.

ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ ... فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي..

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ.[2]

من ملامح الاستقبال الحافل:

٢٩٨- روى الحاكم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قدم المدينة وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق وصاح النساء والخُدَّام والغلمان: جاء رسول الله . الله أكبر . جاء محمد . جاء رسول الله . فلما أصبح انطلقَ فنزلَ حيث أُمر[1].

---

[1] – البخاري ٣٦١٩ ومسلم ٣٩٩٩ ترقيم العالمية.

[2] – البخاري ٣٦١٦ حديث عائشة الطويل السابق ذكره.

٢٩٩- وروي عن أنس رضي الله عنه: قال شهدت يوم دخل النبي (صلى الله عليه وسلم) فلم أر يومًا أحسن ولا أضوأ منه [٢].

تنافس القبائل لاستضافة الرسول(صلى الله عليه وسلم):

قال ابن إسحاق:

٣٠٠- فَأَتَاهُ عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ. أَقِمْ عِنْدَنَا فِي الْعَدَدِ وَالْعِدّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ خَلّوا سَبِيلَهَا، فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ لِنَاقَتِهِ فَخَلّوا سَبِيلهَا، فَانْطَلَقَتْ حَتّى إذَا وَازَنَتْ دَارَ بَنِي بَيّاضَةَ، تَلَقّاهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ، وَفَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي بَيّاضَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلُمّ إلَيْنَا، إلَى الْعَدَدِ وَالْعِدّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ خَلّوا سَبِيلَهَا فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلّوْا سَبِيلَهَا. فَانْطَلَقَتْ حَتّى إذَا مَرّتْ بِدَارِ بَنِي سَاعِدَةَ، اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلُمّ إلَيْنَا إلَى الْعَدَدِ وَالْعِدّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ خَلّوا سَبِيلَهَا، فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلّوْا سَبِيلَهَا.

فَانْطَلَقَتْ حَتّى إذَا وَازَنَتْ دَارَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلُمّ إلَيْنَا إلَى الْعَدَدِ وَالْعِدّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ خَلّوا سَبِيلَهَا، فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلّوْا سَبِيلَهَا.

فَانْطَلَقَتْ حَتّى إذَا مَرّتْ بِدَارِ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ، وَهُمْ أَخْوَالُهُ - أُمّ عَبْدِ الْمُطّلِبِ سَلْمَى بِنْتُ عَمْرٍو، إحْدَى نِسَائِهِمْ - اعْتَرَضَهُ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ، وَأَبُو سَلِيطٍ أُسَيْرَةُ بْنُ أَبِي خَارِجَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلُمّ إلَى أَخْوَالِك، إلَى الْعَدَدِ وَالْعِدّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ خَلّوا سَبِيلَهَا فَإِنّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلّوْا سَبِيلَهَ.

فَانْطَلَقَتْ، حَتّى إذَا أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ، بَرَكَتْ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يَوْمئِذٍ مِرْبَدٌ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النّجّارِ، ثُمّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ، وَهُمَا فِي حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ، سَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ عَمْرٍو.

فَلَمّا بَرَكَتْ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْهَا لَمْ يَنْزِلْ وَثَبَتَ، فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يَثْنِيهَا بِهِ ثُمّ الْتَفَتَتْ إلَى خَلْفِهَا، فَرَجَعَتْ إلَى مَبْرَكِهَا أَوّلَ

---

١ – الحاكم ١٢/٣ وقال حديث علي شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (عن الأساس في السيرة).

٢ – الحاكم ١٢/٣ وقال حديث علي شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (عن الأساس في السيرة).

مَرّةٍ، فَبَرَكَتْ فِيهِ ثُمّ تَحَلْحَلَتْ وَأَرْزَمَتْ وَوَضَعَتْ جِرَانَها، [1] فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ رَحْلَهُ فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَسَأَلَ عَنْ الْمِرْبَدِ لِمَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللّهِ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ عَمْرٍو، وَهُمَا يَتِيمَانِ لِي، وَسَأُرْضِيهِمَا مِنْهُ فَاتّخِذْهُ مَسْجِدًا.

قَالَ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُبْنَى مَسْجِدًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى أَبِي أَيّوبَ حَتّى بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيُرَغّبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَدَأَبُوا فِيهِ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنّبِيّ يَعْمَلُ ... لَذَاكَ مِنّا الْعَمَلُ الْمُضَلّلُ

وَارْتَجَزَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَبْنُونَهُ يَقُولُونَ:

لَا عَيْشَ إلّا عَيْشَ الْآخِرَه ... اللّهُمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذَا كَلَامٌ وَلَيْسَ بِرَجَزٍ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَيَقُولُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا عَيْشَ إلّا عَيْشَ الْآخِرَةِ ، اللّهُمّ ارْحَمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ." [2]

بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم:

* يتضح من الرواية السابقة أن الشغل الأول الذي شغل النبي صلى الله عليه وسلم، كان ترتيب عملية بناء المسجد، بعد أن أسس مسجد قباء من أيام قليلة، ها هو اليوم يؤسس مسجده الشريف الذي أصبح ثاني الحرمين الشريفين، وأصبح محور حركة المجتمع الإسلامي في العصر الإسلامي الأول، عصر النبوة والخلافة الراشدة وهذا يبين الأهمية القصوى لموقع المسجد في المجتمع الإسلامي.

---

١ – تَحَلْحَلَتْ وَأرزمت وَوَضَعَتْ جرانها: أي لزمت مكانها، واصدرت صوتًا، ووضعت باطن العنق على الأرض

٢ – سيرة ابن هشام ٢/٦٣–٦٤ والحديث صحيح روى أجزاء منه البخاري . مسلم . البيهقي وابن كثير في البداية والنهاية، والطبراني في الأوسط، وغيرهم، وقد اختصرنا بعض أجزائه.

* نلاحظ من ملامح شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: أنه رفض أن يأخذ الراحلة من أبي بكر إلا بالثمن، ويرفض أن تكون أرض المسجد هبة من الغلامين اليتيمين، ولكن ابتاعه منهما.. درس بليغ.

* الرسول صلى الله عليه وسلم يشارك في البناء .عمليًا .وينقل معهم الطوب اللبن وهذا درس آخر من دروس الشخصية النبوية الكريمة، وما أكثر وأعظم دروس النبي صلى الله عليه وسلم ! لمن شاء أن يتعلم.

مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب:

٣٠١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي بَيْتِ أَبِي أَيّوبَ حَتّى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ وَمَسَاكِنُهُ، ثُمّ انْتَقَلَ إلَى مَسَاكِنِهِ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيّوبَ رَحْمَةُ اللّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانُهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ الْيَزَنِيّ عَنْ أَبِي رُهْمٍ السّمَاعِيّ قَالَ حَدّثَنِي أَبُو أَيّوبَ قَالَ:

لَمّا نَزَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي بَيْتِي، نَزَلَ فِي السّفْلِ وَأَنَا وَأُمّ أَيّوبَ فِي الْعُلْوِ فَقُلْت لَهُ يَا نَبِيّ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، إنّي لَأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَك، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلْوِ وَنَنْزِلَ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السّفْلِ، فَقَالَ يَا أَبَا أَيّوبَ إنّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا، أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ.

قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سُفْلِهِ وَكُنّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ، فلقد انكسرَ حُبٌّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أيوبٍ بِقَطِيفَةٍ لَنَا، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرَهَا، نُنَشّفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ.

قَالَ وَكُنّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ثُمّ نَبْعَثُ بِهِ إلَيْهِ فَإِذَا رَدّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمّمْت أَنَا وَأُمّ أَيّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، حَتّى بَعَثْنَا إلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ بَصَلًا أَوْ ثُومًا، فَرَدّهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا. قَالَ فَجِئْتُهُ فَزِعًا، فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، رَدَدْتَ عَشَاءَك، وَلَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِك، وَكُنْتَ إذَا رَدَدْته عَلَيْنَا،

تَيَمّمْت أَنَا وَأُمّ أَيّوبَ مَوْضِعَ يَدِك، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ؛ قَالَ إنّي وَجَدْت فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشّجَرَةِ، وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي، فَأَمّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ، قَالَ فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشّجَرَةَ بَعْدُ [1].

رواية مسلم:

٣٠٢- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ، قَالَ فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السُّفْلُ أَرْفَقُ فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُلُوِّ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ.

فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ لَمْ يَأْكُلْ. فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ فَقَالَ أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ. قَالَ فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ أَوْ مَا كَرِهْتَ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى".

تتابع المهاجرين لحوقًا برسول الله (صلى الله عليه وسلم):

٣٠٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَتَلَاحَقَ الْمُهَاجِرُونَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمْ يَبْقَ بِمَكّةَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، إلّا مَفْتُونٌ أَوْ مَحْبُوسٌ، وَلَمْ يُوعَبْ أَهْلُ هِجْرَةٍ مِنْ مَكّةَ بِأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إلَى اللّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، إلّا أَهْلُ دُورٍ مُسَمّوْنَ بَنُو مَظْعُونٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ؛ وَبَنُو جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ، حُلَفَاءُ بَنِي أُمَيّةَ؛ وَبَنُو الْبُكَيْرِ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ، حُلَفَاءُ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنّ دُورَهُمْ غُلّقَتْ بِمَكّةَ هِجْرَةً لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ" [2].

أبو سفيان يعتدي على دار بني جحش بن رئاب:

---

١ – الحديث أخرجه مسلم (٣٨٢٨) من طريق غير طريق ابن إسحاق، وأخرجه أحمد أيضا من طريق إسناد مسلم لكن عند مسلم (فتحول النبي صلى الله عليه وسلم فى العلو وأبو أيوب في السفل) أما طريق ابن إسحاق فهي ضعيفة ، عن دار الحديث.أقول: لكن المتن صحيح عند أحمد ومسلم.

٢ – ابن هشام ٢/٣٦٦ هكذا رواه ابن إسحاق مرسلًا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٣٠٤- فلما خَرَجَ بَنُو جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ مِنْ دَارِهِمْ عَدَا عَلَيْهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَبَاعَهَا مِنْ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ أَخِي بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ؛ فَلَمّا بَلَغَ بَنِي جَحْشٍ مَا صَنَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِدَارِهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشٍ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَلَا تَرْضَى يَا عَبْدَ اللّهِ أَنْ يُعْطِيَك اللّهُ بِهَا دَارًا خَيْرًا مِنْهَا فِي الْجَنّةِ ؟ قَالَ بَلَى، قَالَ فَذَلِكَ لَك.

فَلَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ، كَلّمَهُ أَبُو أَحْمَدَ[1] فِي دَارِهِمْ. فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ النّاسُ لِأَبِي أَحْمَدَ يَا أَبَا أَحْمَدَ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَكْرَهُ أَنْ تَرْجِعُوا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أُصِيبَ مِنْكُمْ فِي اللّهِ عَزّ وَجَلّ.

فَأَمْسَكَ عَنْ كَلَامِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ:

أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ ... عَنْ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ نَدَامَهْ

دَارَ ابْنِ عَمّك بِعْتَهَا ... تَقْضِي بِهَا عَنْك الْغَرَامَهْ

وَحَلِيفُكُمْ بِاَللّهِ رَبّ ... النّاسِ مُجْتَهَدُ الْقَسَامَهْ

اذْهَبْ بِهَا اذْهَبْ بِهَا ... طُوّقْتَهَا طَوْقَ الْحَمَامَهْ[2]

تعقيب هام:

هذا نموذج لعدوان قريش على المسلمين في أموالهم، بعد هجرتهم، ولم يكتفوا بالعدوان البدني عليهم في مكة وتعذيبهم وإلجائهم إلى الهجرة وترك الأوطان، لأننا حينما نضع أسباب إعلان الحرب الاقتصادية على قريش من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم، بقطع طريق قوافلهم التجارية إلى الشام، نضع من بين تلك الأسباب.. هذا العدوان .بعد الهجرة.

[1] – أبو أحمد هو أخو عبد الله بن جحش، وأخو زينب بنت جحش أم المؤمنين، وكلهم أبناء عمة الرسول صلى الله عليه وسلم : قال السهيلي: أبو أحمد اسمه (عبد) وقيل (ثمامة) والأول أصح.

[2] – سيرة ابن هشام ٣٦٧/٢

الباب السادس:

تنظيم الحياة في المدينة:

مقدمة:

استكمال أركان الدولة:

بوصول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، وبما مثَّله للمهاجرين والأنصار (الأوس والخزرج) من قيادة روحية دينية، ورئاسة دنيوية، اكتملت للمدينة أركان الدولة.

فالدولة في أية بقعة في العالم تتكامل أركانها بوجود ثلاثة عناصر مهمة:

١- إقليم جغرافي: أية بقعة من الأرض لها حدود مستقرة وفي العصر الحديث، يقال: ويعترف بها المجتمع الدولي، (مع اختلافنا في تفصيل هذا الاعتراف، وكونه قائمًا على العدل أم لا!).

٢- الشعب: وهم البشر الذين يقطنون هذا الإقليم، وتجمعهم أهداف مشتركة، ولهم سيطرة على الإقليم من الناحية الاقتصادية وملكية الأرض، والسيطرة (الحمائية) عليها . أي يتولون شئون الدفاع عن هذه الأرض.

٣- قيادة: تقوم على تنظيم شئون الناس الحياتية، وتقيم القانون وتفرضه ويخضع لها الناس خضوعًا رضائيًا طبيعيًا.

وفي حالة المدينة .يثرب .قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ،لم تكن تتوافر لها هذه القيادة، كان هناك أرض وشعب ؛لكن لا تجمعهم قيادة واحدة، إنما مجموعات من القبائل بينهم تحالفات متعددة، بل وحروب متعددة أيضًا.

لكن بمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد عقد بيعة العقبة وقبول الأنصار بمبدأ السمع والطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتشار الإسلام في المدينة، حتى دخل فيه أكثر السكان، تكاملت للمدينة أركان الدولة المستقرة.

الفصل الأول:

مهام القيادة في المدينة:

كانت تواجه الرسول صلى الله عليه وسلم عدة شئون عاجلة بعد الهجرة احتاجت لترتيب الأوضاع:

١- مركز القيادة الروحية والسياسية،

ولقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده ليكون هذا المركز.

٢- استيعاب المهاجرين من مكة وتدبير سبل العيش لهم في المدينة.

٣- التعامل مع اليهود، وهم فصيل كبير له خصوصيته، ويتكون من ثلاث قبائل كبيرة، بنو قينقاع، بنو النضير، بنو قريظة.

٤- مسئولية تأمين المدينة والدفاع عنها ضد الأعداء المتربصين بها ،وهم كثير.

تفصيل بناء المسجد النبوي:

٣٠٥- روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ.

وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا، قَالُوا لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ.

فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ.

فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ[1]

٣٠٦- عن نَافِعٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ:

أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْنِيًّا بِاللَّبِنِ وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ وَعُمُدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئًا وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ وَبَنَاهُ عَلَى بُنْيَانِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّبِنِ وَالْجَرِيدِ، وَأَعَادَ عُمُدَهُ خَشَبًا.

ثُمَّ غَيَّرَهُ عُثْمَانُ فَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ، وَجَعَلَ عُمُدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ [2].

بُيُوتُ النَّبِيِّ صَلَّىاللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٣٠٧- قال السهيلي في الروض الأنف:

وَأَمّا بُيُوتُهُ عَلَيْهِ السّلَامُ فَكَانَتْ تِسْعَةً، بَعْضُهَا مِنْ جَرِيدٍ مُطَيّنٍ بِالطّينِ وَسَقْفُهَا جَرِيدٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ: كُنْت أَدْخُلُ بُيُوتَ النّبِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ وَأَنَا غُلَامٌ مُرَاهِقٌ فَأَنَالُ السّقْفَ بِيَدِي.

وَكَانَتْ حُجَرُهُ - عَلَيْهِ السّلَامُ - أَكْسِيَةٌ مِنْ شَعْرٍ مَرْبُوطَةٌ فِي خَشَبٍ عَرْعَرٍ، وَفِي تَارِيخِ الْبُخَارِيّ أَنّ بَابَهُ - عَلَيْهِ السّلَامُ - كَانَ يُقْرَعُ بِالْأَظَافِرِ أَيْ لَا حِلَقَ لَهُ.

وَلَمّا تُوُفّيَ أَزْوَاجُهُ عَلَيْهِ السّلَامُ خُلِطَتْ الْبُيُوتُ وَالْحُجَرِ بِالْمَسْجِدِ، وَذَلِكَ فِي زَمَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمّا وَرَدَ كِتَابُهُ بِذَلِكَ ضَجّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالْبُكَاءِ كَيَوْمِ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ السّلَامُ، وَكَانَ سَرِيرُهُ خَشَبَاتٍ مَشْدُودَةٍ بِاللّيفِ، بِيعَتْ زَمَنَ بَنِي أُمَيّةَ فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ.[3]

---

١ – البخاري برقم (٤١٠) العالمية–كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور المشركين ويتخذ مكانها مساجد. المكتبة الشاملة. الإصدار الثاني.

٢ – البخاري (٤٢٧) العالمية. الساج: شجر خشب صلب جدًا جميل المنظر.

٣ – الروض الأنف (٢/٣٣٨) المكتبة الشاملة.

الفصل الثاني:

وظيفة المسجد:

فرق كبير بين وظيفة الكنائس ومعابد اليهود ،وبين وظيفة المسجد في الإسلام، فإن دور الكنيسة والبيعة يكاد يقتصر على، أداء الصلوات والانقطاع للعبادة.

وهذا هو الأصل في ديانتهم، رغم أن بعض الطوائف تحاول .اليوم .تطوير أداء هذه الأماكن ؛فيشمل بعض أعمال البر والتكافل الاجتماعي وربما بعض السياسة، تَشَبُّهًا وتَأَثُّرًا بدور ووظيفة المسجد في الإسلام.

فالمسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان المركز الرئيسي لحركة الحياة في المجتمع فكان فيه:

١. الرسول صلى الله عليه وسلم يجتمع بأصحابه ويناقش معهم شتى الأمور.
٢. الرسول صلى الله عليه وسلم يتفقد أحوال أصحابه .الغائب والمريض .من خلال المسجد.
٣. الرسول صلى الله عليه وسلم يلتقي بالوفود التي تفد إلى المدينة مُسلمةً، أو معاهِدةً.
٤. الرسول صلى الله عليه وسلم يعقد ألوية الحرب لقادة الجيش في المسجد.
٥. أهل الصُّفَّة في المسجد، والصُّفَّة جزء مرتفع من أرض المسجد (يصطفون) فيه، وكان مسقوفًا، وأهل الصفة، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه في حديث البخاري (هم أهل الإسلام الذين لم يأووا إلى أهل ولا مال) كان منهم الغريب الضيف الذي جاء لحاجة، ثم يمضي، وكان منهم من حبس نفسه ليتعلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقل أحواله .مثل أبي هريرة، ومنهم من نذر نفسه لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل ربيعة بن كعب الأسلمي، وكان منهم الفقير الذي لا يجد طعامًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل لهم مما يأتيه من الصدقة أو الهدية.
٦. الأحباش يتدربون على فنون القتال ويلعبون بالحراب في المسجد.
٧. بَوَّب البخاري عددًا من الأبواب في وظيفة المسجد: منها:

- القضاء واللعان في المسجد.

- نوم الرجال في المسجد.
- الشعر في المسجد.
- أصحاب الحراب في المسجد.
- ذكر البيع والشراء على المنابر.
- التقاضي والملازمة في المسجد.
- الأسير أو الغريم يربط في المسجد.
- الخيمة في المسجد للمرضي.
- إدخال البعير في المسجد للعلة.
- دخول المشرك المسجد.
- الحلق والجلوس في المسجد.
- الاستلقاء في المسجد، ومد الرجل.

وقد أورد البخاري في كل باب أحاديث صحيحة عن دور المسجد في احتضان هذه الأعمال، وأورد مثله – وأكثر - أصحاب السنن والمسانيد، ونظرة سريعة على تلك الأحاديث، تبين لنا شمول وظيفة المسجد معظم شئون الناس البسيطة كالنوم والطعام، وشئونهم الهامة: كالتدريب على الحرب والتقاضي وربط الأسير، واستقبال الوفود.

يقول محمد الغزالي رحمه الله في فقه السيرة:

إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي: فهو ساحة للعبادة ومدرسة للعلم وندوة للأدب، وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لُباب الإسلام، والمسجد الذي وجَّهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هِمَّتَه إلى بنائه قبل أي عمل آخر بالمدينة ليس أرضا تحتكر العبادة فوقها، فالأرض كلها مسجد والمسلم لا يتقيد في عبادته بمكان، إنما هو رمز لما يكترث له الإسلام أعظم الاكتراث، ويتشبث به أشد تشبث، وهو وصل العباد بربهم وصلًا يتجدد مع الزمن ويتكرر مع آناء الليل والنهار، فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد، وتجهل اليوم الآخر، وتخلط المعروف بالمنكر.

الفصل الثالث:

استيعاب المهاجرين من مكة

وتدبير سبل العيش لهم:

(عقد الأخوة):

لا شك أن الهجرة من بلد إلى بلد، تمثل في العصر الحديث، وفي كل العصور مشكلة كبرى لبلد المهجر، وتحتاج إلى تدابير كثيرة، تفشل فيها بعض الدول رغم غناها وقوة اقتصادها واستقرار نظام الحكم فيها.

والمدينة (يثرب) لم تكن دولة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما كان المسلمون فيها أفرادًا من القبائل وظل بالمدينة يهود ومشركون، ولذا فإن عبء استضافة المهاجرين من مكة سيكون من نصيب هذه الفئة المسلمة فقط، وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدبِّر سبل العيش الكريم لهذه الطائفة المهاجرة.

فكان عقد الأخوة هو الحل العبقري الفذ، الذي ليس له نظير في تاريخ البشر.

المؤاخاة بين كل اثنين كانت تعني اقتسام الدار والمال.

من ذا الذي يتنازل .طواعية .عن نصف ما يملك؟!

إنها التربية الإيمانية النبوية التي صنعت العجيب المبهر.

<u>قال ابن القيم:</u>

٣٠٨- ثُمّ آخَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانُوا تِسْعِينَ رَجُلًا نِصْفُهُمْ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَنِصْفُهُمْ مِنْ الْأَنْصَارِ، آخَى بَيْنَهُمْ عَلَى الْمُوَاسَاةِ يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَوْتِ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ إلَى حِينِ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلَمّا أَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ} [الْأَحْزَابُ ٦] رَدّ التّوَارُثَ إلَى الرّحِمِ دُونَ عَقْدِ الْأُخُوّةِ.

وَقَدْ قِيلَ إنّهُ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ مُؤَاخَاةً ثَانِيَةً وَاتّخَذَ فِيهَا عَلِيّا أَخًا لِنَفْسِهِ، وَالثّبْتُ الْأُوَلُ، وَالْمُهَاجِرُونَ كَانُوا مُسْتَغْنِينَ بِأُخُوّةِ الْإِسْلَامِ وَقُرَابَةِ النّسَبِ عَنْ عَقْدِ مُؤَاخَاةٍ بِخِلَافِ الْمُهَاجِرِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ أَحَقَّ النّاسِ بِأُخُوّتِهِ أَحَبُّ الْخَلْقِ إلَيْهِ وَرَفِيقُهُ فِي الْهِجْرَةِ وَأَنِيسُهُ فِي الْغَارِ وَأَفْضَلُ الصّحَابَةِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ؛ أَبُو بَكْرٍ

الصّدّيقُ وَقَدْ قَالَ: "لَوْ كُنْتُ مُتّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاِتّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ أُخُوّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ".

وَفِي لَفْظٍ "وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي"[١].

ويروي البخاري هذا النموذج الرائع بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف:

٣٠٩- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ.

فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ[٢] فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْيَمْ[٣] يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟ فَقَالَ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[٤].

وهذه رواية ثانية في البخاري أيضًا:

٣١٠- عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعٍ.

قَالَ فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجْتَ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمَنْ؟ قَالَ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ كَمْ سُقْتَ؟ قَالَ زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[٥].

---

١ – زاد المعاد ٣/٥٧–٥٨ . المكتبة الشاملة . الإصدار الثاني.

٢ – أثر من صفرة ، هو أثر الزعفران (طيب).

٣ – مَهْيَم: أي ما الخبر . اسم فعل بمعنى أخبر.

٤ – البخاري (١٩٠٨) العالمية.

٥ – البخاري (١٩٠٧) العالمية.

كيف تحققت عبقرية الأخوة:

لا شيء يمكن أن يصنع هذه التضحيات، ويسمو بالبشر فوق كل مغريات الدنيا مثل ما يمكن أن يصنعه الإيمان، الإيمان بأن الله مطلع وعالم، وبأنه يجزي الجزاء الأوفى، إنه الإيمان الذي يرتفع بالمسلم، ليحلق في رياض الجنة، ويكون كل أمله من الدنيا أن تكون مَعْبرًا للآخرة، وأن يَمُنَّ المولى سبحانه عليه بالقبول.

ولقد كان وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم هو الذي صنع معجزة الأخوة، وهو الذي صاغ كل النماذج البشرية العالية من الصحابة الكرام.

وتعالوا نتأمل كيف تمت التربية الإيمانية، على معاني الأخوة والحب في الله.

أَوّلُ خُطَبِهِ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ بَعْدَ الهِجْرَة:

قالَ ابنُ إسحَاقَ:

٣١١- وَكَانَتْ أَوّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ - نَعُوذُ بِاَللّهِ أَنْ نَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا لَمْ يَقُلْ - أَنّهُ قَامَ فِيهِمْ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ قَالَ:

"أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ فَقَدّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ. تَعَلّمُنّ وَاَللّهِ لَيُصْعَقَنّ أَحَدُكُمْ ثُمّ لَيَدَعَنّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ ثُمّ لَيَقُولَنّ لَهُ رَبّهُ وَلَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ أَلَمْ يَأْتِك رَسُولِي فَبَلّغَك، وَآتَيْتُك مَالًا وَأَفْضَلْت عَلَيْك ؟ فَمَا قَدّمْتَ لنفسك؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لَيَنظُرنَّ قدَّامهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ، فمنِ استطاعَ أَنْ يَقِى وجهَهُ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ بِشِقّ تمرةٍ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيّبَةٍ، فَإِنّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، إلَى سَبْعِمِائَةِ ضَعْفٍ وَالسّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ"[١].

دلالة:

في قوله صلى الله عليه وسلم " فمنِ استطاعَ أَنْ يَقِى وجهَهُ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ بِشِقّ تمرةٍ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيّبَةٍ " بَيَّن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أهمية إطعام الطعام وإنفاق المال، والكلمة الطيبة في بناء مجتمع متراحم.

وفي معنى إطعام الطعام - وأضيف إليه إفشاء السلام:

---

١ – سيرة ابن هشام ٣٦٧/٢

٣١٢- روىالبخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

"أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ" [1].

ونلاحظ أن الكلمة الطيبة، وإفشاء السلام لا يكلف المرء نفقةً ولا عملًا،إنما هي كلمات طيبات، لكنها تُشِيع في المجتمع روح التعارف والإخاء.

بل إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمر أبا ذر أن يطعم عبده مما يأكل ويلبسه مما يلبس؛ لأن الإسلام جعل المسلمين جميعا إخوانا:

<u>٣١٣- عَنْ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ:</u>

لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ"[2].

وفى شرح الحديث أن أبا ذر عيَّرَ بلالًا (العبد الحبشي الذي أعتقه أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين) فقال له يا بن السوداء، فعنَّفهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلمه أن العبيد إخوان للسادة وأمره بالرفق بهم وإشراك غلامه معه في مطعمه وملبسه، ففعل ذلك أبو ذر وألبس غلامه حلة.

<u>قال ابن حجر في الفتح:</u>

٣١٤- جَاءَ فِي سَبَب إِلْبَاس أَبِي ذَرّ غُلَامه مِثْل لُبْسه أَثَرٌ مَرْفُوع أَصْرَح مِنْ هَذَا وَأَخَصّ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيق أَبِي غَالِب عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى أَبَا ذَرّ عَبْدًا فَقَالَ " أَطْعِمْهُ مِمَّا تَأْكُل، وَأَلْبِسهُ مِمَّا تَلْبَس " وَكَانَ لِأَبِي ذَرٍّ ثَوْب فَشَقَّهُ نِصْفَيْنِ، فَأَعْطَى الْغُلَام نِصْفه، فَرَآهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: قُلْتَ يَا رَسُول اللَّه " أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ " قَالَ: نَعَمْ [3].

---

[1] – البخاري (١١) العالمية.

[2] – البخاري ٢٩ العالمية. إخوانكم خَوَلكم: أي خدم عندكم.

[3] – فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ج١ / ص٤٩ المكتبة الشاملة.

أما عاطفة الحب في الله: فأخشى أن يكون كثير من المسلمين قد نسيها، وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث لأنها أساس اللُّحْمة بين أفراد المجتمع المسلم:

٣١٥- عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

"عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[١].

٣١٦- وعنه أيضًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"[٢].

٣١٧- وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ"[٣].

هنا يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم ويخص بالذكر حب الأنصار، ويجعله علامة على الإيمان، وبغضهم علامة على النفاق.

ألا يستحق الأنصار ذلك وهم الذين {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}؟.

منابر من نور:

٣١٨- عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ:

"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ"[٤].

الحب في الله يوصل إلى محبة الله عز وجل:

٣١٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

---

١ – البخاري (١٢) العالمية.

٢ – البخاري (١٥) العالمية.

٣ – البخاري (١٦) ترقيم العالمية.

٤ – رواه الترمذي برقم (٢٣١٢) ترقيم العالمية وقال : هذا حديث حسن صحيح.

"عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ"[1].

من حق المسلم على المسلم:

٣٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" [2].

٣٢١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو المسلم لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" [3] .

من اقتطع حق امرئ مسلم:

٣٢٢- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ:

"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ"[4].

من كانت عنده مظلمة لأخيه، فليتحلله منها:

٣٢٣- "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ"[5].

---

١ – صحيح مسلم برقم ٤٦٥٦ ترقيم العالمية.

٢ – صحيح مسلم برقم ٤٦٤٦ ترقيم العالمية.

٣ – صحيح مسلم ٤٦٥٠ ترقيم العالمية.

٤ – صحيح مسلم ١٩٦ العالمية.

٥ – صحيح البخاري ٦٠٥٣ العالمية

هذه أبواب واسعة، من أنوار النبوة: كان النبي (صلى الله عليه وسلم)يتعاهد بها أصحابه، ويبني بها مجتمعًا متراحمًا، متكافلًا، يظلله الحب في الله وإيثار الأخ أخاه على نفسه، ويتورع الناس فيه عن كل ما يسيء إلى مسلم أو يعتدي على حقه، طاعةً لِلَّه تعالى، وحبًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا يفعل ذلك إلا أصحاب الإيمان اليقظ، والمراقبة الدائمة لله، وابتغاء ما عند الله من الأجر والمثوبة، والزهادة في الدنيا رغبة وشوقًا إلىالآخرة.

هذه بعض ملامح التربية الإسلامية النبوية، وأثرها في إصلاح المجتمع.

الفصل الرابع:

العلاقة مع اليهود:

كيف سكن اليهود المدينة؟ :

يقول الدكتور/ إسرائيل ولفنسون:

" بعد حرب اليهود والرومان سنة ٧٠م التي انتهت بخراب فلسطين وتدمير هيكل بيت المقدس، وتشتت اليهود في أصقاع العالم قصدت جموع كثيرة من اليهود بلاد العرب كما حدثنا بذلك المؤرخ اليهودي (يوسى فوس) الذي شهد تلك الحروب، وكان قائدًا لبعض وحداتها" [١]

وكانت في المدينة ثلاث قبائل من اليهود، بلغ عدد رجالها البالغين أكثر من ألفين، وهي قينقاع والنضير وقريظة.

وكانت العلاقة بين هذه القبائل مضطربة متوترة: وقد يكون بعضهم حربًا على بعض، يقول د/ إسرائيل ولفنسون:

"قد كانت هناك عداوة بين بني قينقاع وبقية اليهود سببها:أن بني قينقاع كانوا قد اشتركوا مع الخزرج في يوم بعاث، وقد أثخن بنو النضير وقريظة في بني قينقاع ومزقوهم كل ممزق.

وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية حتى وقعت الحرب بين المسلمين وبين بني قينقاع، فلم ينهض معهم أحد من اليهود" [٢].

أماكن سكنى اليهود في يثرب:

كانت مساكن بني النضير بالعالية جنوب شرق المدينة على بعد ميلين من المدينة، وكانت عامرة بالزروع والنخيل.

بنو قريظة: سكنوا جنوب المدينة، على بعد بضعة أميال من المدينة.

بنو قينقاع: كانوا داخل المدينة في منطقة خاصة بهم، بعد أن طردهم بنو النضير وقريظة من مساكنهم، التي كانت خارج المدينة.

---

١ – نقلا عن الأساس في السنة السيرة النبوية ٣٧٣/١.

٢ – المصدر السابق.

وكانت سوق بني قينقاع مركزًا لبيع الحلي والمصوغات الذهبية.
وكان لليهود حصون وآطام وقرى يعيشون فيها متكتلين مستقلين.
وكان لكل زعيم يهودي حليف من الأعراب ومن زعماء العرب.

الجانب الديني ومدارس اليهود:

يقول د/ إسرائيل ولفنسون:

" لا شك أنه كان في المقدرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الديني بين العرب، حتى تبلغ منزلة أرقى مما كانت عليه، لو توافرت عند اليهود النية على نشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة، ولكن الذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأن الأمة الإسرائيلية لم تَمِل بوجه عام إلى دعوة الأمم إلى اعتناق دينها، وأن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه، محظور على اليهود..أ.هـ

المدارس:

كانت لليهود مدارس يتدارسون فيها أمور دينهم وأحكام شريعتهم وأيامهم الماضية، وأخبارهم الخاصة، كما كانوا يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم.

دخول النبي(صلى الله عليه وسلم) بَيْتَ الْمِدْرَاسِ:

قال ابن إسحاق:

٣٢٤- ".قَالَ وَدَخَلَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى الله عليه وَسَلّمَ - بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ يَهُودَ فَدَعَاهُمْ إلَى اللّهِ فَقَالَ لَهُ النّعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ: عَلَى أَيّ دِينٍ أَنْتَ يَا مُحَمّدُ؟ قَالَ عَلَى مِلّةِ إبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، قَالَا: فَإِنّ إبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيّا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ -: فَهَلُمّ إلَى التّوْرَاةِ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسّنَا النّارُ إِلّا أَيّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}"[1]

دخول أبي بكر بَيْتَ الْمِدْرَاسِ:

قالَ ابنُ إسحاقَ:

[1] – سيرة ابن هشام (٢/٤١٠) وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/١٤٥ وفيه محمد بن أبي محمد (لا يعرف) وذكره الشوكاني في فتح القدير ١/٤٩٠ وعزاه إلى ابن إسحاق، وابن جرير وابن المنذر وابي حاتم عن ابن عباس .تخريج دار الحديث.

٣٢٥- وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى يَهُودَ، فَوَجَدَ مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ اجْتَمَعُوا إلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ فِنْحَاصُ وَكَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ، وَمَعَهُ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِهِمْ يُقَالُ لَهُ أَشْيَعُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِفِنْحَاصٍ: وَيْحَك يَا فَنُحَاصُ اتّقِ اللّهَ وَأَسْلِمْ، فَوَاَللّهِ إنّك لَتَعْلَمُ أَنّ مُحَمّدًا لَرَسُولُ اللّهِ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْحَقّ مِنْ عِنْدِهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَالَ فِنْحَاصُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاَللّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بِنَا إلَى اللّهِ مِنْ فَقْرٍ وَإِنّهُ إلَيْنَا لَفَقِيرٌ وَمَا نَتَضَرّعُ إلَيْهِ كَمَا يَتَضَرّعُ إلَيْنَا، وَإِنّا عَنْهُ لَأَغْنِيَاءُ وَمَا هُوَ عَنّا بِغَنِيّ وَلَوْ كَانَ عَنّا غَنِيّا مَا اسْتَقْرَضَنَا أَمْوَالَنَا، كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ يَنْهَاكُمْ عَنْ الرّبَا وَيُعْطِينَاهُ وَلَوْ كَانَ عَنّا غَنِيّا مَا أَعْطَانَا الرّبَا.

قَالَ فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ فَضَرَبَ وَجْهَ فِنْحَاصَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْعَهْدُ الّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لَضَرَبْتُ رَأْسَك، أَيْ عَدُوّ اللّهِ. قَالَ فَذَهَبَ فِنْحَاصُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلم فقال: يَا مُحَمّدُ أُنْظُرْ مَا صَنَعَ بِي صَاحِبُك؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَبِي بَكْرٍ مَا حَمَلَك عَلَى مَا صَنَعْت ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ عَدُوّ اللّهِ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا، إنّهُ زَعَمَ أَنّ اللّهَ فَقِيرٌ وَأَنّهُمْ أَغْنِيَاءُ، فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ غَضِبْتُ لِلّهِ مِمّا قَالَ وَضَرَبْتُ وَجْهَهُ فَجَحَدَ ذَلِكَ فِنْحَاصُ وَقَالَ مَا قُلْتُ ذَلِكَ.

فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيمَا قَالَ فِنْحَاصُ رَدّا عَلَيْهِ وَتَصْدِيقًا لِأَبِي بَكْرٍ:

{لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الّذِينَ قَالُوا إنّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} وَنَزَلَ فِي أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَمَا بَلَغَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الْغَضَبِ {وَلَتَسْمَعُنّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتّقُوا فَإِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}. ثُمّ قَالَ فِيمَا قَالَ فِنْحَاصُ وَالْأَحْبَارُ مَعَهُ مِنْ يَهُودَ {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيّنُنّهُ لِلنّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنّ الّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يَعْنِي فِنْحَاصَ وَأَشْيَعَ وَأَشْبَاهَهُمَا مِنْ الْأَحْبَارِ الّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُونَ مِنْ الدّنْيَا عَلَى مَا زَيّنُوا لِلنّاسِ مِنْ

الضّلَالَةِ، وَيُحِبّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، أَنْ يَقُولَ النّاسُ عُلَمَاءُ وَلَيْسُوا بِأَهْلِ عِلْمٍ لَمْ يَحْمِلُوهُمْ عَلَى هُدًى وَلَا حَقّ وَيُحِبّونَ أَنْ يَقُولَ النّاسُ قَدْ فَعَلُوا."[1]

الآطام (الحصون):

يقول د/ ولفنسون:

كانت أهمية الآطام عظيمة في يثرب، فكان يفزع إليها أفراد البطن عند هجوم العدو، ويأوي إليها النساء والأطفال والعجزة حين يذهب الرجال لمقاتلة الأعداء، وقد كانت الآطام تستعمل كالمخازن تجمع فيها الغلال والثمار، ذلك أنها كانت معرضة في أماكنها المكشوفة للنهب والسلب، وكان الأطم مربعًا لكنز الأموال والسلاح، وكان للقوافل المحملة بالبضائع أن تنزل بالقرب منه، كما كانت تقام على بابه الأسواق.

وكانت الآطام تشتمل على المعابد وبيوت المدارس يجتمع فيها الزعماء للبحث والمشاورة ،حيث يقسمون بالكتب المقدسة حين يهمون بإبرام العقود والاتفاقات.

ويقول ولفنسون في تفسير كلمة (أطم) :إنها مأخوذة من اللغة العبرية فيقال أَطَم للنوافذ المغلقة من الخارج والمفتوحة من الداخل.

قال: وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن اليهود أطلقوا اسم الأطم على الحصن لأنه كان في إمكانهم أن يغلقوا أبوابه"[2].

إبرام المعاهدة مع اليهود:

هاجر المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان اليهود يمثلون فصيلا هاما داخل المدينة.

حقا إن سوابقهم لم تكن تبشر بخير، فهم الذين كانوا ينفثون سمومهم بين الأوس والخزرج وبين قبائل العرب، ويمدون هؤلاء وهؤلاء بالسلاح والمال من خلال معاملات ربوية فاحشة.

---

[1] – سيرة ابن هشام (٤١٣/٢) أخرجه ابن جرير موقوفًا عن ابن عباس ١٢٩/٤ وذكره ابن كثير في تفسيره ١٥٣/٢ عن ابن إسحاق وفيه محمد بن أبي محمد (لا يعرف) وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص١١٢) – (تخريج دار الحديث).

[2] – الأساس في السنة . سعيد حوى . السيرة النبوية ٣٧٨/١

وصحيح أن تاريخ اليهود مع الأنبياء والرسالات ينضح بالمعاصي والمخازي والخروج على منهج الله: حرفوا التوراة - قتلوا الأنبياء - أكلوا أموال الناس بالباطل - تجرءوا على الخالق سبحانه وتعالى وقالوا (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) وقالوا (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)...

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ عهده معهم في المدينة، من خلال معاهدات عيش في سلام، ودفاع مشترك عن المدينة،

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك:

* لأنه نبي الهداية، جاء لهداية البشر أجمعين.

* و لأن هذا دأبه مع كل البشر..دعوة ورحمة.. إخاء وسلام.

* ولأن جبهة المدينة الداخلية يجب أن تكون قوية متماسكة في مواجهة أعداء الخارج، ذلك؛ أن اليهود في ذلك الحين كانوا شركاء في الوطن.

* ولئلا يكون لهم حجة إذا غدروا أو نقضوا، أو تحالفوا مع أعداء المسلمين.

عقد النبي (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود معاهدة عظيمة تُعدّ دستورًا للدولة الإسلامية في المدينة ،ومرجعًا لكل دساتير الدول الإسلامية بعد ذلك.

وهذه سطور انتخبناها من صحيفة المعاهدة بين المسلمين واليهود؛ لنرىما فيها من روعة وعظمة وتحضر:

<u>٣٢٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:</u>

" وَكَتَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقَرّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ.

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ إنّهُمْ أُمّةٌ وَاحِدَةٌ.

* وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ.....

* وَإِنّهُ لَا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاَللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا وَلَا يُؤْوِيهِ وَأَنّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَاعَدْلٌ.

* وَإنّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

* وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

* وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ،

* وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ وَإِنّ لِبَنِي الشّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ....وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

* وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ.

* وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَبَرّ هَذَا.

* وَإِنّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ ،وعَلَى المسلمين نفقتهم وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

* وَإِنّ النّصْرَ لِلْمَظْلُومِ.

* وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

* وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ.

* وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

* وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ.

* وَإِنّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا.

* وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ.

* وَإِنّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ.

* وَإِنّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إلّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ.

* وَإِنّ اللّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرّ وَاتّقَى، وَمُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ." [١]

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٣٦٩) وابن كثير في (البداية) نقلا عن ابن إسحاق.

تعقيب:

هذا كتاب من معلم البشرية الأول محمد صلى الله عليه وسلم ،وقد كتب في زمان عم فيه الظلام والظلم والجهل والتخلف - كتب كتابا يوثق فيه: حرية العقيدة، وحقوق المواطنة، وتحقيق الأمان على النفس والمال، وإقامة الحق والعدل مع المخالفين في العقيدة، بل والتحالف معهم عسكريا واقتصاديا ضد من دهم (أي: هاجم) يثرب، وهذه مراجعة لبعض النصوص:

قال ابن إسحاق:

(عاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم) حرية العقيدة وحرمة المال.

(وإن من تبعنا من يهود، فله النصر والأسوة) تحالف على نصرة اليهود.

(وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين) اعتراف بكيانهم وأنهم مع المؤمنين.

(وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين) معاهدة للاشتراك فى النفقات الحربية.

(وإن بينهم النصر على من دهم يثرب) معاهدة عسكرية للدفاع المشترك ضد العدو الخارجي.

فكيف قابل اليهود هذه المبادرة؟

لقد أصر أكثر زعمائهم على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ،رغم علمهم بصفات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة.

وهذه شهادة السيدة صفية بنت حيي بن أخطب، وهي ابنة زعيم بني النضير، وقد أصبحت -فيما بعد-أمًا للمؤمنين وزوجًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

٣٢٧- عَنْ صَفِيّةَ بِنْتِ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ أَنّهَا قَالَتْ:

" كُنْت أَحَبّ وَلَدِ أَبِي إلَيْهِ وَإِلَى عَمّي أَبِي يَاسِرٍ لَمْ أَلْقَهُمَا قَطّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إلّا أَخَذَانِي دُونَهُ . قَالَتْ فَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، مُغَلّسَيْنِ. قَالَتْ فَلَمْ يَرْجِعَا حَتّى

كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ. قَالَتْ فَأَتَيَا كَالّيْنِ كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى. قَالَتْ فَهَشِشْتُ إلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ فَوَاَللّهِ مَا الْتَفَتَ إلَيّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنْ الْغَمّ. قَالَتْ وَسَمِعْت عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ وَاَللّهِ، قَالَ أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ فَمَا فِي نَفْسِك مِنْهُ؟ قَالَ عَدَاوَتُهُ وَاَللّهِ مَا بَقِيتُ.[1]

وتعددت مظاهر عداء اليهود للمسلمين:

فهناك زيد بن اللصيت - من بني قينقاع - ادعى الإسلام نفاقًا، وهو الذي قاتل عمر بن الخطاب في سوق بني قينقاع.

وأخفى اليهود صفات الرسول صلى الله عليه وسلم التي عندهم في التوراة ، وعهد الله الذي أخذه عليهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة لا يعلمها إلا نبي، وأعطوه العهد إن هو أجابهم عنها أن يؤمنوا به وبالإسلام، ثم نقضوا ولم يؤمنوا.

وعن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا.

قال تعالى : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا به فلعنة اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ}.البقرة (٨٩)

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن الضيف: والله ما عُهِد إلينا في محمد عهد، وما أُخِذ له علينا من الميثاق . فأنزل الله تعالى:

{ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ } البقرة (١٠٠).

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارًا نتبعك".

---

[1] هكذا رواه ابن إسحاق . لكن في السند راو لم يذكر اسمه ، وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/٣٣٥)

قال ابن إسحاق: وكان حيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدًا، إذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام، ما استطاعا،

وحين تحولت قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام ،قامت اليهود بشن حملة دعائية.

قال تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَاوَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } البقرة (١٤٢).

ونماذج هذا اللون من العداء كثيرة، وهي مما يمكن أن يسمي حربًا إعلامية ،أو حرب عقيدة للتشكيك والصد، وهو ما لا يتفق مع حالة قوم بينهم دفاع مشترك ،ونفقة في الحرب مشتركة.

وقد أخذنا الروايات السابقة عن ابن إسحاق، (سيرة ابن هشام) وفيها نماذج أخرى كثيرة جدًا لهذه الحرب الإعلامية.

إثارة الحرب بين الأوس والخزرج:

٣٢٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَمَرّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا، عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضّغَنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ يَتَحَدّثُونَ فِيهِ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ الّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيّةِ.

فَقَالَ قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ لَا وَاَللّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ. فَأَمَرَ فَتًى شَابّا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُمْ فَقَالَ اعْمِدْ إلَيْهِمْ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمّ أُذْكُرْ يَوْمَ بُعَاثَ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنْ الْأَشْعَارِ.

وَكَانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْمًا اقْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَفَعَلَ، فَتَكَلّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتّى تَوَاثَبَ رَجُلَانِ مِنْ الْحَيّيْنِ عَلَى الرّكْبِ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيّ مِنْ الْأَوْسِ، وَجَبّارُ بْنُ صَخْرٍ من الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا ثُمّ قَالَ

أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ إنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً فَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا، مَوْعِدُكُمْ الظّاهِرَةُ - وَالظّاهِرَةُ الْحرّةُ - السّلَاحَ السّلَاحَ. فَخَرَجُوا إلَيْهَا.

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَخَرَجَ إلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ، حَتّى جَاءَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللّهَ اللّهَ! أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللّهُ لِلْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيّةِ وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ الْكُفْرِ وَأَلّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنّهَا نَزْغَةٌ مِنْ الشّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوّهِمْ فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرّجَالُ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ قَدْ أَطْفَأَ اللّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوّ اللّهِ شَاسِ بْنِ قَيْسٍ."[١]

إسلام عبد الله بن سلام:

وهو حبر كبير من أحبار اليهود، يعرف صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسأله أسئلة لا يعلمها إلا نبي، فآمن لتوه بعد ما سمع الإجابة.

ولكنه قرر في حديثه (أن اليهود قوم بهت) ينكرون ما يعلمون في التوراة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري:

٣٢٩- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ:

قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ" وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ، قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٢) ذكره ابن إسحاق بدون إسناد.

الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْيَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فِيهِ[1].

---

[1] – رواه البخاري ٣٠٨٢

الفصل الخامس:

مسئولية تأمين المدينة

وحمايتها من الأعداء المتربصين:

<u>أسباب الاستعدادات العسكرية في المدينة:</u>

أصبح الرسول(صلى الله عليه وسلم) هو القيادة الروحية والسياسية والعسكرية،

وقد تغير الوضع العسكري للمسلمين بعد الهجرة... كانوا في مكة ممنوعين بنص القرآن الكريم من رد العدوان:

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} النساء (٧٧).

أما اليوم فقد أصبح للمسلمين دولة، يجب تحقيق الأمن والحماية لكل من فيها ،مسلمين وغير مسلمين.

وفي الطبيعة القبلية للجزيرة العربية حيث يمكن توقع حدوث أي غارة أو عدوان من قبيلة على أخرى في أي وقت في الظروف العادية، أما في ظروف الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة فهناك أعداء متربصون، إذن لا بد من تحقيق قدر كبير من الاستعداد العسكري ،واليقظة التامة؛ تحسبًا لكل الاحتمالات.

<u>الأسباب التي ألجأت الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى هذه الاستعدادات:</u>

قد يقول قائل في عالم اليوم :إن محمدًا قد جاء بدعوة سماوية روحية ،فلماذا لم يكتف بهذه الدعوة الروحية؟ ، وماذا كانت حاجته إلى تجييش الجيوش وخوض الحروب؟ ، لماذا خرج من المدينة يحارب هنا وهناك، رغم أن المسلمين يزعمون أن الإسلام دين السلام ؟

وقائل ذلك – سواء كان يريد أن يعرف الحقيقة حقا أو كان يعرفها لكنه يلبس الحق بالباطل – يجب أن يرد عليه بالدليل والبرهان، فهذا هو واجبنا تجاه كل البشر، تبيان الحق و الحقيقة وإبلاغها للناس كافة.

لا تصلح دراسة متجردة ومحايدة حول حدث من أحداث التاريخ إلا من خلال دراسة ظروف الزمان والمكان الذي فيه الحدث.

والحقيقة أن قبائل العرب كانت قبائل محاربة بطبيعتها، تقوم بينها الحروب لأتفه الأسباب، وكان بعض الأعراب قد اعتاد الإغارة للسلب والنهب – كما هو الحال في كل مجتمعات البشر -لكن كان لجزيرة العرب خصوصية: أنها لم تكن لها حكومة مركزية يمكن أن تحقق الأمن وتفرض القانون... فكان على كل قبيلة أو قرية، أو تجمع بشري أن يتولى بنفسه الحماية الكاملة لأفراده.

فلم يكن هناك تصور لإمكانية أن تعيش المدينة سالمة آمنة، دون غيرها من القبائل والقرى والمدن.

إذن فكانت أولى أسباب الاستعدادات العسكرية هي:

طبيعة القبائل في جزيرة العرب:

النموذج الأول: حرب الفجار: وقد سبق الحديث عنها تفصيلا.

النموذج الثاني: أوشكت الحرب تشتعل عند بناء الكعبة لسبب بسيط، هو من يضع الحجر الأسود مكانه، وقد سبق الحديث عنها أيضًا.

وتاريخ جزيرة العرب حافل بمثل هذه الحروب المدمرة أشعلتها أسباب تافهة كحرب داحس والغبراء، وحرب عبس وذبيان، وحروب الأوس والخزرج وغيرها.

السبب الثاني: تحرشات قريش بالمسلمين بعد الهجرة:

قد رأينا عداء قريش الشديد للمسلمين وعدوانهم عليهم في مكة، وكان المتوقع أن تفرح قريش لهجرة المسلمين ورحيلهم عن مكة، وتنشغل عنهم بأمورها الحياتية، لكن العدوان استمر:

أرسلت قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول – وكان مشركا – قبل أن يعلن الإسلام نفاقا.. أرسلت إليه تهدده.

٣٣٠- روى أبو داوود بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ.

" فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ؟! فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَرَّقُوا.

فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ وَهِيَ الْخَلَاخِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ... "(١)

ثم إن قريشا أرسلت إلى المسلمين تقول لهم:

"لا يغرنكم أنكم أفْلَتُّمُونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم فى عقر داركم"(٢)

<u>٣٣١- وقد روى عن أُبيّ بن كعب أنه قال:</u>

"لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه. (٣)

السبب الثالث وجود عصابات السلب والنهب:

وُجِدت هذه العصابات التي اعتادت الإغارة للسلب والنهب، وكانت في قبائل متناثرة حول المدينة، وهذه العصابات لابد لها من رادع يردعها: ألا وهو علمها بوجود جيش وقوة، يُحْسَبُ حسابها في المدينة.

هذان نموذجان لبعض هذه الأمثلة:

(١) أخرجه أبو داواد برقم (٢٦٠) العالمية بسند رواته رجال الصحيح إلا محمد بن داود بن سفيان وهو مقبول (عن موسوعة الحديث الشريف – شركة حرف) .

(٢) رحمة للعالمين (١ /١١٦) .

(٣) هكذا ذكره المباركفوري في (الرحيق المختوم) بدون تخريج .

١- غزوة سفوان (بدر الأولى): سببها أن كرز بن جابر الفهري: أغار على المدينة بقوات خفيفة، ونهب بعض المواشي فخرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا حتى بلغ وادي سفوان من ناحية بدر، لكنه لم يدرك كرزا ورجع دون حرب.

٢- غزوة ذي قَرَد (غزوة الغابة):

وكان سببها عملية سطو مسلح من عبد الرحمن الفزاري:

عن سلمة بن الأكوع قال:

"بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ وَقَتَلَ رَاعِيَهُ، قَالَ فَقُلْتُ يَا رَبَاحُ خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ..... " الحديث.

وسوف يأتي تفصيلها في ترتيبها الزمني إن شاء الله تعالى.

السبب الرابع:

وجود حالة من التربص والعداء والغدر من قبائل جزيرة العرب:

سنورد هنا نموذجين رهيبين لغدر قبائل من نجد، ببعثات من الصحابة راحوا يعلمونهم الإسلام والقرآن بطلب من هذه القبائل، لنرى كيف يمكن أن يعيش المسلمون بغير جيش وقوة ردع في مثل هذه الأجواء، وفي مثل هذه البقاع.

إن الحديث عن دعوة سلمية بغير جيش يحميها في مثل هذه الظروف يُعَدُّ نوعا من الخبل والعبث ممن لا يفهمون شيئا في أحداث التاريخ.

نموذج مأساة الرجيع:

٣٣٢- " قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارّةِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ فِينَا إسْلَامًا، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِك يُفَقّهُونَنَا فِي الدّينِ وَيُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ وَيُعَلّمُونَنَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَفَرًا سِتّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، ؛ وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ اللّيْثِيّ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ ، ، وَزَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ طَارِقٍ .

وَأَمّرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْقَوْمِ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، فَخَرَجَ حَتّى إذَا كَانُوا عَلَى الرّجِيعِ ، مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ ، غَدَرُوا بِهِمْ فَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا ، فَلَمْ يَرُعْ الْقَوْمَ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إلّا الرّجَالُ بِأَيْدِيهِمْ السّيُوفُ قَدْ غَشُوهُمْ فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوهُمْ فَقَالُوا لَهُمْ إنّا وَاَللّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ ، وَلَكِنّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ مَكّةَ وَلَكُمْ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ .

فَأَمّا مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالُوا : وَاَللّهِ لَا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلَا عَقْدًا أَبَدًا ؛ فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ:

{مَا عِلّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ}

ثُمّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ .

فَلَمّا قُتِلَ عَاصِمٌ أَرَادَتْ هُذَيْلٌ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شُهَيْدٍ وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنَيْهَا يَوْمَ أُحُدٍ: لَئِنْ قَدَرَتْ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَن فِي قِحْفِهِ الْخَمْرَ فَمَنَعَتْهُ الدّبْرُ فَلَمّا حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَالُوا: دَعُوهُ يُمْسِي فَتَذْهَبُ عَنْهُ فَنَأْخُذُهُ . فَبَعَثَ اللّهُ الْوَادِيَ فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا ، فَذَهَبَ بِهِ وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللّهَ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا ، تَنَجّسًا ؛ فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ الدّبْرَ مَنَعَتْهُ يَحْفَظُ اللّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ فَمَنَعَهُ اللّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ وَخُبَيْبٌ بْنُ عَدِيّ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ طَارِقٍ ، فَلَانُوا وَرَقّوا وَرَغِبُوا فِي الْحَيَاةِ فَأَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَأَسَرُوهُمْ ثُمّ خَرَجُوا إلَى مَكّةَ ، لِيَبِيعُوهُمْ بِهَا ، حَتّى إذَا كَانُوا بِالظّهْرَانِ انْتَزَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنْ الْقِرَانِ ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمُ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتّى قَتَلُوهُ فَقَبْرُهُ رَحِمَهُ اللّهُ بِالظّهْرَانِ، وَأَمّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ وَزَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ فَقَدِمُوا بِهِمَا مَكّةَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَبَاعُوهما مِنْ قُرَيْشٍ بِأَسِيرَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ كَانَا بِمَكّةَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ فَابْتَاعَ خُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إهَابٍ التّمِيمِيّ ، وَكَانَ أَبُو إهَابٍ أَخَا الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ لِأُمّهِ لِقَتْلِهِ بِأَبِيهِ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ. وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو

سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ أَنْشُدُكَ اللهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك؟ قَالَ وَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي. قَالَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا؛ ثُمّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ يَرْحَمُهُ اللهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: قَالَ عَاصِمٌ ثُمّ خَرَجُوا بِخُبَيْبٍ حَتّى إذَا جَاءُوا بِهِ إلَى التّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ قَالَ لَهُمْ إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدَعُونِي حَتّى أَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَافْعَلُوا ؛ قَالُوا : دُونَك فَارْكَعْ . فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ أَتَمّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا ، ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ أَمَا وَاَللّهِ لَوْلَا أَنْ تَظُنّوا أَنّي إنّمَا طَوّلْت جَزَعًا مِنْ الْقَتْلِ لَاسْتَكْثَرْت مِنْ الصّلَاةِ قَالَ فَكَانَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ أَوّلَ مَنْ سَنّ هَاتَيْنِ الرّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ . قَالَ ثُمّ رَفَعُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ فَلَمّا أَوْثَقُوهُ قَالَ: اللّهُمّ إنّا قَدْ بَلّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِك، فَبَلّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا؛ ثُمّ قَالَ اللّهُمّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . ثُمّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللهُ."(١)

تعقيب :

هل يمكن التعايش السلمي مع مثل هذه القبائل؟ وهل يمكن السكوت على هذه الأفعال وهذا الغدر؟ وهل يمكن أن تعيش دولة بلا جيش يحمي سكانها من الاعتداءات الخارجية؟
حدثت الواقعة في صفر من السنة الرابعة للهجرة، وفي نفس الشهر تمت مأساة أشد وأفظع، وكان ضحاياها سبعون شهيدًا من المسلمين، هي:

مأساة بئر معونة :

٣٣٣- " بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ.

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ: قَدِمَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنّةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/١١٥) ط دار الحديث " مع تصرف يسير واختصار " ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٩٩) رجاله ثقات وأخرجه البخاري وغيره مع اختلاف في بعض التفاصيل .ففى البخاري أن السرية تكونت من عشرة ، وأميرهم عاصم بن ثابت، وأن خبيبا هو أول من سن ركعتين عند القتل.

إلَيْهِ فَلَمْ يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُدْ مِنْ الْإِسْلَامِ وَقَالَ يَا مُحَمّدُ لَوْ بَعَثْتَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِك إلَى أَهْلِ نَجْدٍ، فَدَعَوْهُمْ إلَى أَمْرِك ، رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَك ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو بَرَاءٍ. أَنَا لَهُمْ جَارٍ فَابْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النّاسَ إلَى أَمْرِك.

فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو، أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ الْمُعْنِقَ لِيَمُوتَ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَارُوا حَتّى نَزَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ وَهِيَ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَحَرّةِ بَنِي سُلَيْمٍ ، كِلَا الْبَلَدَيْنِ مِنْهَا قَرِيبٌ وَهِيَ إلَى حَرّةِ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْرَبُ.

فَلَمّا نَزَلُوهَا بَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى عَدُوّ اللّهِ عَامِرِ بْنِ الطّفَيْلِ ؛ فَلَمّا أَتَاهُ لَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِهِ حَتّى عَدَا عَلَى الرّجُلِ فَقَتَلَهُ، ثم استصرخ عليهم بَنِي عَامِرٍ فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إلَى مَا دَعَاهُمْ إلَيْهِ وَقَالُوا: لَنْ نَخْفِرَ أَبَا بَرَاءٍ، وَقَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْدًا وَجِوَارًا؛ فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قَبَائِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ: عُصَيّةَ وَرِعْلٍ وَذَكْوَانَ، فَأَجَابُوهُ إلَى ذَلِكَ فَخَرَجُوا حَتّى غَشُوا الْقَوْمَ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ فَلَمّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا سُيُوفَهُمْ ثُمّ قَاتَلُوهُمْ حَتّى قُتِلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ يَرْحَمُهُمْ اللّهُ إلّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ بْنِ النّجّارِ فَإِنّهُمْ تَرَكُوهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَارْتُثّ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى ، فَعَاشَ حَتّى قُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ شَهِيدًا ، رَحِمَهُ اللّهُ

وَكَانَ فِي سَرْحِ الْقَوْمِ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ ، وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هُوَ الْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمّدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَلَمْ يُنْبِئْهُمَا بِمُصَابِ أَصْحَابِهِمَا إلّا الطّيْرُ تَحُومُ عَلَى الْعَسْكَرِ فَقَالَ وَاَللّهِ إنّ لِهَذِهِ الطّيْرِ لَشَأْنًا ، فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا ، فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ وَإِذَا الْخَيْلُ الّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ لِعَمْرِو بْنِ أُمَيّةَ مَا تَرَى ؟ قَالَ أَرَى أَنْ نَلْحَقَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنُخْبِرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ : لَكِنّي مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو ، وَمَا كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرّجَالُ ثُمّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ وَأَخَذُوا عَمْرَو بْنَ أُمَيّةَ أَسِيرًا ؛ فَلَمّا أَخْبَرَهُمْ أَنّهُ مِنْ مُضَرَ ، أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطّفَيْلِ ، وَجَزّ نَاصِيَتَهُ وَأَعْتَقَهُ عَنْ رَقَبَةٍ زَعَمَ أَنّهَا كَانَتْ عَلَى أُمّهِ .

ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ ، قَدْ كُنْت لِهَذَا كَارِهًا مُتَخَوّفًا . فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَشَقّ عَلَيْهِ إخْفَارُ عَامِرٍ إيّاهُ وَمَا أَصَابَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِسَبَبِهِ وَجِوَارِهِ .(١)

تعقيب :

انظر إلى مقتل سبعين من الصحابة من " القراء " أي حفظة القرآن الكريم الذين خرجوا في سفر طويل مهمتهم تعليم الناس الإسلام والقرآن !!

كيف يمكن السكوت على هذه الفعلة الشنيعة؟.

انظر إلى كيفية مقتل " حرام بن ملحان " الذي حمل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل الذى لم يقرأ الكتاب، ثم قتل حامل الرسالة. ومن قبل ذلك انظر إلى مقتل خبيب بن عدي مصلوبًا على النطع ،بهذه الطريقة الوحشية .دون ذنب اقترفه.

ألا يبرر كل ذلك تكوين جيش للمسلمين يدافع عن حوزتهم؟

الاستعدادات العسكرية في المدينة، وإعداد الجيش:

أولًا : الإعداد المعنوي :

١.تأكيد حق الدفاع عن النفس قبل الإذن بالقتال:

وقد تأكد هذا الحق في آيات مكية - يعني في المرحلة التي لم يكن فيها إذن بقتال، إنما كانت الآيات تتنزل لتؤكد للمسلمين أن هذه المرحلة سوف تتبدل إلى مرحلة أخرى يكون فيها الوقوف في وجه البغي والطغيان.

ففي سورة الشورى - وهي مكية - قال تعالي :

"وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ. إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " الشورى (٤١-٤٢).

وفي سورة الشعراء - مكية ،أيضًا - قال تعالى:

---

(١) سيرة بن هشام (١٢٧/٣) ط دار الحديث ، وزاد المعاد (١٠٩/٢) وصحيح البخاري (٣٧٧٩ ، ٣٧٨١) ، (٣٧٨٤) وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين ، وهو الصحيح .

" ..... وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ." (٢٢٧).
وثبت هذا في آيات مكية أخرى.

المهم أن القرآن يقرر أن هؤلاء المؤمنين قد ظُلموا كثيرًا ،وأن الوقت سوف يأتي للانتصار من الظالمين.

بعد الهجرة:

يأتي الإذن بالقتال - ردًا للعدوان - يأتي، مع التأكيد، أن هذا بسبب الظلم الذي وقع على المسلمين .

في سورة الحج يقول تعالى : "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواوَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ".(٣٩).

٢.ربط الجهاد والقتال بالأجر الأخروي:

لأن هذا الارتباط هو الدافع الأقوى لتضحية المسلم في ساحة القتال، كما وأنه .وهذا هام أيضًا- يربط الجهاد بأحكام الشريعة وضوابطها، بعيدًا عن الهوى الشخصي أو الرغبة في الانتقام :

قال تعالي : " فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ " النساء ٧٤.
وقال تعالي : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ." (١١١).
فى غزوة بدر ، يعدُهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وما أعظمه من وعد!...فعل فعله فيعمير بن الحمام.

٣٣٤- قَالَ ابن إسحاق:

" ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى النّاسِ فَحَرّضَهُمْ وَقَالَ وَاَلّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إلّا أَدْخَلَهُ اللّهُ الْجَنّةَ . فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٍ يَأْكُلُهُنّ بَخْ بَخْ أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنّةَ إلّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ ثُمّ قَذَفَ التّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَن عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا يُضْحِكُ الرّبّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ قَالَ غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوّ حَاسِرًا . فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِل".[1]

وفي غزوة أحد:

٣٣٥- روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ"[2]

ويبشر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الشهداء بالجنة؛ فيكون هذا أفضل تعزية لذويهم.

٣٣٩- روى ابنُ إسْحَاقَ: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ الْعُذْرِيّ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا أَشْرَفَ عَلَى الْقَتْلَى يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ ، إنّهُ مَا مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللّهِ إلّا وَاَللّهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ اللّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرّيحُ رِيحُ مِسْكٍ.

وقد بشَّر النبى صلى الله عليه وسلم ، بأن قتلى أحد قد ترافقوا فى الجنة، وأنهم قد شُفِّعُوا فى أهلهم.

وهكذا كان الربط بين عمل الجهاد والأجر الأخروى، والوعد بالجنة ، وهو الوعد الذي يضحى من أجله المجاهد بنفسه وبالدنيا وما فيها.

٣- التأكيد المتكرر على أن هذا القتال هو دفاع عن الشيوخ والنساء والأطفال والمستضعفين:

قال تعالي : "وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ." النساء (٧٥).

[1] – سيرة ابن هشام (٤٦٧/٢) ، وعند مسلم بنحوه (١٤٥/٣/ ١٩٠٦،١٩٠٥) ، وأحمد فى مسنده والحاكم في المستدرك . (تخريج دار الحديث).

[2] – رواه مسلم برقم (٣٣٤٤) العالمية.

٤.<u>ضبط قواعد الحرب:</u> ضبطا دقيقا واضحا لا لبس فيه بعيدا عن أي مساحة للعدوان على قاعدة : "وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" البقرة (١٩٠)

<u>ثانيًا: التدريب على فنون القتال :</u>

٣٤٠- عن سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

"مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ، قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ؟ قَالُوا كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ.[١]

٣٤١- وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ [٢].

٣٤٢- وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى[٣].

٣٤٣- وروى الترمذي بسنده أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ.

وَقَالَ: ارْمُوا وَارْكَبُوا وَلَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنْ الْحَقِّ[٤].

<u>ثالثًا :سرايا وغزوات صغيرة تحقق أهدافًا متعددة في الاستعداد العسكري:</u>

السرايا :هي التي يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم وعليها أحد القادة - دون أن يخرج فيها بنفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم ، أما الغزوات فهي التي يخرج فيها بنفسه؛ حارب فيها أم لم يحارب .

---

[١] – صحيح البخارى برقم (٢٦٨٤) ، ومسند أحمد (١٥٩٣١). ترقيم العالمية.

[٢] صحيح مسلم برقم (٣٥٤١) العالمية.

[٣] – صحيح مسلم برقم (٣٥٤٣) العالمية

[٤] – الترمذي (١٥٦١) وقال حديث حسن صحيح .

وقد جمعت كتب السير والمغازي خمس سرايا ،وثلاث غزوات كانت كلها قبل وقعة بدر الكبرى.

<u>أهداف السرايا والغزوات الصغيرة :</u>

١.علاج حالة الخندقة : وهو أمر معروف في العلوم العسكرية الحديثة ، حين يبقى الجند في الخنادق فترة طويلة دون قتال .. ثم تريد القيادة إعدادهم لمعركة كبيرة، فإن القيادة تجهزهم بالتدريج لعمليات صغيرة أو مناورات تدريبية كبيرة، وفي حالة المسلمين هذه، فإن المسلمين قد بقوا في مكة ثلاثة عشر عامًا، مأمورين بعدم القتال ولو ردًّا للعدوان ، فكان لا بد من إعدادهم للقتال الكبير بواسطة عدد من العمليات الحربية الصغيرة ، بأعداد من الجند بسيطة – عشرات من المقاتلين-.

٢- كانت هذه السرايا والغزوات بمثابة جولات استكشافية لجغرافيا المناطق حول المدينة، وطبيعة الطرق المؤدية إليها، ودراسة أحوال القبائل حولها .

٣- عقد بعض المعاهدات مع القبائل التي تقبل ذلك .

٤- إرسال رسالة للقريب و البعيد أن المسلمين جاهزون للرد على من تسول له نفسه الاستخفاف بأمر المسلمين أو الإغارة على المدينة .

٥- أكثر هذه المعارك كان الهدف منه، هو الرد على العدوان الطويل من قريش على المسلمين، بقطع طريق تجارتهم إلى الشام وتهديد قوافلهم، وهي حرب اقتصادية تمثل جزءًا هامًا في الصراع الطويل مع قريش .

<u>خبر السر ايا والغزوات قبل بدر الكبرى :</u>

١- **<u>سرية سيف البحر:</u>** بقيادة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في ثلاثين رجلًا من المهاجرين – لاعتراض عير لقريش فيها أبو جهل.

<u>قال ابن القيم:</u>

٣٤٤- " وَكَانَ أَوّلُ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رَسُو لُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مُهَاجَرِهِ، وَكَانَ لِوَاءً أَبْيَضَ وَكَانَ حَامِلُهُ أَبُو مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ حَلِيفَ حَمْزَةَ، وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ خَاصّةً يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ جَاءَتْ مِنْ الشّامِ ، وَفِيهَا أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ . فَبَلَغُوا سَيْفَ الْبَحْرِ مِنْ

نَاحِيَةِ الْعِيصِ ، فَالْتَقَوْا وَاصْطَفّوا لِلْقِتَالِ فَمَشَى مَجْدِي بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِي ، وَكَانَ حَلِيفًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ حَتّى حَجَزَ بَيْنَهُمْ وَلَمْ يَقْتَتِلُوا ".

٢- **<u>سرية رابغ:</u>** بقيادة عبيدة بن الحارث في ستين راكبًا لاعتراض عير لقريش، فيها أبو سفيان ومعه مائتا راكب:

<u>قال ابن القيم:</u>

٣٤٥- "ثُمّ بَعَثَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطّلِبِ فِي سَرِيّةٍ إلَى بَطْنِ رَابِغٍ فِي شَوّالٍ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنْ الْهِجْرَةِ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ وَحَمَلَهُ مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانُوا فِي سِتّينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ أَنْصَارِيّ فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَهُوَ فِي مِائَتَيْنِ عَلَى بَطْنِ رَابِغٍ ، عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ الْجُحْفَةِ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ الرّمْيُ وَلَمْ يَسُلّوا السّيُوفَ وَلَمْ يَصْطَفّوا لِلْقِتَالِ وَإِنّمَا كَانَتْ مُنَاوَشَةً وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ فِيهِمْ وَهُوَ أَوّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللّه ثُمّ انْصَرَفَ الْفَرِيقَانِ عَلَى حَامِيَتِهِمْ".

٣- **<u>سرية الخرَّار:</u>** بقيادة سعد بن أبي وقاص في عشرين راكبًا لاعتراض عير لقريش لكنها أفلتت. قال ابن القيم:

٣٤٦- " ثُمّ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ إلَى الْخَرّارِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ وَحَمَلَهُ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَانُوا عِشْرِينَ رَاكِبًا يَعْتَرِضُونَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَعَهِدَ أَنْ لَا يُجَاوِزَ الْخَرّارَ ، فَخَرَجُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ فَكَانُوا يَكْمُنُونَ بِالنّهَارِ وَيَسِيرُونَ بِاللّيْلِ حَتّى صَبّحُوا الْمَكَانَ صَبِيحَةَ خَمْسٍ فَوَجَدُوا الْعِيرَ قَدْ مَرّتْ بِالْأَمْسِ".

فهذه ثلاث سرايا – مخصصة لقريش (باعتبار أنها الطرف المعادي للمسلمين – حيث لم تظهر عداوة من غيرهم بعد).

<u>٤- غزوة الأبواء:</u>

٣٤٧- قال ابن القيم: فَصْلٌ: غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ وَهِيَ أَوّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا بِنَفْسِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

ثُمّ غَزَا بِنَفْسِهِ غَزْوَةَ الْأَبْوَاءِ ، وَيُقَالُ لَهَا وَدّانَ ، وَهِيَ أَوّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا بِنَفْسِهِ وَكَانَتْ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ وَحَمَلَ لِوَاءَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَكَانَ

أَبْيَضَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، وَخَرَجَ فِي الْمُهَاجِرِينَ خَاصّةً يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَادَعَ مَخْشِيّ بْنَ عَمْرٍو الضّمْرِيّ وَكَانَ سَيّدَ بَنِي ضَمْرَةَ فِي زَمَانِهِ عَلَى أَلّا يَغْزُو بَنِي ضَمْرَةَ ، وَلَا يَغْزُوهُ وَلَا أَنْ يُكَثّرُوا عَلَيْهِ جَمْعًا ، وَلَا يُعِينُوا عَلَيْهِ عَدُوّا ، وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

٥- **غزوة بُواط** : قال ابن القيم:

٣٤٨- " ثُمّ غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بُوَاطَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ، وَحَمَلَ لِوَاءَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ ، وَكَانَ أَبْيَضَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ، وَخَرَجَ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ، فِيهَا أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ الْجُمَحِيّ ، وَمِائَةُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَلْفَانِ وَخَمْسِمِائَةِ بَعِيرٍ فَبَلَغَ بُوَاطًا ، وَهُمَا جَبَلَانِ فَرْعَانِ أَصْلُهُمَا وَاحِدٌ مِنْ جِبَالِ جُهَيْنَةَ ، مِمّا يَلِي طَرِيقَ الشّامِ ، وَبَيْنَ بُوَاطَ وَالْمَدِينَةِ نَحْوُ أَرْبَعَةِ بُرُدٍ فَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا فَرَجَعَ.

٦- **غزوة ذي العُشَيرة**: قال ابن القيم:

٣٤٩- " ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ عَلَى رَأْسِ سِتّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَحَمَلَ لِوَاءَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَكَانَ أَبْيَضَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ - عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيّ ، وَخَرَجَ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَيُقَالُ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُكْرِهْ أَحَدًا عَلَى الْخُرُوجِ وَخَرَجُوا عَلَى ثَلَاثِينَ بَعِيرًا يَعْتَقِبُونَهَا يَعْتَرِضُونَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ذَاهِبَةً إلَى الشّامِ ، وَقَدْ كَانَ جَاءَهُ الْخَبَرُ بِفُصُولِهَا مِنْ مَكّةَ فِيهَا أَمْوَالٌ لِقُرَيْشٍ ، فَبَلَغَ ذَا الْعَشِيرَةِ ، وَقِيلَ الْعُشَيْرَاءُ بِالْمَدّ . وَقِيلَ الْعَسِيرَةِ بِالْمُهْمَلَةِ وَهِيَ بِنَاحِيَةِ يَنْبُعَ ، وَبَيْنَ يَنْبُعَ وَالْمَدِينَةِ تِسْعَةُ بُرُدٍ فَوَجَدَ الْعِيرَ قَدْ فَاتَتْهُ بِأَيّامٍ وَهَذِهِ هِيَ الْعِيرُ الّتِي خَرَجَ فِي طَلَبِهَا حِينَ رَجَعَتْ مِنْ الشّامِ ، وَهِيَ الّتِي وَعَدَهُ اللهُ إيّاهَا ، أَوْ الْمُقَاتِلَةُ وَذَاتُ الشّوْكَةِ وَوَفّى لَهُ بِوَعْدِهِ . وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَادَعَ بَنِي مُدْلِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ".

تلك غزوات ثلاث خرج فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان هدفها أيضًا قريش وتجارتها، ولم يحدث فيها قتال.

٧-غزوة سفوان (بدر الأولى):

هذه الغزوة سببها أن كرز بن جابر الفهري أغار على المدينة بقوات خفيفة ،ونهب بعض المواشي ؛فخرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلًا حتى بلغ وادي سفوان من ناحية بدر ، لكنه لم يدرك كرزًا، ورجع دون حرب .

٨- **سرية نخلة**: وقائدها عبد الله بن جحش في اثني عشر رجلًا من المهاجرين إلى موضع نخلة بين مكة والطائف ؛ ليرصُدَ عيرًا لقريشٍ ويعلمَ من أخبارِهم، ويلاحظ أنه في موضع بعيد جدًا عن المدينة وفي طريق الطائف ، وقريب من مكة؛ لإشعار قريش بالخطر على تجارتهم في كل ناحية.

قال ابن القيم:

٣٥٠- " ثُمّ بَعَثَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ جَحْشٍ الْأَسَدِيّ إلَى نَخْلَةَ فِي رَجَبٍ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ الْهِجْرَةِ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كُلّ اثْنَيْنِ يَعْتَقِبَانِ عَلَى بَعِيرٍ، فَوَصَلُوا إلَى بَطْنِ نَخْلَةَ يَرْصُدُونَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَفِي هَذِهِ السّرِيّةِ سَمّى عَبْدَ اللّهِ بْنَ جَحْشٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَتَبَ لَهُ كِتَابًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمّ يَنْظُرَ فِيهِ وَلَمّا فَتَحَ الْكِتَابَ وَجَدَ فِيهِ "إذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا ، فَامْضِ حَتّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكّةَ وَالطّائِفِ ، فَتَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا ، وَتَعْلَمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

فَقَالَ سَمْعًا وَطَاعَةً، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَبِأَنّهُ لَا يَسْتَكْرِهُهُمْ فَمَنْ أَحَبّ الشّهَادَةَ فَلْيَنْهَضْ وَمَنْ كَرِهَ الْمَوْتَ فَلْيَرْجِعْ وَأَمّا أَنَا فَنَاهِضٌ فَمَضَوْا كُلّهُمْ.

فَلَمّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطّرِيقِ أَضَلّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا كَانَا يَعْتَقِبَانِهِ فَتَخَلّفَا فِي طَلَبِهِ وَبَعُدَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشٍ حَتّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ فَمَرّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيبًا وَأَدَمًا وَتِجَارَةً فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيّ ، وَعُثْمَانُ وَنَوْفَلٌ ابْنَا عَبْدِ اللّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى بَنِي الْمُغِيرَةِ .

فَتَشَاوَرَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا : نَحْنُ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ الشّهْرِ الْحَرَامِ فَإِنْ قَاتَلْنَاهُمْ انْتَهَكْنَا الشّهْرَ الْحَرَامَ وَإِنْ تَرَكْنَاهُمْ اللّيْلَةَ دَخَلُوا الْحَرَمَ ، ثُمّ أَجْمَعُوا عَلَى مُلَاقَاتِهِمْ فَرَمَى أَحَدُهُمْ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيّ فَقَتَلَهُ وأسروا عثمان والحكم ، وأفلت نوفل ، ثم قدموا بالعير والأسيرين، وقد عزلوا من ذلك الخمس ، وهو أول خمس كَانَ فِي الْإِسْلَامِ وَأَوّلُ قَتِيلٍ فِي

الْإِسْلَامِ وَأَوّلُ أَسِيرَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنْكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْهِمْ مَا فَعَلُوهُ وَاشْتَدّ تَعَنّتُ قُرَيْشٍ وَإِنْكَارُهُمْ ذَلِكَ وَزَعَمُوا أَنّهُمْ قَدْ وَجَدُوا مَقَالًا ، فَقَالُوا: قَدْ أَحَلّ مُحَمّدٌ الشّهْرَ الْحَرَامَ وَاشْتَدّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ حَتّى أَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} [الْبَقَرَةِ ٢١٧] يَقُولُ سُبْحَانَهُ هَذَا الّذِي أَنْكَرْتُمُوهُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا ، فَمَا ارْتَكَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ مِنْ الْكُفْرِ بِاَللّهِ وَالصّدّ عَنْ سَبِيلِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ وَإِخْرَاجِ الْمُسْلِمِينَ الّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ مِنْهُ وَالشّرْكِ الّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَالْفِتْنَةِ الّتِي حَصَلَتْ مِنْكُمْ بِهِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قِتَالِهِمْ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ حَكَمَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَلَمْ يُبْرِئْ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ ارْتِكَابِ الْإِثْمِ بِالْقِتَالِ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ بَلْ أَخْبَرَ أَنّهُ كَبِيرٌ وأن ما عليه أعداؤه المشركين أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ مُجَرّدِ الْقِتَالِ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ فَهُمْ أَحَقّ بِالذّمّ وَالْعَيْبِ وَالْعُقُوبَةِ لَا سِيّمَا وَأَوْلِيَاؤُهُ كَانُوا مُتَأَوّلِينَ فِي قِتَالِهِمْ ذَلِكَ أَوْ مُقَصّرِينَ نَوْعَ تَقْصِيرٍ يَغْفِرُهُ اللّهُ لَهُمْ فِي جَنْبِ مَا فَعَلُوهُ مِنْ التّوْحِيدِ وَالطّاعَاتِ وَالْهِجْرَةِ مَعَ رَسُولِهِ وَإِيثَارِ مَا عِنْدَ اللّهِ.(١)

<u>ملاحظة هامة :</u>

بالنظر في هذه الوقائع نلاحظ أنها جميعًا – باستثناء غزوة سفوان - كانت موجهة لقريش التي ذكرنا من عدوانها ما ذكرنا – مما يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبدأ أحدًا أو قبيلة بقتال ، إلا تجارة قريش ، وقد كانت حالة الحرب قائمة بينها وبين المسلمين، وكانت قريش البادئة قطعًا بالعدوان .

---

(١) نقلنا أخبار هذه السرايا والغزوات الثمانية من زاد المعاد للإمام ابن القيم .

الفصل السادس:

أحداث فى المدينة،

بين الهجرة وبدر الكبرى:

هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل إلى قباء في ٨ ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة، وكانت بدر في رمضان من السنة الثانية للهجرة أي: بعد ١٧ أو ١٨ شهرًا، وقد حدثت أمور هامة فى تلك الفترة.

الوباء:

كانت حمى بالمدينة عندما انتقل إليها المهاجرون، وخصوصًا في وقت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وقد مرض في هذا الوباء أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، وغيرهما.

روى البخاري عن عائشة قالت:

٣٥١- لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ [1] وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ[2] وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[3]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ.

قَالَتْ وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ، قَالَتْ فَكَانَ بُطْحَانُ [1] يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا[2].

---

١ – اذخر وجليل: جبلان بمكة.

٢ – مجنة: موضع على بعد أميال من مكة به عين ماء.

٣ – شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

وعند مالك زيادة:

٣٥٢- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

وكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ فَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجِنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ[٣].

قَالَ مَالِك: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَقُولُ:

قَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ.[٤].

أقول : والزيادة تبين مرض عامر بن فهيرة أيضا مما يعني أن الوباء أصاب كثيرا من الناس.

وانقشع الوباء ببركة دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم):

---

١ – بطحان: تعني وادي المدينة.

٢ – يجري نجلا تعني ماء آجنا: التفسير هو من الراوي عن عائشة: ومعناه ماء متغير فكان هو سبب الوباء.

٣ – رواه البخاري (١٧٥٦) ترقيم العالمية ، ومسلم وأحمد ومالك.

٤ – موطأ مالك (١٣٨٥) العالمية.

٣٥٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ: رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ وَهِيَ الْجُحْفَةُ"[١].

والرواية الثانية تبين أن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم صراحة:

٣٥٤- عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ وَهِيَ الْجُحْفَةُ"[٢].

وهذا الحديث يؤذن بانتهاء الوباء، وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم ،فقد دعا بخروج الوباء إلى الجحفة، ولم أجد مصدرًا يبين مدة بقاء الوباء بالمدينة.

<u>دلالة وعظة:</u>

يتضحتمامًا من الحديث حب المهاجرين لمكة، وحنينهم إليها، وهو شعور بشري فطري، لا يمنعه الإسلام، ولذلك لا يجب أن نتصور أن هناك تعارضًا بين حب الإنسان لقريته أو مدينته أو دولته، وبين حبه لبلاد الإسلام جميعًا،لا تعارض بين القومية والإسلام، كما يتصوره البعض بفهم خاطيء أو يدعيه خصوم الإسلام؛ من أجل استثارة النعرات القومية في مواجهة المطالبة بالوحدة الإسلامية، بما تشمله من وحدة المشاعر والعاطفة ووحدة المصالح ووحدة الهدف، ثم الوحدة السياسية تتويجًا لكل ذلك.

<u>الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال لبلده مكة عند الهجرة فيما رواه الترمذي:</u>

٣٥٥- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ ابْنِ حَمْرَاءَ الزُّهْرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ".[٣]

صفحة من الحياة الخاصة للكريم (صلى الله عليه وسلم):

<u>الدخول بعائشة رضي الله عنها:</u>

---

[١] – البخاري (٦٥١٧).

[٢] – البخاري (٦٥١٨).

[٣] – رواه الترمذي ٣٨٦٠) ترقيم العالمية ، وقال: حسن غريب صحيح.

٣٥٦- عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي! قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ"[1].

وفى ذِكْر شوال في الحديث والتأكيد عليه من السيدة عائشة، رَدٌّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين؛ خشية المفارقة بين الزوجين، ذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

توقيت العقد والبناء على عائشة وسودة بنت زمعة:

روى البخاري عن عروة بن الزبير قال:

٣٥٧- تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ"[2].

قال الحافظ في الفتح:

قَوْله : " فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ " أَيْ لَمْ يَدْخُل عَلَى أَحَد مِنْ النِّسَاء، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى سَوْدَة بِنْت زَمْعَة قَبْل أَنْ يُهَاجِر، ثُمَّ بَنَى بِعَائِشَة بَعْد أَنْ هَاجَرَ، فَكَأَنَّ ذِكْر سَوْدَة سَقَطَ عَلَى بَعْض رُوَاته .

وقد أورد ابن حجر ما يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على سودة بمكة، وعلى عائشة بعد الهجرة ، قال:

٣٥٨- وَقَدْ رَوَى أَحْمَد وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ عَائِشَة قَالَتْ : " لَمَّا تُوُفِّيَتْ خَدِيجَة قَالَتْ خَوْلَة بِنْت حَكِيم اِمْرَأَة عُثْمَان بْن مَظْعُون : يَا رَسُول اللَّه أَلَا تَزَوَّج ؟ قَالَ : نَعَمْ، فَمَا عِنْدك ؟ قَالَتْ : بِكْر وَثَيِّب؛ الْبِكْر بِنْت أَحَبّ خَلْق اللَّه إِلَيْك عَائِشَة، وَالثَّيِّب سَوْدَة بِنْت زَمْعَة. قَالَ: فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ.

فَدَخَلَتْ عَلَى أَبِي بَكْر فَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ بِنْت أَخِيهِ، قَالَ: قُولِي لَهُ أَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَام، وَابْنَتك تَصْلُح لِي فَجَاءَهُ فَأَنْكَحَهُ .

---

[1] – مسلم (٢٥٥١). العالمية.

[2] – رواه البخاري ٣٦٠٧.

ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَى سَوْدَة فَقَالَتْ لَهَا : أَخْبِرِي أَبِي، فَذَكَرَتْ لَهُ فَزَوَّجَهُ.
وَذَكَرَ اِبْن إِسْحَاق وَغَيْره أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى سَوْدَة بِمَكَّة.
وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ عَائِشَة قَالَتْ: "لَمَّا هَاجَرَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْر خَلَّفَنَا بِمَكَّة، فَلَمَّا اِسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ بَعَثَ زَيْد بْن حَارِثَة وَأَبَا رَافِع، وَبَعَثَ أَبُو بَكْر عَبْد اللَّه بْن أُرَيْقِط، وَكَتَبَ إِلَى عَبْد اللَّه بْن أَبِي بَكْر أَنْ يَحْمِل مَعَهُ أُمّ رُومَان وَأُمّ أَبِي بَكْر وَأَنَا وَأُخْتِي أَسْمَاء، فَخَرَجَ بِنَا، وَخَرَجَ زَيْد وَأَبُو رَافِع بِفَاطِمَة وَأُمّ كُلْثُوم وَسَوْدَة بِنْت زَمْعَة، وَأَخَذَ زَيْد اِمْرَأَته أُمّ أَيْمَن وَوَلَدَيْهَا أَيْمَن وَأُسَامَة ، وَاصْطَحَبْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَة فَنَزَلْت فِي عِيَال أَبِي بَكْر ، وَنَزَلَ آلُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْده ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يَبْنِي الْمَسْجِد وَبُيُوته ، فَأَدْخَلَ سَوْدَة بِنْت زَمْعَة أَحَد تِلْكَ الْبُيُوت ، وَكَانَ يَكُون عِنْدهَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر : مَا يَمْنَعك أَنْ تَبْنِي بِأَهْلِك ؟ فَبَنَى بِي" الْحَدِيث . قَالَ الْمَاوَرْدِيّ : الْفُقَهَاء يَقُولُونَ : تَزَوَّجَ عَائِشَة قَبْل سَوْدَة ، وَالْمُحَدِّثُونَ يَقُولُونَ : تَزَوَّجَ سَوْدَة قَبْل عَائِشَة.
وَقَدْ يُجْمَع بَيْنهمَا بِأَنَّهُ عَقَدَ عَلَى عَائِشَة وَلَمْ يَدْخُل بِهَا وَدَخَلَ بِسَوْدَةَ . قُلْت: وَالرِّوَايَة الَّتِي ذَكَرْتهَا عَنْ الطَّبَرَانِيّ تَرْفَع الْإِشْكَال وَتُوَجِّه الْجَمْع الْمَذْكُور ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِسْمَاعِيلِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد بْن يَحْيَى عَنْ هِشَام عَنْ أَبِيهِ " أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْوَلِيد: إِنَّك سَأَلْتنِي مَتَى تُوُفِّيَتْ خَدِيجَة ؟ وَإِنَّهَا تُوُفِّيَتْ قَبْل مَخْرَج النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة بِثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ قَرِيب مِنْ ذَلِكَ، نَكَحَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَة بَعْد مُتَوَفَّى خَدِيجَة ، وَعَائِشَة بِنْت سِتّ سِنِينَ . ثُمَّ إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَى بِهَا بَعْدَمَا قَدِمَ الْمَدِينَة وَهِيَ بِنْت تِسْع سِنِينَ" وَهَذَا السِّيَاق لَا إِشْكَال فِيهِ وَيَرْتَفِع بِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْإِشْكَال أَيْضًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . إِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ بَنَى بِهَا فِي شَوَّال مِنْ السَّنَة الْأُولَى مِنْ الْهِجْرَة قَوَّى قَوْل مَنْ قَالَ إِنَّهُ دَخَلَ بِهَا بَعْد الْهِجْرَة بِسَبْعَةِ أَشْهُر ".ا.هـ.كلام ابن حجر.

<u>تعقيب :</u>

<u>نخلص مما تقدم إلى ما يلي:</u>

١- إن النبي صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة، وعلى سودة بنت زمعة بعد وفاة خديجة بوقت يسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.

٢- إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل على واحدة منهما مدة سنتين، ثم دخل على سودة بنت زمعة بعد سنتين، أي قبل الهجرة بسنة.

٣- دخل النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد الهجرة بسبعة أشهر في شهر شوال من السنة الأولى من الهجرة (من ربيع الأول إلى شوال).

٤- كان بين العقد على عائشة والبناء بها، ثلاث سنين، وبين العقد على سودة والدخول بها، سنتان.

بساطة زفاف الصدّيقة إلى أشرف الخلق أجمعين (صلى الله عليه وسلم):

٣٥٩- روى البخاري :

عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

" تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً[١] ، فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي فَصَرَخَتْ بِي، فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي.

ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ "[٢].

إكمال الصلاة:

٣٦٠- روى البخاري:

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: الصَّلَاةُ أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَأُتِمَّتْ صَلَاةُ الْحَضَرِ[٣].

---

١ – فوعِكْتُ: أى أُصِبْتُ بالحمي. فتمرق شعرى: تساقط. فوفَّي جُمَيْمة أي كثر شعرى حتى بلغ جُمة صغيرة بعد أن تعافيت من المرض. والجمةُ : إذا بلغ الشعر المنكبين قيل له جُمَّة.

٢ – البخاري٣٦٠٥ عن هشام عن أبيه عروة بن الزبير.

٣ – البخاري١٠٢٨

قال ابن جرير: "وفي هذه السنة .يعني السنة الأولى من الهجرة .زيد في صلاة الحضر فيما قيل: ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، ذلك بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر ،في ربيع الآخر لمضيّ ثنتي عشرة ليلة مضت"[١] .

تشريع الأذان:

روى أبو داود عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال:

٣٦١- لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ، طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى، قَالَ فَقَالَ تَقُولُ:

(اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

قَالَ ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ وَتَقُولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ:

(اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ قَدْ قَامَتْ الصَّلَاةُ قَدْ قَامَتْ الصَّلَاةُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ فَقَالَ إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ.

فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

قَالَ أَبُو دَاوُد: هَكَذَا رِوَايَةُ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ و قَالَ فِيهِ ابْنُ إِسْحَقَ عَنْ الزُّهْرِيِّ (اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ) و قَالَ مَعْمَرٌ وَيُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ فِيهِ (اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ) لَمْ يُثَنِّيَا"[١].

---

١ – عن الأساس في السنة ـ السيرة النبوية ١/ ٤٢٢.

وعند الدرامي زيادة تبين أن ذلك كان بالمدينة:

٣٦٢- عن مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَقَ قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَهَا - قَالَ أَبُو مُحَمَّد يَعْنِي الْمَدِينَةَ - إِنَّمَا يُجْتَمَعُ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ لِحِينِ مَوَاقِيتِهَا بِغَيْرِ دَعْوَةٍ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ لِصَلَاتِهِمْ ثُمَّ كَرِهَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ... الحديث ". [٢]

دلالة وعظة:

يعجب المرء ، لمَ لمْ يكن تشريع الأذان بوحي مباشرٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولِمَ كان من خلال رؤيا عبد الله بن زيد، أو عمر بن الخطاب؟

والجواب على ذلك .والله أعلم:

هو أن الله شاء أن تكون مسألة الأذان مسألة اهتمام من جميع الصحابة وتشغل فكرهم، كما شغلت فكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فَهَمَّ بالبوق، ثم كرهه ،ثم أمر بالناقوس فنحت، يعني هناك حالة من الاهتمام العام بقضية الأذان ، لأنه نداء إلى أهم عبادة في حياة المسلمين...الصلاة.

وإذا وافقنا مفسري الأحلام على أن أحد أسباب الأحلام هو اهتمام المرء الشديد بأمر ما ، إذن فاشتراك عمر، وابن زيد في الرؤيا يدل على اهتمام عام.

ثم إن الله شاءت حكمته أن يعطي لبعض الصحابة شرفا ومكانة جزاء ما يعلمه - سبحانه - من إخلاصهم فيكون التشريع بسبب عمل أحدهم، أو رؤيا أحدهم، أو طلب أحدهم والأمثلة في ذلك عديدة: موافقات القرآن لعمر رضي الله عنه ، وذكر القرآن لأبي بكر، والآيات التي سبب نزولها فعل بعض الصحابة وما جرى في حديث الإفك، وتبرئة السيدة عائشة، والعفو عن مسطح، وهذا كله بعض حكمة الله ،التي لا يعلمها إلا هو سبحانه، ويقدرها كيف شاء.

---

١ – رواه أبو داود (٤٢١) بسند صحيح رواته ثقات إلا محمد بن إسحاق مُدَلِّس (موسوعة حرف) : أقول : روايته مقبوله إذا قال حدثنا، ورواه أحمد، وابن ماجه والدرامي.

٢ – رواه الدرامي ١١٦٣ العالمية . حرف.

تحويل القبلة إلى البيت العتيق:

حدث ذلك في شهر شعبان، من السنة الثانية من الهجرة . أي قبل غزوة بدر بشهر تقريبًا- مع ملاحظة أن حساب السنة الأولى من الهجرة لا يبتدئ من حادث الهجرة ذاته في شهر ربيع الأول، وإنما تبتدئ السنة الأولى من شهر المحرم في السنة التي هاجر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع.

٣٦٣- عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ:

"أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا.
وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ.
وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ.

وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ.

قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}[1].

<u>نخلص من شرح الحافظ ابن حجر لهذا الحديث فتح الباري (بتصرف) إلى:</u>

١- أن العلماء اختلفوا في الجهة التي كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوجه إليها للصلاة وهو بمكة:

فقيل كان يصلي إلى بيت المقدس، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس (وهو الراجح) وقيل إلى بيت المقدس على الإطلاق، وقيل كان يصلي إلى الكعبة، فلما تحول إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس، وهو ضعيف.

---

[1] – رواه البخاري برقم **٣٩** كتاب الإيمان.

٢- في قوله (ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا): اختلفت الروايات في كتب السنة، وتوضيح ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قدم في شهر ربيع الأول. وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية للهجرة على الصحيح الذى عليه الجمهور، فَمَنْ لَفَّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا جزم بستة عشر شهرًا، ومن جزم بسبعة عشر شهرًا، فقد عدَّ شهر القدوم وشهر التحويل، وهناك روايات بثمانية عشر شهرًا، على أن التحويل حصل فى نصف شعبان، أما النووي: فقد اختار أن التغيير كان في نصف شعبان رغم أنه رجح في شرح مسلم رواية ستة عشر شهرًا، وعليه فيكون قد ألغى شهر القدوم وشهر التحويل.

٣- في قوله (أول صلاة صلاها صلاة العصر): أى أول صلاة صلاها متوجهًا إلى الكعبة صلاة العصر في المسجد النبوى. أما في مسجد بنى سلمة فكانت أول صلاة صلاها إلى الكعبة صلاة الظهر.، أي قبل صلاته العصر في المسجد النبوى.

قال الحافظ: " وَالتَّحْقِيق أَنَّ أَوَّل صَلَاة صَلَّاهَا فِي بَنِي سَلِمَة لَمَّا مَاتَ بِشْر بْن الْبَرَاء بْن مَعْرُور الظُّهْر، وَأَوَّل صَلَاة صَلَّاهَا بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ الْعَصْر".

٤- قوله (فخرج رجل) هو عباد بن بشر، كما رواه ابن منده من حديث طويلة بنت أسلم، وقيل هو عباد بن نَهِيك.

قال الحافظ: "قِيلَ هُوَ عَبَّاد بْن بِشْر الَّذِي أَخْبَرَ أَهْل قُبَاء فِي صَلَاة الصُّبْح كَمَا فِي حَدِيث اِبْن عُمَر حَيْثُ ذَكَرَهُ الْمُصَنِّف فِي كِتَاب الصَّلَاة".

وقال : " وَقِيلَ هُوَ عَبَّاد بْن نَهِيك بِفَتْحِ النُّون وَكَسْر الْهَاء ، وَأَهْل الْمَسْجِد الَّذِينَ مَرَّ بِهِمْ قِيلَ هُمْ مِنْ بَنِي سَلِمَة".

٤- (فمر على أهل مسجد): هم بنو حارثة أو بنو سلمة – داخل المدينة ، ويكون الذى أخبرهم عباد بن بشر أو عباد بن نهيك ، وذلك فى صلاة العصر،

أو هم أهل قباء في صلاة الصبح، كما في كتاب الصلاة عند البخاري

من حديث ابن عمر قال:

"بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ".

قال الحافظ:

"وَالْجَوَاب أَنْ لَا مُنَافَاة بَيْن الْخَبَرَيْنِ، لِأَنَّ الْخَبَر وَصَلَ وَقْت الْعَصْر إِلَى مَنْ هُوَ دَاخِل الْمَدِينَة وَهُمْ بَنُو حَارِثَة وَذَلِكَ فِي حَدِيث الْبَرَاء، وَالْآتِي إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَبَّاد بْن بِشْر أَوْ اِبْن نَهِيك كَمَا تَقَدَّمَ، وَوَصَلَ الْخَبَر وَقْت الصُّبْح إِلَى مَنْ هُوَ خَارِج الْمَدِينَة وَهُمْ بَنُو عَمْرو بْن عَوْف أَهْل قُبَاء وَذَلِكَ فِي حَدِيث اِبْن عُمَر ، وَلَمْ يُسَمَّ الْآتِي بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ اِبْن طَاهِر وَغَيْره نَقَلُوا أَنَّهُ عَبَّاد بْن بِشْر فَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَرَدَ فِي حَقّ بَنِي حَارِثَة فِي صَلَاة الْعَصْر ، فَإِنْ كَانَ مَا نَقَلُوا مَحْفُوظًا فَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون عَبَّاد أَتَى بَنِي حَارِثَة أَوَّلًا فِي وَقْت الْعَصْر ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى أَهْل قُبَاء فَأَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ فِي وَقْت الصُّبْح .

٦- قوله (مات على القبلة رجال وقتلوا): أي: قبلة بيت المقدس قَبْل أن تُحوّل، وعن ابن عباس أنهم عشرة، ماتوا بعد فرض الصلاة وقبل تحويل القبلة.

من الحكم الربانية في تحويل القبلة:

أولًا: تأكيد التوجه للمعبود وحده سبحانه وتعالى: فالمولى عز وجل يمتحن المؤمنين بالتوجه إلى الكعبة، ويمتحنهم بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم العودة إلى استقبال الكعبة؛ لكي يترسخ في القلوب أن توجه العبد إلى قبلة ما .الكعبة أو غيرها .ليس تفضيلًا لها في ذاتها ، وإنما لأن الله سبحانه هو الذي أمر بذلك، وإن كان ثمة فضل لمكان أو لشخص أو لشيء ، فإن هذا الفضل حصل له بإرادة الله ،ذلك، بتفضيل الله لهذا المكان أو هذا الزمان أو هذا الشيء، فلا يجب أن يغفل الناس عن الآمِر وصاحب الفضل .سبحانه .وينشغلوا بمخلوقاته، ولا يجب أبدًا أن يصعب على النفس تغير الوجهَة ، وتغير الهوى عندما يكون ذلك بأمر الله-سبحانه- هذا هو مبدأ الإسلام الذي هو (الاستسلام التام للخالق جل في علاه) ، وهذا هو الأصل في العبادة، مهما تغير شكل هذه العبادة.

ثانيًا: المعنى الثاني في تغيير القبلة هو تفضيل جوهر العبادة على شكل العبادة: فقد قال عز وجل في القرآن الكريم: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُتَّقُونَ) (البقرة:١٧٧)

المعنى واضح جدًا: ليس البر، وليس الإحسان ، وليست العبادة الحقيقية في التوجه شرقًا أو غربًا، وإنما العبادة هي العبودية (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، وهي التضحية بالنفيس قربى إلى الله عز وجل (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ..).

(وأقام الصلاة): أَوَليس الاتجاه إلى القبلة جزء من إقامة الصلاة؟!

كأن الحق تبارك وتعالى يبين أن إقامة الصلاة هي في الخشوع والخضوع وحضور القلب، والاتصال الحقيقي بالله سبحانه، وأن شكل القيام والركوع والسجود مقصود ليوصل إلى هذه الصلة بالله سبحانه وتعالى.

(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) و (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)..هذه هي جواهر الإسلام.

على المسلمين أن يراجعوا أنفسهم : هل فهموا الإسلام حق الفهم؟

وهل قاموا بحقائق العبادات أم اكتفوا بأشكالها؟

الباب السابع:

مرحلة تكالب الأعداء والصمود العسكرى:

بين بدر، وأحد، والأحزاب:

الفصل الأول:

غزوة بدر الكبرى:

مقدمات:

تكلمنا فيما سبق عن أسباب الاستعدادات العسكرية للرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة، وكان فيما ذكرنا من الأسباب: تحرشات قريش بالمسلمين بعد الهجرة ، إذ إن قريشًا لم تكتف بما اقترفته في حق المسلمين من جرائم طيلة ١٣ عامًا في مكة.

وكان مما ذكرنا من تحرشات:

كتابة قريش إلى ابن سلول:

وكان مازال على شركه، قبل أن يعلن الإسلام نفاقًا.

٣٦٤- روى أبو داود بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ.

" فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَرَّقُوا".[١]

ومن مقدمات الغزوة أيضًا، حديث طواف سعد بالبيت:

٣٦٥- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حَدَّثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذ:

---

١ – رواه أبو داود ٢٦٠ ترقيم العالمية بسند رجاله رجل الصحيح إلا محمد بن داود بن سفيان وهو مقبول موسوعة الحديث الشريف . حرف.

"أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ.

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ فَقَالَ لِأُمَيَّةَ: انْظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا وَقَدْ أَوَيْتُمْ الصُّبَاةَ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا.

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لَأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ. قَالَ بِمَكَّةَ؟ قَالَ لَا أَدْرِي، فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا.

فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ يَا أُمَّ صَفْوَانَ أَلَمْ تَرَيْ مَا قَالَ لِي سَعْدٌ؟ قَالَتْ وَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ فَقُلْتُ لَهُ بِمَكَّةَ قَالَ لَا أَدْرِي. فَقَالَ أُمَيَّةُ وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ قَالَ أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ، فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي تَخَلَّفُوا مَعَكَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ أَمَّا إِذْ غَلَبْتَنِي فَوَاللَّهِ لَأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَدَ بَعِيرٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِي، فَقَالَتْ لَهُ يَا أَبَا صَفْوَانَ وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ لَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلَّا قَرِيبًا، فَلَمَّا خَرَجَ أُمَيَّةُ أَخَذَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا عَقَلَ بَعِيرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ".[١]

<u>رؤيا عاتكة:</u>

<u>٣٦٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:</u> فَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ،وَيَزِيدُ ابْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَا :

---

١ – رواه البخاري ٣٦٥٦ العالمية.

وَقَدْ رَأَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطّلِب، قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكّةَ بِثَلَاثِ لَيَالٍ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهَا. فَبَعَثَتْ إلَى أَخِيهَا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَقَالَتْ لَهُ يَا أَخِي ، وَاَللّهِ لَقَدْ رَأَيْت اللّيْلَةَ رُؤْيَا أَفْظَعَتْنِي ، وَتَخَوّفْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى قَوْمِك مِنْهَا شَرّ وَمُصِيبَةٌ فَاكْتُمْ عَنّي مَا أُحَدّثُك بِهِ.

فَقَالَ لَهَا : وَمَا رَأَيْتِ ؟ قَالَتْ رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ حَتّى وَقَفَ بِالْأَبْطَحِ ثُمّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَلَا انْفِرُوا يَا لَغُدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ، فَأَرَى النّاسَ اجْتَمَعُوا إلَيْهِ ثم دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَالنّاسُ يَتْبَعُونَهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ حَوْلَهُ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمّ صَرَخَ بِمِثْلِهَا : أَلَا انْفِرُوا يَا لَغُدُرَ لِمَصَارِعِكُمْ فِي ثَلَاثٍ، ثُمّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ عَلَى رَأْسِ أَبِي قُبَيْسٍ فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا. ثُمّ أَخَذَ صَخْرَةً فَأَرْسَلَهَا. فَأَقْبَلَتْ تَهْوِي ، حَتّى إذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ ارْفَضّتْ فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكّةَ وَلَا دَارٌ إلّا دَخَلَتْهَا مِنْهَا فَلِقَةٌ.

قَالَ الْعَبّاسُ وَاَللّهِ إنّ هَذِهِ لَرُؤْيَا، وَأَنْتِ فَاكْتُمِيهَا، وَلَا تَذْكُرِيهَا لِأَحَدٍ .

ثُمّ خَرَجَ الْعَبّاسُ فَلَقِيَ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ لَهُ صِدّيقًا ، فَذَكَرَهَا لَهُ وَاسْتَكْتَمَهُ إيّاهَا . فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ عُتْبَةَ فَفَشَا الْحَدِيثُ بِمَكّةَ حَتّى تَحَدّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا .

مَا جَرَى بَيْنَ أَبِي جَهْلٍ وَالْعَبّاسِ بِسَبَبِ الرّؤْيَا:

قَالَ الْعَبّاسُ فَغَدَوْت لِأَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُعُودٌ يَتَحَدّثُونَ بِرُؤْيَا عَاتِكَةَ ، فَلَمّا رَآنِي أَبُو جَهْلٍ قَالَ: يَا أَبَا الْفَضْلِ إذَا فَرَغْت مِنْ طَوَافِك فَأَقْبِلْ إلَيْنَا ، فَلَمّا فَرَغْتُ أَقْبَلْتُ حَتّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ فَقَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، مَتَى حَدَثَتْ فِيكُمْ هَذِهِ النّبِيّةَ ؟ قَالَ قُلْت : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ تِلْكَ الرّؤْيَا الّتِي رَأَتْ عَاتِكَةُ ؛ قَالَ فَقُلْت : وَمَا رَأَتْ ؟ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ يَتَنَبّأَ رِجَالُكُمْ حَتّى تَتَنَبّأَ نِسَاؤُكُمْ، قَدْ زَعَمَتْ عَاتِكَةُ فِي رُؤْيَاهَا أَنّهُ قَالَ انْفِرُوا فِي ثَلَاثٍ، فَسَنَتَرَبّصُ بِكُمْ هَذِهِ الثّلَاثَ فَإِنْ يَكُ حَقّا مَا تَقُولُ فَسَيَكُونُ وَإِنْ تَمْضِ الثّلَاثُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ نَكْتُبْ عليكُمْ كِتابًا أنّكمْ أَكْذَبَ أهْلَ بَيْتٍ فِي الْعَرَبِ.

قَالَ الْعَبّاسُ: فَوَاَللّهِ مَا كَانَ مِنّي إلَيْهِ كَبِيرٌ إلّا أَنّي جَحَدْتُ ذَلِكَ وَأَنْكَرْت أَنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا .

قَالَ ثُمّ تَفَرّقْنَا .

نِسَاءُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ يَلُمْنَ الْعَبّاسَ للينه مَعَ أَبِي جَهْلٍ:

فَلَمّا أَمْسَيْتُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ إلّا أَتَتْنِي ، فَقَالَتْ أَقْرَرْتُمْ لِهَذَا الْفَاسِقِ الْخَبِيثِ أَنْ يَقَعَ فِي رِجَالِكُمْ، ثُمّ قَدْ تَنَاوَلَ النّسَاءَ وَأَنْتَ تَسْمَعُ ثُمّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَك غِيَرٌ لِشَيْءٍ مِمّا سَمِعْت ، قَالَ قُلْت : قَدْ وَاَللّهِ فَعَلْتُ مَا كَانَ مِنّي إلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ . وَايْمُ اللّهِ لَأَتَعَرّضَنّ لَهُ فَإِنْ عَادَ لأَكْفِيَنّكُنّه .

الْعَبّاسُ يَقْصِدُ أَبَا جَهْلٍ لِيَنَالَ مِنْهُ فَيَصْرِفُهُ عَنْهُ تَحَقّقُ الرّؤْيَا:

قَالَ فَغَدَوْتُ فِي الْيَوْمِ الثّالِثِ مِنْ رُؤْيَا عَاتِكَةَ ، وَأَنَا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ أُرَى أَنّي قَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَمْرٌ أُحِبّ أَنْ أُدْرِكَهُ مِنْهُ . قَالَ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْته ، فَوَاَللّهِ إنّي لَأَمْشِي نَحْوَهُ أَتَعَرّضُهُ لِيَعُودَ لِبَعْضِ مَا قَالَ فَأَقَعَ بِهِ وَكَانَ رَجُلًا خَفِيفًا ، حَدِيدَ الْوَجْهِ حَدِيدَ اللّسَانِ حَدِيدَ النّظَرِ. قَالَ إذْ خَرَجَ نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ يَشْتَدّ . قَالَ فَقُلْت فِي نَفْسِي : مَا لَهُ لَعَنَهُ اللّهُ أَكُلّ هَذَا فَرَقٌ مِنّي أَنْ أُشَاتِمَهُ؟ قَالَ وَإِذَا هُوَ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ أَسْمَعْ: صَوْتَ ضَمْضَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيّ ، وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ جَدّعَ بَعِيرَهُ وَحَوّلَ رَحْلَهُ وَشَقّ قَمِيصَهُ وَهُوَ يَقُولُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اللّطِيمَةَ اللّطِيمَةَ أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمّدٌ فِي أَصْحَابِهِ لَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا ، الْغَوْثَ الْغَوْثَ . قَالَ فَشَغَلَنِي عَنْهُ وَشَغَلَهُ عَنّي مَا جَاءَ مِنْ الْأَمْرِ[1] .

القافلة التي أفلتت في غزوة العشيرة:

هي القافلة التي خرج لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كانت ذاهبة إلي الشام ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وصلوا إلى ذي العشيرة ،فوجدوا القافلة، قد سبقت إلى الشام فظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يترصد عودتها.

من ترصَّد للقافلة؟

٣٦٧- روى الإمام مسلم:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَا

[1] – رواه ابن إسحاق وفيه مجهول . سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٢–٤٥٤) وقال الهيثمي فى المجمع (٧٢/٦) رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات.

أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا"[1].

وبسيسة هذا قال عنه النوى (في شرح صحيح مسلم):

معروف في كتب السيرة (بَسبَسَ) هو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر من الأنصار من الخزرج.

وقد روى ذلك أيضا الإمام أحمد في مسنده، أما المباركفوري فى (الرحيق) فقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد ليستطلعا خبرها ،فوصلا إلى الحوراء، ومكثا حتى مر بهما أبو سفيان بالعير فأسرعا إلى المدنية، وأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر.

<u>النفير لم يكن عامًا:</u>

لأن ملاقاة قافلة يحرسها ثلاثون أو أربعون، لا يحتاج لنفير عام ،ففي رواية مسلم السابقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا"، واضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعزم الأمر للناس، وفيها أيضًا:

٣٦٨- "فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا".

وفي حديث كعب بن مالك في المخلفين الثلاثة في غزوة تبوك، أنه لم يُعاتَب أحدٌ ممن لم يشهد بدرًا؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم [2] .

<u>عدة الجيش البدري مع الرسول (صلى الله عليه وسلم):</u>

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر[3].

<u>٣٦٩- وروى البخاري:</u>

---

[1] – رواه مسلم برقم ٣٥٢٠ .

[2] – رواه البخاري في أكثر من موضع،ومسلم وغيرهما.

[3] – أبو داود ٧٩/٣

"عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ: "كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ"[1].

وروى عنه أيضًا، أن المهاجرين كانوا نيفًا وستين ،والأنصار نيِّفًا وأربعين ومائتين[2] .

قلة االظَّهْر:

كان الاثنان والثلاثة يعتقبون على بعير واحد:

ولنقرأ هذا الموقف العظيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الإمام أحمد:

٣٧٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:

كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا[3].

وقال ابن القيم:

٣١٨- وَكَانَ مَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيرًا يَعْتَقِبُ الرّجُلَانِ وَالثّلَاثَةُ عَلَى الْبَعِيرِ الْوَاحِدِ فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَلِيّ ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَابْنُهُ وَكَبْشَةُ مَوَالِي رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا . وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنْ الْخَيْلِ إلّا فَرَسَانِ فَرَسٌ لِلزّبَيْرِ بْنِ الْعَوّامِ ، وَفَرَسٌ لِلْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِي [4].

اللواء والرايتان:

٣٧١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

[1] – البخاري برقم ٣٦٦٣ العالمية.

[2] – البخاري ٣٦٦١

[3] – رواه أحمد برقم ٣٧٠٦

[4] – زاد المعاد ١٥٣/٣

وَدَفَعَ اللّـوَاءَ إلَى مُصْـعَبِ بْـنِ عُمَيْرٍ ، وَكَانَ أَمَـامَ رَسُـولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ رَايَتَـانِ سَوْدَاوَانِ إحداهما مع عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، يُقَالُ لَهَا : الْعُقَابُ، وَالْأُخْرَى مَعَ بَعْضِ الْأَنْصَارِ .

وقال ابن القيم:

٣٧٢- وَدَفَعَ اللّوَاءَ إلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَالرّايَةَ الْوَاحِدَةَ إلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْأُخْرَى الّتِي لِلْأَنْصَارِ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَجَعَلَ عَلَى السّاقَةِ قَيْسَ بْنَ أَبِي صَعْصَعَةَ.

تاريخ الخروج:

٣٢٠- قَـالَ ابْـنُ إسْحَاقَ : وَخَـرَجَ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ فِي لَيَـالٍ مَضَـتْ مِـنْ شَـهْرِ رَمَضَانَ فِي أَصْحَابِهِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : خَرَجَ (يَوْمَ الِاثْنَيْنِ) لِثَمَانِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

طريق الجيش إلى بدر:

ذكـر ابـن إسحاق طريـق الجـيش بـدءًا مـن المدينـة، مـرورًا بـذي الحليفـة، ومـرورًا بالرَّوحـاء ،حتى موضع يقال له عرق الظبية.

سؤال رجل من الأعراب وحواره مع سلمة بن سلامة:

قال ابن إسحاق:

٣٧٣- "حَتّى إذَا كَانَ بِعِرْقِ الظّبْيَةِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الظّبْيَةُ : عَنْ غَيْرِ ابْنِ إسْحَاقَ - لَقُوا رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ النّاسِ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبَرًا ؛

فَقَالَ لَهُ النّاسُ سَلّمْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ أَوَفِيكُمْ رَسُولُ اللّهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَسَلّمَ عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ إنْ كُنْتَ رَسُولَ اللّهِ فَأَخْبِرْنِي عَمّا فِي بَطْنِ نَاقَتِي هَذِهِ.

قَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ: لَا تَسْأَلْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَقْبِلْ عَلَيّ فَأَنَا أُخْبِرُك عَنْ ذَلِكَ . نَزَوْتَ عَلَيْهَا ، فَفِي بَطْنِهَا مِنْك سَخْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ (مَهْ! أَفْحَشْت عَلَى الرّجُلِ، ثُمّ أَعَرَضَ عَنْ سَلَمَةِ) "[1].

دلالة وعظة:

المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وهو في معرض انشغاله بالغزوة بالجيش وبالتعرف على أخبـار عـدوه، لا يترك واحـدًا مـن أصحابه يقـول كلمـة نابيـة أو فاحشـة أو لا تليـق، دون أن

---

[1] – سيرة ابن هشام ٤٥٧/٢ ط دار الحديث .

يعلمه ويؤدبه، وكان صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما ينبه على خطر اللسان، وضرورة انتقاء الكلمة الطيبة وينهى عن الفحش والتفحش.

الرسول (صلى الله عليه وسلم)يرسل عيونًا للسؤال عن قافلة أبي سفيان:

٣٧٤- حَتّى إذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ الصّفْرَاءِ ، بَعَثَ بَسْبَسَ بْنَ الْجُهَنِيّ وَعَدِيّ بْنَ أَبِي الزّغْبَاءِ إلَى بَدْرٍ يَتَحَسّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ .

ثُمّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ قَدِمَهَا . فَلَمّا اسْتَقْبَلَ الصّفْرَاءَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهِمَا مَا اسْمَاهُمَا ؟ فَقَالُوا : يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا ، هَذَا مُسْلِحٌ ، وَلِلْآخَرِ هَذَا مُخْرِئٌ ، وَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِمَا ، فَقِيلَ بَنُو النّارِ وَبَنُو حُرَاقٍ ، بَطْنَانِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَكَرِهَهُمَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُرُورُ بَيْنَهُمَا ، فَتَرَكَهُمَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالصّفْرَاءَ بِيَسَارٍ وَسَلَكَ ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَفِرَانَ، فَجَزَعَ فِيهِ [١] ثُمّ نَزَلَ"[٢].

أبو سفيان يتحسس الأخبار ويرسل إلى مكة:

٣٧٥- وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ دَنَا مِنْ الْحِجَازِ يُتَحَسّسُ الْأَخْبَارَ وَيَسْأَلُ مَنْ لَقِيَ مِنْ الرّكْبَانِ تَخَوّفًا عَلَى أَمْرِ النّاسِ . حَتّى أَصَابَ خَبَرًا مِنْ بَعْضِ الرّكْبَانِ أَنّ مُحَمّدًا قَدْ اسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ لَك وَلِعِيرِك فَحَذِرَ عِنْدَ ذَلِكَ.

فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيّ ، فَبَعَثَهُ إلَى مَكّةَ ، وَأَمَرَ أَنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا فَيَسْتَنْفِرَهُمْ إلَى أَمْوَالِهِمْ وَيُخْبِرَهُمْ أَنّ مُحَمّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا فِي أَصْحَابِهِ . فَخَرَجَ ضَمْضَمُ بْنُ عَمْرٍو سَرِيعًا إلَى مَكّةَ .

وقال ابن إسحاق في موضع آخر:

٣٧٦- وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ حَتّى تَقَدّمَ الْعِيرَ حَذَرًا ، حَتّى وَرَدَ الْمَاءَ فَقَالَ لِمَجْدِيّ بْنِ عَمْرٍو : هَلْ أَحْسَسْت أَحَدًا ، فَقَالَ مَا رَأَيْت أَحَدًا أَنْكَرَهُ إلّا أَنّي قَدْ رَأَيْتُ رَاكِبَيْنِ قَدْ أَنَاخَا إلَى هَذَا التّلّ ثُمّ اسْتَقَيَا فِي شَنّ لَهُمَا ، ثُمّ انْطَلَقَا . فَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ مُنَاخَهُمَا ، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِ

---

١ – جزع فيه: قَطَعَهُ وعَبَرَهُ ولم يتوقف فيه.

٢ – المصدر السابق.

بَعِيرَيْهِمَا ، فَفَتّهُ فَإِذَا فِيهِ النّوَى ؛ فَقَالَ هَذِهِ وَاَللّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ . فَرَجَعَ إلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ، فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ عَنْ الطّرِيقِ فَسَاحَلَ بِهَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا بِيَسَارِ وَانْطَلَقَ حَتّى أَسْرَعَ .

ضمضم يُشعل الحريق في مكة:

ضمضم هذا حمل رسالة أبي سفيان إلى مكة، ونفذها بشكل رهيب مفزع.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٣٧٧- وَهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الْوَادِي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ جَدّعَ بَعِيرَهُ [١] وَحَوّلَ رَحْلَهُ وَشَقّ قَمِيصَهُ وَهُوَ يَقُولُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اللّطِيمَةَ اللّطِيمَةَ أَمْوَالُكُمْ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمّدٌ فِي أَصْحَابِهِ لَا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا ، الْغَوْثَ الْغَوْثَ.

أهل مكة ينفرون للمعركة:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٣٧٨- فَتَجَهّزَ النّاسُ سِرَاعًا ، وَقَالُوا : أَيَظُنّ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعِيرِ ابْنِ الْحَضْرَمِيّ[٢] كَلّا وَاَللّهِ لِيَعْلَمُنّ غَيْرَ ذَلِكَ . فَكَانُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ إمّا خَارِجٍ وَإِمّا بَاعِثٍ مَكَانَهُ رَجُلًا . وَأَوْعَبَتْ قُرَيْشٌ ، فَلَمْ يَتَخَلّفْ مِنْ أَشْرَافِهَا أَحَدٌ .إلا أنَّ أَبَا لَهَبِ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ تَخَلّفَ وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِيَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَكَانَ قَدْ لَاطَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ أَفْلَسَ بِهَا ، فَاسْتَأْجَرَهُ بِهَا عَلَى أَنْ يُجْزِئَ عَنْهُ بَعَثَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَخَلّفَ أَبُو لَهَبٍ".

قصة أمية بن خلف في بدر:

كان أمية بن خلف يريد أن يتخلف ، بسبب ما كان بينه وبين سعد بن معاذ من حوار أخبره فيه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم قاتلوه.

قال ابن إسحاق:

٣٧٩- وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ : أَنّ أُمَيّةَ بْنَ خَلَفٍ كَانَ أَجْمَعَ الْقُعُودَ وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا جَسِيمًا ثَقِيلًا ، فَأَتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمِهِ بِمَجْمَرَةٍ يَحْمِلُهَا ، فِيهَا نَارٌ وَمَجْمَرٌ حَتّى وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمّ قَالَ: يَا أَبَا عَلِيّ اسْتَجْمِرْ فَإِنّمَا أَنْتَ مِنْ النّسَاءِ، قَالَ قَبّحَك اللّهُ وَقَبّحَ مَا جِئْتَ بِهِ. قَالَ ثُمّ تَجَهّزَ فَخَرَجَ مَعَ النّاسِ".

---

١ – جدع بعيره: قطع أنفه

٢ – سبق تخريج الرواية في قصة رؤيا عاتكة.

خبر العير والمجلس النبوي الاستشاري:

قال ابن إسحاق: "وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم"

ولم يبين ابن إسحاق من الذي أتى بالخبر، لكن سبق ذكر أن بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزَّغْباء أرسلهما النبي صلى الله عليه وسلم من وادي ذفران؛ ليستطلعا الأخبار.

٣٨٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَكَانَ بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَدِيّ بْنُ أَبِي الزّغْبَاءِ قَدْ مَضَيَا حَتّى نَزَلَا بَدْرًا ، فَأَنَاخَا إلَى تَلّ قَرِيبٍ مِنْ الْمَاءِ ثُمّ أَخَذَا شَنّا لَهُمَا يَسْتَقِيَانِ فِيهِ ومَجْدِيّ بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِيّ عَلَى الْمَاءِ . فَسَمِعَ عَدِيّ وَبَسْبَسُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جِوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا يَتَلَازَمَانِ عَلَى الْمَاءِ وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِصَاحِبَتِهَا : إنّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَأَعْمَلُ لَهُمْ ثُمّ أَقْضِيك الّذِي لَك . قَالَ مَجْدِيّ : صَدَقْتِ ثُمّ خَلّصَ بَيْنَهُمَا .

وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيّ وَبَسْبَسُ فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا ، ثُمّ انْطَلَقَا حَتّى أَتَيَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا"[١].

واضح أن هذا خبر مجيء العير إلى بدر، وليس خبر خروجها من مكة،

على أية حال: جاء الخبر إلى النبي(صلى الله عليه وسلم)بخروج العير ،وبخروج جيش قريش من مكة.

وكان أمام الرسول صلى الله عليه وسلم خياران: إما الرجوع بالجيش إلى المدينة؛ لأن المسلمين لم يخرجوا مستعدين لملاقاة جيش قريش، إنما خرجوا للقافلة، لكن في هذا الخيار سمعة سيئة للمسلمين، أنهم هربوا من الجيش المكي، والخيار الآخر: هو المواجهة مع ما فيها من أخطار .فكان مجلس شورى(النبي صلى الله عليه وسلم).

قال ابن القيم:

---

١ – زاد المعاد ج٣/١٥٦ . المكتبة الشاملة، نقول: ابن القيم يروي الصحيح ،وإذا ذكر غير الصحيح نبه على ذلك، وهذه الرواية ذكرها ابن هشام في سيرته، وللحديث شواهد ذكرها أصحاب تخريج دار الحديث،عند البخاري ٣٩٥٢/٧ فتح، وأحمد ٣٩/١–٤٢٨ ، والحاكم ٣٤٩/٣ وصححه ووافقه الذهبي.فالرواية مقبولة

٣٨١- وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خُرُوجُ قُرَيْشٍ ، اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فَتَكَلّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا ، ثُمّ اسْتَشَارَهُمْ ثَانِيًا ، فَتَكَلّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا ، ثُمّ اسْتَشَارَهُمْ ثَالِثًا ، فعلم الْأَنْصَارُ أَنّهُ يَعْنِيهِمْ.

فَبَادَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَأَنّك تُعَرّضُ بِنَا؟ وَكَانَ إنّمَا يَعْنِيهِمْ لِأَنّهُمْ بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ فِي دِيَارِهِمْ، فَلَمّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ اسْتَشَارَهُمْ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهُمْ. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: لَعَلّكَ تَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى حَقّا عَلَيْهَا أَنْ لَا يَنْصُرُوك إلّا فِي دِيَارِهَا، وَإِنّي أَقُولُ عَنْ الْأَنْصَارِ، وَأُجِيبُ عَنْهُمْ: فَاظْعَنْ حَيْثُ شِئْت ، وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ وَاقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ وَأَعْطِنَا مَا شِئْتَ، وَمَا أَخَذْتَ مِنّا كَانَ أَحَبّ إلَيْنَا مِمّا تَرَكْتَ وَمَا أَمَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمْرُنَا تَبَعٌ لِأَمْرِكَ، فَوَاَللهِ لَئِنْ سِرْتَ حَتّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غِمْدَانَ ، لَنَسِيرَنّ مَعَكَ وَوَاللهِ لَئِنْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ خُضْنَاهُ مَعَكَ.

وَقَالَ لَهُ الْمِقْدَادُ : لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّكَ فَقَاتِلَا إنّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ} وَلَكِنّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ.

فَأَشْرَقَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسُرّ بِمَا سَمِعَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ وَإِنّي قَدْ رَأَيْتُ مَصَارِعَ الْقَوْم"[١].

وفي سيرة ابن هشام بعض الزيادة:

٣٨٢- وَأَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ فَاسْتَشَارَ النّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ عن قُرَيْشٍ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ، فَقَالَ وَأَحْسَنَ . ثُمّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ ثُمّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ امْضِ لِمَا أَرَاك اللّهُ فَنَحْنُ مَعَك ، وَاَللّهِ لَا نَقُولُ لَك كَمَا قَالَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ لِمُوسَى : {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّكَ فَقَاتِلَا ، إنّا هَهُنَا قَاعِدُونَ} وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبّك فَقَاتِلَا إنّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ فَوَاَلّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ سِرْت بِنَا إلَى بِرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَك مِنْ دُونِهِ حَتّى تَبْلُغَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِهِ .

ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَشِيرُوا عَلَيّ أَيّهَا النّاس وَإِنّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ ، وَذَلِكَ أَنّهُمْ عَدَدُ النّاسِ وَأَنّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّا بُرَاءٌ مِنْ ذِمَامِك حَتّى تَصِلَ إلَى دِيَارِنَا ، فَإِذَا وَصَلْتَ إلَيْنَا ، فَأَنْتَ فِي ذِمّتِنَا نَمْنَعُك مِمّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَكَانَ

---

١ – زاد المعاد.

رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ يَتَخَـوّفُ أَلّا تَكُونَ الْأَنْصَـارُ تَـرَى عَلَيْهَـا نَصْـرَهُ إلّا مِمّـنْ دَهَمَـهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوّهِ وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إلَى عَدُوّ مِنْ بِلَادِهِمْ".

التعليق على موقف الشورى في هذا الموضع:

من القضايا الهامة في العصر الحديث قضية الشورى:

- لأن الشوربقيمة إسلامية كبرى فى نظام الحكم الإسلامي.
- وتفترق الشـورى عـن الديموقراطيـة في أمـور ، أهمهـا: أن الشـورى لا تكـون في أمـر معلوم من الدين بالضرورة، من الكتاب والسنة أو من إجماع فقهاء المسلمين.
- يعني الشورى تبدأ حيث تنتهي النصوص القطعية الثبوت، القطعية الدلالة.
- والشورى مأمور بها في كتاب الله عز وجل (وشاورهم في الأمر).
- والشورى هي التي تنير للحاكم جوانب المصلحة في كل أمر من الأمور.
- وتستخرج من الناس أفضل ما عندهم.
- وتجنب الأمة موارد التهلكة ،إذا استبد الحاكم بالأمر.
- وهنا في بدر، نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشاور في موقف عسكرى.
- رغم أن العصور الحديثة ترى العسكرية (طاعة كاملة) لا مجال فيها للأخذ والرد.
- وفي بدر، أحسَّ المسلمون بقيمة آرائهم ؛فتباروا في الحماسة والاستعداد للتضحية.
- وفي بـدر، ارتـاح الرسـول(صـلى الله عليـه وسـلم)لصـواب الموقـف بعـدما رأى مـن أصحابه الكرام.
- وفي بـدر، نلاحـظ تـأدُّب الأنصـار، فلـم يتكلمـوا قبـل المهـاجرين اعترافًـا بفضـلهم وسابقتهم في الإسلام.
- وفي بدر، تكلم أبو بكر وعمر أولًا: فهما وزيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهما المكانة الأولى في الناس.
- وفي بدر، لم يهتم الأنصار بقضية شروط البيعة، هل تقتضي النصرة داخل المدينة أم خارجها؛ لأن القلوب عمرت بالإيمان فانصهروا في الإسلام، اتباعًا للنبي(صلى الله عليه وسلم) يفدونه بأرواحهم وأموالهم، بلا تردد، يقول سعد بن معاذ رضي الله عنه: (لقد آمنا بك وصدقناك ،وشهدنا أن ما جئت به هو الحق) ويقول: (اظعن

حيث شئت، وصل حبل من شئت ،واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت)...إنها روعة الإيمان.

تجهز قريش للخروج ومشكلة قبائل بني بكر:

لما تجهزت قريش للخروج لحرب محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين ،تذكروا حربهم مع بنى بكر فخافوا أن يأتوهم من خلفهم.

ملخص حرب قريش مع بكر: كما ذكرها ابن إسحاق:

سببها: خرج ابنٌ لِحَفص بن الأَخْيَف (من قريش) يبتغي ضالة له وكان غلامًاوضيئًا نظيفًا، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر (وهو سيد قبائل بكر يومئذ) فدعا من كان له دم في قريش أن يقتل هذا الغلام، فقتله.

فتفاوضت قريش مع بني بكر، واتفقوا على اعتبار المسألة (دم بدم) والتنازل عن باقي الدماء، فلم يعجب ذلك مكرز بن حفص أخا المقتول فترصد لعامر بن يزيد (سيد بنى بكر) فقتله، ثم رجع إلى مكة ،وعلق سيف عامر على أستار الكعبة.

قال ابن إسحاق: فبينما هم في ذلك من حربهم حجز الإسلام بين الناس فتشاغلوا به حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر؛ فخافوهم .

تعقيب:

ذكرنا هذه القصة؛ لنبين كيف كانت الدماء تُسال في الجاهلية لأتفه الأسباب، ثم جاء الإسلام ليؤكد على حرمة الدماء ،وحرمة إسالتها في غير ضوابط شرعية دقيقة، ضبطًا للعدل وإقامة للحدود.

إبليس يطمئن قريشًا:

٣٨٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ ، قَالَ لَمّا أَجَمَعَتْ قُرَيْشٌ الْمَسِيرَ ذَكَرَتْ الّذِي كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ فَكَادَ ذَلِكَ يُثْنِيهِمْ فَتَبَدّى لَهُمْ إبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيّ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ فَقَالَ لَهُمْ أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَخَرَجُوا سِرَاعًا .

رسالة أبي سفيان الثانية إلى قريش:

٣٨٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ أَنّهُ قَدْ أَحْرَزَ عِيرَهُ أَرْسَلَ إلَى قُرَيْشٍ: إنّكُمْ إنّمَا خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ وَرِجَالَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ فَقَدْ نَجّاهَا اللّهُ فَارْجِعُوا ، فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَاَللّهِ لَا نَرْجِعُ حَتّى نَرِدَ بَدْرًا - وَكَانَ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ يَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهِ سُوقٌ كُلّ عَامٍ - فَنُقِيمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَنَنْحَرُ الْجُزُرَ ونطعم الطعام ، ونُسقى الخمر وتعزف علينا القِيان، وتسمع بنا الْعَرَبُ وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا بَعْدَهَا ، فَامْضُوا .

الأخنس يرجع ببني زُهرة:

لم يزل في الناس عقلاء .برغم جاهليتهم .منهم الأخنس بن شريق الذي لم يخضع لقرارات أبي جهل الإجرامية، واتخذ الموقف العاقل الذي أنقذ قبيلته.

يقولُ ابنُ إسْحاقَ:

٣٨٥- وَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقِ(الثّقَفِيّ)، - وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ - وَهُمْ بِالْجُحْفَةِ: يَا بَنِي زُهْرَةَ قَدْ نَجّى اللّهُ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَخَلّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ مَخْرَمَةَ بْنَ نَوْفَلٍ وَإِنّمَا نَفَرْتُمْ لِتَمْنَعُوهُ وَمَالَهُ فَاجْعَلُوا لِي جُبْنَهَا وَارْجِعُوا، فَإِنّهُ لَا حَاجَةَ لَكُمْ بِأَنْ تَخْرُجُوا فِي غَيْرِ ضَيْعَةٍ لَا مَا يَقُولُ هَذَا، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ. فَرَجَعُوا، فَلَمْ يَشْهَدْهَا زُهْرِيّ وَاحِدٌ أَطَاعُوهُ وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا .

لم يخرج أحد من بني عدي :

وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بَطْنٌ إلّا وَقَدْ نَفَرَ مِنْهُمْ نَاسٌ إلّا بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَرَجَعَتْ بَنُو زُهْرَةَ مَعَ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ ، فَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مِنْ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ أَحَدٌ، وَمَشَى الْقَوْمُ .

ورجع طالب:

وَكَانَ بَيْنَ طَالِبِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَكَانَ فِي الْقَوْمِ - وَبَيْنَ بَعْضِ قُرَيْشٍ مُحَاوَرَةٌ فَقَالُوا: وَاَللّهِ لَقَدْ عَرَفْنَا يَا بَنِي هَاشِمٍ وَإِنْ خَرَجْتُمْ مَعَنَا ، أَنّ هَوَاكُمْ لَمَعَ مُحَمّدٍ . فَرَجَعَ طَالِبٌ إلَى مَكّةَ مَعَ مَنْ رَجَعَ".

الجيش الإسلامي يتحرك من ذَفران إلى موضع قريب من بدر:

في ذفران عقد الرسول (صلى الله عليه وسلم) المجلس الاستشاري حيث سمع من المهاجرين والأنصار آراءهم واستعدادهم القوي للجهاد والتضحية ،ومواجهة المشركين، ثم تحرك حتى بلغ موضعا قريبا من بدر، وهنا كانت عمليتا استكشاف:

الأولى: قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر.

الثانية: أرسل فيها عليًا ،والزبير، وسعد بن أبي وقاص.

الاستكشاف الأول:

٣٨٦- قَالَ ابنُ إسحَاقَ:

* ثُمّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الرّجُلُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ كَمَا حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ يَحْيَى بْن حِبّانَ: حَتّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ ، وَعَنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ فَقَالَ الشّيْخُ لَا أُخْبِرُكُمَا حَتّى تُخْبِرَانِي مِمّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إذَا أَخْبَرْتنَا أَخْبَرْنَاك، قَالَ أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ الشّيْخُ: فَإِنّهُ بَلَغَنِي أَنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الّذِي أَخْبَرَنِي ، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الّذِي بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَبَلَغَنِي أَنّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كَانَ الّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ . فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ مِمّنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ، ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ قَالَ يَقُولُ الشّيْخُ مَا مِنْ مَاءٍ؟ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ ؟ [1] .

الاستكشاف الثاني:

٣٨٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَالزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إلَى مَاءِ بَدْرٍ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ - كَمَا حَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ - فَأَصَابُوا رَاوِيَةً لِقُرَيْشٍ فِيهَا أَسْلَمَ ، غُلَامُ بَنِي الْحَجّاجِ وَعَرِيضٌ أَبُو يَسَارٍ ، غُلَامُ بَنِي الْعَاصِ بْنِ سَعِيدٍ فَأَتَوْا بِهِمَا فَسَأَلُوهُمَا ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَائِمٌ يُصَلّي ، فَقَالَا : نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ ، بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنْ الْمَاءِ. فَكَرِهَ الْقَوْمُ خَبَرَهُمَا ، وَرَجَوْا أَنْ يَكُونَا لِأَبِي سُفْيَانَ فَضَرَبُوهُمَا. فَلَمّا أَذْلَقُوهُمَا[2] قَالَا : نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ فَتَرَكُوهُمَا .

---

١ – سيرة ابن هشام ٤٠٩/٢ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٦/٣ والطبري في تاريخه ٢٧/٢

٢ – أذلقوهما: بالغوا في ضربهما.

وَرَكَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْهِ ثُمّ سَلّمَ وَقَالَ: إذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا ، صَدَقَا ، وَاَللّهِ إنّهُمَا لِقُرَيْشٍ أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ ؟ قَالَا: هُمْ وَاَللّهِ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى - وَالْكَثِيبُ الْعَقَنْقَلُ - فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَمْ الْقَوْمُ ؟ قَالَا : كَثِيرٌ قَالَ مَا عِدّتُهُمْ ؟ قَالَا: لَا نَدْرِي ؛ قَالَ كَمْ يَنْحَرُونَ كُلّ يَوْمٍ ؟ قَالَا : يَوْمًا تِسْعًا ، وَيَوْمًا عَشْرًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التّسْعِ مِئَةٍ وَالْأَلْفِ . ثُمّ قَالَ لَهُمَا : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ؟ قَالَا : عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ بْنِ نَوْفَلٍ وَالنّضْرُ بْنِ الْحَارِثِ وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَنُبَيْهُ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: هَذِهِ مَكّةُ قَدْ أَلْقَتْ إلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا[1]".

دلالات وعظات:

١- قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه بعلمية الاستكشاف، وإرساله العيون لتتبع أحوال العدو ورصد حركته، والتعرف على العدد التقريبي للجيش، كل ذلك يبين الرؤية العسكرية الثاقبة للرسول صلى الله عليه وسلم، ويبين غاية الاجتهاد في الأخذ بالأسباب ،وعدم (التواكل) اكتفاء بنصر الله تعالى، فالله سبحانه ينصر من ينصره، (ولو شاء الله لَانْتَصَرَ منهم ولكنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) وقيام الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بنفسه يبين أن القائد قد يتولى بنفسه بعض العمليات الدقيقة؛ لشدة خطر المعركة أو خطر الموقف، وهو يبين غاية حرص القائد وعنايته بجيشه ويقظته الدائمة.

٢- الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب الرجل الذي سأله عن قبيلته، فلا يقدم له الرسول صلى الله عليه وسلم الإجابة؛ حتى يأخذ منه ما يريد من معلومات عن

١ – سيرة ابن هشام ٤٦٠/٢ وأحمد في مسنده ٩٤٨ بطوله في قصة غزوة بدر وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد باب غزوة بدر ٨٣/٣–١٤٠٣–١٤٠٤ من حديث أنس مختصرا (تخريج دار الحديث)، أقول : وسياق ابن إسحاق أتم وأشمل.

الجيش المكي ،ثم يجيبه إجابة لا تكشف سر المسلمين (من ماء!!) وفي نفس الوقت فإنه صلى الله عليه وسلم لا يكذب أبدًا ،فكل الناس خُلِق (من ماء مهين)، لكن الرجل سوف يفهمها على أن النبي صلى الله عليه وسلم من قبيلة ماء وهو أسلوب في التورية – كما أوضحناسلفًا - يحقق الغرضين: التخفي وعدم الكذب.

٣- ضرب الصحابة للغلامين من جيش العدو للاعتراف على حقيقة الجيش ،يمكن فهمه على النحو التالي:

- أسلوب الإكراه البدني أو تعذيب الأسير لم يوصل إلى نتيجة صحيحة.
- يبدو من تعليق الرسول صلى الله عليه وسلم على الحدث ،أنه أنكر فعل الصحابة.
- والراجح طبعًا- فقهًا - هو عدم ضرب الأسير أو تعذيبه احترامًا لقواعد الحرب الشريفة، وإن كان الحصول على معلومات من الأسير بوسائل غير التعذيب البدني يباح قطعًا، وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع الغلامين.
- ويمكن تفسير فعل الصحابة، الذي لم يقره الرسول صلى الله عليه وسلم ،أنه كان وليد أعراف البيئة وحروب ذلك الزمان، فلا يُفَسَّر حدث بعيدًا عن طبيعة الزمان والمكان.
- استفادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرائن والشواهد في التعرف على عدد الجيش (كم ينحرون)؟ مَلْمَحٌ هام ينبيء عن حصافة الرسول صلى الله عليه وسلم ،ويعطي لنا دروسًا في العلوم العسكرية (الاستفادة من القرائن والشواهد).

موضع قريش وموضع المسلمين:

كان نزول الجيشين في وادٍ يقال له (يليل) نزل المشركون عند طرفه الأبعد عن المدينة (العدوة القصوى)، ونزل المسلمون عند طرفه الأدنى من المدينة (العدوة الدنيا)، وكانت آبار بدر (القُلب) في العدوة الدنيا، وهناك كثيب من الرمال، يخفي قريشًا عن المسلمين وعن بطن الوادي.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في العدوة الدنيا، عند أقرب بئر في بدر (من المدينة) لكن الحباب بن المنذر أشار برأي هام:

٣٨٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحُدّثْت عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ أَنّهُمْ ذَكَرُوا : أَنّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلِ فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ .

فَنَهَضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النّاسِ فَسَارَ حَتّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمّ أَمَرَ بِالْقُلُبِ فَغُوّرَتْ وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ الّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ فَمُلِئَ مَاءً ثُمّ قَذَفُوا فِيهِ الْآنِيَةَ"[١].

تعقيب على مشورة الحباب:

- هذا هو الموضع الثاني الذي كان فيه الشورى، استمع النبي صلى الله عليه وسلم لقول الحباب ثم نزل على رأيه ووافقه، وقال له لقد أشرت بالرأي.
- في قول الحباب (أمنزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟) نتعلم قاعدة هامة في الشورى، هي فصل القول بين الديمقراطية الحديثة وبين الشورى الإسلامية ،هذه القاعدة هي:

"إن الشورى تبدأ حيث تنتهي النصوص".

أو " إن الشورى تكون فيما لا نص فيه".

أو " إن الشورى تكون في الأمور الاجتهادية، التي ليس فيها أحكام صريحة قاطعة في الكتاب والسنة".

---

١ – سيرة ابن هشام ج٢ /٤٦٢ وقد ضعف الرواية أصحاب تخريج دار الحديث لقول ابن إسحاق حدثت عن رجال من بني سلمة (فهم مجهولون) أقول : لكن جمعهم يرفع الجهلة لاشتهار الرواية جدًا وجاء في (الإصابة في معرفة الصحابة) في ذكر الحباب بن المنذر: وقال ابن إسحاق في السيرة : حدثني يزيد بن رومان عن عروة وغير واحد في قصة بدر فذكر قول الحباب: يا رسول الله هذا المنزل .....الخ، أقول وهذا إسناد متصل صحيح (فيزيد وعروة كلاهما من رجال الصحيح).وذكر ابن القيم الرواية في (زاد المعاد) ١٥٦/٣ وابن القيم لا يروي إلا ما صح عنده، ولذا يجب التنبيه على أن الرواية نفسها قد تأتي من طريق ضعيف، وتأتي من طريق آخر صحيح.

ولذلك فالشورى لا تحل حرامًا، ولا تحرم حلالًا، أما الديموقراطية فهي تقرر ما يراه الناس، ولو خالف قواعد الدين وأصوله، ففي الغرب أباحوا الشذوذ، وزواج الرجال بعضهم من بعض، وكثيرًا من الرذائل والسخافات التى ليست في دين النصرانية، ولا في الإسلام ،ولا في أي دين.

توضيح:

- يقال "إن الشوريتكون فيما لا نص فيه"، ويقال "لا اجتهاد مع النص" وهذا أمر يحتاج لبيان:

فإن كثيرًا من النصوص اجتهد فيها العلماء والفقهاء لبيان المراد منها، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والجمع بين ما تعارض ظاهره وغير ذلك.

إذن، فهناك اجتهاد في النص: ومن الأمثلة المشهورة قوله تعالي: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ) والقروء جمع قُرء، والقرء مختلف في معناه (حيضة) أم (طهر) ولكل رأي أدلة.

إذن ،حينما نقول: "لا اجتهاد مع النص" أي لا اجتهاد في النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، مثل عدد جلدات الزاني ،ومثل قطع يد السارق، وبرغم ذلك فإن الفقهاء تكلموا في أداة الجلد، وتتابعه، وفي مجلس واحد أم متفرق، وهل يتم الجلد إذا أشرف المجلود على الموت؟ وغير ذلك، وفي قطع اليد للسارق، وتكلموا في نصاب السرقة، ومتى لا يعمل بحد السرقة في المجاعات (كما فعل سيدنا عمر) وغير ذلك.

فيجب أن نعي هذا ولا نغلق باب الاجتهاد بدعوى: لا اجتهاد مع النَّص.

موقف الجيش الإسلامي بعد رأي الحباب:

هو الانتقال داخل بطن الوادي والاقتراب من قريش أكثر فتكون آبار الماء خلف المسلمين، بعد أن كانت بين المسلمين وبين المشركين، وقوله (نغوِّر ما وراءه من القلب)، أي نردم أية آبار ماء أبعد من ذلك مما تكون بيننا وبين المشركين، وهذا من وجهة النظر العسكرية البحتة أفضل موقع للجيش بلا جدال.

مِنْ جنود الله : المطر :

قال ابن القيم:

٣٨٩- فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ فِي تِلْكَ اللّيْلَةِ مَطَرًا وَاحِدًا ، فَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَابِلًا شَدِيدًا مَنَعَهُمْ مِنْ التّقَدّمِ وَكَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَلّا طَهّرَهُمْ بِهِ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ رِجْسَ الشّيْطَانِ وَوَطّأَ بِهِ الْأَرْضَ وَصَلّبَ بِهِ الرّمْلَ وَثَبّتَ الْأَقْدَامَ وَمَهّدَ بِهِ الْمَنْزِلَ وَرَبَطَ بِهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ"[١] .

اقتراح سعد بن معاذ بناء عريش لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

٣٩٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنّهُ حُدّثَ:

"أَنّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ أَلَا نَبْنِي لَك عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ وَنُعِدّ عِنْدَك رَكَائِبَك، ثُمّ نَلْقَى عَدُوّنَا ، فَإِنْ أَعَزّنَا اللّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوّنَا ، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى ، جَلَسْت عَلَى رَكَائِبِك ، فَلَحِقْت بِمَنْ وَرَاءَنَا ، فَقَدْ تَخَلّفَ عَنْك أَقْوَامٌ يَا نَبِيّ اللّهِ مَا نَحْنُ بِأَشَدّ لَك حُبّا مِنْهُمْ وَلَوْ ظَنّوا أَنّك تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلّفُوا عَنْك ، يَمْنَعُك اللّهُ بِهِمْ يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَك . فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ . ثُمّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ".

قريش ترتحل في الصباح إلى الوادي:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ "وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فَلَمّا رَآهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَصَوّبُ مِنْ الْعَقَنْقَلِ - وَهُوَ الْكَثِيبُ الّذِي جَاءُوا مِنْهُ إلَى الْوَادِي، قال:..."

إذن، فقد عبرت قريش في الصباح كثيب الرمل، وأصبحت في الوادي فرآها الرسول صلى الله عليه وسلم والجيش الإسلامي، وسوف تدور رحى المعركة في هذا الوادي، واسمه (وادي يَلْيَل).

دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم):

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٣٩١- فَلَمّا رَآهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَصَوّبُ مِنْ الْعَقَنْقَلِ - وَهُوَ الْكَثِيبُ الّذِي جَاءُوا مِنْهُ إلَى الْوَادِي - قَالَ اللّهُمّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا ، تُحَادّك وَتُكَذّبُ رَسُولَك ، اللّهُمّ فَنَصْرَك الّذِي وَعَدْتنِي ، اللّهُمّ أَحِنْهُمْ[١] الْغَدَاةَ[٢].

---

١ – زاد المعاد ج٣/١٥٦ المكتبة الشاملة.

حكماء من قريش يعارضون أبا جهل:

توقع النبي صلى الله عليه وسلم في تقييمه للأشخاص أنه: "إن يكن في القوم خير، ففي عتبة بن ربيعة":

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٣٩٢- وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - (وَقَدْ) رَأَى عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي الْقَوْمِ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ - إنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ إنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا"[٣].

وقد صَدقَ الرسول صلى الله عليه وسلم : فقد أراد عتبة وحكيم أن يرجعا بالناس،

لكن ذلك حدث بعد عملية استطلاع، قام بها عمير بن وهب من جيش قريش.

٣٩٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي أَبِي إسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : لَمّا اطْمَأَنّ الْقَوْمُ بَعَثُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الجُمَحِيّ فَقَالُوا: احْزُرُوا لَنَا أَصْحَابَ مُحَمّدٍ ، قَالَ فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْعَسْكَرِ ثُمّ رَجَعَ إلَيْهِمْ فَقَالَ ثَلَاثُ مِئَةٍ رَجُلٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ وَلَكِنْ أَمْهِلُونِي حَتّى أَنْظُرَ أَلِلْقَوْمِ كَمِينٌ أَوْ مَدَدٌ؟ قَالَ فَضَرَبَ فِي الْوَادِي حَتّى أَبْعَدَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَرَجَعَ إلَيْهِمْ فَقَالَ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، وَلَكِنّي قَدْ رَأَيْتُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، الْبَلَايَا[٤] تَحْمِلُ الْمَنَايَا[٥] ، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ[٦] تَحْمِلُ الْمَوْتَ النّاقِعَ قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا مَلْجَأٌ إلّا سُيُوفُهُمْ وَاَللّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ فَرُوا رَأْيَكُمْ [٧] .

هنالك بدأت المراجعة والمعارضة:

---

١ – أَجنهم: أَهْلِكْهُم.

٢ – سيرة ابن هشام..وأصله عند البخاري ومسلم وذكره ابن كثير في البداية والنهاية والطبري في تاريخه (تخريج دار الحديث).

٣ – سيرة ابن هشام.

٤ – البلايا: جمع بلية وهي الناقة تربط إلى قبر الميت فلا تعُلف ولا تسقى حتى تموت.

٥ – المنايا: جمع منية وهي موت الشخص.

٦ – النواضح: الإبل التي يستقى عليها.

٧ – سيرة ابن هشام والرواية مقبولة لأن إسحاق بن يسار (ثقة) وقد حدث عن جمع (أشياخ من الأنصار).

٣٩٤-فَلَمّا سَمِعَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ذَلِكَ مَشَى فِي النّاسِ فَأَتَى عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ إنّك كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيّدُهَا ، وَالْمُطَاعُ فِيهَا ، هَلْ لَك إلَى أَنْ لَا تَزَالَ تُذْكَرُ فِيهَا بِخَيْرٍ إلَى آخِرِ الدّهْرِ ؟ قَالَ وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمُ ؟ قَالَ تَرْجِعُ بِالنّاسِ وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفِك عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيّ ، قَالَ قَدْ فَعَلْتُ أَنْتَ عَلَيّ بِذَلِكَ إنّمَا هُوَ حَلِيفِي ، فَعَلَيّ عَقْلُهُ وَمَا أُصِيبَ مِنْ مَالِهِ فَأْتِ ابْنَ الْحَنْظَلِيّةِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَالْحَنْظَلِيّةُ أُمّ أَبِي جَهْلٍ وَهِيَ أَسَمَاءُ بِنْتُ مُخَرّبَةَ - فَإِنّي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرَ النّاسِ غَيْرُهُ .. يَعْنِي أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَام.

ثُمّ قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيبًا ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّكُمْ وَاَللّهِ مَا تَصْنَعُونَ بِأَنْ تَلَقّوْا مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا ، وَاَللّهِ لَئِنْ أَصَبْتُمُوهُ لَا يَزَالُ الرّجُلُ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النّظَرَ إلَيْهِ قَتَلَ ابْنَ عَمّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ فَارْجِعُوا وَخَلّوا بَيْنَ مُحَمّدٍ وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَاكَ الّذِي أَرَدْتُمْ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُمْ وَلَمْ تَعَرّضُوا مِنْهُ مَا تُرِيدُونَ .

قَالَ حَكِيمٌ فَانْطَلَقْتُ حَتّى جِئْت أَبَا جَهْلٍ فَوَجَدْته قَدْ نَثَلَ دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرَابِهَا ، فَهُوَ يُهَنّئُهَا (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ) : يُهَيّئُهَا - فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْحَكَمِ إنّ عُتْبَةَ أَرْسَلَنِي إلَيْك بِكَذَا وَكَذَا ، لِلّذِي قَالَ، فَقَالَ: انْتَفَخَ وَاَللّهِ سَحْرُهُ[١] حِينَ رَأَى مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ، كَلّا وَاَللّهِ لَا نَرْجِعُ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمّدٍ، وَمَا بِعُتْبَةَ مَا قَالَ وَلَكِنّهُ قَدْ رَأَى أَنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ[٢] وَفِيهِمْ ابْنُهُ [٣] فَقَدْ تَخَوّفَكُمْ عَلَيْهِ[٤] .

تصرف أبي جهل الذي أشعل الحرب:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٣٩٥- ثُمّ بَعَثَ إلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيّ ، فَقَالَ: هَذَا حَلِيفُك يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنّاسِ وَقَدْ رَأَيْتَ ثَأْرَك بِعَيْنِك ، فَقُمْ فَانْشُدْ خُفْرَتَكَ وَمَقْتَلَ أَخِيك . فَقَامَ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيّ فَاكْتَشَفَ ثُمّ صَرَخَ وَاعَمْرَاه ، وَاعَمْرَاه ، فَحَمِيَتْ الْحَرْبُ وَحَقِبَ النّاسُ وَاسْتَوْسَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ

---

١ – انتفخ سحره: أي صدره أو رئته كناية عن الجبن.

٢ – أكلة جزور: أي عددهم قليل بشبعهم جمل واحد.

٣ – هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أسلم قديمًا وهاجر..

٤ – نفس الرواية السابقة.

الشّرّ وَأُفْسِدَ عَلَى النّاسِ الرّأْيُ الّذِي دَعَاهُمْ إلَيْهِ عُتْبَةُ. فلما بلغ عُتْبَةَ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ انْتَفَخَ وَاَللّهِ سَحْرُهُ قَالَ سَيَعْلَمُ مُصَفّرُ اسْتِهِ مَنْ انْتَفَخَ سَحْرُهُ أَنَا أَمْ هُوَ؟.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : السَّحْرُ: الرّئَةُ وَمَا حَوْلَهَا مِمّا يَعْلَقُ بِالْحُلْقُومِ مِنْ فَوْقِ السّرّةِ . وَمَا كَانَ تَحْتَ السّرّةِ فَهُوَ الْقُصْبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ رَأَيْت عَمْرَو بْنَ لُحَيّ يَجُرّ قُصْبَهُ فِي النّارِ.

ثُمّ الْتَمَسَ عُتْبَةُ بَيْضَةً لِيُدْخِلَهَا فِي رَأْسِهِ فَمَا وَجَدَ فِي الْجَيْشِ بَيْضَةً تَسَعُهُ مِنْ عِظَمِ هَامَتِهِ فَلَمّا رَأَى ذَلِكَ اعْتَجَرَ عَلَى رَأْسِهِ بِبُرْدٍ لَهُ .

تعقيب على تصرف أبي جهل:

إنه تصرف القادة المستبدين الذين يوردون أقوامهم موارد الهلكة ، وقد كان هو .والحمد لله . من هؤلاء الهالكين.

ولم يستمع إلى رأي قادة القوم معه أمثال عتبة وحكيم، وأراد أن يشبع غروره؛ حتى تسمع العرب به، وتعزف له القيان، وقد قال ذلك .كما سبق . معارضًا رأي أبي سفيان قائد القافلة.

وعلى الجانب الآخر: كان النبي الهادي الحكيم (صلى الله عليه وسلم)يشاور أصحابه، وينزل على رأيهم، فكان له النصر، رغم قلة العدد والعدة. وإنى أُسائل نفسي: لماذا اختار قادة العالم الإسلامي نموذج أبي جهل في استبداده، وتركوا نموذج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)القائد والمعلمّ في أخذه بمبدأ الشورى؟!!

مقدمات المعركة:

الشرب من الحوض والقتل على الحوض:

٣٩٦- " فَلَمّا نَزَلَ النّاسُ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ حَتّى وَرَدُوا حَوْضَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهِمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعُوهُمْ.

فَمَا شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إلّا قُتِلَ إلّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، فَإِنّهُ لَمْ يُقْتَلْ ثُمّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ، فَكَانَ إذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ لَا وَاَلّذِي نَجّانِي مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ".[١]

الأسود المخزومي يقتل على الحوض:

---

١ – سيرة ابن هشام ٢/٤٦٤ وذكره الطبري في التاريخ ٢/٣٠ وابن سيد الناس في عيون الأثر ٣٩١/١ وابن كثير في البداية ٢٩٨/٣ تخريج دار الحديث.

٣٩٧- "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ خَرَجَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيّ، وَكَانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيّئَ الْخُلُقِ فَقَالَ أُعَاهِدُ اللّهَ لَأَشْرَبَن مِنْ حَوْضِهِمْ أَوْ لَأَهْدِمَنّهُ أَوْ لَأَمُوتَنّ دُونَهُ.

فَلَمّا خَرَجَ خَرَجَ إلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، فَلَمّا الْتَقَيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَأَطَنّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشْخَبُ رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ثُمّ حَبَا إلَى الْحَوْضِ حَتّى اقْتَحَمَ فِيهِ يُرِيدُ – كما زَعَمَ - أَنْ يُبِرّ يَمِينَهُ وَأَتْبَعَهُ حَمْزَةُ فَضَرَبَهُ حَتّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ".[1]

<u>تعقيب:</u>

ترك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المجموعة الأولى تشرب من الحوض، لكن الأسود المخزومي قُتل على الحوض، فلعل السبب في ذلك:

- أن الاستعداد لبدء المعركة لم يكن اكتمل عند المسلمين أولًا، ثم لما جاء الأسود ليشرب من الحوض، كانت الاستعدادات قد اكتملت فأذن النبي صلىالله عليه وسلم في قتله.
- أو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتجي خيرًا في بعض النفر الذين جاءوا أولًا.
- أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يترك المشركين يشربون من الحوض مرة بعد مرة.

<u>**خطة المعركة** وأوامر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك:</u>

٣٩٨- <u>روى البخاري:</u>

" عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ".[2]

٣٩٩- وروى أبو داود:

عن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اصْطَفَفْنَا يَوْمَ بَدْرٍ: إِذَا أَكْثَبُوكُمْ يَعْنِي إِذَا غَشُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ".[3]

وروى أيضًا عن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده قال:

---

[1] – سيرة ابن هشام (٢/ ٤٦٥)، ورواه أحمد في مسنده ٩٤٨ وإسناده صحيح ، (عن دار الحديث).

[2] – رواه البخاري برقم ٣٦٨٥ العالمية.

[3] – رواه ابو داود برقم ٢٢٨٩ العالمية بسند صحيح تخريج حرف وله شواهد عند البخاري.

٤٠٠- قال النبي صلى الله عليه وسلم :"إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ".[1]

مفهوم الخطة من الروايات السابقة:

* أن يقف المسلمون في موقف الدفاع أولًا؛ لأن الجيش قليل العدد يناسبه موقف الدفاع أكثر.

السهام التي مع المسلمين قليلة ولذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على عدم الرمي، حتى يقترب العدد (إذا أكثبوكم فارموهم).

* ويؤكد أيضًا على عدم الإسراف في رمي السهام (واستبقوا نبلكم).

* وفي بعض الروايات اختلف معنى (يغشوكم) ففي رواية أبي داوود الأولى (إذا أكثبوكم يعنى: إذا غشوكم فارموهم) هنا (غشوكم) تعني الاقتراب لمسافة معقولة تناسب الرمي، أما الرواية الثانية (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) هنا بمعنى التحام الصفوف فتعني الاقتراب الشديد.

* وفي هذه الخطة تتحقق ميزة أولى، وهي خسارة المشركين لحظة تقدمهم للهجوم بسبب رمي المسلمين لهم بالنبل.

* ثم إذا التحمت الصفوف يكون المسلمون في كامل قوتهم، ويكون المشركون قد أصيب كثير منهم بالسهام.

المبارزة الثلاثية قبل بدء المعركة:

٤٠١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ خَرَجَ بَعْدُ عُتْبَة بْنِ رَبِيعَةَ ، بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، حَتّى إذَا فَصَلَ مِنْ الصّفّ دَعَا إلَى الْمُبَارَزَةِ فَخَرَجَ إلَيْهِ فِتْيَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ثَلَاثَةٌ وَهُمْ عَوْفٌ وَمُعَوّذٌ ابْنَا الْحَارِثِ - وَأُمّهُمَا عَفْرَاءُ - وَرَجُلٌ آخَرُ يُقَالُ هُوَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : رَهْطٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ. ثُمّ نَادَى مُنَادِيهِمْ يَا مُحَمّدُ أَخْرِجْ إلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِيّ.

---

[1] – رواه أبو داود برقم ٢٢٩٠ العالمية وله شواهد عند البخاري، ولكن رواية أبي داود فيها إسحاق بن نجيح مجهول (عن حرف) أقول:شواهد البخاري تدل على أن المتن صحيح.

فَلَمّا قَامُوا وَدَنَوْا مِنْهُمْ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالَ عُبَيْدَةُ عُبَيْدَةُ وَقَالَ حَمْزَةُ حَمْزَةُ وَقَالَ عَلِيّ عَلِيّ ، قَالُوا : نَعَمْ أَكْفَاءٌ كِرَامٌ . فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ وَكَانَ أَسَنّ الْقَوْمِ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، فَأَمّا حَمْزَةُ فَلَمْ يُمْهِلْ شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ، وَأَمّا عَلِيّ فَلَمْ يُمْهِلْ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ كِلَاهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبَهُ، وَكَرّ حَمْزَةُ وَعَلِيّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَذَفّفَا عَلَيْهِ وَاحْتَمَلَا صَاحِبَهُمَا فَحَازَاهُ إلَى أَصْحَابِهِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ قَالَ لِلْفِتْيَةِ مِمّنْ الْأَنْصَارُ، حِينَ انْتَسَبُوا: أَكْفَاءٌ كِرَامٌ إنّمَا نُرِيدُ قَوْمَنَا، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : ثُمّ تَزَاحَفَ النّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

٤٠٢- <u>وروى البخاري:</u>

عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ: "هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ "، قَالَ هُمْ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ.. وَعُبَيْدَةُ أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ.. وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ".

٤٠٣- وفى رواية عند البخارى أيضا "عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فِي سِتَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ".[١]

<u>دلالات وعظات:</u>

١. أول مبارزة، والبداية عمومًا في المعارك لها آثار نفسية خطيرة في صالح من يكسب الجولة ، وضد مصلحة من يخسرها، ولذلك كانت نتيجة هذه المبارزة مكسبًا -مائة بالمائة- في صالح المسلمين ،كانت مؤثرة جدًا في النتيجة العامة.
٢. يتبين من النتيجة روعة وعبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم في اختيار الشخصيات المناسبة لهذا الموقف الهام في بدء المعركة.
٣. يتبين من اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم أنه اختار عمه وابني عمومته؛ليتضح للجميع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يضن بأقاربه وألصق الناس به في ميدان

١ – سيرة ابن هشام ٢/٤٦٦ ، ورواه أحمد ٩٤٨ بإسناد صحيح من حديث علي بن أبي طالب. تخريج دار الحديث .

الجهاد، كما يتضح المعدن الذي خرج منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بني هاشم، من كرام رجالات العرب.

٤. وكل ذلك لا ينسينا أن عنصر الحسم ،هو توفيق الله سبحانه لأهل الإيمان.

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يناشد ربه:

٤٠٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

ثُمّ عَدّلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّفُوفَ وَرَجَعَ إلَى العريش فَدَخَلَهُ وَمَعَهُ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ، لَيْسَ مَعَهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُنَاشِدُ رَبّهُ مَا وَعَدَهُ مِنْ النّصْرِ وَيَقُولُ فِيمَا يَقُولُ: اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدْ، وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ يَا نَبِيّ اللّهِ بَعْضَ مُنَاشَدَتِك رَبّك ، فَإِنّ اللّهَ مُنْجِزٌ لَك مَا وَعَدَك.

وَقَدْ خَفَقَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَفْقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ ثُمّ انْتَبَهَ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَتَاك نَصْرُ اللّهِ. هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسٍ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النّقْعُ (يعنى الغبار)[1].

٤٠٥- وروى البخارى:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ" فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ".[2]

دلالات وعظات:

- سيتكرر معنا في كثير من المعارك أدعية الرسول صلىالله عليه وسلم قبل الحرب أو أثناءها أو بعدها، وهذا الدعاء سلاحٌ قوي جبار في يد المؤمن ،يعدل موازين القوى، فلربما كان العدد والعدة مع الأعداء، لكن الجولة تحسم لصالح المسلمين، إذا اجتهدوا في العمل وأخصلوا في الدعاء.

---

[1] – ابن هشام ٢/٤٦٧ وإسناده حسن رواه الأموي، وابن كثير في البداية والنهاية والغزالي في فقه السيرة وحسنة الألباني – عن دار الحديث.

[2] – البخاري برقم ٤٤٩٧ العالمية.

- يقول أبو بكر "يا نبي الله بعض مناشدتك ربك ،فإن الله منجز لك ما وعدك" هل يقول جاهل: كان أبو بكر أكثر ثقة بالنصر من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ، حاشا لله، كان الحبيب صلى الله عليه وسلم واثقا من ذلك كل الثقة، بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد أن أفلتت القافلة واستمع إلى مشورتهم: (أبشروا فإن الله وعدني بإحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم). ولكن حقيقة الأمر أنه مهما كانت ثقة المسلم بالنصر، فإنه لا يستغني عن سلاح الدعاء، هكذا علمنا القائد الأول صلى الله عليه وسلم.

وربما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله عز وجل أن ينزل المدد من الملائكة.

- الشوق إلى الجنة:

كانت الجائزة الكبرى التي يبشر بها القرآن الكريم ، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ،العباد المخلصين والمجاهدين الباذلين للمهج والأرواح، ويبشر بها الشهداء والصالحين،كانت الجائزة،هي الجنة، وانظر يا أخي ما الذي يفعله الشوق إلى الجنة في نفس المقاتل، عمير بن الحمام؟!

٤٠٦- روى مسلم عن أنس بن مالك حديثًا عن غزوة بدر جاء فيه:

" فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ قَالَ نَعَمْ، قَالَ بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا. فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ." [١]

٤٠٧- وفي رواية ابن إسحاق:" قَالَ ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى النّاسِ فَحَرّضَهُمْ وَقَالَ وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إلّا أَدْخَلَهُ اللّهُ الْجَنّةَ. فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٍ يَأْكُلُهُنّ: بَخٍ بَخٍ، أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنّةَ إلّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ ثُمّ قَذَفَ التّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ" [٢]

---

[١] – مسلم برقم ٣٥٢٠ العالمية

[٢] – سيرة ابن هشام ٢/٤٦٧ وهي موافقة لرواية صحيح مسلم السابقة.

ولماذا ينزع ابن عفراء الدرع؟

٤٠٨- " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَن عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَهُوَابْنُ عَفْرَاءَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا يُضْحِكُ الرّبّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ قَالَ غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوّ حَاسِرًا . فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِل".[1]

دلالة:

في هذه الرواية دليل :أن من يأتي عملًا جهاديًّا، يعرف منه أنه يحمله إلى الموت من أجل شوقه إلى الجنة ،فهو مجاهد شهيد، وليس كما قال البعض (منتحرًا)، كما رأينا نماذج من الفصائل المجاهدة في فلسطين ضد العدو الصهيوني يخرج بعضهم ،وقد وضع شريطًا ناسفًا على بطنه ،ثم يفجر نفسه وسط جموع الأعداء المحتلين، فهذا من أعلى أنواع الجهاد.

لمحة إعجازية:

٤٠٩- قال ابن اسحاق:" فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوه القوم فانهزموا فأنزل الله عز وجل " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " فقتلنا وأسرنا". [2]

دلالة :

هي معجزة من معجزات لا تحصى، للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تكرر ذلك في غزوة حنين.

الرسول(صلى الله عليه وسلم)ينهى عن قتل رجال من قريش:

٤١٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

"وَحَدّثَنِي الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَعْبَدٍ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عن ابنِ عَبّاسٍ: أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: إنّي قَدْ عَرَفْت أَنّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أَخْرَجُوا كُرْهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ وَمَنْ لَقِيَ الْعَبّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، عَمّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنّهُ إنّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا. قَالَ فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ

---

[1] – المصدر السابق . بقية الرواية.

[2] – سيرة ابن هشام ٢/٤٢٨ وإسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع ٨٤/٦ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . دار الحديث

أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَتَنَا وَعَشِيرَتَنَا وَنَتْرُكُ الْعَبّاسَ وَاَللّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْحِمَنّهُ(١) السّيْفَ ، قَالَ فَبَلَغَتْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لِعُمَرِ بْنِ الْخَطّابِ: يَا أَبَا حَفْصٍ - قَالَ عُمَرُ وَاَللّهِ إنّهُ لَأَوّلُ يَوْمٍ كَنّانِي فِيهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِأَبِي حَفْصٍ - أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالسّيْفِ؟ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللّهِ دَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ بِالسّيْفِ فَوَاَللّهِ لَقَدْ نَافَقَ. فَكَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ يَقُولُ: مَا أَنَا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ وَلَا أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إلّا أَنْ تُكَفّرَهَا عَنّي الشّهَادَةُ. فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا[٢].<u>دلالات وعظات في النهي عن قتل العباس:</u>

١- الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العباس .عمه- صلى الله عليه وسلم ؛لأنه كان في مكة، لكن قلبه مع النبي صلى الله عليه وسلم ،يخشى عليه الأذى،ويتمنى له النصر والتمكين في الأرض ،يتبين ذلك من حواره مع الأنصار ليلة العقبة ، ومن مواقف أخرى كثيرة.

٢- وكان العباس رضي الله عنه يرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأخبار قريش، وهذا أمر لا يعرفه كل الناس، وربما لا يعرفه إلا النبي صلى الله عليه وسلم فقط، والرسول لا يستطيع أن يذيع ذلك في الناس.

٣- وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أبي البختري بن هشام ؛لصنيعه في مكة <u>كما قال ابن إسحاق:</u>

٤١١- " وَإِنّمَا نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيّ لِأَنّهُ كَانَ أَكَفّ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ بِمَكّةَ، وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصّحِيفَةِ الّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ".

فإذا كان هذا هو صنيع أبي البختري، فإن العباس كان دوره أكبر وأهم كثيرًا ،فإنه كان بمكة هو الذي يتولى .مع بني هاشم .حماية النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد موت أبي طالب.

٤- ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل بني هاشم؛ لأنه لا يمكن أن نسوى بين الذين تحملوا الإيذاء والحصار مع النبي صلى الله عليه وسلم، ودفاعًا عنه، وبين الذين حاربوا الدعوة طيلة هذه السنوات.

---

١ – ألحمنه: أطعن لحمه بالسيف.

٢ – في الرواية مجهول لكن العباس بن عبد الله بن معبد ثقة سيرة ابن هشام ٢/٤٦٨ تخريج دار الحديث.

٥- وأبو حذيفة: هو ابن عتبة بن ربيعة .حدثته نفسه .في لحظة ضعف بشري: لماذا لا يسوى بين أعمامه، وأعمام النبي صلى الله عليه وسلم في المعاملة، وغابت عنه هذه المعاني.

٦- وبرغم هذا القول منه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقبه ، ولم يترك عمر رضي الله عنه يعاقبه، وتركه لنفسه يعاتبها ويراجعها، فظل يندم طول حياته حتى كانت الشهادة.

مقتل أبي البختري بن هشام:

٤١٢- قال ابن إسحاق:

"فَلَقِيَهُ الْمُجَذّرُ بْنُ ذِيَادٍ الْبَلَوِيّ، حَلِيفُ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْمُجَذّرُ لِأَبِي الْبَخْتَرِيّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَتْلِك - وَمَعَ أَبِي الْبَخْتَرِيّ زَمِيلٌ لَهُ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكّةَ، وَهُوَ جُنَادَةُ بْنُ مُلَيْحَةَ.

قَالَ (أبو البخترى): وَزَمِيلِي؟ فَقَالَ لَهُ الْمُجَذّرُ لَا وَاَللّهِ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي زَمِيلِك، مَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا بِك وَحْدَك، فَقَالَ لَا وَاَللّهِ إذَنْ لَأَمُوتَن أَنَا وَهُوَ جَمِيعًا ، لَا تَتَحَدّثُ عَنّي نِسَاءُ مَكّةَ أَنّي تَرَكْت زَمِيلِي حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ . فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيّ حِينَ نَازَلَهُ الْمُجَذّرُ وَأَبَى إلّا الْقِتَالَ يَرْتَجِزُ:

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرّةَ زَمِيلَهُ ... حَتّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فَاقْتَتَلَا ، فَقَتَلَهُ الْمُجَذّرُ بْنُ ذِيَادٍ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : ثُمّ إنّ الْمُجَذّرَ أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ وَاَلّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَآتِيك بِهِ (فَأَبَى) إلّا أَنْ يُقَاتِلَنِي ، فَقَاتَلْتُهُ فَقَتَلْتُهُ".[١]

دلالة:

بعض الناس يموت كافرًا، لكن الكفار ليسوا على درجة واحدة، فهذا رجل يأبى أن يعيش وحده دون زميله، فإذا كان قد فقد الإيمان ،فإنه لم يفقد النخوة ، وكثيرًا ما يكون في الأعداء من يستحق الاحترام.

مقتل أمية بن خلف:

روى البخاري في صحيحه[٢]:

٤١٣- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

---

١ – ابن هشام ٤٦٩– ٢/٤٧٠ والطبري في التاريخ ٣٤/٢–٣٥ وعيون الأثر ٣٩٩/١ – عن دار الحديث

٢ – صحيح البخاري رقم ٢١٣٧ العالمية.

" كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِي فِي صَاغِيَتِي بِمَكَّةَ وَأَحْفَظَهُ فِي صَاغِيَتِهِ[1] بِالْمَدِينَةِ. فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ قَالَ لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ كَاتِبْنِي بِاسْمِكَ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَاتَبْتُهُ عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لِأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ فَأَبْصَرَهُ بِلَالٌ فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي آثَارِنَا فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمْ ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ، فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ ابْرُكْ فَبَرَكَ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ.
وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِي بِسَيْفِهِ وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ."

٤١٤- وروى ابْنُ إسْحَاقَ:

عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ:

كَانَ أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ لِي صَدِيقًا بِمَكّةَ وَكَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو ، فَتَسَمّيْت ، حِينَ أَسْلَمْتُ عَبْدَ الرّحْمَنِ وَنَحْنُ بِمَكّةَ فَكَانَ يَلْقَانِي إذْ نَحْنُ بِمَكّةَ فَيَقُولُ يَا عَبْدَ عَمْرٍو ، أَرَغِبْتَ عَنْ اسْمٍ سَمّاكَهُ أَبَوَاك ؟ فَأَقُولُ نَعَمْ فَيَقُولُ فَإِنّي لَا أَعْرِفُ الرّحْمَنَ فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَك شَيْئًا أَدْعُوك بِهِ، أَمّا أَنْتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِك الْأَوّلِ وَأَمّا أَنَا فَلَا أَدْعُوك بِمَا لَا أَعْرِفُ. قَالَ فَكَانَ إذَا دَعَانِي : يَا عَبْدَ عَمْرٍو ، لَمْ أُجِبْهُ. قَالَ فَقُلْت لَهُ يَا أَبَا عَلِيّ اجْعَلْ مَا شِئْت، قَالَ فَأَنْتَ عَبْدُ الْإِلَهِ، قَالَ فَقُلْت: نَعَمْ. قَالَ فَكُنْت إذَا مَرَرْتُ بِهِ قَالَ يَا عَبْدَ الْإِلَهِ فَأُجِيبُهُ فَأَتَحَدّثُ مَعَهُ.
حَتّى إذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ ابْنِهِ عَلِيّ بْنُ أُمَيّةَ آخُذٌ بِيَدِهِ وَمَعِي أَدْرَاعٌ قَدْ اسْتَلَبْتُهَا، فَأَنَا أَحْمِلُهَا، فَلَمّا رَآنِي قَالَ لِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمْ أُجِبْهُ فَقَالَ يَا عَبْدَ الْإِلَهِ؟ فَقُلْت : نَعَمْ، قَالَ هَلْ لَك فِيّ فَأَنَا خَيْرٌ لَك مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ الّتِي مَعَك؟ قَالَ قُلْت: نَعَمْ هَا اللّهِ ذَا.
قَالَ فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي ، وَأَخَذْت بِيَدِهِ وَيَدِ ابْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ مَا رَأَيْت كَالْيَوْمِ قَطّ، أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللّبَنِ؟ (قَالَ): ثُمّ خَرَجْت أَمْشِي بِهِمَا. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يُرِيدُ بِاللّبَنِ أَنّ مَنْ أَسَرَنِي افْتَدَيْتُ مِنْهُ بِإِبِلٍ كَثِيرَةِ اللّبَنِ.
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَدّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ قَالَ لِي أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَأَنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ آخِذٌ بِأَيْدِيهِمَا: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ

---

[1] – صاغية الرجل: أهله وماله وكل من يميل إليه – من (صغى إليه) أي مال إليه.

مَنْ الرّجُلُ مِنْكُمْ الْمُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ قُلْت : ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، قَالَ ذَاكَ الّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ. قَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ فَوَاَللّهِ إنّي لَأَقُودُهُمَا إذْ رَآهُ بِلَالٌ مِعَى - وَكَانَ هُوَ الّذِي يُعَذّبُ بِلَالًا بِمَكّةَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ فَيُخْرِجُهُ إلَى رَمْضَاءَ مَكّةَ إذَا حَمِيَت ، فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمّ يَأْمُرُ بِالصّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمّ يَقُولُ لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمّدٍ، فَيَقُولُ بِلَالٌ أَحَدٌ أَحَدٌ.

قَالَ فَلَمّا رَآهُ قَالَ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نَجَوْتُ إنْ نَجَا. قَالَ قُلْت: أَيْ بِلَالٌ أَبِأَسِيرَيّ؟ قَالَ لَا نَجَوْت إنْ نَجَا. قَالَ قُلْت: أَتَسْمَعُ يَا ابْنَ السّوْدَاءِ؟ قَالَ: لَا نَجَوْت إنْ نَجَا. قَالَ: ثُمّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا أَنْصَارَ اللهِ رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نَجَوْتُ إنْ نَجَا. قَالَ فَأَحَاطُوا بِنَا حَتّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمَسَكَةِ وَأَنَا أَذُبّ عَنْهُ . قَالَ فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السّيْفَ فَضَرَبَ رِجْلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ وَصَاحَ أُمَيّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطّ. قَالَ فَقُلْت: اُنْجُ بِنَفْسِك، وَلَا نُجَاءَ بِك فَوَاَللّهِ مَا أُغْنِي عَنْك شَيْئًا. قَالَ فَهَبَرُوهُمَا بِأَسْيَافِهِمْ حَتّى فَرَغُوا مِنْهُمَا. قَالَ فَكَانَ عَبْدُ الرّحْمَنِ يَقُولُ يَرْحَمُ اللّهُ بِلَالًا ، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرَيّ".[1]

جنود الله من الملائكة:

تواترات الروايات بنزول الملائكة في معركة بدر ؛لعون المسلمين، وأكد ذلك القرآن الكريم في سورة الأنفال "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)".

٤١٥- وروى البخاري:

" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ".[2]

---

[1] – سيرة ابن هشام ٢/٤٧٠ وإسناده صحيح من الطريقين. دا رالحديث وهو موافق لرواية البخاري

[2] – البخاري ٣٦٩٤ العالمية

٤١٦- وروى البخاري أيضًا:

" عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ. أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ"[١].

وشاركت الملائكة وباشرت القتال:

وهي قضية خلافية، هل كان نزول الملائكة لتثبيت المؤمنين ؟أم أن الملائكة باشرت القتال فعلًا؟ فهذه رواية مسلم تثبت مباشرة الملائكة للقتال: جاء في الرواية

عن عمر رضي الله عنه:

٤١٧- " بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ."[٢].

شهود جبريل وميكائيل وإسرافيل:

٤١٨- عن علي بن أبي طالب قال:

"كنت يوم بدر أميح وأمتح فجاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة فلم أر ريحًا أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي صلى الله عليه وسلم، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة.

---

١ – البخاري ٣٦٩٢ العالمية

٢ – جزء من حديث مسلم الطويل في غزوة بدر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصحيح مسلم ٣٣٠٩ة ترقيم العالمية.

وكان أبو بكر عن يمينه، وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسه، فلما استويت عليه، حمل بي فصرت على عنقه، فدعوت الله فثبتني عليه، فطعنت برمحي، حتى بلغ الدم إبطي." [١]

الملائكة تأسر أيضًا:

٤١٩- روى أحمد والبزار عن علي قال:

"فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين ،فجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول ا،لله إن هذا والله ما أسرني؛ أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهًا ،على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول ا،لله قال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم"[٢].

ابن القيم يفسر حديث القرآن عن نزول الملائكة:

قال ابن القيم:

" وَاسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ اللّهَ وَاسْتَغَاثُوهُ وَأَخْلَصُوا لَهُ وَتَضَرّعُوا إلَيْهِ فَأَوْحَى اللّهُ إلَى مَلَائِكَتِهِ: {أَنّي مَعَكُمْ فَثَبّتُوا الّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الّذِينَ كَفَرُوا الرّعْبَ} [الْأَنْفَالِ:١٢]،

وَأَوْحَى اللّهُ إلَى رَسُولِهِ: {أَنّي مُمِدّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الْأَنْفَالِ:٩] قُرِئَ بِكَسْرِ الدّالِ وَفَتْحِهَا، فَقِيلَ الْمَعْنَى إنّهُمْ رِدْفٌ لَكُمْ، وَقِيلَ يُرْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْسَالًا لَمْ يَأْتُوا دَفْعَةً وَاحِدَةً. فَإِنْ قِيلَ هَا هُنَا ذَكَرَ أَنّهُ أَمَدّهُمْ بِأَلْفٍ وَفِي [سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ] قَالَ: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدّكُمْ رَبّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوّمِينَ} [آلِ عِمْرَانَ: ١٢٤] فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟

قِيلَ قَدْ اُخْتُلِفَ فِي هَذَا الْإِمْدَادِ الّذِي بِثَلَاثَةِ آلَافٍ وَالّذِي بِالْخَمْسَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنّهُ كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكَانَ إمْدَادًا مُعَلّقًا عَلَى شَرْطٍ فَلَمّا فَاتَ شَرْطُهُ فَاتَ الْإِمْدَادُ، وَهَذَا قَوْلُ الضّحّاكِ وَمُقَاتِلٍ وَإِحْدَى الرّوَايَتَيْنِ عَنْ عِكْرِمَةَ.

---

١ – قال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات ج٢/٤٧٨.

٢ – قال الهيثمي في المجمع ٢/٤٨٧ رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير حادثة بن مضرب وهو ثقة.

وَالثّانِي: أَنّهُ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَقَتَادَةَ".[1]

إبليس يوليِّ الأدبار بعد رؤية الملائكة:

قال ابن القيم:

٤٢٠- " وَذَكَرَ الطّبَرَانِيّ فِي " مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ" عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ ، قَالَ لَمّا رَأَى إبْلِيسُ مَا تَفْعَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ ، أَشْفَقَ أَنْ يَخْلُصَ الْقَتْلُ إلَيْهِ فَتَشَبّثَ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَهُوَ يَظُنّهُ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ فَوَكَزَ فِي صَدْرِ الْحَارِثِ فَأَلْقَاهُ ثُمّ خَرَجَ هَارِبًا حَتّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ نَظْرَتَك إيّايَ وَخَافَ أَنْ يَخْلُصَ إلَيْهِ".[2]

العبر والعظات في نزول الملائكة:

١- الملائكة خلق من خلق الله، طائعون لله أبدًا، ينزلهم الله عز وجل إلى عباده المؤمنين ؛لمهام جليلة وغايات عظيمة وحكمة بالغة، ونزولهم في ساحات المعارك، ثبت بالقطع واليقين، من خلال القرآن العظيم في بدر وأحد.

٢- والملائكة بعض جند الله، فإن الله عز وجل يهلك الظالمين بجنود لا يعلمها إلا هو: بالريح، وبالصواعق ، وبالزلازل ، وغيرها.

٣- وكل هذه الجنود يسخرها المولى عز وجل - بقوله كن - لعباده المؤمنين، وهل يطمع مؤمن مهما بلغت حالة الضعف التي يعيشها في أكثر من أن يكون مطمئنًّا؟! لأن مالك الكون . سبحانه .يسخر له كل هذه الجنود فهل يخشى بعد ذلك من سلطان ، أو طاغية ، أو ملك؟

٤- وهذه الجنود الربانية يستنزلها العبد الصالح بإخلاص الدعاء والتذلل والقربإلى الله عز وجل.

٥- وليس في النصوص القرآنية أو النبوية الشريفة ما يمنع تكرار نزول الملائكة لتأييد وعون المؤمنين، في كل عصر وحين.   اللهم أمدنا بمدد من عندك ،وملائكة من جندك، يا قوي يا عزيز يا متين.

---

[1] – زاد المعاد ج٣/١٥٣ المكتبة الشاملة

[2] – المصدر السابق

مقتل أبي جهل:

كان أبو جهل يمثل الطاغية الأكبر، ويمثل فرعون هذه الأمة، كما قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان يمثل أكبر مجرم حرب في العهد المكي ؛قتل سمية وزوجها ياسر، وكاد أن يقتل ابنهما عمَّارًا من شدة التعذيب وقسوته.

وكان أبو جهل المحرك الأكبر لرحى هذه الحرب، رفض الاستماع لنصيحة أبي سفيان بالعودة، ورفض اقتراح عتبة بن ربيعة بحمل دية عمرو الحضرمي (حليف عتبة) الذي كان مقتله آخر مبرر لقيام قريش بالحرب.

وأصر في غطرسة وكبرياء على أن ينتصر، ويشرب الخمر، وتعزف له القيان، وتسمع العرب به وبمسيره، فلا يزالون يهابونه، لكنه أورد قومه مورد التهلكة، ولقي هو أيضا نفس المصير..

ومن عجب؛ أن أبا جهل يستفتح المعركة بالدعاء:

روىابن إسحاق:

٤٢١- أَنّهُ لَمّا الْتَقَى النّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ اللّهُمّ أَقْطَعَنَا لِلرّحِمِ وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ . فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتِحَ".[١]

وقد أنزل الله عز وجل في ذلك قرآنًا: { إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ }

أي قد جاءكم ما سألتم ، لأن السُّدِّي قال:

٤٢٢- " كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بَدْر، أخذوا بأستار الكعبة ،فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين. فقال الله: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} يقول: قد نصرت ما قلتم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم." [٢]

وقال ابن القيم في زاد المعاد:

٤٢٣- "وَاسْتَفْتَحَ أَبُو جَهْلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ: اللّهُمّ أَقْطَعْنَا لِلرّحِمِ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ، اللّهُمّ أَيّنَا كَانَ أَحَبّ إلَيْكَ وَأَرْضَى عِنْدَكَ فَانْصُرْهُ الْيَوْمَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ {إِنْ

١ – سيرة ابن هشام ٤٦٨/٢ إسناده صحيح أخرجه أحمد في مسنده ٤٣١/٥ والنسائي وابن جرير في التفسير، والحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبي (دار الحديث).

٢ – تفسير ابن كثير ـ سورة الأنفال

تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الْأَنْفَالِ]١٩".[1]

أبو جهل مازال في غطرسته رغم بوادر الهزيمة:

٤٢٤- "وعن رفاعة بن رافع الأنصاري قال: فأقبل أبو جهل فقال: يا معشر الناس لا يهزمنكم خذلان سراقة إياكم ؛فإنه كان على ميعاد من محمد، لا يهولنكم قتل عتبة وشيبة ابني ربيعة؛ فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال، فلا ألقين رجلًا قتل رجلًا منهم، ولكن خذوهم أخذًا؛ حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم، ورغبتهم عن اللات والعزى".[2]

رواية البخاري في مقتل أبي جهل:

٤٢٥- " عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ:

بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ. ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ قَالَا لَا فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ.. وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ".[3]

رواية ابن إسحاق:

روى ابن إسحاق عن معاذ بن عمرو بن الجموح قال:

---

١ – هكذا يروي ابن القيم في زاد المعاد بدون إسناد – لكنه إمام محقق.

٢ – قال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف – أقول: الراوي الضعيف غير متقن للحفظ، لكن المتن قد يكون مقبولا.

٣ – رواه البخاري ٢٩٠٨ ومسلم ٣٢٩٦ وأحمد ١٥٨٣– ترقيم العالمية.

٤٢٦- " قَالَ مُعَاذُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْحَرَجَةُ الشّجَرُ الْمُلْتَفّ - وَهُمْ يَقُولُونَ: أَبُو الْحَكَمِ لَا يُخْلَصُ إلَيْهِ . قَالَ فَلَمّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي ، فَصَمَدْت نَحْوَهُ فَلَمّا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضَرَبْته ضَرْبَةً أَطَنّتْ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ فَوَاَللّهِ مَا شَبّهْتهَا حِينَ طَاحَتْ إلّا بِالنّوَاةِ تُطِيحُ مِنْ تَحْتِ مِرْضَخَةِ النّوَى حِينَ يُضْرَبُ بِهَا. قَالَ وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي، فَطَرَحَ يَدِي، فَتَعَلّقَتْ بِجَلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي ، وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عَنْهُ فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامّةَ يَوْمِي، وَإِنّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي ، فَلَمّا آذَتْنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي ، ثُمّ تَمَطّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتّى طَرَحْتُهَا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ حَتّى كَانَ زَمَانُ عُثْمَانَ. ثُمّ مَرّ بِأَبِي جَهْلٍ وَهُوَ عَقِيرٌ مُعَوّذُ بْنُ عَفْرَاءَ، فَضَرَبَهُ حَتّى أَثْبَتَهُ فَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ . وَقَاتَلَ مُعَوّذٌ حَتّى قُتِلَ".[١]

<u>ابن مسعود يُجْهِز على أبي جهل:</u>

روى البخارى ومسلم:

٤٢٧- "عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَنْظُرُ لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَكَ. قَالَ فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَقَالَ: آنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟!!! فَقَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟ أَوْ قَالَ قَتَلَهُ قَوْمُهُ. قَالَ وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِي[٢].

<u>قال النووي في شرح مسلم:</u>

" قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ يَنْظُر إِلَيْنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْل؟) سَبَب السُّؤَال عَنْهُ أَنْ يَعْرِف أَنَّهُ مَاتَ لِيَسْتَبْشِر الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، وَيَنْكَفّ شَرّه عَنْهُمْ. قَوْله: (ضَرَبَهُ اِبْنَا عَفْرَاء حَتَّى بَرَكَ) هَكَذَا هُوَ فِي بَعْض النُّسَخ (بَرَكَ) بِالْكَافِ، وَفِي بَعْضهَا (بَرَدَ) بِالدَّالِ، فَمَعْنَاهُ بِالْكَافِ: سَقَطَ إِلَى الْأَرْض، وَبِالدَّالِ: مَاتَ ، يُقَال: بَرَدَ إِذَا مَاتَ ، قَالَ الْقَاضِي: رِوَايَة الْجُمْهُور (بَرَدَ) وَرَوَاهُ بَعْضهمْ بِالْكَافِ، قَالَ : وَالْأَوَّل هُوَ الْمَعْرُوف، هَذَا كَلَام الْقَاضِي، وَاخْتَارَ جَمَاعَة

---

١ – سيرة ابن هشام ٤٧٤/٢ إسناده صحيح ذكره الحافظ في الفتح والحاكم في المستدرك . دار الحديث ، أقول: وفي الرواية اختلاف يسير عما في البخاري والسنن.

٢ – رواه مسلم ٣٣٥٨ والبخاري ٣٦٦٧ واللفظ لمسلم .

مُحَقِّقُونَ الْكَاف ، وَأَنَّ اِبْنَيْ عَفْرَاء تَرَكَاهُ عَفِيرًا، وَبِهَذَا كَلَّمَ اِبْن مَسْعُود كَمَا ذَكَرَهُ مُسْلِم ، وَلَهُ مَعَهُ كَلَام آخَر كَثِير مَذْكُور فِي غَيْر مُسْلِم، وَابْن مَسْعُود هُوَ الَّذِي أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَاحْتَزَّ رَأْسه. قَوْله: (وَهَلْ فَوْق رَجُل قَتَلْتُمُوهُ) أَيْ : لَا عَار عَلَيَّ فِي قَتْلكُمْ إِيَّايَ . قَوْله: (لَوْ غَيْر أَكَّار قَتَلَنِي ؟ ! !) (الْأَكَّار): الزَّرَّاع وَالْفَلَّاح، وَهُوَ عِنْد الْعَرَب نَاقِص، وَأَشَارَ أَبُو جَهْل إِلَى اِبْنَيْ عَفْرَاء اللَّذَيْنِ قَتَلَاهُ وَهُمَا مِنْ الْأَنْصَار، وَهُمْ أَصْحَاب زَرْع وَنَخِيل ، وَمَعْنَاهُ: لَوْ كَانَ الَّذِي قَتَلَنِي غَيْر أَكَّار لَكَانَ أَحَبّ إِلَيَّ وَأَعْظَم لِشَأْنِي، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ نَقْص فِي ذَلِكَ".[1]

أبو جهل فرعون هذه الأمة:

٤٢٨- عن ابن مسعود قال:

" أدركت أبا جهل يوم بدر صريعًا، فقلت أي عدو الله قد أخزاك الله؟ قال وبما أخزاني من رجل قتلتموه؛ ومعي سيف لي ،فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء ومعه سيف له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه، فضربت عنقه ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال:

الله الذي لا إله إلا هو؟

قلت: الله الذي لا إله إلا هو.

قال: انطلق فاسْتَثْبِتْ، فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :انطلق فانطلقت معه فأريته فلما وقف عليه صلى الله عليه وسلم قال: هذا فرعون هذه الأمة. وفي رواية عنده فكبر وقال: الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وزاد في رواية أخرى، وأعز دينه"[2].

قتال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

وباشر الرسول صلى الله عليه وسلم القتال بنفسه، وهو كثيرًا ما كان يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم، خصوصًا إذا اشتد البأس واحمرّت الحُدُق ،فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. نقول ذلك رغم أن مكان القائد يكون في قلب الجيش – في الغالب- مهمته إدارة المعركة وتوجيه جنوده ذات اليمين وذات الشمال، والتبصر بمواطن الضعف في عدوه ومواطن

---

[1] – صحيح مسلم بشرح النووي للحديث السابق.

[2] – قال الهيثمي فى المجمع: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب ابن أبي كريمة وهو ثقة.

الخطر، والغالب ألا ينشغل القائد بمباشرة القتال بنفسه إلا نادرًا؛ لإعطاء القدوة وبث الحماسة في قلوب أتباعه وجنوده.

٤٢٩- عن عمر بن الخطاب قال:

لما نزلت "سيهزم الجمع ويولون الدبر" قلت: أيُّ جمعٍ هذا؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده السيف مصلتًا وهو يقول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر"[١]

٤٣٠- عن أبي هريرة قال:

" أنزل الله على نبيه بمكة "سيهزم الجمع ويولون الدبر" فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر ،فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر"[٢]

سيف عكاشة بن محصن:

٤٣١- قال ابن إسحاق:" وَقَاتَلَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ الْأَسَدِيّ ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ، فَأَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَعْطَاهُ جِذْلًا مِنْ حَطَبٍ، فَقَالَ: "قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكّاشَةُ" فَلَمّا أَخَذَهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هَزّهُ فَعَادَ سَيْفًا فِي يَدِهِ طَوِيلَ الْقَامَةِ شَدِيدَ الْمَتْنِ أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتّى فَتَحَ اللّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَكَانَ ذَلِكَ السّيْفُ يُسَمّى: الْعَوْنَ. ثُمّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى قُتِلَ فِي الرّدّةِ وَهُوَ عِنْدَهُ قَتَلَهُ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيّ."[٣]

تاريخ غزوة بدر: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الإثنين ٨ رمضان وكانت الموقعة يوم ١٧ رمضان.

---

١ – قال الهيثمي **في** المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري ولم أعرفه.

٢ – قال **الهيثمي** فى المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

٣ – سيرة ابن هشام ، ذكره ابن إسحاق من غير إسناد، وذكره ابن حجر في الفتح من غير إسناد ٤١٩/٧ من غير إسناد وسكت عنه. تخريج دار الحديث.

هزيمة قريش – مقتل سبعين وأسر سبعين:

الأسرى:

كان عدد الأسرى سبعين، وعدد القتلى أيضًا سبعين من المشركين ،روىذلك الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟[1]

العباس.عم الرسول صلى الله عليه وسلم.في الأسرى:

٤٣٤- قال ابن القيم:

"وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِالْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ أَسِيرًا ، فَقَالَ الْعَبّاسُ إنّ هَذَا وَاَللّهِ مَا أَسَرَنِي ، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِنْ أَحْسَنِ النّاسِ وَجْهًا ، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ مَا أَرَاهُ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ أَنَا أَسِرْتُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ، فَقَالَ اُسْكُتْ فَقَدْ أَيّدَكَ اللّهُ بِمَلَكٍ كَرِيمٍ"[2]

كَرَاهَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ لِأَسْرِ الْمُشْرِكِينَ:

٤٣٥- قال ابن القيم :

"وَلَمّا وَضَعَ الْمُسْلِمُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الْعَدُوّ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ الْخَيْمَةِ الّتِي فِيهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهِيَ الْعَرِيشُ مُتَوَشّحًا بِالسّيْفِ فِي نَاسٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، رَأَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: كَأَنّكَ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ النّاسُ؟ قَالَ أَجَلْ وَاَللّهِ كَانَتْ أَوّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللّهُ بِالْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الْإِثْخَانُ فِي الْقَتْلِ أَحَبّ إلَيّ مِنْ اسْتِبْقَاءِ الرّجَالِ".

فداء العباس، وهل كان مسلمًا؟

هذه رواية عند الإمام أحمد فيها حوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم ،وبين العباس ،فيه معان كثيرة:

٤٣٦- عن ابن عباس قال:

---

[1] – مسلم باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

[2] – زاد المعاد ١٧٤/٣ المكتبة الشاملة. وقال الهيثمي رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة.

"كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو، وهو كعب بن عمرو أحد بني سلمة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أسرته يا أبا اليسر؟

قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أعانك عليه ملك كريم".

وقال للعباس: "يا عباس افْدِ نفسَك وابنَ أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن جحدم أحد بني الحارث بن فهر". قال: فإني كنت مسلمًا قبل ذلك، وإنما استكرهوني، قال: الله أعلم بشأنك: إن يك ما تدعى حقًا، فالله يجزيك بذلك ،فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا[1]، فافْدِ نفسك.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية ذهب، فقال يا رسول الله احسبها لي من فدائي، قال: لا ذلك شيء أعطانا الله منك، قال فإنه ليس لي مال، قال: فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل وليس معكما غيركما أحد، فقلت إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا؟؟

قال: فوالذي بعثك بالحق ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها ،وإني أعلم أنك رسول الله."[2]

<u>تعقيب:</u>

هذه الرواية – إن صحت – تبين أن العباس كان مسلمًا قبل غزوة بدر، لولا المجهول في هذه الرواية، لكن سيأتي قول أبي رافع عن دخول الإسلام بيت العباس وإسلام أم الفضل والعباس وأبي رافع ؛ليؤكد هذه الرواية فيما يخص إسلام العباس قبل غزوة بدر.

معاملة الأسير:

الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالأسارى خيرًا:

هذه من مبادئ الإسلام العظيمة في أزمنة البداوة، وفي البلاد الصحراوية حيث سادت الهمجية، وسبق الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بمبادئه أهل الحضارات الحديثة:

---

[1] – أي: كنت تحاربنا.

[2] – قال الهيثمي في المجمع رواه أحمد وفيه راوٍ لم يُسَمّ، وبقية رجاله ثقات، وأقول وهذه الرواية تتقوى بالرواية السابقة عند أحمد والبزار في أسر العباس.

٤٣٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي نُبِيّهُ بْنُ وَهْبٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ:

"أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ أَقْبَلَ بِالْأُسَارَى فَرّقَهُمْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَقَالَ: اسْتَوْصُوا بِالْأُسَارَى خَيْرًا.

قَالَ: وَكَانَ أَبُو عَزِيزِ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ ، أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمّهِ فِي الْأُسَارَى. قَالَ فَقَالَ أَبُو عَزِيزٍ مَرّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدّ يَدَيْك بِهِ فَإِنّ أُمّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلّهَا تَفْدِيهِ مِنْك ، قَالَ وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنْ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ فَكَانُوا إذَا قَدّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصّونِي بِالْخُبْزِ وَأَكَلُوا التّمْرَ لِوَصِيّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إيّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إلّا نَفَحَنِي بِهَا[١]. قَالَ فَأَسْتَحْيِيَ فَأَرُدّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدّهَا عَلَيّ ما يَمَسّهَا".[٢]

الرسول (صلى الله عليه وسلم)يخاطب قتلى قريش:

من كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكريمه لخلق الإنسان، أنه لم يترك جثث المشركين نهبًا للسباع والطير ،وإنما دفن أجسادهم في قليب (بئر جافة) من قُلب بدر.

٤٣٨- روى أحمد في مسنده:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَتْلَى أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ فَطُرِحُوا فِيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ فَمَلَأَهَا فَذَهَبُوا يُحَرِّكُوهُ فَتَزَايَلَ فَأَقَرُّوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غَيَّبَهُ مِنْ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ.

فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلِيبِ وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا؟ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى؟ قَالَ فَقَالَ لَهُمْ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدْتُهُمْ حَقٌّ.

---

[١] –كان التمر عندهم أرخص وأقل قيمة من الخبز.

[٢] – سيرةابن هشام ٢/٤٨٤ وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن .

قَالَتْ عَائِشَةُ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ "لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ" وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَقَدْ عَلِمُوا".[1]

توضيح:

ترى السيدة عائشة رضي الله عنها أنهم علموا، ولم يسمعوا لأن الله تعالى يقول: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ}، وهو خلاف قول جمهور الصحابة، ومَن بعدهم، لأن، الجمع بين الآية والحديث ممكن بتفسير الحدث أنه معجزة ؛ إن الله تعالى أسمعهم في تلك اللحظة ،هذا القول على، سبيل خرق العادة ،والله أعلم.

روى البخاري عن قتادة قال:

٤٣٩- ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ[2] بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ.

وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ[3] ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ[4] فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟

قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا"[5].

أبو حذيفة بن عتبة أمام مشهد أبيه:

٤٤٠- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

---

[1] – رواه أحمد فى مسنده برقم ٢٥١٥٧ العالمية . قال الهيثمي في المجمع رواته ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[2] – طوى: البئر الذي بناؤه الحجارة.

[3] – العرصة : ساحة المعركة

[4] – شفة الركي: طرف البئر

[5] – رواه البخاري برقم ٣٦٧٩

"وَلَمّا أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُلْقَوْا فِي الْقَلِيبِ ، أُخِذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَسُحِبَ إلَى الْقَلِيبِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ فَإِذَا هُوَ كَئِيبٌ قَدْ تَغَيّرَ لَوْنُهُ فَقَالَ يَا أَبَا حُذَيْفَةَ لَعَلّك قَدْ دَخَلَك مِنْ شَأْنِ أَبِيك شَيْءٌ؟ أَوْ كَمَا قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَقَالَ لَا ، وَاَللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مَصْرَعِهِ ولكنى كُنْتُ أَعْرِفُ مَنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا ، فَكُنْت أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إلَى الْإِسْلَامِ فَلَمّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ بَعْدَ الّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ أَحْزَنَنِي ذَلِكَ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِخَيْرٍ وَقَالَ لَهُ خَيْرًا".[1]

الأنفال:

القرآن الكريم تحدث عن معركة بدر في سورة الأنفال، وتناولت الآيات الكريمة الدروس العظيمة التي خلدتها غزوة بدر لكل الأجيال، وسوف نتناول ذلك قريبًا، إن شاء الله.

لكن الذي سنتوقف عنده الآن هو قضية الأنفال، وهي قضية عجيبة.

فالسورة القرآنية سُمّيتْ الأنفال، ومعنى أن تكون التسمية هكذا؛الأنفال،معنى ذلك أنه موضوع هام.

فهل الأنفال .الغنائم .شيء هام يركز عليه القرآن كل هذا التركيز؟

بالتأكيد ليست الأنفال أهم شيء،

وخصوصًا إذا كان القرآن قد بين أن الله سبحانه وعد المسلمين إحدى الطائفتين، وأن المسلمين أرادوا العير .القافلة .لكن الله عز وجل شاء لهم ذات الشوكة .أي الحرب : ليحق الحقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

أيضًا، يتوقع المرء أن يكون حديث القرآن عن غزوة بدر يبتدئ بالنصر المبين وأسبابه، أو بالمعجزات ، أو بيان أن النصر من عند الله مهما كان العدد قليلًا ، وهي معان عظيمة.

لكن السورة ابتدأت هكذا { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ }.

---

١ – سيرة ابن هشام ٢/٤٧٩ هكذا ذكره ابن إسحاق بدون إسناد

فما الذي حدث في أمر الأنفال:

٤٤١- روي الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ:

" سَأَلْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ الْأَنْفَالِ فَقَالَ: فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَانْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا وَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ يَقُولُ عَلَى السَّوَاءِ"[١].

٤٤٢- وروى الإمام أحمد أيضًا:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:

" خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ فَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً.

حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ، وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنَا بِهِ.

فَنَزَلَتْ {يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَغَارَ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ نَفَلَ الرُّبُعَ وَإِذَا أَقْبَلَ رَاجِعًا وَكُلَّ النَّاسِ نَفَلَ الثُّلُثَ وَكَانَ يَكْرَهُ الْأَنْفَالَ وَيَقُولُ لِيَرُدَّ قَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ".[٢]

دلالات وعظات:

إذن نحن أمام حدث جلل: أهل بدر هم صفوة الصفوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم السابقون الأولون من المهاجرين الذين تركوا الديار والأموال {يبتغون فضلا من

---

[١] – رواه الإمام احمد برقم ٢١٦٨٥ ترقيم العالمية – بسند حسن. تخريج موسوعة حرف.

[٢] – مسند أحمد ٢/٦٩٩ العالمية. ورواه ابن كثير في التفسير وقال ابن كثير في التفسير: رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح عن شرط مسلم ولم يخرجاه.

الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله}، وهم الأنصار الذين قاسموا إخوانهم المهاجرين الديار والأموال .تنازلوا طواعية عن نصف ممتلكاتهم {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}، هم الذين خرجوا يواجهون عتاة قريش وطغاتها، لايأبهون بالموت ويتمنون الشهادة في سبيل الله:

هؤلاء: يختلفون في الغنائم ويقول عبادة بن الصامت (وساءت فيها أخلاقنا).

<u>كيف نتصور ذلك؟</u>

١- إن النفس البشرية مهما ارتفعت تظل فيها بعض البشرية والرغبة في الدنيا وفي الأموال.

٢- إن النفس البشرية تحتاج في كل حين من يذكرها بالله تعالى وبالإخلاص وبالتضحية، وبالشوق إلى الجنة.

٣- إن القرآن الكريم اعتبر هذه الحادثة – الخلاف بين المؤمنين- هو أهم قضية تستحق التنويه.

٤- وشاء الله عز وجل أن يبين للمسلمين أن فساد ذات البين هي الحالقة – كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم - التي تحلق الدين.

٥- إن وحدة المسلمين وصلاح ذات بينهم، هو أهم ما يجب أن يحرصوا عليه، وأنه من أهم أسباب النصر {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} و{وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}.

<u>بعض أحكام الغنائم (الأنفال):</u>

<u>نقلنا هذه الأحكام ملخصة عن ابن كثير:</u>

في تفسير قوله تعالي: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا؛ خَمَّس الخمس.

٢- (لله خمسه وللرسول) : سهم الله تعالى، وسهم الرسول (صلى الله عليه وسلم)واحد.

٣- كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، أربعة منها تقسم بين المقاتلين ،وخُمس واحد ،وهو خمس (لله وللرسول) يقسم على أربعة: ربع لله وللرسول ولذوي القربي، يعني: قرابة النبي

صلى الله عليه وسلم ، والربع الثاني لليتامى، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل، هذا مروي عن ابن عباس.

٤- وعن عطاء بن رباح قال: خمس الله والرسول واحد، يحمل منه ويصنع فيه ما شاء، يعني:النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- قال ابن كثير: وهذا أعم وأشمل، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف في الخمس الذي جعله الله له بما شاء.

٦- قال صلى الله عليه وسلم: ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه (وبرة بعير) إلا الخمس ،والخمس مردود عليكم (رواه أبو داوود والنسائي).

٧- وقال آخرون: إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفيء، أقول: ومال الفيء هو الذي يغنمه المسلمون بغير قتال ،يكون كله لله وللرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف فيه لمصلحة المسلمين.

العودة من بدر:

وتوزيع الغنائم في الطريق:

وزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم على المقاتلين، اعترافًا بدورهم ومكافأة لهم من ربهم، لكن بعد أن تعلموا الدرس، أن الأمر لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقسم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم الغنائم على السواء.

٤٤٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

ثُمّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - حَتّى إذَا خَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الصّفْرَاءِ نَزَلَ عَلَى كَثِيبٍ بَيْنَ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ النّازِيَةِ - يُقَالُ لَهُ سَيْرٌ - إلَى سَرْحَةٍ بِهِ، فَقَسَمَ هُنَالِكَ النّفَلَ الّذِي أَفَاءَ اللّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السّوَاءِ".[١]

استوصوا بالأسارى خيرًا:

هكذا قال الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا ذلك من قبل، وهذه هي القاعدة الإسلامية الأصلية.

---

١ – سيرة ابن هشام ٢/٤٨٢

وأكد هذا المنحى أبو عزيز بن عمير - أخو مصعب بن عمير:

٤٤٤- قال: "وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنْ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إِذَا قَدّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصّونِي بِالْخُبْزِ وَأَكَلُوا التّمْرَ، لِوَصِيّةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إيّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إلّا نَفَحَنِي بِهَا. قَالَ: فَأَسْتَحْيِي فَأَرُدّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدّهَا عَلَيّ ما يَمَسّهَا".[1]

فداء الأسرى من المشركين:

٤٤٥- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

" كَانَ فِدَاءُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ لِلرّجُلِ إلَى أَلْفِ دِرْهَمٍ إلّا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ فَمَنّ عليه رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَيْهِ"[2]

المنّ بغير فداء:

هذا منهج نبوي لا يصدر إلا من كريم حليم، فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وفعله بعده القواد العظام، والخلفاء من أمته.

المنُّ على أبي عزة الجمحي:

٤٤٦- "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَأَبُو عَزّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللّهِ... بْنِ جُمَحَ كَانَ مُحْتَاجًا ذَا بَنَاتٍ فَكَلّمَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ لَقَدْ عَرَفْتَ مَا لِي مِنْ مَالٍ ، وَإِنّي لَذُو حَاجَةٍ وَذُو عِيَالٍ فَامْنُنْ عَلَيّ، فَمَنّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلّا يُظَاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا.

فَقَالَ أَبُو عَزّةَ فِي ذَلِكَ يَمْدَحُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ فِي قَوْمِهِ:

مَنْ مُبَلّغٌ عَنّي الرّسُولَ مُحَمّدًا ... بِأَنّك حَقّ وَالْمَلِيكُ حَمِيدُ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو فِي الْحَقّ وَالْهُدَى ... عَلَيْك مِنْ اللّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ بُوّئْتَ فِينَا مَبَاءَةً ... لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودُ

فَإِنّك مَنْ حَارَبْتَهُ لَمُحَارَبٌ ... شَقِيّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ" [1]

---

١ – سيرة ابن هشام ٢/٤٩٦

٢ – ابن هشام ٢/٤٨٤ الطبراني في الصغير، والكبير وفي المجمع ٨٦/٦ وإسناده حسن. عن دار الحديث

وسوف نستكمل حديث الأسرى بعد قليل، بإذن الله تعالى.

البشارة قبل عودة النبي(صلى لله عليه وسلم):

٤٤٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : "ثُمّ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ الْفَتْحِ عَبْدَ اللّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ بَشِيرًا إلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ، بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ عَلَى رَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إلَى أَهْلِ السّافِلَةِ .

قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَتَانَا الْخَبَرُ حِينَ سَوّيْنَا التّرَابَ عَلَى رُقَيّةَ ابْنَةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّتِي كَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفّانَ - كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَلّفَنِي عَلَيْهَا مَعَ عثمان".[٢]

عِظَة:

سبحان الله !! تأتي بشرى النصر، وقت دفن السيدة رقية بنت الحبيب صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أحوال الدنيا: يجتمع الحزن والفرح في ذات اللحظة، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر، وتصبير لمن يصطبر.

لقاء التهنئة بالروحاء:

٤٤٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : " حَتّى إذَا كَانَ بِالرّوْحَاءِ لَقِيَهُ الْمُسْلِمُونَ يُهَنّئُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ لَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ - كَمَا حَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ: مَا الّذِي تُهَنّئُونَنَا بِهِ؟ فَوَاَللّهِ إنْ لَقِينَا إلا عجائز صلعا كالبدن المعلقة فنحرناها، فتبسم رسول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ قَالَ أَيْ ابْنَ أَخِي، أُولَئِكَ الْمَلَأُ".[٣]

عودة إلى الأسرى:

سهيل بن عمرو في الأسر:

---

[١] – ابن هشام ٢/٤٩٦ وابن حجر في الفتح ٥٤٧/١٠ نقلا عن ابن إسحاق في المغازي، والقصة موجودة في مصادر متعددة من مراسيل سعيد بن المسيب وهي مقبولة – بتصرف عن دار الحديث .

[٢] – سيرة ابن هشام ٢/٤٨١ وأخرجه البيهقي في السنن ١٧٤/٩ من حديث أسامة بن زيد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لعثمان بسهم في بدر . عن دار الحديث

[٣] – سيرة ابن هشام ٢/٤٨٢ وصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث عن عاصم بن عمر بن قتادة وإسناد رجاله الثقات . دار الحديث

٤٤٩- قُدِمَ بِالْأُسَارَى حِينَ قُدِمَ بِهِمْ وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمَعَةَ زَوْجُ النَّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ آلِ عَفْرَاءَ ، فِي مَنَاحَتِهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوّذٍ ابْنَيْ عَفْرَاءَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنّ الْحِجَابُ. قَالَ تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاَللّهِ إنّي لَعِنْدَهُمْ إذْ أُتِينَا، فَقِيلَ هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى ، قَدْ أُتِيَ بِهِمْ .

قَالَتْ: فَرَجَعْت إلَى بَيْتِي، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهِ، وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي نَاحِيَةِ الْحُجْرَةِ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، قَالَتْ: فَلَا وَاَللّهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْت أَبَا يَزِيدَ كَذَلِكَ أَنْ قُلْت: أَيْ أَبَا يَزِيدَ أَعْطَيْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ أَلَا مُتّمْ كِرَامًا.

فَوَاَللّهِ مَا أَنْبَهَنِي إلّا قَوْلُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْبَيْتِ: يَا سَوْدَةُ أَعَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ تُحَرّضِينَ؟ قَالَتْ قُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ وَاَلّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إلَى عُنُقِهِ أَنْ قُلْت مَا قُلْت".[1]

أبو عزيز بن عمير:

٤٥٠- قال ابن هشام:" وَكَانَ أَبُو عَزِيزٍ صَاحِبَ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ بَعْدَ النّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، فَلَمّا قَالَ أَخُوهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِأَبِي الْيَسَرِ وَهُوَ الّذِي أَسَرَهُ مَا قَالَ قَالَ لَهُ أَبُو عَزِيزٍ: يَا أَخِي ، هَذِهِ وَصَاتُك بِي ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ إنّهُ أَخِي دُونَك، فَسَأَلَتْ أُمّهُ عَنْ أَغْلَى مَا فُدِيَ بِهِ قُرَشِيّ، فَقِيلَ لَهَا: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ فَبَعَثَتْ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَفَدَتْهُ بِهَا".[2]

قريش تتواصى بعدم التعجل في الفداء:

٤٥١- عن عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ:

"نَاحَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلَاهُمْ ، ثُمّ قَالُوا : لَا تَفْعَلُوا فَيَبْلُغُ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ فَيَشْمَتُوا بِكُمْ، وَلَا تَبْعَثُوا فِي أَسْرَاكُمْ حَتّى تَسْتَأْنُوا بِهِمْ لَا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ فِي الْفِدَاءِ".[3]

ابن أبي وداعة السهمي يفدي أباه بالمخالفة لقريش:

[1] – سيرة ابن هشام ٢/٤٨٣ رواه ابن إسحاق بسند رجاله ثقات وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ووافقه الذهبي. دار الحديث.

[2] – سيرة ابن هشام ٢/٤٨٤.

[3] – رواه ابن إسحاق بسند صحيح صرح فيه بالتحديث وأخرجه الطبري في تاريخه ٢/٤٠ بإسناد ابن إسحاق. دار الحديث.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : "وَكَانَ فِي الْأُسَارَى أَبُو وَدَاعَةَ بْنُ ضُبَيْرَةَ السّهْمِيّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّ لَهُ بِمَكّةَ ابْنًا كَيّسًا تَاجِرًا ذَا مَالٍ، وَكَأَنّكُمْ لَهُ قَدْ جَاءَكُمْ فِي طَلَبِ فِدَاءِ أَبِيهِ، فَلَمّا قَالَتْ قُرَيْشٌ لَا تَعْجَلُوا بِفِدَاءِ أُسَرَائِكُمْ لَا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَالَ الْمُطّلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ - وَهُوَ الّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنّي : صَدَقْتُمْ لَا تَعْجَلُوا، وَانْسَلّ مِنْ اللّيْلِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذَ أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَانْطَلَقَ بِهِ".[١]

فداء سهيل بن عمرو والنهي عن المثلة:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

"ثُمّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ الْأُسَارَى ، فَقَدِمَ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخْيَفِ فِي فَدَاءِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ الّذِي أَسَرَهُ مَالِكُ بْنُ الدّخْشُمِ

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ : أَنّ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا رَسُولَ اللّهِ دَعْنِي أَنْزِعْ ثَنِيّتَيْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَيَدْلَعُ لِسَانَهُ فَلَا يَقُومُ عَلَيْك خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا ، قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا أُمَثّلُ بِهِ فَيُمَثّلُ اللّهُ بِي وَإِنْ كُنْتُ نَبِيّا[٢].

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَقَدْ بَلَغَنِي أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لِعُمَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إنّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمّهُ". [٣]

عمرو بن أبي سفيان في الأسرى:

٤٥٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ:

" كَانَ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ أَسِيرًا فِي يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَسَرَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

---

١ – سيرة ابن هشام ٢/٤٨٧ والطبري في تاريخه ٤١/٢ ورواه الطبراني كما في المجمع ٩٠/٦ وقال الهيثمي : رواته ثقات . دار الحديث.

٢ – قال ابن كثير حديث مرسل معضل، وقال ابن حجر في الإصابة هو موصول في المحامليات ورجاله. دار الحديث.

٣ – ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣١٠/٣ قال : وقال ابن إسحاق بلاغا: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وارتد من ارتد من العرب ونجم النفاق بالمدينة وغيرها، فقام بمكة فخطب الناس يثبتهم على الدين الحنيف.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ فَقِيلَ لِأَبِي سُفْيَانَ افْدِ عَمْرًا ابْنَك ؛ قَالَ أَيُجْمَعُ عَلَيّ دَمِي وَمَالِي ؟! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ وَأَفْدِي عَمْرًا، دَعُوهُ فِي أَيْدِيهِمْ يُمْسِكُوهُ مَا بَدَا لَهُمْ.

قَالَ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ مَحْبُوسٌ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إذْ خَرَجَ سَعْدُ بْنُ النّعْمَانِ بْنِ أَكّالٍ ، مُعْتَمِرًا وَمَعَهُ مُرَيّةٌ لَهُ وَكَانَ شَيْخًا مُسْلِمًا ، فِي غَنَمٍ لَهُ بِالنّقِيعِ فَخَرَجَ مِنْ هنالك معتمرا ، ولا يخشى الذى صُنِع به ولم يظن أنه يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً ، وقد كَانَ عَهِدَ قُرَيْشًا لَا يَعْرِضُونَ لِأَحَدٍ جَاءَ حَاجّا ، أَوْ مُعْتَمِرًا إلّا بِخَيْرٍ.

فَعَدَا عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِمَكّةَ فَحَبَسَهُ بِابْنِهِ عَمْرٍو، وَمَشَى بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ فَيَفُكّوا بِهِ صَاحِبَهُمْ فَفَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَبَعَثُوا بِهِ إلَى أَبِي سُفْيَانَ فَخَلّى سَبِيلَ سَعْدٍ."[1]

<u>دلالة:</u> الرواية تدل على بخل أبي سفيان، قالت زوجه هند في فتح مكة : "إن أبا سفيان رجل شحيح".

<u>مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط:</u>

<u>٤٥٥-</u> قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

حَتّى إذَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالصّفْرَاءِ قُتِلَ النّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ قَتَلَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ خَرَجَ حَتّى إذَا كَانَ بِعِرْقِ الظّبْيَةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ . فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَتْلِهِ فَمَنْ لِلصّبْيَةِ يَا مُحَمّدُ ؟ قَالَ النّارُ. فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيّ ، كَمَا حَدّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمّدِ بْنِ عَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامَ : وَيُقَالُ قَتَلَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ[2] .

---

[1] – سيرة ابن هشام ٢/٤٨٩ وهو من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، ولم تخرجه دار الحديث ، قال في التهذيب : وعبد الله بن أبي بكر ثقة مأمون حافظ وهو حجة فيما نقل وحَمَل. (أقول: وعبد الله بن أبي بكر ليس هوابن الصدّيق ،وإنما هوتابعي لم يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم).

[2] – تنبيه هام: في رواياتنا لروايات ابن إسحاق تحذف أحيانا بعض الأشعار، وبعض الاستطراد في الأنساب . اختصارا للموضوع ، بما لا يخل بالحديث الأصلي.

لماذا قتل هذان الأسيران؟

كان عدد أسرى المشركين سبعين رجلًا، كلهم كان كافرًا ،وأكثرهم اشترك في عداء المسلمين وعداء النبي صلى الله عليه وسلم شخصيًا في مكة، فلم اختُصَّ هذان الأسيران بهذا العقاب الشديد؟

لقد استعرضنا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في العفو، وفي الحلم، والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

وبينا في هذا الباب معاملة الأسرى، والوصايا النبوية الكريمة بهم، والقرآن الكريم .قبل النبي صلى الله عليه وسلم .يؤكد هذا المعنى:

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}

إذن الحكم العقلي ابتداء ،يرفض أن يكون في عقاب هذين الرجلين أي ظلم أو عدوان.

والحقيقة التي أثبتتها الروايات في العهد المكي أنهما كانا من مجرمي الحرب، ومحترفي العدوان على المسلمين المستضعفين المسالمين في مكة.

فعقبة بن أبي معيط هذا هو الذي ألقى سلا الجزور على رسول اللهصلى الله عليه وسلم، وهوساجد في المسجد الحرام.

وهو الذي اعتدى على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وخنقه بردائه حتى جحظت عيناه، وجاء أبو بكر لينقذه من الموت ويقول: {أتقتلون رجلًا أن يقول ربيِّ الله} وبالتأكيد هناك حوادث مماثلة كثيرة طيلة ١٣ عامًا.

والنضر بن الحارث: تذكر الروايات أنه كان يتولى الحرب الإعلامية وتشويه صورة القرآن على أنه (أساطير الأولين) وهو تعدٍّ على كتاب الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم ،باتهامه بالكذب قد يكون في مضمار الحرب علىالعقيدة أفظع وأنكى من وقع الحسام المهندَّ.

صهر النبي صلى الله عليه وسلم أسيرًا:

٤٥٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَقَدْ كَانَ فِي الْأُسَارَى أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، خَتَنُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَزَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَسَرَهُ خِرَاشُ بْنُ الصّمّةَ ، أَحَدُ بَنِي حَرَامٍ".

قصة زواج أبي العاص من زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَانَ أَبُو الْعَاصِ مِنْ رِجَالِ مَكّةَ الْمَعْدُودِينَ مَالًا ، وَأَمَانَةً وَتِجَارَةً وَكَانَ لِهَالَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ وَكَانَتْ خَدِيجَةُ خَالَتَهُ . فَسَأَلَتْ خَدِيجَةُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُزَوّجَهُ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُخَالِفُهَا ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَزَوّجَهُ وَكَانَتْ تَعُدّهُ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا.

فَلَمّا أَكْرَمَ اللّهُ رَسُولَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِنُبُوّتِهِ آمَنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ وَبَنَاتُهُ فَصَدّقْنَهُ وَشَهِدْنَ أَنّ مَا جَاءَ بِهِ الْحَقّ ، وَدِنّ بِدِينِهِ وَثَبَتَ أَبُو الْعَاصِ عَلَى شِرْكِهِ .

رفضه تطليق زينب رضي الله عنها وثناء النبي (صلى الله عليه وسلم) عليه:

قال: "وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ زَوّجَ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ رُقَيّةَ أَوْ أُمّ كُلْثُومٍ . فَلَمّا بَادَى قُرَيْشًا بِأَمْرِ اللّهِ تَعَالَى وَبِالْعَدَاوَةِ قَالُوا : إنّكُمْ قَدْ فَرّغْتُمْ مُحَمّدًا مِنْ هَمّهِ فَرُدّوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِ فَاشْغَلُوهُ بِهِنّ. فَمَشَوْا إلَى أَبِي الْعَاصِ فَقَالُوا لَهُ فَارِقْ صَاحِبَتَك وَنَحْنُ نُزَوّجُك أَيّ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْتَ. قَالَ لَا وَاَللّهِ إنّي لَا أُفَارِقُ صَاحِبَتِي ، وَمَا أُحِبّ أَنّ لِي بِامْرَأَتِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ . وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُثْنِي عَلَيْهِ فِي صِهْرِهِ خَيْرًا، فِيمَا بَلَغَنِي".

ثُمّ مَشَوْا إلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، فَقَالُوا لَهُ طَلّقْ بِنْتَ مُحَمّدٍ وَنَحْنُ نُنْكِحُك أَيّ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْت ، فَقَالَ إنْ زَوّجْتُمُونِي بِنْتَ أَبَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، أَوْ بِنْتَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَارَقْتُهَا . فَزَوّجُوهُ بِنْتَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَفَارَقَهَا، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا ، فَأَخْرَجَهَا اللّهُ مِنْ يَدِهِ كَرَامَةً لَهَا ، وَهَوَانًا لَهُ وَخَلَفَ عَلَيْهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ بَعْدَهُ".

الإسلام فرق بينهما:

قال: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يُحِلّ بِمَكّةَ وَلَا يُحَرّمُ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ فَرّقَ بَيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ أَسْلَمَتْ وَبَيْنَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرّبِيعِ[١] ، إلّا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُفَرّقَ بَيْنَهُمَا[٢]، فَأَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى إسْلَامِهَا وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ، حَتّى هَاجَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

---

١ – أي فرق بينهما في العقيدة أو في المعاشرة الزوجية.

٢ – أي يفرق بينهما في الدار فينقلها إلى دار الهجرة.

فَلَمّا صَارَتْ قُرَيْشٌ إلَى بَدْرٍ صَارَ فِيهِمْ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرّبِيعِ ، فَأُصِيبَ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ فَكَانَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ[١].

زينب ترسل في فداء زوجها:

٤٥٦-

"لَمّا بَعَثَ أَهْلُ مَكّةَ فِي فِدَاءِ أُسَرَائِهِمْ بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرّبِيعِ بِمَالٍ وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا ، قَالَتْ فَلَمّا رَآهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَقّ لَهَا رِقّةً شَدِيدَةً وَقَالَ إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا ، وَتَرُدّوا عَلَيْهَا مَالَهَا ، فَافْعَلُوا، فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ . فَأَطْلَقُوهُ وَرَدّوا عَلَيْهَا الّذِي لَهَا".

دلالة وعظة:

هذه المواقف الإنسانية السامية المؤثرة لا تنفك عنها الحياة، ولو كانت في خضم معركة من المعارك، يرق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)رقة شديدة عند رؤية قلادة توقظ في نفسه ذكرى الزوجة الحبيبة الراحلة رضي الله عنها.

ومن تمام هذه المواقف أن يتأثر الصحابة لما يتأثر له النبي صلى الله عليه وسلم، فحبهم له فوق حبهم لأنفسهم وأولادهم، ولذلك لم يكن غريبًا أن يتنازلوا عن حقهم في الفداء، وفي القلادة ، وأن يمُنُّوا بإطلاق أبي العاص من أسره، كما منَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)على غيره.

وَعْدٌ أن يرسلَ زينبَ:

٤٥٨- روى أبو داوود بسنده:

"عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بِمَالٍ وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ. قَالَتْ فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَقَالُوا نَعَمْ".

[١] – الجزء السابق من الرواية رواه ابن إسحاق بدون إسناد فالعهدة عليه.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ كُونَا بِبَطْنِ يَأْجَجَ، حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاهَا حَتَّى تَأْتِيَا بِهَا[1].

زاد ابن إسحاق فى المغازى: فَخَرَجَا مَكَانَهُمَا، وَذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرٍ فَلَمّا قَدِمَ أَبُو الْعَاصِ مَكّةَ أَمَرَهَا بِاللّحُوقِ بِأَبِيهَا ، فَخَرَجَتْ تَجَهّزَ.

رحلة خروج زينب من مكة إلى المدينة ومعاناتها:

٤٥٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: حُدّثْت عَنْ زَيْنَبَ أنها قَالَتْ:

"بَيْنَا أَنَا أَتَجَهّزُ بِمَكّةَ لِلّحُوقِ بِأَبِي لَقِيَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَقَالَتْ يَا بِنْتَ مُحَمّدٍ أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنّك تُرِيدِينَ اللّحُوقَ بِأَبِيك؟ قَالَتْ فَقُلْت : مَا أَرَدْت ذَلِكَ. فَقَالَتْ أَيْ ابْنَةَ عَمّي ، لَا تَفْعَلِي ، إنْ كَانَتْ لَك حَاجَةٌ بِمَتَاعٍ مِمّا يَرْفُقُ بِك فِي سَفَرِك ، أَوْ بِمَالٍ تَتَبَلّغِينَ بِهِ إلَى أَبِيك ، فَإِنّ عِنْدِي حَاجَتَك ، فَلَا تَضْطَنِي مِنّي[2] ، فَإِنّهُ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ النّسَاءِ مَا بَيْنَ الرّجَالِ. قَالَتْ: وَاَللّهِ مَا أَرَاهَا قَالَتْ ذَلِكَ إلّا لِتَفْعَلَ، قَالَتْ وَلَكِنّي خِفْتُهَا ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ أَكُونَ أُرِيدُ ذَلِكَ وَتَجَهّزْتُ".

فَلَمّا فَرَغَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ جَهَازِهَا قَدّمَ لَهَا حَمُوهَا كِنَانَةُ بْنُ الرّبِيعِ أَخُو زَوْجِهَا بَعِيرًا ، فَرَكِبَتْهُ وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ ثُمّ خَرَجَ بِهَا نَهَارًا يَقُودُ بِهَا ، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا . وَتَحَدّثَ بِذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوًى ، فَكَانَ أَوّلَ مَنْ سَبَقَ إلَيْهَا هَبّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى ، وَالْفِهْرِيّ ، فَرَوّعَهَا هَبّارٌ بِالرّمْحِ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا ، وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ حَامِلًا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَلَمّا رِيعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا، وَبَرَكَ حَمُوهَا كِنَانَةُ (أي: على الأرض) وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمّ قَالَ وَاَللّهِ لَا يَدْنُو مِنّي رَجُلٌ إلّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا ، فَتَكَرْكَرَ النّاسُ عَنْهُ.

وَأَتَى أَبُو سُفْيَانَ فِي جُلّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَيّهَا الرّجُلُ كُفّ عَنّا نَبْلَك حَتّى نُكَلّمَك، فَكَفّ فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: إنّك لَمْ تُصِبْ خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُءُوسِ النّاسِ عَلَانِيَةً وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمّدٍ، فَيَظُنّ النّاسُ إذَا خَرَجْتَ بِابْنَتِهِ إلَيْهِ عَلَانِيَةً عَلَى رُءُوسِ النّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، أَنّ ذَلِكَ عَنْ ذُلّ أَصَابَنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا

---

[1] – رواه ابو داود برقم ٢٣١٧ العالمية ورواته ثقات غير محمد بن إسحاق وهو صدوق يدلس. موسوعة حرف.

[2] – فلا تضطني: فلا تستحي

الّتِي كَانَتْ وَأَنّ ذَلِكَ مِنّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ. وَلَعَمْرِي مَا لَنَا بِحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا مِنْ حَاجَةٍ وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثَوْرَةٍ. وَلَكِنْ ارْجِعْ بِالْمَرْأَةِ حَتّى إذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ وَتَحَدّثَ النّاسُ أَنْ قَدْ رَدَدْنَاهَا ، فَسُلّهَا سِرّا ، وَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا ؛ قَالَ فَفَعَلَ.

فَأَقَامَتْ لَيَالِيَ حَتّى إذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا حَتّى أَسْلَمَهَا إلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ"[1].

تتمة:

سوف تأتي بإذن الله تعالى بقية قصة زينب وأبي العاص عندما يؤسر أبو العاص في سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادي الأولي سنة ٦هـ ، بعد غزوة الأحزاب بقليل.

نبأ الهزيمة يصدم أهل مكة:

٤٦٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَكَانَ أَوّلُ مَنْ قَدِمَ مَكّةَ (بِمُصَابِ) قُرَيْشٍ الْحَيْسُمَانَ بْنُ عَبْدِ اللّهِ الْخُزَاعِيّ ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَك ؟ قَالَ قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَنُبَيّهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ فَلَمّا جَعَلَ يُعَدّدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ ، قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الْحِجْرِ : وَاَللّهِ إنْ يَعْقِلُ هَذَا فَاسْأَلُوهُ عَنّي ؛ فَقَالُوا : (و) مَا فَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ ؟ قَالَ هَا هُوَ ذَاكَ جَالِسًا فِي الْحِجْرِ ، وَقَدْ وَاَللّهِ رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ حِينَ قُتِلَا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ:

قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كُنْت غُلَامًا لِلْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَأَسْلَمَ الْعَبّاسُ وَأَسْلَمَتْ أُمّ الْفَضْلِ، وَأَسْلَمْتُ، وَكَانَ الْعَبّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلَافَهُمْ وَكَانَ يَكْتُمُ إسْلَامَهُ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرّقٍ فِي قَوْمِهِ.

---

١ – فيه انقطاع بين عبد الله بن أبي بكر وزينب، ووصله البيهقي ١٥٦/٣ من طريق أخرى عن عمرو بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عائشة ، وإسناده حسن . عن دار الحديث . بتصرف.

وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَلّفَ عَنْ بَدْرٍ فَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِي بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَكَذَلِك كَانُوا صَنَعُوا ، لَمْ يَتَخَلّفْ رَجُلٌ إلّا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا ، فَلَمّا جَاءَهُ الْخَبَرُ عَنْ مُصَابِ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، كَبَتَهُ اللّهُ وَأَخْزَاهُ وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوّةً وَعِزّا.

قَالَ وَكُنْت رَجُلًا ضَعِيفًا ، وَكُنْت أَعْمَلُ الْأَقْدَاحَ . أَنْحَتُهَا فِي حُجْرَةِ زَمْزَمَ ، فَوَاَللّهِ إنّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْحَتُ أَقْدَاحِي ، وَعِنْدِي أُمّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ وَقَدْ سَرّنَا مَا جَاءَنَا مِنْ الْخَبَرِ ، إذْ أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَجُرّ رِجْلَيْهِ بِشَرّ حَتّى جَلَسَ عَلَى طُنُبِ الْحُجْرَةِ فَكَانَ ظَهْرُهُ إلَى ظَهْرِي ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إذْ قَالَ النّاسُ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُغِيرَةُ - قَدْ قَدِمَ قَالَ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ هَلُمّ إلَيّ فَعِنْدَك لَعَمْرِي الْخَبَرُ ، قَالَ فَجَلَسَ (إلَيْهِ) وَالنّاسُ قِيَامٌ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النّاسِ ؟ قَالَ وَاَللّهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتَافَنَا يَقُودُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا ، وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا ، وَايْمُ اللّهِ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْت النّاسَ لَقِينَا رِجَالًا بِيضًا ، عَلَى خَيْلٍ بَلْقٍ بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاَللّهِ مَا تُلِيقُ شَيْئًا ، وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ.

قَالَ أَبُو رَافِعٍ فَرَفَعْت طُنُبَ الْحُجْرَةِ بِيَدَيّ ثُمّ قُلْتُ: تِلْكَ وَاَللّهِ الْمَلَائِكَةُ، قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو لَهَبٍ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً . قَالَ وَشَاوَرْتُهُ فَاحْتَمَلَنِي فَضَرَبَ بِي الْأَرْضَ ثُمّ بَرَكَ عَلَيّ يَضْرِبُنِي ، وَكُنْت رَجُلًا ضَعِيفًا ، فَقَامَتْ أُمّ الْفَضْلِ إلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الْحُجْرَةِ فَأَخَذَتْهُ فَضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبَةً فَعَلَتْ فِي رَأْسِهِ شَجّةً مُنْكَرَةً وَقَالَتْ اسْتَضْعَفْتَهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيّدُهُ.

فَقَامَ مُوَلّيًا ذَلِيلًا ، فَوَاَللّهِ مَا عَاشَ إلّا سَبْعَ لَيَالٍ حَتّى رَمَاهُ اللّهُ بِالْعَدَسَةِ فَقَتَلَتْهُ."[١]

حصيلة المعركة:

** شهداء المسلمين: ثمانية،

** قتلى المشركين: سبعون،

** أسرى المشركين: سبعون.

---

١ - سيرة ابن هشام ٢/٤٨٥ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٢١-٣٢٢ وغيره وقال الهيثمي في المجمع ٨٩/٦ رواه الطبراني وفي إسناده حسن بن عبد الله بن عبيد الله وثقة أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات . عن دار الحديث.

وقفة مع سورة الأنفال:

نزلت سورة الأنفال .بعد بدر .تتحدث عن هذه الغزوة وتبين حكمة الله عز وجل في أحداثها، وتبين للمسلمين أسباب القوة ومواطن الضعف، وأسباب النصر وعوامل الهزيمة.

ولا يمكن أن نجمع في هذه المناسبة كل الشروح وأقوال العلماء في سورة الأنفال، ولا يمكن أن نستقصي كل المراد منها، لكننا نجتهد ونختار ونوجز:

١- افتتاح السورة:

كما بينا سابقًا، تحدثت الافتتاحية عن نزاع المسلمين واختلافهم في الأنفال؛ لتبين لهم أن تقوى الله وإصلاح ذات البين هي أهم أسباب القوة، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

٢- من صفات المؤمنين وجوائزهم:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

٣- يريدون القافلة ويكرهون الحرب:

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}،

من الملامح الرائعة تنبيه المؤمنين إلى ضعفهم البشري بالرغبة في الاستيلاء على القافلة، وكراهية المواجهة للجيش ؛ بسبب ضعفهم وقلة عددهم، لكن الله عز وجل يبين لهم أن المهمة التي قدرها لهم أعلى وأجَلّ (ليحق الحق ويبطل الباطل) وهذه تربية للمؤمنين ورفعة لهم إلى المباديء العظيمة والمهام الجليلة، وهي إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٤- من أسباب النصر التي ذكرها القرآن الكريم:

- الدعاء والاستغاثة (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) .
- المدد السماوي بالملائكة (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ).

- نعمة النوم الهادئ، ليلة المعركة وأثناءها:(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ).
- نزول المطر ؛لشرب الماء، والطهارة من الجنابة، وتثبيت الأقدام بتماسك الرمال تحتها؛ لنعلم أن جنود السماوات والأرض لا يحصيها إلا الله تعالى، وهي في عون المؤمنين ،إذا صدقوا.
- تثبت قلوب المؤمنين (وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ) (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا).
- إلقاء الرعب في قلوب الكافرين (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ).
- ذكر الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).
- طاعة الله ورسوله (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) تشمل القيام بكل التكاليف الإسلامية ، وفيها طاعة الجند للقائد.
- وحدة الصف وتجنب النزاعات (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).
- الصبر: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).
- التواضع لله عز وجل، وتجنب البطر والخيلاء والرياء والسمعة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

وجماع المعاني الإيمانية:

(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)

معناه أن الأسباب ضرورية، والشرع أمرنا بها ، لكن الأسباب لا تفعل فعلها إلا بأمر الله وبقدر الله، وأن النصر لا يتأتى إلا من عند الله لا من عند القوة الأرضية أو المادية أو البشرية مهما بلغت، وكذلك فإن المولى سبحانه يتجلى على عباده المؤمنين بالنصر المبين، في أوقات لا تكون فيها عدتهم مكتملة أو متناسبة مع عدد وعدة عدوهم، فذاك أمر يسير على الله ،يهيئ له الأسباب من عنده كيف يشاء، لكن ذلك يكون فقط حينما يجتهد المسلمون ويأخذوا بالأسباب الممكنة، ولا يصيبهم يأس أوضعف بسبب من الركون إلى الدنيا أو التنازع عليها. وأيضًا تتنزل الرحمات مع الإخلاص والتجرد التام لله عز وجل.

وفي انتظار الجولات القادمة:

قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) كأن الله تعالى يقول للمؤمنين: لقد فوجئتم بصدام الجيش المشرك في بدر دون إعداد جيد، ولكن الله عز وجل نصركم.

ليبين لكم أن النصر من عنده وحده، ولو ضعفت الأسباب، لكنكم -بعد هذه المعركة- مأمورون بالإعداد المتواصل للجولات الحربية القادمة بينكم وبين أعدائكم.

(مَا اسْتَطَعْتُمْمِنْ قُوّةٍ)،قوة:نكرة،أفادت العموم والشمول،فالقوة تشمل قوة الإيمان، وقوة الوحدة، والقوة الاقتصادية، وقوة السلاح وحسن التخطيط، وقوة الزراعة والصناعة والعلوم.

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ).

ما هو الإرهاب:

بعض المسلمين اليوم يقول: لا بأس بالإرهاب؛ فإنه مذكور في القرآن، ويقول أعداء الإسلام: إن المسلمين إرهابيون، طالما اتبعوا ما جاء في قرآنهم.

وهؤلاء وهؤلاء أخطأوا، فإن تعريف الإرهاب في العصر الحديث: هو قتل المدنيين الذين لا علاقة لهم بالحرب.

أما ما جاء في القرآن الحكيم، فليس له علاقة بذلك، ولم يمارس النبي (صلى الله عليه وسلم) قتل المدنين أبدًا .

إنما إعداد القوة الذي أمر به القرآن هو لردع العدو؛ حتى لا يتجرأ على العدوان علىالمسلمين إذا علم مدى ما لديهم من قوة، فلربما أدى ذلك إلى السلام وإثناء العدو عن عدوانه، فشتان بين إرهاب وإرهاب، إنما أولئك يلبسون الحق بالباطل.

من توابع غزوة بدر:

الصراع بين المسلمين وكفار قريش كان متتابعا ،وكل معركة أفضت إلى ما بعدها حتى حسم الصراع بفتح مكة، لكن كان هناك حدثان مرتبطان جدًا بمعركة بدر، وهما:

- مؤامرة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم .
- غزوة السويق (ذي الحجة ٢ هـ بعد بدر بشهرين).

مؤامرة صفوان، وعمير بن وهب:

وهي تنم عن عجز المهزوم ورغبته في الانتقام،

وتنم أيضًا عن رغبة عارمة من مجرمي قريش في استمرار العدوان، واستهداف القضاء على الإسلام من خلال قتل النبي صلى الله عليه وسلم شخصيا، وهي مؤامرات استدعت الحرص التام واليقظة من جانب المسلمين، وهو حرص أيدته العناية الإلهية والعون الرباني للمسلمين؛لتعويض قلة العدد والعدة والقصور الطبيعي عند البشر.

٤٦١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وحدثنى مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ:

جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ بِيَسِيرٍ، وَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ شَيْطَانًا مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وَمِمّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقَوْنَ مِنْهُ عَنَاءً وَهُوَ بِمَكّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى بَدْرٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَسَرَهُ رِفَاعَةُ بْنُ رَافِعٍ أَحَدُ بَنِي زُرَيْقٍ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَذَكَرَ أَصْحَابَ الْقَلِيبِ وَمُصَابَهُمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ وَاَللّهِ إنْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ، قَالَ لَهُ عُمَيْرٌ: صَدَقْتَ وَاَللّهِ أَمَا وَاَللّهِ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي قَضَاءٌ وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمْ الضّيْعَةَ بَعْدِي ، لَرَكِبْتُ إلَى مُحَمّدٍ حَتّى أَقْتُلَهُ فَإِنّ لِي قِبَلَهُمْ عِلّةً ابْنِي أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ، قَالَ: فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ وَقَالَ عَلَيّ دَيْنُك ، أَنَا أَقْضِيهِ عَنْك ، وَعِيَالُك مَعَ عِيَالِي أُوَاسِيهِمْ مَا بَقُوا، لَا يَسَعُنِي شَيْءٌ وَيَعْجِزُ عَنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَيْرٌ فَاكْتُمْ شَأْنِي وَشَأْنَك، قَالَ أَفْعَلُ.

قَالَ ثُمّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشُحِذَ لَهُ وَسُمّ ثُمّ انْطَلَقَ حَتّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَتَحَدّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَيَذْكُرُونَ مَا أَكْرَمَهُمْ اللّهُ بِهِ وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوّهِمْ، إذْ نَظَرَ عُمَرُ إلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ حِينَ أَنَاخَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشّحًا السّيْفَ، فَقَالَ

هَذَا الْكَلْبُ عَدُوّ اللهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ وَاَللّهِ مَا جَاءَ إلّا لِشَرّ وَهُوَ الّذِي حَرّشَ بَيْنَنَا[١]، وَحَزَرْنَا[٢] لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ . ثُمّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيّ اللهِ هَذَا عَدُوّ اللهِ عميرُ بنُ وهبٍ قدْ جاءَ متوشّحًا سيفَهُ، قَالَ فَأَدْخَلَهُ عَلَيّ، قَالَ فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبّبَهُ بِهَا ، وَقَالَ لِرِجَالٍ مِمّنْ كَانُوا مَعَهُ مِنْ الْأَنْصَارِ: أُدْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ وَاحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ فَإِنّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ قَالَ: أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ أُدْنُ يَا عُمَيْرُ ، فَدَنَا ثُمّ قَالَ انْعَمُوا صَبَاحًا ، وَكَانَتْ تَحِيّةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيّةِ بَيْنَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيّتِك يَا عُمَيْرُ بِالسّلَامِ تَحِيّةُ أَهْلِ الْجَنّةِ، فَقَالَ أَمَا وَاَللّهِ يَا مُحَمّدُ إنْ كُنْتُ بِهَا لَحَدِيثُ عَهْدٍ. قَالَ: فَمَا جَاءَ بِك يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ جِئْت لِهَذَا الْأَسِيرِ الّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيهِ، قَالَ: فَمَا بَالُ السّيْفِ فِي عُنُقِك ؟ قَالَ قَبّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ وَهَلْ أَغْنَتْ عَنّا شَيْئًا ؟ قَالَ أُصْدُقْنِي ، مَا الّذِي جِئْتَ لَهُ ؟ قَالَ مَا جِئْتُ إلّا لِذَلِك.

قَالَ: بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ فِي الْحِجْرِ ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمّ قُلْت : لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيّ وَعِيَالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتّى أَقْتُلَ مُحَمّدًا ، فَتَحَمّلَ لَك صَفْوَانُ بِدَيْنِك وَعِيَالِك ، عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ وَاَللّهُ حَائِلٌ بَيْنَك وَبَيْنَ ذَلِكَ.

قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنّك رَسُولُ اللهِ قَدْ كُنّا يَا رَسُولَ اللهِ نُكَذّبُك بِمَا كُنْت تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السّمَاءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْك مِنْ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إلّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاَللّهِ إنّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاك بِهِ إلّا اللهُ، فَالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ ثُمّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقّ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَقّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ فَفَعَلُوا.

ثُمّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنّي كُنْت جَاهِدًا عَلَى إطْفَاءِ نُورِ اللهِ شَدِيدَ الْأَذَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَأَنَا أُحِبّ أَنْ تَأْذَنَ لِي ، فَأَقْدُمَ مَكّةَ ، فَأَدْعُوهُمْ إلَى اللهِ تَعَالَى ، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلّى اللهُ

---

١ – حرش بيننا: أفسد بيننا

٢ – حزرنا: قدَّر عددنا

عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ وَإِلَى الْإِسْـلَامِ لَعَـلّ اللّهَ يَهْـدِيهِمْ ، وإلا آذيتُهُمْ فى دينِهِمْ كما كُنْت أُوذِي أَصْحَابَك فِي دِينِهِمْ ؟ قَالَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَحِقَ بِمَكّةَ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ ، يَقُولُ أَبْشِـرُوا بِوَقْعَـةٍ تَأْتِيكُمْ الْآنَ فِي أَيّامٍ تُنْسِيكُمْ وَقْعَـةَ بَـدْرٍ. وَكَانَ صَـفْوَانُ يَسْـأَلُ عَنْـهُ الرّكْبَـانَ حَتّى قَـدِمَ رَاكِـبٌ فَـأَخْبَرَهُ عَـنْ إسْلَامِهِ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يُكَلّمَهُ أَبَدًا ، وَلَا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا.

قَـالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَلَمّا قَـدِمَ عُمَيْرٌ مَكّـةَ ، أَقَـامَ بِهَـا يَـدْعُو إلَى الْإِسْلَامِ وَيُـؤْذِي مَنْ خَـالَفَـهُ أَذًى شَدِيدًا ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ"[1].

دلالات وعظات:

- مواقف سيدنا عمر مشهودة وكثيرة، وفي دوام الحرص واليقظة ، والخوف علىرسول الله صلى الله عليه وسلم، والشدة على الكافرين.
- المعجزة: إعلام الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بتفاصيل المؤامرة .
- جاء عمير قاتلًا غادرًا ، فرجع مسلمًا مجاهدًا .رضي الله عنه .ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده.
- فليكن طلب العبد الهداية لنفسه .أو لغيره .من الله عز وجل فقط.
- صدق عمير بن وهب في إسلامه، بمجرد إسلامه يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العودة إلى مكة للدعوة إلى الإسلام.

غزوة السويق:

(ذي الحجة سنة ٣هـ):

خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون لمطاردة أبي سفيان الذي أتى المدينة وعمل عملًا من أعمال القرصنة، بمعاونة من سلام بن مشكم سيد يهود بني النضير -خلافًا للعهد بين اليهود وبين النبي(صلى الله عليه وسلم) -.

[1] – أخرجه الطبري في تاريخ ٢/٤٤-٤٦ وغيره من طرق مرسلة جيدة وقال السيوطي في "الخصائص الكبري" ١/٣٤٤ أخرجه الطبراني وأبو نعيم عن أنس بن مالك موصولا بسند صحيح . قاله الهيثمي في المجمع ٢٨٦/٨ . عن دار الحديث . تخريج سيرة ابن هشام.

٤٦٢- عن ابن إسحاق قال:

ثُمّ غَزَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ غَزْوَةَ السّوِيقِ فِي ذِي الْحَجّةِ وَوَلّى تِلْكَ الْحَجّةَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ تِلْكَ السّنَةِ، فَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ – {كَمَا حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ ، وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَمَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ} - حِينَ رَجَعَ إلَى مَكّةَ ، وَرَجَعَ فَلّ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ ، نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتّى يَغْزُوَ مُحَمّدًا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَخَرَجَ فِي مِئَتَيْ رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، لِيَبَرّ يَمِينَهُ فَسَلَكَ النّجْدِيّة ، حَتّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاةٍ إلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَيْب ، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ ثُمّ خَرَجَ مِنْ اللّيْلِ حَتّى أَتَى بَنِي النّضِيرِ تَحْتَ اللّيْلِ فَأَتَى حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ فَانْصَرَفَ عَنْهُ إلَى سَلّامِ بْنِ مِشْكَمٍ ، وَكَانَ سَيّدَ بَنِي النّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَرّاهُ وَسَقَاهُ وَبَطَنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النّاسِ.

ثُمّ خَرَجَ فِي عَقِبِ لَيْلَتِهِ حَتّى أَتَى أَصْحَابَهُ فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَتَوْا نَاحِيَةً يُقَالُ لَهَا : الْعَرِيضُ ، فَحَرَقُوا فِي أَصْوَارٍ مِنْ نَخْلٍ بِهَا ، وَوَجَدُوا بِهَا رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا لَهُ فِي حَرْثٍ لَهُمَا، فَقَتَلُوهُمَا، ثُمّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَنَذِرَ بِهِمْ النّاسُ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي طَلَبِهِمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ وَهُوَ أَبُو لُبَابَةَ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ، حَتّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ ، ثُمّ انْصَرَفَ رَاجِعًا ، وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ رَأَوْا أَزْوَادًا مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ قَدْ طَرَحُوهَا فِي الْحَرْثِ يَتَخَفّفُونَ مِنْهَا لِلنّجَاءِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ حَيْنَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَطْمَعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ نَعَمْ .

سَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِغَزْوَةِ السّوِيقِ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَإِنّمَا سُمّيَتْ غَزْوَةَ السّوِيقِ ، فِيمَا حَدّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنّ أَكْثَرَ مَا طَرَحَ الْقَوْمُ مِنْ أَزْوَادِهِمْ السّوِيقُ ، فَهَجَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى سَوِيقٍ كَثِيرٍ فَسُمّيَتْ غَزْوَةَ السّوِيقِ[1].

---

[1] – سيرة ابن هشام ٣/٥–٦ وأخرجه البيهقي في الدلائل ١٦٦/٣ والطبري في التاريخ ٥٠/٢ وغيرهما كما جاء في تخريج دار الحديث . وأظن كلهم يروي عن ابن إسحاق الذي ذكر السند، لكن فيه راو لم يُسمَّ.

غزوة بني سليم بالكدر:

(شوال سنة ٢هـ):

بعد بدر بسبع ليالٍ ،فيما ذكره ابن إسحاق: فهي تسبق في الترتيب الزمني غزوة السويق(ذي الحجة ٣هـ) لكننا ذكرنا السويق أولًا ؛لارتباطها الوثيق بغزوة بدر.

قال المباركفوري:

"أول ما نقلت استخبارات المدينة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر، أن بني سليم وبني غطفان تحشد قواتها لغزوالمدينة فباغتهم النبي صلىالله عليه وسلم في مائتي راكب، في عقر دارهم، وبلغ إلى منازلهم في موضع، يقال له الكدر"[١]

٤٦٣- وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

فَلَمّا قَدِمَ (رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) لَمْ يَقُمْ بِهَا إلّا سَبْعَ لَيَالٍ (حَتّى) غَزَا بِنَفْسِهِ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيّ أَوْ ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَبَلَغَ مَاءً مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ الْكُدْرُ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثم رجع إلى الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيّةَ شَوّالٍ وَذَا الْقَعَدَةِ وَأَفْدَى فِي إقَامَتِهِ تِلْكَ جُلّ الْأُسَارَى مِنْ قُرَيْشٍ[٢].

تنبيه:

رواية ابن إسحاق لم تذكر تجمع بني سليم واستعداداتهم لغزو المدينة ،ووجدت ذلك عند المباركفوري، فنقلته لأهميته في إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبدأ أحدًا بعدوان، وقد ذكر المباركفوري أن مصادره :زاد المعاد، وابن هشام، ولم أجد ذلك في كلا المصدرين، ثم بحثت فوجدت ذلك قد ذكره ابن الأثير في (الكامل) نقلا عن الواقدي قال: وقال الواقدي: "وكان قد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، اجتماع بني سليم على ماء لهم يقال له الكدر".

ويلاحظ أن الواقدي لم يذكر اجتماع (غطفان) فلعل المباركفوري نقله عن مصدر آخر لم يذكره .رحمه الله.

---

١ – الرحيق المختوم ص٢/٤ طبعة دار الوفاء.

٢ – سيرة ابن هشام ٥/٣ طبعة دار الحديث.

الصراع مع اليهود:

أولى حلقاته،

غزوة بني قينقاع:

سبق أن ذكرنا علاقة النبي صلى الله عليه وسلم باليهود في المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إليها، وذكرنا بيان المعاهدة التي عقدها معهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأقرهم على دينهم وأمَّنَهم على أموالهم وتعاهدوا على الدفاع المشترك عن المدينة.

وذكرنا ما أضمره حيى بن أخطب من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ،بشهادة ابنته السيدة (صفية) التي أصبحت فيما بعد أمًّا للمؤمنين.

وذكرنا نماذج لعداء اليهود ومحاولاتهم إثارة الفتن بين المسلمين.

وذكرنا نماذج من أقوالهم؛ للتشكيك في الرسالة؛ وتحريف ما يعرفونه في كتبهم عن النبي الخاتم.

ثم كانت غزوة بني قينقاع، حين فاض الكيل.

سبب غزوة بني قينقاع :

قال المباركفوري :

" كما أن أشرف طائفة من طوائفهم الثلاث هم يهود بني قينقاع، كانوا يسكنون داخل المدينة - في حي باسمهم - وكانوا صاغة وحدادين وصناع الظروف والأواني، ولأجل هذه الحرف كانت قد توفرت لكل رجل منهم آلات الحروب، وكان عدد المقاتلين فيهم سبعمائة، وكانوا أشجع يهود المدينة، وكانوا أول من نكث العهد والميثاق من اليهود .

فلما فتح الله للمسلمين في بدر اشتد طغيانهم وتوسعوا في تحرشاتهم واستفزازاتهم، فكانوا يثيرون الشغب، ويتعرضون بالسخرية ويواجهون بالأذى كل من ورد سوقهم من المسلمين حتى أخذوا يتعرضون بنسائهم."[١]

٤٦٤- وروى أبو داوود بسنده عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

---

(١) الرحيق المختوم (٢١٧) ط دار الوفاء.

" لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا.

قَالُوا يَا مُحَمَّدُ لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ} إِلَى قَوْلِهِ {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِبَدْرٍ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ}[1]

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٤٦٥- "وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ بَنِي قَيْنُقَاعَأَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعِ. ثُمّ قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ احْذَرُوا مِنَ اللّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنْ النّقْمَةِ وَأَسْلِمُوا ، فَإِنّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنّي نَبِيّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللّهِ إلَيْكُمْ.

قَالُوا : يَا مُحَمّدُ إنّك تَرَى أَنّا قَوْمُك لَا يَغُرّنّكَ أَنّك لَقِيت قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً إنّا وَاَللّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاك لَتَعْلَمَنّ أَنّا نَحْنُ النّاسَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنّ بَنِي قَيْنُقَاعَ كَانُوا أَوّلَ يَهُودَ نَقَضُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَحَارَبُوا فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَذَكَرَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ قَالَ:

كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعِ. أَنّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا ، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَجَلَسَتْ إلَى صَائِغٍ بِهَا ، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا ، فَأَبَتْ فَعَمِدَ الصّائِغُ إلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إلَى ظَهْرِهَا ، فَلَمّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا ، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ.

فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصّائِغِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَهُودِيّا، وَشَدّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشّرّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ[2].

٤٦٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، قَالَ:

---

[1] سنن أبي داود (٢٦٠٧)العالمية ـ بسند رواته ثقات (موسوعة الحديث الشريف ـ شركة حرف)

[2] سيرة ابن هشام (٨,٧/٣)، والرواية مرسلة.

فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَقَامَ إلَيْهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ حِينَ أَمْكَنَهُ اللّهُ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَحْسِنْ فِي مَوَالِيّ وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ ، قَالَ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَحْسِنْ فِي مُوَالِيّ، قَالَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْسِلْنِي ، وَغَضِبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلًا ، ثُمّ قَالَ وَيْحَك أَرْسِلْنِي ، قَالَ لَا وَاَللّهِ لَا أُرْسِلُك حَتّى تُحْسِنَ فِي مُوَالِيّ، أَرْبَعَ مِئَةِ حَاسِرٍ وَثَلَاثُ مِئَةِ دَارِعٍ قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إنّي وَاَللّهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدّوَائِرَ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هُمْ لَك.[1]

<u>مُدّةُ حِصَارِهِمْ:</u>

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَتْ مُحَاصَرَتُهُ إيّاهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

<u>تَبَرّؤُ ابْنِ الصّامِتِ مِنْ حِلْفِهِمْ وَمَا نَزَلَ فيه وَفِي ابْنِ أُبَيّ:</u>

٤٦٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي أَبِي إسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ ، قَالَ لَمّا حَارَبَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَشَبّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ وَقَامَ دُونَهُمْ.

قَالَ وَمَشَى عُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَ أَحَدَ بَنِي عَوْفٍ لَهُمْ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلُ الّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ ، فَخَلَعَهُمْ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَتَبَرّأَ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ حِلْفِهِمْ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَوَلّى اللّهَ وَرَسُولَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفّارِ وَوِلَايَتِهِمْ.

قَالَ: فَفِيهِ وَفِي عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصّةُ مِنْ الْمَائِدَةِ {يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لَا تَتّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنّهُ مِنْهُمْ إنّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ * فَتَرَى الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أَيْ لِعَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ وَقَوْلُهُ إنّي أَخْشَى الدّوَائِرَ {يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ

---

[1] – المصدر السابق ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن عاصم ، لكنها مرسلة عن عاصم . وهى عند الطبرى في " التاريخ " ، وابن سعد فى " الطبقات " –كلهم من طريق ابن إسحاق .

فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ } ثُمّ الْقِصّةُ إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : {إنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } وَذَكَرَ لِتَوَلّي عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا ، وَتَبَرّئِهِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاع {وَمَنْ يَتَوَلّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.

دلالات:

- بدأ الرسول(صلى الله عليه وسلم) مع اليهود بالمعاهدة ، وبدءوا هم بنقض العهد.
- حارب الرسول صلى الله عليه وسلم القبيلة التي نقضت فقط، ولم يحارب كل اليهود، إذن لم تكن حربًا دينية ضد اليهود.
- عدوان اليهود بالكلام والأباطيل، كان الرد عليهم بالحجة والبرهان من القرآن ومن الرسول صلى الله عليه وسلم، أما العدوان على حرمات المسمين ونسائهم فهو إعلان الحرب؛ لأن مكانة المرأة، والعرض .في الإسلام- توجب على المسلمين أن يكون الدفاع عن النساء والأبناء له الأولوية (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ).
- وأعلى درجات الحماية كانت في بيعة العقبة:

  "وأن تمنعوني إذا قدمت إليكم مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم"
- في هذه الغزوة بدأ ظهور الدور الخطير الذي يقوم به المنافق عبد الله بن أبي بن سلول.

غزوة ذي أمر

إلى قبائل غطفان،

(محرم سنة ٣ هـ):

قال المباركفوري: وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل معركة أحد.

وسببها :أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعًا كبيرًا من بني محارب وثعلبة، تجمعوا يريدون الإغارة على المدينة،

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلًا، ما بين راكب وراجل واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

وتفرق الأعداء في رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة، أما النبي صلى الله عليه وسلم ،فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم- وهو الماء المسمى بذي أمر- فأقام هناك صفرًا كله سنة ٣ هـ أو قريبًا من ذلك ..... ثم رجع إلى المدنية[١] .

غزوة الفرع من بحران:

(ربيع الأول هـ٣):

<u>قال ابن هشام:</u>

٤٦٨- ثُمّ غَزَا رَسُولُ اللّهِ (صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم) يُرِيدُ قُرَيْشًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَتّى بَلَغَ بُحْرَانَ ، مَعْدِنًا بِالْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفُرُعِ ، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرَ رَبِيعٍ الْآخِرِ وَجُمَادَى الْأُولَى ، ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .

وقال المباركفوري: إنها دورية قتال كبيرة، قوامها ثلاثمائة مقاتل.

قتل كعب بن الأشرف:

كان كعب بن الأشرف من كبار اليهود وأثريائهم، وله حصن في الجنوب الشرقي للمدينة خلف ديار بني النضير.

كان من قبيلة طيئ العربية،وأمه من بني النضير، واليهود يعرِّفون اليهودي: بأنه كل من ولد لأم يهودية.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتل كعب بن الأشرف.

<u>فلماذا وكيف تمت هذه العملية؟</u>

٤٦٩-<u>روى البخاري:</u>

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟".

---

١ – الرحيق المختوم ٢/٩ طبعة دار الوفاء . وقد ذكر أيضا أن مصادره سيرة ابن هشام وزاد المعاد . ولم أجد فيهما هذه التفاصيل، ووجدتها عند الواقدي مع بعض الاختلاف اليسير.

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ قُلْ.

فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ.

وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ نَعَمِ ارْهَنُونِي، قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِي السِّلَاحَ.

فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ، فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ (وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ) قَالَ إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ.

قَالَ وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ (قِيلَ لِسُفْيَانَ سَمَّاهُمْ عَمْرٌو؟ قَالَ سَمَّى بَعْضَهُمْ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ - وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ) قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ - وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ.

قَالَ عَمْرٌو فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ قَالَ نَعَمْ فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِي قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ[١].

تعقيب:

هذه عملية اغتيال خطيرة، لابد أن يكون لها سبب شرعي وسبب قوي يستدعي هذا العمل.

---

١ – رواه البخاري برقم ٢٣٧١ ترقيم العاليمة.

السبب الذي ورد عند البخاري هو: إيذاء الله ورسوله.

وقد فصل ابن إسحاق في روايته ما فعله كعب بن الأشرف:

٤٧٠- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ: أَنّهُ لَمّا أُصِيبَ أَصْحَابُ بَدْرٍ، وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إلَى أَهْلِ السّافِلَةِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ إلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بَشِيرَيْنِ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ اللهِ عَزّ وَجَلّ عَلَيْهِ وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ .

قَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ - وَكَانَ رَجُلًا مِنْ طَيّئٍ ثُمّ أَحَدَ بَنِي نَبْهَانَ وَكَانَتْ أُمّهُ مِنْ بَنِي النّضِيرِ - حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ : أَحَقٌّ هَذَا ؟ أَتَرَوْنَ مُحَمّدًا قَتَلَ هَؤُلَاءِ الّذِينَ يُسَمّي هَذَانِ الرّجُلَانِ - يَعْنِي زَيْدًا وَعَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ - فَهَؤُلَاءِ أَشْرَافُ الْعَرَبِ وَمُلُوكُ النّاسِ وَاَللهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا.

فَلَمّا تَيَقّنَ عَدُوّ اللهِ الْخَبَرَ ، خَرَجَ حَتّى قَدِمَ مَكّةَ ، فَنَزَلَ عَلَى الْمُطّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ بْنِ ضُبَيْرَةَ السّهْمِيّ، وَعِنْدَهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ أَبِي الْعِيصِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، فَأَنْزَلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ وَجَعَلَ يُحَرّضُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَيُنْشِدُ الْأَشْعَارَ وَيَبْكِي أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، الّذِينَ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ[١].

معنى ذلك:

أنه غدر، ونقض عهده مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك أنه يخطط ويحرض على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عند الحافظ بن حجر في " الفتح" مزيد توضيح:

قال الحافظ:

---

١ – في سيرة ابن هشام روى ابن إسحاق الحديث مرسلا، لكنه موصول عند أحمد ٢٣٩١ بسند صحيح موصول من طريق ابن إسحاق.

وَإِنَّمَا فَتَكُوا بِهِ لِأَنَّهُ نَقَضَ الْعَهْد، وَأَعَانَ عَلَى حَرْب النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَجَاهُ، وَلَمْ يَقَع لِأَحَد مِمَّنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ تَأْمِين لَهُ بِالتَّصْرِيحِ ، وَإِنَّمَا أَوْهَمُوهُ ذَلِكَ وَآنَسُوهُ حَتَّى تَمَكَّنُوا مِنْ قَتْله[1].

وقال في موضع آخر:

قَوْله: (آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ).

٤٧١- فِي رِوَايَةِ مُحَمَّد بْن مَحْمُود بْن مُحَمَّد بْن مَسْلَمَةَ عَنْ جَابِر عِنْد الْحَاكِم فِي الْإِكْلِيل "فَقَدْ آذَانَا بِشِعْرِهِ وَقَوَّى الْمُشْرِكِينَ".

٤٧٢- وَأَخْرَجَ اِبْن عَائِذ مِنْ طَرِيق الْكَلْبِيّ أَنَّ كَعْبَ بْن الْأَشْرَف قَدِمَ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْش فَحَالَفَهُمْ عِنْد أَسْتَار الْكَعْبَة عَلَى قِتَال الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ طَرِيق أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة "أَنَّهُ كَانَ يَهْجُو النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُحَرِّض قُرَيْشًا عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْش قَالُوا لَهُ: أَدِينُنَا أَهْدَى أَمْ دَيْنُ مُحَمَّد؟ قَالَ: دِينكُمْ. فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ لَنَا بِابْنِ الْأَشْرَف فَإِنَّهُ قَدْ اِسْتَعْلَنَ بِعَدَاوَتِنَا".

قال الحافظ:

وَوَجَدْت فِي " فَوَائِد عَبْد اللَّه بْن إِسْحَاق الْخُرَاسَانِيّ " مِنْ مُرْسَلِ عِكْرِمَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ إِلَيْهِ لِقَتْلِ كَعْب سَبَبًا آخَر ، وَهُوَ أَنَّهُ صَنَعَ طَعَامًا وَوَاطَأَ جَمَاعَة مِنْ الْيَهُود أَنَّهُ يَدْعُو النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْوَلِيمَة فَإِذَا حَضَرَ فَتَكُوا بِهِ ، ثُمَّ دَعَاهُ فَجَاءَ وَمَعَهُ بَعْض أَصْحَابه ، فَأَعْلَمَهُ جِبْرِيل بِمَا أَضْمَرُوهُ بَعْد أَنْ جَالَسَهُ ، فَقَامَ فَسَتَرَهُ جِبْرِيل بِجَنَاحِهِ فَخَرَجَ، فَلَمَّا فَقَدُوهُ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ حِينَئِذٍ: مَنْ يَنْتَدِب لِقَتْلِ كَعْب، وَيُمْكِن الْجَمْع بِتَعَدُّدِ الْأَسْبَاب[2].

وقال في موضع ثالث: قال الحافظ:

٤٧٣- وَفِي مُرْسَل عِكْرِمَة "فَأَصْبَحَتْ يَهُود مَذْعُورِينَ ، فَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا قُتِلَ سَيِّدُنَا غِيلَة ، فَذَكَّرَهُمْ النَّبِيُّ صَنِيعَهُ وَمَا كَانَ يُحَرِّض عَلَيْهِ وَيُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ".

زَادَ اِبْن سَعْد " فَخَافُوا فَلَمْ يَنْطِقُوا".

---

١ – فتح الباري . شرح حديث ٢٨٠٧ موسوعة حرف ترقيم العالمية.

٢ – المصدر السابق شرح حديث رقم ٢٧٣١

قَالَ السُّهَيْلِيُّ : فِي قِصَّة كَعْب بْن الْأَشْرَف قَتْلُ الْمُعَاهَد إِذَا سَبَّ الشَّارِعَ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَة . قُلْت: وَفِيهِ نَظَر، وَصَنِيع الْمُصَنِّف فِي الْجِهَاد يُعْطِي أَنَّ كَعْبًا كَانَ ، مُحَارِبًا حَيْثُ تَرْجَمَ لِهَذَا الْحَدِيث " الْفَتْك بِأَهْلِ الْحَرْب"[1].

دلالات:

١) يتبين مما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أبدًا ليقتل رجلًا معاهدًا من غير سبب قوي، ومن غير أن يكون الآخر هو البادئ بنقض العهد وإعلان الحرب، ونقول (إعلان الحرب) لأن نزوله مكة ومحالفته، بل وتحريضه قريشًا على قتال النبى صلى الله عليه وسلم، وأشعاره في عداوة المسلمين ليس لها معنى آخر.

٢) ولو أضفنا إلى ذلك مسألة تعرضه بالشعر لنساء الصحابة ،مع العلم أن مسألة الأعراض وصيانتها في المجتمع العربي لها أولوية وسبب قوي لإشعال الحرب.

٣) يتبقى سؤال: لماذا لم يعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب عليه ولم يجيش جيشًا لحربه ؟والجواب من وجهين:

أولًا: أن حصنه كان وسط منازل بني النضير، وكانوا مازلوا على العهد، فإذا كان نقض العهد من واحد، فلماذا يعاقب الجميع بتصرف واحد منهم؟!

ثانيًا: أن الرجل في حصنه لم يكن من السهل الوصول إليه دون حرب قوية، ربما يدفع غيره فيها الثمن ولا يمكن الوصول إليه، وربما هرب، فكان استعمال الحيلة معه بهذه الكيفية هو الحل الأمثل.

---

١ – المصدر السابق ٢٧٣١

آخر البعوث قبل أُحُد،

سرية زيد بن حارثةإلى القردة:

من مياه نجد:

وكانت مهمتها تشديد الحصار الاقتصادي على قريش ،فقد جاءت الأخبار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بأن قافلة لقريش سوف تسلك طريقا غير طريقها المعتاد إلى الشام علي ساحل البحر، فخرجت مع دليل اسمه (فرات بن حيان) عبر صحراء نجد.

474- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَسَرِيّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الّتِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهَا ، حَيْنَ أَصَابَ عِيرَ قُرَيْشٍ ، وَفِيهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى الْقَرَدَةِ ، مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ.

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهَا : أَنّ قُرَيْشًا خَافُوا طَرِيقَهُمْ الّذِي كَانُوا يَسْلُكُونَ إلَى الشّأْمِ حِينَ كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مَا كَانَ فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ تُجّارٌ فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَمَعَهُ فِضّةٌ كَثِيرَةٌ وَهِيَ عُظْمُ تِجَارَتِهِمْ وَاسْتَأْجَرُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، يُقَال لَهُ فُرَاتُ بْنُ حَيّانَ يَدُلّهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى الطّرِيقِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فُرَاتُ بْنُ حَيّانَ ، مِنْ بَنِي عِجْلٍ حَلِيفٌ لِبَنِي سَهْمٍ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَلَقِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَأَصَابَ تِلْكَ الْعِيرَ وَمَا فِيهَا ، وَأَعْجَزَهُ الرّجَالُ فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ[1].

[1] – سيرة ابن هشام 9/3 وذكرها الواقدي في المغازي 197/1 وغيره.

الفصل الثالث:

غزوة أحد:

الجولة الثانية الكبرى في الصراع مع الوثنية:

مقدمة الغزوة:

لم ترتدع قريش من هزيمتها المدوية في بدر، وتحركت طبيعة الثأر المتأصلة في البيئة القبلية في جزيرة العرب.

لكن الأمر لم يكن مجرد ثأر:

- فهناك الحرب الدينية التي أعلنتها قريش على المسلمين من أول يوم جهر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة.
- وهناك الأسباب الاقتصادية، حيث إن قريشًا تريد القضاء على القوة الناشئة في المدينة التي تعترض طريق قوافلها.
- وتأكد هذا الشعور بعد سرية زيد بن حارثة التي اعترضت قافلة قريش التي أرادت أن تأخذ طريق الصحراء إلى الشام.

استعدادت قريش:

١) حبس أموال القافلة التي أفلتت في بدر:

٤٧٥- روى ابن إسحاق عن جمع من شيوخه قال:

"لَمّا أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كُفّارِ قُرَيْشٍ أَصْحَابِ الْقَلِيبِ ، وَرَجَعَ فَلّهُمْ إلَى مَكّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِعِيرِهِ مَشَى عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِمّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَكَلّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ فَقَالُوا :

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنّ مُحَمّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ فَلَعَلّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنّا ، فَفَعَلُوا[1].

٢) تأليب القبائل واستخدام الشعراء لتهييج المشاعر:

٤٧٦- قال ابن إسحاق محدِّثًا عن شيوخه:

فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ فَعَلَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَربٍ وأصحابُ العيرِ - بأحابيشها ومن أَطَاعَهَا مِنْ قَبَائِلِ كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ.

غدر أبي عزة الجمحي:

قال: وَكَانَ أَبُو عَزّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللّهِ الْجُمَحِيّ قَدْ مَنّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ وَحَاجَةٍ وَكَانَ فِي الْأُسَارَى فَقَالَ إنّي فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٍ قَدْ عَرَفْتَهَا فَامْنُنْ عَلَيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْك وَسَلّمَ فَمَنّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ : يَا أَبَا عَزّةَ إنّك امْرُؤٌ شَاعِرٌ ، فَأَعِنّا بِلِسَانِك ، فَاخْرُجْ مَعَنَا ؛ فَقَالَ إنّ مُحَمّدًا قَدْ مَنّ عَلَيّ فَلَا أُرِيدُ أَنْ أُظَاهِرَ عَلَيْهِ قَالَ (بَلَى) فَأَعِنّا بِنَفْسِك ، فَلَك اللّهُ عَلَيّ إنْ رَجَعْتُ أَنْ أُغْنِيَك ، وَإِنْ أُصِبْتَ أَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِك مَعَ بَنَاتِي ، يُصِيبُهُنّ مَا أَصَابَهُنّ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ . فَخَرَجَ أَبُو عَزّةَ فِي تِهَامَةَ ، وَيَدْعُو بَنِي كِنَانَةَ [2].

٣) استئجار وحشي بن حرب:

٤٧٧- قال ابن إسحاق:

وَدَعَا جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ غُلَامًا لَهُ حَبَشِيّا يُقَالُ لَهُ وَحْشِيّ ، يَقْذِفُ بِحَرْبَةِ لَهُ قَذْفَ الْحَبَشَةِ ، قَلّمَا يُخْطِئُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ اُخْرُجْ مَعَ النّاسِ فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْت حَمْزَةَ عَمّ مُحَمّدٍ بِعَمّي طُعَيْمَةَ بْنِ عَدِيّ ، فَأَنْتَ عَتِيقٌ[3].

٤) نساء قريش مع الجيش:

---

[1] – سيرة ابن هشام ١٧/٣ حديث غزوة أحد رواه ابن إسحاق عن من بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمر . سعد بن معاذ وغيرهم، وكلهم ثقات.

[2] – المصدر السابق ١٧/٣

[3] – المصدر السابق ١٨/٣

أراد القادة استصحاب النساء معهم في الجيش؛ حتى لا يفر المقاتلون ويستميتوا في الدفاع عن الأعراض.

فخرجت خمس عشرة امرأة، منهن:

- هند بنت عتبة زوج أبي سفيان قائد الجيش.
- أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة .زوج عكرمة بن أبي جهل
- فاطمة بنت الوليد بن المغيرة .زوج الحارث بن هشام بن المغيرة.
- برزة بنت مسعود الثقفية .زوج صفوان بن أمية.
- سلافة بنت سعد .زوج طلحة بن أبي طلحة العبدري وأم بني طلحة.
- خناس بنت مالك .وهى أم مصعب بن عمير.

توقيت الغزوة : في شوال سنة ٣ هـ بعد بدر بسنة (في ١٥ شوال أو١١ منه).

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث، قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك، وقال ابن إسحاق للنصف من شوال، وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه.

٤٧٧- روى البيهقي بسنده في الدلائل:

عن قتادة قال: "واقع نبي الله (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد من العام المقبل بعد بدر ،في شوال يوم السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شوال".

قال البيهقي: وقال ابن إسحاق: للنصف من شوال.

وروى البيهقي أيضا بسنده عن عروة قال:"ثم كانت وقعة أحد في شوال على رأس سنة من وقعة بدر".

العباس يرسل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

٤٧٨- قال الواقدي:

"فَلَمّا أَجْمَعُوا الْمَسِيرَ كَتَبَ الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ كِتَابًا وَخَتَمَهُ، وَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ ثَلَاثًا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُخْبِرَهُ أَنّ قُرَيْشًا قَدْ

أَجْمَعَتْ الْمَسِيرَ إلَيْك فَمَا كُنْت صَانِعًا إذَا حَلّوا بِك فَاصْنَعْهُ، وَقَدْ تَوَجّهُوا إلَيْك ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَقَادُوا مِائَتَيْ فَرَسٍ وَفِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ وَثَلَاثَةُ آلَافِ بَعِيرٍ وَأَوْعَبُوا مِنْ السّلَاحِ.

فَقَدِمَ الْغِفَارِيّ فَلَمْ يَجِدْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ ،وَوَجَدَهُ بِقُبَاءَ، فَخَرَجَ حَتّى يَجِدَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ قُبَاءَ يَرْكَبُ حِمَارَهُ، فَدَفَعَ إلَيْهِ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ وَاسْتَكْتَمَ أُبَيّا مَا فِيهِ[١].

رؤيا الرسول(صلى الله عليه وسلم)، والمشاورة:

رواية ابن إسحاق:

٤٧٩- فَلَمّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا، قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: إنّي قَدْ رَأَيْت وَاَللّهِ خَيْرًا، رَأَيْتُ بَقَرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي ثَلْمًا ، وَرَأَيْتُ أَنّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوّلْتُهَا الْمَدِينَةَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: رَأَيْت بَقَرًا لِي تُذْبَحُ ؟ قَالَ فَأَمّا الْبَقَرُ فَهِيَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ وَأَمّا الثّلْمُ الّذِي رَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي ، فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ[٢].

٤٨٠- رواية أحمد في الرؤيا:

"عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ وَأَنَّ الْبَقَرَ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ[٣].

رواية الطبراني:

٤٨١- عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت كأني مردف كبشًا،وكأن ضبة سيفي انكسرت، فأولت أني أقتل كبش القوم، وأولت ضبة سيفي قتل رجل من عترتي، فَقُتِل حمزة ،وقَتَلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم "طلحة" وكان صاحب اللواء[٤].

---

١ – مغازي الواقدي ج١/٢٠٤ المكتبة الشاملة.

٢ – سيرة ابن هشام ١٩/٣

٣ – مسند أحمد ١٤٢٦٠ وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

٤ – قال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني واللفظ له. والبزار وأحمد ولم يكمله وفيه علي بن زيد وهو سيئ الحفظ، وقد جاء من غير طريقة كما نراه. وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ج٣ص٧. المكتبة الشاملة).

المشاورة في أحد:

٤٨٢- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

" قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرّ مُقَامٍ وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا.

وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ وَأَلّا يَخْرَجَ إلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ.

فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِمّنْ أَكْرَمَ اللّهُ بِالشّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ مِمّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ اُخْرُجْ بِنَا إلَى أَعْدَائِنَا ، لَا يَرَوْنَ أَنّا جَبُنّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ إلَيْهِمْ فَوَاَللّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إلَى عَدُوّ لَنَا قَطّ إلّا أَصَابَ مِنّا ، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إلّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرّ مَحْبِسٍ وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمْ الرّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ وَرَمَاهُمْ النّسَاءُ وَالصّبْيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا.

فَلَمْ يَزَلْ النّاسُ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبّ لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتّى دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْتَهُ فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ.

وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَيْنَ فَرَغَ مِنْ الصّلَاةِ . وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو ، أَحَدُ بَنِي النّجّارِ فَصَلّى عَلَيْهِ رَسُولُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النّاسُ وَقَالُوا : اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ اسْتَكْرَهْنَاك وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلّى اللّهُ عَلَيْك، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيّ إذَا لَبِسَ لَأْمَته أَنْ يَضَعَهَا حَتّى يُقَاتِلَ[١].

ويتأكد المعنى مُلَخّصًا في رواية أحمد السابقة:

٤٨٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ وَأَنَّ الْبَقَرَ هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ.

---

١ – رواية ابن إسحاق عن شيوخه عن غزوة أحد التي سبق الحديث عنها.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا دُخِلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَيْفَ يُدْخَلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ فَقَالَ: شَأْنَكُمْ إِذًا، قَالَ فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ قَالَ فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْيَهُ، فَجَاءُوا فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ شَأْنَكَ إِذًا، فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ[1].

دروس هامة في الشورى:

- تتكرر مواقف اهتمام واحترام النبي صلى الله عليه وسلم للشورى، وكما سبقت المواضع الشورية في بدر، ها نحن نرى النبي الكريم المؤيَّد من ربه- تبارك وتعالى- يقول للناس: "إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة......" فلم يكن منهجه صلى الله عليه وسلم كقائد أن يصدر الأوامر العسكرية البحتة...(افعلوا كذا) أو (لا تفعلوا كذا) والذي لا شك فيه، أنه لو فعل ذلك لأطاعه الصحابة؛ ثقة منهم في حكمته ورأيه ؛ولعلمهم أن الله تبارك وتعالى يؤيده .. لكنه أراد أن يعلم أمته - القادة منهم والعوام - ألا يتبعوا منهج الاستبداد والانفراد بالرأي.
- الرؤيا والشورى:

هنا تواجهنا إشكالية: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم – كما نعلم- هي وحْيٌ من الله عز وجل، فهل يترك الرسول(صلى الله عليه وسلم) الوحي، وينزل على رأي أصحابه؟؟

هنا يجب أن نمعن النظر ونتأمل:

- والرأي عندي – وقد صحت الرواية - أن الرؤيا كانت وحيًا ،لكنه وحيٌ غير صريح، احتاج لتأويل، فكان التأويل من عند رسول الله صلىالله عليه وسلم باعتبار الدرع الحصينة هي المدينة، ولذلك عندما تنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رأيه لم يترك الوحي،وإنما ترك (اجتهاده في التأويل وتفسير الرؤيا) يعني: ربما الدرع الحصينة درع حقيقية يلبسها، والله أعلم.

من أقوال الجند المتحمسين المشتاقين للشهادة:

قال الواقدي:

---

[1] – رواية أحمد السابقة ١٤٢٦٠ ورجاله رجال الصحيح.

٤٨٤- فَقَالَ فِتْيَانٌ أَحْدَاثٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا ، وَطَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْخُرُوجَ إلَى عَدُوّهِمْ وَرَغِبُوا فِي الشّهَادَةِ وَأَحَبّوا لِقَاءَ الْعَدُوّ: أُخْرُجْ بِنَا إلَى عَدُوّنَا.

وَقَالَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ السّنّ وَأَهْلِ النّيّةِ مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَالنّعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فِي غَيْرِهِمْ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ:

إنّا نَخْشَى يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَظُنّ عَدُوّنَا أَنّا كَرِهْنَا الْخُرُوجَ إلَيْهِمْ جُبْنًا عَنْ لِقَائِهِمْ فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْنَا ، وَقَدْ كُنْتَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ فَظَفّرَك اللهُ عَلَيْهِمْ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، قَدْ كُنّا نَتَمَنّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ بِهِ فَقَدْ سَاقَهُ اللهُ إلَيْنَا فِي سَاحَتِنَا.

وَرَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِمَا يَرَى مِنْ إلْحَاحِهِمْ كَارِهٌ وَقَدْ لَبِسُوا السّلَاحَ يَخْطِرُونَ بِسُيُوفِهِمْ يَتَسَامَوْنَ كَأَنّهُمْ الْفُحُولُ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ: يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ وَاَللهِ بَيْنَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ - إمّا يُظَفّرُنَا اللهُ بِهِمْ فَهَذَا الّذِي نُرِيدُ فَيُذِلّهُمْ اللهُ لَنَا فَتَكُونُ هَذِهِ وَقْعَةً مَعَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إلّا الشّرِيدُ وَالْأُخْرَى يَا رَسُولَ اللهِ يَرْزُقُنَا اللهُ الشّهَادَةَ، وَاَللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أُبَالِي أَيّهُمَا كَانَ إنّ كُلّا لَفِيهِ الْخَيْرُ.

فَلَمْ يَبْلُغْنَا أَنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَجَعَ إلَيْهِ قَوْلًا ، وَسَكَتَ.

فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَالّذِي أَنْزَلَ عَلَيْك الْكِتَابَ لَا أَطْعَمُ الْيَوْمَ طَعَامًا حَتّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجًا مِنْ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ يُقَالُ كَانَ حَمْزَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَائِمًا، وَيَوْمَ السّبْتِ صَائِمًا ، فَلَاقَاهُمْ وَهُوَ صَائِمٌ[1].

عدة الجيشين:

ذكر ابن حجر في الفتح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بهم وهم ألف رجل، وكان المشركون ثلاثة آلاف.

ورجع عبد الله بن أبي في ثلاثمائة، فبقي في سبعمائة.

قال: وعلى خيل المشركين- وهي مائة فرس- خالد بن الوليد، وليس مع المسلمين فرس.

اللواءان:

- لواء المسلمين مع مصعب بن عمير،

[1] - مغازي الواقدي ج١/٢١٠ – المكتبة الشاملة.

- ولواء: المشركين مع طلحة بن عثمان.

انخزل ابن سلول بثلث الجيش:-

٤٨٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَتّى إذَا كَانُوا بِالشّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ بِثُلُثِ النّاسِ وَقَالَ أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُل أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيّهَا النّاسُ، فَرَجَعَ بِمَنْ اتّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النّفَاقِ وَالرّيْبِ.

وَاتّبَعَهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ يَقُولُ يَا قَوْمِ أُذَكّرُكُمْ اللّهَ أَلّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيّكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوّهِمْ فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ وَلَكِنّا لَا نَرَى أَنّهُ يَكُونُ قِتَالٌ. قَالَ فَلَمّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إلّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ: أَبْعَدَكُمْ اللّهُ أَعْدَاءَ اللّهِ فَسَيُغْنِي اللّهُ عَنْكُمْ نَبِيّهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ غَيْرُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ إسْحَاقَ عَنْ الزّهْرِيّ: أَنّ الْأَنْصَارَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالُوا لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَلَا نَسْتَعِينُ بِحُلَفَائِنَا مِنْ يَهُودَ؟ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ [1].

إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا:

روىالبخاري:

٤٨٦- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا}: بَنِي سَلِمَةَ وَبَنِي حَارِثَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ وَاللَّهُ يَقُولُ {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا}[2].

قال ابن إسحاق:

والله وليهما: أي :الدفاع عنهما مما هموا به من الفشل- لأن ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وَهَنٍ منهم.

الرسول(صلى الله عليه وسلم) يرفض قتال الصغار مع الجيش ويردهم:

٤٨٧- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَجَازَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمئِذٍ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيّ وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ وَهُمَا ابْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً [1] وَكَانَ قَدْ رَدّهُمَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا

---

١ – **سيرة ابن هشام ٢٠/٣ وللحديث شواهد صحيحة عند ابن سعد في الطبقات ، والحاكم في المستدرك ومسند أحمد وغيرهم.**

٢ – **رواه البخاري برقم ٣٧٤٥ العالمية.**

رَسُـولَ اللّهِ إنّ رَافِعًـا رَامٍ، فَأَجَـازَهُ فَلَمّـا أَجَـازَ رَافِعًـا، قِيـلَ لَـهُ: يَـا رَسُـولَ اللّهِ فَـإِنّ سَـمُرَةَ يَصْـرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ.

وَرَدّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ،وَعَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ وَالْبَرَاءَ بْنَ عَـازِبٍ، أَحَدَ بَنِي حَـارِثَة، وَعَمْـرَو بْنَ حَـزْمٍ، أَحَـدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ، وَأُسَيْدَ بْنَ ظُهَيْرٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ ثُمّ أَجَازَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

قَـالَ ابْـنُ إسْـحَاقَ: وَتَعَبّـأَتْ قُـرَيْشٌ وَهُـمْ ثَلَاثَـةُ آلَافِ رَجُـلٍ وَمَعَهُـمْ مِائَتَـا فَـرَسٍ قَـدْ جَنَبُوهَـا، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَةِ الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ.

موقع الجيش وفصيلة الرماة:

نفذ رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل أحد، من طريق لا يمر عليه المشركون، دلّه عليه أبو خيثمة:

٤٨٨ - قال ابن إسحاق: ثم قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ أَيْ مِنْ قُرْبٍ مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرّ بِنَا عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ. فَنَفَذَ بِهِ فِي حَرّةِ بَنِي حَارِثَةَ ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، حَتّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيّ وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ، فَلَمّا سَمِعَ حِسّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَامَ يَحْثِي فِي وُجُوهِهِمْ التّرَابَ وَيَقُولُ: إنْ كُنْتَ رَسُولَ اللّهِ فَإِنّي لَا أُحِلّ لَك أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي.

وَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ ثُمّ قَالَ: وَاَللّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَك يَا مُحَمّدُ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَك. فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَا تَقْتُلُوهُ فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ، أَعْمَى الْبَصَرِ[٢].

عند الجبل:

---

[١] – سيرة ابن هشام ٣/٢٠ وأخرجه البخاري في الشهادات باب (بلوغ الصبيان شهادتهم)، وابو داود في الحدود وابن ماجة وأحمد في مسنده – عن تخريج دار الحديث.

[٢] – سيرة ابن هشام ٣/٢١ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وإسناده حسن تخريج دار الحديث.

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وعسكره إلى أحد، وجبل أحد يعتبر حماية طبيعية لظهر المسلمين، ويكون بذلك جيش المشركين ليس له ظهر يحميه، بل إن ظهره باتجاه المدينة.

وكانت الثغرة الوحيدة في موقع الجيش الإسلامي ،هي إلى اليسار-حيث يوجد جبل صغير – يمكن أن يلتف من خلفه بعض فرسان قريش ؛ليأتوا المسلمين من خلفهم، ولذا كلف النبي صلى الله عليه وسلم عددًا لا بأس به من الرماة ؛ليكونوا فوق هذا الجبل.

الرماة:

٤٨٩- قال ابن إسحاق: "وَتَعَبَّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْقِتَالِ وَهُوَ فِي سَبْعِ مِائَةِ رَجُلٍ، وَأَمّرَ عَلَى الرّمَاةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ مُعْلَمٌ يَوْمئِذٍ بِثِيَابِ بِيضٍ وَالرّمَاةُ خَمْسُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ: انْضَحْ الْخَيْلَ عَنّا بِالنّبْلِ ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا ، إنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا ، فَاثْبُتْ مَكَانَك لَا نُؤْتَيَنّ مِنْ قِبَلِكِ[1].

٤٩٠- وروى البخارى عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ "لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنْ الرُّمَاةِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا[2].

تنبيه:

تعمدنا تأكيد صحة الرواية، وإبراز الأوامر المشددة التي أصدرها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرماة ؛لأن مخالفة هذه الأوامر هي التي تسببت في مأساة أحد.

رسول الله (صلى اللهعليه وسلم) بين درعين:

روى أبو داود:

٤٩١- عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ رَجُلٍ قَدْ سَمَّاهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهَرَ يَوْمَ أُحُدٍ بَيْنَ دِرْعَيْنِ أَوْ لَبِسَ دِرْعَيْنِ [3].

---

[1] – سيرة ابن هشام ٢٢/٣ والرواية صحيحة موافقة لرواية البخاري التالية.

[2] – البخاري ٣٧٣٧ االعالمية.

[3] – رواه ابو داود ٢٢٢٣ بسند رواته ثقات عن السائب بن يزيد رضي الله عنه هو من الصحابة، لذا لا يهم إن كان الذي روى عنه لم يذكره.

وقال ابن حجر في الفتح: [1] في حديث حراسة الرسول صلي الله عليه وسلم:

وَفِي الْحَدِيثِ الْأَخْذُ بِالْحَذَرِ وَالِاحْتِرَاسِ مِنْ الْعَدُوِّ وَأَنَّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَحْرُسُوا سُلْطَانَهُمْ خَشْيَةِ الْقَتْلِ، وَإِنَّمَا عَانَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ مَعَ قُوَّةٍ تَوَكُّلِهِ لِلِاسْتِنَانِ بِهِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اِشْتَدَّ الْبَأْسُ كَانَ أَمَامَ الْكُلِّ، وَأَيْضًا فَالتَّوَكُّل لَا يُنَافِي تَعَاطِي الْأَسْبَابِ، لِأَنَّ التَّوَكُّلَ عَمَلُ الْقَلْبِ وَهِيَ عَمَلُ الْبَدَنِ، وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ".

إثارة الحماسة في الجند:

٤٩٢- قال ابن إسحاق:

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السّيْفَ بِحَقّهِ ؟ فَقَامَ إلَيْهِ رِجَالٌ فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ حَتّى قَامَ إلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالَ: وَمَا حَقّهُ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ أَنْ تضْرَبَ بِهِ الْعَدُوّ حَتّى يَنْحَنِيَ، قَالَ أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ بِحَقّهِ، فَأَعْطَاهُ إيّاهُ.

وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إذَا كَانَتْ، وَكَانَ إذَا أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلِمَ النّاسُ أَنّهُ سَيُقَاتِلُ. فَلَمّا أَخَذَ السّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصّفّيْنِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: إنّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللّهُ إلّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ[2].

خطبته(صلى الله عليه وسلم) في أحد:

ـننقل فقرات مما ذكره الواقدي:

٤٩٣- قال الواقدي:

ثُمّ قَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَخَطَبَ النّاسَ فَقَالَ:

"يَا أَيّهَا النّاسُ أُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالتّنَاهِي عَنْ مَحَارِمِهِ . ثُمّ إنّكُمْ الْيَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَرَ الّذِي عَلَيْهِ، ثُمّ وَطّنَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى الصّبْرِ وَالْيَقِينِ

---

[1] – شرح حديث ٢٦٧٢ ليت رجلا من أصحابي صالحا يحرسني الليلة.

[2] – سيرة ابن هشام ٢٣/٣ وقال الهيثمي في المجمع: رواه البزار ورجاله ثقات.

وَالْجِدّ وَالنّشَاطِ، فَإِنّ جِهَادَ الْعَدُوّ شَدِيدٌ كَرْبُهُ قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ، إلّا مَنْ عَزَمَ اللّهُ رُشْدَهُ، فَإِنّ اللهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ وَإِنّ الشّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَافْتَتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ وَالْتَمِسُوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللّهُ.

وَعَلَيْكُمْ بِالّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ فَإِنّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ فَإِنّ الِاخْتِلَافَ وَالتّنَازُعَ وَالتّثْبِيطَ مِنْ أَمْرِ الْعَجْزِ وَالضّعْفِ مِمّا لَا يُحِبّ اللّهُ وَلَا يُعْطِي عَلَيْهِ النّصْرَ وَلَا الظّفَرَ".

<u>وقال أيضًا:</u>

٤٩٤- وَإِنّهُ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي الرّوحُ الْأَمِينُ أَنّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتّقُوا اللّهَ رَبّكُمْ وَأَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الرّزْقِ، وَلَا يَحْمِلَنكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبّكُمْ فَإِنّهُ لَا يُقْدَرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ إلّا بِطَاعَتِهِ[1].

<u>في معسكر المشركين:</u>

<u>أبو سفيان يستثير حميَّة حملة اللواء:</u>

حملة اللواء في قريش هم بنو عبد الدار، وهذا ما تعارفت عليه قريش من قديم، بعد وفاة قصي، وكان زعيمهم طلحة بن أبي طلحة (العبدري) .

ونلاحظ أن حامل لواء المسلمين هو مصعب بن عمير، وهو من بني عبد الدار أيضًا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترم هذا التقليد، طالما وُجد من المسلمين من يستحق حمل اللواء من بني عبد الدار.

فماذا قال أبو سفيان لبني عبد الدار (وهو من دهاة السياسة)؟

٤٩٥- <u>قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :</u>

وَقَدْ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِأَصْحَابِ اللّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ يُحَرّضُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْقِتَالِ: يَا بَنِي عَبْدِ الدّارِ إنّكُمْ قَدْ وَلّيْتُمْ لِوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَإِنّمَا يُؤْتَى النّاسُ مِنْ قِبَلِ رَايَاتِهِمْ إذَا زَالَتْ زَالُوا ، فَإِمّا أَنْ تَكْفُونَا لِوَاءَنَا ، وَإِمّا أَنْ تُخَلّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَنَكْفِيكُمُوهُ. فَهَمّوا بِهِ وتوَاعَدُوهُ وَقَالُوا : نَحْنُ نُسْلِمُ إلَيْك لِوَاءَنَا ، سَتَعْلَمُ غَدًا إذَا الْتَقَيْنَا كَيْفَ نَصْنَع وَذَلِكَ أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ[2].

---

[1] – مغازي الواقدي ح١/٢٢٢ . المكتبة الشاملة.

[2] – سيرة ابن هشام ٢/٢٣

وسوف نرى كيف فعلت كلمات أبي سفيان فعلها ،فلقد استمات حملة اللواء من بني عبد الدار، حتى قتلوا عن آخرهم وكان عددهم عشرة.

أبو عامر الفاسق ودوره:

٤٩٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنّ أَبَا عَامِرٍ عَبْدَ عَمْرِو بْنِ ... وَقَدْ كَانَ خَرَجَ حِينَ خَرَجَ إلَى مَكّةَ مُبَاعِدًا لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، مَعَهُ خَمْسُونَ غُلَامًا مِنْ الْأَوْسِ، وَبَعْضُ النّاسِ كَانَ يَقُولُ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَكَانَ يَعِدُ قُرَيْشًا أَنْ لَوْ قَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ.

فَلَمّا الْتَقَى النّاسُ كَانَ أَوّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أَبُو عَامِرٍ فِي الْأَحَابِيشِ وَعُبْدَانُ أَهْلِ مَكّةَ، فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ ، أَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالُوا : فَلَا أَنْعَمَ اللّهُ بِك عَيْنًا يَا فَاسِقُ - وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ يُسَمّى فِي الْجَاهِلِيّةِ الرّاهِبَ فَسَمّاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْفَاسِقَ - فَلَمّا سَمِعَ رَدّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ: لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرّ ، ثُمّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمّ رَاضَخَهُمْ بِالْحِجَارَةِ.[1].

عودة إلى موقع الجيش الإسلامي:

خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحربية الحكيمة:

الجيش الإسلامي ثلاث كتائب:

١- كتيبة المهاجرين: وصاحب اللواء مصعب بن عمير،
٢- كتيبة الأوس: وصاحب لوائها أُسَيدْ بن حُضير،
٣- كتيبة الخزرج: وصاحب لوائها الحُبَابْ بن المنذر،

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم للجيش ميمنة وميسرة؛ لتكون في مواجهة ميمنة وميسرة المشركين:

- الميمنة : قائدها: المُنذِرْ بن عمرو، يواجه عكرمة بن أبي جهل .قائد ميسرة المشركين- .
- الميسرة: قائدها: الزبير بن العوام، يواجه خالد بن الوليد .قائد ميمنة المشركين- .

١- سيرة ابن هشام (٢٣/٣) وأخرجه الطبري في تاريخه(٦٤/٢)من طريق محمد بن إسحاق ، وإسناده صحيح إلى عاصم بن عمر بن قتادة . عن دار الحديث.

- فصيلة الرماة: قائدها : عبد الله بن جبير، وعددها خمسون رجلًا.

الموقع العسكري للمسلمين:

وقد سبق إليه النبي صلى الله عليه وسلم، واختار أفضل ما يمكن تحقيقه:

١- الأرض مرتفعة ، والأعداء في موقع منخفض.

٢- الحماية الطبيعية من الظهر ومن اليمين، بجبل أُحُدْ المرتفع جدًا الذي لا يمكن أن تعلوه خيل الأعداء.

٣- حماية الجهة اليسرى مهمة فصيلة الرماة، والتي كان موقعها في غاية الأهمية؛ ولذا كانت الأوامر المشددة إليهم ألا يبرحوا مكانهم ،مهما كانت نتيجة الحرب.

بداية المعركة ثم الالتحام:

نساء قريش يحرضن الرجال:

٤٩٧- " فَلَمّا الْتَقَى النّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة فِي النّسْوَةِ اللّاتِي مَعَهَا ، وَأَخَذْنَ الدّفُوفَ يَضْرِبْنَ بِهَا خَلْفَ الرّجَالِ وَيُحَرّضْنَهُمْ فَقَالَتْ هِنْدُ فِيمَا تَقُولُ :

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدّارْ ... وَيْهَا حُمَاةَ الْأَدْبَارْ

ضَرْبًا بِكُلّ بَتّارْ

إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ ... وَنَفْرِشُ النّمَارِقْ

أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ ... فِرَاقَ غَيْرَ وَامِقْ[١]"[٢].

مبارزة علي بن أبي طالب، وطلحة بن أبي طلحة:

طلحة هذا هو حامل لواء المشركين، وكان يسمى كبش الكتيبة؛ لفرط شجاعته.

قال الواقدي:

٤٩٨- وَصَاحَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ مَنْ يُبَارِزُ؟ فَقَالَ عَلِيّ هَلْ لَك فِي الْبِرَازِ؟ قَالَ طَلْحَةُ نَعَمْ. فَبَرَزَا بَيْنَ الصّفّيْنِ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَالِسٌ تَحْتَ الرّايَةِ عَلَيْهِ دِرْعَانِ وَمِغْفَرٌ

١- وامق: محب ومتودِّد.

٢- سيرة ابن هشام(٣/ ٢٤).

وَبَيْضَةٌ. فَالْتَقَيَا فَبَدَرَهُ عَلِيّ فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَمَضَى السّيْفُ حَتّى فَلَقَ هَامَتَهُ حَتّى انْتَهَى إلَى لِحْيَتِهِ فَوَقَعَ طَلْحَةُ وَانْصَرَفَ عَلِيّ.

فَقِيلَ لِعَلِيّ أَلَا ذَفّفْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ إنّهُ لَمّا صُرِعَ اسْتَقْبَلَتْنِي عَوْرَتُهُ فَعَطَفَنِي عَلَيْهِ الرّحِمُ وَقَدْ عَلِمْت أَنّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيَقْتُلُهُ - هُوَ كَبْشُ الْكَتِيبَةِ.

وَيُقَالُ حَمَلَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ فَاتّقَاهُ عَلِيّ بِالدّرَقَةِ فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا. وَحَمَلَ عَلَيْهِ عَلِيّ وَعَلَى طَلْحَةَ دِرْعٌ مُشَمّرَةٌ فَضَرَبَ سَاقَيْهِ فَقَطَعَ رِجْلَيْهِ ثُمّ أَرَادَ أَنْ يُذَفّفَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ بِالرّحِمِ فَتَرَكَهُ عَلِيّ فَلَمْ يُذَفّفْ عَلَيْهِ حَتّى مَرّ بِهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ فَذَفّفَ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ إنّ عَلِيّا ذَفّفَ عَلَيْهِ.

فَلَمّا قُتِلَ طَلْحَةُ سُرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَظْهَرَ التّكْبِيرَ وَكَبّرَ الْمُسْلِمُونَ. ثُمّ شَدّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى كَتَائِبِ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ حَتّى نُقِضَتْ صُفُوفُهُمْ"[1].

تنبيه:

ذكر صاحب (الرحيق المختوم) أن الزبير بن العوام هو الذي قتل طلحة ،فقد وثب إليه على جمله ونزل به على الأرض وذبحه بسيفه .ذكر ذلك نقلًا عن السيرة الحلبية .فالله أعلم.

مقتل عثمان بن أبي طلحة:

قال الواقدي:[2]

ثُمّ حَمَلَ لِوَاءَهُمْ بَعْدَ طَلْحَةَ، عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، أَبُو شَيْبَةَ وَهُوَ أَمَامَ النّسْوَةِ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

إنّ عَلَى أَهْلِ اللّوَاءِ حَقّا ... أَنْ تُخْضَبَ الصّعْدَةُ أَوْ تَنْدَقّا

فَتَقَدّمَ بِاللّوَاءِ وَالنّسَاءُ يُحَرّضْنَ وَيَضْرِبْنَ بِالدّفُوفِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَضَرَبَهُ بِالسّيْفِ عَلَى كَاهِلِهِ فَقَطَعَ يَدَهُ وَكَتِفَهُ حَتّى انْتَهَى إلَى مُؤْتَزَرِهِ[3] حَتّى بَدَا سَحْرُهُ[4] ثُمّ رَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ أَنَا ابْنُ سَاقِي الْحَجِيجِ[1].

---

١ – مغازي الواقدي :(١/٢٢٦).

٢– مغازي الواقدي:(١٢٢٧)

٣– موضع الإزار من البطن.

٤– سَحْرُه: أي رئته من صدره.

نتابع مصارع حَملة اللواء:

ثُمّ حَمَلَهُ أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ فَأَصَابَ حَنْجَرَتَهُ وَكَانَ دَارِعًا وَعَلَيْهِ مِغْفَرٌ لَا رَفْرَفَ لَهُ فَكَانَتْ حَنْجَرَتُهُ بَادِيَةً فَأَدْلَعَ لِسَانَهُ إدْلَاعَ الْكَلْبِ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ: فَأَضْرِبُهُ فَأَقْطَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى . فَأَخَذَ اللّوَاءَ بِالْيُسْرَى ، فَأَحْمِلُ عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى فَضَرَبْتهَا فَقَطَعْتهَا ، فَأَخَذَ اللّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ جَمِيعًا فَضَمّهُ إلَى صَدْرِهِ ثُمّ حَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ، ثُمّ ضَرَبْته حَتّى قَتَلْته.

ثُمّ حَمَلَهُ مُسَافِعُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فَرَمَاهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ وَقَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ فَقَتَلَهُ، فَحُمِلَ إلَى أُمّهِ سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الشّهِيدِ وَهِيَ مَعَ النّسَاءِ فَقَالَتْ مَنْ أَصَابَك؟ قَالَ لَا أَدْرِي ، سَمِعْته يَقُولُ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ.

فَيَوْمَئِذٍ نَذَرَتْ أَنْ تَشْرَبَ فِي قِحْفِ رَأْسِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الْخَمْرَ، وَجَعَلَتْ تَقُولُ لِمَنْ جَاءَ بِهِ مِائَةٌ مِنْ الْإِبِلِ.

ثُمّ حَمَلَهُ كِلَابُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ فَقَتَلَهُ الزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ ، ثُمّ حَمَلَهُ الْجُلّاسُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، فَقَتَلَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، ثُمّ حَمَلَهُ أَرْطَاةُ بْنُ شُرَحْبِيلَ فَقَتَلَهُ عَلِيّ رضى الله عنه، ثُمّ حَمَلَهُ شُرَيْحُ بْنُ قَارِظٍ فَلَسْنَا نَدْرِي مَنْ قَتَلَهُ، ثُمّ حَمَلَهُ صُؤَابٌ غُلَامُهُمْ فَاخْتُلِفَ فِي قَتْلِهِ فَقَائِلٌ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ ، وَقَائِلٌ عَلِيّ رضى الله عنه وَقَائِلٌ قُزْمَانُ - وَكَانَ أَثْبَتَهُمْ عِنْدَنَا قُزْمَانُ - قَالَ انْتَهَى إلَيْهِ قُزْمَانُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَطَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى ، فَاحْتَمَلَ اللّوَاءَ بِالْيُسْرَى ، ثُمّ قَطَعَ الْيُسْرَى فَاحْتَضَنَ اللّوَاءَ بِذِرَاعَيْهِ وَعَضُدَيْهِ ثُمّ حَنَى عَلَيْهِ ظَهْرَهُ وَقَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الدّارِ هَلْ أُعْذِرْت؟ فَحَمَلَ عَلَيْهِ قُزْمَانُ فَقَتَلَهُ[٢].

دلالات:

- البداية تدل على تفوق الجيش الإسلامي أولًا.
- وتدل على الدور الرائع لأبطال الصحابة أمثال: الحمزة، وعليّ، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، إنهم رجال تتحول بهم دفة المعارك.

١– أي هو حمزة بن عبد المطلب الذي كان له من الشرف سقاية الحجيج.

٢– مغازي الواقدي(١/٢٢٧–٢٢٩) نقلناه عنه بشيء من الاختصار.

- وتدل على مدى استبسال حملة اللواء من قريش؛ حتى لا يقال إنهم قصُّروا، أو كانوا سببا في الهزيمة، كما عيرهم أبو سفيان.

بطولة أبي دجانة صاحب العصابة الحمراء:

٤٩٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَاقْتَتَلَ النّاسُ حَتّى حَمِيَتْ الْحَرْبُ وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتّى أَمْعَنَ فِي النّاسِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : حَدّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ الزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ قَالَ: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ السّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ وَقُلْت : أَنَا ابْنُ صَفِيّةَ عَمّتَهِ ، وَمِنْ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ قُمْت إلَيْهِ فَسَأَلْته إيّاهُ قَبْلَهُ فَأَعْطَاهُ إيّاهُ وَتَرَكَنِي ، وَاَللّهِ لَأَنْظُرَنّ مَا يَصْنَعُ فَاتّبَعْتَهُ فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ. فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: أَخْرَجْ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إذَا تَعَصّبَ بِهَا فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي ... وَنَحْنُ بِالسّفْحِ لَدَى النّخِيلِ

أَلّا أَقَوْمَ الدّهْرَ فِي الْكَيّولِ ... أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللّهِ وَالرّسُولِ

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إلّا قَتَلَهُ . وَكَانَ فِي الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إلّا ذَفّفَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ . فَدَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَالْتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَضَرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ فَاتّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ فَعَضّتْ بِسَيْفِهِ وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ. ثُمّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَة ، ثُمّ عَدَلَ السّيْفَ عَنْهَا. قَالَ الزّبِيرُ فَقُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ : رَأَيْت إنْسَانًا يَخْمُشُ النّاسَ خَمْشًا شَدِيدًا ، فَصَمَدْتُ لَهُ فَلَمّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السّيْفَ وَلْوَلَ فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْت سَيْفَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً[1].

١- سيرة ابن هشام (٢٥/١) وأخرجه البزار في مسنده. قال الهيثمي في المجتمع ورجاله ثقات.

سيد الشهداء حمزة:

الحمزة لا يقوم له أحد من الناس...بطل قوي شجاع، كان قد ضرب أبا جهل قديما؛ فشجه في رأسه، لأنه أَسْمَع محمدًا صلى الله عليه وسلم - ابن أخيه - كلامًا سيئًا، ولم يخش قومَ أبي جهل ،ولا مكانته وزعامته في قريش.

وكان الحمزة صاحب بطولات عظمى في (بدر) ، واليوم في أحد.

- لكن ...هل يستطيع الحمزة أن يواجه الأبطال، ثم يحمي نفسه من غادر يترصد له؟.

لقد فعلها وحشي الغلام الحبشي:

قالَ ابنُ إسحاقَ:

٥٠٠- وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ حَتّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنَ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بْنِ ... وَكَانَ أَحَدَ النّفَرِ الّذِينَ يَحْمِلُونَ اللّوَاءَ، ثُمّ مَرّ بِهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزّى الْغُبْشَانِيّ ، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ هَلُمّ إلَيّ يَا ابْنَ مُقَطّعَةِ الْبُظُورِ - وَكَانَتْ أُمّهُ أُمّ أَنْمَارٍ مَوْلَاةُ (شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثّقَفِيّ) .. وَكَانَتْ خَتّانَةً بِمَكّةَ - فَلَمّا الْتَقَيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ.

قَالَ وَحْشِيّ، غُلَامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: وَاَللّهِ إنّي لَأَنْظُرُ إلَى حَمْزَةَ يَهُدّ النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُلِيقُ بِهِ شَيْئًا ، مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ إذْ تَقَدّمَنِي إلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزّى ، فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ هَلُمّ إلَيّ يَا ابْنَ مُقَطّعَةِ الْبُظُورِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَكَأَنّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ، وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتّى إذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي ثُنّتِهِ حَتّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَأَقْبَلَ نَحْوِي ، فَغُلِبَ فَوَقَعَ وَأَمْهَلْتُهُ حَتّى إذَا مَاتَ جِئْت فَأَخَذْت حَرْبَتِي ، ثُمّ تَنَحّيْت إلَى الْعَسْكَرِ وَلَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرَهُ.[1]

رواية البخاري:

٥٠١- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ:

خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ نَعَمْ. وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ لَنَا هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ كَأَنَّهُ حَمِيتٌ[2].

[1]- سيرة ابن هشام (٢٦/١) والرواية صحيحة عند البخاري وأحمد وغيرهم .

[2] – الحميت : زقٌّ كبير(إناء) ومعناه كان رجلا سمينا.

قَالَ فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلَامَ. قَالَ - وَعُبَيْدُ اللَّهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ - فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي الْعِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا بِمَكَّةَ فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟

قَالَ: نَعَمْ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ. قَالَ فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ[1] أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ.

قَالَ وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ[2] حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ.

فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ، قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: آنْتَ وَحْشِيٌّ؟!!! قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ قَدْ كَانَ مِنْ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ. قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي.

قَالَ فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ قُلْتُ لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ. قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ. قَالَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ[3] ثَائِرُ الرَّأْسِ قَالَ فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

---

١ – مقطعة البظور: البظر هو جزء من فرج الأنثى يقطع في الختان.

٢ – الثنية : ما بين السرة والعانة.

٣ – جمل أورق: لونة رمادي من شدة غبار المعركة

قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ[1].

<u>دلالات وعظات:</u>

١- عجزت قريش أن تجد فارسًا يمكنه أن يواجه حمزة (رضي الله عنه) مواجهة مباشرة فلجأت إلى أسلوب الغدر والغيلة ، رغم أن ساحة الحرب مفتوحة.

٢- وصْفُ قتال حمزة كما قال وحشي: "والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق به شيئا، مثل الجمل الأورق" . هذا هو أسد الله ،وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فقد الجيش بموته ركنًا ركينًا.

٣- النبي صلى الله عليه وسلم لا يطيق أن يرى قاتل عمه .وحشي .لكنه مع ذلك لم ينتقم منه أي انتقام ، فأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وحقوق الإسلام حقنت دم وحشي، برغم ما فعله، وأعطته حق الأمان ،الذي هو لكل مسلم ،بمجرد أن ينطق بالشهادتين.

٤- عوامل الإيمان الحقيقي تتحرك داخل وحشي، فيبحث عن عمل يكفرّ به عن فعلته تلك، ويبدو أنه صدق مع الله صدقًا كبيرًا، فكانت جائزة هذا الصدق أن يقتل مسيلمة الكذاب ،ويشارك في القضاء على فتنة خطيرة ...بل أخطر فتنة من فتن المرتدين.

<u>عاصم بن ثابت يقتل اثنين من بني طلحة (حملة اللواء):</u>

سبق ذكر مقتل مسافع بن طلحة في رواية الواقدي، وهذه رواية ابن إسحاق تبين أن عاصمًا قتل اثنين من حملة اللواء.

<u>قالَ ابنُ إسحاقَ:</u>

٥٠٢- وقَاتَلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ ، فَقَتَلَ مُسَافِعَ بْنَ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ الْجُلَاسَ بْنَ طَلْحَةَ ، كِلَاهُمَا يَشْعُرُهُ[2] سَهْمًا ، فَيَأْتِي أُمّهُ سُلَافَةَ فَيَضَعُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا فَتَقُولُ يَا بُنَيّ مَنْ أَصَابَك؟ فَيَقُولُ سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمَانِي وَهُوَ يَقُولُ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ. فَنَذَرَتْ إنْ أَمْكَنَهَا اللّهُ مِنْ

---

[1] – رواه البخاري برقم(٣٧٦٤) ترقيم العالمية.

[2]– أي كل منهما أصاب عاصمًا بسهم أصابه في بدنه فصار كالشعار.

رَأْسِ عَاصِمٍ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللّهَ أَنْ لَا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا، وَلَا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ.[1]

<u>تعقيب:</u>

وقد كان لذلك أثره في سرية الرجيع، التي كان عاصم أميرًا عليها واستشهد فيها، وحفظ الله جسده من المشركين ؛حتى لا تبرّ (سُلافة) بقسمها فتشرب الخمر في جمجمته .وسيأتي إن شاء الله ذكر ذلك في مأساة الرجيع.

<u>حنظلة غسّيل الملائكة:</u>

٥٠٣- والتقى حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْغِسّيلُ وَأَبُو سُفْيَانَ، فَلَمّا اسْتَعْلَاهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ رَآهُ شَدّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ قَدْ عَلَا أَبَا سُفْيَانَ فَضَرَبَهُ شَدّادٌ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّ صَاحِبَكُمْ يَعْنِي حَنْظَلَةَ لَتُغَسّلَهُ الْمَلَائِكَةُ. فَسَأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ ؟ فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ . فَقَالَتْ خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَاتِفَةَ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لِذَلِكَ غَسّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ[2].

ثم أنزل الله نصره: هكذا كانت الجولة الأولى من معركة أحد .نصرٌ مؤكد للمسلمين وتشتتُ صفوفِ المشركين، حتى أصبح من الممكن أسر نسائهم.

٥٠٤- <u>قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ</u> :

ثُمّ أَنْزَلَ اللّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ فَحَسّوهُمْ بِالسّيُوفِ حَتّى كَشَفُوهُمْ عَنْ الْعَسْكَرِ وَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ لَا شَكّ فِيهَا ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ عَبّادٍ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ الزّبَيْرِ أَنّهُ قَالَ:

١- سيرة ابن هشام (٢٩/٣)

٢- سيرة ابن هشام(٢٩/٣) والبيهقي في السنن الكبرى(١٥/٤)، وأخرجه الطبراني في الكبير بإسناد حسن كذا قاله الهيثمي في المجمع(٢٣/٣) – تخريج دار الحديث قلت: وللحديث شاهد: عن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب..إلخ، قال الهيثمي رواه أبو يعلي والبزار والطبراني ورجالهم رجال الصحيح.

وَاَللّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرُ إلَى خَدَمِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَة وَصَوَاحِبُهَا مُشَمّرَاتٌ هَوَارِبُ مَا دُونِ أَخْذِهِنّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ[1].

سقوط لواء قريش حتى رفعته امرأة منهم:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ اللّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيعًا حَتّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الْحَارِثِيّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقُرَيْشٍ فَلَاثُوا بِهِ.

وقد ذُكر خبر الجولة الأولى في القرآن الكريم:

٥٠٥- عن ابن عباس قال: ما نصر الله عز وجل في موطن ،كما نصر في يوم أحد، قال – الراوى عن ابن عباس - فأنكرنا ذلك فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله عز وجل، إن الله عز وجل يقول في يوم أحد {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ} والحَسُّ: القتل { حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ } إلى قوله { وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}.[2]

النصر يتحول إلي مأساة:

معصية الرماة:

إنها معصية صريحة لأوامر الرسول(صلى الله عليه وسلم) المشدّدّة بعدم النزول من الجبل،

معصية كلفت المسلمين الكثير، ولم يدفع الثمن الرماة فقط، وإنما الجيش كله دفع الثمن، سبعين شهيدًا من كرام الصحابة وتحولت دفة الحرب، من الانتصار إلى ما يشبه الهزيمة.

ذلك أن الرماة طاف بهم شيء من حب الدنيا والرغبة في إحراز الغنيمة ؛فتركوا الجبل، في عصيان صريح لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت الفرصة التي اغتنمها فرسان ميمنة قريش بقيادة خالد بن الوليد، والتفوا حول الجيش الإسلامي.. وكانت المأساة .

٥٠٦- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ:

أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ يُجْهِزْنَ عَلَى جَرْحَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ - رَجَوْتُ أَنْ أَبَرَّ: إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا

١- سيرة ابن هشام (٣/٣١-٣٢) وإسناد ابن إسحاق رجاله ثقات . دار الحديث .

٢- جزء من حيث طويل رواه أحمد قال الهيثمي: وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه.

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ}. فَلَمَّا خَالَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصَوْا مَا أُمِرُوا بِهِ أُفْرِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِسْعَةٍ:، سَبْعَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ عَاشِرُهُمْ"[١].

<u>ويروي الإمام أحمد كذلك توصيفًا لتلك الحالة:</u>

٥٠٧- <u>عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ:</u>

مَا نَصَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي مَوْطِنٍ كَمَا نَصَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي يَوْمِ أُحُدٍ: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ}- يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْحَسُّ الْقَتْلُ – {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} وَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الرُّمَاةَ.

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ قَالَ احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا، فَلَمَّا غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَاحُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ، أَكَبَّ الرُّمَاةُ جَمِيعًا فَدَخَلُوا فِي الْعَسْكَرِ يَنْهَبُونَ وَقَدْ الْتَقَتْ صُفُوفُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُمْ كَذَا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ - وَالْتَبَسُوا فَلَمَّا أَخَلَّ الرُّمَاةُ تِلْكَ الْخَلَّةَ الَّتِي كَانُوا فِيهَا دَخَلَتْ الْخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَالْتَبَسُوا وَقُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ نَاسٌ كَثِيرٌ"[٢].

<u>وفي مغازي الواقدي:</u>

٥٠٨- " فَلَمّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وَتَبِعَهُمْ الْمُسْلِمُونَ يَضَعُونَ السّلَاحَ فِيهِمْ حَيْثُ شَاءُوا حَتّى أَجْهَضُوهُمْ عَنْ الْعَسْكَرِ وَوَقَعُوا يَنْتَهِبُونَ الْعَسْكَرَ، قَالَ بَعْضُ الرّمَاةِ لِبَعْضٍ: لِمَ تُقِيمُونَ هَاهُنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟ قَدْ هَزَمَ اللّهُ الْعَدُوّ وَهَؤُلَاءِ إخْوَانُكُمْ يَنْتَهِبُونَ عَسْكَرَهُمْ فَادْخُلُوا عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ فَاغْنَمُوا مَعَ إخْوَانِكُمْ.

١- رواه أحمد (٤١٨٢) وقال الهيثمي في المجمع: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط أقول: عطاء بن السائب من رجال الصحيح (البخاري) فالرواية صحيحة .

٢- رواه أحمد(٢٤٧٨) ترقيم العالمية : قال الهيثمي : فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه . قلت: وثقة العجلي، وقال الترمذي ثقة حافظ، وقال أحمد بن حنبل مضطرب الحديث وقال ابن معين لا يحتج بحديث (موسوعة حرف).

فَقَالَ بَعْضُ الرّمَاةِ لِبَعْضٍ: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَكُمْ احْمُوا ظُهُورَنَا فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا غَنِمْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا ، احْمُوا ظُهُورَنَا ؟ فَقَالَ الْآخَرُونَ: لَمْ يُرِدْ رَسُولُ اللّهِ هَذَا ، وَقَدْ أَذَلّ اللّهُ الْمُشْرِكِينَ وَهَزَمَهُمْ فَادْخُلُوا الْعَسْكَرَ فَانْتَهِبُوا مَعَ إخْوَانِكُمْ.

فَلَمّا اخْتَلَفُوا خَطَبَهُمْ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ جُبَيْرٍ - وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُعْلِمًا بِثِيَابٍ بِيضٍ - فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ أَمَرَ بِطَاعَةِ اللّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَلّا يُخَالَفَ لِرَسُولِ اللّهِ أَمْرٌ. فَعَصَوْا وَانْطَلَقُوا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ الرّمَاةِ مَعَ أَمِيرِهِمْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ جُبَيْرٍ إلّا نُفَيْرٌ مَا يَبْلُغُونَ الْعَشَرَةَ، فِيهِمْ الْحَارِثُ بْنُ أَنَسِ بْنِ رَافِعٍ يَقُولُ يَا قَوْمِ اُذْكُرُوا عَهْدَ نَبِيّكُمْ إلَيْكُمْ وَأَطِيعُوا أَمِيرَكُمْ. قَالَ فَأَبَوْا وَذَهَبُوا إلَى عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ يَنْتَهِبُونَ وَخَلّوْا الْجَبَلَ"[1].

وروى الواقدي عن نسطاس- مولى صفوان بن أمية ـوكان مشركا وقتها ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه قال:

٥٠٩- " فَإِنّا لَعَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ الِاسْتِسْلَامِ إلَى أَنْ نَظَرْت إلَى الْجَبَلِ، فَإِذَا الْخَيْلُ مُقْبِلَةٌ، فَدَخَلُوا الْعَسْكَرَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَرُدّهُمْ، قَدْ ضُيّعَتْ الثّغُورُ الّتِي كَانَ بِهَا الرّمَاةُ، وَجَاءُوا إلَى النّهْبِ، وَالرّمَاةُ يَنْتَهِبُونَ وَأَنَا أَنْظُرُ إلَيْهِمْ مُتَأَبّطِي قِسِيّهِمْ وَجِعَابِهِمْ، كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي يَدَيْهِ أَوْ حِضْنِهِ شَيْءٌ قَدْ أَخَذَهُ.

فَلَمّا دَخَلَتْ خَيْلُنَا دَخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ غَارّينَ آمِنِينَ، فَوَضَعُوا فِيهِمْ السّيُوفَ، فَقَتَلُوا فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا. وَتَفَرّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلّ وَجْهٍ وَتَرَكُوا مَا انْتَهَبُوا وَأَجْلَوْا عَنْ عَسْكَرِنَا، فَرَجَعْنَا مَتَاعَنَا بَعْدُ فَمَا فَقَدْنَا مِنْهُ شَيْئًا، وَخَلّوْا أَسْرَانَا، وَوَجَدْنَا الذّهَبَ فِي الْمَعْرَكِ"[2].

إصابة الكريم(صلى الله عليه وسلم):

قال الحافظ في الفتح: [3]

٥١٠- وَقَالَ اِبْن إِسْحَاق فِي الْمَغَازِي " حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ وَجْهُهُ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ،

١- مغازي الواقدي: (١/ ٢٣٠)

٢- المصدر السابق.

٣ - فتح الباري . باب ليس لك من الأمر شيء.

وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {لَيْسَ لَك مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ} الْآيَةُ ".

وَأَمَّا حَدِيثُ ثَابِتٍ فَوَصَلَهُ مُسْلِمٌ:

مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ:

٥١١- " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَأَدْمَوْا وَجْهَهُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَك مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ} الْآيَةُ.

<u>وَذَكَرَ اِبْن هِشَامٍ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:</u>

٥١٢ - "أَنَّ عُتْبَةَ بْن أَبِي وَقَّاصٍ هُوَ الَّذِي كَسَرَ رُبَاعِيَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّفْلَى وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلَى، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ هُوَ الَّذِي شَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَمِيئَةَ جَرَحَهُ فِي وَجْنَتِهِ فَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ، وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ سِنَانَ مَصَّ الدَّمَ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اِزْدَرَدَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَمَسَّك النَّارُ".

<u>وَرَوَى اِبْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ :</u>

٥١٣- "فَمَا حَرَصْت عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ حِرْصِي عَلَى قَتْلِ أَخِي عُتْبَة بْن أَبِي وَقَّاصٍ لِمَا صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ".

وَفِي الطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ : "رَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَمِيئَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَشَجَّ وَجْهَهُ وَكَسَرَ رُبَاعِيَته فَقَالَ: خُذْهَا وَأَنَا اِبْن قَمِيئَةَ، فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْسَح الدَّمَ عَنْ وَجْهه: مَالَك أَقْمَأَك اللَّهُ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَّعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً".

<u>وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ اِبْن عَبَّاس عَنْ عُمَر قَالَ:</u>

٥١٤- فَلَمَّا كَانَ يَوْم أُحُد قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَفَرُّوا وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُشِّمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : {أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} الْآيَة ، وَالْمُرَادُ بِكَسْرِ الرُبَاعِيَةِ وَهِيَ السِّنُّ الَّتِي بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَالنَّابِ أَنَّهَا كُسِرَتْ فَذَهَبَ مِنْهَا فَلَقَةٌ وَلَمْ تُقْلَعْ مِنْ أَصْلِهَا .ا.هـ الفتح.

طلحة يرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى استوى قائمًا:

عن أبي سعيد الخدري قال:

٥١٥- وَوَقَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي حُفْرَةٍ مِنْ الْحُفَرِ الّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَأَخَذَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ حَتّى اسْتَوَى قَائِمًا ، وَمَصّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ ، أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ الدّمّ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ ازْدَرَدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَنْ مَسّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النّارُ.[1]

وقد بلغ طلحة منزلة الشهداء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٥١٦- مَنْ أَحَبّ أَنْ يَنْظُرَ إلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللّهِ[2].

أُفْرِدَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تسعة:

في حديث ابن مسعود (عند أحمد) السابق ذكره قال:

٥١٧- فَلَمَّا خَالَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصَوْا مَا أُمِرُوا بِهِ أُفْرِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِسْعَةٍ: سَبْعَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ عَاشِرُهُمْ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا.

قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ سَاعَةً حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ أَيْضًا قَالَ يَرْحَمُ اللَّهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَا حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا[3].

تعقيب:

---

[1]- من رواية ابن هشام عن ربيح بن عبن الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن ابيه عن جده .

[2]- سيرة بن هشام . وله شواهد تبلغ به درجة الصحة . تخريج دار الحديث.

[3]- مسند أحمد برقم (٤١٨٢) سبق تخريجه.

هذا يبين مدى الاضطراب والتشتت الذي حدث في الجيش الإسلامي،حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم سوى تسعة رجال، ويبين أيضًا حجم الخطر الذي تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم.

ثُمّ فاءتْ جماعة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،منهم أبو بكر وأبو عبيدة.

٥١٨- وروى البزار عن عائشة قالت: حدثني أبي قال:

"لما انصرف الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ،كنت أول من فاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجعلت أنظر إلى رجل يقاتل بين يديه فقلت: كن طلحة، فلما نظرت فإذا أنا بإنسان خلفي كأنه طائر، فلم أشعر أن أدركني، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح وإذا طلحة بين يديه صريعًا، قال: "دونكم أخوكم فقد أوجب" ، فتركناه وأقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا قد أصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في وجهه سهمان فأردت أن أنزعهما ، فما زال أبو عبيدة يسألني ويطلب إلي حتى تركته ينزع أحد السهمين وأزم عليه بأسنانه فقلعه ، وابتدرت إحدى ثنيتيه ، ثم لم يزل يسألني، ويطلب إلي أن أدعه ينزع الآخر، فوضع ثنيته على السهم وأزم عليه؛ كراهية أن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تحول، فنزعه وابتدرت ثنيته أو إحدى ثنيتيه قال فكان أبو عبيدة أهتم الثنايا"[1].

إشاعة مقتل النبي(صلى الله عليه وسلم):

وكان لها سببان : مقتل مصعب بن عمير، وصرخة الشيطان:

٥١٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى قُتِلَ، وَكَانَ الّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ اللّيْثِيّ وَهُوَ يَظُنّ أَنّهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَرَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ قَتَلْتُ مُحَمّدًا.

فَلَمّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اللّوَاءَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ.

وقال ابن حجر في الفتح:

"صرخ صارخ: قتل محمد. أخراكم"

وروايات أخرى فيها وصرخ الشيطان: قتل محمد أخراكم".

---

[1]- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١١/٣ المكتبة الشاملة، وقال الهيثمي رواه البزار وفيه إسحاق بن يحيى وهو متروك.

اضطراب شديد في صفوف المسلمين:

قال ابن حجر في الفتح .باب غزوة أحد:

٥٢٠- فَعَطَفَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُل بَعْضهمْ بَعْضًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَانْهَزَمَ طَائِفَة مِنْهُمْ إِلَى جِهَة الْمَدِينَة وَتَفَرَّقَ سَائِرهمْ وَوَقَعَ فِيهِمْ الْقَتْل ؛ وَثَبَتَ نَبِيُّ اللَّه حِين اِنْكَشَفُوا عَنْهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ فِي أُخْرَاهُمْ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَهُوَ عِنْدَ الْمِهْرَاسِ فِي الشُّعَب ، وَتَوَجَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْتَمِس أَصْحَابه ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْمُشْرِكُونَ فَرَمُوا وَجْهَهُ فَأَدْمَوْهُ وَكَسَرُوا رُبَاعِيَته ، فَمَرَّ مُصْعِدًا فِي الشُّعَب وَمَعَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْر ، وَقِيلَ : مَعَهُ طَائِفَة مِنْ الْأَنْصَار مِنْهُمْ سَهْل بْن بَيْضَاء وَالْحَارِث بْن الصِّمَّة.

تعقيب ودلالة : ثبات النبي(صلى الله عليه وسلم):

يتضح من الرواية السابقة أن ثبات النبي صلى الله عليه وسلم حدث في موقف:

١- انهزم فيه طائفة من المسلمين إلى جهة المدينة.

٢- وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل.

٣- وانكشفوا عنه.

٤- وهو يدعوهم في أخراهم.

٥- وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه؛ فاستقبله المشركون.

وتفسير ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مؤخرة الجيش ،ثم حدث التفاف جنود خالد حول جيش المسلمين وأصبح جند خالد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بقية الجيش،فكان النبي صلى الله عليه وسلم في موقف آمن يمكن أن ينسحب إلى الجبل، لكنه نادى على أصحابه ليعلموا بوجوده، ثم توجه إليهم يلتمسهم، وهنا تعرض صلى الله عليه وسلم للإصابة، حيث ضربه عبد الله بن شهاب الزهرى وابن قمئة وعتبة بن أبي وقاص، ثم سال منه الدم، ووقع في الحفرة وتأزم الموقف.

مقتل اليمان بسيوف المسلمين:

٥٢١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ هَزِيمَةً بَيِّنَةً، فَصَاحَ إِبْلِيسُ أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ عَلَى أُخْرَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ أُخْرَاهُمْ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ فَنَادَى أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أَبِي

أَبِي، فَقَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ. قَالَ أَبِي فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهَا بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ"[١].

رجال ونساء حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الساعة الحرجة:

ابن السكن:

٥٢٢- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : "وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ غَشِيَهُ الْقَوْمُ مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ ؟ قَالَ فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السّكَنِ فِي نَفَرٍ خَمْسَةٍ مِنْ الْأَنْصَارِ - وَبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ إنّمَا هُوَ عُمَارَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ السّكَنِ - فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَجُلًا ثُمّ رَجُلًا ، يُقْتَلُونَ دُونَهُ.

حَتّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادَ أَوْ عُمَارَةَ فَقَاتَلَ حَتّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، ثُمّ فَاءَتْ فِئَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَأَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ أَدْنُوهُ مِنّي ، فَأَدْنَوْهُ مِنْهُ فَوَسّدَهُ قَدَمَهُ فَمَاتَ وَخَدّهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم"[٢].

نسيبة بنت كعب (أم عمارة):

٥٢٣- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "وَقَاتَلَتْ أُمّ عُمَارَةَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الْمَازِنِيّة يَوْمَ أُحُدٍ . فَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيّ: أَنّ أُمّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ دَخَلْتُ عَلَى أُمّ عُمَارَةَ فَقُلْت لَهَا: يَا خَالَةُ أَخْبِرِينِي خَبَرَك ؛ فَقَالَتْ خَرَجْتُ أَوّلَ النّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النّاسُ وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدّوْلَةُ وَالرّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقُمْت أُبَاشِرُ الْقِتَالَ وَأَذُبّ عَنْهُ بِالسّيْفِ وَأَرْمِي عَنْ الْقَوْسِ، حَتّى خَلَصَتْ الْجِرَاحُ إلَيّ.

قَالَتْ فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ ، فَقُلْت : مَنْ أَصَابَك بِهَذَا ؟ قَالَتْ ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللّهُ، لَمّا وَلّى النّاسُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَقْبَلَ يَقُولُ دُلّونِي عَلَى مُحَمّدٍ ، فَلَا نَجَوْتُ إنْ نَجَا ، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَأُنَاسٌ مِمّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى

---

[١]- رواه البخاري (٣٥٣٩) ترقيم العالمية.

[٢]- سيرة ابن هشام (٣٦/٣)، والبيهقي في الدلائل(٢٣٤/٣) والطبري في تاريخه(٦٥/٢)وابن حجر في الإصابة (١٩/٣) وفي إسناده مقال عن دار الحديث.

اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضّرْبَةَ وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْته عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ وَلَكِنّ عَدُوّ اللّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ"[1].

أبو دجانة وسعد بن أبي وقاص:

٥٢٤- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَتَرّسَ دُونَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ يَقَعُ النّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ حَتّى كَثُرَ فِيهِ النّبْلُ، وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللّهِ . قَالَ سَعْدٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَاوِلُنِي النّبْلَ وَهُوَ يَقُولُ ارْمِ فِدَاك أَبِي وَأُمّي، حَتّى إنّهُ لَيُنَاوِلُنِي السّهْمَ مَا لَهُ نَصْلٌ فَيَقُولُ ارْمِ بِهِ"[2].

كعب بن مالك:

٥٢٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَكَانَ أَوّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلُ النّاسِ قُتِلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - كَمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ -كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ: عَرَفْتُ عَيْنَيْهِ تَزْهَرَانِ مِنْ تَحْتِ الْمِغْفَرِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشِرُوا ، هَذَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَشَارَ إلَيّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَنْصِتْ"[3].

أبو بكر وعمر وعلي و... و...في شعب الجبل:

٥٢٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "فَلَمّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَهَضُوا بِهِ وَنَهَضَ مَعَهُمْ نَحْوَ الشّعْبِ ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، وَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ ، وَالزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ ، رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِمْ وَالْحَارِثُ بْنُ الصّمّةِ وَرَهْطٌ مِنْ الْمُسْلِمِين"[4].

---

[1]- سيرة ابن هشام (٣/٣٦-٣٧)

[2]- المصدر السابق، وهو مخرج في الصحيحين.

[3]- المصدر السابق : ابن هشام.

[4]- المصدر السابق.

عمر بن الخطاب يرد خيل ابن الوليد عن الجبل:

٥٢٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "فَبَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالشّعْبِ مَعَهُ أُولَئِكَ النّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ، إذْ عَلَتْ عَالِيَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ الْجَبَلَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ عَلَى تِلْكَ الْخَيْلِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: اللّهُمّ إنّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا، فَقَاتَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ وَرَهْطٌ مَعَهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتّى أَهْبَطُوهُمْ مِنْ الْجَبَلِ"[١].

أَوْجَبَ طلحة:

٥٢٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَنَهَضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى صَخْرَةٍ مِنْ الْجَبَلِ لِيَعْلُوَهَا ، وَقَدْ كَانَ بَدُنَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ، فَنَهَضَ بِهِ حَتّى اسْتَوَى عَلَيْهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - كَمَا حَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ الزّبَيْرِ – قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمئِذٍ يَقُولُ: "أَوْجَبَ طَلْحَةُ" حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا صَنَعَ"[٢].

الرسول (صلى الله عليه وسلم)يقتل أُبَيّ بن خلف:

هذه الحادثة تنم عن قوة النبي صلى الله عليه وسلم ،رغم جراحه ونزف الدم منه، إنها القوة الروحية قبل القوة الجسمانية.

وهو أيضًا حدث معجزة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوعد أُبَيّ بن خلف بهذه القتلة .

٥٢٩- قَالَ ابن إسحاق: "فَلَمّا أُسْنِدَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الشّعْبِ أَدْرَكَهُ أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْ مُحَمّدُ لَا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتَ. فَقَالَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ اللّهِ أَيَعْطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: دَعُوهُ.

فَلَمّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصّمّةِ - يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ فِيمَا ذُكِرَ لِي: فَلَمّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إذَا انْتَفَضَ بِهَا – (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الشّعْرَاءُ ذُبَابٌ

---

[١] – سيرة ابن هشام (٤١/٣)أخرجه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد قال الهيثمي، وقد وثق على ضعفه، وصححه أحمد شاكر، والحاكم في المستدرك، (٢٩٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي . دار الحديث.

[٢]– ابن هشام (٤١/٣) والترمذي وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وغيرهم – دار الحديث.

لَهُ لَدْغٌ) - ثُمّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا . (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَدَأْدَأَ يَقُولُ: تَقَلّبَ عَنْ فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَتَدَحْرَجُ).

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ - كَمَا حَدّثَنِي صَالِحُ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - يَلْقَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمّدُ إنّ عِنْدِي الْعَوْذَ فَرَسًا أَعْلِفُهُ كُلّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُك عَلَيْهِ. فَيَقُولُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: بَلْ أَنَا أَقْتُلُك إنْ شَاءَ اللّهُ.

فَلَمّا رَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ فَاحْتَقَنَ الدّمُ، قَالَ: قَتَلَنِي وَاَللّهِ مُحَمّدٌ، قَالُوا لَهُ ذَهَبَ وَاَللّهِ فُؤَادُك وَاَللّهِ إنْ بِك مِنْ بَأْسٍ، قَالَ إنّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكّةَ أَنَا أَقْتُلُك ، فَوَاَللّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيّ لَقَتَلَنِي. فَمَاتَ عَدُوّ اللّهِ بِسَرِفٍ[1] وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إلَى مَكّةَ"[2].

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يمارس الرمي بنفسه:

٥٣٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتّى انْدَقّتْ سِيَتُهَا، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النّعْمَانِ ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ وَأُصِيبَتْ يَوْمئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النّعْمَانِ ، حَتّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ .

٥٣١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَدّهَا بِيَدِهِ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدّهُمَا"[3].

طلحة بن عبيد الله ،وسعد بن أبي وقاص...أبطال أفذاذ:

قال ابن كثير في البداية:

٥٣٢- وقال البيهقي في الدلائل: بإسناده عن عمارة بن غزية، عن أبي الزبير، عن جابر قال:

" انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وبقي معه أحد عشر رجلًا من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون فقال: ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال: كما أنت يا طلحة.

١- سرف: موضع على بعد ستة أميال من مكة.

٢- ابن هشام (٣٩/٣) وأورده ابن كثير في البداية (٣٢/٤، ٣٣)من رواية أبي الأسود عن عروة بن الزبير ومن رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب. قلت وهو إسناد صحيح لولا الإرسال.

٣- ابن هشام.

فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله.، فقاتل عنه، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقى معه، ثم قُتِلَ الأنصاري، فلحقوه، فقال: ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل وأصحابه يصعدون، ثم قُتِلَ فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة: أنا يا رسول الله، فيحبسه، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله.

حتى لم يبق معه إلا طلحة، فغشوهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنامله فقال: حس، فقال: لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء"[١].

وفي الصحيحين:

٥٣٣- "عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ عَنْ حَدِيثِهِمَا"[٢].

قال ابن حجر في الفتح:

قَوْله : "(فِي بَعْض تِلْكَ الْأَيَّام) يُرِيد يَوْم أُحُد ، وَقَوْله : (عَنْ حَدِيثهمَا) يَعْنِي أَنَّهُمَا حَدَّثَا بِذَلِكَ ، وَوَقَعَ فِي فَوَائِد أَبِي بَكْر بْن الْمُقْرِئ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ مُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ أَبِيهِ " فَقُلْت لِأَبِي عُثْمَان : وَمَا عِلْمك بِذَلِكَ ؟ قَالَ هُمَا أَخْبَرَانِي بِذَلِكَ"[٣].

وروى البخاري:

٥٣٤- "عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي".

٥٣٥- وعن سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّبِ قال:سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ نَثَلَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي[٤].

١- البداية والنهاية لابن كثير (٥٢/٣) المكتبة الشاملة.

٢- البخاري (٣٤٤٤) ومسلم (٤٤٣٥) ترقيم العالمية .

٣- البخاري(٢٦٩٠) ترقيم العالمية.

٤- البخاري(٣٧٩٤) ترقيم العالمية.

أبو طلحة يرمي دفاعًا عن النبي (صلى الله عليه وسلم):

٥٣٦- "عن أنس: أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدْ، والنبى صلى الله عليه وسلم خلفه يترس به، وكان راميًا، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصه، ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول: هكذا، بأبى أنت وأمي يارسول الله لا يصيبك سهم، نحرى دون نحرك"[1].

وروى البخاري:

٥٣٧- " عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَوِّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ انْشُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ"[2].

أبطال في طائفة منهزمة:

وسط حالة التشتت والذهول التي حدثت للجيش الإسلامي مع إشاعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم ودخول فرسان خالد وسط صفوف الجيش المسلم، رأينا أفذاذ الصحابة كل همهم الإحاطة برسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وهناك طائفة .مثل أنس بن النضر وثابت بن الدحداح ،وغيرهما، هؤلاء قاتلوا من أجل الإسلام، بعد إشاعة مقتل النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن هناك طائفة انهزمت:

٥٣٨- عن السُّدّى قال: " أتى ابن قمئة الحارثى فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فأثقله، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة، وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس: إِلَيّ عباد الله، إِلَيّ عباد الله ".

١- ابن كثير في البداية (٥٣/٣)نقلا عن الإمام أحمد.

٢- البخاري (٣٥٢٧). ترقيم العالمية.

....

"وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِلْ، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولًا إلى عبدالله بن أُبَىّ فيأخذ لنا أمانًا من أبى سفيان، يا قوم إنّ محمد قد قتل فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوكم فيقتلوكم"[١].

لكن الله ثَبّتَ هذه الطائفة، بعد أن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعد الجبل:

قال السُّدّي:

٥٣٩- وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رأوه وضع رَجُلٌ سهمًا في قوسه يرميه فقال: أنا رسول الله.

ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتُلِوُا"[٢].

الثابتون رغم الأهوال:

أنس بن النضر .وريح الجنة:

٥٤٠- عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ:

"قَالَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - سُمِّيتُ بِهِ: لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبُرَ عَلَيَّ، فَقَالَ أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِبْتُ عَنْهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَرَانِي اللَّهُ مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَعْدُ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا.

فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ الْعَامِ الْقَابِلِ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو! أَيْنَ؟ قَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهَا دُونَ أُحُدٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ. فَقَالَتْ عَمَّتِي الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ فَمَا

١- السيرة النبوية لابن كثير (٤٥/٣) المكتبة الشاملة، عن ابن جرير (في التاريخ) .

٢- السيرة النبوية لابن كثير.

عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"[1].

ورواية الترمذي الثانية (٣١٢٥) تبين أن أنس بن النضر هو عم أنس بن مالك:

٥٤١- "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لَلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ كَيْفَ أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَلَقِيَهُ سَعْدٌ فَقَالَ: يَا أَخِي مَا فَعَلْتَ أَنَا مَعَكَ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ. فَوُجِدَ فِيهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. فَكُنَّا نَقُولُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} قَالَ يَزِيدُ يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَاسْمُ عَمِّهِ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ".

وعندَ ابنِ إسحاقَ:

٥٤٢- " انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النّضْرِ ، عَمّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ (قُومُوا) فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ".

دلالة وعظة:

ليس شيءٌ يدفع المرء إلى تقديم نفسه وماله قربى إلى الله عز وجل أكثر من شوقه إلى الجنة، وهذا هو سر الأعمال الفذة التي قام بها الصحابة وصارت مثلًا لكل الأجيال من بعدهم:

ثابت بن الدحداح:

قال المباركفوري:

---

[1]- رواه الترمذي برقم (٣١٢٤) ترقيم العالمية وقال حديث حسن صحيح. وقوله (سُمِّيت به) أي أن أباه سماه (أنس) على أسم عمه (أنس بن النضير).

٥٤٣- ونادي ثابت بن الدحداح قومه فقال: "يا معشر الأنصار: إن كان محمد قد قتل فإن الله حَيّ لا يموت، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فحمل بهم علي كتيبة فرسان خالد، فمازال يقاتلهم حتى قتله خالد بالرمح وقتل أصحابه"[١].

ورجل من الأنصار يقاتل على المبدأ:

قال المباركفوري:

٥٤٤- "ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: يا فلان: أشعرت أن محمدًا قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم"[٢].

شهداء مُبَشَّرُون:

الأُصَيْرِمْ. منْ أهل الجنة، ولم يُصَلِّ قط:

روى الإمام أحمد:

٥٤٥- " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أنه كَانَ يَقُولُ: حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ مَنْ هُوَ؟ فَيَقُولُ أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ.

قَالَ الْحُصَيْنُ فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ قَالَ:

كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ.

قَالَ فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، وَمَا جَاءَ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ هَذَا الْحَدِيثَ، فَسَأَلُوهُ: مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟ أَحَدَبًا عَلَى قَوْمِكَ أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى

١- الرحيق المختوم(٢٣٩). نقلا عن السيرة الحلبية.

٢- الرحيق المختوم ، نقلا عن زاد المعاد لابن القيم.

أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، قَالَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ."[١].

مقاتل رغم العَرَج: عمرو بن الجموح:

٥٤٦- قال ابن إسحاق:" وَحَدّثَنِي أَبِي إسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ أَنّ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَشَاهِدَ، فَلَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ وَقَالُوا: لَهُ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ قَدْ عَذَرَك ، فَأَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ إنّ بَنِيّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالْخُرُوجِ مَعَك فِيهِ، فَوَاَللّهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنّةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَمّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَك اللّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْك ، وَقَالَ لِبَنِيهِ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلّ اللّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشّهَادَةَ. فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ."[٢].

مُخَيْرِيق خير يهود:

٥٤٧- "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَكَانَ مِمّنْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ مُخَيْرِيق، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ الْفِطْيُونِ قَالَ لَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ، قَالَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاَللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّ نَصْرَ مُحَمّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَق، قَالُوا: إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ، قَالَ: لَا سَبْتَ لَكُمْ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ وَعُدّتَهُ، وَقَالَ إنْ أُصِبْتُ فَمَالِي لِمُحَمّدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ. ثُمّ غَدَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَاتَلَ مَعَهُ حَتّى قُتِلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فِيمَا بَلَغَنَا - مُخَيْرِيق خَيْرُ يَهُود."[٣].

وسعد بن الربيع:

١- رواه أحمد في مسنده (٢٢٥٢٦) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات.

٢- إسناده صحيح إن كان الأشياخ من بني سلمة من الصحابة وإلا فهو مرسل، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٩٩/٥) وسنده صحيح . دار الحديث.

٣- هكذا رواه ابن إسحاق بغير إسناد، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٥٠٢/١ فقال أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا يحيى بن سعيد بن دينار عن أبي وجزة يزيد بن عبيد الساعدى قال ..فذكره . دار الحديث

سوف نذكره بعد انتهاء المعركة؛ مراعاةً لترتيب الوقائع، لكن في ثباته وقتاله واستشهاده دليل وبيان على ثبات وبطولة أكثر الصحابة، وعلى صمود المسلمين في موقفهم ،مما جعل قريشًا لا تطمع في تحصيل أكثر مما حصلت.

أبو سفيان يعلن انتهاء المعركة:

في حديث البراء بن عازب عند أحمد قال:

٥٤٨- "فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثًا، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ. ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ. أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا وَقَدْ كُفِيتُمُوهُمْ. فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ.

فَقَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ:

اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تُجِيبُونَهُ؟

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ قُولُوا:

اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ.

قَالَ: إِنَّ الْعُزَّى لَنَا وَلَا عُزَّى لَكُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تُجِيبُونَهُ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ قُولُوا:

اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ."[١]

المَوعد: بدر من العام المقبل:

"قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ نَادَى: إنّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ الْقَابِلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِرَجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ قُلْ: نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ".

١- حديث صحيح سبق تخريجه.

إدارة الحرب حتى النهاية:

الرسـول صلى الله عليـه وسـلم .في موقفـه هـذا، وفي الجراحـات التي أصـابته- مـازال يـدير الحرب ويتحسب لكل موقف، ويحتاط لكل أمر، وتظهر عبقريته الحربية .فأراد أن يتأكد من انتهاء الحرب ،وأن قريشًا لن تعاود الْكَرّة على جيشه فتأخذه على غِرّة:

٥٤٩- قالَ ابنُ إسحاقَ:

" ثُمّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلِيّابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ: أُخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَا يُرِيدُونَ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ فَإِنّهُمْ يُرِيدُونَ مَكّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَإِنّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، وَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنّ إلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمّ لَأُنَاجِزَنّهُمْ.

قَالَ عَلِيّ: فَخَرَجْت فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ فَجَنّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ وَوَجّهُوا إلَى مَكّةَ."[١]

بعد المعركة...تقييم الموقف العسكري:

خُسَارَةُ المسلمين في الأرواح كانت كبيرة، سبعين شهيدًا بخلاف الجرحى، لكن لم تكن هناك هزيمة ولم يكن هناك انهيار عسكرى ،ورأيي هذا يوافق رأي المباركفوري في كتابه القيم(الرحيق المختوم).

- فالمسلمون لم يفروا من ساحة القتال وبقوا مع قيادتهم .والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، في موقف الثابت الصامد في موقع المعركة وساحة القتال.
- والمشركون لم يطاردوا المسلمين إلى المدينة.
- ولم يقع واحد .فقط واحد .من المسلمين في الأسر، في حين أن سبعين من المشركين أُسِروا في بدر.
- والمشركون هم الذين عجلوا بالانسحاب، ولم يجدوا في قتال المسلمين - في خضم اضطراب صفوفهم - ما يَنُمُّ عن ضعف معنوى، أو هزيمة نفسية .أو عدم قدرة على مواصلة القتال.

١- سيرة ابن هشام (٤٩/٣) ، والطبري في التاريخ (٧١/٢)وابن كثير في البداية (١٣٨/٣)، تخريج دار الحديث.

- وكانت عادة الجيوش المنتصرة أن تبقى في موقع المعركة يومًا أو أيام للاحتفال بالنصر، ولكن قريشًا لم تفعل.

إذن فالحكم العام:

أن المشركين كسبوا جولة من جولات معركة أحد - الجولة الثانية- وأن إصابة المسلمين كانت في عدد الشهداء ، ولم تكن إصابة في قوة الإرادة والاستعداد للقتال والتضحية.

وهذا حال جيوش العقيدة والمبادئ.

تفقد الجرحي والشهداء بعد انسحاب قريش:

كان في الجرحى الأصيرم وقزمان.. وشتان شتان !! هذا يقاتل في سبيل الله، وذاك يقاتل عن الحسب والنسب، ذاك من أهل الجنة وهذا من أهل النار (قزمان)، وقد سبق أن ذكرنا خبر الأصيرم.

وهذا خبر قزمان:

٥٥٠- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ قَالَ:

"كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَتَى لَا يُدْرَى مِمّنْ هُوَ يُقَالُ لَهُ قُزْمَانُ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ إذَا ذُكِرَ لَهُ: إنّهُ لَمِنْ أَهْلِ النّارِ، قَالَ فَلَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَاحْتُمِلَ إلَى دَارِ بَنِي ظَفَر.

قَالَ فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: وَاَللّهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُزْمَانُ، فَأَبْشِرْ، قَالَ بِمَاذَا أَبْشِرُ؟ فَوَاَللّهِ إنْ قَاتَلْتُ إلّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ. قَالَ فَلَمّا اشْتَدّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَه"[١].

سعد بن الربيع في الرمق الأخير:

٥٥١- قالَ ابنُ إسحاقَ:

١- رواية مرسلة حدث فيها ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة وكلاهما ثقة لكن مال ابن حجر إلى تضعيف الرواية أو كونها في أحد – (باختصار عن تخريج دار الحديث). أقول : لكن البخاري روى رواية مشابهة في غزوة حنين، ومشابهة في غزوة خيبر ولم يذكر اسم الرجل الذي نحر نفسه، فالمعنى صحيح إجمالًا.

"وَفَرَغَ النّاسُ لِقَتْلَاهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرّبِيعِ ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا أَنْظُرُ لَك يَا رَسُولَ اللّهِ مَا فَعَلَ سَعْدٌ فَنَظَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحًا فِي الْقَتْلَى وَبِهِ رَمَقٌ.

قَالَ فَقُلْت لَهُ: إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ قَالَ أَنَا فِي الْأَمْوَاتِ فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنّي السّلَامَ، وَقُلْ لَهُ إنّ سَعْدَ بْنَ الرّبِيعِ يَقُولُ لَك: جَزَاك اللّهُ عَنّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيّا عَنْ أُمّتِهِ، وَأَبْلِغْ قَوْمَك عَنّي السّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ إنّ سَعْدَ بْنَ الرّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إنّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ إنْ خَلُصَ إلَى نَبِيّكُمْ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ، قَالَ ثُمّ لَمْ أَبْرَحْ حَتّى مَاتَ، قَالَ فَجِئْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرْته خَبَرَهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الزّبَيْرِيّ أَنّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ ، وَبِنْتٌ لِسَعْدِ بْنِ الرّبِيعِ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى صَدْرِهِ يَرْشُفُهَا وَيُقَبّلُهَا ، فَقَالَ لَهُ الرّجُلُ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنّي ، سَعْدِ بْنِ الرّبِيعِ ، كَانَ مِنْ النّقَبَاءِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا ، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ[١]".

دلالات وعظات:

رجل في سكرة الموت لا يهمه من الدنيا أمر أولاده أو ابنته، لكنه يوصي قومه من الأنصار حتى لا يخلص أحد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عين تطرف، إنه الإيمان واليقين، وإنها الجنة يراها في ساعة الحقيقة.

عائشة وأم سُلَيْم مع الجرحى:

روى البخاري[٢]:

٥٥٢- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

"لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ - وَقَالَ غَيْرُهُ تَنْقُلَانِ

١- إسناد ابن إسحاق معضل وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٠١/٣) من طريق آخر صححه الحاكم ووافقة الذهبي – عن تخريج دار الحديث ، سيرة ابن هشام (٤٩/٣).

٢- رواه البخاري برقم (٢٦٦٧) ترقيم العالمية.

الْقِرَبَ - عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآَنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ[1]".

دلالات وعظات:

في هذه الرواية أبلغ رد على من يدعون أن الإسلام أهمل شأن المرأة ،وحصر وضعها في العمل بالمنزل، والروايات مثلها كثير. فلقد رأينا قتال نسيبة بنت كعب دفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وسيأتي ذكر صفية بنت عبد المطلب، وحِمْنَة بنت جحش، وغيرهن ،وهذا فقط في غزوة أحد، وفي ذلك أيضًا رد على من يوجبون على المرأة لبس النقاب والبقاء في المنزل لا تري رجلًا، ولا يراها رجل، فهذا أنس يرى المرأتين ويعرفهما مما يعنى (كشف الوجه) وأن تغطيته ليست بواجب على المرأة، وإذا قيل إن ذلك كان قبل فرض الحجاب، فإن آية {يدنين عليهن من جلابيبهن} لا تعني تغطية الوجه. وأما آية {وإذا سألتموهن متاعًا فسألوهن من وراء حجاب} فهي خاصة فقط بأمهات المؤمنين، فاللهم نسألك الهدى والرشاد.

من جرائم قريش : التمثيل بشهداء المسلمين:

هِنْدُ وَتَمْثِيلُهَا بِحَمْزَةَ:

٥٥٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

"وَوَقَعَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة ، كَمَا حَدّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ ، وَالنّسْوَةُ اللّاتِي مَعَهَا ، يُمَثّلْنَ بِالْقَتْلَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، يَجْدَعْنَ الْآذَانَ وَالْأُنُفَ حَتّى اتّخَذَتْ هِنْدُ مِنْ آذَانِ الرّجَالِ وَآنُفِهِمْ خَدَمًا وَقَلَائِدَ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَائِدَهَا وَقِرَطَتَهَا وَحْشِيّا، غُلَامَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَبَقَرَتْ عَنْ كَبِدِ حَمْزَةَ ، فَلَاكَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسِيغَهَا ، فَلَفَظَتْهَا، ثُمّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِفَةٍ فَصَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا فَقَالَتْ:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرِ ... وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتِ سُعْرِ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلَا أَخِي وَعَمّهِ وَبَكْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيّ غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكْرُ وَحْشِيّ عَلَيّ عُمْرِي ... حَتّى تَرُمّ أَعْظُمِي فِي قَبْرِي"[2] .

---

[1]- خدم سوقهما: أي: خلاخيل سيقان الأقدام ، قال العلماء : إنه نظر الفجأة ، أو النظر من غير قصد.

[2]- سيرة ابن هشام (٣/٤٦) وقد حدث ابن إسحاق عن صالح بن كيسان وهو إمام حافظ ثقة.

ولقد سقط أبو سفيان. الزعيم. هذه السقطة:

٥٥٤- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

"وَقَدْ كَانَ الْحُلَيْسُ بْنُ زَبّانٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيّدُ الْأَحَابَيْشِ ، قَدْ مَرّ بِأَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شَدْقِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بِزُجّ الرّمْحِ وَيَقُولُ: ذُقْ عُقَقُ، فَقَالَ الْحُلَيْسُ: يَا بَنِي كِنَانَةَ هَذَا سَيّدُ قُرَيْشٍ يَصْنَعُ بِابْنِ عَمّهِ مَا تَرَوْنَ لَحْمًا ؟ فَقَالَ: وَيْحَك اُكْتُمْهَا عَنّي، فَإِنّهَا كَانَتْ زَلّةً".

الحمزة شهيدًا والرسول(صلى الله عليه وسلم) حزينًا:

٥٥٥- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَا بَلَغَنِي ، يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ وَمُثّلَ بِهِ فَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ."[١]

٥٥٦- وروى أبو داود عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى حَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا"[٢].

٥٥٧- وزاد ابن إسحاق في روايته عن محمد بن جعفر بن الزبير: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"وَلَئِنْ أَظْهَرنِي اللّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوطنٍ من المواطنِ لَأُمَثِّلَنَّ بثلاثينَ رجلاً منهُمْ، فلمّا رأى المسلمونَ حُزْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمّهِ مَا فَعَلَ قَالُوا: وَاَللّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنْ الدّهْرِ لَنُمَثّلَنّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثّلْهَا أَحَدٌ مِنْ الْعَرَبِ"[٣].

٥٥٨- " قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَمّا وَقَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى حَمْزَةَ قَالَ لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِك أَبَدًا مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطّ أَغْيَظَ إلَيّ مِنْ هَذَا، ثُمّ قَالَ:

"جَاءَنِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السّمَوَاتِ السّبْعِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِب، أَسَدُ اللّهِ وَأَسَدُ رَسُولِه"[٤].

١- سير ابن هشام (٥٠/٣)

٢- رواه أبو داود (٢٧٢٩) ورجاله رجال الصحيح – موسوعة حرف

٣- أخرجه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في المجمع (ضعيف) ومروي من طرق أخرى فيها ضعف. تخريج دار الحديث.

٤- سيرة ابن هشام (٥٠/٣)وذكره ابن حجر في الفتح نقلا عن ابن إسحاق.

٥٥٩- وَرَوَى ابْنُ إسْحَاقَ: عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ:

أَنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلّا بِاللّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ} فَعَفَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَصَبَرَ وَنَهَى عَنْ الْمُثْلَة"[١].

صفية تصبر وتحتسب:

السيدة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، هي عمة النبي صلى الله عليه وسلم صبرت على ما حدث بأخيها، واحتسبت ذلك عند الله.

٥٦٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَقَدْ أَقْبَلَتْ فِيمَا بَلَغَنِي ، صَفِيّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ لِتَنْظُرَ إلَيْهِ وَكَانَ أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَأُمّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِابْنِهَا الزّبَيْرِ بْنِ الْعَوّامِ: الْقَهَا فَأَرْجِعْهَا، لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا؛ فَقَالَ لَهَا : يَا أُمّهُ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَأْمُرُك أَنْ تَرْجِعِي ، قَالَتْ وَلِمَ ؟ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنْ قَدْ مُثّلَ بِأَخِي، وَذَلِك فِي اللّهِ فَمَا أَرْضَانَا بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لَأَحْتَسِبَن وَلَأَصْبِرَن إنْ شَاءَ اللّهُ.

فَلَمّا جَاءَ الزّبَيْرُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ: خَلّ سَبِيلَهَا، فَأَتَتْهُ فَنَظَرَتْ إلَيْهِ فَصَلّتْ عَلَيْهِ وَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ثُمّ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَدُفِنَ"[٢].

دفن الشهداء، وبشارات النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم، ولأهليهم:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن الشهداء حيث صُرِعُوا، وكان يأمر بدفن الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وكان يقدم الأكثر أخذًا للقرآن في اللحد، وقال كلمات مبشرات طيبات في حق الشهداء طَيَّبَتْ القلوب، وأسكنت حزنها ومسحت كثيرًا من آلامها.

١- رواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف لكن سبب نزول الآية في هذه الحادثة صحيح كما قال القرطبي في تفسيره (٢٠٦/١٠) قال: أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة يوم أحد. دار الحديث.

٢- سيرة ابن هشام (٥٢/٣) وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو (ضعيف وقد وثق) وقد روي من طريق أخرى عند أحمد وصححه أحمد شاكر. دار الحديث.

٥٦١- روى النسائي:

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَتْلَى أُحُدٍ: زَمِّلُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَلْمٌ يُكْلَمُ فِي اللَّهِ إِلَّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى: لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ."[1].

وروى أيضًا عن جابر بن عبد الله:

٥٦٢- " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلَى أُحُدٍ أَنْ يُرَدُّوا إِلَى مَصَارِعِهِمْ وَكَانُوا قَدْ نُقِلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ"[2].

٥٦٣- وعَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ:

"شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَفْرُ عَلَيْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ شَدِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احْفِرُوا وَأَعْمِقُوا وَأَحْسِنُوا وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، قَالُوا: فَمَنْ نُقَدِّمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا. قَالَ: فَكَانَ أَبِي ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ"[3].

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله:

٥٦٤- " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسَّلُوا.

وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

"لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَبْكِي وَأَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَوْنِي وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْهَ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَبْكِيهِ أَوْ مَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ."[4].

ومصعب بن عمير...ماذا أخذ من الدنيا؟:

---

[1]- رواه النسائي برقم(١٩٧٥) ترقيم العالمية ، ورواته ثقات . موسوعة حرف.

[2]- رواه النسائي برقم(١٩٧٧) ترقيم العالمية ، ورواته ثقات إلا نبيح العنزي وهو مقبول . موسوعة حرف.

[3]- رواه النسائي برقم (١٩٨٣) ترقيم العالمية ، ورواته ثقات . موسوعة حرف.

[4]- رواه البخاري (٣٧٧١) ترقيم العالمية والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل على شهداء أحد ولا على أي شهيد.

روى البخاري:

٥٦٥- "عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، وَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ.

فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الْإِذْخِرَ، أَوْ قَالَ أَلْقُوا عَلَى رِجْلِهِ مِنْ الْإِذْخِرِ وَمِنَّا مَنْ قَدْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا"[١].

وروى البخاري أيضًا:

٥٦٦- عن ابراهيم أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ أَوْ قَالَ أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ."[٢].

موقف حَمنةَ بنتِ جحشٍ:

٥٦٧- قال ابن إسحاق: "ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ، فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، كَمَا ذُكِرَ لِي ، فَلَمّا لَقِيَتْ النّاسَ نُعِيَ إلَيْهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ثُمّ نُعِيَ لَهَا خَالُهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمّ نُعِيَ لَهَا زَوْجُهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ لِمَا رَأَى مِنْ تَثَبّتِهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالِهَا ، وَصِيَاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا"[٣].

---

[١]– رواه البخاري (٣٧٧٣) ترقيم العالمية ، نمرة: وفي رواية بُرْدَةٌ ، الإذخر: نبات طيب الرائحة، يهدبها: أي يجني هذه الثمار.

[٢]– البخاري (١١٩٦) ترقيم العالمية، وإبراهيم هو ابن عبد الرحمن بن عوف . من كبار التابعين.

[٣]– سيرة ابن هشام (٥٣/٣) ذكره ابن إسحاق بغير إسناد وابن ماجه (١٥٩٠/١) والحاكم في المستدرك(٦٢/٤، ٦١) والبيهقي في السنن وفيه عبد الله بن عمر العامري . قال الحافظ في التقريب : ضعيف . دار الحديث.

وامرأة من بني دينار:[1]

٥٦٨-" ومَرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِأُحُدٍ، فَلَمّا نُعُوا لَهَا قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ قَالُوا : خَيْرًا يَا أُمّ فُلَانٍ هُوَ بِحَمْدِ اللّهِ كَمَا تُحِبّينَ. قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتّى أَنْظُرَ إلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إلَيْهِ حَتّى إذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَك جَلَلٌ، تُرِيدُ صَغِيرَةً"[2].

الدعاء بعد المعركة:

اشتهر كثيرًا دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم قبل القتال، وأثناءه يستغيث بربه سبحانه يستمده العون والنصر، وهنا في أحد، يتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى بالثناء وبالدعاء في كلمات كلها رضًا بالقضاء وتفويض الأمر كله لله تعالى، فهو سبحانه المقدر ،وقد اقتضت حكمته ذلك، وما على العبد إلا الرضا والتسليم.

٥٦٩- روى الإمام أحمد:

عن عَبْد اللَّه الزرقي – أو عُبَيْد بْنِ رِفَاعَةَ الزرقي قَالَ:

"لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي. فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ:

"اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ.

---

[1]- سيرة ابن هشام (٣/٥٥) وهو مرسل وفيه عبد الواحد بن أبي عون قال الحافظ: صدوق يخطئ دار الحديث.

[2]- مسند أحمد (١٤٩٤٥) ترقيم العالمية ،ورواته ثقات . موسوعة حرف.

اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ"[1].

وفي المدينة:

استراحة لا تطول؛ لأن القائد (صلى الله عليه وسلم)يفكر في عو اقب الأمور:

٥٧٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

"فَلَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَهْلِهِ، نَاوَلَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ فَقَالَ: اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بُنَيّةَ، فَوَاَللّهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ، وَنَاوَلَهَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَيْفَهُ فَقَالَ: وَهَذَا أَيْضًا، فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ فَوَاَللّهِ لَقَدْ صَدَقَنِي الْيَوْمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَئِنْ كُنْت صَدَقْتَ الْقِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَك سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ[2].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ يُقَالُ لِسَيْفِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "ذُو الْفَقَارِ".

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: لَا يُصِيبُ الْمُشْرِكُونَ مِنّا مِثْلَهَا حَتّى يَفْتَحَ اللّهُ عَلَيْنَا"[3].

بقية أحد:

غزوة حمراء الأسد

هذه الغزوة هي جزء متمم لغزوة أحد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج في أثر المشركين؛ حتى لا يتوهموا أن بالمسلمين ضعفًا؛ فيكرُّوا على المدينة، فكانت الفكرة والخروج من الرسول صلى الله عليه وسلم:

- يقظة تامة.

---

[1]- رواه الإمام أحمد في مسنده (١٤٩٤٥) ترقيم العالمية ، ورجاله ثقات . موسوعة حرف.

[2]- هو هنا مرسل ، لكنه موصول عند الحاكم (٣/٢٤) بإسناد ضعيف لكن له شاهد صحيح عند الحاكم وعند الطبراني . عن دار الحديث . سيرة ابن هشام (٣/٥٥).

[3]- ابن هشام (٣/٥٦) وابن كثير في التاريخ (٤/٤٧) والواقدي في المغازي (٢/٣١٨) . تخريج دار الحديث.

- وقراءة صحيحة للموقف العسكري.
- واستعمال طرائق الحرب النفسية على عدوه.
- وبث روح البسالة ورفض مشاعر الخزي والاستسلام في جنوده ،وإخراجهم من الحالة النفسية عقب أحد إلى حالة جديدة من الهمة والنشاط والإقدام.

٥٧١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَلَمّا كَانَ الْغَدُ (مِنْ) يَوْمِ الْأَحَدِ لِسِتّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَوّالٍ، أَذّنَ مُؤَذّنُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي النّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوّ، فَأَذّنَ مُؤَذّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنّ مَعَنَا أَحَدٌ إلّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ.

فَكَلّمَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ أَبِي كَانَ خَلّفَنِي عَلَى أَخَوَاتٍ لِي سَبْعٍ وَقَالَ يَا بُنَيّ إنّهُ لَا يَنْبَغِي لِي وَلَا لَك أَنْ نَتْرُكَ هَؤُلَاءِ النّسْوَةَ لَا رَجُلَ فِيهِنّ، وَلَسْت بِالّذِي أُوثِرُكَ بِالْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى نَفْسِي، فَتَخَلّفْ عَلَى أَخَوَاتِك ، فَتَخَلّفْتُ عَلَيْهِنّ. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَخَرَجَ مَعَهُ.

وَإِنّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُرْهِبًا لِلْعَدُوّ وَلِيُبَلّغَهُمْ أَنّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيَظُنّوا بِهِ قُوّةً، وَأَنّ الّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوّهِمْ".

معبد الخزاعي يلتقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

٥٧٢-قَالَ وَقَدْ مَرّ بِهِ - كَمَا حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ - مَعْبَدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيّ ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ ، مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ[1] لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِتِهَامَةَ صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَمَا وَاَللّهِ لَقَدْ عَزّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَك، وَلَوَدِدْنَا أَنّ اللّهَ عَافَاك فِيهِمْ.

ثُمّ خَرَجَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حَتّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرّجْعَةَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابِهِ وَقَالُوا: أَصَبْنَا حَدّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَادَتَهُمْ ثُمّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ لَنَكُرّنّ عَلَى بَقِيّتِهِمْ فَلَنَفْرُغَنّ مِنْهُمْ . فَلَمّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا ، قَالَ مَا وَرَاءَك يَا مَعْبَدُ ؟ قَالَ مُحَمّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطّ ، يَتَحَرّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرّقًا ، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ

---

[1]– فتح الباري باب (الذين استجابوا لله والرسول) وفي الباب حديث البخاري السابق.

تَخَلّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، فِيهِمْ مِنْ الْحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطّ ؛ قَالَ وَيْحك مَا تَقُولُ ؟ قَالَ وَاَللّهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتّى أَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ، قَالَ فَوَاَللّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيّتَهُمْ، قَالَ فَإِنّي أَنْهَاك عَنْ ذَلِكَ"[1].

أبو سفيان يمارس ذات الحرب النفسية:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٥٧٣- "فَثَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَمَرّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ الْمَدِينَةَ ؟ قَالَ وَلِمَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ الْمِيرَةَ قَالَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُبَلّغُونَ عَنّي مُحَمّدًا رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إلَيْهِ وَأُحَمّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيبًا بِعُكَاظِ إذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا نَعَمْ؟ قَالَ فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنّا قَدْ أَجْمَعْنَا السّيْرَ إلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيّتَهُمْ. فَمَرّ الرّكْبُ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ فَأَخْبَرُوهُ بِاَلّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: {حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}."

وعند البخاري رواية أخرى:

٥٧٤-" عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمْ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا قَالَ كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ"[2].

وقال الحافظ في الفتح:

٥٧٥-" وَرَوَى اِبْن عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَنْ عِكْرِمَة عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ:

" لَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُد قَالُوا : لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ ، وَلَا الْكَوَاعِب رَدَفْتُمْ ، بِئْسَمَا صَنَعْتُمْ ، فَرَجَعُوا ، فَنَدَبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس فَانْتُدِبُوا حَتَّى بَلَغَ حَمْرَاء الْأَسَد ،

---

[1]- روى ابن إسحاق جزءًا منها مرسلًا وجزءًا رواية عن عبد الله بن أبي بكر سيرة ابن هشام (٥٧/٣) ، وهي عند الواقدي في المغازي (٣٤٤/١) وابن حبان في السيرة وأخبار الخلفاء (٢٣٠) وعيون الأثر وابن سيد الناس (٥٧/٢) . دار الحديث ، أقول وليس في ذلك تضعيف أو تصحيح لكننا سنذكر في عرضنا بعض ما ذكره البخاري، وابن حجر وغيرهم عن حمراء الأسد.

[2]- البخاري (٣٧٩٦) ترقيم العالمية .

فَبَلَغَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالُوا : نَرْجِع مِنْ قَابِل ، فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى: {الَّذِينَ اِسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} الْآيَة". أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْن مَرْدَوْيهِ وَرِجَاله رِجَال الصَّحِيح ؟

إِلَّا أَنَّ الْمَحْفُوظ إِرْسَاله عَنْ عِكْرِمَة لَيْسَ فِيهِ اِبْن عَبَّاس وَمِنْ الطَّرِيق الْمُرْسَلَة أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي حَاتِم وَغَيْره"[١].

وقد نقل الحافظ رواية ابن إسحاق ببعض الاختلاف ، ثم ذكر تقوية لها من طريق أخرى:

قال الحافظ:

"قَوْله: (بَاب الَّذِينَ اِسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) أَيْ سَبَب نُزُولهَا، وَأَنَّهَا تَتَعَلَّق بِأُحُدٍ.

٥٧٦- قَالَ اِبْن إِسْحَاق : كَانَ أُحُدٌ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ يَوْمَ الْأَحَدِ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّال أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يَخْرُجَ مَعَنَا إِلَّا مَنْ حَضَرَ بِالْأَمْسِ، فَاسْتَأْذَنَهُ جَابِر بْن عَبْد اللَّه فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ فَأَذِنَ لَهُ ، وَإِنَّمَا خَرَجَ مُرْهِبًا لِلْعَدُوِّ وَلِيَظُنُّوا أَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ طَلَبِ عَدُوِّهِمْ.

فَلَمَّا بَلَغَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ لَقِيَهُ سَعِيد بْن أَبِي مَعْبَد الْخُزَاعِيُّ فِيمَا حَدَّثَنِي عَبْد اللَّه بْن أَبِي بَكْر فَعَزَّاهُ بِمُصَابِ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ وَهُمْ بِالرَّوْحَاءِ وَقَدْ تَلَوَّمُوا فِي أَنْفُسِهِم وَقَالُوا : أَصَبْنَا جُلَّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَشْرَافَهُمْ وَانْصَرَفْنَا قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ ، وَهَمُّوا بِالْعَوْدِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَخْبَرَهُمْ مَعْبَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ خَرَجَ فِي طَلَبِكُمْ فِي جَمْعٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ : فَثَنَاهُمْ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِهِمْ فَرَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ . وَعِنْدَ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ مِنْ مُرْسَل عِكْرِمَةَ نَحْوُ هَذَا."

تعقيب: كانت حمراء الأسد آخر جولات أحد، وأحداثها.

ومن تتمة الحديث عن أحد هذه الروايات:

أرواح شهداء أحد:

٥٧٧- روى أبو داود عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ

١– فتح الباري باب (الذين استجابوا لله والرسول) وفي الباب حديث البخاري السابق.

نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[1].

وروى مسلم في صحيحه:

٥٧٨- "عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} قَالَ أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا."[2]

وروى ابن ماجه في سننه:

٥٧٩- "عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ قال: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا جَابِرُ أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لِأَبِيكَ؟ - وَقَالَ يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ فَقَالَ يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ - قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ: قَالَ يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}."[3]

دلالات وعظات:

---

[1]– رواه أبو داود(٢١٥٨) ترقيم العالمية، من طريق ابن إسحاق . وصححه الحاكم والذهبي.

[2]– صحيح مسلم (٣٥٠٠) ترقيم العالمية ، وعبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه.

[3]– ابن ماجه (١٨٦) ترقيم العالمية ، والرواية حسنة، والرواة ثقات غير موسى بن إبراهيم (صدوق يخطئ) عن موسوعة حرف.

١) ثمة جدل حول حقيقة انهزام المسلمين: هل انهزموا، أم لا وقد سبقت الإشارة إلى أنها ليست هزيمة إرادة وانهيار، وإنما هي خسارة جولة عسكرية من جولات القتال في أحد، استشهد فيها سبعون من المسلمين.
لكن الحقيقة الواضحة : أن المسلمين لم ينتصروا ...
السؤال العجيب: هل يمكن أن يكون هناك جيش للمسلمين فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لا ينتصر..
والجواب: نعم لقد حدث ذلك..

<u>والحكم الربانية تتضح من هذا الأمر بحسب اجتهادنا:</u>

١) إن الله عز وجل وضع أسبابًا في الأرض لها قوانين ، من أخذ بهذه الأسباب ترجحت كفتة، ومن تركها لم يحقق النتائج ، والله عز وجل قد يخرق هذه الأسباب ليعلم الناس أن للأسباب مُسَبِّبًا يحركها كيف يشاء، لكن المؤمن لا يعلم متى ولم وكيف تخرق الأسباب؟؟لذا فهو مأمور من الله عز وجل أن يأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله تعالى ويعمل ويجتهد ويدعو ويتذلل لمولاه، ويرجو النتائج.

فإذا ترك المؤمن الأسباب، فالنتيجة المنطقية هي الخسارة، وقد ترك المسلمون . في أحد . جبل الرماة الذي كان يسد ثغرة عسكرية مهمة، فدخل منها جيش قريش، وكان ما كان... هل في ذلك عجب؟..كلا.

٢) والحقيقة الثانية: أن الرماة عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم هي معصية لله تعالى، فكيف تعصى الإله ، ثم ترجو عونه؟ ذاك هو العجيب!

إذن فالمعصية هي باب الخسران وسر الفشل، فالحذر كل الحذر منها ،لذا كان أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وقادة الجيوش الإسلامية يحذرون الجيش من المعصية، ويؤكدون للجند أنها أضر عليهم وأخوف عليهم من عدوهم فما عند الله لا يُنَال بمعصية الله.

<u>وقد أفاض الإمام ابن القيم في بيان الحكم المقصودة من قدر الله في أحد :</u>

<u>قال ابن القيم:</u>

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْحِكَمِ وَالْغَايَاتِ الْمَحْمُودَةِ الّتِي كَانَتْ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ:

وَقَدْ أَشَارَ اللّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إلَى أُمّهَاتِهَا وَأُصُولِهَا فِي سُورَةِ آل عِمْرَانَ حَيْثُ افْتَتَحَ الْقِصّةَ بِقَوْلِهِ { وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ } إلَى تَمَامِ سِتّينَ آيَةً.

فَمِنْهَا: تَعْرِيفُهُمْ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَشَلِ وَالتّنَازُعِ وَأَنّ الّذِي أَصَابَهُمْ إنّمَا هُوَ بِشُؤْمِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ }. فَلَمّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرّسُولِ وَتَنَازُعِهِمْ وَفَشَلِهِمْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدّ حَذَرًا وَيَقَظَةً وَتَحَرّزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخِذْلَانِ .

وَمِنْهَا: أَنّ حِكْمَةَ اللّهِ وَسُنّتَهُ فِي رُسُلِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ جَرَتْ بِأَنْ يُدَالُوا مَرّةً وَيُدَالَ عَلَيْهِمْ أُخْرَى لَكِنْ تَكُونُ لَهُمْ الْعَاقِبَةُ، فَإِنّهُمْ لَوْ انْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلَ مَعَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَغَيْرُهُمْ وَلَمْ يَتَمَيّزْ الصّادِقُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَوْ انْتُصِرَ عَلَيْهِمْ دَائِمًا لَمْ يحصل المقصود من البعثة والرسالة فاقتضت حكمة الله أن جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لِيَتَمَيّزَ مَنْ يَتّبِعُهُمْ وَيُطِيعُهُمْ لِلْحَقّ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِمّنْ يَتّبِعُهُمْ عَلَى الظّهُورِ وَالْغَلَبَةِ خَاصّةً .

وَمِنْهَا: أَنْ يَتَمَيّزَ الْمُؤْمِنُ الصّادِقُ مِنْ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ، فَإِنّ الْمُسْلِمِينَ لَمّا أَظْهَرَهُمْ اللّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَطَارَ لَهُمْ الصّيتُ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا مَنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ بَاطِنًا، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللّهِ عَزّ وَجَلّ أَنْ سَبّبَ لِعِبَادِهِ مِحْنَةً مَيّزَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ، فَأَطْلَعَ الْمُنَافِقُونَ رُءُوسَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَتَكَلّمُوا بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَظَهَرَتْ مُخَبّآتُهُمْ وَعَادَ تَلْوِيحُهُمْ تَصْرِيحًا، وَانْقَسَمَ النّاسُ إلَى كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٍ انْقِسَامًا ظَاهِرًا، وَعَرَفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنّ لَهُمْ عَدُوّا فِي نَفْسِ دُورِهِمْ وَهُمْ مَعَهُمْ لَا يُفَارِقُونَهُمْ، فَاسْتَعَدّوا لَهُمْ وَتَحَرّزُوا مِنْهُمْ . قَالَ اللّهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنّ اللّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ }.

وَمِنْهَا: اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيّةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ فِي السّرّاءِ وَالضّرّاءِ، وَفِيمَا يُحِبّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ وَفِي حَالِ ظَفَرِهِمْ وَظَفَرِ أَعْدَائِهِمْ بِهِمْ، فَإِذَا ثَبَتُوا عَلَى الطّاعَةِ وَالْعُبُودِيّةِ فِيمَا يُحِبّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ فَهُمْ عَبِيدُهُ حَقّا، وَلَيْسُوا كَمَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ السّرّاءِ وَالنّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ .

وَمِنْهَا: أَنّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ نَصَرَهُمْ دَائِمًا وَأَظْفَرَهُمْ بِعَدُوّهِمْ فِي كُلّ مَوْطِنٍ وَجَعَلَ لَهُمْ التّمْكِينَ وَالْقَهْرَ لِأَعْدَائِهِمْ أَبَدًا لَطَغَتْ نُفُوسُهُمْ وَشَمَخَتْ وَارْتَفَعَتْ فَلَوْ بَسَطَ لَهُمْ النّصْرَ وَالظّفَرَ لَكَانُوا فِي الْحَالِ الّتِي يَكُونُونَ فِيهَا لَوْ بَسَطَ لَهُمْ الرّزْقَ، فَلَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ إلّا السّرّاءُ وَالضّرّاءُ وَالشّدّةُ وَالرّخَاءُ وَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ فَهُوَ الْمُدَبّرُ لِأَمْرِ عِبَادِهِ كَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ إنّهُ بِهِمْ خَبِيرٌ بَصِيرٌ.

وَمِنْهَا: أَنّهُ إذَا امْتَحَنَهُمْ بِالْغَلَبَةِ وَالْكَسْرَةِ وَالْهَزِيمَةِ ذَلّوا وَانْكَسَرُوا وَخَضَعُوا، فَاسْتَوْجَبُوا مِنْهُ الْعِزّ وَالنّصْرَ فَإِنّ خُلْعَةَ النّصْرِ إنّمَا تَكُونُ مَعَ وِلَايَةِ الذّلّ وَالِانْكِسَارِ قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلّةٌ }. وَقَالَ: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا}. فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - إذَا أَرَادَ أَنْ يُعِزّ عَبْدَهُ وَيَجْبُرَهُ وَيَنْصُرَهُ كَسَرَهُ أَوّلًا وَيَكُونُ جَبْرُهُ لَهُ وَنَصْرُهُ عَلَى مِقْدَارِ ذُلّهِ وَانْكِسَارِهِ.

وَمِنْهَا: أَنّهُ سُبْحَانَهُ هَيّأَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَنَازِلَ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لَمْ تَبْلُغْهَا أَعْمَالُهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا بَالِغِيهَا إلّا بِالْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ، فَقَيّضَ لَهُمْ الْأَسْبَابَ الّتِي تُوصِلُهُمْ إلَيْهَا مِنْ ابْتِلَائِهِ وَامْتِحَانِهِ كَمَا وَفّقَهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصّالِحَةِ الّتِي هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ وُصُولِهِمْ إلَيْهَا.

وَمِنْهَا: أَنّ النّفُوسَ تَكْتَسِبُ مِنْ الْعَافِيَةِ الدّائِمَةِ وَالنّصْرِ وَالْغِنَى طُغْيَانًا وَرُكُونًا إلَى الْعَاجِلَةِ، وَذَلِكَ مَرَضٌ يَعُوقُهَا عَنْ جِدّهَا فِي سَيْرِهَا إلَى اللّهِ وَالدّارِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا أَرَادَ بِهَا رَبّهَا وَمَالِكُهَا وَرَاحِمُهَا كَرَامَتَهُ قَيّضَ لَهَا مِنْ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ مَا يَكُونُ دَوَاءً لِذَلِكَ الْمَرَضِ.

وَمِنْهَا: أَنّ الشّهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ أَوْلِيَائِهِ، وَالشّهَدَاءُ هُمْ خَوَاصّهُ وَالْمُقَرّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَلَيْسَ بَعْدَ دَرَجَةِ الصّدّيقِيّةِ إلّا الشّهَادَةُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبّ أَنْ يَتّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ شُهَدَاءَ تُرَاقُ دِمَاؤُهُمْ فِي مَحَبّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ وَيُؤْثِرُونَ رِضَاهُ وَمَحَبّتَهُ عَلَى نُفُوسِهِمْ وَلَا سَبِيلَ إلَى نَيْلِ هَذِهِ الدّرَجَةِ إلّا بِتَقْدِيرِ الْأَسْبَابِ الْمُفْضِيَةِ إلَيْهَا مِنْ تَسْلِيطِ الْعَدُوّ.

وَمِنْهَا: أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ إذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْحَقَهُمْ قَيّضَ لَهُمْ الْأَسْبَابَ الّتِي يَسْتَوْجِبُونَ بِهَا هَلَاكَهُمْ وَمَحْقَهُمْ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا بَعْدَ كُفْرِهِمْ بَغْيُهُمْ وَطُغْيَانُهُمْ وَمُبَالَغَتُهُمْ فِي أَذَى أَوْلِيَائِهِ وَمُحَارَبَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ وَالتّسَلّطِ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ مُقَدّمَةً وَإِرْهَاصًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَثَبّتَهُمْ وَوَبّخَهُمْ عَلَى انْقِلَابِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ إنْ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَوْ قُتِلَ، بَلْ الْوَاجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا عَلَى دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَيَمُوتُوا عَلَيْهِ أَوْ يُقْتَلُوا فَإِنّهُمْ إنّمَا يَعْبُدُونَ رَبّ

مُحَمّدٍ وَهُوَ حَيّ لَا يَمُوتُ، فَلَوْ مَاتَ مُحَمّدٌ أَوْ قُتِلَ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ"[1].ا.هـ. كلام ابن القيم. ونستكمل الدلالات والعظات.

دروس أخرى من أحد:

١- أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: تربوا في مدرسة النبوة، منهم من طالت صحبته، ومنهم الأصيرم دخل الجنة ولم يُصَلِّ صلاة واحدة، كفاه صدق إيمانه. لكن أعمال الصحابة تظل نبراسًا وأسوة للمؤمنين على مر العصور والمتأمل فيها يجد الروعة، والتميز، والإبداع، والشجاعة والإقدام، والتضحية، ثم إن هذا يشمل ميدان الجهاد، وميدان العبادة، وميادين الحياة في كل نواحيها، وقد عكف كتاب السير والتاريخ على سير الصحابة .بعد سيرة المربي الأول، والنبي الأكمل صلى الله عليه وسلم؛ ليستخرجوا منها أحداثاً ومواقف وقصصًا. هذا الزاد الحقيقي والنموذج البشري للإبداع يتزود منه المؤمن بعد زاد القرآن والسنة، ليحاول الترقي في المضمار الذي سبق إليه الصحابة رضوان الله عليهم.

٢- تدرس الأمة أسباب النصر؛ لتأخذ بها، وتدرس أيضًا.بنفس القدر من الاهتمام- أسباب الهزائم والنكسات لتتجنبها، وتقال من عثرتها،وأمتنا اليوم تعاني أشد المعاناة من الهزائم والنكسات والتأخر بل والتخلف في أكثر المجالات، فعليها أن تدرس الأسباب والمقدمات ؛حتى تنتفض نحو الإقالة من العثرات، وجماع ذلك مراجعة كل مخالفة لمنهج الله وشريعته على مستوى الأفراد والجماعات والدول والحكومات وهو باب يحتاج إلى كتب ومجلدات .

٣) نزل في غزوة أحد من القرآن قوله تعالى: {منكم مَنْ يُرِيدُ الدنيا ومنكم مَنْ يُرِيدُ الآخرة}.. بعض الرماة الذين على الجبل تاقت نفوسهم إلى الدنيا فنزلوا ليشتركوا في الغنائم، وأنستهم الدنيا أوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم) المُشَدّدّة .. سبحان الله!! إلى هذه الدرجة يصل حب الدنيا في النفوس الطاهرة النقية التي تربت في مدرسة النبوة ، فكيف بغيرهم من البشر، ولذا كان التحذير القرآني الدائم من خطر الدنيا وزخرفها {وما الحياة الدنيا إلا مَتَاعُ الغُرُور}. {مَنْ كان يُرِيدُ الحياةَ الدُّنْيَا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار}.

---

[1]- زاد المعاد(٣/١٩٦) المكتبة الشاملة. بشيء من الاختصار.

التحذير من الدنيا وإغوائها للمسلم يجب أن يشغل حيزًا مهمًا من عمل الدعاة والمربين، ومن تربية الفرد لنفسه، لا أحد منا بعيد عن هذا الخطر.. اللهم رحمتك.

الهزيمة بعد النصر: المتأمل في التاريخ والحياة يجد هذه السُّنَّة البشرية: المنتصر يفرح بالنصر، ثم يثق بنفسه حتى درجة الغرور ،ثم يستهين بعدوه، ثم يتراخى في الاستعداد والحيطة ، في الوقت الذي يكون خصمه على النقيض، يراجع نفسه ويصحح أخطاءه ويجتهد في الاستعداد.

حتى يلتقيا ،فتتحول الدَّفَّةُ ، وتكون الهزيمة بعد النصر، والنصر بعد الهزيمة، فالحذر الحذر؛ لأن مصائر الأمم والشعوب لا تحتمل هذا الترف.

٤) الثبات وسط المحنة:

شيء في منتهى الأهمية ،فإن واحدًا فقط يثبت أثناء المحنة أو اضطراب الصف يمكن أن تلتف حوله القلوب وأعين الرجال ويلتف حوله الصامدون المخلصون؛ فيكون ذلك طريقًا للنجاة والثبات وسط المحنة حتى تنقشع الغُمَّة.

ثبت النبي صلى الله عليه وسلم، وعدد معه في أحد، وحدث مثله في حُنَين، وثبت أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وعند حدوث فتنة الرِّدَّة، وثبت خالد بن الوليد ومعه حَمَلَةُ القرآن في حرب اليمامة مع مسيلمة الكذَّاب، وثبت الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن، وثبت الإمام ابن تيمية في سجنه، وثبت رجال وقواد على مدار التاريخ، وثبت الإخوان المسلمون: حسن الهضيبي، وسيد قطب ، وآلاف منهم تحت عنف محنة السجون والتعذيب حتى الشهادة.

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}.

٥) أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية :

ذاك عنوان بحث ،أعلنت عنه رابطة العالم الإسلامي وكان لي شرف تقديم دراسة بهذا العنوان، وسوف نجتهد حتى ينشر بإذن الله تعالى.

نذكره في هذا الموقف؛ بسبب ما حدث من قريش من تمثيل بشهداء المسلمين، بَقْرُ بطن الحمزة وتقطيع الآذان والأنوف، ثم ما ورد من عزم المسلمين على الثأر بالتمثيل بجثث المشركين عند الظفر بهم بعد ذلك.

لكن المبادئ الإسلامية.. مبادئ تسمو فوق بشرية البشر والرقابة العُلْوِيَّة دائمة ،لتصحح وتراجع أعمال الجماعة المسلمة، ويكفي أن يتنزل قوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}.

فيكون منهج الإسلام هو: النهي عن المُثلة، والصبر الجميل؛ لأن حملة مشاعل النور عليهم أن يتحملوا كثيرًا؛ حتى تظل المشاعل نبراسًا للعالمين.

الفصل الرابع:

إدارة الصراع بعد أُحُد:

في علوم عصرنا هناك إدارة الصراع، وإدارة الأزمة، وقد فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)في أحد وبعدها..

أما بعد أُحُد، فإنَّ ما أصاب جيش المسلمين من إصابات وقتلى، لاشك أنه يغري الأعداء المتربصين باستغلال هذه الفرصة للانقضاض على المسلمين في حالة الضعف التي يتصورونها..

لكن قيادة المدينة .مُمَثَّلة في الكريم الحكيم (صلى الله عليه وسلم):

- كانت في منتهى اليقظة تتعرف على أخبار الأعداء قبل أن يجمعوا جموعهم.
- وكانت في غاية القوة الإيمانية والشجاعة البشرية، لا تهزها الخطوب ولا تفُلُّ من عزمها المحن والآلام.

أما الأعداء فكانوا أصنافًا شتى:

- قريش تتولى زعامة الحرب والمعاندة للدين الجديد.
- واليهود داخل المدينة مُتَرَبِّصُون.
- والمنافقون يتخاذلون ويُخذِّلون.
- وأهل القبائل حول المدينة يتجمعون.
- والأعراب الضاربون في فيافي نجد.. وهم القساة الغلاظ الذين درجوا على الإغارة والسلب والنهب .غادرون يحتاجون إلى التأديب.

كيف أدار النبي(صلى الله عليه وسلم) الصراع في هذه الفترة الحرجة:

١) غزوة حمراء الأسد .في ٨ شوال سنة ٣ هـ .في اليوم التالي لغزوة أحد، وكان هدفها إرهاب قريش .أو مطاردتها .لثنائها عن التفكير في غَزْو المدينة.

٢) سريَّة أبي سلمة إلى قبائل بني أسد بن خزيمة، أوائل المحرم سنة ٤هـ .بعد أُحُدْ بأقل من ٣ شهور.

٣) سرية عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان الهزلي .٥ محرم سنة ٤ هـ.

٤) بعث الرجيع .للدعوة، لا للحرب في صفر سنة ٤ هـ.
٥) بعث بئر معونة .في صفر أيضًا سنة ٤ هـ وغدرت بهم قبائل من بني سليم (عصية ورعل وذكوان) .
٦) غزوة بني النضير .في ربيع الأول سنة ٤هـ وانتهت بإجلاء بني النضير من المدينة، بسبب تآمرهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم.
٧) غزوة نَجْد في ربيع الثاني سنة ٤ هـ .إلى بني مُحَارِب وثعلبة من غطفان الذين تجمعوا لغزو المدينة.
٨) غزوة بَدْر الثانية في شعبان ٤ هـ لميعاد أبي سفيان خرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم ،لكن أبا سفيان تخاذل.
٩) غزوة دومة الجندل، في ربيع الأول من السنة الخامسة إلى أقصى حدود جزيرة العرب على مشارف الشام.

فهذه تسع معارك ما بين سرايا صغيرة وغزوات كبيرة في فترة زمنية قصيرة نسبيًا (سنة واحدة وخمسة أشهر) لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المُبَادِئ فيها بالعدوان، بل كانت بسبب تجمع الأعداء من هنا وهناك ؛لحربه(صلى الله عليه وسلم)، بل كانت من الأعداء أعمال غدر شنيعة مثل: الرجيع وبئر معونة، وغدر يهود بني النضير.

<u>وكانت النتيجة:</u>

استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يُؤَمِّنْ المدينة ،وأن يبسط الأمن والأمان في ربوع الجزيرة ، وأن يقمع كل من حدثته نفسه المريضة باستضعاف المسلمين.

<u>وهذه تفاصيل المعارك:</u>

<u>سرية أبي سلمة:</u>

قال ابن القيم:

٥٨٠- " وَكَانَتْ وَقْعَةُ أُحُدٍ يَوْمَ السّبْتِ فِي سَابِعِ شَوّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ كَمَا تَقَدّمَ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ بِهَا بَقِيّةَ شَوّالٍ وَذَا الْقِعْدَةِ وَذَا الْحِجّةِ وَالْمُحَرّمُ.

فَلَمّا اسْتَهَلّ هِلَالُ الْمُحَرّمِ بَلَغَهُ أَنّ طَلْحَةَ وَسَلَمَةَ ابْنَيْ خُوَيْلِدٍ قَدْ سَارَا فِي قَوْمِهِمَا وَمَنْ أَطَاعَهُمَا يَدْعُوَانِ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ إلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَبَعَثَ أَبَا سَلَمَةَ وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً وَبَعَثَ مَعَهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فَأَصَابُوا إبِلًا وَشَاءً وَلَمْ يَلْقَوْا كَيْدًا فَانْحَدَرَ أَبُو سَلَمَةَ بِذَلِكَ كُلّهِ إلَى الْمَدِينَةِ."[1].

سبب سرية أبي سلمة:

ننقل هذا المقطع من رواية الواقدي لندلل به على أن خصوم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا هم البادئين بالعدوان.

قال الواقدي (في روايته):

٥٨٢- "وَالّذِي هَاجَهُ أَنّ رَجُلًا مِنْ طَيّئ قَدِمَ الْمَدِينَةَ يُرِيدُ امْرَأَةً ذَاتَ رَحِمٍ بِهِ مِنْ طَيّئ مُتَزَوّجَةً رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَنَزَلَ عَلَى صِهْرِهِ الّذِي هُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَخْبَرَهُ أَنّ طُلَيْحَةَ وَسَلَمَةَ ابْنَيْ خُوَيْلِدٍ تَرَكَهُمَا قَدْ سَارَا فِي قَوْمِهِمَا وَمَنْ أَطَاعَهُمَا بِدَعْوَتِهِمَا إلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا لِلْمَدِينَةِ وَقَالُوا:

نَسِيرُ إلَى مُحَمّدٍ فِي عُقْرِ دَارِهِ وَنُصِيبُ مِنْ أَطْرَافِهِ فَإِنّ لَهُمْ سَرْحًا يَرْعَى جَوَانِبَ الْمَدِينَةِ ؛ وَنَخْرُجُ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ فَقَدْ أَرْبَعْنَا خَيْلَنَا وَنَخْرُجُ عَلَى النّجَائِبِ الْمَخْبُورَةِ، فَإِنْ أَصَبْنَا نَهْبًا لَمْ نُدْرَك، وَإِنْ لَاقَيْنَا جَمْعَهُمْ كُنّا قَدْ أَخَذْنَا لِلْحَرْبِ عُدّتَهَا، مَعَنَا خَيْلٌ وَلَا خَيْلَ مَعَهُمْ وَمَعَنَا نَجَائِبُ أَمْثَالُ الْخَيْلِ، وَالْقَوْمُ مَنْكُوبُونَ قَدْ أَوْقَعَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ حَدِيثًا فَهُمْ لَا يَسْتَبِلّونَ دَهْرًا وَلَا يَثُوبُ لَهُمْ جَمْعٌ.

فَقَامَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ فَقَالَ يَا قَوْمِ وَاَللّهِ مَا هَذَا بِرَأْيٍ: مَا لَنَا قِبَلَهُمْ وِتْرٌ وَمَا هُمْ نُهْبَةٌ لِمُنْتَهِبٍ إنّ دَارَنَا لَبَعِيدَةٌ مِنْ يَثْرِبَ وَمَا لَنَا جَمْعٌ كَجَمْعِ قُرَيْشٍ. مَكَثَتْ قُرَيْشٌ دَهْرًا تَسِيرُ فِي الْعَرَبِ تَسْتَنْصِرُهَا وَلَهُمْ وِتْرٌ يَطْلُبُونَهُ، ثُمّ سَارُوا وَقَدْ امْتَطُوا الْإِبِلَ وَقَادُوا الْخَيْلَ وَحَمَلُوا السّلَاحَ مَعَ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ - ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ سِوَى أَتْبَاعِهِمْ - وَإِنّمَا جَهْدُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ إنْ كَمُلُوا، فَتُغَرّرُونَ بِأَنْفُسِكُمْ وَتَخْرُجُونَ مِنْ بَلَدِكُمْ وَلَا آمَنُ أَنْ تَكُونَ الدّائِرَةُ عَلَيْكُمْ.

---

[1]- زاد المعاد (٢١٩/٣) المكتبة الشاملة.

فَكَادَ ذَلِكَ أَنْ يُشَكِّكَهُمْ فِي الْمَسِيرِ وَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ بَعْدُ.

فَخَرَجَ بِهِ الرّجُلُ الّذِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ مَا أَخْبَرَ الرّجُلُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبَا سَلَمَةَ فَخَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ وَخَرَجَ مَعَهُ الطّائِيّ دَلِيلًا"[1].

<u>استشهاد أبي سلمة:</u>

<u>عند الواقدي رواية:</u>

٥٨٣- " كَانَ الّذِي جَرَحَ أَبَا سَلَمَةَ أَبُو أُسَامَةَ الْجُشَمِيّ ، رَمَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ بِمَعْبَلَةٍ فِي عَضُدِهِ فَمَكَثَ شَهْرًا يُدَاوِيهِ فَبَرَأَ فِيمَا نَرَى، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمُحَرّمِ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا إلَى قَطَنٍ وَغَابَ بِضْعَ عَشْرَةٍ .

فَلَمّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ انْتَقَضَ الْجُرْحُ فَمَاتَ لِثَلَاثٍ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ فَغَسَلَ مِنْ الْيَسِيرَةِ - بِئْرِ بَنِي أُمَيّةَ - بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ، وَكَانَ اسْمُهَا فِي الْجَاهِلِيّةِ الْعَبِيرُ فَسَمّاهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْيَسِيرَةَ، ثُمّ حُمِلَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ فَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ .

قَالَ الْوَاقِدِيّ: وَأَصْحَابُنَا يَقُولُونَ أَبُو سَلَمَةَ مِنْ شُهَدَاءِ أُحُدٍ لِلْجُرْحِ الّذِي جُرِحَ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمّ انْتَقَضَ بِهِ" [2].

<u>زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم)بأم سلمة، بعد استشهاد أبي سلمة:</u>

روى الإمام أحمد بسنده:

٥٨٤- " <u>عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:</u>

" قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي، وَأْجُرْنِي فِيهَا وَأَبْدِلْنِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا)، فَلَمَّا احْتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي بِخَيْرٍ.

فَلَمَّا قُبِضَ قُلْتُ: ({إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا) قَالَتْ وَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: (وَأَبْدِلْنِي خَيْرًا مِنْهَا)، فَقُلْتُ: وَمَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ فَمَا زِلْتُ حَتَّى قُلْتُهَا.

---

[1] . مغازي الواقدي ، المكتبة الشاملة.

[2]– المصدر السابق .

فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا عُمَرُ فَرَدَّتْهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِرَسُولِهِ، أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى وَأَنِّي مُصْبِيَةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا".

فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي مُصْبِيَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَكْفِيكِ صِبْيَانَكِ، وَأَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي غَيْرَى فَسَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ غَيْرَتَكِ، وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ إِلَّا سَيَرْضَانِي، قُلْتُ: يَا عُمَرُ، قُمْ فَزَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنِّي لَا أَنْقُصُكِ شَيْئًا مِمَّا أَعْطَيْتُ أُخْتَكِ فُلَانَةَ، رَحَيَيْنِ وَجَرَّتَيْنِ وَوِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ.

قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِيهَا، فَإِذَا جَاءَ أَخَذَتْ زَيْنَبَ فَوَضَعَتْهَا فِي حِجْرِهَا لِتُرْضِعَهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيِيًّا كَرِيمًا يَسْتَحْيِي، فَرَجَعَ فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا، فَفَطِنَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِمَا تَصْنَعُ، فَأَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجَاءَ عَمَّارٌ، وَكَانَ أَخَاهَا لِأُمِّهَا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَانْتَشَطَهَا مِنْ حِجْرِهَا، وَقَالَ: دَعِي هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ الَّتِي آذَيْتِ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي الْبَيْتِ وَيَقُولُ: أَيْنَ زَنَابُ؟ مَا فَعَلَتْ زَنَابُ؟ قَالَتْ: جَاءَ عَمَّارٌ فَذَهَبَ بِهَا، قَالَ: فَبَنَى بِأَهْلِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنْ شِئْتِ أَنْ أُسَبِّعَ لَكِ سَبَّعْتُ لِلنِّسَاءِ[1].

<u>دلالات :</u>

في حديث زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة كثير من العظات، لكنني سأكتفي بالإشارة إلى السبب الذي من أجله تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة، ذلكم هو تكريم الرسول صلي الله عليه وسلم لأم سلمة ولأبي سلمة، وهما أهل بيت من السابقين للإسلام وتحملا في الهجرة، إذ فَرَّقَ قومهما بين الرجل وزوجه وولده لمدة عام كامل.

فتكريم النبي صلى الله عليه وسلم لهما هو في حفظ أسرة وبيت أبي سلمة بعد استشهاده ، ألَّا يتركوا للضياع، امرأة وصبية صغار، وقد كان ذلك سُنَّة في زمن الرسالة، يخرج المجاهد

---

[1]– مسند أحمد(٢٥٤٤٨) ترقيم العالمية ، فيه ابن عمر بن أبي سلمة مقبول وبقية رواته ثقات، ورواه النسائي مختصرا، موسوعة حرف.

في سبيل الله وهو يعلم أن أسرته وأولاده لن يُترَكوا بغير عائل إذا لقي ربَّه شهيدًا، وكثير من الصحابة تزوج الأرملة بعد وفاة زوجها وانقضاء عدتها، لكن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة، في هذه الحالة يدُلُّ على قيمة أبي سلمة ،ومكانة أم سلمة رضي الله عنهما.

٢- سرية عبد الله بن أنيس:

قال ابن القيم:

٥٨٥- " فَلَمّا كَانَ خَامِسُ الْمُحَرّمِ بَلَغَهُ أَنّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيّ قَدْ جَمَعَ لَهُ الْجُمُوعَ، فَبَعَثَ إلَيْهِ عَبْدَ اللّهِ بْنَ أُنَيْسٍ فَقَتَلَهُ. قَالَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفٍ : وَجَاءَهُ بِرَأْسِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَأَعْطَاهُ عَصًا فَقَالَ: هَذِهِ آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى أَنْ تُجْعَلَ مَعَهُ فِي أَكْفَانِهِ.

وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقَدِمَ يَوْمَ السّبْتِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ الْمُحَرّمِ."[1].

[1]- زاد المعاد(٢١٩/٣) المكتبة الشاملة . قد أورد ابن القيم هاتين الروايتين للسريتين ونقلهما عنه المباركفوري في (الرحيق) لكن ابن إسحاق لم يذكرهما.. ووجدت سرية أبي سلمة عند الواقدي فيها تفصيلات كثيرة رغم أن الواقدي متروك ،لكن الأئمة ينقلون رواياته للاستئناس ، وللشواهد والمتابعات ، لكن لا تؤخذ منها أحكام.

مأساة الرجيع:

(صفر سنة ٤ هـ)

هذه رواية البخاري في هذه السرية:

٥٨٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ[١] وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ. فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ.

فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ،[٢] وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ.

فَقَالُوا لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ. وَبَقِيَ خُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ.

وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ.

فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هو الذي قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا.

حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسًى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ. قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمُوسَى، فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

١- عن ابن إسحاق وابن الأثير: أن الأمير مرثد بن أبي مرثد الغنوي، قال ابن حجر في الفتح، وما في الصحيح أصح أي هو عاصم.

٢- فدفد: هي الرابية المرتفعة.

وَكَانَتْ تَقُولُ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ.

فَخَرَجُوا بِهِ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنْ الْمَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ.

وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنْ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ".[1]

<u>أما رواية ابن إسحاق فنقتطف منها قطوفًا:</u>

<u>في سبب خروج السرية:</u>

٥٨٧- "قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارّةِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ فِينَا إسْلَامًا ، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِك يُفَقّهُونَنَا فِي الدّينِ وَيُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ وَيُعَلّمُونَنَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَفَرًا سِتّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُمْ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ اللّيْثِيّ ،وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ ، وَزَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ ؛ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ طَارِقٍ"

<u>وفي أحداث السرية ننقل هذه القطوف:</u>

" وَأَمّرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْقَوْمِ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيّ ، فَخَرَجَ مَعَ القومِ حَتّى إذَا كَانُوا عَلَى الرّجِيعِ ، مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ ، عَلَى صُدُورِ الْهَدْأَةِ غَدَرُوا بِهِمْ فَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا ، فَلَمْ يَرُعْ الْقَوْمَ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إلّا الرّجَالُ بِأَيْدِيهِمْ السّيُوفُ قَدْ غَشُوهُمْ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوهُمْ فَقَالُوا لَهُمْ إنّا وَاَللّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ ، وَلَكِنّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا مِنْ أَهْلِ مَكّةَ وَلَكُمْ عَهْدُ اللّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ.

---

[1]- رواه البخاري (٣٧٧٧) ترقيم العالمية.

فَأُمّا مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالُوا : وَاَللّهِ لَا نَقْبَلُ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا وَلَا عَقْدًا أَبَدًا ؛ فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ:

مَا عِلّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ

تَزَلّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ ... الْمَوْتُ حَقّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ

وَكُلّ مَا حَمّ الْإِلَهُ نَازِلٌ ... بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إلَيْهِ آئِلُ

ثُمّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ .

فَلَمّا قُتِلَ عَاصِمٌ أَرَادَتْ هُذَيْلٌ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شُهَيْدٍ، وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنَيْهَا يَوْمَ أُحُدٍ: لَئِنْ قَدَرَتْ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَن فِي قِحْفِهِ الْخَمْرَ. فَمَنَعَتْهُ الدَّبْرُ فَلَمّا حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ الدَّبْرُ [1] قَالُوا: دَعُوهُ يُمْسِي فَتَذْهَبُ عَنْهُ فَنَأْخُذُهُ. فَبَعَثَ اللّهُ الْوَادِيَ فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا ، فَذَهَبَ بِهِ.

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللّهَ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا ، تَنَجّسًا ؛ فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ الدّبْرَ مَنَعَتْهُ: يَحْفَظُ اللّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ فَمَنَعَهُ اللّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ طَارِقٍ ، فَلَانُوا وَرَقّوا وَرَغِبُوا فِي الْحَيَاةِ، فَأَعْطَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَأَسَرُوهُمْ ثُمّ خَرَجُوا إلَى مَكّةَ ، لِيَبِيعُوهُمْ بِهَا ، حَتّى إذَا كَانُوا بِالظّهْرَانِ انْتَزَعَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنْ الْقِرَانِ، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمُ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتّى قَتَلُوهُ فَقَبْرُهُ رَحِمَهُ اللّهُ بِالظّهْرَانِ.

وَأَمّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ وَزَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ فَقَدِمُوا بِهِمَا مَكّةَ. فَابْتَاعَ خُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إهَابٍ التّمِيمِيّ - لِقَتْلِهِ بِأَبِيهِ .

وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّةِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ نِسْطَاسُ إلَى التّنْعِيمِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ . وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللّهَ

---

[1] ـ ذكر النحل.

يَا زَيْدُ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك؟ قَالَ: وَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي.

قَالَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا. ثُمّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ. يَرْحَمُهُ اللهُ.

وَأَمّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ ، فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، أَنّهُ حُدّثَ عَنْ مَاوِيّةَ مَوْلَاةِ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إهَابٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ قَالَتْ: كَانَ خُبَيْبٌ عِنْدِي ، حُبِسَ فِي بَيْتِي ، فَلَقَدْ اطّلَعَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا ، وَإِنّ فِي يَدِهِ لَقِطْفًا مِنْ عِنَبٍ مِثْلَ رَأْسِ الرّجُلِ يَأْكُلُ مِنْهُ، وَمَا أَعْلَمُ فِي أَرْضِ اللّهِ عِنَبًا يُؤْكَلُ.

٥٨٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ جَمِيعًا أَنّهَا قَالَتْ:

قَالَ لِي حِينَ حَضَرَهُ الْقَتْلُ: ابْعَثِي إلَيّ بِحَدِيدَةٍ أَتَطَهّرُ بِهَا لِلْقَتْلِ، قَالَتْ: فَأَعْطَيْتُ غُلَامًا مِنْ الْحَيّ الْمُوسِى، فَقُلْت: اُدْخُلْ بِهَا عَلَى هَذَا الرّجُلِ الْبَيْتَ. قَالَتْ: فَوَاَللّهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ وَلّى الْغُلَامُ بِهَا إلَيْهِ فَقُلْت: مَاذَا صَنَعْتُ أَصَابَ وَاَللّهِ الرّجُلُ ثَأْرَهُ بِقَتْلِ هَذَا الْغُلَامِ، فَيَكُونُ رَجُلًا بِرَجُلِ. فَلَمّا نَاوَلَهُ الْحَدِيدَةَ أَخَذَهَا مِنْ يده ثمّ قَالَ: لَعَمْرَك ، مَا خَافَتْ أُمّك غَدْرِي حِينَ بَعَثَتْك بِهَذِهِ الْحَدِيدَةِ إلَيّ، ثُمّ خَلّى سَبِيلَهُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ إنّ الْغُلَامَ ابْنُهَا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: قَالَ عَاصِمٌ ثُمّ خَرَجُوا بِخُبَيْبٍ حَتّى إذَا جَاءُوا بِهِ إلَى التّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ قَالَ لَهُمْ: إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَدَعُونِي حَتّى أَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَافْعَلُوا. قَالُوا: دُونَك فَارْكَعْ . فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ أَتَمّهُمَا وَأَحْسَنَهُمَا ، ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: أَمَا وَاَللّهِ لَوْلَا أَنْ تَظُنّوا أَنّي إنّمَا طَوّلْت جَزَعًا مِنْ الْقَتْلِ لَاسْتَكْثَرْت مِنْ الصّلَاةِ. قَالَ فَكَانَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ أَوّلَ مَنْ سَنّ هَاتَيْنِ الرّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ. قَالَ: ثُمّ رَفَعُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ فَلَمّا أَوْثَقُوهُ قَالَ:

اللّهُمّ إنّا قَدْ بَلّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِك ، فَبَلّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا ؛ ثُمّ قَالَ اللّهُمّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا ، وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

ثُمّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللّهُ.

فَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ يَقُولُ: حَضَرْتُهُ يَوْمَئِذٍ فِيمَنْ حَضَرَهُ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُلْقِينِي إلَى الْأَرْضِ فَرَقًا مِنْ دَعْوَةِ خُبَيْبٍ، وَكَانُوا يَقُولُونَ إنّ الرّجُلَ إذَا دُعِيَ عَلَيْهِ فَاضْطَجَعَ لِجَنْبِهِ زَالَتْ عَنْهُ.

٥٨٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ حِذْيَمٍ الْجُمَحِيّ عَلَى بَعْضِ الشّامِ ، فَكَانَتْ تُصِيبُهُ غَشْيَةٌ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَيْ الْقَوْمِ فَذُكِرَ ذَلِكَ لِعُمَرِ بْنِ الْخَطّابِ وَقِيلَ إنّ الرّجُلَ مُصَابٌ.

فَسَأَلَهُ عُمَرُ فِي قَدْمَةٍ قَدِمَهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا سَعِيدُ مَا هَذَا الّذِي يُصِيبُك؟ فَقَالَ وَاَللّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِي مِنْ بَأْسٍ وَلَكِنّي كُنْت فِيمَنْ حَضَرَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيّ حِينَ قُتِلَ وَسَمِعْتُ دَعْوَتَهُ، فَوَاَللّهِ مَا خَطَرَتْ عَلَى قَلْبِي وَأَنَا فِي مَجْلِسٍ قَطّ إلّا غُشِيَ عَلَيّ فَزَادَتْهُ عِنْدَ عُمَرَ خَيْرًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَقَامَ خُبَيْبٌ فِي أَيْدِيهِمْ حَتّى انْقَضَتْ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ، ثُمّ قَتَلُوهُ."[1].

مأساة بئر معونة:

<u>كانت أيضًا في شهر صفر من السنة الرابعة،</u>

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات أن خبر أصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) في ليلة واحدة.

لكن البعض فسر قوله(صلى الله عليه وسلم): "إني أخشى عليهم أهل نجد" التي وردت في رواية ابن إسحاق (سنذكرها حالًا) تدل على أن الرجيع سبقت بئر معونة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم رغم تخوفه من غدرٍ كغدر عضل والقارة، لم يشأ أن يوقف مسيرة الدعوة إلى الله (قال ذلك، منير الغضبان في المنهج الحركي).

---

[1]- سبق تخريج أحداث السرية عند البخاري ، وهي عند أبي داود أيضا (٣/٣٦٦٠) بنحو حديث البخاري ومسند أحمد (٢/٢٢٤) والبيهقي في السنن الكبري (٩/١٤٥-١٤٦ .)تخريج دار الحديث . أقول: ورواية ابن إسحاق عند ابن هشام اشمل وأكمل وشواهدها في الكتب الصحيحة.

رواية ابن إسحاق: نذكرها بشيء من التهذيب ،ثم نورد ما عند البخاري ،وشيئًا من شرح ابن حجر.

- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ.

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ – (كَمَا حَدّثَنِي أَبِي إسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ) – قَالُوا:

قَدِمَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ مُلَاعِبُ الْأَسِنّةِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ إلَيْهِ فَلَمْ يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُدْ مِنْ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ يَا مُحَمّدُ لَوْ بَعَثْتَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِك إلَى أَهْلِ نَجْدٍ ، فَدَعَوْهُمْ إلَى أَمْرِك، رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَك ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّي أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ، قَالَ أَبُو بَرَاءٍ: أَنَا لَهُمْ جَارٍ فَابْعَثْهُمْ فَلْيَدْعُوا النّاسَ إلَى أَمْرِك.

فَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو ، أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ الْمُعْنِقَ لِيَمُوتَ[١] فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ الصّمّةِ وَحَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ،........ ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ فِي رِجَالٍ مُسَمّيْنَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ. فَسَارُوا حَتّى نَزَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ وَهِيَ بَيْنَ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ وَحَرّةِ بَنِي سُلَيْمٍ.

فَلَمّا نَزَلُوهَا بَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ بِكِتَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى عَدُوّ اللّهِ عَامِرِ بْنِ الطّفَيْلِ ؛ فَلَمّا أَتَاهُ لَمْ يَنْظُرْ فِي كِتَابِهِ حَتّى عَدَا عَلَى الرّجُلِ فَقَتَلَهُ، ثم استصرخ عليهم بَنِي عَامِرٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوهُ إلَى مَا دَعَاهُمْ إلَيْهِ وَقَالُوا: لَنْ نَخْفِرَ أَبَا بَرَاءٍ[٢] ، وَقَدْ عَقَدَ لَهُمْ عَقْدًا وَجِوَارًا ؛ فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ قَبَائِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ: عُصَيّةَ وَرِعْلٍ وَذَكْوَانَ ، فَأَجَابُوهُ إلَى ذَلِكَ فَخَرَجُوا حَتّى غَشُوا الْقَوْمَ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَلَمّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا سُيُوفَهُمْ ثُمّ قَاتَلُوهُمْ

١– المعنق: أي المسرع ولقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة.

٢– أي سنتمسك بالجوار الذي أعطاه أبو براء للرسول صلى الله عليه وسلم.

حَتّى قُتِلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ يَرْحَمُهُمْ اللّهُ، إلّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ أَخَا بَنِي دِينَارِ بْنِ النّجّارِ فَإِنّهُمْ تَرَكُوهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَارْتُثّ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى[1] ، فَعَاشَ حَتّى قُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ شَهِيدًا ، رَحِمَهُ اللّهُ.

وَكَانَ فِي سَرْحِ الْقَوْمِ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ ، وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَلَمْ يُنْبِئْهُمَا بِمُصَابِ أَصْحَابِهِمَا إلّا الطّيْرُ تَحُومُ عَلَى الْعَسْكَرِ، فَقَالَ وَاَللّهِ إنّ لِهَذِهِ الطّيْرِ لَشَأْنًا ، فَأَقْبَلَا لِيَنْظُرَا ، فَإِذَا الْقَوْمُ فِي دِمَائِهِمْ وَإِذَا الْخَيْلُ الّتِي أَصَابَتْهُمْ وَاقِفَةٌ. فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ لِعَمْرِو بْنِ أُمَيّةَ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى أَنْ نَلْحَقَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنُخْبِرَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيّ : لَكِنّي مَا كُنْتُ لِأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيهِ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَا كُنْتُ لِتُخْبِرَنِي عَنْهُ الرّجَالُ ثُمّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّى قُتِلَ وَأَخَذُوا عَمْرَو بْنَ أُمَيّةَ أَسِيرًا ؛ فَلَمّا أَخْبَرَهُمْ أَنّهُ مِنْ مُضَرَ ، أَطْلَقَهُ عَامِرُ بْنُ الطّفَيْلِ، وَجَزّ نَاصِيَتَهُ وَأَعْتَقَهُ عَنْ رَقَبَةٍ زَعَمَ أَنّهَا كَانَتْ عَلَى أُمّهِ .

فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ حَتّى إذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ صَدْرِ قَنَاةٍ، أَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ حَتّى نَزَلَا مَعَهُ فِي ظِلّ هُوَ فِيهِ، وَكَانَ مَعَ الْعَامِرِيّيْنِ عَقْدٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجِوَارٌ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ، وَقَدْ سَأَلَهُمَا حِينَ نَزَلَا ، مِمّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَأَمْهَلَهُمَا ، حَتّى إذَا نَامَا ، عَدَا عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا ، وَهُوَ يَرَى أَنّهُ قَدْ أَصَابَ بِهِمَا ثُؤْرَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ فِيمَا أَصَابُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَقَدْ قَتَلْتَ قَتِيلَيْنِ لَأَدِيَنّهُمَا.

ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ، قَدْ كُنْت لِهَذَا كَارِهًا مُتَخَوّفًا. فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَشَقّ عَلَيْهِ إخْفَارُ عَامِرٍ إيّاهُ وَمَا أَصَابَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِسَبَبِهِ وَجِوَارِهِ وَكَانَ فِيمَنْ أُصِيبَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ أَنّ عَامِرَ بْنَ الطّفَيْلِ كَانَ يَقُولُ: مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمّا قُتِلَ رَأَيْته رُفِعَ بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتّى رَأَيْت السّمَاءَ مِنْ دُونِهِ؟ قَالُوا : هُوَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

[1]– أي رفع من أرض المعركة وبه بقية حياة.

وحدَّثنى بعضُ بَنِي جَبّارِ بْنِ سَلْمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ - وَكَانَ جَبّارٌ فِيمَنْ حَضَرَهَا يَوْمَئِذٍ مَعَ عَامِرٍ ثُمّ أَسْلَمَ - (قَالَ) فَكَانَ يَقُولُ: إنّ مِمّا دَعَانِي إلَى الْإِسْلَامِ أَنّي طَعَنْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِالرّمْحِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَنَظَرْتُ إلَى سِنَانِ الرّمْحِ حِينَ خَرَجَ مِنْ صَدْرِهِ، فَسَمِعْته يَقُولُ "فُزْتُ وَاَللّهِ" فَقُلْت فِي نَفْسِي: مَا فَازَ؟ أَلَسْتُ قَدْ قَتَلْتُ الرّجُلَ؟ قَالَ: حَتّى سَأَلْت بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ فَقَالُوا : لِلشّهَادَةِ فَقُلْت : فَازَ لَعَمْرِو اللّهِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَقَالَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُحَرّضُ بَنِي أَبِي بَرَاءٍ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطّفَيْلِ :

بَنِي أُمّ الْبَنِينَ أَلَم يَرُعْكُمْ ... وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدِ

تَهَكّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ ... لِيُخْفِرَهُ وَمَا خَطَأٌ كَعَمْدِ

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَحَمَلَ رَبِيعَةُ (بْنُ عَامِرِ) بْنِ مَالِكِ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطّفَيْلِ ، فَطَعَنَهُ بِالرّمْحِ فَوَقَعَ فِي فَخِذِهِ فَأَشْوَاهُ، وَوَقَعَ عَنْ فَرَسِهِ، فَقَالَ: هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ، إنْ أَمُتْ فَدَمِي لِعَمّي، فَلَا يُتْبَعَنّ بِهِ وَإِنْ أَعِشْ فَسَأَرَى رَأْيِي فِيمَا أُتِيَ إلَيّ[1].

---

[1]- سيرة ابن هشام (٣/١٢٧-).

إضافات وإيضاحات:

١- روىالبخاري عن أنس قال:

٥٩١- " وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خَيَّر بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف " [١] .

٢- فإذا راجعنا حديث ابن إسحاق عن مجيء ملاعب الأسنة وطلبه من النبي صلى الله عليه وسلم رجالًا من الصحابة يدعون أهل نجد إلى الإسلام، وعرفنا أن أبا براء (ملاعب الأسنة) هو عم عامر بن الطفيل، ولذا لم تقبل قبائل بني عامر أن يخفروا كبيرهم (أبا براء) في ذمته.

ولنسأل : عن سبب مجيء كل منهما منفردًا عن صاحبه؟

روى البخاري عن أنس (رضي الله عنه):أن رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على عدوهم فأمدهم بسبعين من الأنصار.

قال ابن حجر: وقد تقدم في الجهاد من وجه آخر عن سعيد عن قتادة بلفظ ،أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أتاه رعل وذكوان وعُصيَّه وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوا على قومهم).

قال ابن حجر: ولا مانع أن يستمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظاهر، ويكون قصدهم الغدر بهم.

وقال أيضًا: (ويحتمل أنه لم يكن استمدادهم لهم لقتال عدو، وإنما هو للدعاء إلى الإسلام) واستدل ابن حجر برواية ابن إسحاق.

٣- كان السبعون من القراء يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل (في رواية البخاري).

٤- قَنَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرًا في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان وعُصَيَّة وبني لحيان، وقال أنس (وذلك بدء القنوت وما كنا نَقْنُتْ) (في روايات البخاري أيضًا).

٥- عامر بن فُهَيرَة لما قُتِلَ رُفِعَ بين السماء والأرض.

١– جزء من حديث البخاري رقم (٣٧٨٢).

٦- وختامًا: لما طعن حرام بن ملحان (خال أنس بن مالك - أخو أم سلمة). ورأى الدم نُصحة على وجه، قال: فزت ورب الكعبة (البخاري) تأمل أيها المسلم هذا المعنى.

التعليق على حادثتي الرجيع وبئر معونة:

١- لا شك أنهما مأساتان مُوجِعَتَان أُصِيبَ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، بعد وقت قليل من معركة أحد، وقد استشهد سبعون في أُحُدْ .بخلاف الجرحى .واستشهد عشرة في الرجيع، واستشهد سبعون في بئر معونة.

ولقد كان عدد الجيش الإسلامي في أحد: سبعمائة ، وهم تقريبًا كل القادرين على حمل السلاح، فمقتل ١٥٠ في بضعة أشهر يعني: فقدان الجيش لأكثر من خُمُسه من المقاتلين، ويعني أن كل بيت في المدينة يبكي شهيدًا.

٢- الرجيع وبئر معونة كانت لهما صفة خاصة: إن الذين خرجوا فيهما لم يخرجوا لقتال ولا استعدُّوا لحرب، والفقد كان للسريتين بالكامل.

وأشد من هذا وأقسى: أن المأساة كانت غدرًا في غدر، والغدر صفة قبيحة وضيعة إذا تعلقت بالأشياء، فكيف إذا كان الغدر قد أفضى إلى إزهاق كل هذه الأنفس الذكية؟!

٣- هاتان السريتان توضحان طبيعة البيئة التي كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتعامل معها: بيئة الصحراء والبادية والقسوة والغلظة والغدر والغارات، فلا نعجب بعد ذلك، لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم محاربًا، وبعث بالسيف بين يدي الساعة، ولماذا كان عليه أن يعد الجيوش والمقاتلة تحسبا لكل الظروف والأحوال؟!

٤- برغم كل هذه الأحزان استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يواجه الموقف بما يلائمه من عزمات وإقدام وحركة عسكرية وثَّابة، حتى انتقل إلى موقف المبادئ لا المدافع، وبسط الأمن .إلى حين .حول المدينة وفي ربوع الجزيرة.

غزوة بني النضير:

(ربيع الأول ٤ هـ)

هذه هي الغدرة الثالثة بعد الرجيع وبئر معونة،

وهذه هي الجولة الثانية من جولات الصراع مع اليهود.

تاريخ الغزوة:

ذكر ابن إسحاق أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد .بعد بئر معونة وقال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول .أي من السنة الرابعة . لكن الإشكال يأتي من رواية البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر ،قبل أحد.

قال ابن القيم:

٥٩٢- " وَزَعَمَ مُحَمّد بْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ أَنّ غَزْوَةَ بَنِي النّضِيرِ كَانَتْ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِتّةِ أَشْهُرٍ وَهَذَا وَهْمٌ مِنْهُ أَوْ غَلَطٌ عَلَيْهِ، بَلْ الّذِي لَا شَكّ فِيهِ أَنّهَا كَانَتْ بَعْدَ أُحُدٍ، وَالّتِي كَانَتْ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِتّةِ أَشْهُرٍ هِيَ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَقُرَيْظَةُ بَعْدَ الْخَنْدَقِ، وَخَيْبَرُ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ.

وَكَانَ لَهُ مَعَ الْيَهُودِ أَرْبَعُ غَزَوَاتٍ أَوّلُهَا: غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بَعْدَ بَدْرٍ وَالثّانِيَةُ بَنِي النّضِيرِ بَعْدَ أُحُدٍ وَالثّالِثَةُ قُرَيْظَةُ بَعْدَ الْخَنْدَق وَالرّابِعَةُ خَيْبَرُ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ ."[1].

تعقيب هام:

الإمام ابن القيم يُقوّي، بل ويحسم القول في صحة رواية ابن إسحاق، ورفض رواية البخاري عن الزهري، وهذا درس لمن يضعفون ابن إسحاق دائمًا بدعوى التدليس، والرأي عندي -والله أعلم .أن كل من جاءوا بعد ابن إسحاق كانت رواياته بالنسبة لهم من أهم المراجع... وقد قال عنه ابن القيم (إمام أهل السير والمغازي) - زاد المعاد.

سبب الغزوة:

٥٩٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "ثمّ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى بَنِي النّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِك الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ اللّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ ، لِلْجِوَارِ الّذِي كَانَ

---

[1]- زاد المعاد (٣/٢٢١) المكتبة الشاملة.

رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَقَدَ لَهُمَا ، كَمَا حَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ.

فَلَمّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِك الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ نُعِينُك عَلَى مَا أَحْبَبْت ، مِمّا اسْتَعَنْت بِنَا عَلَيْهِ. ثُمّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا: إنّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحّاشِ بْنِ كَعْبٍ، أَحَدَهُمْ فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ. وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيّ ، رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِمْ.

فَأَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْخَبَرُ مِنْ السّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ. فَلَمّا اسْتَلْبَثَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابُهُ قَامُوا فِي طَلَبِهِ فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنْ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ رَأَيْته دَاخِلًا الْمَدِينَةَ. فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى انْتَهَوْا إلَيْهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَأَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنْ الْغَدْرِ بِهِ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالتّهَيّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالسّيْرِ إلَيْهِمْ."[1].

إنذار من الرسول (صلى الله عليه وسلم):

قال الواقدي:

٥٩٤- " وَجَاءَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اذْهَبْ إلَى يَهُودِ بَنِي النّضِيرِ فَقُلْ لَهُمْ: إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْسَلَنِي إلَيْكُمْ يَقُولُ لَكُمْ قَدْ نَقَضْتُمْ الْعَهْدَ الّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنْ الْغَدْرِ بِي، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا كَانُوا ارْتَأَوْا مِنْ الرّأْيِ وَظُهُورِ عَمْرِو بْنِ جَحّاشٍ عَلَى الْبَيْتِ يَطْرَحُ الصّخْرَةَ، فَأَسْكَتُوا فَلَمْ يَقُولُوا حَرْفًا .

وَيَقُولُ: أُخْرُجُوا مِنْ بَلَدِي ، فَقَدْ أَجّلْتُكُمْ عَشْرًا فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْت عُنُقَهُ."[2].

اليهود تتجهز ، والمنافق يعدهم بالمساعدة:

---

[1]– سيرة ابن هشام (١٣٢/٣)

[2]– مغازي الواقدي(٣٦٨/١)

قال الواقدي:

"فَمَكَثُوا عَلَى ذَلِكَ أَيّامًا يَتَجَهّزُونَ، وَأَرْسَلُوا إلَى ظَهْرٍ لَهُمْ بِذِي الْجَدْرِ تُجْلَبُ، وَتَكَارَوْا مِنْ نَاسٍ مِنْ أَشْجَعَ إبِلاً وَأَخَذُوا فِي الْجَهَازِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إذْ جَاءَهُمْ رَسُولُ ابْنِ أُبَيّ يَقُولُ: لا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَقِيمُوا فِي حُصُونِكُمْ فَإِنّ مَعِي أَلْفَيْنِ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ، يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ حِصْنَكُمْ فَيَمُوتُونَ مِنْ آخِرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُوصَلَ إلَيْكُمْ، وَتَمُدّكُمْ قُرَيْظَةُ فَإِنّهُمْ لَنْ يَخْذُلُوكُمْ وَيَمُدّكُمْ حُلَفَاؤُكُمْ مِنْ غَطَفَانَ"[1].

وهذا مصداق قوله تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ}[2].

بنو قريظة ترفض نقض العهد:

قال الواقدي:

"وَأَرْسَلَ ابْنُ أُبَيّ إلَى كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ يُكَلّمُهُ أَنْ يَمُدّ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: لَا يَنْقُضُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ رَجُلٌ وَاحِدٌ الْعَهْدَ، فَيَئِسَ ابْنُ أُبَيّ مِنْ قُرَيْظَةَ".

حُيَيّ بن أخطب يعلن الحرب:

قال الواقدي:

٥٩٥- "فَيَئِسَ ابْنُ أُبَيّ مِنْ قُرَيْظَةَ وَأَرَادَ أَنْ يُلْحِمَ الْأَمْرَ فِيمَا بَيْنَ بَنِي النّضِيرِ وَرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمْ يَزَلْ يُرْسِلُ إلَى حُيَيّ حَتّى قَالَ حُيَيّ: أَنَا أُرْسِلُ إلَى مُحَمّدٍ أُعْلِمُهُ أَنّا لَا نَخْرُجُ مِنْ دَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَلْيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ.

١– المصدر السابق.

٢– الحشر :(١١–١٢)

وَطَمِعَ حُيَيّ فِيمَا قَالَ ابْنُ أُبَيّ، وَقَالَ حُيَيّ: نَرُم حُصُونَنَا ، ثُمّ نُدْخِلُ مَاشِيَتَنَا ، وَنُدْرِبُ أَزِقّتَنَا، وَنَنْقُلُ الْحِجَارَةَ إلَى حُصُونِنَا، وَعِنْدَنَا مِنْ الطّعَامِ مَا يَكْفِينَا سَنَةً وَمَاؤُنَا وَاتِنٌ فِي حُصُونِنَا لَا نَخَافُ قَطْعَهُ، فَتَرَى مُحَمّدًا يَحْصُرُنَا سَنَةً؟ لَا نَرَى هَذَا .

وقال الواقدي أيضًا:

فَأَرْسَلَ حُيَيّ أَخَاهُ جُدَيّ بْنَ أَخْطَبَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّا لَا نَبْرَحُ مِنْ دَارِنَا وَأَمْوَالِنَا ، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ ابْنَ أُبَيّ فَيُخْبِرَهُ بِرِسَالَتِهِ إلَى مُحَمّدٍ وَيَأْمُرَهُ بِتَعْجِيلِ مَا وَعَدَ مِنْ النّصْرِ.

خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى بني النضير وضرب الحصار:

قال الواقدي:

٥٩٦- "وَسَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَصْحَابِهِ، فَصَلّى الْعَصْرَ بِفَضَاءِ بَنِي النّضِيرِ، فَلَمّا رَأَوْا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابَهُ قَامُوا عَلَى جُدُرِ حُصُونِهِمْ مَعَهُمْ النّبْلُ وَالْحِجَارَةُ .

وَجَعَلُوا يَرْمُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِالنّبْلِ وَالْحِجَارَةِ حَتّى أَظْلَمُوا، وَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْدُمُونَ - مَنْ كَانَ تَخَلّفَ فِي حَاجَتِهِ - حَتّى تَتَامّوْا عِنْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، فَلَمّا صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعِشَاءَ رَجَعَ إلَى بَيْتِهِ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ الدّرْعُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ.

وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يُحَاصِرُونَهُمْ يُكَبّرُونَ حَتّى أَصْبَحُوا، ثُمّ أَذّنَ بِلَالٌ بِالْمَدِينَةِ، فَغَدَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَصْحَابِهِ الّذِينَ كَانُوا مَعَهُ.

فَصَلّى بِالنّاسِ بِفَضَاءِ بَنِي خَطْمَةَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمّ مَكْتُومٍ ؛ وَحُمِلَتْ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُبّةٌ مِنْ أَدَمٍ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْقُبّةَ.

وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ عَزْوَك وَكَانَ أَعْسَرَ رَامِيًا فَرَمَى، فَبَلَغَ نَبْلُهُ قُبّةَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَمَرَ بِقُبّتِهِ فَحُوّلَتْ إلَى مَسْجِدِ الْفَضِيخِ وَتَبَاعَدَتْ مِنْ النّبْلِ.

وَلَزِمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الدّرْعُ وَبَاتَ وَظَلّ مُحَاصِرَهُمْ"[١].

قطع النخل وتحريقها:

١- مغازي الواقدي (مع بعض الاختصار).

قال تعالى في سورة الحشر: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}.

وروى البخاري:

٥٩٧- "عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ الْبُوَيْرَةُ، فَنَزَلَتْ: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ}"[١].

(والبويرة: موضع معروف بين المدينة وتيماء، واللينة : هي صنف من النخل، قاله ابن حجر في الفتح).

وفي صحيح مسلم:

٥٩٨- "عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَعَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَحَرَّقَ، وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ.

وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتْ: "مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا" الْآيَةَ."[٢].

قال النووي _(في شرح صحيح مسلم):

"وَفِي هَذَا الْحَدِيث : جَوَاز قَطْع شَجَر الْكُفَّار وَإِحْرَاقه، وَبِهِ قَالَ عَبْد الرَّحْمَن بْن الْقَاسِم وَنَافِع مَوْلَى اِبْن عُمَر وَمَالك وَالثَّوْرِيّ وَأَبُو حَنِيفَة وَالشَّافِعِيّ وَأَحْمَد وَإِسْحَاق وَالْجُمْهُور. وَقَالَ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق وَاللَّيْث بْن سَعْد وَأَبُو ثَوْر وَالْأَوْزَاعِيُّ - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - فِي رِوَايَة عَنْهُمْ: لَا يَجُوز".

وقد روى ابن إسحاق جَزَعَ يهود من تحريق النخل:

٥٩٩- قَالَ ابنُ إسحَاقَ:

"فَتَحَصّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَطْعِ النّخِيلِ وَالتّحْرِيقِ فِيهَا، فَنَادَوْهُ أَنْ يَا مُحَمّدُ قَدْ كُنْتَ تَنهَى عَنْ الْفَسَادِ وَتَعِيبُهُ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا ؟".[١]

١- البخاري (٣٧٢٧) ترقيم العالمية.

٢- صحيح مسلم برقم (٣٢٨٥) ترقيم العالمية.

خذلان المنافقين لهم:

قال الواقدي:

٦٠٠- "وَأَمْسَوْا فَلَمْ يَقْرَبْهُمْ ابْنُ أُبَيّ وَلَا أَحَدٌ مِنْ حُلَفَائِهِ، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، وَيَئِسَتْ بَنُو النّضِيرِ مِنْ نَصْرِهِ، وَجَعَلَ سَلّامُ بْنُ مِشْكَمٍ وَكِنَانَةُ بْنُ صُوَيْرَاءَ يَقُولَانِ لِحُيَيّ: أَيْنَ نَصْرُ ابْنُ أُبَيّ كَمَا زَعَمْت؟ قَالَ حُيَيّ: فَمَا أَصْنَعُ؟ هِيَ مَلْحَمَةٌ كُتِبَتْ عَلَيْنَا"[٢].

وقَالَ ابنُ إِسحَاقَ:

٦٠١- وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، مِنْهُمْ (عَدُوّ اللّهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ ووَدِيعَةُ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قَوْقَلٍ وَسُوَيْدُ وَدَاعِسٌ) قَدْ بَعَثُوا إلَى بَنِي النّضِيرِ: أَنْ أُثْبُتُوا وَتَمَنّعُوا، فَإِنّا لَنْ نُسَلّمَكُمْ إنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ. فَتَرَبّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَقَذَفَ اللّهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرّعْبَ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ وَيَكُفّ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إلّا الْحَلْقَةَ فَفَعَلَ. فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلّتْ بِهِ الْإِبِلُ، فَكَانَ الرّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نِجَافِ بَابِهِ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ. فَخَرَجُوا إلَى خَيْبَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إلَى الشّامِ[٣].

العوامل الثلاثة التي دفعت اليهود للتسليم:

السبب الأول: تحريق النخل بالبويرة: وهذا أمر مختلف في جوازه كما رأينا، لقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّة، وأقرَّه القرآن الكريم، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله بعد ذلك، وربما كان هذا هو الحكم الشرعى الأخير (عدم التحريق والقطع)، ويكون ما حدث مع بني النضير استثناء من أصل إسلامي عام ،ينهى عن التدمير وقطع الشجر والنخيل، للحفاظ على الحياة المدنية وعلى البيئة.

لكن ما حدث في ذلك الموقف - الذي أقره القرآن -له أسبابه:

١- الضرورة.

٢- أنه الوسيلة الوحيدة لكسر إرادة اليهود علىالصمود.

١- سيرة ابن هشام (٣/١٣٢) وهو صحيح موافق لما في البخاري.

٢- مغازي الواقدي (١/٣٧٢) المكتبة الشاملة.

٣- سيرة ابن هشام (٣/١٣٣).

٣- لا يمكن للمسلمين أن يستمروا على حصارهم ستة أشهر أو سنة.

السبب الثاني للتسليم:

خذلان المنافقين لليهود،

وما أروع المثل القرآني!!

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}.

السبب الثالث: الرعب قذفه الله في قلوبهم:

قال تعالى: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}.

من حيث لم يحتسبوا قد تعني:

الرعب الذي قذف في قلوبهم: والذي لا يمكن حسابه بمقياس البشر، إنما هو عمل مرتبط بالقلب، والقلوب لا يعلم أسرارها إلا خالقها سبحانه.

ومن حيث لم يحتسبوا يمكن أن تكون: قطع وتحريق النخيل، حيث كانت حساباتهم أنها سوف تعينهم على الصمود وتحمل الحصار مدة طويلة.

وقد تكون حساباتهم قوة الحصون ومناعتها أمام قدرات جيش لا يملك إلا السيوف والرماح والنبل، وما عساها تفعل من أجل فتح الحصون.

ولا شك أن الراجح- عندي- هو أنهم أوتوا من داخِلِهم فداخَلَهم الرعب، وتزلزلت قلوبهم.

استسلام اليهود:

قال الواقدي:

٦٠٢- "فَأَرْسَلَ حُيَيّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا مُحَمّدُ إِنّك كُنْت تَنْهَى عَنْ الْفَسَادِ لِمَ تَقْطَعُ النّخْلَ ؟ نَحْنُ نُعْطِيك الّذِي سَأَلْت ، وَنَخْرُجُ مِنْ بِلَادِك. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَا أَقْبَلُهُ الْيَوْمَ وَلَكِنْ اُخْرُجُوا مِنْهَا وَلَكُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ إلّا الْحَلْقَةَ.

فَقَالَ سَلّامٌ (لحُيَيّ بن أخطب) اقْبَلْ وَيْحَك ، قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَ شَرّا مِنْ هَذَا. فَقَالَ حُيَيّ: مَا يَكُونُ شَرّا مِنْ هَذَا؟ قَالَ سَلّامٌ يَسْبِي الذّرّيّةَ وَيَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ مَعَ الْأَمْوَالِ، فَالْأَمْوَالُ الْيَوْمَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا إذَا لَحَمْنَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ الْقَتْلِ وَالسّبَاءِ. فَأَبَى حُيَيّ أَنْ يَقْبَلَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ.

إسلام رجلين من يهود:

قال: فَلَمّا رَأَى ذَلِكَ يَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو سَعْدِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَإِنّك لَتَعْلَمُ أَنّهُ لَرَسُولُ اللّهِ فَمَا تَنْتَظِرُ أَنْ نُسْلِمَ فَنَأْمَنَ عَلَى دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا؟ فَنَزَلَا مِنْ اللّيْلِ فَأَسْلَمَا فَأَحْرَزَا دِمَاءَهُمَا وَأَمْوَالَهُمَا.

ثُمّ نَزَلَتْ الْيَهُودُ عَلَى أَنّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ إلّا الْحَلْقَةُ."[1]

توضيح :

كان مطلب الرسول(صلى الله عليه وسلم)من اليهود أولًا: هو مجرد الخروج من المدينة ومعناه : أن يأخذوا معهم كل ممتلكاتهم.

فلما أبوا إلا الحرب، وحوصروا ؛أرادوا أن ينزلوا على الحكم الأول، فرفض النبي صلى الله عليه وسلم ،وأصبح الحكم في هذه الحالة: الخروج ، معهم ما حملت الإبل إلا الحلقة (أي السلاح).

الخروج إلى خيبر ،وإلى الشام: يخربون بيوتهم بأيديهم:

قالَ ابنُ إسحاقَ:

٦٠٣- "فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلّتْ بِهِ الْإِبِلُ فَكَانَ الرّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نِجَافِ بَابِهِ[2] فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ . فَخَرَجُوا إلَى خَيْبَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إلَى الشّامِ.

فَكَانَ أَشْرَافُهُمْ مَنْ سَارَ مِنْهُمْ إلَى خَيْبَرَ: سَلّامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ وَكِنَانَةُ بْنُ الرّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَحُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ، فَلَمّا نَزَلُوهَا دَانَ لَهُمْ أَهْلُهَا"[3].

الفيء، وتقسيمه:

قال تعالى:

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * [سورة الحشر}.

---

[1]- مغازي الواقدي (١/٣٧٣).

[2]- نجاف بابه: أي قبة الباب.

[3]- سيرة ابن هشام (٣/١٣٣).

قال ابن كثير في التفسير:

٦٠٧- "يقول تعالى مبينًا ما الفيء،وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كلّ مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأفاءه الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله، عز وجل، في هذه الآيات، فقال: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} أي: من بني النضير {فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ} يعني: الإبل، {وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.

ثم قال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} أي: جميع البلدان التي تُفتَح هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير؛ ولهذا قال: {فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} إلى آخرها والتي بعدها. فهذه مصارفُ أموال الفيء ووجوهه."[١]

دلالات وعظات:

الصراع مع اليهود، بين السلفية والمعاصرة:

شاءت حكمة الله عز وجل أن تكون هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البلد الذي يسكنه اليهود نموذجًا، نستقي منه الأحكام والدروس والعبر ،فقد سبق علم الله عز وجل، أن هذا الصراع سوف يتكرر في عصرنا الحاضر بهذا الشكل الرهيب، لقد احتل اليهود أرض فلسطين وبيت المقدس والأقصى، وتحالفوا مع أمريكا وأوروبا أكبر حلف شيطاني معادٍ للمسلمين يصر على أن تظل الدولة المزعومة .إسرائيل.هي رأس الحربة في هذا الحلف بحيث لا يُسمح للمسلمين بقيام كيان قوي اقتصادي أو سياسي أو تكون وحدة إسلامية عالمية.

وهذه بعض الدروس القرآنية من سورة الحشر:

١- الدرس الأول: (ما ظننتم أن يخرجوا) :

لقد خطط اليهود لكل شيء، وحدث نمو عسكري واقتصادي لهذا الكيان (إسرائيل) ، بشكل سرطاني، واستطاعت هذه الدولة في فترات أن تهزم الجيوش العربية مجتمعة، ثم

١– تفسير ابن كثير سورة الحشر.

تسيطر على سياسات الحكومات العربية التي استسلمت لمقولة أن إسرائيل لا تقهر وأنها وجدت لتبقى، وأنها تحالفت مع أكبر قوة عالمية (أمريكا) ولم يعد هناك حل إلا الاعتراف بها وبحقها في الأرض المغتصبة، وأصبح كل التفكير ينصب على استجداءالسلام، من هنا وهناك واعتباره خيارًا استراتيجيًّا .(ما ظننتم أن يخرجوا).،

٢- الدرس الثاني: وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله:

أقامت إسرائيل بعد انتصارها في ١٩٦٧م حصونًا على الشاطئ الشرقي لقناة السويس ؛ليمنع عبور القوات المصرية لتحرير سيناء، لكن حينما صدق العزم وصحَّت الإرادة وانطلقت صيحة (الله أكبر) في ١٩٧٣م، عبر الجيش المصري وانتصر، حتى تدَخَّلتْ القوى الكبرى لِتُفقِدَهُ ثمرات انتصاره.

وهناك إشاعات قوية بامتلاك إسرائيل للقنابل الذرية، وتملك أسلحة: هي من أكثر أسلحة العالم تطورًا وتقنية، وطائرات ودبابات وصواريخ، واعتبروا دباباتهم حصونًا متحركة!!.

كذلك أقامت إسرائيل علاقات سرية وعلنية مع معظم الأنظمة العربية التي انهزمت نفسيا، ورفضت فكرة الصراع المسلح لتحرير الأرض، بل وتدخلت أيادي إسرائيل الخفية؛ لتحدد من يأتي إلى كراسي الرئاسة في الدول العربية،ومن لا يأتي .وغير ذلك الكثير .حتى ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم ومؤامراتهم من الله.

٣- الدرس الثالث: فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب:

وسبحان الله: الجيوش العربية تسترخي ، وتخرج من ساحة الصراع ،فتظهر المقاومة الشعبية - الإسلامية – بلا عُدَّة وعتاد، متسلحة بالإيمان وبالقرآن ، وبسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتبدأ انتفاضة حجارة لا تلبث أن تتحول إلى أحزمة ناسفة، تصل إلى قلب المجتمع اليهودي تلقي فيه الرعب، فتقيم إسرائيل جدارًا عازلًا ، لعله يكون حصنًا يحميها من دخول الاستشهاديين ،فتتطور المقاومة إلى صواريخ (القسام) بدائية بسيطة ثم تتطور إلى مدى أكبر وقدرة أعلى على بث الرعب في المجتمع الهش و..........و....... يتحدثون الآن عن (توازن الرعب) بعد غياب توازن القوى........

فكان ظهور هذه المقاومة هو العنصر الذي لم تتحسب له إسرائيل ،وأصبح سلاح العقيدة في قلوب المقاومين أقوى من كل الحصون... والله غالب على أمره.

غزوة نجد:

(في جمادي الآخرة سنة ٤ هـ):

وسببها: أخبار تجمع قبائل من غطفان هي: بنو محارب وبنو ثعلبة يريدون المدينة وقد ذكر ابن إسحاق وجماعة من أهل السير أن هذه هي غزوة ذات الرقاع، وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلى فيها صلاة الخوف.

وقد حقق ابن القيم في زاد المعاد أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد الخندق بل بعد خيبر:

- لأن أول صلاة للخوف صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كانت بعسفان، واستدل بحديث أبي عياش الزرقين رضي الله عنه عند أحمد وأهل السنن وحديث أبي هريرة عند الترمذي وقال عنه حسن صحيح.
- ولأن عسفان .كما قال ابن القيم .كانت بعد الخندق بلا خلاف عند الرواة.
- ولأن غزوة ذات الرقاع لو كانت قبل الخندق وصلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، ما كان أخَّرَ صلاة الظهر والعصر والمغرب إلى ما بعد العشاء، وكان يكفيه صلاة الخوف في الخندق ولكن ذلك لم يحدث.
- وأقوى دليل على أن ذات الرقاع كانت بعد خيبر هو شهود أبي هريرة وأبي موسى الأشعرى لهذه الغزوة كما ورد في الصحيحين.

منحى المباركفوري: (في الرحيق):

أن ظروف المدينة كانت تقتضي وقوع غزوة لتأديب الأعراب في نجد ،وكسر شوكتهم قبل أن يأتي موعد اللقاء في (بدر الثانية) الذي كان من أبي سفيان للمسلمين بعد انتهاء معركة أحد.
وذلك كي يتفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لملاقاة قريش ،وهو آمن من جهة الأعراب.
فالمباركفوري يرى حصول غزوة في نجد في هذه الفترة ، لكنها ليست ذات الرقاع.

غزوة بدر الثانية (الآخرة):

(شعبان سنة ٤ هـ-):

٦٠٤- " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إلَى بَدْرٍ ، لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ حَتّى نَزَلَهُ .
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولَ الْأَنْصَارِيّ .
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَ لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَهْلِ مَكّةَ حَتّى نَزَلَ مَجِنّةَ ، مِنْ نَاحِيَةِ الظّهْرَانِ ؛ وَبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ قَدْ بَلَغَ عُسْفَانَ ، ثُمّ بَدَا لَهُ فِي الرّجُوعِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إلّا عَامٌ خَصِيبٌ تَرْعَوْنَ فِيهِ الشّجَرَ وَتَشْرَبُونَ فِيهِ اللّبَنَ وَإِنّ عَامَكُمْ هَذَا عَامُ جَدْبٍ ، وإنى راجع فارجعوا ، فرجع الناس، فَسَمّاهُمْ أَهْلُ مَكّةَ جَيْشَ السّوِيقِ ، يَقُولُونَ إنّمَا خَرَجْتُمْ تَشْرَبُونَ السّوِيقَ .
وَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى بَدْرٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ لِمِيعَادِهِ، فَأَتَاهُ مَخْشِيّ بْنُ عَمْرٍو الضّمْرِيّ ، وَهُوَ الّذِي كَانَ وَادَعَهُ عَلَى بَنِي ضَمْرَةَ فِي غَزْوَةِ وَدّانَ ، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَجِئْتَ لِلِقَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْمَاءِ؟ قَالَ: "نَعَمْ يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ، وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إلَيْك مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَك ، ثُمّ جَالَدْنَاك حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَك". قَالَ: لَا وَاَللّهِ يَا مُحَمّدُ مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْك مِنْ حَاجَةٍ."[١]

دلالات:

فِعْلُ أبي سفيان هو فعل الخائف المتشكك في إمكانية إحراز النصر، الذي شعر أن ما حدث في أُحُدْ كان فرصة يصعب أن تتكرر، وأن المسلمين أصبحوا أكثر يقظة واستعدادًا، وفعله هذا لا شك أنه هزيمة نفسية واضحة لقريش، وضياع لسمعتها بين العرب.
أما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فهو نموذج لأصحاب العقائد: ثقة مطلقة بالله عز وجل وبموعوده، والنظر على أن الجهاد عمل عبادي لا يقاس بحسابات الربح والخسارة، وأن المؤمن المجاهد ينتظر أحَدَ الخَيْرَيْن: إما نصر وسيادة ، وإما شهادة وسعادة.
وبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم عند بدر ثمانيليال ،له أكبر الأثر في سمعة المسلمين لدى الأعداء، سواء في داخل المدينة أو خارجها.

---

[١]- سيرة ابن هشام (١٤٩/٣) وذكرها الواقدي وابن سعد في الطبقات الكبرى والطبري في تاريخه وغيرهم. عن دار الحديث.

غزوة دومة [1] الجَنْدَل:

ربيع الأول سنة خمس هـ.

٦٠٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

ثُمّ غَزَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيّ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَيْهَا، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيّةَ سَنَتِهِ.

هكذا قال ابن إسحاق.

٦٠٦- وقال محمد بن عمر الواقدي بإسناده، عن شيوخه، عن جماعة من السلف، قالوا:

أَرَادَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَدْنُوَ إلَى أَدْنَى الشّامِ، وَقِيلَ لَهُ إنّهَا طَرَفٌ مِنْ أَفْوَاهِ الشّامِ ، فَلَوْ دَنَوْت لَهَا كَانَ ذَلِكَ مِمّا يُفْزِعُ قَيْصَرَ. وَقَدْ ذُكِرَ لَهُ أَنّ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَأَنّهُمْ يَظْلِمُونَ مَنْ مَرّ بِهِمْ مِنْ الضّافِطَةِ وَكَانَ بِهَا سُوقٌ عَظِيمٌ وَتُجّارٌ وَضَوَى إلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنْ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا مِنْ الْمَدِينَةِ.

فَنَدَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّاسَ فَخَرَجَ فِي أَلْفٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ يَسِيرُ اللّيْلَ وَيَكْمُنُ النّهَارَ وَمَعَهُ دَلِيلٌ لَهُ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ يُقَالُ لَهُ (مَذْكُورٌ)، هَادٍ خِرّيتٍ[2]، فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُغِذّا لِلسّيْرِ وَنَكَبَ عَنْ طَرِيقِهِمْ، وَلَمّا دَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ قَالَ لَهُ الدّلِيلُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ سَوَائِمَهُمْ تَرْعَى فَأَقِمْ لِي حَتّى أَطّلِعَ لَك . قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: نَعَمْ.

فَخَرَجَ الْعُذْرِيّ طَلِيعَةً حَتّى وَجَدَ آثَارَ النّعَمِ وَالشّاءِ وَهُمْ مُغَرّبُونَ، ثُمّ رَجَعَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ وَقَدْ عَرَفَ مَوَاضِعَهُمْ، فَسَارَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى هَجَمَ عَلَى

١- دومة : بضم الدال وفتحها ، موضع على بعد سبع مراحل من دمشق في طريق المدينة . وقيل سميت باسم دومي بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان دومي نزل بها.

٢- خريت: ماهر بالطرق.

مَاشِيَتِهِمْ وَرِعَائِهِمْ، فَأَصَابَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ أَصَابَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلّ وَجْهٍ.

وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ فَتَفَرّقُوا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا، فَأَقَامَ بِهَا أَيّامًا وَبَثّ السّرَايَا وَفَرّقَهَا حَتّى غَابُوا عَنْهُ يَوْمًا ثُمّ رَجَعُوا إلَيْهِ وَلَمْ يُصَادِفُوا مِنْهُمْ أَحَدًا.

إلّا أَنّ مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ أَخَذَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَتَى بِهِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: هَرَبُوا أَمْسِ حَيْثُ سَمِعُوا بِأَنّك قَدْ أَخَذْت نَعَمَهُمْ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ أَيّامًا فَأَسْلَمَ، فَرَجَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ"[١].

تعقيب عام على مرحلة ما بعد أحد:

تمت إدارة الأزمة التي واجهها المسلمون بعد أُحُدْ، فلقد تم إجلاء يهود بني النضير .بعد بني قينقاع .وهذا مما أضعف موقف المنافقين ، وموقف الفئة الثالثة من اليهود .بني قريظة. وتحرك النبي (صلى الله عليه وسلم) في نواحي الجزيرة؛ لتأديب الغادرين وإسكات المغامرين، حتى بلغ مشارف الشام مما يفزع قيصر الروم.

وأثبت لقريش أنه مستعد للمواجهة (في بدر الآخرة) وأن قريشًا هي التي تخاذلت وتراجعت. صلى اللهُ وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله.

لقد استَعَدْتَ زمام المبادرة وتَحَوَّلْتَ إلى موقف القوة والثقة وتخطَّيتَ الأزمة، وحَافظْتَ على دولتك ومدينتك وجيشك.

١- السيرة النبوية لابن كثير (٣/١٧٧-١٧٨) المكتبة الشاملة.

الفصل الخامس:

أخطر جولات الصراع بين المسلمين والمشركين، غزوة الأحزاب:

(شوال سنة خمس)

مقدمة:

هي أخطر الجولات بلا شك بسبب:

- التحالف الرهيب بين قريش وحلفائها مع غطفان وحلفائهم.
- واشتراك زعماء اليهود من بنى النضير وبنى وائل في المؤامرة، فهُمُ الذين تحركوا وخططوا ؛لتأليب وتجميع كل هذه القبائل ، فلقد شاركوا بالتخطيط والمكر السيء.
- واكتمل الخطر الرهيب بنقض بني قريظة العهد في أخطر مراحل الغزوة.
- وتأكد الخطر بوصف القرآن الكريم للمعركة.

{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}.

دور اليهود في تأليب الأحزاب:

قال ابن إسحاق محدثًا عن شيوخه:

٦٠٧- " إنّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ أَنّ نَفَرًا مِنْ الْيَهُودِ ، مِنْهُمْ سَلّامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النّضْرِيّ ، وَحُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ النّضْرِيّ ، وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النّضْرِيّ ، وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ الْوَائِلِيّ ، وَأَبُو عَمّارٍ الْوَائِلِيّ ، فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي النّضِيرِ وَنَفَرٍ مِنْ بَنِي وَائِلٍ وَهُمْ الّذِينَ حَزّبُوا الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَرَجُوا حَتّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكّةَ، فَدَعَوْهُمْ إلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالُوا : إنّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُ"[1].

وقال الحافظ في الفتح:

٦٠٨- " وَذَكَرَ مُوسَى بْن عُقْبَة فِي الْمَغَازِي قَالَ : "خَرَجَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ بَعْدَ قَتْلِ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى مَكَّةَ يُحَرِّضُ قُرَيْشًا عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَرَجَ كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ يَسْعَى فِي بَنِي غَطَفَانَ وَيَحُضُّهُمْ عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ لَهُمْ نِصْفَ ثَمَرِ خَيْبَرَ ، فَأَجَابَهُ عُيَيْنَةُ بْن حِصْنِ بْن حُذَيْفَةَ بْن بَدْر الْفَزَارِيُّ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبُوا إِلَى حُلَفَائِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَد فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ طَلْحَةُ بْنُ خُوَيْلِد فِيمَنْ أَطَاعَهُ ، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ

١- سيرة ابن هشام (١٥٣/٣).

بِقُرَيْشٍ فَنَزَلُوا بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ، فَجَاءَهُمْ مَنْ أَجَابَهُمْ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مَدَدًا لَهُمْ فَصَارُوا فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، فَهُمْ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى الْأَحْزَابَ".

قريش تسأل اليهود عن دين محمد:

ومن عجب أن المشركين سألوا اليهود في هذه المواقف - باعتبارهم أهل الكتاب الأول- عن دين محمد (صلى الله عليه وسلم)،ودين قريش؛فأخبروهم أن دين قريش خير من دين محمد (صلى الله عليه وسلم).

قالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

٦٠٩- "فَقَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ إنّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوّلِ وَالْعِلْمِ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمّدٌ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ ؟ قَالُوا : بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقّ. فَهُمْ الّذِينَ أَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِيهِمْ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ النّبُوّةَ {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنّمَ سَعِيرًا}."[١].

وفد اليهود إلى غطفان:

قالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

فَلَمّا قَالُوا ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ سَرّهُمْ وَنَشَطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتّعَدُوا لَهُ . ثُمّ خَرَجَ أُولَئِكَ النّفَرُ مِنْ يَهُودَ حَتّى جَاءُوا غَطَفَانَ، مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ، فَدَعَوْهُمْ إلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَخْبَرُوهُمْ أَنّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنّ قُرَيْشًا قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ"[٢].

عدد الجيش المشرك والجيش المسلم:

ذكر ابن إسحاق بأسانيده، أن عدتهم عشرة آلاف، وأن المسلمين ثلاثة آلاف.

خروج قريش وغطفان:

١- المصدر السابق: (١٥٣/١)

٢- المصدر السابق:(١٥٤/١)

٦١٠- "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ ، وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ؛ وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ ، وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، فِي بَنِي فَزَارَةَ - وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فِي بَنِي مُرّةَ - وَمِسْعَرُ بْنُ رُخَيْلَةَ ، فِيمَنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَشْجَعَ."

الخبر يصل إلى النبي(صلى الله عليه وسلم):

قال الواقدي:

٦١١- "فَلَمّا فَصَلَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكّةَ إلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ رَكْبٌ مِنْ خُزَاعَةَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرُوهُ بِفُصُولِ قُرَيْشٍ، فَسَارُوا مِنْ مَكّةَ إلَى الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا"[١].

مشاورة النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم)أصحابه:

كَسُنَّتِهِ دائما في المواقف الهامة التي تهم المسلمين جميعا، فإنه صلى الله عليه وسلم يعمل بالشورى؛ تبيانا لهذه القاعدة الأصيلة في نظام الحكم الإسلامي، وهي التي تستخرج من أصحابه الآراء والاجتهادات؛ فيمكن التوصل إلي أفضل الحلول.

وفي حالة الأحزاب خرجت فكرة عبقرية من سلمان الفارسي ،ربما كانت سببا في نجاة المدينة من هذا الجيش العَرَمْرِم والطوفان الجارف (عشرة آلاف).

قال الواقدي:

٦١٢- "نَدَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَ عَدُوّهِمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ بِالْجِدّ وَالْجِهَادِ وَوَعَدَهُمْ النّصْرَ إنْ هُمْ صَبَرُوا وَاتّقُوا، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَةِ اللّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

وَشَاوَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، *وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ يُكْثِرُ مُشَاوَرَتَهُمْ فِي الْحَرْبِ* ، فَقَالَ: أَنَبْرُزُ لَهُمْ مِنْ الْمَدِينَةِ؟، أَمْ نَكُونُ فِيهَا وَنُخَنْدِقُهَا عَلَيْنَا؟، أَمْ نَكُونُ قَرِيبًا وَنَجْعَلُ ظُهُورَنَا إلَى هَذَا الْجَبَلِ؟ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نَكُونُ مِمّا يَلِي بُعَاثَ إلَى ثَنِيّةِ الْوَدَاعِ إلَى الْجُرْفِ. فَقَالَ قَائِلٌ: نَدْعُ الْمَدِينَةَ خُلُوفًا؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّا إذْ كُنّا بِأَرْضِ فَارِسَ وَتَخَوّفْنَا الْخَيْلَ خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا، فَهَلْ لَك يَا رَسُولَ اللّهِ أَنْ نُخَنْدِقَ؟ فَأَعْجَبَ رَأْيُ سَلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَكَرُوا حِينَ دَعَاهُمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنْ يُقِيمُوا وَلَا يَخْرُجُوا، فَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ الْخُرُوجَ وَأَحَبّوا الثّبَاتَ فِي الْمَدِينَةِ."[٢].

---

[١]- مغازي الواقدي :(١/٤٤٥) المكتبة الشاملة.

[٢]- مغازي الواقدي : (١/٤٤٥) المكتبة الشاملة.

الخطة وتقييم الموقف:

إذن فقد كان تقييم الموقف:أن خروج المسلمين من المدينة لمواجهة جيش المشركين أمر محفوف بالمخاطر الجَمَّة-خصوصًا بعد تجربة أُحُدْ - مع ملاحظة الفارق الكبير بين جيش المشركين في أُحُدْ وجيشهم الآن.

والآن الخطة هي أن يكون ظهر المسلمين إلى جبل سلع والمدينة، والخندق يكون بين المسلمين وبين الجيش القادم من جهة الشمال باعتبار أن الشمال هو الجهة الوحيدة لمجيء الجيش حيث إن حرة واقم (مرتفعات) تمثل حماية طبيعية للمدينة من الشرق، وحرة الوبرة من الغرب، ومنازل بني قريظة والبساتين والزروع من الجنوب ،تعوق دخول قريش من الجنوب.

حفر الخندق:

ابتدأ المسلمون سريعًا في حفر الخندق بين حرة واقم إلى حرة العقبة إلى الشمال من المدينة وإلى الشمال من جبل سلع، ووزع النبي صلى الله عليه وسلم مهام الحفر على القبائل من الأنصار ومن المهاجرين (وتفصيله عند الواقدي) وكان لكل عشرة رجال، أربعون ذراعًا من الخندق. رواه الطبراني بسند حسن عن عمرو بن عوف المزني.

مدة الحفر:

قال الحافظ في الفتح:

"وَعِنْدَ مُوسَى أَنَّهُمْ أَقَامُوا فِي عَمَلِهِ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَعِنْدَ الْوَاقِدِيِّ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ، وَفِي الرَّوْضَةِ لِلنَّوَوِيِّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَفِي الْهَدْيِ لِابْنِ الْقَيِّمِ أَقَامُوا شَهْرًا".

الجوع والبرد والمعجزات في حفر الخندق:

روىالبخاري عن أنس (رضي الله عنه) قال:

٦١٣- "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ:

اللَّهُمّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَة

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا   عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا"[1]

وروىأيضًا :

٦١٤- "عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا[2] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةْ فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ."[3]

قلة الطعام ونوعيته:

روى البخاري:

٦١٥- " عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدَا. قَالَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُجِيبُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةْ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةْ. قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفِّي مِنْ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ[4] تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ، وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ."[5]

حديث جابر ودلالاته:

روى البخاري عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه):

٦١٦- "قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[6] شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا[7] أَهْيَلَ[8] أَوْ أَهْيَمَ.

---

[1]- البخاري(٣٧٩٠) ترقيم العالمية.

[2]- البخاري (٣٧٨٩) ترقيم العالمية .

[3]- جمع كتد: وهو ما بين الكاهل إلى الظهر وفي رواية على متونهم، وفي أخرى على أكبادنا.

[4]- بإهالة سنخة: يصنع الشعير بإهالة من دهن أو زيت أو شحم أو سمن   سنخة: تغير ريحها من قدمها.

[5]- البخاري(٣٧٩١) ترقيم العالمية.

[6]- كدية: قطعة صُلبة صماء.

[7]- كثيبا: رمْلًا

[8]- أهيل أو أهيم: أي صار رملا يسيل ولا يتماسك.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ،[1] فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ. ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ[2] وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ[3] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: كَمْ هُوَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ. قَالَ: قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّور[4] حَتَّى آتِيَ.

فَقَالَ: قُومُوا. فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ: ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ[5] وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ،[6] فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ".

من دلالات الحديث:

- قلة الزاد حتى إن الناس يحفرون ويعملون في البرد ثلاثة أيام لا يذوقون طعامًا.
- معجزات النبي(صلى الله عليه وسلم) التي كثيرًا ما يؤيده الله تعالى بها، خصوصًا في المواقف الصعبة، عندما يعجز البشر وتنقطع الأسباب.

زيادات من شرح ابن حجر:

قال الحافظ:

٦١٧- " وَوَقَعَ عِنْد أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ زِيَادَة بِإِسْنَادٍ حَسَن مِنْ حَدِيث الْبَرَاء بْن عَازِب قَالَ:

---

[1]– عناق: أنثى الماعز.

[2]– أي: لان ورطب وتمكن منه الخمير

[3]– البرمة: هي قدر اللحم، والأثافي: ثلاثة أحجار،توضع عليها البرمة وتوقد بينهما النيران .

[4]– التنور: الفرن الذي ينضج فيه الخبز.

[5]– أي :يغطيها.

[6]– ثم ينزع: أي يأخذ اللحم من البرمة.

"لَمَّا كَانَ حِين أَمَرَنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةٌ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّه ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا ، وَقَالَ:

اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيت مَفَاتِيحَ الشَّامِ ، وَاَللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ.

ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ الثُّلُثَ الْآخَرَ فَقَالَ :

اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيت مَفَاتِيحَ فَارِسٍ ، وَاَللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ أَبْيَضَ.

ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ؛ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ:

اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيت مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ ، وَاَللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السَّاعَةَ"[١].

دلالة:

إنها المبشرات يبشر بها النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه في المواقف الصعبة ،وكان هذا منه(صلى الله عليه وسلم) سنَّة متكررة.

وهي تدل صدق الرسول (صلى الله عليه وسلم)وصدق نبوءاته، فلقد تحقق كل ما بشَّر به النبي (صلى الله عليه وسلم).

رواية أخرى عند البخاري لحديث جابر:

٦١٨- " قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا[٢] شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ مَعَهُ.

فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ

١- فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم ؟"(٣٧٩٢)

٢- هو خموص البطن.

صَنَعَ سُورًا[1] فَحَيَّ هَلًا[2] بِهَلّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ.

فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ: ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ[3] كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ[4]".

البركة في حفنة من تمر !!!

٦١٩- قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

"وَحَدّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَا أَنّهُ حُدّثَ أَنّ ابْنَةً لِبَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ أُخْتِ النّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَتْ:

دَعَتْنِي أُمّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمّ قَالَتْ أَيْ بُنَيّةُ، اذْهَبِي إلَى أَبِيك وَخَالِك عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا. قَالَتْ فَأَخَذْتهَا ، فَانْطَلَقْت بِهَا، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي ، فَقَالَ: تَعَالَيْ يَا بُنَيّةُ مَا هَذَا مَعَك؟ قَالَتْ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا تَمْرٌ بَعَثَتْنِي بِهِ أُمّي إلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، وَخَالِي عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدّيَانِهِ، قَالَ: هَاتِيهِ.

قَالَتْ: فَصَبَبْته فِي كَفّيْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَمَا مَلَأَتْهُمَا، ثُمّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ ثُمّ دَحَا بِالتّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدّدَ فَوْقَ الثّوْبِ، ثُمّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: أُصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ: أَنْ هَلُمّ إلَى الْغَدَاءِ. فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَجَعَلَ يَزِيدُ حَتّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ وَإِنّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثّوْبِ."[5].

وصول جيش المشركين:

---

[1]– سور: وليمة بالفارسية وقيل غير ذلك.

[2]– أي هلموا مسرعين.

[3]– أي تغلي وتفور.

[4]– رواه البخاري برقم (٣٧٩٣) ترقيم العالمية .

[5]– سيرة ابن هشام (٣/١٥٦) وأخرجه البيهقي (الدلائل) (٣/٤٢٧) وابن سيد الناس في (عيون الأثر) (٢/٨٧) قال ابن كثير في التاريخ (٤/٩٩) رواه ابن إسحاق هكذا ،وفيه انقطاع.

٦٢٠- قالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْخَنْدَقِ ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ، بَيْنَ الْجُرُفِ وَزَغَابَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ من أحابيشهم ومن تبعهم من بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، حَتّى نَزَلُوا بِذَنَبِ نَقْمَى ، إلَى جَانِبِ أُحُدٍ . وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمُونَ حَتّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إلَى سَلْعٍ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ."[١]

تعقيب:

الراجح أن عدد الجيش القرشي كان أربعة آلاف، وجيش غطفان ستة آلاف، فيكون المجموع عشرة آلاف من الجيشين.

مدة الحصار:

قالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

٦٢١- "فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعًا وعشرين ليلة قريبا من شهر".

لم يكن بين الفريقين حرب:

٦٢٢- قالَ ابنُ إِسْحَاقَ: لم تكن بينهم حرب إلا الرَّمي بالنبل والحصار."

حراسة الخندق:

قضى المسلمون -قرابة شهر- في عمل متواصل لحفر الخندق ، فيه البرد والجوع والجهد، ثم جاء الجيش المشرك بقضه وقضيضه، وكان على المسلمين أن يحرسوا الخندق؛ حتى لا تقتحمه خيل قريش أو يفكر المشركون في ردم جزء منه وعبوره.

صدُّ محاولة للاقتحام:

لاشك أن مثل هذه الفكرة لابد أن تخطر على بال بعض فرسان قريش؛ لإيجاد حلٍّ لمعضلة الخندق.

١- سيرة ابن هشام (١٥٧/٣)

كان من هؤلاء الفرسان : عكرمة بن أبي جهل ،وعمرو بن عبد وُدٍّ، وكان عمرو هذا من أشهر فرسان قريش.

٦٢٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فأقام رسول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوّهُمْ مُحَاصِرُوهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إلّا أَنّ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيّانِ وَضِرَارُ بْنُ الْخَطّابِ الشّاعِرُ بْنُ مِرْدَاسٍ ، تَلَبّسُوا لِلْقِتَالِ ثُمّ خَرَجُوا عَلَى خَيْلِهِمْ حَتّى مَرّوا بِمَنَازِلِ بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالُوا : تَهَيّئُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ الْفُرْسَانُ الْيَوْمَ. ثُمّ أَقْبَلُوا تُعْنِقُ بِهِمْ خَيْلُهُمْ حَتّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ، فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: وَاَللّهِ إنّ هَذِهِ لَمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ تَيَمّمُوا مَكَانًا ضَيّقًا مِنْ الْخَنْدَقِ ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السّبْخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتّى أَخَذُوا عَلَيْهِمْ الثّغْرَةَ الّتِي أَقْحَمُوا مِنْهَا خَيْلَهُمْ.

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ قَدْ قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَلَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا لِيُرِيَ مَكَانَهُ، فَلَمّا وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ قَالَ مَنْ يُبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمْرُو، إنّك قَدْ كُنْت عَاهَدْت اللّهَ أَلّا يَدْعُوك رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى إحْدَى خَلّتَيْنِ إلّا أَخَذْتَهَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ: أَجَلْ.

قَالَ لَهُ عَلِيّ: فَإِنّي أَدْعُوك إلَى اللّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ قَالَ: فَإِنّي أَدْعُوك إلَى النّزَالِ، فَقَالَ لَهُ: لِمَ يَا ابْنَ أَخِي؟ فَوَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنْ أَقْتُلَك، قَالَ لَهُ عَلِيّ: لَكِنّي وَاَللّهِ أُحِبّ أَنْ أَقْتُلَك ؛ فَحَمِيَ عَمْرٌو عِنْدَ ذَلِكَ فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ وَضَرَبَ وَجْهَهُ ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيّ فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ . وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مُنْهَزِمَةً حَتّى اقْتَحَمَتْ مِنْ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً."[1].

---

[1]- سيرة ابن هشام (٣/١٦٠-١٦١) ذكره ابن إسحاق بدون ذكر سند فلعله اكتفى بالسند الذي ذكره في أول الغزوة عن جمع من شيوخه.

المنافقون يتسللون ،والمؤمنون يستأذنون:

٦٢٤- قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ: "وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ وَجَعَلُوا يُوَرّونَ بِالضّعِيفِ مِنْ الْعَمَلِ وَيَتَسَلّلُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا إذْنٍ. وَجَعَلَ الرّجُلُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إذَا نَابَتْهُ النّائِبَةُ مِنْ الْحَاجَةِ الّتِي لَا بُدّ لَهُ مِنْهَا، يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللّحُوقِ بِحَاجَتِهِ، فَيَأْذَنُ لَهُ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاحْتِسَابًا لَهُ.

فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِي أُولَئِكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ:

{إنّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّى يَسْتَأْذِنُوهُ إنّ الّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّهَ إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ كَانَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِسْبَةِ وَالرّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ وَالطّاعَةِ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

ثُمّ قَالَ تَعَالَى ، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الّذِينَ كَانُوا يَتَسَلّلُونَ مِنْ الْعَمَلِ وَيَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إذْنٍ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}."[١]

تأخير الصلاة في غزوة الخندق:

روى الشيخان:

٦٢٥- "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ جَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا فَنَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

١- سيرة ابن هشام (١٥٤/٣) والبيهقي في الدلائل (٤٠٩/٣) والقرطبي في تفسيره (٣١٩/١٢) عن دار الحديث.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُطْحَانَ فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ"[١].

<u>قال الحافظ في الفتح:</u>

"فَإِنْ قِيلَ : الظَّاهِر أَنَّ عُمَر كَانَ مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْف اِخْتَصَّ بِأَنْ أَدْرَكَ صَلَاة الْعَصْر قَبْلَ غُرُوب الشَّمْس بِخِلَافِ بَقِيَّة الصَّحَابَة ، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ؟ فَالْجَوَاب: أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُون الشُّغْلُ وَقَعَ بِالْمُشْرِكِينَ إِلَى قُرْبِ غُرُوب الشَّمْس ، وَكَانَ عُمَر حِينَئِذٍ مُتَوَضِّئًا فَبَادَرَ فَأَوْقَعَ الصَّلَاة، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ فِي الْحَال الَّتِي كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا قَدْ شَرَعَ يَتَهَيَّأ لِلصَّلَاةِ، وَلِهَذَا قَامَ عِنْدَ الْإِخْبَار هُوَ وَأَصْحَابُه إِلَى الْوُضُوء. وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي سَبَب تَأْخِير النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاة ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ نِسْيَانًا ، وَاسْتَبْعَدَ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ مِنْ الْجَمِيع.

وَقِيلَ كَانَ عَمْدًا لِكَوْنِهِمْ شَغَلُوهُ فَلَمْ يُمَكِّنُوهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَقْرَب ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ وَقَعَ عِنْدَ أَحْمَد وَالنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُنْزِلَ اللَّه فِي صَلَاة الْخَوْف {فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا} وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي هَذَا الْحُكْم هَلْ نُسِخَ أَمْ لَا كَمَا سَيَأْتِي فِي كِتَاب صَلَاة الْخَوْف إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى .

قَوْله : (بُطْحَانَ) بِضَمّ أَوَّلِهِ وَسُكُونِ ثَانِيه : وَادٍ بِالْمَدِينَةِ

قَوْله : (فَصَلَّى الْعَصْر) وَقَعَ فِي الْمُوَطَّأ مِنْ طَرِيق أُخْرَى أَنَّ الَّذِي فَاتَهُمْ الظُّهْر وَالْعَصْر ، وَفِي حَدِيث أَبِي سَعِيد الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ الظُّهْر وَالْعَصْر وَالْمَغْرِب ، وَأَنَّهُمْ صَلَّوْا بَعْدَ هَوِيٍّ مِنْ اللَّيْل.

وَفِي حَدِيث اِبْن مَسْعُود عِنْدَ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيِّ "أَنَّ الْمُشْرِكِينَ شَغَلُوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَرْبَع صَلَوَات يَوْمَ الْخَنْدَق حَتَّى ذَهَبَ مِنْ اللَّيْل مَا شَاءَ اللَّه.

وَفِي قَوْله "أَرْبَعٍ" تَجَوُّزٌ لِأَنَّ الْعِشَاء لَمْ تَكُنْ فَاتَتْ. قَالَ الْيَعْمُرِيُّ : مِنْ النَّاس مَنْ رَجَّحَ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَصَرَّحَ بِذَلِكَ اِبْن الْعَرَبِيّ فَقَالَ: إِنَّ الصَّحِيح أَنَّ الصَّلَاة الَّتِي شُغِلَ عَنْهَا وَاحِدَة وَهِيَ الْعَصْر. قُلْت: وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث عَلِيّ فِي مُسْلِم "شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاة الْوُسْطَى صَلَاة الْعَصْر".

---

[١]- البخاري (٣٨٠٣) ومسلم (١٠٠٠) العالمية ، قوله ما كدت أصلي العصرصلى،معناه :أنه صلى العصر قرب غروب الشمس.

قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ بِأَنَّ الْخَنْدَقَ كَانَتْ وَقْعَتُهُ أَيَّامًا فَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّام، قَالَ: وَهَذَا أَوْلَى."[1].

ورِوى البخاري:

٦٢٦- "عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ."[2].

مؤمراة اليهود الكبرى في غزوة الأحزاب:

لا يصبر اليهود على الوفاء بالعهود طويلًا،

وإن عاهدوا وسكتوا؛ فإنهم يضمرون الغدر وينتظرون اللحظة المناسبة ،عاهدوا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ضعف .لا عن رغبة في العيش في سلام.

عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، وهم يكرهونه ويكرهون ما جاء به (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله!!!)، والغدر في اليهود صفة أصيلة ، شاءت حكمة الله عز وجل أن تبرز في السيرة النبوية مرة واثنتين وثلاثة وأكثر؛ حتى لا يكون للمسلمين معهم عهد -ولا أمان بعد ذلك-إلا وهم يعرفون فيهم هذه الصفة، فيكونون على أعلى درجة من الحذر واليقظة.

لم تعتبر قريظة مما حدث لبني قينقاع وبني النضير، لكنهم تصوروا في هذه المرة أنها الفرصة الكبرى للقضاء التام على المسلمين .

حُيَيّ بن أخطب يتولى كِبْرَ المؤامرة:

قالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

٦٢٧- "وَخَرَجَ عَدُوّ اللّهِ حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ النّضْرِيّ ، حَتّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدٍ الْقُرَظِيّ صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى قَوْمِهِ وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ، فَلَمّا سَمِعَ كَعْبٌ بِحُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ أَغْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ.

فَنَادَاهُ حُيَيّ: وَيْحَك يَا كَعْبُ افْتَحْ لِي؛ قَالَ: وَيْحك يَا حُيَيّ إنّك امْرُؤٌ مَشْئُومٌ وَإِنّي قَدْ عَاهَدْت مُحَمّدًا ، فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَمْ أَرَ مِنْهُ إلّا وَفَاءً وَصِدْقًا؛ قَالَ وَيْحَك افْتَحْ لِي أُكَلّمْك

[1]- من شرح حديث (٥٧١) من كتاب مواقيت الصلاة . فتح الباري.

[2]- البخاري (٢٧١٤) ترقيم العالمية.

؛ قَـالَ مَـا أَنَـا بِفَاعِـلٍ، قَـالَ: وَاَللّهِ إنْ أَغْلَقْـت دُونِـي إلّا عَـنْ جَشِيشَـتِك[1] أنْ آكـلَ معـك منهـا فأحْفَظَ[2] الرَّجُلَ، فَفَتَحَ لهُ.

فَقَالَ وَيْحَك يَا كَعْبُ جِئْتُك بِعِزّ الدّهْرِ وَبِبَحْرٍ طَامّ[3] جِئْتُك بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، حَتّى أَنْزَلْتهمْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ ، وَبِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتّى أَنْزَلْتُهُمْ بِذَنَبِ نَقْمَى إلَى جَانِبِ أُحُدٍ ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمّدًا وَمَنْ مَعَهُ . قَالَ فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ جِئْتنِي وَاَللّهِ بِذُلّ الدّهْرِ وَبِجَهَامٍ قَدْ هَرَاقَ مَاءَهُ فَهُوَ يَرْعَدُ وَيَبْرُقُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيْحَك يَا حُيَيّ فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ فَإِنّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمّدٍ إلّا صِدْقًا وَوَفَاءً.

فَلَمْ يَزَلْ حُيَيّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ فِي الذّرْوَةِ وَالْغَارِبِ[4] حَتّى سَمَحَ لَهُ عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا وَمِيثَاقًا: لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمّدًا أَنْ أَدْخُلَ مَعَك فِي حِصْنِك حَتّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَك. فَنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ وَبَرِئَ مِمّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ[5]"

<u>استطلاع الخبر:</u>

<u>قالَ ابنُ إسْحَاقَ:</u>

" فَلَمّا انْتَهَى إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْخَبَرُ وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذِ بْنِ النّعْمَانِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيّدُ الْأَوْسِ ، وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيّدُ الْخَزْرَجِ وَمَعَهُمَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَخَوّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتّى تَنْظُرُوا ، أَحَقّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ حَقّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ وَلَا تَفُتّوا فِي أَعْضَادِ النّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنّاسِ.

قَالَ فَخَرَجُوا حَتّى أَتَوْهُمْ فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ (فِيمَا) نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللّهِ ؟ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمّدٍ وَلَا عَقْدَ. فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاتَمُوهُ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدّةٌ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : دَعْ عَنْك مُشَاتَمَتَهُمْ

---

[1] – طعام من البر (القمح) يطحن غليظا.

[2] – أحفظه: أحرجه لما اتهمه بالبخل.

[3] – طامّ: مرتفع الأمواج . يقصد جاءه بجيش كثير العدد من قريش.

[4] – مثل يضرب على استمرار المخادعة والمحاولة في اقناعة.

[5] – سيرة ابن هشام (١٥٧/٣–١٥٨) وإسناده مرسل صحيح . دار الحديث.

فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنْ الْمُشَاتَمَةِ. ثُمّ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَسَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُمَا ، إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَلّمُوا عَلَيْهِ ثُمّ قَالُوا : عَضَلٌ وَالْقَارّةُ ؛ أَيْ كَغَدْرِ عَضَلٍ وَالْقَارّةِ بِأَصْحَابِ الرّجِيعِ، خُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: اللّهُ أَكْبَرُ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ."[١] .

المنافقون يُرْجِفُون في المدينة:

٦٢٨- قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

وَعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ وَاشْتَدّ الْخَوْفُ وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ حَتّى ظَنّ الْمُؤْمِنُونَ كُلّ ظَنّ وَنَجَمَ النّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ حَتّى قَالَ مُعَتّبُ بْنُ قُشَيْرٍ[٢]: كَانَ مُحَمّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إلَى الْغَائِطِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَخْبَرَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ مُعَتّبَ بْنَ قُشَيْرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْمُنَافِقِينَ وَاحْتَجّ بِأَنّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَتّى قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيّ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ مِنْ الْعَدُوّ وَذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إلَى دَارِنَا، فَإِنّهَا خَارِجٌ مِنْ الْمَدِينَةِ[٣]".

تقييم الموقف العام والعسكري:

١- وصلت الأمور إلى أقصى درجات التأزم والخطر:

- جيش المشركين كبير العدد جدًا.
- المسلمون في حالة شدة، يعانون من الإجهاد والإرهاق المتواصل، فقد قضوا قرابة شهر في حفر الخندق، وأكثر من عشرين يومًا في حراسته، مع شدة البرد وقلة الطعام.
- وغدر قريظة ضاعف من البلاء، فلقد أصبح الخطر من الشمال ومن الجنوب، والمسلمون أصبحوا مطالبين بحراسة الخندق في مواجهة قريش

---

١ – سيرة ابن هشام (٣/١٥٨–١٥٩) الإسناد السابق.

٢ – قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٤٢٩٩) معتب بن بشير ويقال بن (قشير) بن مليل الأنصاري شهد بدرًا وأحد، وكان قد شهد العقبة، يقال إنه الذي قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا . عن دار الحديث.

٣ – سيرة ابن هشام (٣/١٥٩).

وغطفان، وفي نفس الوقت، حراسة الحصون في المدينة حيث النساء والأطفال، في مواجهة يهود بني قريظة .

٢- غدر بني قريظة ومؤامرتهم لو نجحت يمكن أن تؤدي إلى استئصال الشأفة، وإبادة خضراء المسلمين، وهذا له حساباته حينما نذكر فيما بعد العقاب الذي أوقعه الرسول (صلى الله عليه وسلم)ببني قريظة.

٣- كان على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يبحث عن حل استثنائي وغير نمطي للخروج من الأزمة.

خطر اليهود على الحصون:

٦٢٩- " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ عَبّادٍ قَالَ: كَانَتْ صَفِيّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ فِي فَارِعٍ، حِصْنُ حَسّانِ بْنِ ثَابِتٍ؛ قَالَتْ: وَكَانَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَنَا فِيهِ مَعَ النّسَاءِ وَالصّبْيَانِ. قَالَتْ صَفِيّةُ: فَمَرّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنّا، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوّهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إلَيْنَا إنْ أَتَانَا آتٍ.

قَالَتْ فَقُلْت: يَا حَسّانُ إنّ هَذَا الْيَهُودِيّ كَمَا تَرَى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ وَإِنّي وَاَللّهِ مَا آمنه أَنْ يَدُلّ عَلَى عَوْرَتِنَا مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ يَهُودَ، وَقَدْ شُغِلَ عَنّا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَصْحَابُهُ فَانْزِلْ إلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: يَغْفِرُ اللّهُ لَك يَا بنة عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَاَللّهِ لَقَدْ عَرَفْتِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا.

قَالَتْ فَلَمّا قَالَ لِي ذَلِكَ وَلَمْ أَرَ عِنْدَهُ شَيْئًا ، احْتَجَزْتُ ثُمّ أَخَذْتُ عَمُودًا ، ثُمّ نَزَلْتُ مِنْ الْحِصْنِ إلَيْهِ فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتّى قَتَلْتُه. قَالَتْ: فَلَمّا فَرَغْت مِنْهُ رَجَعْتُ إلَى الْحِصْنِ فَقُلْت: يَا حَسّانُ انْزِلْ إلَيْهِ فَاسْلُبْهُ فَإِنّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلَبِهِ إلّا أَنّهُ رَجُلٌ، قَالَ مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَةٍ يَا بْنَة عَبْدِ الْمُطّلِبِ."[١].

[١] – سيرة ابن هشام (١٩٣/٣) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥١/٤) وقال صحيح على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي بقوله عروة لم يدرك صفية. وقال السهيلي في الروض الأنف (٢٨١/٣) محمل هذا الحديث عند الناس أن حسان كان جبانا شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ـ قال: لوصح هذا لهُجي به حسان فإنه كان

استعداد الرسول (صلى الله عليه وسلم) للتنازل:

يتعجب المرء حينما يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم فاوض قبيلة غطفان، على أن يعطيها ثلث ثمار المدينة؛ حتى ترجع وتخلي بينه وبين قريش وبين بني قريظة، هكذا يمكن أن تُلْجِئَ الظروف القائد حتى يدفع ضررًا أكبر بضرر أصغر، وهذا من فقه الموازنات التي كثيرًا ما يحتاجها القادة السياسيون والعسكريون ، لأن أحدًا لا يستطيع أن يحقق كل ما يتمنى، وهذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم درس نادر يجب أن يستوعبه المسلمون جيدًا، وخصوصًا في أوقات تجمع الأعداء عليهم، فالحرب ليست شجاعة فقط، وهجومًا ودفاعًا في ساحة القتال فقط، وإنما تحتاج للحكمة وسعة الأفق وحُسْن تدبير الأمور.

قال ابن إسحاق:

٦٣٠- " فَلَمّا اشْتَدّ عَلَى النّاسِ الْبَلَاءُ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، إلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرّيّ ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصّلْحُ حَتّى كَتَبُوا الْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعْ الشّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصّلْحِ إلّا الْمُرَاوَضَةُ فِي ذَلِكَ.

فَلَمّا أَرَادَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا ، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ فَقَالَا لَهُ يَا رَسُولَ اللّهِ أَمْرًا تُحِبّهُ فَنَصْنَعُهُ أَمْ شَيْئًا أَمَرَك اللّهُ بِهِ لَا بُدّ لَنَا مِنْ الْعَمَلِ بِهِ أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاَللّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إلّا لِأَنّنِي رَأَيْت الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلّ جَانِبٍ فَأَرَدْت أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إلَى أَمْرٍ مَا.

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ كُنّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشّرْكِ بِاَللّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إلّا قِرًى أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزّنَا بِك وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟ (وَاَللّهِ) مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ وَاَللّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إلّا السّيْفَ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

يهاجي الشعراء، فما عيره أحد بجبن فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا بعلة منعته من شهود القتال. عن دار الحديث باختصار.

فَأَنْتَ وَذَاكَ . فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنْ الْكِتَابِ ثُمّ قَالَ لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا"[1].

العناية الإلهية:

هذا درس دائم للمؤمنين، إذا اشتد البلاء، واستفرغ المسلمون الوسع والطاقة، ولم يعد في عالم الأسباب متسع، فإن رحمة الله تَسَعُ كل شيء، والعناية الإلهية تتدخل، وما يعلم جنود ربك إلا هو:

إسلام نُعَيْم بن مسعود ، وتفريقه بين الأحزاب:

٦٣١-قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ إنّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ .... بْنِ .... بْنِ غَطَفَانَ ، أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي قَدْ أَسْلَمْت ، وَإِنّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْت؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذّلْ عَنّا إنْ اسْتَطَعْت، فَإِنّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ.

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيّةِ فَقَالَ يَا بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي إيّاكُمْ وَخَاصّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَالُوا: صَدَقْت، لَسْت عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحَوّلُوا مِنْهُ إلَى غَيْرِهِ، وَإِنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِه، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلّوْا بَيْنَكُمْ وبينَ الرَّجلِ ببلدِكُمْ، ولا طاقَةَ لكُمْ بِهِ إنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ. يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُنَاجِزُوهُ. فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمّدًا، وَإِنّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيّ حَقًّا أَنْ أُبْلِغَكُمُوهُ نُصْحًا لَكُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي؛ فَقَالُوا: نَفْعَلُ. قَالَ: تَعْلَمُون أَنّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إلَيْهِ: إنّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيك أَنْ نَأْخُذَ لَك مِنْ

---

[1] – سيرة ابن هشام (١٥٩/٣) وذكره ابن كثير في تاريخه (١٠٥/٤) من طريق ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل (٤٣/٣) إسناده مرسل . عن دار الحديث.

الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمّ نَكُونُ مَعَك عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ أَنْ نَعَمْ. فَإِنْ بَعَثَتْ إلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إنّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبّ النّاسِ إلَيّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتّهِمُونِي ؛ قَالُوا : صَدَقْت ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ، قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنّي؛ قَالُوا: نَفْعَلُ فَمَا أَمْرُك؟، ثُمّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذّرَهُمْ مَا حَذّرَهُمْ .

فَلَمّا كَانَتْ لَيْلَةُ السّبْتِ مِنْ شَوّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللّهِ لِرَسُولِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَرُءُوسُ غَطَفَانَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ ، فَقَالُوا لَهُمْ إنّا لَسْنَا بِدَارِ مُقَامٍ ، قَدْ هَلَكَ الْخُفّ وَالْحَافِرُ[1] فَاغْدُوا لِلْقِتَالِ حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، وَنَفْرُغَ مِمّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ.

فَأَرْسَلُوا إلَيْهِمْ إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ وَهُوَ (يَوْمٌ) لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِاَلّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثِقَةً لَنَا حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، فَإِنّا نَخْشَى إنْ ضَرّسَتْكُمْ الْحَرْبُ وَاشْتَدّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمِرُوا إلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرُكُونَا ، وَالرّجُلَ فِي بَلَدِنَا ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

فلمَّا رَجَعَتْ إليهمُ الرُّسُلُ بمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَاَللّهِ إنّ الّذِي حَدّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ ، فَأَرْسِلُوا بَنِي قُرَيْظَةَ إنّا وَاَللّهِ لَا نَدْفَعُ إلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا ؛ فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، حِينَ انْتَهَتْ الرّسُلُ إلَيْهِمْ بِهَذَا: إنّ الّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ، مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إلّا أَنْ يُقَاتِلُوا ، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمَرُوا إلَى بِلَادِهِمْ، وَخَلّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ فَأَرْسِلُوا إلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إنّا وَاَللّهِ لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُعْطُونَا رَهْنًا ؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذّلَ اللّهُ بَيْنَهُمْ"[2]

---

١ – الخف: يعني الإبل ، الحافر يعني الخيل.

٢ – هكذا ذكره ابن إسحاق بدون إسناد. ولعله الإسناد عن شيوخه الذين ذكرهم في أول الغزوة .

دلالات:

١- هل يتصور المرء أن رجلًا حديث الإسلام يمكن أن يقوم بهذا العمل الضخم لفض التحالف الشيطاني بين اليهود والمشركين؟ نعم يحدث هذا بتوفيق الله أولًا، ثم بعمل إبداعي من بعض الأفراد.

٢- وهذا العمل يأخذنا إلى تسليط الضوء على العمل الفردي ودور أصحاب الكفاءات الفذة، إذا أمكن توظيف كفاءاتهم من خلال منظومة العمل.

٣- صحيح أن المسلمين في عالم اليوم يحتاجون إلى دور المؤسسات في المجتمع، وأن يتحرروا من سطوة الفرد الحاكم ، لكن هذا لا يُغْنِي أبدًا عن دور الفرد:

- فهناك علماء يحصلون على جوائز (نوبل) لتميزهم .
- وهناك أبطال في الحروب الحديثة يحصلون على أنواط الشجاعة .
- وقل مثل ذلك في كل مجالات الحياة ،كما أننا إذا راجعنا سير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سنجد هذا الدور الفردي وأهميته من خلال الجماعة.
- لا ينكر أحد دور أبي بكر رضي الله عنه في تثبيت المؤمنين بعد وفاة الكريم صلى الله عليه وسلم، ودوره في حرب المرتدين ، وجمع القرآن الكريم ، وبدء فتوحات فارس والروم.
- ودور عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تأسيس معالم الدولة الإسلامية، وفي كل إبداعاته أو ما يسميه العلماء (أَوَّلِيَّاتْ عمر).
- ودور خالد بن الوليد رضي الله عنه في المعارك الحربية.
- ودور حمزة رضي الله عنه في المرحلة المكية، وفي بدر.
- ودور مصعب بن عمير سفيرًا إلى المدينة قبيل الهجرة .. وهكذا الأمثلة لا تنتهي.

الريح العاتية حسمت المعركة:

وهي من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، وهو سبحانه يُسَخِّرُ الرياح والأمطار والصواعق والزلازل والشمس والقمر والليل والنهار، يُسَخِّرُها لعباده المخلصين المجتهدين.

روى البخاري عن مجاهد:

٦٣٢-" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ"[١].

ذكر ابن حجر ما يفيد أن الصَّبَا كانت في الأحزاب، وأنها كانت نصرًا للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن إهلاكًا لقومه قال الحافظ:

"وَلَمَّا عَلِمَ اللَّه رَأْفَة نَبِيّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمِهِ رَجَاء أَنْ يُسْلِمُوا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ الصَّبَا فَكَانَتْ سَبَب رَحِيلهمْ عَنْ الْمُسْلِمِينَ لِمَا أَصَابَهُمْ بِسَبَبِهَا مِنْ الشِّدَّة ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تُهْلِك مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَمْ تَسْتَأْصِلهُمْ."[٢]

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٣٣- " وَبَعَثَ اللّهُ عَلَيْهِمْ الرّيحَ فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتَهُمْ "[٣]

وفي حديث حذيفة الذي سيأتي قال:

٦٣٤- " قَالَ فَذَهَبْت فَدَخَلْت فِي الْقَوْمِ وَالرّيحُ وَجُنُودُ اللّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ لَا تُقِرّ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً"[٤].

دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الأحزاب:

روى البخاري:

---

١ – البخاري (٣٧٩٦) ترقيم العالمية.

٢ – فتح الباري شرح الحديث السابق.

٣ – سيرة ابن هشام (٣/١٦٥)

٤ – المصدر السابق وسيأتي مفصلًا.

٦٣٥- "عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اللَّهُمَّ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ"[١].

وقال الواقدي في المغازي:

٦٣٦- " وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى يُحَدّثُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - دَعَا عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ اللّهُمّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمْ الْأَحْزَابَ اللّهُمّ اهْزِمْهُمْ.

فَحَدّثَنِي كُثَيّرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ:

دَعَا رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - عَلَى الْأَحْزَابِ فِي مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ بَيْنَ الظّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ. قَالَ فَعَرَفْنَا السّرُورَ فِي وَجْهِهِ.

قَالَ جَابِرٌ: فَمَا نَزَلَ بِي أَمْرٌ غَائِظٌ مُهِمّ إلّا تَحَيّنْت تِلْكَ السّاعَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَدْعُو اللّهَ فَأَعْرِفُ الْإِجَابَةَ."[٢].

نهاية الغزوة:

حديث حذيفة، ودلالاته الر ائعة:

روى الإمام أحمد من طريق محمد بن إسحاق (والرواية بنصها أيضًا في سيرة ابن هشام):

٦٣٧- " عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي. قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ قَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا.

قَالَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ اللَّيْلِ هَوِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ

---

١ – البخاري (٢٧١٦) ترقيم العالمية.

٢ – أقول : يضعف أهل الحديث روايات الواقدي لكننا نلحظ أن الجزء الأول من روايته متفق مع رواية البخاري.

فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَرْجِعُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَمَا قَامَ رَجُلٌ ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَوِيًّا مِنْ اللَّيْلِ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ.

فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنْ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي. فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا. قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لَا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرٌ وَلَا نَارٌ وَلَا بِنَاءٌ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ بَلَغَنَا مِنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللَّهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ، قَالَ حُذَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ[1] لِبَعْضِ نِسَائِهِ مُرَحَّلٍ[2] فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ. فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ وَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ[3]".

<u>رواية الإمام مسلم:</u>

---

١ – كساء .

٢ – مراجل: نوع من وشي اليمن

٣ – رواه أحمد برقم (٢٢٢٤٤) ترقيم العالمية، وهو في سيرة ابن هشام (١٦٥/٣) وإسناده صحيح وله شاهد فى رواية عند مسلم في كتاب الجهاد غزوة الأحزاب ، وأخرجه الحاكم (٣١/٣) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

٦٣٨- عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَال:كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ.

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ[١] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ.

فَقَالَ:: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ[٢].

فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ، حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ[٣] بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا[٤] فِي كَبِدِ الْقَوْسِ[٥] فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ. وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ[٦] فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ قُمْ يَا نَوْمَانُ[٧]" [٨].

دلالات وعظات:

١) فتى من أهل الكوفة يظهر حبه للنبي صلى الله عليه وسلم مُسْتَقِلًا عمل الصحابة ، ويتصور أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى في حمله على الأعناق، فَيُعَلِّمُه

---

١ – قُر: بضم القاف: البرق

٢ – لا تفزعهم عليّ ولا تحركهم عليّ.

٣ – أي ذهب عنه البرد وأحس بدفء الحمام.

٤ – يدفئ ظهره.

٥ – كبد القوس: مقبضها ، وكبد كل شيء: وسطه.

٦ – قررت: بردت.

٧ – كثير النوم.

٨ – رواه مسلم برقم (٣٣٤٣) ترقيم العالمية.

سيدنا حذيفة الدرس، وأنهم تحملوا في سبيل الله والإسلام وحب الرسول صلى الله عليه وسلم ألوانًا من الجهاد، والجوع، والبرد والخوف، تفوق ما يتصوره الفتى التابعي من أهل الكوفة.

٢) <u>درس في القيادة:</u>

مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا دروسا في القيادة لا يفهمها من القادة إلا القليل.

١- الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكثر من إعطاء الأوامر .رغم علمه باستعداد الصحابة للسمع والطاعة ومبايعتهم له على ذلك.

٢- يترك الرسول صلى الله عليه وسلم الخيار أولًا، لمن ينتدب نفسه للمهمه ويرى نفسه قادرًا ومتحمسًا على أدائها.

٣- الرسول صلى الله عليه وسلم يتبع أسلوب الترغيب لدفع الناس إلى التضحية والعمل، فَيُذَكِّرْ بالجنة وأن من يعمل هذا العمل " أدخله الله الجنة" وفي رواية مسلم "جعله الله معي يوم القيامة"

٤- وبرغم كل هذا لم يستجب أحد لهذا الترغيب وهذه الجائزة، وهؤلاء هم صفوة الخلق بعد الرسل "فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد".

نتعجب نعم!! ، لكن هذه هي البشرية ، إن عطاء الصحابة سيظل نبراسًا في مجموعه ، غير قابل للتكرار وجهادهم في الميادين كلها العبادية ، والأخلاقية ، والمعاملاتية، وفي الحروب، قد فاق كل عطاء البشر، ولكن: للبشرية حدود، وللبشر طاقة ، فلا عجب أن تكون القدرات البشرية في تلك الحالة قد بلغت أقصاها، لذا احتاج الأمر إلى معجزة، ففي رواية مسلم "فلما وليت من عنده ،جعلت كأنما أمشي في الحمام"، وفي آخر الرواية "فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام"، (أي:الدفء) ، "فلما أتيتُه فأخبرته بخبر القوم وفرغت؛ قررت" .أي بردت. لقد انتهت المعجزة مع نهاية المهمة.

٥- فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه..ولورميته لأصبته"

انظر إلى دقة التزام الصحابي الكريم بالأمر النبوي .رغم أنه ربما رأى أنه أمام فرصة ثمينة .وهي قتل زعيم المشركين .لكنه التزم، ولو لم يلتزم لتغير وجه المعركة، فبدلًا من الشعور

باليأس الذي أصاب المشركين، كان يمكن أن يؤدي مقتل أبي سفيان إلى حالة من الهياج التي لا يحسب حسابها، قد تؤدي إلى اقتحام المدينة، بشتي الطرق وتحول دفة المعركة. .. ما أروع الالتزام بتعليمات القيادة! فعند القيادة من العلم .بالتأكيد .ما ليس عند الجندي، وخصوصًا أن قيادة الحبيب صلى الله عليه وسلم كانت نبراسًا في الشورى، وهو المستغني عنها بالوحي الإلهى – لكنه التعليم للأمة.

وانقشعت الغُمَّة وانتهت الغزوة:

بهذه الريح العاتية، وبما قدر الله من إسلام نعيم بن مسعود، وبعون الله تعالى من قبل ومن بعد، لعباده المؤمنين ولنبيه الأمين فَـوَفَّقَهُمْ للمشورة التي أثمرت حفر الخندق، ووفقهم للثبات في أيام المحنة والجوع والبرد، ووفقهم لصد محاولات اقتحام الخندق.. قرر أبو سفيان الرحيل ،ومن بعده رحلت غطفان.

هزم الأحزاب وحده:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثيرًا ما يذكر فضل الله عز وجل في كل موقف ،وفضله، خصوصًا في غزوة الأحزاب.

روى البخاري:

٦٣٩ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ"(١).

نغزوهم ولا يغزوننا:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم ببصيرته – أو بما أُوحِي إليه – أن المشركين لن يستطيعوا في المستقبل أن يجمعوا مثل هذا الجيش، بالإضافة إلى تحالفهم مع اليهود، فبشر أصحابه بأن هذه هي آخر الغزوات التي يدافعون فيها عن المدينة، ضد جيش قادم من الخارج».

روى البخاري:

٦٤٠- عن سُلَيْمَانِ بْنَ صُرَدٍ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ "الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ".(٢)

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٠٥) ترقيم العالمية.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٨٠١) ترقيم العالمية.

الفصل السادس:

غزوة بني قريظة:

(أوان الحساب):

حان وقت الحساب، وآن لقريظة أن تدفع الثمن، ثمن الغدر والخيانة ونقض العهد، والتحالف مع المشركين ضد من عاهدوهم من المسلمين.

ثمن المؤامرة التي لو نجحت، لكادت أن تستأصل شأفة المسلمين وتبيد خضراءهم.

لا وقت للراحة :

٦٤١- «عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ.

قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ»[١].

تعقيب ودلالة:

روى ابن إسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجع من الخندق ،حين أصبح الصبح،

فلما كانت الظهر، أتاه أمر الله بالمسير إلى قريظة .

هكذا كانت الحياة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادًا متواصلًا لا راحة معه، فبعد شهر من حفر الخندق وقريب من شهر في حراسته والاستعداد للمواجهة الحربية، يضع المسلمون السلاح – لكن جبريل الأمين يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة لم تضع السلاح، وعليه أن يواصل مسيرة الجهاد والتضحية، والمسلمون معه.

---

[١] رواه البخاري برقم (٣٨٠١) ترقيم العالمية.

صلاة العصر في بني قريظة : روى البخاري:

٦٤٢- « عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: "لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ: فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ.

فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ »[١]

رواية ابن إسحاق:

٦٤٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَتَلَاحَقَ بِهِ النّاسُ فَأَتَى رِجَالٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يُصَلّوا الْعَصْرَ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "لَا يُصَلّيَنّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إلّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ" فَشَغَلَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدّ فِي حَرْبِهِمْ وَأَبَوْا أَنْ يُصَلّوا ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "حَتّى تَأْتُوا بَنِي قُرَيْظَةَ".

فَصَلّوْا الْعَصْرَ بِهَا ، بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَمَا عَابَهُمْ اللّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَلَا عَنّفَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . حَدّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبُو إسْحَاقَ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيّ .»[٢].

دلالات:

فقه عميق: فقه الظاهر، وفقه المقاصد :

حديث صلاة العصر في بني قريظة، فهمه الصحابة على وجهين:-

١-الوجه الأول: هو الالتزام الحرفي بالنص، وهو الصلاة في بني قريظة حتى لو فات وقت صلاة العصر .

٢- الوجه الثاني: هو مقصد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذا الأمر، وهو أن يستحث المسلمين على الإسراع في الخروج وإدراك العصر في وقتها في بني قريظة – أما إذا لم يتمكنوا من ذلك، فالرأي عندهم أن يصلوا العصر في وقتها، أخذًا بالنصوص العامة في مواقيت الصلاة – دون الالتزام الحرفي بالحديث، حتى لا تخرج الصلاة عن وقتها .

---

(١) البخاري (٣٨١٠) ترقيم العالمية.

(٢) سيرة ابن هشام (١٦٨/٣)، قال الحاكم :صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) :

هو أنه لم ينكر على أي من الطائفتين، ولم يعنف واحدة منهما، ولم يبين لهم الانتصار لأحد الرأيين .ومن ذلك عرفنا:

١- حق الاجتهاد في النص .

٢- حق اختلاف المجتهدين، وظهور أكثر من رأي في المسألة الواحدة.

٣- إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للرأيين يعني :احتمال تعدد وجه الحق، طالما الكل ملتزم بالقواعد العامة.

٤- لا يجب أن يؤدي الاختلاف في الاجتهاد إلى خصومة وخلاف وشحناء .

٥- لا يدعي أحد لنفسه أنه يحتكر وجه الصواب، وينكر على الآخرين منهجهم ،أو يَصِمُهُم بأنهم أعداء السُّنَّة ، أو يصفهم بالفسق أو بالبدعة أو ما شابه ذلك .

٦- اجتهاد المسلمين في النصوص بين الالتزام بظاهر النص وبين الاجتهاد في مقصده، أدى إلى ظهور مدرسة النص ومدرسة الرأي، وكلتاهما صحيحة صائبة، تقرها قواعد الإسلام .

٧- من أمثلة ذلك: زكاة الفطر: تخرج من الأصناف المحددة (الأقط -الشعير-الزبيب-التمر) أو تخرج نقدًا ؛مراعاة لمصلحة الفقير.

٨- زكاة الزروع تخرج من الأصناف المذكورة في الأحاديث ،أم من كل ما أخرجته الأرض .

والأمثلة كثيرة في فروع الفقه، وأهم دروسها هو احترام المخالف.

جبريل يسبق إلي بني قريظة:

روى البخاري:

٦٤٤- « عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ» [١]

وقال ابن إسحاق :

---

[١] رواه البخاري (٣٨٠٩) ترقيم العالمية.

٦٤٥- « وَمَرّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالصّوْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَالَ هَلْ مَرّ بِكُمْ أَحَدٌ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ مَرّ بِنَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيّ، عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ دِيبَاجٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَلِكَ جِبْرِيلُ بُعِثَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ وَيَقْذِفُ الرّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ.» [١]

مقالتهم القبيحة في رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

٦٤٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

« وَقَدّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَابْتَدَرَهَا النّاسُ. فَسَارَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، حَتّى إذَا دَنَا مِنْ الْحُصُونِ سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةً قَبِيحَةً لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَرَجَعَ حَتّى لَقِيَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالطّرِيقِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ لَا عَلَيْك أَنْ لَا تَدْنُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِثِ قَالَ لِمَ ؟ أَظُنّك سَمِعْت مِنْهُمْ لِي أَذًى ؟ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . فَلَمّا دَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ حُصُونِهِمْ . قَالَ يَا إخْوَانَ الْقِرَدَةِ هَلْ أَخْزَاكُمْ اللّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْت جَهُولًا." [٢]

مدة الحصار:

٦٤٧- قال ابن إسحاق: « وَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتّى جَهَدَهُمْ الْحِصَارُ وَقَذَفَ اللّهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرّعْبَ.» [٣]

دخول حي بن أخطب في حصنهم:

٦٤٨- قال ابن إسحاق: « وَقَدْ كَانَ حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ دَخَلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي حِصْنِهِمْ حِينَ رَجَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ ، وَفَاءً لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ بِمَا كَانَ عَاهَدَهُ عَلَيْهِ.» [٤]

---

[١] سيرة ابن هشام (١٦٨/٣) وابن كثير في البداية (١١٧/٤، ١١٨) وقال: ولهذا الحديث طرق جيدة. الصَوْرين: موضع قرب المدينة.

[٢] سيرة ابن هشام (١٦٨/٣) ورواه الحاكم في مستدركه (٣٤،٣٥/٣) من طريق أخري، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (عن دار الحديث) .

[٣] سيرة ابن هشام (١٦٩/٣) .

[٤] المصدر السابق.

الارْتبَاك والخوف والتردد في القرار عند اليهود:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٤٩- «فَلَمّا أَيْقَنُوا بِأَنّ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عَنْهُمْ حَتّى يُنَاجِزَهُمْ قَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنْ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ ، وَإِنّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا ، فَخُذُوا أَيّهَا شِئْتُمْ:

قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ نُتَابِعُ هَذَا الرّجُلَ وَنُصَدّقُهُ فَوَاَللّهِ لَقَدْ تَبَيّنَ لَكُمْ أَنّهُ لَنَبِيّ مُرْسَلٌ وَأَنّهُ لَلّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُونَ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ . قَالُوا : لَا نُفَارِقُ حُكْمَ التّوْرَاةِ أَبَدًا ، وَلَا نَسْتَبْدِلُ بِهِ غَيْرَهُ.

قَالَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ عَلَيّ هَذِهِ فَهَلُمّ فَلْنَقْتُلْ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا مُصْلِتِينَ السّيُوفَ لَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنَا ثَقَلًا ، حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمّدٍ فَإِنْ نَهْلِكْ نَهْلِكْ وَلَمْ نَتْرُكْ وَرَاءَنَا نَسْلًا نَخْشَى عَلَيْهِ وَإِنْ نَظْهَرْ فَلَعَمْرِي لَنَجِدَنّ النّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ، قَالُوا : نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ؟.

قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيّ هَذِهِ فَإِنّ اللّيْلَةَ لَيْلَةُ السّبْتِ وَإِنّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمّنُونَا فِيهَا ، فَانْزِلُوا لَعَلّنَا نُصِيبُ مِنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرّةً، قَالُوا : نُفْسِدُ سَبْتَنَا عَلَيْنَا ، وَنُحْدِثُ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إلّا مَنْ قَدْ عَلِمْت ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك مِنْ الْمَسْخِ.

قَالَ: مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ الدّهْرِ حَازِمًا.» (١)

رفضوا الهداية، ورفضوا الانتحار، ووقعوا في الحيرة:

هم فعلوا ذلك بأنفسهم، وقد أدركوا الآن ثمرة الغدر وحجم الجريمة التي ارتكبوها، ولم يحدث ما تمنوه، ورجعت قريش وغطفان، وأصبحوا أمام الحقيقة.

ولقد قرر زعيمهم كعب أن محمدًا هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حقًا،الذي يجدونه عندهم في التوراة.

---

(١) **جزء من رواية ابن إسحاق المرسلة – سيرة ابن هشام (٣/١٦٩)**

ومن عظمة الإسلام وروعته أن دخولهم في الإسلام كان يمكن أن ينقذ رقابهم من القتل، ومع ذلك رفضوا، وذلك أن غضب الله وقع عليهم نتيجة أفعالهم، فما استحقوا الهداية، كيف يكون هؤلاء الغادرين حملة هداية ومشاعل للنور ؟.

وفي حيرتهم هذه تظهر لهم حيلتان، كلتاهما أنكى من الأخرى: الأولى أن يعتَدُوا في السبت، والأخرى: أن يقتلوا النساء والأطفال.

لعل زعيمهم قد فكر في ارتكاب أي شيء من أجل إنقاذ نفسه ،حتى ولو قتل أولاده وزوجه - إنها نفوس مريضة تستحق ما جرى عليها.

موقف أبي لبابة مع بني قريظة :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٥٠- "ثُمّ إنّهُمْ بَعَثُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَنْ ابْعَثْ إلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا ، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - إلَيْهِمْ فَلَمّا رَأَوْهُ قَامَ إلَيْهِ الرّجَالُ وَجَهَشَ إلَيْهِ النّسَاءُ وَالصّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ فَرَقّ لَهُمْ وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلَى حَلْقِهِ إنّهُ الذّبْحُ.

قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: فَوَاَللّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتّى عَرَفْتُ أَنّى خُنتُ اللهَ ورسولَهُ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - ثُمّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - حَتّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إلَى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ، وَقَالَ: لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتّى يَتُوبَ اللّهُ عَلَيّ مِمّا صَنَعْت ، وَعَاهَدَ اللّهَ أَنْ لَا أَطَأَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلَا أُرَى فِي بَلَدٍ خُنْت اللّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى فِي أَبِي لُبَابَةَ: {يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللّهَ وَالرّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

فَلَمّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – خَبَرُهُ، وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ، قَالَ: أَمَا إنّهُ لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمّا إذْ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَل فَمَا أَنَا بِالّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتّى يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ. [1].

توبة الله على أبي لبابة :

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٥١- "فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ:

أَنّ تَوْبَةَ أَبَى لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - مِنْ السَّحَرِ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - مِنْ السّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ . قَالَتْ فَقُلْت: مِمّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ أَضْحَكَ اللهُ سِنّك ؛ قَالَ تِيبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ، قَالَتْ قُلْت : أَفَلَا أُبَشّرُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ بَلَى ، إنْ شِئْتِ.

قَالَ: فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهَا ، وَذَلِك قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنّ الْحِجَابُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا لُبَابَةَ أَبْشِرْ فَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَيْك. قَالَتْ فَسارَ النّاسُ إلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ فَقَالَ: لَا وَاَللهِ حَتّى يَكُونَ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - هُوَ الّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ، فَلَمّا مَرّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - خَارِجًا إلَى صَلَاةِ الصّبْحِ أَطْلَقَهُ .»[2].

دلالات:

التربية الإيمانية تصل بالرجل الذي يرتكب خطأ أو معصية، أن يندم ندمًا، حتى يعاقب نفسه، ويصر على أن يربط في الجذع بعد كل صلاة، ويصر على ألا يطلقه أحد، غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ليطمئن إلى التوبة وبياض صفحته، هذه التربية الإيمانية تفعل ما لا يستطيع أن تفعله قوانين العقوبات في الدنيا كلها.

عمرو بن سُعْدَي القرظي لم يشترك في الغدر :

---

[1] أخرجه ابن جرير الطبري في (التفسير) (٩٧/٢١) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهري به – (دار الحديث) – أقول وهو إسناد جيد (سيرة ابن هشام ١٦٩/٣) .

[2] أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث يزيد بن عبدالله بن قسيط وإسناده مرسل (دار الحديث).

هذا رجل لم يشترك مع بني قريظة في الغدر، مما يدل على أن الباقين من بني قريظة شاركوا جميعًا بإرادة وعزم وعمد منفرد لكل واحد منهم. شاركوا في الغدر، وقد كان من الممكن لأي واحد ألا يشترك. لذلك لما عمتهم العقوبة كانت غاية العدل.

قالَ ابنُ إسْحَاقَ:

٦٥٢-« وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللّيْلَةِ عَمْرُو بْنُ سُعْدَى الْقَرَظِيُ فَمَرّ بِحَرَسِ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَعَلَيْهِ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ تِلْكَ اللّيْلَةَ فَلَمّا رَآهُ قَالَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ أَنَا عَمْرُو بْنُ سُعْدَى - وَكَانَ عَمْرٌو قَدْ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَقَالَ لَا أَغْدِرُ بِمُحَمّدِ أَبَدًا.

فَقَالَ مُحَمّدُ بْنُ مُسْلِمَة حِينَ عَرَفَهُ اللّهُمّ لَا تَحْرِمْنِي إقَالَةَ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ ثُمّ خَلّى سَبِيلَهُ.

فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتّى أَتَى بَابَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللّيْلَةِ ثُمّ ذَهَبَ فَلَمْ يُدْرَ أَيْنَ تَوَجّهَ مِنْ الْأَرْضِ إلَى يَوْمِهِ هَذَا ، فَذُكِرَ لِرَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – شَأْنُهُ، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ نَجّاهُ اللّهُ بِوَفَائِهِ»[1].

تسليم بني قريظة والنزول على حكم رسول الله :

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٥٣- «فَلَمّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَتَوَاثَبَتْ الْأَوْسُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ إنّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْت - وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعِ وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَسَأَلَهُ إيّاهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ.

فَلَمّا كَلّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ؛ قَالَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَذَاكَ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.»[1].

---

[1] سيرة ابن هشام (١٧٠/٣) ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، وذكره ابن كثير في البداية (١٢١/٤١)من طريق ابن إسحاق – (دار الحديث) .

دلالة:

- بعد كل هذه السنين في الإسلام والجهاد المشترك – تثور دعاوىالعصبية والمنافسة بين القبائل، وتقول الأوس هذه المقالة؛ إرضاءً لغرور العصبية.
- والنبي صلى الله عليه وسلم لا يعنفهم، وإنما يراعي هذه المسائل العصبية فيختار لهم زعيمهم سعد بن معاذ – رضي الله عنه- وهو يثق في قوة إيمانه وصواب حكمه.

إنها حكمة القيادة في أعلى صورها – صلى الله على محمد النبي القائد .

سعد بن معاذ المصاب :

نعود إلى قصة إصابة سعد بن معاذ، التي كانت في أثناء حصار الأحزاب، وهو الآن يُمَرّض في خيمة (رفيدة الأسلمية) داخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

روى الإمام أحمد في مسنده:

٦٥٤- "عن عَائِشَةُ أم المؤمنين أنها قَالَتْ:

خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو آثَارَ النَّاسِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ وَرَائِي يَعْنِي حِسَّ الْأَرْضِ، قَالَتْ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ، قَالَتْ: فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ ....

قَالَتْ: وَيَرْمِي سَعْدًا رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ، فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ.

فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَعْدٌ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ".

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَحَدّثَنِي أَبُو لَيْلَى عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيّ ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ: "أَنّ عَائِشَةَ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَكَانَ مِنْ أَحْرَزِ حُصُونِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: وَكَانَتْ أُمّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مَعَهَا فِي الْحِصْنِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ - وَذَلِك قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ

---

[1] سيرة ابن هشام (١٧١/٣) وذكره ابن جرير الطبري في (تفسيره) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهري به (دار الحديث) – أقول وهو إسناد جيد .

عَلَيْنَا الْحِجَابُ - فَمَرّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ لَهُ مُقَلّصَةٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا ذِرَاعُهُ كُلّهَا ، وَفِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ يَرْقُدُ بِهَا وَيَقُولُ:

لَبّثْ قَلِيلًا يَشْهَدْ الهيجا جملُ   لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إذَا حَانَ الأجلُ

(قَالَ) فَقَالَتْ لَهُ أُمّهُ: إلْحَقّ أَيْ بني ، فَقَدْ وَاَللّهِ أَخّرْت ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْت لَهَا : يَا أُمّ سَعْدٍ وَاَللّهِ لَوَدِدْت أَنّ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ مِمّا هِيَ قَالَتْ وَخِفْتِ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السّهْمُ مِنْهُ فَرُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ.

رَمَاهُ كَمَا حَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قتادة ، حِبّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعَرِقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ ، فَلَمّا أَصَابَهُ قَالَ: خُذْهَا مِنّي وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةِ؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ: عَرّقَ اللّهُ وَجْهَك فِي النّارِ.

اللّهُمّ إنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنّهُ لَا قَوْمَ أَحَبّ إلَيّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَك وَكَذّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، اللّهُمّ وَإِنْ كُنْت قَدْ وَضَعْت الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهُ لِي شَهَادَةً وَلَا تُمِتْنِي حَتّى تُقِرّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ»[1].

دلالات:

- مر بنا في حديث أبي لبابة ،أن أم سلمة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبشر أبا لبابة فأذن لها، وهنا عائشة رضي الله عنها حريصة على سعد بن معاذ خوف الإصابة. إن المرأة عايشت كل أحداث الإسلام مشاركة إيجابية، وتابعت الأحداث وكان لها رأي محترم في كثير من المواقف.
- دعوة العبد الصالح سعد بن معاذ:

إنها دعوة عبد يثق فيما بينه وبين الله، ويختار لنفسه كل ما هو من خير الآخرة .لا يرغب في شيء من الدنيا، فهو يريد أن يجاهد قريشًا، لو بقي من حربهم شيء .ويريد الشهادة بهذا الجرح الذي أصابه، ويريد أن يرى عقاب الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) لبني قريظة، ولقد استجاب الله تعالدعوته في كل ما سأله كما سيأتي... تلك أحوال أولياء الله الصالحين المجاهدين.

---

[1] مسند أحمد (٢٣٩٤٥) ترقيم العالمية. وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمه، وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات – ورواه ابن هشام عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١٦٢/٣).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٥٤- « فَلَمّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَتَوَاثَبَتْ الْأَوْسُ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللّهِ إنّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْت، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَسَأَلَهُ إيّاهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ، فَلَمّا كَلّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ؛ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَذَاكَ إلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

حكم سعد فيهم:

وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فِي خَيْمَةٍ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهَا رُفَيْدَةُ فِي مَسْجِدِهِ كَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى ، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السّهْمُ بِالْخَنْدَقِ: اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ.

فَلَمّا حَكّمَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطّئُوا لَهُ بِوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا، ثُمّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيك ، فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا وَلّاك ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ.

فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَنَعَى لَهُمْ رِجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَيْهِمْ سَعْدٌ، عَنْ كَلِمَتِهِ الّتِي سَمِعَ مِنْهُ . فَلَمّا انْتَهَى سَعْدٌ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمِينَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: قُومُوا إلَى سَيّدِكُمْ. فَأَمّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَيَقُولُونَ إنّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْأَنْصَارَ؛ وَأَمّا الْأَنْصَارُ ، فَيَقُولُونَ قَدْ عَمّ بِهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَقَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ وَلّاك أَمْرَ مَوَالِيك لِتَحْكُمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللّهِ وَمِيثَاقُهُ ، أَنّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟ فِي النّاحِيَةِ الّتِي فِيهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ

وَسَلّمَ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إجْلَالًا لَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: نَعَمْ. قَالَ سَعْدٌ: فَإِنّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرّجَالُ وَتُقَسّمُ الْأَمْوَالُ وَتُسْبَى الذّرَارِيّ وَالنّسَاءُ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقّاصٍ اللّيْثِيّ ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِسَعْدٍ: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»[1].

<u>وروى البخاري عن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:</u>

٦٥٥- « لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ. فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ. قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ. قَالَ لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ»[2].

<u>دلالات:</u>

١- آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم...مقولة وقاعدة إسلامية يجب أن توضع فوق كل الاعتبارات والعصبيات، بل وفي مواجهة كل التضحيات، أن تقول الحق، ولا تخشى إلا الله.

٢- « قوموا لسيدكم » هذا حديث النبي (صلى الله عليه وسلم)،رغم أنه صلى الله عليه وسلم بشَّرَ بالنار، من أحب أن يقوم له الناس في مجالسهم، والفارق واضح، فالقيام مظهر من مظاهر الاحترام والتأدب مع الكبار، لكن الذي يحب ذلك لنفسه

---

[1] سيرة ابن هشام ١٧١/٣، إسناد ابن إسحاق مرسل صحيح، وأصله في الصحيحين كما في الحديث التالي الذي رواه البخاري . دار الحديث.

[2] البخاري برقم ٢٨١٦ ترقيم العالمية.

ويطلبه إنما هو متكبر، لا يدخل الجنة ،وفي قلبه مثقال ذرة من كبر .كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- قال سعد: (وحكمي نافذ على من ها هنا) ولم يتلفظ أن حكمه نافذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا من أدب الصحابة مع القائد الكريم صلى الله عليه وسلم. إن الآداب كلها من الإسلام ،ومن مكارم الأخلاق، ولقد أساء قوم لم يتأدبوا في الحديث، ولا في التصرفات :مع الكبار ،أو الإخوان، أو حتى الصغار!!!

تنفيذ الحكم:

قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

٦٥٦- « ثُمّ اسْتَنْزَلُوا ، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النّجّارِ، ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، الّتِي هِيَ سُوقُهَا الْيَوْمَ فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمّ بَعَثَ إلَيْهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ يُخْرَجُ بِهِمْ إلَيْهِ أَرْسَالًا[1]، وَفِيهِمْ عَدُوّ اللهِ حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ ، رَأْسُ الْقَوْمِ وَهُمْ سِتّ مِئَةٍ أَوْ سَبْعُ مِئَةٍ وَالْمُكْثِرُ لَهُمْ يَقُولُ كَانُوا بَيْنَ الثّمَانِ مِئَةٍ وَالتّسْعِ مِئَةٍ.

وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ، وَهُمْ يُذْهَبُ بِهِمْ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْسَالًا: يَا كَعْبُ مَا تَرَاهُ يُصْنَعُ بِنَا؟ قَالَ: أَفِي كُلّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدّاعِيَ لَا يَنْزِعُ وَأَنّهُ مَنْ ذُهِبَ بِهِ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُ؟ هُوَ وَاَللّهِ الْقَتْلُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدّأْبُ حَتّى فَرَغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

وَأُتِيَ بِحُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ عَدُوّ اللهِ وَعَلَيْهِ حُلّةٌ لَهُ فَقّاحِيّةٌ[2] (قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَقّاحِيّةٌ ضَرْبٌ مِنْ الْوَشْى) قَدْ شَقّهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلّ نَاحِيَةٍ قَدْرَ أُنْمُلَةٍ لِئَلّا يُسْلَبَهَا ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ . فَلَمّا نَظَرَ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: أَمَا وَاَللّهِ مَا لُمْت نَفْسِي فِي عَدَاوَتِك ، وَلَكِنّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللّهَ يُخْذَلْ. ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: أَيّهَا النّاسُ إنّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللّهِ كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمَلْحَمَةٌ كَتَبَهَا اللّهُ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ. ثُمّ جَلَسَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ»[3].

---

(١) أرسالًا : جماعة جماعة.

(٢) فقاحية: تميل إلي الحمرة.

(٣) سيرة ابن هشام ١٧٢/٣ وذكرها ابن كثير في التاريخ ١٢٤/٤ وابن سيد الناس في عيون الأثر ١٠٩/٢ والبيهقي في الدلائل ٢٣/٤ . عن دار الحديث.

ثابت بن قيس يحاول إنقاذ الزبير بن باطا ،ولكن:

هذه من عجائب القصص وتصاريف القدر، كل المحاولات يبذلها ثابت لإنقاذ ابن باطا من القتل؛ ليرد له معروفًا سابقًا. لكن ابن باطا يصر على الموت على الباطل، ويرفض المعروف من ثابت، حتى مع استنقاذ أهله وولده وماله !! عجبًا !!

قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

٦٥٧- « وَقَدْ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الشّمّاسِ كَمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ ، أَتَى الزّبَيْرَ بْنَ بَاطَا الْقُرَظِيّ وَكَانَ يُكَنّى أَبَا عَبْدِ الرّحْمَنِ - وَكَانَ الزّبَيْرُ قَدْ مَنّ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمّاسٍ فِي الْجَاهِلِيّةِ . ذَكَرَ لِي بَعْضُ وَلَدِ الزّبَيْرِ أَنّهُ كَانَ مَنّ عَلَيْهِ يَوْمَ بُعَاثٍ أَخَذَهُ فَجَزّ نَاصِيَتَهُ ثُمّ خَلّى سَبِيلَهُ.

فَجَاءَهُ ثَابِتٌ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرّحْمَنِ هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قَالَ وَهَلْ يَجْهَلُ مِثْلِي مِثْلَك؛ قَالَ: إنّي قَدْ أَرَدْت أَنْ أَجْزِيَك بِيَدِك عِنْدِي؛ قَالَ: إنّ الْكَرِيمَ يَجْزِي الْكَرِيمَ.

ثُمّ أَتَى ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّهُ قَدْ كَانَتْ لِلزّبَيْرِ عَلَيّ مِنّةٌ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجْزِيَهُ بِهَا، فَهَبْ لِي دَمَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: هُوَ لَك؛ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ وَهَبَ لِي دَمَك، فَهُوَ لَك ، قَالَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ فَمَا يَصْنَعُ بِالْحَيَاةِ؟

قَالَ فَأَتَى ثَابِتٌ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللّهِ هَبْ لِي امْرَأَتَهُ وَوَلَدَهُ قَالَ: هُمْ لَك . قَالَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ وَهَبَ لِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَهْلَك وَوَلَدَك ، فَهُمْ لَك؛ قَالَ: أَهْلُ بَيْتٍ بِالْحِجَازِ لَا مَالَ لَهُمْ فَمَا بَقَاؤُهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟

فَأَتَى ثَابِتٌ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَالَهُ! قَالَ: هُوَ لَك. فَأَتَاهُ ثَابِتٌ فَقَالَ قَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَالَك ، فَهُوَ لَك.

قَالَ: أَيْ ثَابِتٌ! مَا فَعَلَ الّذِي كَأَنّ وَجْهَهُ مِرْآةٌ صِينِيّةٌ يَتَرَاءَى فِيهَا عَذَارَى الْحَيّ، كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ؟ قَالَ: قُتِلَ. قَالَ: فَمَا فَعَلَ سَيّدُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ؟ قَالَ: قُتِلَ. قَالَ فَمَا فَعَلَ مُقَدّمَتُنَا إذَا شَدَدْنَا ، وَحَامِيَتُنَا إذَا فَرَرْنَا ، عَزّالُ بْنُ سَمَوْأَلَ ؟ قَالَ قُتِلَ. قَالَ فَمَا فَعَلَ الْمُجْلِسَانِ؟ يَعْنِي بَنِي كَعْبِ بْنِ قُرَيْظَةَ وَبَنِيّ عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ قَالَ: ذَهَبُوا قُتِلُوا؟

قَالَ: فَأَنّي أَسْأَلُك يَا ثَابِتُ بِيَدِي عِنْدَك إلّا أَلْحَقْتنِي بِالْقَوْمِ، فَوَاَللّهِ مَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ، فَمَا أَنَا بِصَابِرٍ لِلّهِ فَتْلَةَ دَلْوٍ نَاضِحٍ[1] حَتّى أَلْقَى الْأَحِبّةَ. فَقَدّمَهُ ثَابِتٌ فَضُرِبَ عُنُقُهُ. فَلَمّا بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ الصّدّيقَ قَوْلَهُ أَلْقَى الْأَحِبّةَ، قَالَ: يَلْقَاهُمْ وَاَللّهِ فِي نَارِ جَهَنّمَ خَالِدًا فِيهَا مُخَلّدًا.»[1].

امرأة واحدة قُتلت من بني قريظة:

ذلك أن حضارة الإسلام تَنْهَى عن قتل النساء ما لم تشترك المرأة في القتال.

روى أبو داوود:

٦٥٨- عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: « لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ تَعْنِي بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَّا امْرَأَةٌ، إِنَّهَا لَعِنْدِي تُحَدِّثُ تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ بِالسُّيُوفِ إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قَالَتْ: أَنَا، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: حَدَثٌ أَحْدَثْتُهُ. قَالَتْ: فَانْطَلَقَ بِهَا حتى ضُرِبَتْ عُنُقُهَا، فَمَا أَنْسَى عَجَبًا مِنْهَا أَنَّهَا تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّهَا تُقْتَلُ» [2] .

نجاة رِفَاعَةَ بن سمَوْأل القرظي:

قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

٦٥٩- « وَحَدّثَنِي أَيّوبُ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ:

أَنّ سَلْمَى بِنْتَ قَيْسٍ ، (أُمّ الْمُنْذِرِ أُخْتَ سُلَيْطِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ إحْدَى خَالَاتِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ صَلّتْ مَعَهُ الْقِبْلَتَيْنِ وَبَايَعَتْهُ بَيْعَةَ النّسَاءِ) سَأَلَتْهُ رِفَاعَةَ بْنَ سَمَوْأَلَ الْقُرَظِيّ وَكَانَ رَجُلًا قَدْ بَلَغَ فَلَاذَ بِهَا، وَكَانَ يَعْرِفُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ يَا نَبِيّ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، هَبْ لِي رِفَاعَةَ ، فَإِنّهُ قَدْ زَعَمَ أَنّهُ سَيُصَلّي وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ، قَالَ: فَوَهَبَهُ لَهَا، فَاسْتَحْيَتْهُ»[3].

وعطية القرظي:

---

[1] فتلة دلو ناضح: أي:لا يصبر بعد قتلهم مدة فتل الحبل الذي يربط في الدلو.

[1] سيرة ابن هشام ١٧٤/٣ رواه ابن إسحاق عن الزهري أقول: وهو إسناد جيد . ورواه الطبراني في الأوسط كما قال الهيثمي في المجمع: فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف ١٤١/٦

[2] أبو داود (٢٢٩٧) ترقيم العالمية، وأحمد في مسنده وسيرة ابن هشام (١٧١/٣)الكل من طريق ابن إسحاق به وإسناده حسن (تخريج دار الحديث).

[3] سيرة ابن هشام (١٧٣/٣)وفيه انقطاع، لكنه موصول في (الإصابة) و(أسد الغابة) والاستيعاب، لابن عبد البر (١٨٦٣/٤).(دار الحديث).

رواه أحمد في مسنده:

٦٦٠- « عن عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ قال:

عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ وَلَمْ يُنْبِتْ خُلِّيَ سَبِيلُهُ فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخُلِّيَ سَبِيلِي» [1].

إجابة دعوة سعد: بعد الفراغ من بني قريظة:

روى البخاري :

٦٦١- « عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ، حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ، فَلَمْ يَرُعْهُمْ وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا فَمَاتَ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.»[2].

اهتز لموته عرش الرحمن :

روي البخاري:

٦٦٢- « عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.» [3].

تعليق عام على عقوبة بني قريظة :

قد يتساءل البعض: لماذا عاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا العقاب المغلظ بعد أن استسلموا ونزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم؟ وقد يقول أعداء الإسلام :إن هذه قسوة لا تليق بنبي جاء يدعو إلى الرحمة والتراحم، وهذه قضية تستحق الوقوف عندها طويلًا والتعرف على جميع ملابساتها؛ حتى يمكن الحكم عليها حكمًا عادلًا – حتى بمنظور

---

[1] الحديث في سند أحمد برقم (١٨٠٢٥) العالمية وكذا رواه أبو داوود والترمذي وغيرهم.

[2] رواه البخاري رقم (٣٨١٣) ترقيم العالمية. اللَّبَّة: موضع القلادة من الصدر .

[3] البخاري (٣٥١٩) ترقيم العالمية.

أعداء الإسلام، ونحن نسوق عددًا كبيرًا من الأسباب التي أدت إلى هذه العقوبة، وننزه النبي صلى الله عليه وسلم عن أي فعل، لا يتناسب مع رحمته ولينه وعفوه:

- أولًا: إن هذا الفعل ليس له نظير في كل حروب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي أنه لابد أن تكون هناك ظروف وملابسات، أدت إلى هذا الاستثناء نذكرها، ونذكرِّ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عفا عن أهل مكة في (الفتح)، وحقن دماء بني قينقاع ودماء بني النضير، وكذلك دماء أسرى بدر، وعفا عن ثمامة بن أثال الذي استحق القتل (باعتراف ثمامة)، وغير ذلك الكثير .
- ثانيًا: أن بني قريظة لم يكونوا محاربين عاديين، وإنما كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم سابق عهد ووثيقة، توجب عليهم الدفاع المشترك عن المدينة ضد أي معتد عليها، فإذا بهم يتحولون إلى معسكر الأعداء، ولم يقفوا حتى موقفًا سلبيًا، وعقوبة نقض العهد في الدنيا كلها هي القتل .
- ثالثًا: إنهم بوثيقة المدينة أصبحوا مواطنين في المدينة، تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم – بنص الوثيقة -، وفعلهم هذا لا يعد حربًا شريفة، وإنما خيانة عظمى في حق الوطن الذي يؤويهم، ويجب عليهم الدفاع عنه، وعقوبة الخيانة العظمى للوطن في حالات الحرب، ليست إلا القتل، هذا قانون الدول في كل الأزمان والعصور، وإلا فكيف تحمي الدولة نفسها من ذوي النفوس المريضة -من مواطنيها- من داخلها؟.
- رابعًا: كانت العقوبة على قدر الجريمة، فإن تحالف بني قريظة مع الأحزاب لم يكن له إلا هدف واحد ونتيجة واحدة لو تحققت، ألا وهي :إبادة جميع المسلمين.
- خامسًا: سبق الغدر من فصيلين من اليهود ونقضوا المعاهدة، وهم بنو قينقاع وبنو النضير، فهل يعقل بعد هذا الغدر الثالث الذي كاد أن يقضي على المسلمين ،أن يكون الرد هو العفو أو حقن الدماء انتظارًا لغدر جديد؟ .
- سادسًا: حارب النبي صلى الله عليه وسلم في العام السابع الهجري أهل خيبر، وانتصر عليهم ،لكنه لم يعاملهم بهذه الطريقة ؛لأنهم لم يكونوا من مواطني المدينة ،ولم يكن بينهم وبينه سابق عهد.

- سابعًا: كانت هذه العقوبة رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم لكل أعدائه من الكفار أو المنافقين أو أعراب البادية: إنه لن يسكت على أعمال الغدر التي تكررت في الرجيع وبئر معونة وقينقاع والنضير، فكانت العقوبة ردعًا للآخرين .
- ثامنًا: أنهم راجعوا أنفسهم جيدًا ، ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يقبل الحَكَم ،لابد أن يقبل ما يصدره من أحكام . يعني أن لسان حالهم أننا نوافق على حكمك ولو كان القتل ؛لأن جريمتنا تستحق ذلك.
- تاسعًا: حينما سألوا أبا لبابة عن النزول على حكم محمد صلى الله عليه وسلم، أشار إلى رقبته بالذبح، لأن أبا لبابة يعلم أن هذا هو الحكم العدل. وبرغم هذا نزلوا على حكمه (صلى الله عليه وسلم).
- عاشرًا: أن الذي حكم فيهم هو سعد بن معاذ – حليفهم في الجاهلية – ولقد وافق حكمه حكم الله عز وجل ،إذن فقد اتفقت أحكام: أبي لبابة، وسعد بن معاذ، وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أنه الحكم الطبيعي.
- حادي عشر: أنه حكم الله عز وجل – كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون إذا علموا من أمر ، أنه حكم الله، فليس للبشر – ولا للنبي صلى الله عليه وسلم – أن يحيدوا عنه أو يغيروه.
- ثاني عشر: عمرو بن سعدي القرظي أَبَى أن يوافقهم على الغدر، فعرفه محمد بن مسلمة،فخلى سبيله، وهذا له دلالة هامة: أن الذين قتلوا من بني قريظة كانوا جميعًا مقرِّين موافقين على الجريمة الشنعاء .
- ثالث عشر: النص واضح في وثيقة المدينة: أن ما حدث من اشتجار بين أهل هذه الصحيفة ،فإن مرده إلى الله وإلى محمد النبي صلى الله عليه وسلم .
- رابع عشر: أن هذا هو حكم التوراة – في القتال العادي الذي ليس فيه غدر (وإذا ظفرت بأهل بلد؛ فاقتل كل رجالها، وكل.....) فما العجب في أن يسري عليهم حكم كتابهم سواءً كان محرفًا أو أصيلًا.

تقسيم فيء بني قريظة :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٦٣- « ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَأَعْلَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُهْمَانَ الْخَيْلِ وَسُهْمَانَ الرّجَالِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمُسَ، فَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ: لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ وَلِفَارِسِهِ سَهْمٌ وَلِلرّاجِلِ مَنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ. وَكَانَتْ الْخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا، وَكَانَ أَوّلَ فَيْءٍ وَقَعَتْ فِيهِ السّهْمَانُ وَأُخْرِجَ مِنْهَا الْخُمْسُ، فَعَلَى سُنّتِهَا وَمَا مَضَى مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهَا وَقَعَتْ الْمَقَاسِمُ وَمَضَتْ السّنّةُ فِي الْمَغَازِي».[1]

٦٦٤- وروى البخاري ومسلم:

« عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِصَاحِبِهِ سَهْمًا».[2]

اصطفاء النبي (صلى الله عليه وسلم) ريحانة بنت عمرو، وإسلامها :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٦٥- « وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رَيْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ - إحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ - فَكَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى تُوُفّيَ عَنْهَا وَهِيَ فِي مِلْكِهِ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوّجَهَا، وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ بَلْ تَتْرُكُنِي فِي مِلْكِك، فَهُوَ أَخَفّ عَلَيّ وَعَلَيْك، فَتَرَكَهَا. وَقَدْ كَانَتْ حِينَ سَبَاهَا قَدْ تَعَصّتْ بِالْإِسْلَامِ وَأَبَتْ إلّا الْيَهُودِيّةَ، فَعَزَلَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ لِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا.

---

[1] سيرة ابن هشام (١٧٥/٣)، وله شواهد عند البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم .

[2] البخاري (٢٦٥١) ترقيم العالمية.كتاب الجهاد – باب سهم الفارس.ومسلم (٣٣٠٨) ترقيم العالمية باب كيفية قسم الغنيمة بين الحاضرين .

فَبَيْنَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ وَقْعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ، فَقَالَ: إنّ هَذَا لَثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْيَةَ يُبَشّرُنِي بِإِسْلَامِ رَيْحَانَةَ، فَجَاءَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ أَسْلَمَتْ رَيْحَانَةُ، فَسَرّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا».[1]

شهداء المسلمين وقتلى المشركين في الخندق:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق، إلا ستة نفر.

وقال: وقتل من المشركين ثلاثة نفر.

شهيد واحد في بني قريظة :

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين خلاد بن سويد ،طرحت عليه رحى ؛فشدخته شدخًا شديدًا.

[1] سيرة ابن هشام (١٧٦/٣)، وابن جرير في التاريخ والبيهقي في الدلائل وغيرهم .

مقتل سلام بن أبي الحقيق:

رواية البخاري:

٦٦٦- « عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ:

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ. فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنْ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ. فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ.

وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ (إن) نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ. فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنْ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ! قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنْ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ. قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ.

فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ. فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ.

فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ ابْسُطْ رِجْلَكَ فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ.»[1]

سبب مقتل سَلَّام بن أبي الحُقَيْق:

إن مقتل سلَّام بن أبي الحقيق تتمة لغزوة الأحزاب، فإن سلَّام كان من أهم قيادات اليهود الذين سافروا إلى قريش وغطفان وحزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان قرار اغتياله بهذه الطريقة؛ لأنه كان يدبر ويكيد وهو في حصنه في خيبر لا تصله المقاتلة، لذا كان لابد من الاحتيال لقتله جزاء جرائمة، وأكبرها الأحزاب.

والواضح أنها لم تكن عملية سهلة: الدخول داخل حصون اليهود وبيت سلاَّم هذا وقتله، ثم العودة إلى المدينة.. إنها مهمة (استشهادية) تحتاج إلى رجال أشداء شجعان.

تاريخ سرية قتل ابن أبي الحقيق:

ذو القعدة أو ذو الحجة سنة ٥ هـ .كما ذكر صاحب "الرحيق المختوم" نقلا عن "رحمة للعالمين" ومصادر أخرى.

أسر ثمامة بن أثال (الحنفي):

(سرية محمد بن مسلمة إلى نجد):

(محرم سنة ٦ هـ)

كانت أول سرية بعد الفراغ من الأحزاب وقريظة.

- توجهت إلى بطن بكر بن كلاب، في موضع يقال له (ضريَّة) بالبكرات ،من أرض نجد.
- بين ضرية وبين المدينة، سبع ليال.

دلالة:

حينما تتوغل سرية للمسلمين إلى هذه المسافة من المدينة، فإنها تمر في طريقها على كثير من القبائل غير المسلمة .من عبدة الأصنام ، ولا يكون بينهم قتال، حتى تصل السريَّة إلى

[1] رواه البخاري (٣٧٣٣) ترقيم العالمية.

قبيلة بعينها ، فإذا لم تذكر الكتب سببًا للقتال؛ فإنه لابد أن يكون هناك عدوان وقع من هذه القبيلة على بعض المسلمين، وإلا لماذا خصهم الرسول- صلي الله عليه وسلم- بالحرب؟، جريًا على قاعدتنا (أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبدأ أحدًا بقتال) وإنما كان الآخرون دائمًا هم البادئين.

روى البخاري:

٦٦٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ.

فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ.

فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[١].

دلالات:

---

[١] رواه البخاري برقم (٤٠٢٤) ترقيم العالمية..

١) ثمامة يعترف أنه مستحق القتل (إن تقتل تقتل ذا دَمٍ) غير أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)يشمله بحلمه وعفوه وكرمه، وهذا هو الأصل في أخلاق الرسول(صلى الله عليه وسلم)وأعماله، ولم يشدد العقوبة إلا على من تكرر منه الغدر والعدوان.

٢) ثمامة لم يعلن إسلامه وهو في الأسر؛ حتى لا يظن به الجبن والخوف من القتل، لكنه أعلن إسلامه بعد أن أصبح حرًا طليقًا، وكان سبب إسلامه؛ أنه مأخوذ بشخص النبي صلى الله عليه وسلم.

٣) قول ثمامة (ما كان وجه على الأرض ..) وصف عجيب لحالة نفسية عجيبة، تملأ أصحاب الفطرة السليمة عند رؤية ومصاحبة خير البشر (صلى الله عليه وسلم)،

تكرر هذا في قول عبد الله بن سلام: (عرفت أنه ليس بوجه كذاب).

وفي قول فضالة (في فتح مكة) (فما رفع يده عن صدري، حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه) وغيرهم كثير.

٤) ثمامة يبدأ العمل للإسلام - بمجرد إسلامه، فيواجه قريشًا بحرب اقتصادية توجعها حتى تستغيث... لقد صاغ الإسلام رجالًا أفذاذًا ،استحقوا سيادة الدنيا بالدين.

٥) انصرف ثمامة إلى بلاده، ومنع الطعام إلى مكة، حتى جهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة، كى يسمح بوصول الطعام إليهم، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الباب الثامن:

مرحلة الردع للمعتدين:
(من الأحزاب إلى تبوك):

الفصل الأول:

الغزوات والسر ايا قبل غزوة المصطلق

غزوة بني لحيان

(إلى الغادرين بأصحاب الرجيع)

رواية ابن إسحاق (بعد التهذيب):

٦٦٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : ثُمّ أَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ ذَا الْحَجّةِ وَالْمُحَرّمَ وَصَفَرًا وَشَهْرَيْ رَبِيعٍ وَخَرَجَ فِي جُمَادَى الْأُولَى عَلَى رَأْسِ سِتّةِ أَشْهُرٍ مِنْ فَتْحِ قُرَيْظَةَ إلَى بَنِي لِحْيَانَ يَطْلُبُ بِأَصْحَابِ الرّجِيعِ : خُبَيْبَ بْنَ عَدِيّ وَأَصْحَابَهُ وَأَظْهَرَ أَنّهُ يُرِيدُ الشّامَ ، لِيُصِيبَ مِنْ الْقَوْمِ غِرّةً .

فَخَرَجَ مِنْ الْمَدِينَةِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذِرُوا وَتَمَنّعُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ . فَلَمّا نَزَلَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَخْطَأَهُ مِنْ غِرّتِهِمْ مَا أَرَادَ قَالَ: لَوْ أَنّا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى أَهْلُ مَكّةَ أَنّا قَدْ جِئْنَا مَكّةَ، فَخَرَجَ فِي مِئَتَيْ رَاكِبٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتّى نَزَلَ عُسْفَانَ، ثُمّ بَعَثَ فَارِسَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتّى بَلَغَا كُرَاعَ الْغَمِيمِ ، ثُمّ كَرّ وَرَاحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَافِلًا.

فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ حِينَ وَجّهَ رَاجِعًا: "آيِبُونَ تَائِبُونَ إنْ شَاءَ اللّهُ لِرَبّنَا حَامِدُونَ، أَعُوذُ بِاَللّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ".[1]

---

[1] سيرة ابن هشام ٢٠٦/٣ – ٢٠٧ إسناد ابن إسحاق في الغزوة صحيح وحديث (آيبون تائبون..) له أصل في الصحيحين وغيرهما.

سرية زيد بن حارثة إلى العيص:

(وأسر أبي العاصي بن الربيع):

خرجت في جمادى الأولى سنة ٦ هـ قائدها زيد بن حارثة في ١٧٠ راكبًا، وفيها استولت على قافلة لقريش قائدها أبو العاص بن الربيع خَتَنُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ الَّذِي أَفلتَ إِلى المَدِينةِ.

٦٦٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَأَقَامَ أَبُو الْعَاصِ بِمَكّةَ ، وَأَقَامَتْ زَيْنَبُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ ، حِينَ فَرّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامُ، حَتّى إذَا كَانَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إلَى الشّامِ، وَكَانَ رَجُلًا مَأْمُونًا، بِمَالٍ لَهُ وَأَمْوَالٍ لِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبْضَعُوهَا مَعَهُ.

فَلَمّا فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ وَأَقْبَلَ قَافِلًا، لَقِيَتْهُ سَرِيّةٌ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَصَابُوا مَا مَعَهُ وَأَعْجَزَهُمْ هَارِبًا، فَلَمّا قَدِمَتْ السّرِيّةُ بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَالِهِ أَقْبَلَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللّيْلِ حَتّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللّه ِصَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَاسْتَجَارَ بِهَا، فَأَجَارَتْهُ، وَجَاءَ فِي طَلَبِ مَالِهِ، فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الصّبْحِ - كَمَا حَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ – فكبَّر وكبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ صرخَتْ زَيْنبُ منْ صُفَّةِ النّسَاءِ: أَيّهَا النّاسُ إنّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرّبِيعِ.

قَالَ فَلَمّا سَلّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الصّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: أَيّهَا النّاسِ هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ، إنّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ.

ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَقَالَ: أَيْ بُنَيّةُ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ وَلَا يَخْلُصَنّ إلَيْك، فَإِنّك لَا تَحِلّينَ لَهُ"[1].

٦٧٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ[2]: وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ إلَى السّرِيّةِ الّذِينَ أَصَابُوا مَالَ أَبِي الْعَاصِ فَقَالَ لَهُمْ: إنّ هَذَا الرّجُلَ مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٤ ، وأخرجه البيهقي في السنن ٩/٩٥ والحكام في المستدرك ٣/٢٣٦ وذكره الزيلعي في نصب الراية ٣/٢١١ ومال إلى تصحيحه دار الحديث.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٢ والحاكم في المستدرك وإسناده صحيح . دار الحديث.

، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالًا ، فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدّوا عَلَيْهِ الّذِي لَهُ فَإِنّا نُحِبّ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فَيْءُ اللهِ الّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ أَحَقّ بِهِ.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ بَلْ نَرُدّهُ عَلَيْهِ فَرَدّوهُ عَلَيْهِ حَتّى إنّ الرّجُلَ لِيَأْتِيَ بِالدّلْوِ وَيَأْتِيَ الرّجُلُ بالشّنّةِ[1] وَبِالْإِدَاوَةِ[2] حَتّى إنّ أَحَدَهُمْ لِيَأْتِيَ بِالشّظَاظِ[3] حَتّى رَدّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا ثُمّ احْتَمَلَ إلَى مَكّةَ ، فَأَدّى إلَى كُلّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ وَمَنْ كَانَ أَبْضَعَ مَعَهُ ثُمّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ قَالُوا: لَا، فَجَزَاك اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَجَدْنَاك وَفِيّا كَرِيمًا.

قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاَللهِ مَا مَنَعَنِي مِنْ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُ إلّا تَخَوّفُ أَنْ تَظُنّوا أَنّي إنّمَا أَرَدْت أَنْ آكُلَ أَمْوَالَكُمْ، فَلَمّا أَدّاهَا اللهُ إلَيْكُمْ وَفَرَغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ. ثُمّ خَرَجَ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي دَاوُد بْنُ الْحُصَيْنِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ: رَدّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَيْنَبَ عَلَى النّكَاحِ الْأَوّلِ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا (بَعْدَ سِتّ سِنِينَ)[4].

(سرية الخبط) أو (سرية العنبر)

أو (سرية أبي عبيدة):

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

٦٧١- "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِائَةِ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبَطَ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْخَبَطِ.

فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنَصَبَهُ، فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ - قَالَ

---

(١) الشنة : السقاء البالى.

(٢) الإداوة: إناء يوضع فيه ماء الوضوء.

(٣) الشظاظ : جمع شظية – عود يساعد في ربط فم الجرّة.

(٤) المصدر السابق وأبو داود ،والترمذي ، وابن ماجه وأحمد. وإسناده صحيح.

سُفْيَانُ مَرَّةً ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنَصَبَهُ وَأَخَذَ رَجُلًا وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ - قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ[1].

وفي رواية عند البخاري أيضًا:

٦٧٢- عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: غَزَوْنَا جَيْشَ الْخَبَطِ وَأُمِّرَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَجُعْنَا جُوعًا شَدِيدًا، فَأَلْقَى الْبَحْرُ حُوتًا مَيِّتًا لَمْ نَرَ مِثْلَهُ يُقَالُ لَهُ الْعَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَظْمًا مِنْ عِظَامِهِ فَمَرَّ الرَّاكِبُ تَحْتَهُ.

فَأَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كُلُوا، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: كُلُوا رِزْقًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ، أَطْعِمُونَا إِنْ كَانَ مَعَكُمْ فَأَتَاهُ بَعْضُهُمْ فَأَكَلَهُ.

قال المباركفوري: تذكر هذه السرية في رجب ٨ هـ ولكن السياق يدل على أنها كانت قبل الحديبية؛ لأن المسلمين لم يكونوا يتعرضون لعير قريش بعد صلح الحديبية.

[1] رواه البخاري ٤٠١٣ ترقيم العالمية. ، ومسلم.

الفصل الثانى:

غزوة بني المصطلق:

(وتُسمى غزوة المريسيع):

تاريخ الغزوة:

اختلف الرواة في أنها كانت:

- سنة خمس قبل الأحزاب (قال الحافظ في الفتح : قال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره أنها كانت سنة خمس ،أشبه من قول ابن إسحاق).
- أو سنة ست بعد الأحزاب (وهو قول ابن إسحاق).

ودليل ابن إسحاق: هو ذكر السيدة عائشة أن الحادثة كانت بعد ما نزلت آية الحجاب، وآية الحجاب نزلت في شأن (زينب بنت جحش) وقد تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، أواخر سنة خمس بعد قريظة.

ودليل الآخرين: ذكر سعد بن معاذ في حديث الإفك، وسعد قد استشهد في الأحزاب فتكون الحادثة قبل الأحزاب.

لكن محمد بن حزم يرى أن ذكر سعد بن معاذ وَهْمٌ من الراوي، وقد رواها ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة ، ولم يذكر سعد بن معاذ بل ذكر أسيد بن حضير.ا.هـ

(وهذا ما أرجحه، والله أعلم).

سبب الغزوة:

بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن رئيس بني المصطلق، الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب؛ يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من أحداث الغزوة الهامة:

١) دور المنافقين في إشعال فتنة بين المهاجرين والأنصار ،وقول ابن سلول (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) .

٢) حديث الإفك:

اختيار الرواية:

سنختار رواية ابن إسحاق، فقد رواها من أكثر من طريق صحيحة، وفيها ترتيب وتفصيل حسن.

٦٧٣- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ (محدثًا عن شيوخه):

قَالُوا: "بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، زَوْجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمّا سَمِعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهِمْ حَتّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمُرَيْسِيعُ ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إلَى السّاحِلِ. فَتَزَاحَفَ النّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ اللّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَفّلَ (الله) رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ"[1].

تعقيب:

قال ابن القيم: هو وهم؛ فإنه لم يكن بينهم قتال ،وإنما أغار عليهم على الماء ،فسبى ذراريهم وأموالهم كما في الصحيح: (أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارُّون) .أ.هـ.

شجار الأجيرين من المهاجرين والأنصار:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٧٤- " فَبَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النّاسِ، وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، يُقَالُ لَهُ جَهْجَاه بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ، فَازْدَحَمَ جَهْجَاه وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيّ ، حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاه : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ.

فَغَضِبَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قومه فيهم زيدُ بنُ أرقمَ ، غُلامٌ حدثٌ ، فَقَالَ : أَوَقَدْ فَعلُوهَا؟ ، قَدْ نافرُونَا وكَاثَرُونَا في بِلادِنَا ، واللهِ مَا أَعُدُّنَا وجَلابيبَ قُرَيْشٍ إلّا كَمَا قَالَ الْأَوّلُ سَمّنْ كَلْبَك يَأْكُلك ، أَمَا وَاَللّهِ {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلّ} ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ:

---

[1] قال الهيثمي في المجمع ١٤٢/٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(هَـذَا مَـا فَعَلْـتُمْ بِأَنْفُسِـكُمْ أَحْلَلْتُمُـوهُمْ بِلَادَكُـمْ وَقَاسَـمْتُوهُمْ أَمْـوَالَكُمْ أَمَـا وَاَللّهِ لَـوْ أَمْسَـكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوّلُوا إلَى غَيْرِ دَارِكُمْ).

فَسَـمِعَ ذَلِكَ زَيْـدُ بْنُ أَرْقَـمَ فَمَشَى بِـهِ إلَى رَسُـولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ وَذَلِكَ عِنْـدَ فَـرَاغِ رَسُـولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَـلّمَ مِنْ عَـدُوّهِ فَـأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، وَعِنْـدَهُ عُمَـرُ بْنُ الْخَطّـابِ، فَقَـالَ مُـرْ بِهِ عَبّادَ بْنِ بِشْـرٍ فَلْيَقْتُلْهُ. فَقَالَ لَـهُ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَـلّمَ: فَكَيْفَ يَا عُمَـرُ إذَا تَحَـدّثَ النّـاسُ أَنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؟ لَا وَلَكِنْ أَذّنَ بِالرّحِيلِ. وَذَلِكَ فِي سَـاعَةٍ لَـمْ يَكُـنْ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النّاسُ"[1].

دلالات:

١- عنـد الواقـدي أن النبي (صلى الله عليه وسـلم)قد اسـتوثق الخبر من زيـد بـن أرقـم :مرة بعـد مـرة، وهـذا منهج نبـوي حكيم في الاهتمـام بدقـة النقـل؛ لأن كثيرًا مـن القضـايا تتغير وجهتها وأحداثها بسبب سوء النقل، ولو كان الناقل صالحًا غير فاسق، لكنه غير دقيق.

قال الواقدي:

٦٧٥- " فَقَـامَ زَيْـدُ بْنُ أَرْقَـمَ بِهَـذَا الْحَـدِيثِ كُلّـهِ إلَى رَسُـولِ اللّهِ صَلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ فَيَجِـدُ عِنْـدَهُ نَفَـرًا مِنْ أَصْحَابِـهِ مِنْ الْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنْصَـارِ - أَبَـا بَكْـرٍ ، وَعُثْمَـانَ ، وَسَـعْدًا ، وَمُحَمّـدَ بْـنَ مَسْـلَمَةَ وَأَوْسَ بْـنَ خَـوْلِيّ وَعَبّـادَ بْـنَ بِشْـرٍ - فَـأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ. فَكَـرِهَ رَسُـولُ اللّـهِ صَلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ خَبَرَهُ، وَتَغَيّرَ وَجْهُـهُ، ثُـمّ قَـالَ رَسُـولُ اللّـهِ صَلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ: يَـا غُـلَامُ لَعَلّـك غَضِـبْت عَلَيْـهِ؟ قَـالَ: لَا وَاَللّهِ لَقَدْ سَمِعْته مِنْهُ.

قَالَ: لَعَلّهُ أَخْطَأَ سَمْعُك؟ قَالَ: لَا يَا نَبِيّ اللّهِ.

قَالَ: لَعَلّهُ شُبّهَ عَلَيْك؟ قَالَ: لَا وَاَللّهِ لَقَدْ سَمِعْته مِنْهُ يَا رَسُولَ اللّهِ"[2].

ومن الدلالات أيضًا:

٢- قـول عمـر بن الخطـاب رضي الله عنـه : "مُـرّ عبـاد بن بشـر فليقتلـه" وقـد كان المعهـود أن عمـر يسـتأذن النبـي صلى الله عليـه وسـلم في أن يتـولى بنفسـه قتـل فلان أو فلان، لكنـه في هـذه المرة يقـول (مُـرّ عبـاد) ممـا يـدل على حكمـةٍ وبعـدِ نظـرٍ مـن سـيدنا عمـر، لقـد كانـت

---

[1] ذكره ابن حجر في الفتح ٥١٧/٨ وقال: وهو مرسل جيد، وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق ابن إسحاق وأخرجه البخاري ومسلم (عن تخريج دار الحديث).

[2] مغازي الواقدي ٤١٧/١ المكتبة الشاملة.

المشكلة أصلها عصبية؛ حيث صاح مَنْ صاح (يا للمهاجرين) (يا للأنصار)، فقيام عمر بقتل ابن سلول سوف يؤجج هذه العصبية، ولكن إذا قام بذلك عباد، فهو من قبيلة ابن سلول (الخزرج)؛ فلا يكون مجال لإثارة هذه النعرة.

منهج التعامل مع المنافقين:

٣- فكيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

هذا درس عميق وغاية في الأهمية، نوضح فيه هذه الحقائق:

١) المنافقون كفار، وفي الدرك الأسفل من النار.

٢) القرآن الكريم أخبر عنهم في سورة (المنافقون) وفي سورة التوبة حتى كاد يذكر أسماءهم، والوحي أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسمائهم.

٣) سبق انسحاب ابن أبي بن سلول بثلث الجيش في أحد، وهو عمل عسكري هدام على جماعة المدينة المنورة يستحق العقوبة والمحاكمة العسكرية.

٤) سبق تدخل ابن سلول للعفو عن بني قينقاع بطريقة غاية في سوء الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم.

٥) وهو اليوم يقول :(سمن كلبك يأكلك) ويقول :(لئن رجعنا إلى المدنية ليخرجن الأعز منها الأذل).

٦) وعمر يشير على النبي صلى الله عليه وسلم بقتله .وابنه (عبد الله بن عبد الله بن أبي) مستعد للقيام بهذه المهمة كما سيأتي، وأسيد بن حضير مستعد لإخراجه من المدينة.

- ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يرفض قتل زعيم المنافقين ،أو أي منافق غيره.

الفقه العميق في عدم قتل المنافقين:

أولًا: أنهم يتظاهرون بالإسلام .ينطقون بالشهادة ويُصَلُّون مع المسلمين ،وقد شاءت حكمة الله أن تكون (لا إله إلا الله) عاصمة للمرء حامية لحياته وماله ودمه وعرضه..إعلاءً لكلمة التوحيد.

ثانيًا: ألا يعطي مبرر لكل من شاء أن يتهم فلانًا هذا بالكفر أو النفاق لعمل مَّا، بَدَر منه . ثم يستحل دمه بعد ذلك ، لأن ابن سلول ومن معه كانوا منافقين حقيقيين، وبرغم هذا لم يقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: إذا كان المنافق يعلن الإسلام ويبطن الكفر في قلبه، فَمَنْ من البشر يستطيع أن يشق الصدور ويعلم ما في القلوب؟، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(لم أومر بشق الصدور)، وإذا كان الوحي يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخبر المنافقين فمن يملك هذا بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟!

رابعًا: قول النبي صلى الله عليه وسلم :"فكيف يا عمر إذا تحدث الناس..." فيه موازنة أخرى وهي: حتى لو كان هؤلاء مستحقين للقتل، لكن قتلهم سوف يسبب ضررًا عظيمًا لسمعة المسلمين ونبي الإسلام ، أن يتحدث الناس (إعلاميًا) أن محمدًا يقتل أصحابه، فإذا كان يفعل هذا بأصحابه فمن يأمن أن يدخل في الإسلام بعد ذلك؟

خامسًا: وموازنة أخرى: أن هؤلاء المنافقين بإعلانهم الإسلام؛ صاروا جزءًا من المجتمع المسلم، والانتقال من حرب المواجهة مع الخارج إلى المواجهة مع الداخل هي هدم وإضعاف لنسيج هذا المجتمع، وإثارة للعصبيات والفتن...أحرى بنا أن نتجنبها.

سادسًا: يوم الحساب الأكبر في الآخرة بين يدي علام الغيوب، ولن يفلت واحد من هؤلاء من العقاب، فلم الإصرار على معاقبتهم في الدنيا؟

يحلفون بالله ما قالوا:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٧٦- «وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ بَلّغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ فَحَلَفَ بِاَللّهِ مَا قُلْت مَا قَالَ وَلَا تَكَلّمْت بِهِ . - وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ: "يَا رَسُولَ اللّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرّجُلُ" .. حَدَبًا عَلَى ابْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ ، وَدَفْعًا عَنْهُ ».

النبي (صلى الله عليه وسلم) يشكو إلى أسيد بن حضير:

٦٧٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :« فَلَمّا اسْتَقَلّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَارَ لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَحَيّاهُ بِتَحِيّةِ النّبُوّةِ وَسَلّمَ عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ يَا نَبِيّ اللّهِ وَاَللّهِ لَقَدْ رُحْتَ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْتَ تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَوَ مَا بَلَغَك مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالَ: وَأَيّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ؛ قَالَ: وَمَا قَالَ ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنّهُ إنْ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَن الْأَعَزّ مِنْهَا الْأَذَلّ.

قَالَ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللّهِ وَاَللّهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إنْ شِئْت، هُوَ وَاَللّهِ الذّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ ثُمّ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ: أُرْفُقْ بِهِ فَوَاَللّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللّهُ بِك، وَإِنّ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيُتَوّجُوهُ فَإِنّهُ لَيَرَى أَنّك قَدْ اسْتَلَبْته مُلْكًا».

دلالة:

واضح أن الصحابة أمثال أسيد بن حضير مستعدون لتنفيذ أي أمر من النبي (صلى الله عليه وسلم)، لكن واضح أيضًا، أن سيدنا أُسَيْد يميل إلى (الرِّفق به).

النبي (صلى الله عليه وسلم) يشغلهم عن الفتنة بالسير المرهق:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٧٨- « ثُمّ مَشَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالنّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتّى أَمْسَى، وَلَيْلَتَهُمْ حَتّى أَصْبَحَ وَصَدْرَ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتّى آذَتْهُمْ الشّمْسُ ثُمّ نَزَلَ بِالنّاسِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا، وَإِنّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَشْغَلَ النّاسَ عَنْ الْحَدِيثِ الّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ ابْنِ أُبَيّ».

نزول القرآن يصدق قول الغلام زيد بن أرقم:

روى البخاري:

٦٧٩- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ:

« كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، وَكَذَّبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقَهُمْ.

فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، وَقَالَ عَمِّي مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقَتَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ }.

وَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَهَا وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ»[١].

<u>موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي:</u>

<u>قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :</u>

٦٨٠- « فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنّ عَبْدَ اللّهِ أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّهُ بَلَغَنِي أَنّك تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ فِيمَا بَلَغَك عَنْهُ،

فَإِنْ كُنْت لَا بُدّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ فَأَنَا أَحْمِلُ إلَيْك رَأْسَهُ، فَوَاَللّهِ لَقَدْ عَلِمَتْ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرّ بِوَالِدِهِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ فَلَا تَدَعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ يَمْشِي فِي النّاسِ، فَأَقْتُلَهُ فَأَقْتُلَ (رَجُلًا) مُؤْمِنًا بِكَافِرِ، فَأَدْخُلَ النّارَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا».

<u>دلالات:</u>

هذا حديث صدق واعتراف بخبايا النفس البشرية ،كيف تعلو بالإيمان إلى أعلى الدرجات، وكيف تضعف في بعض المواقف (البشرية):

- فهو مستعد ليحمل رأس أبيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم - إيمانًا واحتسابًا.
- وهو لا يفعل هذا وهو يكره أباه، بل ليس أحد أبرّ بوالديه منه، فانظر كيف يكون ولد بارّ بأبويه،مستعدًّا لقطع رأس هذا الأب!!.
- وإنما يخشى من ضعف نفسه لو قتله رجل غيره أمام ثورة العصبية والثأر للأب المقتول ؛فيقتل قاتل أبيه.
- ويعترف أن قاتل أبيه (مؤمن) وأن أباه (كافر)، وبرغم هذا ممكن أن يقتل قاتل أبيه المؤمن.
- ويخشى دخول النار.. إذن...فأهون عليه أن يتولى بنفسه قتل أبيه.

<u>قول النبي القائد المربي (صلى الله عليه وسلم):</u>

---

[١] رواه البخاري (٤٥٢٤)، ترقيم العالمية.

« بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا » هكذا تكون تصرفات القائد الحريص على لمّ الشمل وجمع الصف، والصبر على (الأصحاب) ما بقوا أصحابًا.

أثر المنهج النبوي:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٦٨١- « وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إذَا أَحْدَثَ الْحَدَثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمْ الّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَنّفُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعُمَرِ بْنِ الْخَطّابِ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ: كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا وَاَللّهِ لَوْ قَتَلْته يَوْمَ قُلْتَ لِيَ اُقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ لَوْ أَمَرْتهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْته؛ قَالَ قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاَللّهِ عَلِمْتُ لَأَمْرُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي».

سبايا بني المصطلق، وزواج الرسول (صلى الله عليه وسلم) بجويرية:

٦٨٢- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

« وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

لَمّا قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشّمّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلّاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إلّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ.

فَأَتَتْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَوَاَللّهِ مَا هُوَ إِلّا أَن رَأَيْتُهَا ،عَلَى بَابِ حُجرَتِى فَكَرِهتُهَا وَعَرَفْتُ أَنّهُ سَيَرَى مِنْهَا صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، سَيّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك، فَوَقَعْت فِي السّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشّمّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُك أَسْتَعِينُك عَلَى كِتَابَتِي، قَالَ: فَهَلْ لَك فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: أَقْضِي عَنْك كِتَابَتك وَأَتَزَوّجُك؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: قَدْ فَعَلْت.

قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إلَى النّاسِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ تَزَوّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، فَقَالَ النّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ. قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إيّاهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا»[1].

رواية ابن هشام لقصة الزواج:

قال ابن هشام:

٦٨٣- « وَيُقَالُ لَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَمَعَهُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَكَانَ بِذَاتِ الْجَيْشِ، دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَدِيعَةً وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَاظِ بِهَا، وَقَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ؛ فَأَقْبَلَ أَبُوهَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ بِفِدَاءِ ابْنَتِهِ. فَلَمّا كَانَ بِالْعَقِيقِ نَظَرَ إلَى الْإِبِلِ الّتِي جَاءَ بِهَا لِلْفِدَاءِ، فَرَغِبَ فِي بَعِيرَيْنِ مِنْهَا، فَغَيّبَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ الْعَقِيقِ، ثُمّ أَتَى إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَصَبْتُمْ ابْنَتِي، وَهَذَا فِدَاؤُهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللّذَانِ غَيّبْتهمَا بِالْعَقِيقِ؟، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ الْحَارِثُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ ، وَأَنّك مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ، فَوَاَللّهِ مَا اطّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إلّا اللّهُ. فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَرْسَلَ إلَى الْبَعِيرَيْنِ فَجَاءَ بِهِمَا، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدُفِعَتْ إلَيْهِ ابْنَتُهُ جُوَيْرِيَةُ، فَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إسْلَامُهَا؛ فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَبِيهَا، فَزَوّجَهُ إيّاهَا، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ»[2].

حديث الإفك في غزوة بني المصطلق:

جريمة نكراء شنيعة ،وتهمة فظيعة، قام بها زعيم المنافقين:

---

[1] سيرة ابن هشام (٣ /٢١٩) وإسناد ابن إسحاق حسن، وأخرجه أبو داوود (٤ /ج٤٩٣١). وأحمد في مسنده (٦ /٢٧٧) وابن جرير الطبري في تاريخه (٢ /١١١). (دار الحديث).

[2] سيرة ابن هشام (٣ /٢٢٠) بدون إسناد وذكره ابن حجر في "الإصابة " (١ /٢٩٤) وعزاه إلى ابن إسحاق في المغازي وقال : وذكر ذلك ابن عائذ في (المغازي) عن محمد بن شعيب عن عبد الله بن زياد منقطعا.

اتهام وإشاعة باطلة تطال الصِّدِّيقة (عائشة) بنت الصديق رضي الله عنها ،وزوج خير البشر محمد (صلى الله عليه وسلم).

حديث الإفك مروي عند البخاري ومسلم وأبو داوود وأحمد وغيرهم.

وسنختار رواية ابن إسحاق التي رواها من أكثر من طريق صحيحة.

قالت عائشة:

٦٨٤- « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فَخَرَجَ سَهْمِي عَلَيْهِنَّ مَعَهُ فَخَرَجَ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ: وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلَقَ [١] لَمْ يَهِجْهُنَّ اللَّحْمُ [٢] فَيَثْقُلْنَ، وَكُنْت إِذَا رَحَلَ لِي بَعِيرِي جَلَسْتُ فِي هَوْدَجِي، ثُمّ يَأْتِي الْقَوْمُ الّذِينَ يُرَحّلُونَ لِي وَيَحْمِلُونَنِي، فَيَأْخُذُونَ بِأَسْفَلَ الْهَوْدَجِ فَيَرْفَعُونَهُ فَيَضَعُونَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ فَيُشِدّونَهُ بِحِبَالِهِ ثُمّ يَأْخُذُونَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ . قَالَتْ: فَلَمّا فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ وَجّهَ قَافِلًا، حَتّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَبَاتَ بِهِ بَعْضَ اللّيْلِ ثُمّ أَذّنَ فِي النّاسِ بِالرّحِيلِ فَارْتَحَلَ النّاسُ.

وَخَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي[٣]، وَفِي عُنُقِي عِقْدٌ لِي، فِيهِ جَزْعُ ظِفَارِ[٤]، فَلَمّا فَرَغْتُ انْسَلّ مِنْ عُنُقِي وَلَا أَدْرِي، فَلَمّا رَجَعْتُ إِلَى الرّحْلِ ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُهُ فِي عُنُقِي، فَلَمْ أَجِدْهُ وَقَدْ أَخَذَ النّاسُ فِي الرّحِيلِ فَرَجَعْت إِلَى مَكَانِي الّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَالْتَمَسْته حَتّى وَجَدْته. وَجَاءَ الْقَوْمُ خِلَافِي، الّذِينَ كَانُوا يُرَحّلُونَ لِيَ الْبَعِيرَ وَقَدْ فَرَغُوا مِنْ رِحْلَتِهِ فَأَخَذُوا الْهَوْدَجَ وَهُمْ يَظُنّونَ أَنّي فِيهِ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ، فَاحْتَمَلُوهُ فَشَدّوهُ عَلَى الْبَعِيرِ وَلَمْ يَشُكّوا أَنّي فِيهِ ثُمّ أَخَذُوا بِرَأْسِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقُوا بِهِ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَمَا فِيهِ مِنْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٍ قَدْ انْطَلَقَ النّاسُ.

قَالَتْ: فَتَلَفّفْت بِجِلْبَابِي، ثُمّ اضْطَجَعْتُ فِي مَكَانِي، وَعَرَفْت أَنْ لَوْ قَدْ أُفْتُقِدْت لَرُجِعَ إِلَيّ. قَالَتْ: فَوَاَللّهِ إِنّي لَمُضْطَجِعَةٌ إِذْ مَرّ بِي صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطّلِ السّلَمِيُّ، وَقَدْ كَانَ تَخَلّفَ عَنْ

---

(١) العُلق: القليل من الطعام الذي يكفي بصعوبة.

(٢) التهَييج: كالورم– أي لم يحملن كثيرا من اللحم.

(٣) كان من عادة القوافل تأخر أحد الركاب ليلتقط ما يسقط من المتاع.

(٤) أي خرز من مدينة ظفار اليمنية.

الْعَسْكَرِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَلَمْ يَبِتْ مَعَ النّاسِ فَرَأَى سَوَادِي، فَأَقْبَلَ حَتّى وَقَفَ عَلَيّ وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ، فَلَمّا رَآنِي قَالَ: إنّا لِلّهِ وَإِنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ! ظَعِينَةُ [١] رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ؟! وَأَنَا مُتَلَفّفَةٌ فِي ثِيَابِي، قَالَ: مَا خَلّفَك يَرْحَمُك اللهُ؟ قَالَتْ: فَمَا كَلّمَتْهُ، ثُمّ قَرّبَ الْبَعِيرَ فَقَالَ ارْكَبِي، وَاسْتَأْخَرَ عَنّي.

قَالَتْ: فَرَكِبْتُ وَأَخَذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ سَرِيعًا، يَطْلُبُ النّاسَ، فَوَاَللّهِ مَا أَدْرَكْنَا النّاسَ وَمَا افْتُقِدْت حَتّى أَصْبَحْتُ وَنَزَلَ النّاسُ. فَلَمّا اطْمَأَنّوا طَلَعَ الرّجُلُ يَقُودُ بِي، فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَارْتَعَجَ (فارتجَّ؟) الْعَسْكَرُ وَوَاللّهِ مَا أَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ».

مرض السيدة عائشة رضي الله عنها:

قالت: « ثُمّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ اشْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شئ، وقَدْ انتَهَى الحديثُ إلَى رسولِ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَإِلَى أَبَوَيّ لَا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، إلّا أَنّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي ، كُنْت إذَا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي، وَلَطَفَ بِي، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ، فَأَنْكَرْت ذَلِكَ مِنْهُ، كَانَ إذَا دَخَلَ عَلَيّ وَعِنْدِي أُمّي تُمَرّضُنِي قَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ».

انْتِقَالُهَا إلَى بَيْتِ أَبِيهَا وَعِلْمُهَا بِمَا قِيلَ فِيهَا:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

قَالَتْ: «حَتّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي، فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ حِينَ رَأَيْتُ مَا رَأَيْت مِنْ جَفَائِهِ لِي: لَوْ أَذِنْتَ لِي، فَانْتَقَلْت إلَى أُمّي ، فَمَرّضْتنِي؟ قَالَ لَا عَلَيْك. قَالَتْ: فَانْتَقَلْت إلَى أُمّي، وَلَا عِلْمَ لِي بِشَيْءٍ مِمّا كَانَ حَتّى نَقِهْت مِنْ وَجَعِي بَعْدَ بِضْعٍ وَعَشْرَيْنِ لَيْلَةً».

معرفتها للخبر الفجيعة:

قالت: « وَكُنّا قَوْمًا عَرَبًا، لَا نَتّخِذُ فِي بُيُوتِنَا هَذِهِ الْكُنُفَ الّتِي تَتّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ، نَعَافُهَا وَنَكْرَهُهَا، إنّمَا كُنّا نَذْهَبُ فِي فُسَحِ الْمَدِينَةِ، وَإِنّمَا كَانَتْ النّسَاءُ يَخْرُجْنَ كُلّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنّ فَخَرَجْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ حَاجَتِي وَمَعِي أُمّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ، وَكَانَتْ أُمّهَا خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَتْ: فَوَاَللّهِ إنّهَا لَتَمْشِي مَعِي إذْ عَثَرْت فِي مِرْطِهَا [٢] ؛ فَقَالَتْ

---

[١] ظعينة: تطلق على المرأة المسافرة، وعلى المرأة عموما.

[٢] كساء من حرير أو صوف أو كتان.

تَعِسَ مِسْطَحٌ، وَمِسْطَحٌ لَقَبٌ وَاسْمُهُ عَوْفٌ، قَالَتْ: قُلْت: بِئْسَ لَعَمْرُ اللّهِ مَا قُلْتِ لِرَجُلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَوْ مَا بَلَغَك الْخَبَرُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ قُلْت: وَمَا الْخَبَرُ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِالّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ. قَالَتْ قُلْت: أَوَ قَدْ كَانَ هَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَاَللّهِ لَقَدْ كَانَ».

أثر الخبر عليها رضي الله عنها:

" قَالَتْ فَوَاَللّهِ مَا قَدَرْت عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي، وَرَجَعْت، فَوَاَللّهِ مَا زِلْت أَبْكِي حَتّى ظَنَنْت أَنّ الْبُكَاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي ؛ قَالَتْ وَقُلْت لِأُمّي: يَغْفِرُ اللّهُ لَك، تَحَدّثَ النّاسُ بِمَا تَحَدّثُوا بِهِ وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالَتْ: أَيْ بُنَيّةُ خَفّضِي عليكِ الشَّأنَ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسْنَاءُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ إلّا كَثّرْنَ وَكَثّرَ النّاسُ عَلَيْهَا».

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يخطب في الناس:

« قَالَتْ: وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فِي النّاسِ يَخْطُبُهُمْ وَلَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمّ قَالَ: أَيّهَا النّاسُ مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي أَهْلِي وَيَقُولُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْحَقّ وَاَللّهِ مَا عَلِمْت مِنْهُمْ إلّا خَيْرًا، وَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَجُلِ وَاَللّهِ مَا عَلِمْت مِنْهُ إلّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي إلّا وَهُوَ مَعِي».

الذي تولى كبره، والذين خاضوا فيه:

« قَالَتْ: وَكَانَ كُبْر ذَلِكَ عِنْدِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ فِي رِجَالٍ مِنْ الْخَزْرَجِ مَعَ الّذِي قَالَ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَذَلِكَ أَنّ أُخْتَهَا زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ نِسَائِهِ امْرَأَةٌ تُنَاصِينِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ غَيْرُهَا ؛ فَأَمّا زَيْنَبُ فَعَصَمَهَا اللّهُ تَعَالَى بِدِينِهَا فَلَمْ تَقُلْ إلّا خَيْرًا، وَأَمّا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَأَشَاعَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشَاعَتْ تُضَادّنِي لِأُخْتِهَا، فَشَقِيَتْ بِذَلِكَ».

مشادّة بين الأوس والخزرج:

« فَلَمّا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ قَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ:[1] يَا رَسُولَ اللهِ إنْ يَكُونُوا مِنْ الْأَوْسِ نَكْفِكَهُمْ وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ، فَمُرْنَا بِأَمْرِك، فَوَاَللّهِ إنّهُمْ لَأَهْلٌ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ.

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُرَى رَجُلًا صَالِحًا ، فَقَالَ: كَذَبْت لَعَمْرُ اللهِ، لَا نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَاَللهِ مَا قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إلّا أَنّك قَدْ عَرَفْت أَنّهُمْ مِنْ الْخَزْرَجِ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِك مَا قُلْتَ هَذَا. فَقَالَ أُسَيْدٌ: كَذَبْت لَعَمْرُ اللهِ وَلَكِنّك مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ. قَالَتْ: وَتَسَاوَرَ النّاسُ حَتّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَيْنِ الحيَّيْنِ منَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَرّ. وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَدَخَلَ عَلَيّ».

مشاورة عليٍّ وأسامة:

« (قَالَتْ): فَدَعَا عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ - وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَاسْتَشَارَهُمَا؛ فَأَمّا أُسَامَةُ فَأَثْنَى عَلَيّ خَيْرًا وَقَالَهُ، ثُمّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَهْلُك وَلَا نَعْلَمُ مِنْهُمْ إلّا خَيْرًا، وَهَذَا الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ. وَأَمّا عَلِيّ فَإِنّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنّ النّسَاءَ لَكَثِيرٌ وَإِنّك لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ، وَسَلْ الْجَارِيَةَ فَإِنّهَا سَتَصْدُقُكَ.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَرِيرَةَ لِيَسْأَلَهَا؛ قَالَتْ: فَقَامَ إلَيْهَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ أُصْدُقِي رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَتْ فَتَقُولُ: وَاَللهِ مَا أَعْلَمُ إلّا خَيْرًا ، وَمَا كُنْت أَعِيبُ عَلَى عَائِشَةَ شَيْئًا ، إلّا أَنّي كُنْت أَعْجِنُ عَجِينِي، فَآمُرُهَا أَنْ تَحْفَظَهُ فَتَنَامُ عَنْهُ فَتَأْتِي الشّاةُ فَتَأْكُلُهُ».

نزول القرآن لفصل القول:

« قَالَتْ ثُمّ دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَعِنْدِي أَبَوَايَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَا أَبْكِي ، وَهِيَ تَبْكِي مَعِي ، فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ:

---

[1] سبق أن ذكرنا في توقيت غزوة المصطلق أن بعض الرواة ذكر سعد بن معاذ هنا مكان أسيد بن حضير، وترجح أنه أسيد لوفاة سعد بن معاذ في الأحزاب وتكون المصطلق بعد غزوة الأحزاب.

يَا عَائِشَةُ، إِنّهُ قَدْ كَانَ مَا قَدْ بَلَغَك مِنْ قَوْلِ النّاسِ، فَاتّقِي اللّهَ وَإِنْ كُنْت قَدْ قَارَفْت سُوءًا مِمّا يَقُولُ النّاسُ فَتُوبِي إلَى اللّهِ فَإِنّ اللّهَ يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ.

قَالَتْ: فَوَاَللّهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ فَقَلَصَ دَمْعِي، حَتّى مَا أُحِسّ مِنْهُ شَيْئًا، وَانْتَظَرْت أَبَوَيّ أَنْ يُجِيبَا عَنّي رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَلَمْ يَتَكَلّمَا. قَالَتْ: وَأَيْمُ اللّهِ لَأَنَا كُنْت أَحْقَرَ فِي نَفْسِي، وَأَصْغَرَ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُنْزِلَ اللّهُ فِيّ قُرْآنًا يُقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ وَيُصَلّى بِهِ، وَلَكِنّي قَدْ كُنْت أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي نَوْمِهِ شَيْئًا يُكَذّبُ بِهِ اللّهُ عَنّي ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَتِي ، أَوْ يُخْبِرُ خَبَرًا ؛ فَأَمّا قُرْآنٌ يَنْزِلُ فِيّ فَوَاَللّهِ لَنَفْسِي كَانَتْ أَحْقَرَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ. قَالَتْ: فَلَمّا لَمْ أَرَ أَبَوَيّ يَتَكَلّمَانِ قَالَتْ قُلْت لَهُمَا : أَلَا تُجِيبَانِ رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ؟ قَالَتْ فَقَالَا: وَاَللّهِ مَا نَدْرِي بِمَاذَا نُجِيبُهُ. قَالَتْ: وَوَاللّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْأَيّامِ.

قَالَتْ: فَلَمّا أَنْ اسْتَعْجَمَا عَلَيَّ اسْتَعْبَرْتُ فَبَكَيْتُ ثُمّ قُلْت: وَاَللّهِ لَا أَتُوبُ إلَى اللّهِ مِمّا ذَكَرْت أَبَدًا، وَاَللّهِ إنّي لَأَعْلَمُ لَئِنْ أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُ النّاسُ وَاَللّهُ يَعْلَمُ أَنّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَأَقُولَنّ مَا لَمْ يَكُنْ، وَلَئِنْ أَنَا أَنْكَرْت مَا يَقُولُونَ لَا تُصَدّقُونَنِي. قَالَتْ: ثُمّ الْتَمَسْت اسْمَ يَعْقُوبَ فَمَا أَذْكُرُهُ فَقُلْت: وَلَكِنْ سَأَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} قَالَتْ: فَوَاَللّهِ مَا بَرِحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَجْلِسَهُ حَتّى تَغَشّاهُ مِنْ اللّهِ مَا كَانَ يَتَغَشّاهُ، فَسُجّيَ بِثَوْبِهِ وَوُضِعَتْ لَهُ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ تَحْت رَأْسِهِ.

فَأَمّا أَنَا حِينَ رَأَيْت مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْت، فَوَاَللّهِ مَا فَزِعْت وَلَا بَالَيْتُ، قَدْ عَرَفْت أَنّي بَرِيئَةٌ وَأَنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ غَيْرُ ظَالِمِي. وَأَمّا أَبَوَايَ فَوَاَلّذِي نَفْسُ عَائِشَةَ بِيَدِهِ مَا سُرّيَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَن أَنْفُسُهُمَا، فَرَقًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ اللّهِ تَحْقِيقُ مَا قَالَ النّاسُ.

قَالَتْ: ثُمّ سُرّيَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَجَلَسَ وَإِنّهُ لَيَتَحَدّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ وَيَقُولُ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ فَقَدْ أَنَزَلَ اللّهُ بَرَاءَتَك؛ قَالَتْ قُلْت: بِحَمْدِ اللّهِ، ثُمّ خَرَجَ إلَى النّاسِ فَخَطَبَهُمْ وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنَزَلَ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ الْقُرْآنِ فِي

ذَلِكَ. ثُمّ أَمَرَ بِمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ وَحَسّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَكَانُوا مِمّنْ أَفْصَحَ بِالْفَاحِشَةِ فَضُرِبُوا حَدّهُمْ »[1].

مقالة أبي أيوب الحكيمة:

٦٨٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: « وَحَدّثَنِي أَبِو إسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النّجّارِ: أَنّ أَبَا أَيّوبٍ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمّ أَيّوبَ: يَا أَبَا أَيّوبَ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ: بَلَى ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ أَكُنْت يَا أُمّ أَيّوبَ فَاعِلَةٌ ؟ قَالَتْ: لَا وَاَللّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاَللّهِ خَيْرٌ مِنْك ».

أبو بكر ينفق على مسطح:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٨٦- « فَلَمّا نَزَلَ هَذَا فِي عَائِشَةَ وَفِيمَنْ قَالَ لَهَا مَا قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ - وَاَللّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، وَلَا أَنْفَعُهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا بَعْدَ الّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا. قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللّهُ فِي ذَلِك {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاَللّهِ إنّي لَأُحِبّ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لِي ، فَرَجّعَ إلَى مِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ الّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاَللّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا».

دلالات وعظات:

- حديث الإفك ابتلاء كبير، نتألم فيه لألم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأبي بكر رضي الله عنه، وأم رومان، رضي الله عنها، كلهم قد تعرض لجرح في القلب بسبب هذه الإشاعة الدنيئة.
- فما حكمة الله عز وجل من هذا البلاء؟؟؟

لا شك أن من حكمته تبارك تعالى أن يشعر المسلمون بحجم الجريمة التي تقع بسبب (قذف المحصنات) من المؤمنات، لأن الصورة تكون أوضح، حينما نتصور إمكان حدوث

---

[1] هذا تمام رواية ابن إسحاق، يؤيده ما رواه البخاري (٧ /٤١٤١ /فتح)، (٨ /٤٧٥٠ /فتح) ومسلم (٤ /٢١٢٩ /٥٦)، وأبو داوود (٤ /ج٤٧٣٥) وأحمد (٦ /١٩٤– ١٩٨ ،٢٦٤) وغيرهم (عن تخريج دار الحديث).

هذا القذف في حق أم المؤمنين، ومنها يتعلم المسلمون خطر آفات اللسان وإطلاقه بغير عنان في حق الأعراض التي أمر الله بصيانتها.

- ثم نتعلم أهمية التشريع الإسلامي وإقامة الحدود في المجتمع الإسلامي (ومنها حد القذف- ثمانون جلدة).
- وهذه مقتطفات من كلمات الشهيد سيد قطب في ظلال حديث الإفك من سورة النور:

يقول سيد قطب(رحمه الله تعالى):

هذا الحادث (حادث الإفك) قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها، آلامًا لا تطاق؛ وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل؛ وعلق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل. . شهراً كاملًا، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

ويقول (رحمه الله تعالى):

وهكذا عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته . وعاش أبو بكر رضي الله عنه وأهل بيته . وعاش صفوان بن المعطل . وعاش المسلمون جميعًا هذا الشهر كله، في مثل هذا الجو الخانق ، وفي ظل تلك الآلام الهائلة ، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات.

وإن الإنسان ليقف متململًا أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجه المقربة. فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة. ها هي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها، ونظافة تصوراتها، ها هي ذي ترمى في أعز ما تعتز به. ترمى في شرفها. وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع . وترمى في أمانتها . وهي زوج محمد بن عبد الله من ذروة بني هاشم . وترمى في وفائها . . ثم ترمى في إيمانها . وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام ، من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة . وهي زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ويقول(رحمه الله تعالى):

وها هو ذا أبو بكر الصديق في وقاره وحساسيته وطيب نفسه، يلذعه الألم ، وهو يرمى في عرضه . في ابنته زوج محمد صاحبه الذي يحبه ويطمئن إليه، ونبيه الذي يؤمن به ويصدقه

تصديق القلب المتصل ، لا يطلب دليلًا من خارجه. . وإذ الألم يفيض على لسانه ، وهو الصابر المحتسب القوي على الألم ، فيقول : والله ما رمينا بهذا في جاهلية. أفنرمى به في الإسلام؟ وهي كلمة تحمل من المرارة ما تحمل. حتى إذا قالت له ابنته المريضة المعذبة: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرارة هامدة: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم!

وأم رومان زوج الصديق رضي الله عنهما وهي تتماسك أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء. المريضة التي تبكي حتى تظن أن البكاء فالق كبدها . فتقول لها : يا بنية هوني على نفسك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . . ولكن هذا التماسك يتزايل وعائشة تقول لها: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول كما قال زوجها من قبل: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم!

والرجل المسلم الطيب الطاهر المجاهد في سبيل الله صفوان بن المعطل. وهو يُرمَى بخيانة نبيه في زوجه . فيرمى بذلك في إسلامه ، وفي أمانته ، وفي شرفه ، وفي حميته. وفي كل ما يعتز به صحابي ، وهو من ذلك كله بريء . وهو يفاجأ بالاتهام الظالم وقلبه بريء من تصوره، فيقول: سبحان الله! والله ما كشفت كتف أنثى قط. ويعلم أن حسان بن ثابت يروج لهذا الإفك عنه ، فلا يملك نفسه أن يضربه بالسيف على رأسه ضربة تكاد تودي به. ودافعه إلى رفع سيفه على امرئ مسلم ، وهو منهي عنه ، أن الألم قد تجاوز طاقته، فلم يملك زمام نفسه الجريح!

ثم ها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رسول الله ، وهو في الذروة من بني هاشم . . ها هو ذا يرمى في بيته . وفي مَنْ؟ في عائشة التي حلت من قلبه في مكان الابنة والزوجة والحبيبة . وها هو ذا يرمى في طهارة فراشه ، وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة . وها هو ذا يرمى في صيانة حرمته ، وهو القائم على الحرمات في أمته .

ويقول (رحمه الله تعالى):

وعندما تصل الآلام إلى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربه ، فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة؛ وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع؛ ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك ، ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة في مواجهة مثل هذا الشأن العظيم.

ثم سارع بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد: {لا تحسبوه شرًا لكم؛ بل هو خير لكم} . . خير: فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله؛ ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . فهي عندئذ لا تقف عند حد . إنما تمضي صعدًا إلى أشرف المقامات ، وتتطاول إلى أعلى الهامات ، وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء .

وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة بهذه المناسبة عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم .

أما الآلام التي عاناها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، والجماعة المسلمة كلها ، فهي ثمن التجربة ، وضريبة الابتلاء ، واجبة الأداء!

{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا، وقالوا : هذا إفك مبين} . .

نعم كان هذا هو الأولى . . أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا . وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة . . وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد- هما- من أنفسهم ، فظن الخير بهما أولى . فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيرًا . . كذلك فعل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما.

{لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء! فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون}، وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات ، وأطهر الأعراض، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة؛ وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة؛ وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل: {لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء!} وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن:

كاذبون عند الله الذي لا يبدل القول لديه ، والذي لا يتغير حكمه ، ولا يتبدل قراره ، فهي الوصمة الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة لهم منها ، ولا نجاة لهم من عقباها .

هاتان الخطوتان : خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير . وخطوة التثبيت بالبينة والدليل . . غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك؛ وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو أمر عظيم لولا لطف الله، لمسّ الجماعة كلها البلاء العظيم ، فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدًا بعد هذا الدرس الأليم[1].

---

(1) في ظلال القرآن الكريم (٥ /٢٧٦) المكتبة الشاملة.

الفصل الثالث:

صلح الحديبية:

ذو القعدة سنة ٦هـ

تمهيد:

- مضت ست سنوات منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لم يروا فيها بلدهم الحبيب مكة ، ولم يحجوا ولم يعتمروا، وهم أهل الحرم وساكنوه، وأولى الناس به.
- ومع هذا الشوق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا أنه- وأصحابه يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت العتيق، وأخبر أصحابه ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا.

٦٨٧- قال ابن كثير في التفسير:

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قد أُرِيَ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام[1]،

قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} الفتح(٢٧).

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٨٨- « أَقَامَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِالْمَدِينَةِ شَهْرَ رَمَضَانَ وَشَوّالًا ، وَخَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مُعْتَمِرًا ، لَا يُرِيدُ حَرْبًا ، وَاسْتَنْفَرَ الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنْ الْأَعْرَابِ لِيَخْرُجُوا مَعَهُ وَهُوَ يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الّذِي صَنَعُوا ، أَنْ يَعْرِضُوا لَهُ بِحَرْبِ أَوْ يَصُدّوهُ عَنْ الْبَيْتِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ الْأَعْرَابِ. وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - بِمَنْ مَعَهُ مِنْ

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ح ٧ /٣٥٦) المكتبة الشاملة.

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنْ الْعَرَبِ، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ لِيَأْمَنَ النّاسُ مِنْ حَرْبِهِ، وَلِيَعْلَمَ النّاسُ أَنّهُ إنّمَا خَرَجَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ وَمُعَظّمًا لَهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٨٩- حَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزّهْرِيّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ مِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنّهُمَا حَدّثَاهُ قَالَا :

خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الهدى سَبْعِينَ بَدَنَةٍ ، وَكَانَ النّاسُ سَبْعَ مِئَةِ رَجُلٍ فَكَانَتْ كُلّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةِ نَفَرٍ. وَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ ، فِيمَا بَلَغَنِي ، يَقُولُ كُنّا أَصْحَابَ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً»[١].

وروى البخاري عَنْ الْبَرَاءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

٦٩٠- « تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً..... الحديث»[٢].

قريش عازمة على المواجهة والصد عن البيت الحرام:

٦٩١- قَالَ الزّهْرِيّ : «وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - حَتّى إذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيّ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ ، قَدْ سَمِعْت بِمَسِيرِك ، فَخَرَجُوا مَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ [٣] قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النّمُورِ وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى، يُعَاهِدُونَ اللّهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قَدّمُوهَا إلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ.

قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ الّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَافِرِينَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوّةٌ فَمَا تَظُنّ قُرَيْشٌ؟! فَوَاَللّهِ لَا أَزَالُ أُجَاهِدُ عَلَى الّذِي بَعَثَنِي اللّهُ بِهِ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السّالِفَةُ[٤]»[٥].

---

[١] وهو الصحيح أخرجه البخاري مختصرا في المغازي سيرة ابن هشام (٣ / ٢٣٠).

[٢] رواه البخاري (٣٨٣٥) ترقيم العالمية.

[٣] العوذ: الإبل حديثة النتاج– المطافيل: التي معها أولادها يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والأطفال.

[٤] تنفرد هذه السالفة: تنقطع الرقبة.

[٥] سيرة ابن هشام (٣ /٢٣٠).

النبي (صلى الله عليه وسلم)يتجنب المواجهة، ويميل إلى الموادعة:

فعل ذلك الحبيب صلى الله عليه وسلم في كل رحلة الحديبية؛ لأنه جاء يريد العمرة ويعظم البيت الحرام، ولا يريد حربًا:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٦٩٢- « ثُمّ قَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الّتِي هُمْ بِهَا؟ فقال رجل مِنْ أَسْلَمَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: فَسَلَكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَعْرًا أَجْرَلَ بَيْنَ شِعَابٍ فَلَمّا خَرَجُوا مِنْهُ وَقَدْ شَقّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضَوْا إلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطِعِ الْوَادِي، قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلنّاسِ: قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَنَتُوبُ إلَيْهِ. فَقَالُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاَللّهِ إنّهَا لَلْحِطّةُ الّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا»[(١)].

بركت القصواء:

٦٩٣- قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : « فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - النّاسَ فَقَالَ: اُسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرَيْ الْحَمْشِ[(٢)]، فِي طَرِيقٍ عَلَى ثَنِيّةِ الْمُرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكّةَ. قَالَ: فَسَلَكَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الطّرِيقَ فَلَمّا رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ الْجَيْشِ[(٣)] قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ رَجَعُوا رَاكِضِينَ إلَى قُرَيْشٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى إذَا سَلَكَ فِي ثَنِيّةِ الْمُرَارِ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَتْ النّاسُ: خَلَأَتْ النّاقَةُ[(٤)]، قَالَ: مَا خَلَأَتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكّةَ، لَا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ الْيَوْمَ إلَى خُطّةٍ يَسْأَلُونَنِي فِيهَا صِلَةَ الرّحِمِ إلّا أَعْطَيْتُهُمْ إيّاهَا، ثُمّ قَالَ لِلنّاسِ انْزِلُوا؛ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا بِالْوَادِي مَاءٌ نَنْزِلُ عَلَيْهِ! فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَزَلَ بِهِ فِي قَلِيبٍ[(٥)] مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ. فَغَرّزَهُ فِي جَوْفِهِ فَجَاشَ بِالرّوّاءِ[(٦)] حَتّى ضَرَبَ النّاسُ عَنْهُ بِعَطَنٍ[(٧)]».

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ /٢٣١) وابن جرير في التاريخ (٢ /١١٧) وابن كثير في البداية (٤ /١٦٥) وقوله: أجرل: كثير الحجارة.

(٢) الحمش: كل نبات فيه ملوحة (حامض الطعم).

(٣) غبار الجيش.

(٤) بركت وحرنت رافضة القيام.

(٥) القليب: البئر.

(٦) جاش بالرواء: علا فيه الماء وكثر.

(٧) سيرة ابن هشام (٣ /٢٣١).

وهذه رواية البخاري:

عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا:

٦٩٤- « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ. فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ.

وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا.

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ»[1].

دلالات:

١) (حبسها حابس الفيل) رواية مؤكدة تدل على أن أمر صلح الحديبية كان بالوحي لا مجال فيه للاجتهاد، وأنَّ عِلمَ الله سَبق وحكمتَهُ قدَّرت أن لا يكون قتال في البلد الحرام من أجل العمرة، ولذلك تخرج هذه الواقعة عن نطاق الأدلة التي يختلف فيها الفقهاء حول إلزامية الشورى، ولا مجال للقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وافق على شروط صلح الحديبية على خلاف ما أراد أصحابه، فالأمر في مجمله كان بالوحي.

٢) الدلالة الثانية هي تطابق رواية البخاري مع رواية ابن إسحاق (تقريبًا) وهذه نسوقها ضمن كثير من الأدلة التي تثبت عُلُوّ مقدار ابن إسحاق في (المغازي) وقد قال عنه ابن القيم (إمام أهل السير والمغازي) وقال الشافعي (الناس عيال على ابن إسحاق في المغازي) مع موافقتنا على أهمية مراجعة الرواة وكل الروايات للتحقق من صحتها.

[1] جزء من حديث البخاري (٢٥٢٩) ترقيم العالمية، حَلْ: كلمة زجر للناقة، ثمد: حفرة صغيرة بها ماء قليل.

٣) السهم في البئر: معجزة أخرى من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، والتي تكاد تفوق القدرة على الحصر.

<u>بُدَيْل بنُ وَرْقَاء سفيرًا لقريش:</u>

٦٩٥- «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ[1] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ[2] وَمَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ[3] مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ.

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. قَالَ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[4].

<u>عروة بن مسعود، سفير حكيم لقريش:</u>

٦٩٦- « فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا بَلَى. قَالَ: أَوَ لَسْتُ بِالْوَلَدِ؟[5] قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا[6] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ. قَالُوا: ائْتِهِ.

---

(١) عيبة نصح: أي موضع سره وثقته صلى الله عليه وسلم.

(٢) الأعداد: هو الماء الذي لا انقطاع له.

(٣) أي عاهدتهم على وقف الحرب مدَّة من الزمن.

(٤) تابع رواية البخاري السابقة (٢٥٢٩).

(٥) أم عروة من قريش فهم أخواله فهم بمثابة الوالد له (الخال والد عند العرب).

(٦) بَلَّحُوا: امتنعوا.

فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ. فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ! أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا[١] مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ[٢] أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟! فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ. فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ[٣] أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟[٤] وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ. ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ.

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ[٥] رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُحَمَّدًا. وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا

---

(١) أوشابًا: أي أخلاطا من أنواع شتى، وتروى أوباشًا: أي أخلاطا من السَّفَلة.

(٢) البظر: قطعة في فرج المرأة– واللات: صنمهم الذي يعبدون وكانت عادة العرب الشَّتْمُ بذلك.

(٣) أي غُدَر: مبالغة في وصفه بالغدر.

(٤) مازلت أسعى في دفع شر غدرتك، وملخصها عند ابن هشام أنه خرج مع ١٣ رجلا من ثقيف، ثم غدر بهم وقتلهم وأخذ أموالهم..

(٥) فعلوا ذلك تبركا بنخامة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أقرهم على ذلك، وذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط.

أَصْـوَاتَهُمْ عِنْـدَهُ وَمَـا يُحِـدُّونَ إِلَيْـهِ النَّظَـرَ تَعْظِيمًـا لَـهُ وَإِنَّـهُ قَـدْ عَـرَضَ عَلَـيْكُمْ خُطَّـةَ رُشْـدٍ فَاقْبَلُوهَا»[1].

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ.

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ.

دلالات:

- هذا من أروع أوصاف حال الصحابة مع النبي (صلى الله عليه وسلم):المسارعة إلى أمره وخفض الأصوات عنده، وعدم النظر إليه (بحدة) تعظيمًا له، والتبرك بوضوئه – حتى النخامة، وهذا من دلائل الحب الفياض.
- وحب الرسول صلي الله عليه وسلم لم يكن قضية شكلية فحسب، فهم الذين يفتدونه بأنفسهم حال الحرب والجهاد، وهم الذين يتأسون به في مضمار العبادة والأخلاق.
- ووصْفُ عروة هذا كان له أثر كبير في قبول قريش المهادنة.
- وكانت هذه - في عروة - النبتة الأولى للإيمان في قلبه، فقد أسلم بعد غزوة الطائف- أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، ثم رجع يدعو قومه إلى الإسلام فقتلوه، فمات شهيدًا رضي الله عنه.

مكرز بن حفص، سفيرًا آخر من قريش:

٦٩٧- رواية ابن إسحاق عن الزهري:

---

[1] جزء من رواية البخاري السابقة (٢٥٢٩).

« قَالَ ثُمّ بَعَثُوا إلَيْهِ مِكْرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الْأَخْيَفِ ، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ ، فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُقْبِلًا قَالَ: هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ. فَلَمّا انْتَهَى إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَلّمَهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَحْوًا مِمّا قَالَ لِبُدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ، فَرَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ»[1].

ثم الحليس بن علقمة:

« ثمّ بَعَثُوا إلَيْهِ الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبّانَ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيّدَ الْأَحَابِيشِ[2]، فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: إنّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلّهُونَ فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتّى يَرَاهُ، فَلَمّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِه[3] وَقَدْ أَكَلَ أَوْبَارَهُ[4] مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلّهِ رَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَصِلْ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إعْظَامًا لِمَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ، قَالَ فَقَالُوا لَهُ: اجْلِسْ فَإِنّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيّ لَا عِلْمَ لَك.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

٦٩٨- فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنّ الْحُلَيْسَ غَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاَللّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالَفْنَاكُمْ ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاقَدْنَاكُمْ، أَيُصَدّ عَنْ بَيْتِ اللّهِ مَنْ جَاءَ مُعَظّمًا لَهُ؟ وَاَلّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ لَتُخَلّنّ بَيْنَ مُحَمّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ أَوْ لَأَنْفِرَن بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: مَهْ كُفّ عَنّا يَا حُلَيْسُ حَتّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ»[5].

دلالات:

- قول النبي (صلى الله عليه وسلم)عن مكرز أنه رجل غادر- يدل على معرفة واسعة بقبائل العرب ورجالهم، فإن مكرز هذا غدر فقتل (عامر بن يزيد) سيد بني بكر بعد أن كان بينهم صلح، وهي قصة قديمة قبل الإسلام.

[1] سيرة ابن هشام (٣ /٢٣٣) ، ورواه أحمد في سنده وإسناد صحيح (دار الحديث).
[2] الأحابيش ليسوا من الحبشة وإنما قبائل عربية تحالفوا مع قريش عند جبل حبشي أسفل مكة.
[3] القلائد: قطع من الجلد تعلق في رقبة الهدي ليعرفه الناس، ولا يقربونه.
[4] أكل أوباره: تساقط وبره عند موضع الحبل من رقبته.
[5] المصدر السابق (ابن هشام) – وكما ذكرنا الرواية تتفق في أكثر تفاصيلها مع رواية البخاري، وكلاهما صحيحة من طريق الزهري.

- وتصرفه صلى الله عليه وسلم مع الحليس كان بليغا حكيما، أَفْهَمَ الرجل الرسالة التي تؤثر فيه، لسابق معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الحليس من قوم يعظمون الحرم.
- وفي التطبيقات المعاصرة للدولة الإسلامية، عليها أن توفر كل ما يمكن من المعلومات لدعم اتخاذ القرار- أي لتكون بين يدي متخذ القرار ؛ فيكون القرار عن دراسة وعلم ومعرفة.

علامة تعجب:

هذا الحليس، وهذه الطبيعة العربية العجيبة في انفعالاتها وثوراتها وهدوئها، فإن الحليس قد استنفره موقف المعتمرين. المسلمين. وهم ممنوعون من زيارة البيت العتيق، وهذا مُنافٍ لكل ما تعاهدت عليها قبائل مكة منذ مجيء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ألا يصد عن البيت أحدٌ جاء معظمًا له..

ولقد هدد الحليس قريشا بالحرب، هو ومن معه من الأحابيش، لكنه سكت وهدأ، سكت بمجرد كلمات قيلت له:

"مَهْ! كُفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى" .. عجبًا!!

هجوم قرشي، وعفو نبوي:

روى مسلم عن أنس(رضي الله عنه):

٦٩٩- " أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ. فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ":

{وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}[١].

تعقيب:

عند ابن إسحاق أنهم كانوا أربعين رجلًا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخلى سبيلهم. ودلالة ذلك أن الحبيب صلى الله عليه وسلم كان ميالًا للهدنة والمصالحة طول الوقت.

من يكون سفيرًا إلى مكة، عمر أم عثمان؟

---

[١] صحيح مسلم برقم ٣٣٧٣ ترقيم العالمية.

قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

٧٠٠- ثمَّ دَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ لِيَبْعَثَهُ إلَى مَكّةَ ، فَيُبَلّغُ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَيْسَ بِمَكّةَ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إيّاهَا ، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنّي أَدُلّك عَلَى رَجُلٍ أَعَزّ بِهَا مِنّي ، عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ. فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ ، فَبَعَثَهُ إلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهُمْ أَنّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبِ وَإِنّهُ إنّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ وَمُعَظّمًا لِحُرْمَتِهِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

فَخَرَجَ عُثْمَانُ إلَى مَكّةَ ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكّةَ ، أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا ، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمّ أَجَارَهُ حَتّى بَلّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ ، فَبَلّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ.

فَقَالُوا لِعُثْمَانِ حِينَ فَرَغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْهِمْ: إنْ شِئْت أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ[1].

دلالات:

- نكتشف المرَّة بعد المرَّة جوانب في شخصية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يمكن أبدًا أن نتهمة بالخوف أو الجبن، إنما الإنسان لا يرمي بنفسه إلى الموت دون ثمن، أو إذا كان هناك باب إلى الحياة يحقق المقصود. ولقد رأى سيدنا عمر أن عثمان أنسب منه في هذا الموقف لإبلاغ الرسالة، والرسول صلى الله عليه وسلم أقره وأخذ بمشورته.
- ولا يبعد عن الخاطر والمنطق أن سيدنا عمر ربما كان يرى أن قريشًا إن قتلته فالموقف سوف يتعقد، ولن يحصل المطلوب من العمرة الآمنة والطواف بالبيت.

---

[1] سيرة ابن هشام **٢٣٥** رواه ابن إسحاق من غير إسناد.

- عثمان رضي الله عنه يقول: (ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ما أعظم هذا التأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره إياه! يرفض أن يؤدي هذه العبادة التي تهفو إليها الأفئدة .حتى يكون البادئ أولًا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ذلك بتلقائية ، وبتربية إسلامية عالية وفهم للدين .دون أن يكون عنده تعليمات من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إشاعة مقتل عثمان، وبيعة الرضوان:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٧٠١- وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمِينَ أَنّ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ قَدْ قُتِلَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ: لَا نَبْرَحُ حَتّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ ، فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّاسَ إلَى الْبَيْعَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرّضْوَانِ تَحْتَ الشّجَرَةِ.

فَكَانَ النّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْمَوْتِ. وَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ: إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمْ يُبَايِعْنَا عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرّ.

فَبَايَعَ رسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّاسَ وَلَمْ يَتَخَلّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَهَا ، إلّا الْجَدّ بْنَ قَيْسٍ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ ، فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ: وَاَللّهِ لَكَأَنّي أَنْظُرُ إلَيْهِ لَاصِقًا بِإِبْطِ نَاقَتِهِ، قَدْ ضَبَأَ إلَيْهَا ، يَسْتَتِرُ بِهَا مِنْ النّاسِ.

ثُمّ أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ الّذِي ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بَاطِل[1].

وحديث البيعة عند البخاري ومسلم:

٧٠٢- روى مسلم عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةً، فَبَايَعْنَاهُ ، وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَهِيَ سَمُرَةٌ وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ. [1]

---

[1] سيرة ابن هشام ٣/٢٣٥-٢٣٦ ونقله عنه ابن كثير في تفسير سورة الفتح . ثم قال : وذكر ابن لهيعة عن الأسود عن عروة بن الزبير قريبا من هذا السياق.

وروى البخاري:

٧٠٣- عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ[٢].

وكانوا خير أهل الأرض:

٧٠٤- وذلك ما رواه البخاري عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ[٣].

في الظلال...حول بيعة الرضوان:

يقول الشهيد سيد قطب في (الظلال):

وإنني لأحاول اليوم من وراء ألف وأربعمائة عام أن أستشرف تلك اللحظة القدسية التي شهد فيها الوجود كله ذلك التبليغ العلوي الكريم من الله العليّ العظيم إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين ، وأحاول أن أستشعر بالذات شيئًا من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بآذانهم ، أنهم هم ، بأشخاصهم وأعيانهم ، يقول الله عنهم . لقد رضي عنهم . ويحدد المكان الذي كانوا فيه ، والهيئة التي كانوا عليها حين استحقوا هذا الرضى : {إذ يبايعونك تحت الشجرة} . . يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق ، على لسان ربه العظيم الجليل.

يا لله! كيف تلقوا - أولئك السعداء - تلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الإلهي؟ التبليغ الذي يشير إلى كل أحد ، في ذات نفسه ، ويقول له : أنت أنت بذاتك . يبلغك الله . لقد رضي عنك . وأنت تبايع . تحت الشجرة! وعلم ما في نفسك . فأنزل السكينة عليك!

إن الواحد منا ليقرأ أو يسمع { الله ولي الذين آمنوا } فيسعد . يقول في نفسه: ألست أطمع أن أكون داخلًا في هذا العموم؟ ويقرأ أو يسمع : { إن الله مع الصابرين } فيطمئن . يقول في نفسه : ألست أرجو أن أكون من هؤلاء الصابرين؟

وأولئك الرجال يسمعون ويبلغون . واحدًا واحدًا، أن الله يقصده بعينه وبذاته . ويبلغه: لقد رضي عنه! وعلم ما في نفسه . ورضي عما في نفسه!

---

[١] صحيح مسلم ٣٤٤٩ العالمية.

[٢] صحيح البخاري ٣٨٥١ ترقيم العالمية.

[٣] صحيح البخاري ٣٨٣٩ ترقيم العالمية.

يا لله! إنه أمر مهول!

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}.

علم ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم . وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم . وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز ، وضبط لمشاعرهم ؛ليقفوا خلف كلمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طائعين مسلمين صابرين.

{ فأنزل السكينة عليهم } . . بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة في هيْنَةٍ وهدوء ووقار، تضفي على تلك القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة ، بردًاوسلامًا وطمأنينة وارتياحًا.

{ وأثابهم فتحًا قريبًا } . . هو هذا الصلح بظروفه التي جعلت منه فتحًا، وجعلته بدء فتوح كثيرة . قد يكون فتح خيبر واحدًا منها . وهو الفتح الذي يذكره أغلب المفسرين على أنه هو هذا الفتح القريب الذي جعله الله للمسلمين . .

{ ومغانم كثيرة يأخذونها } . . إما مع الفتح إن كان المقصود هو فتح خيبر . وإما تاليًا له ، إن كان الفتح هو هذا الصلح ، الذي تفرغ به المسلمون لفتوح شتى .

{ وكان الله عزيزًا حكيمًا } . . وهو تعقيب مناسب للآيات قبله . ففي الرضى والفتح والوعد بالغنائم تتجلى القوة والقدرة ، كما تتجلى الحكمة والتدبير . وبهما يتم تحقيق الوعد الإلهي الكريم .

وبعد ذلك التبليغ العلوي الكريم للرسول الأمين عن المؤمنين المبايعين يتجه بالحديث إلى المؤمنين أنفسهم. الحديث عن هذا الصلح ، أو عن هذا الفتح ، الذي تلقوه صابرين مستسلمين: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} . .

وهذه بشرى من الله للمؤمنين سمعوها وأيقنوها ، وعلموا أن الله أعد لهم مغانم كثيرة، وعاشوا بعد ذلك ما عاشوا وهم يرون مصداق هذا الوعد الذي لا يُخْلَف، وهنا يقول لهم: إنه قد عجل لهم هذه، وهذه قد تكون صلح الحديبية - كما روي عن ابن عباس - لتأكيد معنى أنه فتح ومغنم . وهو في حقيقته كذلك كما أسلفنا من قول رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - ومن وقائع الحال الناطقة بصدق هذا الاعتبار . كما أنها قد تكون فتح خيبر - كما روي عن مجاهد - باعتبار أنها أقرب غنيمة وقعت بعد الحديبية.

سهيل بن عمرو سفيرًا للصلح:

٧٠٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: قَالَ الزّهْرِيّ : ثُمّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو ، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ ، إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالُوا لَهُ: ائْتِ مُحَمّدًا فَصَالِحْهُ وَلَا يَكُنْ فِي صُلْحِهِ إلّا أَنْ يَرْجِعَ عَنّا عَامَهُ هَذَا ، فَوَاَللّهِ لَا تُحَدّثُ الْعَرَبُ عَنّا أَنّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا. فَأَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُقْبِلًا ، قَالَ: قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرّجُل. فَلَمّا انْتَهَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَكَلّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ وَتَرَاجَعَا، ثُمّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصّلْحُ[١].

اعتراض سيدنا عمر:

فَلَمّا الْتَأَمَ الْأَمْرُ وَلَمْ يَبْقَ إلّا الْكِتَابُ وَثَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ ، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ بِرَسُولِ اللّهِ؟ قَالَ: بَلَى ، قَالَ: أَوَ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ: بَلَى ؛ قَالَ أَوَ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ: بَلَى ؛ قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطَى الدّنِيّةَ فِي دِينِنَا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا عُمَرُ الْزَمْ غَرْزَهُ[٢] فَإِنّي أَشْهَدُ أَنّهُ رَسُولُ اللّهِ. قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنّهُ رَسُولُ اللّهِ.

ثُمّ أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ! أَلَسْتَ بِرَسُولِ اللّهِ؟ قَالَ: بَلَى ؛ قَالَ: أَوَ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ: بَلَى ؛ قَالَ: أَوَ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ: بَلَى ؛ قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطَى الدّنِيّةَ[٣] فِي دِينِنَا؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ ، وَلَنْ يُضَيّعَنِي.

قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: مَا زِلْت أَتَصَدّقُ وَأَصُومُ وَأُصَلّي وَأُعْتِقُ مِنْ الّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ مَخَافَةَ كَلَامِي الّذِي تَكَلّمْت بِهِ حَتّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا [٤].

دلالة:

- كان سيدنا عمر يعبر عن جموع المسلمين وما يجيش في صدورهم، ولكنه كان جريئًا في التعبير عما يراه حقًا.

---

[١] سيرة ابن هشام ٢٣٧/٣ وإسناده صحيح . أخرجه البيهقي في السنن وفي الدلائل من طريق ابن إسحاق.

[٢] الزم غرزه: أي اتبع أمره وطريقه، والغرز: ما يوضع فيه قدم الراكب من سرج الفرس.

[٣] الدنية: الذل والصغار.

[٤] سيرة ابن هشام ٢٣٧/٣ أخرجه البخاري ومسلم بألفاظ قريبة.

. صَبْرُالرسولِ صلى الله عليه وسلم وتحمُّلُهُ لاعتراضه ،يقدم مثلًا لنموذج الحكم في النظام الإسلامي، وحق الناس في مراجعة الحاكم دون خوف من سجن أو قتل أو تعذيب.

شروط الصلح، والتنازل عن الشكليات:

٧٠٦- قَالَ ثُمّ دَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: أُكْتُبْ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ. قَالَ فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا أَعْرِفُ هَذَا ، وَلَكِنْ أُكْتُبْ بِاسْمِك اللّهُمّ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أُكْتُبْ بِاسْمِك اللّهُمّ فَكَتَبَهَا.

ثُمّ قَالَ: أُكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمّدٌ رَسُولَ اللّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو ؛ قَالَ فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْت أَنّك رَسُولُ اللّهِ لَمْ أُقَاتِلْك ، وَلَكِنْ أُكْتُبْ اسْمَك وَاسْمَ أَبِيك ؛ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أُكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو ، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَنْ النّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنّ النّاسُ وَيَكُفّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ عَلَى أَنّهُ مَنْ أَتَى مُحَمّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إذْنِ وَلِيّهِ رَدّهُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمّنْ مَعَ مُحَمّدٍ لَمْ يَرُدّوهُ عَلَيْهِ. وَإِنّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً.[1] وَأَنّهُ لَا إسْلَالَ وَلَا إغْلَالَ.[2] وَأَنّهُ مَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ.

فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ - وَأَنّك تَرْجِعُ عَنّا عَامَك هَذَا ، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكّةَ. وَأَنّهُ إذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتهَا بِأَصْحَابِك ، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا ، مَعَك سِلَاحُ الرّاكِبِ السّيُوفُ فِي الْقُرُبِ لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا[3].

دلالات:

- قبول الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وألا يكتب رسول الله، درس عظيم منه صلى الله عليه وسلم إلى الأمة - إلى ولاة الأمر والحكام، وإلى أولي الرأي والعلماء، في إمكانية التنازل عن بعض الشكليات التي لا تغير في المضمون، من أجل تحقيق هدف أعلى وأسمى وهو: تجنب الحرب في البلد الحرام، والوصول إلى

---

(١) عيبة مكفوفة: صدر منطوية على الحفاظ على الهدنة .

(٢) الإسلال: السرقة الخفية والإغلال الغدر.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٣٧/٣ وأخرجه البخاري ٢٥٢٩ بسياق قريب من هذا.

الصلح، وما أكثر المواقف التي يحتاج فيها المسلمون هذا المنهج وهذه الحرية في التصرف في بنود الصلح مع الأعداء! .دون تنازل عن المبادئ طبعًا.

مكاسب المسلمين من الصلح:

مكاسب جمَّة رآها الرسول صلى الله عليه وسلم بحكمته، أو بالوحي، ولم يرها المسلمون في حينها، لتغلب المشاعر العاطفية من الرغبة في العمرة والطواف بالبيت الذي حرموا منه طويلًا، ولتغلب حماسة الإحساس بالقوة أمام قريش والقدرة على الانتصار عليها، في معركة رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه لا ضرورة لها ،

وهذه المكاسب الكثيرة، نستنبط منها الآتي:

أولًا: العمرة سوف تتم بعد طول حرمان - ولكن من العام القابل، لكن بدل أن تتم العمرة فوق الدماء والأشلاء .سوف تتم - وهم آمنون-...تخلي قريش لهم مكة ثلاثة أيام.

ثانيًا: كسب المسلمون الاعتراف الرسمي من قريش بالمسلمين ككيان أجبرهم على المفاوضة والمصالحة وأخذ حقه في المجيء إلى البلد الحرام للعمرة .وربما الحج بعد ذلك.

ثالثًا: خروج قريش من ساحة المعركة بين الإسلام والوثنية، وهذا من أكبر المكاسب، فالمسلمون لم يكونوا المبادئين بحرب قريش، وليس من أهدافهم استمرار الحرب .بل استمرار الدعوة الإسلامية وخروج قريش، معناه: أن أكبر قوة معاندة للمسلمين قد استسلمت لحقيقة الدين الإسلامي، وتركت المسلمين ينشرونه في الأرض.

وخروج قريش له معنى رمزي ؛لأن قريش هم أهل الحرم، والعرب تبع لهم في مسألة (العقائد الدينية).

رابعًا: لم تكسب قريش سوى تأجيل العمرة إلى العام القادم.

خامسًا: مسألة عدم رد من يأتي من المسمين مرتدًا إلى قريش والعكس غير صحيح، مسألة فيها افتخار معنوي لقريش .دون قيمة حقيقية، فمن يرتد عن الإسلام ويرجع إلى قريش .لا ردَّه الله، وهذا احتمال نادر في الحقيقة أما من يأتي من قريش مسلمًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوف يجعل الله له فرجًا ومخرجًا ، هذا يقين الرسول صلى الله عليه وسلم.

تأزم المسلمين لرد أبي جندل إلى المشركين:

٧٠٧- فَبَيْنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، إذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفَ فِي الْحَدِيدِ قَدْ انْفَلَتَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشُكّونَ فِي الْفَتْحِ لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنْ الصّلْحِ وَالرّجُوعِ وَمَا تَحَمّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ حَتّى كَادُوا يُهْلِكُونَ.

فَلَمّا رَأَى سُهَيْلٌ أَبَا جَنْدَلٍ قَامَ إلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ ثُمّ قَالَ: يَا مُحَمّدُ قَدْ لَجّتْ الْقَضِيّةُ[١] بَيْنِي وَبَيْنَك قَبْل أَنْ يَأْتِيَك هَذَا ؛ قَالَ: صَدَقْتَ. فَجَعَلَ يَنْتُرُهُ[٢] بِتَلْبِيبِهِ وَيَجُرّهُ لِيَرُدّهُ إلَى قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَأُرَدّ إلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي ؟ فَزَادَ ذَلِكَ النّاسَ إلَى مَا بِهِمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنّ اللّهَ جَاعِلٌ لَك وَلِمَنْ مَعَك مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، إنّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللّهِ، وَإِنّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ. قَالَ فَوَثَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ يَمْشِي إلَى جَنْبِهِ وَيَقُولُ: اصْبِرْ يَا أَبَا جَنْدَلٍ فَإِنّمَا هُمْ الْمُشْرِكُونَ وَإِنّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ، قَالَ وَيُدْنِي قَائِمَ السّيْفِ مِنْهُ . قَالَ يَقُولُ عُمَرُ: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أَبَاهُ، قَالَ فَضَنّ الرّجُلُ بِأَبِيهِ وَنَفَذَتْ الْقَضِيّةُ[٣].

ذهول الصحابة، ومشورة أم سلمة:

هذا موقف خطير لم يتكرر في السيرة أبدًا، ألا وهو امتناع الصحابة عن تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يوشك أن ينزل بهم العقاب الرباني، لكن الله عز وجل ساق إليهم رحمته من خلال مشورة السيدة أم سلمة رضي الله عنها... وهي دلالة جديدة على قيمة المرأة في الإسلام واحترام النبي (صلى الله عليه وسلم) لرأي زوجه الكريمة، ومشورته إياها وتنفيذ ما أشارت به. هذا هو ديننا.

جاء في رواية البخاري:

---

[١] لجت : حسمت وانتهت.

[٢] ينتره: يجذبه جذبًا شديدًا.

[٣] سيرة ابن هشام ٢٣٨/٣ وقريب منه عن البخاري ٢٥٢٩.

٧٠٨- قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[١].

<u>قول الزهري عن الصلح (الفتح):</u>

٧٠٩- يَقُولُ الزّهْرِيّ: فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ؛ إنّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ الْتَقَى النّاسُ، فَلَمّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ وَوُضِعَتْ الْحَرْبُ وَآمَنَ النّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَقَوْا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ، فَلَمْ يُكَلَّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إلّا دَخَلَ فِيهِ. وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِينِك السّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالدّلِيلُ عَلَى قَوْلِ الزّهْرِيّ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَرَجَ إلَى الْحُدَيْبِيّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ، ثُمّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ .

<u>أبو بصير يحل أزمة المسلمين المفتونين في مكة:</u>

جاء في رواية البخاري الطويلة:

٧١٠- فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ. فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ: أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ.

فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُ: لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ.

---

[١] **جزء من رواية البخاري والطويلة للصلح برقم ٢٥٢٩ العالمية.**

فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْلُ أُمِّهِ[1] مِسْعَرَ حَرْبٍ[2] لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ[3] فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ.

قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ[4].

المهاجرات المسلمات بعد الهدنة:

٧١١- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

وَهَاجَرَتْ إِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُمّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعِيطٍ فِي تِلْكَ الْمُدّةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عِمَارَةُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عُقْبَةَ، حتى قدما على رسول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدَيْبِيَةِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ أَبَى اللّهُ ذَلِكَ.

عن عُرْوَةُ بْنُ الزّبَيْرِ: إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَانَ صَالَحَ قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَرُدّ عَلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ بِغَيْرِ إذْنِ وَلِيّهِ، فَلَمّا هَاجَرَ النّسَاءُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَإِلَى الْإِسْلَامِ أَبَى اللّهُ أَنْ يُرْدَدْنَ إلَى الْمُشْرِكِينَ إذَا هُنّ اُمْتُحِنّ بِمِحْنَةِ الْإِسْلَامِ، فَعَرَفُوا أَنّهُنّ إنّمَا جِئْنَ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِرَدّ صَدُقَاتِهِنّ إلَيْهِمْ إنْ احْتَبَسْنَ عَنْهُمْ إنْ هُمْ رَدّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ صَدَاقَ مَنْ حُبِسُوا عَنْهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاَللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ النّسَاءَ وَرَدّ الرّجَالَ[5].

---

[1] قال ابن حجر : وهي كلمة ذم تقولها العرب في المدح . قال وقد تقدم شيء من ذلك في الحج في قوله للأعرابي: ويلك . وقيل: أصلها وي : كلمة تعجب وكثر استعمالها فألحقت بها اللام وأصل الويل: الهلاك.

[2] قال ابن حجر: قال الخطابي: كأنه يصفة بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها.

[3] قال ابن حجر فيه إشاره إليه بالفرار لئلا يرده إلي المشركين ورمز إلي من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحقوا به.

[4] البخاري ٢٥٢٩ العالمية.

[5] سيرة ابن هشام ٢٤٤/٣.

الفصل الر ابع:

من الصلح، إلى الفتح:

مكاتبة الملوك:

كان صلح الحديبية مناسبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) ليتجه بدعوته نحو العالمية، ويراسل الدول والممالك الموجودة في زمانه يدعوهم إلى الإسلام مبلغًا دعوة ربه تبارك وتعالى، ومؤكدًا أن الإسلام دعوة عالمية ليست مخصوصة بزمان أو مكان.

وقد ذكر ابن القيم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث ستة نفر .في يوم واحد .بعد مرجعه من الحديبية في المحرم سنة ٧ هـ.

قال ابن القيم:

٧١٢- لَمَّا رَجَعَ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ إلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ وَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ؛ فَكَتَبَ إلَى مَلِكِ الرّومِ فَقِيلَ لَهُ: إنّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إلّا إذَا كَانَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضّةٍ وَنَقَشَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ؛ مُحَمّدٌ سَطْرٌ. وَرَسُولُ سَطْرٌ. وَاَللّهِ سَطْرٌ. وَخَتَمَ بِهِ الْكُتُبَ إلَى الْمُلُوكِ وَبَعَثَ سِتّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي الْمُحَرّمِ سَنَةَ سَبْعٍ[1].

الكتاب إلى النجاشي:

رجَّحَ ابن حزم .ووافقه ابن القيم . أن النبي (صلى الله عليه وسلم)أرسل عَمْرًا بن أمية الضمري في سنة سبع إلى نجاشي .غير أصحمة الذي أسلم قديمًا، ولما مات، صلى عليه النبي(صلى الله عليه وسلم) ، أما هذا النجاشي الثاني لم يُعْلَمْ إسلامُه .بل قال ابن حزم : لم يسلم ووافقه ابن القيم.

قال ابن القيم:

٧١٣- فَأَوّلُهُمْ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ بَعَثَهُ إلَى النّجَاشِيّ وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ بْنُ أَبْجَر، وَتَفْسِيرُ أَصْحَمَةَ بِالْعَرَبِيّةِ عَطِيّةٌ.

فَعَظّمَ كِتَابَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ أَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقّ وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ النّاسِ بِالْإِنْجِيلِ، وَصَلّى عَلَيْهِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ بِالْحَبَشَةِ. هَكَذَا قَالَ

---

[1] زاد المعاد ١١٦/١ المكتبة الشاملة.

جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الوَاقِدِيّ وَغَيْرُهُ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ، فَإِنّ أَصْحَمَةَ النّجَاشِيّ الّذِي صَلّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْسَ هُوَ الّذِي كَتَبَ إلَيْهِ.. هَذَا الثّانِي لَا يُعْرَفُ إسْلَامُهُ بِخِلَافِ الْأَوّلِ فَإِنّهُ مَاتَ مُسْلِمًا. وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِه مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "كَتَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَر وَإِلَى النّجَاشِيّ وَإِلَى كُلّ جَبّارٍ يَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنّجَاشِيّ الّذِي صَلّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ".

وَقَالَ أَبُو مُحَمّدِ بْنُ حَزْمٍ: إنّ هَذَا النّجَاشِيّ الّذِي بَعَثَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَمْرَو بْنَ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ لَمْ يُسْلِمْ. وَالْأَوّلُ هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ وَالظّاهِرُ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ[1].

نَصُّ الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم. {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك".

وروى البيهقي بسنده عن محمد بن إسحاق قال:

٧١٤- بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرًا بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتابًا: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول [2] الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني

---

[1] زاد المعاد ١/١١٦ المكتبة الشاملة. وحديث مسلم هو برقم ٣٣٢٣ العالمية.

[2] البتول: أصل البتل القطع وسميت البتول قيل: لانقطاعها عن نساء زمانها **فضلًا** و**دِينًا** و**حسبًا**. وقيل: لانقطاعها عن الدُّنيَا إلى الله تعالى. وقيل: المُنْقَطِعة عن الرجال لا شهوةَ لها فيهم.

وتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله ، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ، ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى ».

وكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإني أشهد أن ما تقول حق"[1].

الكتاب إلى هرقل ملك الروم:

الرواية بتفصيلها في صحيح البخارى، رواها ابن عباس عن أبي سفيان الذى استدعاه القيصر حين جاءته رسالة محمد صلي الله عليه وسلم ؛ ليسأله عن هذا النبي ، وكان أبوسفيان وقتها مشركًا، وكان الموقف بعد صلح الحديبية ، ولقد تيقن هرقل من حقيقة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكاد يسلم ،لولا أن ضنَّ بملكه أن يضيع:

٧١٤- "عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ.

فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ:

أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا.

---

[1] دلائل النبوة للبيهقي ١٨٨/٢ حديث ٦٠٢، ٦٠٣ المكتبة الشاملة.

فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟.. قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟.. قُلْتُ لَا.

قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟.. قُلْتُ لَا.

قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟.. فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟.. قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟.. قُلْتُ لَا.

قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟.. قُلْتُ لَا.

قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ؟.. قُلْتُ لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. ،،قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟.. قُلْتُ نَعَمْ.

قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟.. قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟.. قُلْتُ يَقُولُ: (اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ).

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ.. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا

تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ.. فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ.. وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ.. وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

" وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ - قَالَ ابْنُ النَّاطورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ - فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنْ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ."

" ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا

حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنْ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ". [1]

<u>تعقيب</u>

الرسول (صلى الله عليه وسلم)مكلف من ربه بإبلاغ الرسالة ، وهو يرسل رسله إلى الناس كافة.

خطاب النبي (صلى الله عليه وسلم) كان غاية فى الروعة، فيه احترام لمكانة الرجل: (إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ) ، وفيه ما نؤكده مرارًا في هذا البحث : البدء بالسلام والمودة والعلاقة الطيبة (سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) ، وفيه ترغيب في مضاعفة الأجر(يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم (أَسْلِمْ تَسْلَمْ) أي: تسلم من عذاب الله – كما ذكره ابن حجر فى الفتح.

وليس في الكتاب تهديد بالحرب (فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ) ، وإنما تذكير بالذنب .

وفى الكتاب دعوة إلى الاتفاق مع أهل الكتاب على مساحة مشتركة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ).

<u>شرح كلمات الحديث (أخذناها عن ابن حجر بعد التهذيب):</u>

(في المدة): يعني مدة صلح الحديبية. (بإيلياء): ويقال لها أيضًا إليا معناه بيت الله. (قلت أنا أقربهم نسبا): لأن أبا سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فيلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأب الرابع عبد مناف. (أخلُص): أي أَصِلُ.(لتجشمت): أي تكلفت الوصول إليه. وهذا يدل على أنه كان يتحقق أنه لا يَسْلَم من القتل إن هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وفي مرسل ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن هرقل قال: ويحك والله إني لأعلم أنه نبي مرسل،ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته.

---

[1] البخاري (٦) ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

(لغسلت عن قدميه): مبالغة في العبودية والخدمة. (الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى): هو دحية بن خليفة الكلبي - صحابي جليل، كان أحسن الناس وجها وأسلم قديما وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر سنة ست بكتابه إلى هرقل. (بُصرَى): مدينة بين المدينة ودمشق، وعظيمها هو الحارث بن أبي شمر الغساني، وقد أرسل بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل مع عدي بن حاتم، وكان إذ ذاك نصرانيا فوصل به هو ودحية معا. (الأريسيين): جمع أريسي وهو: الأُكَّار أي الفلاح وقد صرح بلفظهما في بعض الرويات، والمراد بالفلاحين أهل مملكته لأن كل من يزرع فهو عند العرب فلاح سواء كان يلي ذلك بنفسه أو بغيره .أراد أن عليه إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليدا له. (لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة): أمِرَ: بفتح الهمزة وكسر الميم - أي عَظُم، وابن أبي كبشة: أراد به النبي .صلى الله عليه وسلم .لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت من شخص نسبته إلى جد غامض، وقيل إن أبا كبشة هو أبو النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة زوج حليمة السعدية. (بني الأصفر): هم الروم. قيل إن جدهم روم ابن عميص تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد. (ابن الناطور): الناطور بالعربية أي صاحب البستان، ووردت في روايات ابن ناطورا بزيادة ألفا في آخره فيكون اسما أعجميا.(صاحب إيلياء): أي أميرها. (سُقُفًا): وفي ورواية: أسقفا، لفظ أعجمي معناه رئيس فى دين النصارى. (بطارقة): جمع بطريق وهم خواص دولة الروم. (حذاء): أي كاهنا. (ملك الختان قد ظهر): أي غلب وهو كما قال لأن في تلك الأيام كان ابتداء ظهور (انتصار) النبي صلى الله عليه وسلم إذ صالح كفار مكة بالحديبية وأنزل الله تعالى عليه {إنا فتحنا لك فتحا مبينا}[1]. (من هذه الأمة): أي من أهل هذا العصر وإطلاق الأمة على أهل العصر كلهم فيه تَجَوُّز. (رومية): مدينة معروفة للروم (فلم يَرِم) أي لم يبرح مكانه.

(حتى أتاه كتاب من صاحبه): يحتمل أنه صاحب رومية لأنه في رواية ابن إسحق أن هرقل أرسل دحية إلى ضغاطر الرومي وقال: إنه في الروم أجوز مني قولا. (لأنه كان أسقفا كبيرا) ثم إن ضغاطر أظهر إسلامه وألقى ثيابه التي كانت عليه ولبس ثيابا بيضا وخرج على الروم فدعاهم إلى الإسلام وشهد شهادة الحق فقاموا إليه فضربوه حتى قتلوه، قال: فلما رجع

---

[1] – الفتح آية (١)

دحية إلى هرقل قال له: قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا، فضغاطر كان أعظم عندهم مني. (دَسْكَرَة): هي القصر الذي حوله بيوت. (فحاصوا حَيْصة حُمُر الوحش): أي نفروا، وشبههم بالوحوش لشدة النفرة، وشبههم بالحمر لمناسبة الجهل وعدم الفطنة. (فكان ذلك آخر شأن هرقل): أي فيما يتعلق بهذه القصة المتعلقة بدعائه إلى الإيمان، ولا يعني أنه انقضى أمره حينئذ ومات .أو أن هذا آخر ما يعلم من شأن هرقل، وهذا أوجه لأن هرقل وقعت له قصص أخرى بعد ذلك منها تجهيزه الجيوش إلى مؤتة وأيضا إلى تبوك، ومكاتبة النبي صلى الله عليه وسلم له ثانيا.

وقال ابن القيم:

٧١٥- وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيّ إلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرّومِ، وَاسْمُهُ هِرَقْلُ وَهَمّ بِالْإِسْلَامِ وَكَادَ وَلَمْ يَفْعَلْ وَقِيلَ بَلْ أَسْلَمَ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو حَاتِمِ بْن حِبّانَ فِي صَحِيحِه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَنْ يَنْطَلِقُ بِصَحِيفَتِي هَذِهِ إلَى قَيْصَرَ وَلَهُ الْجَنّةُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ؟ قَالَ وَإِنْ لَمْ يَقْبَل.

فَوَافَقَ قَيْصَرَ وَهُوَ يَأْتِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَدْ جُعِلَ عَلَيْهِ بِسَاطٌ لَا يَمْشِي عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَرَمَى بِالْكِتَابِ عَلَى الْبِسَاطِ وَتَنَحّى، فَلَمّا انْتَهَى قَيْصَرُ إلَى الْكِتَابِ أَخَذَهُ فَنَادَى قَيْصَرُ مَنْ صَاحِبُ الْكِتَابِ فَهُوَ آمِنٌ؟ فَجَاءَ الرّجُلُ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: فَإِذَا قَدِمْتَ فَأْتِنِي.

فَلَمّا قَدِمَ أَتَاهُ فَأَمَرَ قَيْصَرُ بِأَبْوَابِ قَصْرِهِ فَغُلّقَتْ ثُمّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَلَا إنّ قَيْصَرَ قَدْ اتّبَعَ مُحَمّدًا وَتَرَكَ النّصْرَانِيّةَ، فَأَقْبَلَ جُنْدُهُ وَقَدْ تَسَلّحُوا حَتّى أَطَافُوا بِهِ، فَقَالَ لِرَسُولِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: قَدْ تَرَى أَنّي خَائِفٌ عَلَى مَمْلَكَتِي ثُمّ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى: أَلَا إنّ قَيْصَرَ قَدْ رَضِيَ عَنْكُمْ، وَإِنّمَا اخْتَبَرَكُمْ لِيَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَارْجِعُوا. فَانْصَرِفُوا، وَكَتَبَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّي مُسْلِمٌ، وَبَعَثَ إلَيْهِ بِدَنَانِيرَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : كَذَبَ عَدُوّ اللّهِ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَهُوَ عَلَى النّصْرَانِيّةِ وَقَسّمَ الدّنَانِير[1].

---

[1] زاد المعاد ١/١٦٦ المكتبة الشاملة.

حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس:

أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم)إلى عظيم القبط رسولًا رائعًا قوى الحجة، مَنْ تَأَمَّل كلماته أدرك كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار سفراءه؛ ليعبروا أفضل تعبير عن دين الإسلام، وعن نوعية الرجال الذين رباهم النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك الرسول هو حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه:

٧١٦- قال ابن القيم:

وَكَتَبَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ مَلِكِ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ. سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْت فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْقِبْطِ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ:

(إِنَّهُ كَانَ قَبْلَك رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَانْتَقَمَ بِهِ ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ فَاعْتَبَرَ بِغَيْرِك وَلَا يَعْتَبِرُ غَيْرُك بِك. فَقَالَ: إِنَّ لَنَا دِينًا لَنْ نَدَعَهُ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ. فَقَالَ حَاطِبٌ: نَدْعُوك إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقْدَ مَا سِوَاهُ، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ دَعَا النَّاسَ فَكَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ وَأَعْدَاهُمْ لَهُ الْيَهُودُ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ النَّصَارَى. وَلَعَمْرِي مَا بِشَارَةُ مُوسَى بِعِيسَى إِلَّا كَبِشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ. وَمَا دُعَاؤُنَا إِيَّاكَ إِلَى الْقُرْآنِ إِلَّا كَدُعَائِك أَهْلَ التَّوْرَاةِ إِلَى الْإِنْجِيلِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ أَدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، فَالْحَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَأَنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ هَذَا النَّبِيُّ، وَلَسْنَا نَنْهَاك عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ وَلَكِنَّا نَأْمُرُك بِهِ).

فَقَالَ الْمُقَوْقِسُ: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النَّبِيِّ فَوَجَدْتُهُ لَا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ فِيهِ وَلَا يَنْهَى عَنْ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَلَمْ أَجِدْهُ بِالسَّاحِرِ الضَّالِّ وَلَا الْكَاهِنِ الْكَاذِبِ، وَوُجِدَتْ مَعَهُ آيَةُ النُّبُوَّةِ بِإِخْرَاجِ الْخَبْءِ وَالْإِخْبَارِ بِالنَّجْوَى، وَسَأَنْظُرُ. وَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ مِنْ عَاجٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ، ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ. لِمُحَمّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ مِنْ الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ. سَلَامٌ عَلَيْك، أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَك وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنّ نَبِيّا بَقِيَ وَكُنْتُ أَظُنّ أَنّهُ يَخْرُجُ بِالشّامِ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَك وَبَعَثْتُ إلَيْك بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٌ، وَبِكِسْوَةٍ، وَأَهْدَيْتُ إلَيْك بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا وَالسّلَامُ عَلَيْك. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَمْ يَسْلَمْ. وَالْجَارِيَتَانِ: مَارِيَةُ وَسِيرِينُ، وَالْبَغْلَةُ: دُلْدُلُ بَقِيَتْ إلَى زَمَنِ مُعَاوِيَةَ."[١].

تعقيب:

فلنراجع كلمات حاطب رضي الله عنه إلى المقوقس حيث فيها: العلم، والحكمة، والحجة القوية ، والتبليغ الواثق.

ذكره بمصير فرعون موسى، ونصحه أن يتعظ بما جرى له.

وبين له أن أقرب الناس إلى الإسلام هم النصارى.

وأن الأنبياء سلسلة متصلة.

وأن دعوته له للدخول في الإسلام هي مثل دعوة المقوقس أهل التوراة إلى الإيمان بعيسى عليه السلام، فإذا كان يطلب ذلك من اليهود فعلى نفس القياس، يطلب المسلمون من النصارى الإيمان بمحمد عليه السلام.

ثم يقول له (ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به).

ما أروع هذا العرض وهذا المنطق!

عبد الله بن حذافة إلى كسرى:

روى البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما):

٧١٦- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ.

فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[٢].

---

(١) زاد المعاد .

(٢) البخاري ٤٠٧٢ .

(ملاحظة: الراوي عن سعيد ابن المسيب يبين أن القول: "فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... الخ" ليس من كلام ابن عباس وإنما من كلام ابن المسيب، هذا ما غلب على ظنه، والله أعلم).

٧١٧- وقال ابن القيم: وَبَعَثَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ حُذَافَةَ السّهْمِيّ إلَى كِسْرَى وَاسْمُهُ أَبْرَوِيزُ بْنُ هُرْمُزَ بْنِ أَنُوشِرْوَانَ فَمَزّقَ كِتَابَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: اللّهُمّ مَزّقْ مُلْكَه فَمَزّقَ اللّهُ مُلْكَهُ وَمُلْكَ قَوْمِهِ[١].

<u>وقال الحافظ في الفتح:</u>

٧١٨- "أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْد فِي كِتَاب الْأَمْوَال مِنْ مُرْسَل عُمَيْر بْن إِسْحَاق قَالَ:

كَتَبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَر ، فَأَمَّا كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَاب مَزَّقَهُ، وَأَمَّا قَيْصَر فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَاب طَوَاهُ ثُمَّ رَفَعَهُ ، فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيُمَزَّقُونَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَسَتَكُونُ لَهُمْ بَقِيَّة، وَيُؤَيِّدهُ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَهُ جَوَاب كِسْرَى قَالَ: مَزَّقَ اللَّه مُلْكه. وَلَمَّا جَاءَهُ جَوَاب هِرَقْل قَالَ: ثَبَّتَ اللَّه مُلْكه وَاَللَّه أَعْلَم".[٢].

<u>وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:</u>

٧١٩- "فَبَلَغَنِي عَنْ الزّهْرِيّ أَنّهُ قَالَ كَتَبَ كِسْرَى إلَى بَاذَانَ: أَنّهُ بَلَغَنِي أَنّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْش خَرَجَ بِمَكّةَ ، يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ ، فَسِرْ إلَيْهِ فَاسْتَتِبْهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلّا فَابْعَثْ إلَيّ بِرَأْسِهِ.

فَبَعَثَ بَاذَانُ بِكِتَابِ كِسْرَى إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَكَتَبَ إلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّ اللّهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا، فَلَمّا أَتَى بَاذَانَ الْكِتَابُ تَوَقّفَ لِيَنْظُرَ، وَقَالَ: إنْ كَانَ نَبِيّا فَسَيَكُونُ مَا قَالَ. فَقَتَلَ اللّهُ كِسْرَى فِي الْيَوْمِ الّذِي قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قُتِلَ عَلَى يَدَيْ ابْنِهِ شِيرَوَيْه، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ حِقّ الشّيْبَانِيّ :

وَكِسْرَى إذْ تَقَسّمَهُ بَنُوهُ ... بِأَسْيَافٍ كَمَا اُقْتُسِمَ اللّحّامُ

تَمَخّضَتْ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمِ ... أَنّى وَلِكُلّ حَامِلَةٍ تِمَامُ

---

(١) زاد المعاد ١١٦/١.

(٢) فتح الباري – شرح حديث رقم (٦) في البخاري. ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

إسْلَامُ بَاذَانَ:

قَالَ الزّهْرِيّ: فَلَمّا بَلَغَ ذَلِكَ بَاذَانَ بَعَثَ بِإِسْلَامِهِ وَإِسْلَامِ مَنْ مَعَهُ مِنْ الْفُرْسِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَقَالَتْ الرّسُلُ مِنْ الْفُرْسِ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إلَى مَنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ أَنْتُمْ مِنّا وَإِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْت"[1].

تعقيب:

هذه مشاعر وتصرفات ملك الفرس، لمجرد أن الرسول (صلي الله عليه وسلم) أرسل إليه رسالة ، (فَاسْتَتِبْهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلّا فَابْعَثْ إلَيّ بِرَأْسِهِ) لعل هذه التصرفات تقنع الخصوم وغير الخصوم بأسباب العداء مع الدولة الفارسية،وذهاب الجيوش الإسلامية إلى العراق وفارس للقضاء على تلك الدولة، إنهم ما كانوا ليسكتوا على ظهور دعوة لا تخضع لهم وتدين بالولاء والمذلة لإحدى القوتين العظميين.

بقية كتبه (صلى الله عليه وسلم)، إلى الملوك والأمراء:

العلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين (المنذر بن ساوى):

قال ابن القيم:

٧٢٠- وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيّ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ قَبْلَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ الْجِعْرَانَةِ وَقِيلَ قَبْلَ الْفَتْحِ فَأَسْلَمَ وَصَدَقَ.ا.هـ

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيّ قَبْلَ فَتْحِ مَكّةَ إلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيّ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ. ثُمّ هَلَكَ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَبْلَ رِدّةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْعَلَاءُ عِنْدَهُ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ.

الْكِتَابُ إلَى مَلِكِ الْبَلْقَاءِ (الحارث بن أبي شمر):

يقول ابن القيم:

---

[1] سيرة ابن هشام – (١/٦٩-٧٠).

٧٢١- بَعَثَ شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ الْأَسَدِيّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِرَ الْغَسّانِيّ مَلِكِ الْبَلْقَاءِ قَالَهُ ابْنُ إسْحَاقَ وَالْوَاقِدِيّ، قِيلَ إنّمَا تَوَجّهَ لِجَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَم، وَقِيلَ تَوَجّهَ لَهُمَا مَعًا، وَقِيلَ تَوَجّهَ لِهِرَقْلَ مَعَ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ وَاَللّه أَعْلَمُ.

الكتاب إلى هوذة:

٧٢٢- وبعث سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو إلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيّ الْحَنَفِيّ بِالْيَمَامَةِ فَأَكْرَمَهُ. وَقِيلَ بَعَثَهُ إلَى هَوْذَةَ وَإِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أَثَالَ الْحَنَفِيّ، فَلَمْ يُسْلِمْ هَوْذَةُ وَأَسْلَمَ ثُمَامَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَؤُلَاءِ السّتّةُ قِيلَ هُمْ الّذِينَ بَعَثَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

الْكِتَابُ إلَى عَامِلِي عُمَانَ:

٧٢٣- وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ إلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدِ اللهِ ابْنَيْ الجُلَنْدَى الْأَزْدِيّيْنِ بِعُمَانَ، فَأَسْلَمَا وَصَدَقَا وَخَلّيَا بَيْنَ عَمْرٍو وَبَيْنَ الصّدَقَةِ وَالْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ. فَلَمْ يَزَلْ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتّى بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

الْكِتَابُ إلَى الْيَمَنِ:

٧٢٤- وَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيّةَ الْمَخْزُومِيّ إلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ الْحِمْيَرِيّ بِالْيَمَنِ فَقَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي.

٧٢٥- بُعُوثٌ أُخْرَى إلى اليمن:

وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيِ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إلَى الْيَمَنِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ. وَقِيلَ بَلْ سَنَةَ عَشْرٍ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوّلِ دَاعِيَيْنِ إلَى الْإِسْلَامِ. فَأَسْلَمَ عَامّةُ أَهْلِهَا طَوْعًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ. ثُمّ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إلَيْهِمْ وَوَافَاهُ بِمَكّةَ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ .

إلى حمير:

وَبَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْد الله الْبَجَلِيّ إلَى ذِي الْكَلَاعِ الْحِمْيَرِيّ وَذِي عَمْرٍو يَدْعُوهُمَا إلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَا. وَتُوُفّيَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ .

إلى مسيلمة:

وبعث عَمْرَو بْنَ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ إلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابِ بِكِتَابٍ، وَكَتَبَ إلَيْهِ بِكِتَابٍ آخَرَ مَعَ السّائِبِ بْنِ الْعَوّامِ أَخِي الزّبَيْرِ فَلَمْ يُسْلِمْ.

إلى فروة (بِمَعَانَ):

وَبَعَثَ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيّ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ. وَقِيلَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِ وَكَانَ فَرْوَةُ عَامِلًا لِقَيْصَرَ بِمَعَانَ فَأَسْلَمَ. وَكَتَبَ إِلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ هَدِيّةً مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ يُقَالُ لَهَا: فِضّةُ وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا: الظَّرِبُ وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَعْفُورُ، وَبَعَثَ أَثْوَابًا وَقَبَاءً مِنْ سُنْدُسٍ مُخَوّصٍ بِالذّهَبِ، فَقَبِلَ هَدِيّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيّةً وَنِشًا.

إلى بني كلال:

وَبَعَثَ عَيّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيّ بِكِتَابٍ إِلَى الْحَارِثِ وَمَسْرُوحٍ وَنُعَيْمٍ بَنِي عَبْدِ كُلَالٍ مِنْ حِمْيَرَ.

تعقيب:

هذا عرض رائع لحشد ضخم من الرسل الذين جابوا أنحاء الجزيرة، بل أنحاء العالم المعروف فى ذلك الزمان ، وكان لجولاتهم أعظم الأثر ، وأسلم كثير من هؤلاء الأمراء، دون قتال أو سلاح.

غزوة ذي قرد:

(غزوة الغابة):

غزوة ذي قرد (غزوة الغابة):

كانت قبل خيبر بثلاث ليال.

سبق ذكر هذه الغزوة عند الحديث عن أسباب الاستعدادات العسكرية، فقد ذكرناها نموذجًا لاضطرار الرسول (صلى الله عليه وسلم) الاستعداد الدائم للحرب.

سبب هذه الغزوة: هجوم عبد الرحمن الفزاري على المدينة بعملية سطو مسلح على المدينة قتل فيها الراعي، واستاق الظهر (الإبل والخيل) وحديثها في البخاري ومسلم.

وهذا تفصيلها يرويها بطلها، سلمة بن الأكوع :

٧٢٦- " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مَعَهُ. وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ وَقَتَلَ رَاعِيَهُ.

قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ. قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكَمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا: يَا صَبَاحَاهْ !! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَأَرْتَجِزُ، أَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ. قَالَ قُلْتُ: خُذْهَا

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ.

قَالَ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ. حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ.

قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً وَثَلَاثِينَ رُمْحًا يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنْ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ.

حَتَّى أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ - يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ، وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ. قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ وَاللَّهِ، مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ. قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنْ الْكَلَامِ قَالَ قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ فَرَجَعُوا.

فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ. قَالَ فَإِذَا أَوَّلُهُمْ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ. قَالَ فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ قَالَ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ. قُلْتُ يَا أَخْرَمُ احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ. قَالَ يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ. قَالَ فَخَلَّيْتُهُ فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ. وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ.

فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا. حَتَّى يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ (ذو قَرَدٍ) لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ. قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً.

قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ قَالَ فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ قَالَ قُلْتُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ   وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قَالَ يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ !! أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ؟! قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ.

قَالَ وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ قَالَ فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُهُمْ عَنْهُ. فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ. وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنْ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا.

قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنْ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ.

قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ يَا سَلَمَةُ أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ. فَقَالَ: إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ. قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا فَقَالُوا أَتَاكُمْ الْقَوْمُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ.

قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا. ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدًّا. قَالَ فَجَعَلَ يَقُولُ أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ. قَالَ فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا؟ قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي وَأُمِّي ذَرْنِي فَلِأُسَابِقَ الرَّجُلَ، قَالَ: إِنْ شِئْتَ.

قَالَ قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ، وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ. قَالَ فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفَسِي، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ. ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ، قَالَ فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ قُلْتُ: قَدْ سُبِقْتَ وَاللَّهِ. قَالَ: أَنَا أَظُنُّ. قَالَ فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[1]

<u>شرح معاني بعض ألفاظ الحديث :</u>

(وَخَرَجْت بِفَرَسٍ لِطَلْحَةَ أُنَدِّيهِ)، وَمَعْنَاهُ: أَنْ يُورِد الْمَاشِيَة الْمَاء فَتُسْقَى قَلِيلًا، ثُمَّ تُرْسَل فِي الْمَرْعَى ، ثُمَّ تَرِد الْمَاء فَتَرِد قَلِيلًا ، ثُمَّ تُرَدّ إِلَى الْمَرْعَى.

(فَمَا زِلْت أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِر بِهِمْ) أَيْ أَعْقِر خَيْلهمْ، وَمَعْنَى أَرْمِيهِمْ أَيْ بِالنَّبْلِ ،

(فَجَعَلْت أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ) أَيْ أَرْمِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ الَّتِي تُسْقِطهُمْ وَتُنْزِلهُمْ .

(جَعَلْت عَلَيْهِمْ آرَامًا مِنْ الْحِجَارَة) هِيَ الْأَعْلَام وَهِيَ حِجَارَة تُجْمَع وَتُنْصَب فِي الْمَفَازَة ، يُهْتَدَى بِهَا.

(وَجَلَسْت عَلَى رَأْس قَرْن) وَهُوَ كُلّ جَبَل صَغِير مُنْقَطِع عَنْ الْجَبَل الْكَبِير.

(لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْح) أَيْ: شِدَّة. (فَخَلَّيْتهمْ عَنْهُ) أَيْ طَرَدْتهمْ عَنْهُ ،

---

(١)رواه البخاري (٣٨٧٣) ، ومسلم (٣٣٧٢)واللفظ لمسلم من حديث طويل فيه ذكر صلح الحديبية وهذه الغزوة، وفيه ذكر غزوة خيبر.

(فَأَصُكّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفه) وَهُوَ الْعَظْم الرَّقِيق عَلَى طَرَف الْكَتِف ، سُمِّي بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَحَرُّكه ،

(يَا ثَكِلَتْهُ أُمّه أَكْوَعُهُ بُكْرَة ؟ قُلْت : نَعَمْ) مَعْنَى ثَكِلَتْهُ أُمّه : فَقَدَتْهُ ، وَقَوْله : (أَكْوَعه) أَيْ : أَنْتَ الْأَكْوَع الَّذِي كُنْت بُكْرَة هَذَا النَّهَار ، وَلِهَذَا قَالَ : نَعَمْ ،

(وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّة) مَعْنَاهُ: أَهْلَكُوهُمَا وَأَتْعَبُوهُمَا حَتَّى أَسْقَطُوهُمَا وَتَرَكُوهُمَا،

(وَلَحِقَنِي عَامِر بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَة مِنْ لَبَن) السَّطِيحَة : إِنَاء مِنْ جُلُود سُطِحَ بَعْضهَا عَلَى بَعْض ، وَالْمَذْقَة : قَلِيل مِنْ لَبَن مَمْزُوج بِمَاءٍ.

(ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذه) بِالذَّالِ الْمُعْجَمَة أَيْ أَنْيَابه، وَقِيلَ: أَضْرَاسه، وَالصَّحِيح الْأَوَّل،

قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَانَ خَيْر فُرْسَاننَا الْيَوْم أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْر رَجَّالَتنَا سَلَمَة) هَذَا فِيهِ اِسْتِحْبَاب الثَّنَاء عَلَى الشُّجْعَان وَسَائِر أَهْل الْفَضَائِل لَا سِيَّمَا عِنْد صَنِيعهمْ الْجَمِيل ،

(وَكَانَ رَجُل مِنْ الْأَنْصَار لَا يُسْبَق شَدًّا) يَعْنِي عَدْوًا عَلَى الرِّجْلَيْنِ. (فَطَفَرْت) أَيْ وَثَبْت وَقَفَزْت.

(فَرَبَطْت عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفَسِي) مَعْنَى رَبَطْت حَبَسْت نَفْسِي عَنْ الْجَرْي الشَّدِيد، وَالشَّرَف: مَا اِرْتَفَعَ مِنْ الْأَرْض.

<u>دلالات:</u>

** نلاحظ أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة للهجرة، قبل خيبر بثلاث ليال ، يعني حدث هذا السطو المسلح، رغم انتصارات المسلمين ووجود جيش قوي لهم.

كانت مثل تلك العصابات مما يستدعي وجود قوة رادعة بالمدينة.

** فى هذا السرد الرائع لبطل هذه الغزوة سلمة بن الأكوع يتأمل الإنسان وينبهر بهذا الأداء الفذ لهذا الصحابي الجليل ،الذي نتعلم منه دروسًا غاية في الأهمية ونموذجًا للتميز الفردي وحسن التصرف:

- لقد كُلِّف بحراسة الظهر، فإذا به أمام عصابة مجرمة قتلت الراعي وسرقت الظَّهر كله.
- ليس معه سوى رباح، وفرس أبي طلحة هما عدته لمتابعة هذه العصابة المجرمة.
- فنتعجب إذ يستغني عنهما جميعًا.
- لكنه في الحقيقة يستثمرهما أفضل استثمار: إبلاغ الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

- ويتولى وحده عملية الملاحقة للعصابة المجرمة.
- يستثمر قدرته على الجري (أفضل استثمار) وواضح أنه متميز فيه جدًا .راجع آخر الحديث. (لياقة بدنية).
- ويستثمر قدرته على الرمي بالنبل .(مهارات هامة جدًا في ذلك الزمان).
- وحسن تصرف إذا رجع فارس، يصعد إلى أعلى شجرة.
- وإذا دخلوا في مضايق الجبل. لا تصل إليهم السهام فيصعد الجبل ويرميهم بالحجارة.
- يترك (أرامًا من الحجارة) علامات لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ،يعرفون بها الطريق الذي سبقهم إليه ؛ولكي يأخذوا ما استرده من الإبل والرماح والبرد.
- يشعر اللصوص أن خلفهم جيشًا كاملًا، لا فردًا واحدًا.
- شجاعته وتهديده للأربعة الذين صعدوا إليه الجبل ، يحسمان المواجهة.
- يرفض أن يتركهم يتغدون أو يشربون الماء.
- ينصح الأخرم الأسدي. صاحب أول فرس. أن يحذر ملاقاتهم وحده، وأن ينتظر حتى يأتي الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأصحاب، يعني شجاعته ليست غائبة عن أسباب الحذر وتقدير موازين القوى.
- أصبح اسم الأكوع رعبًا لهم (أكوعه بكرة ؟؟).
- يطلب من الرسول(صلى الله عليه وسلم)مائة فارس للقضاء على القبيلة كلها.. عزيمة حديدية لا تتعب ولا تلين.
- ولكن النبي(صلى الله عليه وسلم) يقول له:-في رواية أخرى-(ملكت فأَسْجِحْ) أي كن لينًا، طالما حققت غرضك وأخذت حقك.
- إنه سلمة بن الأكوع، فتذكره. أخي المسلم. وتعلم منه.

الفصل الخامس:

فتح خَيْبَرَ ووادي القُرَى:

المحرم سنة سبع

سبب الغزوة:

قد يتساءل البعض : لماذا خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلىخيبر ليفتحها ويحارب اليهود فيها، رغم أنها كانت على بعد ستين أو ثمانين ميلًا من المدينة، ولم يكن بينهم وبين الرسول (صلى الله عليه وسلم) معاهدة أو عقد مواطنة ونقضوه، كما كان الحال مع قبائل قينقاع والنضير وقريظة؟

والجواب من وجوه عدة:

أولًا: إن أكابر مجرمي بني النضير ورؤساءهم ، قد لجؤوا إلى خيبر؛ ليواصلوا التآمر على المسلمين - وأهمهم بالتحديد حُييّ بن أخطب (بعد إجلاء بني النضير ، وقبل قريظة) وسلام بن أبي الحقيق.

ثانيًا: إن دور يهود خيبر في غزوة الأحزاب - أخطر الحملات العسكرية على المدينة - هو دور قريب من دور بني قريظة ومكمل له، ذلك أن الذين كانوا رؤوس المؤامرة التي جمعت الأحزاب من قريش وغطفان ومن حالفهم ،كانوا من بني النضير الذين خرجوا إلى خيبر ، وكانوا من يهود خيبر ، وقد ذكر المباركفوري أنهم كانوا عشرين رجلًا من زعماء اليهود.

وذكر ابن إسحاق منهم أيضًا سلام ابن أبي الحقيق النضري ،وإذا راجعنا تفاصيل فتح حصون خيبر ؛نجد أن ثاني حصونهم فتحًا هو حصن الغموص .وهو حصن بني أبي الحقيق. فالظاهر أنهم من بني النضير ،لكنهم انتقلوا إلى خيبر، وصارت لهم حصون.

ثالثًا: إن يهود خيبر حرضوا بني قريظة على الغدر بالمسلمين أثناء غزوة الأحزاب.

رابعًا: إن يهود خيبر كانوا حلفاء قبيلة غطفان. الجناح الثاني في غزوة الأحزاب.

ولذلك لما علموا بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق إلى غطفان يستمدهم، بحق ما بينهم من تحالف[1].

---

[1] الرحيق المختوم (٤٠٨).

خامسًا: كانوا على اتصال بالمنافقين في المدينة ، وقد أرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول يقول: إن محمدًا(صلى الله عليه وسلم)قصد قصدكم وتوجه إليكم فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه؛ فإن عددكم وعدتكم كثيرة وقوم محمد شرذمة قليلون عزل، لا سلاح معهم إلا قليل[1].

سادسًا: ذكر المباركفوري أنهم - يهود خيبر - كانوا يتهيأون لقتال النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

وعمومًا:

بعد كل جولات الصراع المسلح مع اليهود ، وما سببوه من أزمات للمسلمين في المدينة، وبعد حالة العداء الواضحة منهم رغم المعاهدات، وبعدما سجل القرآن الكريم مواقفهم العدائية (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) ..بعد كل ذلك لم يكن ممكنًا أن يأمن المسلمون في المدينة، ومركز التآمر على بعد ستين ميلًا منهم.

كانت خيبر وعدًا من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم):

قال الحافظ في الفتح:

٧٢٧- عَنْ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيث الْمِسْوَر وَمَرْوَان قَالا : اِنْصَرَفَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْحُدَيْبِيَة فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْفَتْحِ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ فِيهَا خَيْبَرَ بِقَوْلِهِ: {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَة تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} يَعْنِي خَيْبَرَ[2].

موقع مدينة خيبر:

قال الحافظ:

وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ذَات حُصُون وَمَزَارِع عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرُدٍ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ [3].

توقيت الخروج:

قال الحافظ في الفتح (مع بعض الاختصار):

---

[1] الرحيق المختوم (٤٠٩).

[2] فتح الباري ج١٢/ص١٦ باب غزوة خيبر . المكتبة الشاملة.

[3] المصدر السابق.

٧٢٨- قَالَ اِبْن إِسْحَاق : خَرَجَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ سَنَة سَبْعٍ فَأَقَامَ يُحَاصِرُهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة إِلَى أَنْ فَتَحَهَا فِي صَفَر. وَرَوَى يُونُس بْن بُكَيْر فِي الْمَغَازِي عَنْ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيث الْمِسْوَر وَمَرْوَان قَالا: اِنْصَرَفَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْحُدَيْبِيَة، ..... ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحَجَّةِ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّم.

وَذَكَرَ مُوسَى بْن عُقْبَة فِي الْمَغَازِي عَنْ اِبْن شِهَاب أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عِشْرِينَ لَيْلَة أَوْ نَحْوهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَر.

وَعِنْد اِبْن عَائِذ مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس " أَقَامَ بَعْد الرُّجُوع مِنْ الْحُدَيْبِيَة عَشْر لَيَالٍ"، .... وذكر أقوالًا أخرى : ثم قال: وَالرَّاجِحُ مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ اِبْن إِسْحَاق[(١)].

<u>عدة الجيش:</u>

ألف وأربعمائة وهم أصحاب الشجرة الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديبية.

ذكر ذلك المباركفوري – نقلًا عن فتح الباري ، وفي الفتح: (لم يتخلف إلا جابر بن عبد الله). أما سيدنا علي -رضي الله عنه- ،فقد تأخر خروجه؛ لرمد في عينيه وسيأتي حديثه.

<u>في الطريق إلى خيبر:</u>

<u>إنشاد عامر بن الأكوع:</u>

<u>روى البخاري عن سلمة بن الأكوع- رَضِيَ اللَّهُ عَنْه- قَالَ:</u>

٧٢٩- خرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ لِعَامِرٍ: يَا عَامِرُ أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا   وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَبْقَيْنَا   وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا   إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟ قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ قَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ. قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ[(١)].

---

(١) المصدر السابق.

إضافات من شرح الحافظ:

قال الحافظ في الفتح:

قَوْله : (خَرَجْت مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ ، فَسِرْنَا لَيْلًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ لِعَامِرٍ : يَا عَامِر أَلَا تُسْمِعنَا) عِنْد اِبْن إِسْحَاق مِنْ حَدِيث نَصْر بْن دَهْر الْأَسْلَمِيّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول فِي مَسِيره إِلَى خَيْبَرَ لِعَامِرِ بْن الْأَكْوَع وَهُوَ عَمّ سَلَمَة بْن الْأَكْوَع وَاسْم الْأَكْوَع سِنَان : " اِنْزِلْ يَا اِبْنَ الْأَكْوَعِ فَاحْدُ لَنَا مِنْ هُنَيَّاتِكَ " فَفِي هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُ بِذَلِكَ .

قَوْله: (فَاغْفِرْ فِدَاء لَك مَا اِتَّقَيْنَا) قَدْ اِسْتَشْكَلَ هَذَا الْكَلَام لِأَنَّهُ لَا يُقَال فِي حَقّ اللَّهِ ، إِذْ مَعْنَى فِدَاء لَك نَفْدِيك بِأَنْفُسِنَا وَحُذِفَ مُتَعَلِّقِ الْفِدَاءِ لِلشُّهْرَةِ ، وَإِنَّمَا يُتَصَوَّرُ الْفِدَاءُ لِمَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ. وَأُجِيب عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهَا كَلِمَةٌ لَا يُرَادُ بِهَا ظَاهِرُهَا بَلْ الْمُرَادُ بِهَا الْمَحَبَّةُ وَالتَّعْظِيمُ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ.

وقَوْله: (إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا) أَيْ جِئْنَا إِذَا دُعِينَا إِلَى الْقِتَالِ أَوْ إِلَى الْحَقّ.

قَوْله: (وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا) أَيْ قَصَدُونَا بِالدُّعَاءِ بِالصَّوْتِ الْعَالِي وَاسْتَغَاثُوا عَلَيْنَا.

وقوْله: (قَالَ يَرْحَمُهُ اللَّه) فِي رِوَايَةِ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَة (قَالَ غَفَرَ لَك رَبُّك) قَالَ: وَمَا اِسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اُسْتُشْهِدَ، وَبِهَذِهِ الزِّيَادَةِ يَظْهَرُ السِّرُّ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ (لَوْلَا أَمْتَعْتنَا بِهِ).

قَوْلِهِ: (قَالَ رَجُل مِنْ الْقَوْم: وَجَبَتْ يَا نَبِيّ اللَّه، لَوْلَا أَمْتَعْتنَا بِهِ) فِي رِوَايَة إِيَاس بْن سَلَمَة (فَنَادَى عُمَر بْن الْخَطَّاب وَهُوَ عَلَى جَمَل لَهُ : يَا نَبِيّ اللَّه لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِعَامِر). وَ عِنْد اِبْن إِسْحَاق " فَقَالَ عُمَر: وَجَبَتْ يَا رَسُولَ اللَّه"، (وَأَمْتَعْتنَا) أَيْ مَتَّعْتنَا أَيْ أَبْقَيْته لَنَا لِنَتَمَتَّع بِهِ أَيْ بِشَجَاعَتِهِ[٢].

الرسول (صلى الله عليه وسلم)يقطع الطريق على مدد غطفان:

٧٣٠- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ خَرَجَ مِنْ الْمَدِينَةِ إلَى خَيْبَرَ سَلَكَ عَلَى عَصْرٍ، فَبَنَى لَهُ فِيهَا مَسْجِدٌ، ثُمّ عَلَى الصّهْبَاءِ ، ثُمّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِجَيْشِهِ حَتّى نَزَلَ

---

(١) البخاري برقم ٣٨٧٥ ترقيم العالمية.

(٢) فتح الباري باب غزوة خيبر.

بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرّجِيعُ ، فَنَزَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانَ ، لِيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُمِدّوا أَهْلَ خَيْبَرَ، وَكَانُوا لَهُمْ مُظَاهِرِينَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَبَلَغَنِي أَنّ غَطَفَانَ لَمّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ خَيْبَرَ جَمَعُوا لَهُ، ثُمّ خَرَجُوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْهِ، حَتّى إذَا سَارُوا مَنْقَلَةً سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حِسّا، ظَنّوا أَنّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إلَيْهِمْ، فَرَجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَخَلّوْا بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ خَيْبَرَ[1].

دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) عند خيبر:

روى ابن إسحاق بسنده:

٧٣١- أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قِفُوا، ثُمّ قَالَ: "اللّهُمّ رَبّ السّمَوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبّ الرّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنّا نَسْأَلُك خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرّهَا وَشَرّ أَهْلِهَا وَشَرّ مَا فِيهَا ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللّهِ، قَالَ: وَكَانَ يَقُولُهَا عَلَيْهِ السّلَامُ لِكُلّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا[2].

عدم الإغارة ليلًا:

٧٣٢ - روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ[3].

قال الحافظ في شرحه:

قَوْله: (لَمْ يُغْرِ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ) وَتَقَدَّمَ فِي الْجِهَادِ بِلَفْظِ "لَا يُغِيرُ عَلَيْهِمْ"، وَتَقَدَّمَ فِي الْأَذَان مِنْ وَجْهٍ آخَرَ بِلَفْظِ " كَانَ إِذَا غَزَا لَمْ يَغْزُ بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ وَإِلَّا أَغَارَ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ".

وَحَكَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّ أَهْلَ خَيْبَرَ سَمِعُوا بِقَصْدِهِ لَهُمْ ، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مُتَسَلِّحِينَ مُسْتَعِدِّينَ، فَلَا يَرَوْنَ أَحَدًا. حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَة الَّتِي قَدِمَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ نَامُوا فَلَمْ تَتَحَرَّك لَهُمْ دَابَّةٌ وَلَمْ يَصِحْ لَهُمْ دِيكٌ، وَخَرَجُوا بِالْمَسَاحِي طَالِبِينَ مَزَارِعَهُمْ فَوَجَدُوا الْمُسْلِمِينَ[1].

---

[1] سيرة ابن هشام ٢٤٧/٣.

[2] سيرة ابن هشام ٢٤٦/٣ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤٤٦/١ وقال صحيح ووافقه الذهبي. دار الحديث.

[3] البخاري ٢٨٧٦ العالمية.

مفاجأة اليهود:

بقية حديث أنس عند البخاري:

فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}[2].

قال الحافظ (بعد الاختصار والتهذيب):

قَوْله: (خَرَجَتْ يَهُود) زَادَ أَحْمَد "إِلَى زُرُوعِهِمْ". قَوْلهمْ: (بِمَسَاحِيهِمْ) جَمْعُ مِسْحَاةٍ وَهِيَ مِنْ آلَاتِ الْحَرْثِ، (وَمَكَاتِلِهِمْ) جَمْعُ مِكْتَلٍ وَهُوَ الْقُفَّةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي يُحَوَّلُ فِيهَا التُّرَابُ وَغَيْرُهُ.

قَوْله: (مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ) عَنْ أَنَس (فى رواية) "وَالْخَمِيس : يَعْنِي الْجَيْشَ".

قَوْله: (خَرِبَتْ خَيْبَر) يُؤْخَذ مِنْ هَذَا الْحَدِيث التَّفَاؤُل، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى آلَاتِ الْهَدْمِ - أَخَذَ مِنْهُ أَنَّ مَدِينَتَهُمْ سَتَخْرَبُ. وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون قَالَ . "خَرِبَتْ خَيْبَر" بِطَرِيقِ الْوَحْي. وَيُؤَيِّدُهُ قَوْله بَعْد ذَلِكَ : "إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ"[3].

حصون خيبر:

قال ابن القيم: إن خيبر كانت جانبين:

الأول: الشق والنطاة .وهو الذي افتتحه أولًا.

والجانب الثاني: الكتيبة والوطيح والسلالم.

زاد المباركفوري:

أن الشق يشمل ثلاثة حصون (ناعم، والصعب بن معاذ، والزبير).

والنطاة فيه (حصن أبيّ، وحصن النزار).

وزاد في الجانب الثاني (الكتيبة) أنه يشمل القموص والوطيح والسلالم.

ويرى المباركفوري:

أن القتال دار في الشطر الأول، أما الشطر الثاني فقد سلمت حصونه دون قتال.

أقول: وهي قضية خلافية:

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(2) بقية الحديث السابق ذكرة ٣٨٧٦

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

فالبيهقي قال: «وهذا لأن خيبر فتح شطرها عنوة ،وشطرها صلحًا».

أما ابن القيم فيرىأنها كلها فتحت بالقوة قال:

« وَمَنْ تَأَمّلَ السّيَرَ وَالْمَغَازِيَ حَقّ التّأَمّلِ تبَيّنَ لَهُ أَنّ خَيْبَرَ إنّمَا فُتِحَتْ عَنْوَةً، وَأَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَوْلَى عَلَى أَرْضِهَا كُلّهَا بِالسَّيْفِ عُنْوَةً، وَلَوْ فُتِحَ شَيْءٌ مِنْهَا صُلْحًا لَمْ يُجْلِهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهَا، فَإِنّهُ لَمّا عَزَمَ عَلَى إخْرَاجِهِمْ مِنْهَا قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْأَرْضِ مِنْكُمْ دَعُونَا نَكُونُ فِيهَا وَنَعْمُرُهَا لَكُمْ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا. وَهَذَا صَرِيحٌ جِدّا فِي أَنّهَا إنّمَا فُتِحَتْ عَنْوَةً»

قتال عامر بن الأكوع ومرحب:

قال أنس فى حديث البخاري:

فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ ....

فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ قَصِيرًا فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ، وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةِ عَامِرٍ، فَمَاتَ مِنْهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَفَلُوا قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، قَالَ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ لَهُ: فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ[1].

قال الحافظ في الفتح:

قَوْله: (فَحَاصَرْنَاهُمْ) ذَكَرَ اِبْن إِسْحَاق أَنَّ أَوَّل شَيْء حَاصَرُوهُ فَفُتِحَ حِصْنَ نَاعِم ، ثُمَّ اِنْتَقَلُوا إِلَى غَيْرِهِ.

قَوْله: (وَكَانَ سَيْف عَامِر قَصِيرًا فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيّ لِيَضْرِبَهُ) فِي رِوَايَةِ إِيَاسِ بْن سَلَمَة: "فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَب يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ يَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ   شَاكِي السِّلَاحَ بَطَلٌ مُجَرَّب

إِذَا الْحُرُوب أَقْبَلَتْ تَلْهَب

قَالَ فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَامِر فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَر أَنِّي عَامِر   شَاكِي السِّلَاح بَطَل مُغَامِر

---

[1] حديث البخاري السابق ذكره ٣٨٧٥.

فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَوَقَعَ سَيْف مَرْحَب فِي تُرْسِ عَامِرٍ ، فَصَارَ عَامِر يَسْفُلُ لَهُ أَيْ يَضْرِبُهُ مِنْ أَسْفَلَ ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ - أَيْ عَامِر - عَلَى نَفْسِهِ[1].

تعقيب:

من كثرة الروايات والشروح عن غزوة خيبر عرفنا أن:

- أول حصن حاصره المسلمون هو حصن ناعم.
- وأن ملك اليهود (مرحب) بارز عامر بن الأكوع أولًا، فقتله.

طول فترة الحصار:

قال الحافظ ابن حجر:

ذَكَرَ اِبْن إِسْحَاق أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ عَلَى مُحَاصَرَتِهِمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقِيلَ: أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ. وَيُؤَيِّدُهُ قَوْله فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْله: "إِنَّهُمْ أَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ "فَإِنَّهُ دَالّ عَلَى طُولِ مُدَّةِ الْحِصَارِ، إِذْ لَوْ وَقَعَ الْفَتْحُ مِنْ يَوْمِهِمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ ذَلِكَ. وَفِي حَدِيثِ سَلَمَة بْن الْأَكْوَع وَسَهْل بْن سَعْد الْآتِيَيْنِ قَرِيبًا فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ مَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ، وَكَذَا فِي حَدِيثِ سَهْلٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ.

محاولات فتح الحصن تنتهي إلى عليٍّ -رضي الله عنه-:

يظهر من تأمل الروايات أن:

- سيدنا عَلِيًّا كان يشتكي رمدًا بعينيه؛ فتأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- وأن سيدنا أبا بكر، ثم سيدنا عمر حاولا فتح الحصن ،ورجعا.
- ثم جاء سيدنا علي -أو أرسل إليه النبي (صلى الله عليه وسلم)- ، ثم أخذ ميزة أنه (رجل يحب الله ورسوله)، وحمل الراية وفتح الله على يديه.
- وقبل الفتح كانت مبارزات من أهمها (مرحب اليهودي) مع سيدنا محمد بن مسلمة .(أو مع سيدنا علي) وهذه بعض الروايات.

٧٣٣- عَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمِدًا فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَلَحِقَ بِهِ. فَلَمَّا بِتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ

---

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (مختصرًا).

قَالَ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ"، فَنَحْنُ نَرْجُوهَا فَقِيلَ: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ فَفُتِحَ عَلَيْهِ[1].

وروي أيضًا:

٧٣٤- عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ".

قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[2].

قال الحافظ في الفتح:

(قَالَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا) وقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ اِخْتِصَار ، وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيّ وَابْن حِبَّانَ وَالْحَاكِم مِنْ حَدِيث بُرَيْدَةَ بْن الْخَصِيبِ قَالَ : (لَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ أَخَذَ أَبُو بَكْر اللِّوَاءَ فَرَجَعَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَهُ عُمَرُ فَرَجَعَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ ، وَقُتِلَ مَحْمُودُ بْن مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَدْفَعَنَّ لِوَائِي غَدًا إِلَى رَجُلٍ ...) الْحَدِيث، وَعِنْدَ اِبْن إِسْحَاق نَحْوه مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ سَرَدَهُمْ الْحَاكِمُ فِي "الْإِكْلِيلِ" وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلَائِلِ".

من الذي قتل (مرحب) اليهودي:

قال ابن القيم : (نقلًا عن صحيح مسلم):

---

[1] رواه البخاري ٣٨٨٧ ترقيم العالمية.

[2] البخاري ٣٨٨٨ ترقيم العالمية.

٧٣٥- " ...... فَأَعْطَاهُ الرّايَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ قَالَ: "أُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمّ أُدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقّ اللهِ فِيهِ فَوَاَللّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النّعَمِ"

فَخَرَجَ مَرْحَبٌ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الّذِي سَمّتْنِي أُمّي مَرْحَبُ شَاكِي السّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرّبُ

إذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهّبُ

فَبَرَزَ إلَيْهِ عَلِيّ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الّذِي سَمّتْنِي أُمّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصّاعِ كَيْلَ السّنْدَرَهْ

فَضَرَبَ مَرْحَبًا فَفَلَقَ هَامَتَهُ وَكَانَ الْفَتْحُ. وَلَمّا دَنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِنْ حُصُونِهِمْ اطّلَعَ يَهُودِيّ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ الْيَهُودِيّ: عَلَوْتُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى".

قال ابن القيم: هَكَذَا فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" أَنّ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ هُوَ الّذِي قَتَلَ مَرْحَبًا، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ:... عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ: أَنّ مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ هُوَ الّذِي قَتَلَهُ.

٧٣٦- قَالَ جَابِرٌ فِي حَدِيثِهِ:

"خَرَجَ مَرْحَبٌ الْيَهُودِيّ مِنْ حِصْنِ خَيْبَرَ قَدْ جَمَعَ سِلَاحَهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ مَنْ يُبَارِزُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ لِهَذَا؟ فَقَالَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللّهِ، أَنَا وَاَللّهِ الْمَوْتُورُ الثّائِرُ قَتَلُوا أَخِي بِالْأَمْسِ يَعْنِي مَحْمُودَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَكَانَ قُتِلَ بِخَيْبَرَ. فَقَالَ: قُمْ إلَيْهِ، اللّهُمّ أَعِنْهُ عَلَيْهِ، فَلَمّا دَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ فَجَعَلَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَلُوذُ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ، كُلّمَا لَاذَ بِهَا مِنْهُ اقْتَطَعَ صَاحِبُهُ بِسَيْفِهِ مَا دُونَهُ مِنْهَا، حَتّى بَرَزَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا كَالرّجُلِ الْقَائِمِ مَا فِيهَا فَنَنٌ، ثُمّ حَمَلَ عَلَى مُحَمّدٍ فَضَرَبَهُ فَاتّقَاهُ بِالدّرَقَةِ فَوَقَعَ سَيْفُهُ فِيهَا فَعَضّتْ بِهْ، فَأَمْسَكَتْهُ وَضَرَبَهُ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَتَلَهُ.

وَكَذَلِكَ قَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلّامَةَ ومجمع بْنُ حَارِثَةَ: إنّ مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ قَتَلَ مَرْحَبًا. قَالَ الْوَاقِدِيّ : وَقِيلَ إن مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ضَرَبَ سَاقَيْ مَرْحَبٍ فَقَطَعَهُمَا، فَقَالَ مَرْحَبٌ: أَجْهِزْ عَلَيّ يَا مُحَمّدُ، فَقَالَ مُحَمّدٌ: ذُقْ الْمَوْتَ كَمَا ذَاقَهُ أَخِي مَحْمُودٌ، وَجَاوَزَهُ وَمَرّ بِهِ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ

فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَأَخَذَ سَلَبَهُ، فَاخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَلَبِهِ، فَقَالَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا قَطَعْتُ رِجْلَيْهِ ثُمّ تَرَكْتُهُ إلّا لِيَذُوقَ الْمَوْتَ، وَكُنْت قَادِرًا أَنْ أُجْهِزَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: صَدَقَ، ضَرَبْتُ عُنُقَهُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ رِجْلَيْهِ، فَأَعْطَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ سَيْفَهُ وَرُمْحَهُ وَمِغْفَرَهُ وَبَيْضَتَهُ، وَكَانَ عِنْدَ آلِ مُحَمّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ سَيْفُهُ فِيهِ كِتَابٌ لَا يُدْرَى مَا فِيهِ حَتّى قَرَأَهُ يَهُودِيّ فَإِذَا فِيهِ:

هَذَا سَيْفُ مَرْحَبْ مَنْ يَذُقْهُ يَعْطَبْ[١]

المبارزة بين الزبير وياسر:

٧٣٧- ثم خَرَجَ بَعْدَ مَرْحَبٍ أَخُوهُ يَاسِرُ، فَبَرَزَ إلَيْهِ الزّبَيْرُ، فَقَالَت صَفِيّةُ أُمّهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ يَقْتُلُ ابْنِي؟ قَالَ: "بَلْ ابْنُكِ يَقْتُلُهُ إنْ شَاءَ اللّهُ" فَقَتَلَهُ الزّبَيْرُ[٢].

الحصن التالي القموص (بعد ناعم):

ذكر ابن القيم ترتيب فتح الحصون: ناعم، ثم القَموص، ثم حصن الزبير أما ترتيب المباركفوري فهو: ناعم، ثم الصعب، ثم الزبير.

قال ابن القيم بعد أن ذكر مقتل مرحب وأخيه ياسر:

٧٣٨- قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: ثُمّ دَخَلَ الْيَهُودُ حِصْنًا لَهُمْ مَنِيعًا يُقَالُ لَهُ الْقَمُوصُ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَتْ أَرْضًا وَخْمَةً شَدِيدَةَ الْحَرّ فَجَهِدَ الْمُسْلِمُونَ جَهْدًا شَدِيدًا، فَذَبَحُوا الْحُمُرَ، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ أَكْلِهَا[٣].

الحصار عشرين ليلة ،وذبح الحمر الأهلية:

هنا ذكر موسى بن عقبة ذبح الحمر الأهلية عند حصن القموص، لكن أكثر الرواة ذكر ذبح الحمر الأهلية (ونهْيَ الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكلها)، دون ذكر، عند أيِّ الحصون؟

روىالبخاري:

---

(١) زاد المعاد ٢٠٢/٢ ط دار التقوى.

(٢) المصدر السابق.

(٣) زاد المعاد ٢٠٣/٢ نقلًا عن مغازي موسى بن عقبة.

٧٣٩- «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ: أُكِلَتْ الْحُمُرُ، ثُمَّ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ: أُكِلَتْ الْحُمُرُ، ثُمَّ جَاءَهُ جَاءٍ فَقَالَ: أُفْنِيَتْ الْحُمُرُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ فَإِنَّهَا رِجْسٌ، فَأُكْفِئَتْ الْقُدُورُ وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ[١]».

وذكر ابن إسحاق أيضًا أن حصن القموص هو الثاني فتحًا.

قال ابن إسحاق:

٧٤٠- وَتَدَنّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْأَمْوَالَ يَأْخُذُهَا مَالًا مَالًا، وَيَفْتَتِحُهَا حِصْنًا حِصْنًا ، فَكَانَ أَوّلُ حُصُونِهِمْ أُفْتُتِحَ حِصْنُ نَاعِمٍ ، وَعِنْدَهُ قُتِلَ مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، ألقيت عليه منه رحًى، ثم الْقَمُوصُ ، حِصْنُ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ[٢].

قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ:

٧٤١- ثُمّ دَخَلَ الْيَهُودُ حِصْنًا لَهُمْ مَنِيعًا يُقَالُ لَهُ الْقَمُوصُ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَتْ أَرْضًا وَخمَةً شَدِيدَةَ الْحَرّ فَجَهِدَ الْمُسْلِمُونَ جَهْدًا شَدِيدًا فَذَبَحُوا الْحُمُرَ فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ أَكْلِهَا.

وَجَاءَ عَبْدٌ أَسْوَدُ حَبَشِيّ مِنْ أَهْلِ خيبر كان فِي غَنَمٍ لِسَيّدِهِ، فَلَمّا رَأَى أَهْلَ خَيْبَرَ قَدْ أَخَذُوا السّلَاحَ سَأَلَهُمْ مَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا : نُقَاتِلُ هَذَا الّذِي يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ ذِكْرُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَقْبَلَ بِغَنَمِهِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَالَ مَاذَا تَقُولُ وَمَا تَدْعُو إلَيْهِ ؟ قَالَ: أَدْعُو إلَى الْإِسْلَامِ وَأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّي رَسُولُ اللّهِ وَأَنْ لَا تَعْبُدَ إلّا اللّهَ. قَالَ الْعَبْدُ: فَمَا لِي إنْ شَهِدْتُ وَآمَنْتُ بِاَللّهِ عَزّ وَجَلّ؟ قَالَ: لَكَ الْجَنّةُ إنْ مِتّ عَلَى ذَلِكَ فَأَسْلَمَ.

ثُمّ قَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ إنّ هَذِهِ الْغَنَمَ عِنْدِي أَمَانَةٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، أَخْرِجْهَا مِنْ عِنْدِكَ وَارْمِهَا بِالْحَصْبَاءِ، فَإِنّ اللّهَ سَيُؤَدّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ. فَفَعَلَ فَرَجَعَتْ الْغَنَمُ إلَى سَيّدِهَا، فَعَلِمَ الْيَهُودِيّ أَنّ غُلَامَهُ قَدْ أَسْلَمَ.

---

[١] البخاري ٥١٠٢. ترقيم العالمية.

[٢] سيرة ابن هشام.

فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي النّاسِ فَوَعَظَهُمْ وَحَضّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ، فَلَمّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ قُتِلَ فِيمَنْ قُتِلَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ، فَاحْتَمَلَهُ الْمُسْلِمُونَ إلَى مُعَسْكَرِهِمْ، فَأُدْخِلَ فِي الْفُسْطَاطِ، فَزَعَمُوا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اطّلَعَ فِي الْفُسْطَاطِ ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: لَقَدْ أَكْرَمَ اللّهُ هَذَا الْعَبْدَ وَسَاقَهُ إلَى خَيْرٍ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ اثْنَتَيْنِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، وَلَمْ يُصَلّ لِلّهِ سَجْدَةً قَطّ(١).

حصن الصعب بن معاذ:

ذكر المباركفوري أنه افتتح بعد حصن ناعم ، لكن ابن إسحاق ذكره بعد القموص قال:

٧٤٢- فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنّهُ حَدّثَهُ بَعْضُ أَسْلَمَ : أَنّ بَنِي سَهْمٍ مِنْ أَسْلَمَ أَتَوْا رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَقَالُوا : وَاَللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ لَقَدْ جَهَدْنَا وَمَا بِأَيْدِينَا مِنْ شَيْءٍ فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - شَيْئًا يُعْطِيهِمْ إيّاهُ.

فَقَالَ: اللّهُمّ إنّك قَدْ عَرَفْت حَالَهُمْ وَأَنْ لَيْسَتْ بِهِمْ قُوّةٌ، وَأَنْ لَيْسَ بِيَدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِمْ إيّاهُ فَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ حُصُونِهَا عَنْهُمْ غَنَاءً وَأَكْثَرَهَا طَعَامًا وَوَدَكًا. فَغَدَا النّاسُ فَفَتَحَ اللّهُ - عَزّ وَجَلّ - حِصْنَ الصّعْبِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَمَا بِخَيْبَرِ حِصْنٌ كَانَ أَكْثَرَ طَعَامًا وَوَدَكًا مِنْهُ(٢).

حصن الزبير:

٧٤٣- قَالَ الْوَاقِدِيّ: وَتَحَوّلَتْ الْيَهُودُ إلَى قَلْعَةِ الزّبَيْرِ : حِصْنٍ مَنِيعٍ فِي رَأْسِ قُلّةٍ. فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَةَ أَيّامٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ عَزّال فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إنّك لَوْ أَقَمْتَ شَهْرًا مَا بَالَوْا، إنّ لَهُمْ شَرَابًا وَعُيُونًا تَحْتَ الْأَرْضِ يَخْرُجُونَ بِاللّيْلِ فَيَشْرَبُونَ مِنْهَا ثُمّ يَرْجِعُونَ إلَى قَلْعَتِهِمْ فَيَمْتَنِعُونَ مِنْك، فَإِنْ قَطَعْت مَشْرَبَهُمْ عَلَيْهِمْ أَصْحَرُوا لَك.

فَسَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَائِهِمْ فَقَطَعَهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمّا قُطِعَ عَلَيْهِمْ خَرَجُوا فَقَاتَلُوا أَشَدّ الْقِتَالِ وَقُتِلَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ نَفَرٌ، وَأُصِيبَ نَحْوُ الْعَشَرَةِ مِنْ الْيَهُودِ، وَافْتَتَحَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ(٣).

فتح القسم الثاني من خيبر (الكتيبة، والوطيح، والسلالم):

---

(١) زاد المعاد ٢٠٣/٢ دار التقوى.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٤٩/٣ دار الحديث.

(٣) زاد المعاد ٢٠٤/٣ دار التقوى.

قال ابن القيم:

٧٤٤- ثُمّ تَحَوّلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَهْلِ الْكُتَيْبَةِ وَالْوَطِيحِ وَالسّلَالِمِ حِصْنِ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، فَتَحَصّنَ أَهْلُهُ أَشَدّ التّحَصّنِ، وَجَاءَهُمْ كُلّ فَلّ كَانَ انْهَزَمَ مِنْ النّطَاةِ وَالشّقّ، فَإِنّ خَيْبَرَ كَانَتْ جَانِبَيْنِ: (الْأَوّلُ: الشّقّ وَالنّطَاةُ) وَهُوَ الّذِي افْتَتَحَهُ أَوّلًا (وَالْجَانِبُ الثّانِي: الْكُتَيْبَةُ وَالْوَطِيحُ وَالسّلَالِمُ) فَجَعَلُوا لَا يَخْرُجُونَ مِنْ حُصُونِهِمْ حَتّى هَمّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَنْصِبَ عَلَيْهِمْ الْمَنْجَنِيقَ.

ابن أبي الحقيق يطلب الصلح:

فَلَمّا أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ وَقَدْ حَصَرَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّلْحَ، وَأَرْسَلَ ابْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَنْزِلْ فَأُكَلّمَك؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "نَعَمْ" فَنَزَلَ ابْنُ أَبِي الحقيق، فصالح رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى حَقْنِ دِمَاءِ مَنْ فِي حُصُونِهِمْ مِنْ الْمُقَاتِلَةِ وَتَرْكِ الذّرّيّةِ، لَهُمْ وَيَخْرُجُونَ مِنْ خَيْبَرَ وَأَرْضِهَا بِذَرَارِيّهِمْ، وَيُخَلّونَ بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَأَرْضٍ، وَعَلَى الصّفْرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْكُرَاعِ وَالْحَلْقَةِ إلّا ثَوْبًا عَلَى ظَهْرِ إنْسَانٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "وَبَرِئَتْ مِنْكُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ رسوله إن كَتَمْتُمُونِي شَيْئًا" فَصَالَحُوهُ عَلَى ذَلِكَ[1].

لكنهم نكثوا العهد:

٧٤٥- عَنْ ابْنِ عُمَرَ: "أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتّى أَلْجَأَهُمْ إلَى قَصْرِهِمْ، فَغَلَبَ عَلَى الزّرْعِ وَالنّخْلِ وَالْأَرْضِ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُجْلُوا مِنْهَا، وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ وَلِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الصّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيّبُوا شَيْئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ.

فَغَيّبُوا مَسْكًا فِيهِ مَالٌ وَحُلِيّ لِحُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ ـ كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إلَى خَيْبَرَ حِينَ أُجْلِيَتْ النّضِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِعَمّ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ: مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيّ الّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ النّضِيرِ؟ . قَالَ: أَذْهَبَتْهُ النّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ، فَقَالَ: الْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ

---

[1] زاد المعاد ٢/٢٠٤

ذَلِكَ"، فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللّهِ إِلَى الزّبَيْرِ فَمَسّهُ بِعَذَابٍ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ خَرِبَةً فَقَالَ: "قَدْ رَأَيْتُ حُيَيّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ هَا هُنَا فَذَهَبُوا فَطَافُوا فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي الْخَرِبَةِ، فَقَتَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ابْنَيْ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَأَحَدُهُمَا زَوْجُ صَفِيّةَ بِنْتِ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ، وَسَبَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيّهُمْ وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ بِالنّكْثِ الّذِي نَكَثُوا[1].

زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم)بصفية -رضي الله عنها-:

وَصْفِيَّة هِيَ بِنْتُ حُيَيّ بْن أَخْطَبَ...... وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ شَمْوَال مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَتْ تَحْتَ سَلَّامِ بْنِ مُشْكِمِ الْقُرَظِيّ ثُمَّ فَارَقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْن أَبِي الْحَقِيقِ النَّضِيرِيّ، فَقُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ ، ذَكَرَ ذَلِكَ اِبْن سَعْد وَأَسْنَدَ بَعْضَهُ مِنْ وَجْهٍ مُرْسَلٍ.

رواية البخاري:

٧٤٦- فَجُمِعَ السَّبْيُ فَجَاءَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ.

فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا، فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خُذْ جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ غَيْرَهَا. قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَوَّجَهَا.

فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا أَصْدَقَهَا قَالَ نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنْ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ ، بِهِ وَبَسَطَ نِطَعًا[2] فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ[3]، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا[4] فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5].

---

[1] زاد المعاد ٢٠٤/٢ وأخرجه أبو داود ٣٠٠٦ والبيهقي في السنن الكبري ١٣٧/٩ تخريج ط دار التقوى.

[2] بساط من جلد.

[3] نوع من التمر.

[4] فحاسوا : أي خلطوا.

[5] حسيًا: خليط التمر والسمن واللبن.

قال الحافظ في الفتح:

وَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطِيَهُ جَارِيَةً فَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ جَارِيَةً، فَأَخَذَ صَفِيَّة . فَلَمَّا قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا بِنْت مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ ظَهَرَ لَهُ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّنْ تُوهَبُ لِدِحْيَةَ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مِثْلَ دِحْيَة وَفَوْقه، وَقِلَّة مَنْ كَانَ فِي السَّبْي مِثْل صَفِيَّة فِي نَفَاسَتِهَا، فَلَوْ خَصَّهُ بِهَا لَأَمْكَنَ تَغَيُّرُ خَاطِرِ بَعْضِهِمْ ، فَكَانَ مِنْ الْمَصْلَحَة الْعَامَّة اِرْتِجَاعُهَا مِنْهُ وَاخْتِصَاص النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِضَا الْجَمِيعِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ الرُّجُوعِ فِي الْهِبَةِ مِنْ شَيْء. وَأَمَّا إِطْلَاق الشِّرَاءِ عَلَى الْعِوَضِ فَعَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَلَعَلَّهُ عَوَّضَهُ عَنْهَا بِنْت عَمّهَا أَوْ بِنْت عَمِّ زَوْجهَا فَلَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ فَأَعْطَاهُ مِنْ جُمْلَةِ السَّبْيِ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ.

تعليق:

هذا التفسير من الإمام ابن حجر لذلك الموقف، من أروع ما يكون؛ لأن القارئ لقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث، وقصة صفية ؛ يجد هذا التشابه: أنهما كانتا في نصيب غير النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يزين له الوسواس أن المرأة التي تعجب النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها من بعض أصحابه، وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فعل ذلك ؛تكريمًا لنساء وبنات ملوك القبائل بعد وقوعهم في الأسر، فيكون تطييبًا لنفوسهن أن يتزوجن من إمام المسلمين وسيد الخلق أجمعين (صلى الله عليه وسلم).

وروى البخاري أيضًا:

٧٤٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ[١] فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَتَهُ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ"[٢].

---

[١] أي حاضت حيضة ثم طهرت منها وهذا كاف في السبايا لاستبراء الرحم دون عدة القروء الثلاثة في المطلقة العادية.

[٢] البخاري ٣٨٨٩ ترقيم العالمية.

٧٤٨- وَوَقَعَ فِي مَغَازِي أَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة "فَوَضَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا فَخِذه لِتَرْكَب، فَأَجَلَّتْ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَضَع رِجْلَهَا عَلَى فَخِذه، فَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَى فَخِذه وَرَكِبَتْ "[1].

رؤيا صفية:

قال ابن القيم:

٧٤٩- « وَبَنَى بِهَا فِي الطّرِيقِ وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا وَرَأَى بِوَجْهِهَا خُضْرَةً فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُرِيتُ قَبْلَ قُدُومِك عَلَيْنَا كَأَنّ الْقَمَرَ زَالَ مِنْ مَكَانِهِ فَسَقَطَ فِي حَجْرِي، وَلَا وَاَللّهِ مَا أَذْكُرُ مِنْ شَأْنِك شَيْئًا، فَقَصَصْتهَا عَلَى زَوْجِي فَلَطَمَ وَجْهِي وَقَالَ تُمَنّينَ هَذَا الْمَلِكَ الّذِي بِالْمَدِينَةِ»[2].

أبو أيوب يحرس النبي (صلى الله عليه وسلم):

"وَلَمّا بَنَى بِهَا، بَاتَ أَبُو أَيّوبَ لَيْلَتَهُ قَائِمًا قَرِيبًا مِنْ قُبّتِهِ آخِذًا بِقَائِمِ السّيْفِ حَتّى أَصْبَحَ، فَلَمّا رَأَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَبّرَ أَبُو أَيّوب حِينَ رَآهُ قَدْ خَرَجَ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَا لَك يَا أَبَا أَيّوبَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَرِقْتُ لَيْلَتِي هَذِهِ يَا رَسُولَ اللّهِ لَمّا دَخَلْتَ بِهَذِهِ الْمَرْأَةِ، ذَكَرْتُ أَنّك قَتَلْتَ أَبَاهَا وَأَخَاهَا وَزَوْجَهَا وَعَامّةَ عَشِيرَتِهَا فَخِفْتُ أَنْ تَغْتَالَك، فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ لَهُ مَعْرُوفًا"[3].

ومن روائع قصص المجاهدين في خيبر:

"صدق الله فصدقه":

قال ابن القيم:

٧٥٠- « وَقَالَ شَدّادُ بْنُ الْهَادِ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الأعراب إلى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتّبَعَهُ، فَقَالَ: أُهَاجِرُ مَعَك فَأَوْصَى بِهِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمّا كَانَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ غَنِمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَيْئًا فَقَسَمَهُ وَقَسَمَ لِلْأَعْرَابِيّ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَهُ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمّا جَاءَ دَفَعُوهُ إلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا : قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ: قَسْمٌ

---

[1] فتح الباري شرح الحديث السابق.

[2] زاد المعاد ٢/٢٠٣

[3] زاد المعاد ٢/٢٠٤ عن سيرة ابن هشام.

قَسَمْتُهُ لَكَ، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتّبَعْتُك وَلَكِنْ اتّبَعْتُك عَلَى أَنْ أُرْمَى هَا هُنَا وَأَشَارَ إلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنّةَ. فَقَالَ: إنْ تَصْدُقْ اللّهَ يَصْدُقْك.

ثُمّ نَهَضَ إلَى قِتَالِ الْعَدُوّ، فَأُتِيَ بِهِ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ مَقْتُولٌ، فَقَالَ أَهْوَ هُوَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ. قَالَ صَدَقَ اللّهَ فَصَدَقَهُ. فَكَفّنَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي جُبّتِهِ ثُمّ قَدّمَهُ فَصَلّى عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ لَهُ اللّهُمّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِك قُتِلَ شَهِيدًا وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ»[1].

الاتفاق على ترك اليهود يعملون في الأرض:

٧٥١- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : «وَسَأَلْت ابْنَ شِهَابٍ الزّهْرِيّ : كَيْفَ كَانَ إعْطَاءُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَهُودَ خَيْبَرَ نَخْلَهُمْ حِينَ أَعْطَاهُمْ النّخْلَ عَلَى خَرْجِهَا ؟ أَبَتّ ذَلِكَ لَهُمْ حَتّى قُبِضَ؟ أَمْ أَعْطَاهُمْ إيّاهَا لِلضّرُورَةِ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ ؟

فَأَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ عَنْوَةً بَعْدَ الْقِتَالِ، وَكَانَتْ خَيْبَرُ مِمّا أَفَاءَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. خَمّسَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَسَمَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَنَزَلَ مَنْ نَزَلَ مِنْ أَهْلِهَا عَلَى الْجَلَاءِ بَعْدَ الْقِتَالِ.

فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: إنْ شِئْتُمْ دَفَعْت إلَيْكُمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ عَلَى أَنْ تُعْمِلُوهَا ، وَتَكُونَ ثِمَارُهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَأُقِرّكُمْ مَا أَقَرّكُمْ اللّهُ. فَقَبِلُوا ، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ يُعْمِلُونَهَا»[2].

عبد الله بن رواحة يخرصها (يقدر قيمتها):

قال ابن إسحاق:

٧٥٢- «فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَمَا حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، يَبْعَثُ إلَى أَهْلِ خَيْبَرَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ رَوَاحَةَ خَارِصًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَهُودَ فَيَخْرُصُ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا قَالُوا: تَعَدّيْت عَلَيْنَا، قَالَ إنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَنَا ، فَتَقُولُ يَهُودُ: بِهَذَا قَامَتْ السّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ . وَإِنّمَا خَرَصَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَامًا وَاحِدًا ، ثُمّ أُصِيبَ بِمُؤْتَةِ يَرْحَمُهُ اللّهُ. فَكَانَ جَبّارُ بْنُ صَخْرِ بْنِ أُمَيّةَ بْنِ خَنْسَاءَ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ هُوَ الّذِي يَخْرُصُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ»[3].

---

[1] زاد المعاد ٢٠٤/٢ والنسائي ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٩٥ تخريج ط دار التقوى

[2] سيرة ابن هشام ٢٨٦/٣ وأخرجه البخاري ٢٣٣٨/٥ ، مسلم، ومالك في الموطأ . عن دار الحديث.

[3] سيرة ابن هشام ٢٦٦/٣.

الموقف بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم):

٧٥٣- قال ابن شهاب « وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ ، فَيَقْسِمُ ثَمَرَهَا، وَيَعْدِلُ عَلَيْهِمْ فِي الْخَرْصِ.

فَلَمّا تَوَفّى اللهُ نَبِيّهُ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَقَرّهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْمُعَامَلَةِ الّتِي عَامَلَهُمْ عَلَيْهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى تُوُفّيَ. ثُمّ أَقَرّهَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَدْرًا مِنْ إمَارَتِهِ.

ثُمّ بَلَغَ عُمَرَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ فِي وَجَعِهِ الّذِي قَبَضَهُ اللّهُ فِيهِ "لَا يَجْتَمِعَنّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ"، فَفَحَصَ عُمَرُ ذَلِكَ حَتّى بَلَغَهُ الثّبْتُ.

فَأَرْسَلَ إلَى يَهُودَ فَقَالَ: إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ قَدْ أَذِنَ فِي جَلَائِكُمْ، قَدْ بَلَغَنِي أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ "لَا يَجْتَمِعَنّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ" فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْيَهُودِ فَلْيَأْتِنِي بِهِ أُنْفِذُهُ له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْيَهُودِ ، فَلْيَتَجَهّزْ لِلْجَلَاءِ، فَأَجْلَى عُمَرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمْ»[1].

تقسيم خيبر على أهل الحديبية:

قال ابن القيم:

٧٥٤- « وَإِنّمَا قُسِمَتْ عَلَى أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةِ سَهْمٍ، لِأَنّهَا كَانَتْ طُعْمَةً مِنْ اللّهِ لِأَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ مَنْ شَهِدَ مِنْهُمْ وَمَنْ غَابَ وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ لِكُلّ فَرَسٍ سَهْمَانِ، فَقُسِمَتْ عَلَى أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةِ سَهْمٍ. وَلَمْ يَغِبْ عَنْ خَيْبَرَ مِنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ إلّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فَقَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَسَهْمِ مَنْ حَضَرَهَا.

وَقَسَمَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةَ أَسْهُمٍ وَلِلرّاجِلِ سَهْمًا وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ وَفِيهِمْ مِائَتَا فَارِسٍ هَذَا هُوَ الصّحِيحُ الّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ »[2].

---

[1] سيرة ابن هشام ٢٦٨/٣.

[2] زاد المعاد ٢٠٦/٢

صُلح فَدَك:

قالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٧٥٥- « فَلَمّا سَمِعَ بِهِمْ أَهْلُ فَدَكَ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ، بَعَثُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسَيّرَهُمْ وَأَنّ يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ وَيُخَلّوا لَهُ الْأَمْوَالَ فَفَعَلَ.

وَكَانَ فِيمَنْ مَشَى بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُحَيّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ فَلَمّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - أَنْ يُعَامِلَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ عَلَى النّصْفِ، وَقَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْمَرُ لَهَا ؛ فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - عَلَى النّصْفِ، عَلَى أَنّا إذَا شِئْنَا أَنْ نُخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ. فَصَالَحَهُ أَهْلُ فَدَكَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَكَانَتْ خَيْبَرُ فَيْئًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ فَدَكُ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - لِأَنّهُمْ لَمْ يَجْلِبُوا عَلَيْهَا بِخَيْلِ وَلَا رِكَابٍ»[1].

ثمَ إنّ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، امْرَأَةُ سَلّامِ بْنِ مِشْكَمٍ ، شَاةً مَصْلِيّةً، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيّ عُضْوٍ مِنْ الشّاةِ أَحَبّ إلَى رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - ؟ فَقِيلَ لَهَا : الذّرَاعُ. فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنْ السّمّ ثم سَمّتْ سَائِرَ الشّاةِ ثُمّ جَاءَتْ بِهَا ؛ فَلَمّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - تَنَاوَلَ الذّرَاعَ فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةً فَلَمْ يُسِغْهَا، وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - . فَأَمّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا ؛ وَأَمّا رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَلَفَظَهَا ، ثُمّ قَالَ: "إنّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنّهُ مَسْمُومٌ"، ثُمّ دَعَا بِهَا، فَاعْتَرَفَتْ فَقَالَ مَا حَمَلَك عَلَى ذَلِكِ ؟ قَالَت: بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك ، فَقُلْت: إنْ كَانَ مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ نَبِيّا فَسَيُخْبَرُ، قَالَ فَتَجَاوَزَ عَنْهَا رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَمَاتَ بِشْرٌ مِنْ أَكْلَتِهِ الّتِي أَكَلَ»[2].

٧٥٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي مَرْوَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلّى قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - قَدْ قَالَ فِي مَرَضِهِ الّذِي تُوُفّيَ فِيهِ، وَدَخَلَتْ أُمّ بِشْرٍ بِنْتُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ تَعُودُهُ: يَا أُمّ بِشْرٍ إنّ هَذَا الْأَوَانَ وَجَدْتُ فِيهِ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ الْأَكْلَةِ الّتِي أَكَلْت مَعَ

---

[1] سيرة ابن هشام ٢٦٦/٣ دار الحديث

[2] سيرة ابن هشام ٢٥٤/٣ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨/٦ والحاكم في المستدرك ٢١٩/٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (دار الحديث).

أَخِيك بِخَيْبَرِ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَيَرَوْنَ أَنّ رَسُولَ اللهِ - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - مَاتَ شَهِيدًا ، مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ مِنْ النّبُوّةِ.

فتح وادي القُرَى:

٧٥٧- « ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ خَيْبَرَ إلَى وَادِي الْقُرَى وَكَانَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ الْيَهُودِ وَقَدْ انْضَافَ إلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ الْعَرَبِ.

فَلَمّا نَزَلُوا اسْتَقْبَلَهُمْ يَهُودُ بِالرّمْيِ وَهُمْ عَلَى غَيْرِ تَعْبِئَةٍ فَقُتِلَ مِدْعَمٌ عَبْدُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ النّاسُ هَنِيئًا لَهُ الْجَنّةُ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

"كَلّا وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّ الشّمْلَةَ الّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا"، فَلَمّا سَمِعَ بِذَلِكَ النّاسُ جَاءَ رَجُلٌ إلَى النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ".

فَعَبّأَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ وَصَفّهُمْ،

وَدَفَعَ لِوَاءَهُ إلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - وَرَايَةً إلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ - وَرَايَةً إلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ - وَرَايَةً إلَى عَبّادِ بْنِ بِشْرٍ.

ثُمّ دَعَاهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنّهُمْ إنْ أَسْلَمُوا أَحْرَزُوا أَمْوَالَهُمْ وَحَقَنُوا دِمَاءَهُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ، فَبَرَزَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَبَرَزَ إلَيْهِ الزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ فَقَتَلَهُ، ثُمّ بَرَزَ آخَرُ فَقَتَلَهُ، ثُمّ بَرَزَ آخَرُ فَبَرَزَ إلَيْهِ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ، حَتّى قَتَلَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا كُلّمَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ دَعَا مَنْ بَقِيَ إلَى الْإِسْلَامِ.

وَكَانَتْ الصّلَاةُ تَحْضُرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَيُصَلّي بِأَصْحَابِهِ ثُمّ يَعُودُ فَيَدْعُوهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ وَإِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتّى أَمْسَوْا، وَغَدَا عَلَيْهِمْ فَلَمْ تَرْتَفِعْ الشّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ حَتّى أَعْطَوْا مَا بِأَيْدِيهِمْ، وَفَتَحَهَا عَنْوَةً وَغَنّمَهُ اللهُ أَمْوَالَهُمْ وَأَصَابُوا أَثَاثًا وَمَتَاعًا كَثِيرًا.

وَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِوَادِي الْقُرَى أَرْبَعَةَ أَيّامٍ وَقَسَمَ مَا أَصَابَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَادِي الْقُرَى وَتَرَكَ الْأَرْضَ وَالنّخْلَ بِأَيْدِي الْيَهُودِ وَعَامَلَهُمْ عَلَيْهَا.

مُصَالَحَةُ يَهُودِ تَيْمَاءَ:

٧٥٨- فَلَمّا بَلَغَ يَهُودَ تَيْمَاءَ مَا وَاطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَهْلَ خَيْبَرَ وَفَدَكٍ وَوَادِي الْقُرَى، صَالَحُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَقَامُوا بِأَمْوَالِهِمْ، فَلَمّا كَانَ زَمَنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَخْرَجَ يَهُودَ خَيْبَرَ وَفَدَكٍ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَهْلَ تَيْمَاءَ وَادِي الْقُرَى لِأَنّهُمَا دَاخِلَتَانِ فِي أَرْضِ الشّامِ. وَيُرَى أَنّ مَا دُونَ وَادِي الْقُرَى إلَى الْمَدِينَةِ حِجَازٌ وَأَنّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الشّامِ»[1].

وقفة مع مِدْعَم ، والشملة التي أخذها:

لا يمر هذا الموقف هكذا ، فهذا المقتول:

- كان عبدًا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).
- وحضر المعركة.
- وجاءه سهم غَرِبْ (طائش) مثل الذي أصاب حارثة عند (بدر) ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حارثة في الفردوس الأعلى .
- وظن المسلمون أن (مِدْعَم) مثل (حارثة) فقالوا هنيئا له الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَلّا وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّ الشّمْلَةَ الّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا"».

هذا الحديث ينطبق على كل من يأخذ شيئا من أموال المسلمين لا يحق له، ومن يعتدي على (المال العام .بلغة العصر) ، ولو كان هذا العدوان في صورة (شراك نعل) ، في صورة أوراق للكتابة، أو قلم مخصص للعمل الحكومي فيستخدمه لنفسه.

فوا عجبا لمن سرقوا القطاع العام! ومن باعوا القطاع العام بعشر الثمن، ومن اشتروا القطاع بالرشوة والفساد بأبخس الأسعار، وعجبا لمن سرقوا مليارات البنوك، وعجبا، وعجبا، انظر كيف شدد الإسلام على حرمة المال العام، وأنه من أخذ منه شيئا اشتعل عليه نارًا يوم القيامة، وكيف استهان هؤلاء فخربوا البلاد ونهبوا أموالها..؟؟!!.

---

[1] زاد المعاد ٢١٩/٢ وسيرة ابن هشام ٢٥٥/٢ وقصة العبد مدعم عند البخاري.

قدوم جعفر، ومهاجري الحبشة، والأشعريين:

روى البخاري:

٧٥٩- «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ: أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ - إِمَّا قَالَ بِضْعٌ وَإِمَّا قَالَ فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي.

فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ.

وَكَانَ أُنَاسٌ مِنْ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ - سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ.

وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا. فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ وَذَلِكَ فِي اللَّهِ، وَفِي رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَايْمُ اللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْأَلُهُ وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَيْه.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فَمَا قُلْتِ لَهُ؟ قَالَتْ قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: "لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ".

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي»[١].

---

[١] رواه البخاري برقم ٣٩٠٥

وقال ابن القيم:

٧٦٠- « ولما قدم جَعْفَرٌ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَلَقّاهُ وَقَبّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ: وَاَللّهِ مَا أَدْرِي بِأَيّهِمَا أَفْرَحُ بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟»[1].

عيينه بن حصن الفزاري، وموقفه في خيبر:

قال ابن القيم:

٧٦١- « قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ : كَانَتْ بَنُو فَزَارَةَ مِمّنْ قَدِمَ عَلَى أَهْلِ خَيْبَر لِيُعِينُوهُمْ، فَرَاسَلَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَلّا يُعِينُوهُمْ وَأَنْ يَخْرُجُوا عَنْهُمْ وَلَكُمْ مِنْ خيبر كذا وَكَذَا فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَلَمّا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ أَتَاهُ مَنْ كَانَ ثَمّ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ فَقَالُوا: وَعْدَك الّذِي وَعَدْتنَا، فَقَالَ: لَكُمْ "ذُو الرّقَيْبَةِ" - جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ خَيْبَرَ - فَقَالُوا: إذًا نُقَاتِلُك. فَقَالَ مَوْعِدُكُمْ كَذَا فَلَمّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَرَجُوا هَارِبِينَ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيّ : قَالَ أَبُو شُيَيْمٍ الْمُزَنِيّ - وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ - لَمّا نَفَرْنَا إلَى أَهْلِنَا مَعَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْن ،رَجَعَ بِنَا عُيَيْنَةُ فَلَمّا كَانَ دُونَ خَيْبَرَ عَرّسْنَا مِنْ اللّيْلِ فَفَزِعْنَا. فَقَالَ عُيَيْنَةُ: أَبْشِرُوا إنّي أَرَى اللّيْلَةَ فِي النّوْمِ أَنّنِي أُعْطِيت "ذَا الرّقَيْبَةِ" - جَبَلًا بِخَيْبَرَ - قَدْ وَاَللّهِ أَخَذْتُ بِرَقَبَةِ مُحَمّدٍ.

فَلَمّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَدِمَ عُيَيْنَةُ فَوَجَدَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ أَعْطِنِي مَا غَنِمْتَ مِنْ حُلَفَائِي، فَإِنّي انْصَرَفْتُ عَنْكُ وَقَدْ فَرَغْنَا لَك. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: كَذَبْتَ وَلَكِنّ الصّيَاحَ الّذِي سَمِعْتَ نَفّرَكَ إلَى أَهْلِكَ". قَالَ: أَجِزنِي يَا مُحَمّدُ؟ قَالَ: "لَك ذُو الرّقَيْبَةِ . قَالَ: وَمَا ذُو الرّقَيْبَةِ؟ قَالَ: الْجَبَلُ الّذِي رَأَيْتَ فِي النّوْمِ أَنّك أَخَذْته، فانصرف عُيَيْنَةُ.

فَلَمّا رَجَعَ إلَى أَهْلِهِ جَاءَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ: إنّك تُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَاَللّهِ لَيَظْهَرَنّ مُحَمّدٌ عَلَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، يَهُودُ كَانُوا يُخْبِرُونَنَا بِهَذَا، أَشْهَدَ لَسَمِعْتُ أَبَا رَافِعٍ سَلّامَ بْنَ أَبِي الْحُقَيْقِ يَقُولُ: إنّا نَحْسُدُ مُحَمّدًا عَلَى النّبُوّةِ حَيْثُ خَرَجَتْ مِنْ بَنِي هَارُونَ، وَهُوَ نَبِيّ مُرْسَلٌ، وَيَهُودُ لَا تُطَاوِعُنِي عَلَى هَذَا، وَلَنَا مِنْهُ ذِبْحَانِ: وَاحِدٌ بِيَثْرِبَ وَآخَرُ بِخَيْبَرَ، قَالَ

[1] زاد المعاد ٢٠٨/٢ وأخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل.

الْحَارِثُ: قُلْت لِسَلّامٍ: يَمْلِكُ الْأَرْضَ جَمِيعًا؟ قَالَ: نَعَمْ وَالتّوْرَاةِ الّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى، وَمَا أُحِبّ أَنْ تَعْلَمَ يَهُودُ بِقَوْلِي فِيهِ»[1].

قتلى وشهداء:

ذكر ابن إسحاق شهداء المسلمين بالاسم .وعددهم ١٨ ، ونقل عن ابن شهاب الزهري زيادة. اثنين، وقيل عددهم ١٦ ، وقيل ٢٣.

أما قتلى اليهود فعددهم ثلاثة وتسعون قتيلًا (على ما ذكره المباركفوري).

العودة إلى المدينة:

بعد إتمام وقائع غزوة خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء ، وكثرة الحصون وطول ليالي الحصار وكثرة الغنائم.. آن للنبي صلى الله عليه وسلم ، أن يرجع إلى المدينة بأصحابه بعد استقرار الأمور.

لكن شدة الإجهاد سببت نومهم عن صلاة الفجر في بعض الطريق ولقد شاء الله ذلك ؛حتى يتعلم المسلمون أبوابًا من فقه الصلاة.

النوم عن صلاة الفجر:

روى مسلم في صحيحه:

٧٦٢- « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَارَ لَيْلَهُ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى عَرَّسَ وَقَالَ لِبِلَالٍ: اكْلَأْ لَنَا اللَّيْلَ، فَصَلَّى بِلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ.

فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا بِلَالٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمْ الشَّمْسُ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَهُمْ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيْ بِلَالُ!! فَقَالَ بِلَالٌ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

[1] زاد المعاد ٢٠٩/٢ ملاحظة: ننقل عن ابن القيم روايته عن موسى بن عقبة وعن الواقدي ولا ننقل عنهما مباشرة ، لأن اختيار ابن القيم للرواية يوحى بالثقة فيها.

بِنَفْسِكَ. قَالَ: اقْتَادُوا فَاقْتَادُوا رواحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِهِمْ الصُّبْحَ. فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ أَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»[1].

وقد بين الإمام ابن القيم اختلاف الرواة في زمن هذه القصة:

« وَقَدْ رُوِيَ أَنّ هَذِهِ الْقِصّةَ كَانَتْ فِي مَرْجِعِهِمْ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ، وَرُوِيَ أَنّهَا كَانَتْ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَقَدْ رَوَى قِصّةَ النّوْمِ عَنْ صَلَاةِ الصّبْحِ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَلَمْ يُوَقّتْ مُدّتَهَا وَلَا ذَكَرَ فِي أَيّ غَزْوَةٍ كَانَتْ، وَكَذَلِكَ رَوَاهَا أَبُو قَتَادَةَ كِلَاهُمَا فِي قِصّةٍ طَوِيلَةٍ مَحْفُوظَةٍ. وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنّ ذَلِكَ كَانَ بِطَرِيقِ مَكّةَ وَهَذَا مُرْسَلٌ.

وَقَدْ رَوَى شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدّادٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَلْقَمَةَ قَالَ سَمِعْت عَبْدَ اللّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ يَكْلَؤُنَا؟ فَقَالَ بِلَالٌ: أَنَا فَذَكَرَ الْقِصّةَ. لَكِنْ قَدْ اضْطَرَبَتْ الرّوَاةُ فِي هَذِهِ الْقِصّةِ..... وَرِوَايَةُ الزّهْرِيّ عَنْ سَعِيدٍ سَالِمَةٌ مِنْ ذَلِكَ وَبِاَللّهِ التّوْفِيقُ»[2].

أقول: يقصد رواية مسلم التي أوردناها، فهي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

رفع الصوت بالتكبير ،وحكمه:

روى البخاري:

٧٦٣- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

« لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ - أَوْ قَالَ لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

---

[1] صحيح مسلم ١٠٩٧ترقيم العالمية.

[2] زاد المعاد .

فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[1].

قال الحافظ في الفتح:

« قَوْله : (أَشْرَفَ النَّاس عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ) هَذَا السِّيَاق يُوهَم أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ وَهُمْ ذَاهِبُونَ إِلَى خَيْبَر ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ حَال رُجُوعهمْ ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى إِنَّمَا قَدِمَ بَعْد فَتْح خَيْبَر مَعَ جَعْفَر كَمَا سَيَأْتِي فِي الْبَاب مِنْ حَدِيثه وَاضِحًا ، وَعَلَى هَذَا فَفِي السِّيَاق حَذْفٌ تَقْدِيره : لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَر فَحَاصَرَهَا فَفَتَحهَا فَفَزِعَ فَرَجَعَ أَشْرَفَ النَّاس ... إِلَخْ»[2].

قَوْله : « (اِرْبَعُوا) بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَة أَيْ أُرْفُقُوا ، قَالَ الطَّبَرِيُّ : فِيهِ كَرَاهِيَة رَفْع الصَّوْت بِالدُّعَاءِ وَالذِّكْر، وَبِهِ قَالَ عَامَّة السَّلَف مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ اِنْتَهَى. وَتَصَرُّف الْبُخَارِيّ يَقْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ خَاصّ بِالتَّكْبِيرِ عِنْد الْقِتَال، وَأَمَّا رَفْع الصَّوْت فِي غَيْره فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَاب الصَّلَاة حَدِيث اِبْن عَبَّاس أَنَّ رَفْع الصَّوْت بِالذِّكْرِ كَانَ عَلَى الْعَهْد النَّبَوِيّ إِذَا اِنْصَرَفُوا مِنْ الْمَكْتُوبَة، وَتَقَدَّمَ الْبَحْث فِيهِ هُنَاكَ»[3].

قريش تفرح ،ثم تُصْدَمُ بخبر خيبر!

(الحَجَّاجُ بن عِلاط السَّلَمِيّ):

قال ابن القيم:

---

[1] صحيح البخاري ٣٨٨٣ ترقيم العالمية.

[2] فتح الباري شرح حديث ٣٨٨٣ ترقيم العالمية.

[3] فتح الباري شرح حديث ٢٧٧٠ ترقيم العالمية.

٧٦٥- « قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ وَغَيْرُهُ: وَكَانَ بَيْنَ قُرَيْشٍ حِينَ سَمِعُوا بِخُرُوجِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إِلَى خَيْبَرَ تَرَاهُنٌ عَظِيمٌ وَتَبَايُعٌ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ يَظْهَرُ مُحَمّدٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمِنْهُمْ يَقُولُ يَظْهَرُ الْحَلِيفَانِ وَيَهُودُ خَيْبَرُ.

وَكَانَ الْحَجّاجُ بْن عِلَاطٍ السّلَمِيّ قَدْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ فَتْحَ خَيْبَرَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ أُمّ شَيْبَةَ أُخْتُ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بْنِ قُصَيّ، وَكَانَ الْحَجّاجُ مُكْثِرًا مِنْ الْمَالِ، كَانَتْ لَهُ مَعَادِنُ بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ.

فَلَمّا ظَهَرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى خَيْبَرَ قَالَ الْحَجّاجُ بْنُ عِلَاطٍ: إنّ لِي ذَهَبًا عِنْدَ امْرَأَتِي وَإِنْ تَعْلَمْ هِيَ وَأَهْلُهَا بِإِسْلَامِي فَلَا مَالَ لِي فَأْذَنْ لِي فَلَأُسْرِعُ السّيْرَ وَأَسْبِقُ الْخَبَرَ وَلَأُخْبِرَنّ أَخْبَارًا إذَا قَدِمْت أَدْرَأُ بِهَا عَنْ مَالِي وَنَفْسِي، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَلَمّا قَدِمَ مَكّةَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَخْفِي عَلَيّ وَاجْمَعِي مَا كَانَ لِي عِنْدَك مِنْ مَالٍ فَإِنّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْ غَنَائِمِ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنّهُمْ قَدْ اُسْتُبِيحُوا وَأُصِيبَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَإِنّ مُحَمّدًا قَدْ أُسِرَ وَتَفَرّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنّ الْيَهُودَ قَدْ أَقْسَمُوا: لَتَبْعَثَنّ بِهِ إلَى مَكّةَ ثُمّ لَتَقْتُلَنّهُ بِقَتْلَاهُمْ بِالْمَدِينَةِ، وَفَشَا ذَلِكَ بِمَكّةَ وَاشْتَدّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَبَلَغَ مِنْهُمْ، وَأَظْهَرَ الْمُشْرِكُونَ الْفَرَحَ وَالسّرُورَ.

فَبَلَغَ الْعَبّاسَ عَمّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَجَلَةُ النّاسِ وَجَلَبَتُهُمْ وَإِظْهَارُهُمْ السّرُورَ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ وَيَخْرُجَ فَانْخَزَلَ ظَهْرُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْقِيَامِ، فَدَعَا ابْنًا لَهُ يُقَالُ لَهُ قُثَمُ، وَكَانَ يُشْبِهُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَجَعَلَ الْعَبّاسُ يَرْتَجِزُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ لِئَلّا يَشْمَتَ بِهِ أَعْدَاءُ اللّهِ:

حِبّي قُثَمْ حِبّي قُثَم   شَبِيهُ ذِي الْأَنْفِ الْأَشَم
نَبِيّ رَبّي ذِي النّعَم   بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ رَغَمْ

وحشر إلى باب دَارِهِ رِجَالٌ كَثِيرُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ الْمُظْهِرُ لِلْفَرَحِ وَالسّرُورِ وَمِنْهُمْ الشّامِتُ الْمُغْرِي وَمِنْهُمْ مَنْ بِهِ مِثْلُ الْمَوْتِ مِنْ الْحُزْنِ وَالْبَلَاءِ، فَلَمّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ رَجَزَ الْعَبّاسِ وَتَجَلّدَهُ طَابَتْ نَفُوسُهُمْ، وَظَنّ الْمُشْرِكُونَ أَنّهُ قَدْ أَتَاهُ مَا لَمْ يَأْتِهِمْ.

ثُمّ أَرْسَلَ الْعَبّاسُ غُلَامًا لَهُ إلَى الْحَجّاجِ وَقَالَ لَهُ: اُخْلُ بِهِ وَقُلْ لَهُ وَيْلَك مَا جِئْتَ بِهِ وَمَا تَقُولُ؟ فَالّذِي وَعَدَ اللّهُ خَيْرٌ مِمّا جِئْتَ بِهِ.

فَلَمّا كَلّمَهُ الْغُلَامُ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ السّلَامَ وَقُلْ لَهُ فَلْيَخْلُ بِي فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ حَتّى آتِيَهُ، فَإِنّ الْخَبَرَ عَلَى مَا يَسُرّهُ، فَلَمّا بَلَغَ الْعَبْدُ بَابَ الدّارِ قَالَ: أَبْشِرْ يَا أَبَا الْفَضْلِ فَوَثَبَ

الْعَبّاسُ فَرَحًا كَأَنّهُ لَمْ يُصِبْهُ بَلَاءٌ قَطّ، حَتّى جَاءَهُ وَقَبّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ الْحَجّاجِ فَأَعْتَقَهُ ثُمّ قَالَ أَخْبِرْنِي. قَالَ يَقُولُ لَك الْحَجّاجُ : أُخْلُ بِهِ فِي بَعْضِ بُيُوتِك حَتّى يَأْتِيَكَ ظُهْرًا.

فَلَمّا جَاءَهُ الْحَجّاجُ وَخَلَا بَهْ أَخَذَ عَلَيْهِ لَتَكْتُمَنّ خَبَرِي، فَوَافَقَهُ عَبّاسٌ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ الْحَجّاجُ: جِئْتُ وَقَدْ افْتَتَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَيْبَرَ وَغَنِمَ أَمْوَالَهُمْ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللّهِ، وَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ اصْطَفَى صَفِيّةَ بِنْتَ حُيَيّ لِنَفْسِهِ وَأَعْرَسَ بِهَا، وَلَكِنْ جِئْتُ لِمَالِي أَرَدْت أَنْ أَجْمَعَهُ وَأَذْهَبَ بِهْ، وَإِنّي اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَقُولَ فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ مَا شِئْت. فَأَخْفِ عَلَيّ ثَلَاثًا ثُمّ أُذْكُرْ مَا شِئْت.

قَالَ فَجَمَعَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ مَتَاعَهُ ثُمّ انْشَمَرَ رَاجِعًا فَلَمّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ، أَتَى الْعَبّاسُ امْرَأَةَ الْحَجّاجِ، فَقَالَ مَا فَعَلَ زَوْجُكِ ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ وَقَالَتْ: لَا يَحْزُنْك اللّهُ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ شَقّ عَلَيْنَا الّذِي بَلَغَك. فَقَالَ: أَجَلْ لَا يَحْزُنُنِي اللّهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِحَمْدِ اللّهِ إلّا مَا أُحِبّ فَتَحَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ خَيْبَرَ وَجَرَتْ فِيهَا سِهَامُ اللّهِ وَاصْطَفَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم صَفِيّةَ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ لَكِ فِي زَوْجِك حَاجَةٌ فَالْحَقِي بِهِ. قَالَتْ: أَظُنّك وَاَللّهِ صَادِقًا. قَالَ فَإِنّي وَاَللّهِ صَادِقٌ وَالْأَمْرُ عَلَى مَا أَقُولُ لَك. قَالَتْ: فَمَنْ أَخْبَرَك بِهَذَا؟ قَالَ الّذِي أَخْبَرَكِ بِمَا أَخْبَرَك.

ثُمّ ذَهَبَ حَتَى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيْشٍ، فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَذَا وَاَللّهِ التّجَلّدُ يَا أَبَا الْفَضْلِ وَلَا يُصِيبُك إلّا خَيْرٌ. قَالَ أَجَلْ لَمْ يُصِبْنِي إلّا خَيْرٌ وَالْحَمْدُ لِلّهِ أَخْبَرَنِي الْحَجّاجُ بِكَذَا وَكَذَا، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أَكْتُمَ عليه ثلاثا.

فَرَدّ اللّهُ مَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ كَآبَةٍ وَجَزَعٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَوَاضِعِهِمْ حَتّى دَخَلُوا عَلَى الْعَبّاسِ فَأَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ فَأَشْرَقَتْ وُجُوهُ الْمُسْلِمِينَ »[1].

كلمة ختام حول غزوة خيبر:

كانت الغزوة أمرًا لا مفر منه، فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤسس دولته في المدينة ويقيم بها شريعة الله، ويريد أن يبلغ الرسالة للعالمين، لكن اليهود في المدينة لم يتركوه يقيم الحق والعدل، ويبلغ الدعوة آمنًا، فغدروا غدرات فظيعة، قينقاع ،ثم

---

[1] زاد المعاد ٢/ ٢١٠ نقل ابن القيم عن موسى بن عقبة وكلاهما إمام ثقة محقق وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢٨/٣ – عن تخريج دار التقوي.

النضير، ثم مؤامرة الأحزاب الكبرى التي اشتركت فيها قريظة، وكانت أيادي يهود خيبر واضحة في كل ذلك، ولم يكن بد - أمام كل هذه المؤامرات ، من أن يتوجه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مركز التآمر في خيبر؛ للقضاء عليه.

لقد حاول الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود كثيرًا .. معاملة طيبة، ومعاهدات على العيش المشترك وعلى الدفاع المشترك.. لكن غلبتهم طبيعتهم وأنانيتهم وحقدهم على العرب أن تخرج النبوة إليهم ؛فكان ما كان؛ لينتهي الوجود اليهودي في جزيرة العرب.

الفصل السادس:

السرايا والغزوات، من خيبر إلى فتح مكة:

غزوة ذات الرقاع:

سبق وذكرنا أن ابن إسحاق وأهل السير يذكرونها في السنة الرابعة لكن بعد التحقيق وثبوت حضور أبي موسى الأشعري وأبي هريرة لهذه الغزوة ،فهذا يدل على أنها وقعت بعد خيبر ،في السنة السابعة.

قال البخاري:

« بَاب غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، وَهِيَ غَزْوَةُ مُحَارِبِ خَصَفَةَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطَفَانَ ، فَنَزَلَ نَخْلًا، وَهِيَ بَعْدَ خَيْبَرَ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى جَاءَ بَعْدَ خَيْبَرَ».

وروى البخاري:

٧٦٦- « عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ:

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، قَالَ: فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا فَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نُعَصِّبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنْ الْخِرَقِ».

قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ[١] - قَالَ أَبُو أُسَامَةَ: وَزَادَنِي غَيْرُ بُرَيْدٍ: وَاللَّهُ يُجْزِي بِهِ».

وفيها صلاة الخوف:

روىالبخاري:

٧٦٧- « عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِعَةِ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَوْفَ بِذِي قَرَدٍ.

---

[١] رواه البخاري برقم ٣٨١٦ ترقيم العالمية.

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ: حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ نَافِعٍ عَنْ أَبِي مُوسَى: أَنَّ جَابِرًا حَدَّثَهُمْ: "صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ يَوْمَ مُحَارِبٍ وَثَعْلَبَةَ".

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ كَيْسَانَ سَمِعْتُ جَابِرًا: "خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ، فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْ الْخَوْفِ»[١].

<u>الأعرابي الذي أخذ سيف رسول الله (صلى الله عليه وسلم):</u>

<u>روى البخاري:</u>

٧٦٨- «عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ.

قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ لِي مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: "اللَّهُ"، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفى رواية عَنْ جَابِرٍ – عند البخارى أيضًا – قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ. فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعٌ وَلِلْقَوْمِ رَكْعَتَانِ.

وعَنْ جَابِرٍ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَخْلٍ فَصَلَّى الْخَوْفَ

---

[١] **رواه البخاري برقم ٣٨١٥ ترقيم العالمية، وهنا نجد كنزًا نادرًا ، وهو رواية البخاري عن ابن إسحاق لأن المشهور عند علماء الحديث أنه ليس من رجال البخاري ، فهذا موضع يساوي عندي أمرًا هامًا، وذلك لما رأيت من جلال قدر ابن إسحاق ورواية الأئمة الحفاظ عنه مثل ابن القيم، وابن كثير، والبيهقي وابن حجر وغيرهم كثير، وبرغم هذا فهناك من يضعفه ولا يثق برواياته.**

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ صَلَاةَ الْخَوْفِ.. وَإِنَّمَا جَاءَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامَ خَيْبَرَ »[1].

أقول:

قصد البخاري بهذه الروايات ، أن الروايتين الأوليين عن جابر قال في إحداهما (قبل نجد) وفي الثانية (ذات الرقاع) وذكر حديث الأعرابي، وكذلك قول أبي هريرة في آخر الحديث صليت مع النبي (صلى الله عليه وسلم)غزوة نجد صلاة الخوف قال البخاري .وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) أيام خيبر، يبين البخاري بذلك أن غزوة نجد هي ذات الرقاع التي فيها صلاة الخوف وفيها حديث الأعرابي الذي أخذ السيف.

قيام الليل في ذات الرقاع:

تعالوا نشهد هذا النموذج الإيماني الرباني الفذ، للصحابي الذي:

- انتدب نفسه للحراسة مع صاحبه.
- واختار أوَّل الليل، وهو أصعب.
- ثم قام يصلي، وهو في هذه الحالة من الإجهاد والتعب، بعد أن تعبت الأقدام وتحرقت الأشداق وسقطت الأظفار.
- ثم تحمل السهم الأول والثاني، وكاد يسقط مغشيًا عليه في الثالث.

هؤلاء هم الرجال الذين استحقوا أن يكونوا (أصحاب خير البشر).

روى الإمام أحمد في مسنده ،وأبو داود في سننه:

٧٦٩- « عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لَا يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلًا ، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ، قَالَ: وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنْ الْوَادِي.

---

[1] **البخاري ٣٨٢٢ ترقيم العالمية.**

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ. فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا. ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا. ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ، فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ.

فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَلَا أَهْبَبْتَنِي قَالَ كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا»[1].

<u>وقد بين ابن القيم اسم الصحابيين قال:</u>

٧٧٠- وَفِي مَرْجِعِهِمْ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ سَبَوْا امْرَأَةً مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَنَذَرَ زَوْجُهَا أَلّا يَرْجِعَ حَتّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَجَاءَ لَيْلًا وَقَدْ أَرْصَدَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَجُلَيْنِ رَبِيئَةً لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ الْعَدُوّ <u>وَهُمَا عَبّادُ بْنُ بِشْرٍ وَعَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ</u> فَضَرَبَ عَبّادًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّي بِسَهْمٍ فَنَزَعَهُ وَلَمْ يُبْطِلْ صَلَاتَهُ حَتّى رَشَقَهُ بِثَلَاثَةِ أَسْهُمٍ، فَلَمْ يَنْصَرِفْ مِنْهَا حَتَى سَلّمَ فَأَيْقَظَ صَاحِبَهُ...الخ.

السرايا بعد ذات الرقاع:

نورد هنا عددًا من السرايا الصغيرة ذكرها ابن القيم ،وفي بعضها أحداث صغيرة ،لكنها ذات دلالات هامة (ننقلها عنه ببعض التصرف):

<u>سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة:</u>

٧٧١- وَمَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، فَوَقَعَ فِي سَهْمِهِ جَارِيَةٌ حَسْنَاءُ فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَفَادَى بِهَا أَسْرَى مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا بِمَكّةَ".

---

[1] مسند أحمد ١٤١٧٧ ترقيم العالمية، واللفظ له وأبو داود برقم ٧٠ ترقيم العالمية.

سرية عمر نحو هوازن:

٧٧٢- وَمِنْهَا : سَرِيّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا نَحْوَ هَوَازِنَ فَجَاءَهُمْ الْخَبَرُ فَهَرَبُوا، وَجَاءُوا مَحَالّهُمْ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا فَانْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ الدّلِيلُ: هَلْ لَك فِي جَمْعٍ مِنْ خَثْعَمَ جَاءُوا سَائِرِينَ وَقَدْ أَجْدَبَتْ بِلَادُهُمْ ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَمْ يَأْمُرْنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِهِمْ وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ.

دلالات:

هذا عمر رضي الله عنه لم يتعرض لقبيلة (مَّا) مشركة دون أمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولو كان الأمر كما توهم البعض أن دماء المشركين (كلها) مستباحة، لما تردد عمر بن الخطاب في قتالهم.. لكن الإسلام لا يحارب إلا من يبدأ بالعدوان.

سَرِيّةُ ابْنِ رَوَاحَةَ:

٧٧٣- « فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا فِيهِمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُنَيْسٍ إلَى يَسِيرِ بْنِ رِزَامَ الْيَهُودِيّ فَإِنّهُ بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ يَجْمَعُ غَطَفَانَ لِيَغْزُوَهُ بِهِمْ.

فَأَتَوْهُ بِخَيْبَرَ فَقَالُوا: أَرْسَلَنَا إلَيْك رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَسْتَعْمِلَك عَلَى خَيْبَرَ فَلَمْ يَزَالُوا - حَتّى تَبِعَهُمْ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مَعَ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَدِيفٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، .. فَلَمّا بَلَغُوا قَرْقَرَةَ نِيَارٍ - وَهِيَ مِنْ خَيْبَرَ عَلَى سِتّةِ أَمْيَالٍ - نَدِمَ يَسِيرُ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إلَى سَيْفِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فَفَطِنَ لَهُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُنَيْسٍ فَزَجَرَ بَعِيرَهُ ثُمّ اقْتَحَمَ عَنْ الْبَعِيرِ يَسُوقُ الْقَوْمَ حَتّى إذَا اسْتَمْكَنَ مِنْ يَسِيرَ ضَرَبَ رِجْلَهُ فَقَطَعَهَا وَاقْتَحَمَ يَسِيرُ وَفِي يَدِهِ مِخْرَشٌ مِنْ شَوْحَطٍ فَضَرَبَ بِهِ وَجْهَ عَبْدِ اللّهِ فَشَجّهُ مَأْمُومَةً فَانْكَفَأَ كُلّ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَدِيفِهِ فَقَتَلَهُ غَيْرَ رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ أَعْجَزَهُمْ شَدّا.

وَلَمْ يُصَبْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ وَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَبَصَقَ فِي شَجّةِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فَلَمْ تَقِحْ وَلَمْ تُؤْذِهِ حَتّى مَاتَ».

سَرِيّةُ بَشِيرِبْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيّ إلَى بَنِي مُرّةَ بِفَدَكٍ:

٧٧٤- « فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا، فَخَرَجَ إلَيْهِمْ فَلَقِيَ رِعَاءَ الشّاءِ فَاسْتَاقَ الشّاءَ وَالنّعَمَ وَرَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ، فَأَدْرَكَهُ الطّلَبُ عِنْدَ اللّيْلِ فَبَاتُوا يَرْمُونَهُمْ بِالنّبْلِ حَتّى فَنِيَ نَبْلُ بَشِيرٍ وَأَصْحَابِهِ، فَوَلّى مِنْهُمْ مَنْ وَلّى وَأُصِيبَ مِنْهُمْ مَنْ أُصِيبَ، وَقَاتَلَ بَشِيرٌ قِتَالًا شَدِيدًا وَرَجَعَ الْقَوْمُ بِنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ، وَتَحَامَلَ بَشِيرٌ حَتّى انْتَهَى إلَى فَدَكٍ فَأَقَامَ عِنْدَ يَهُودَ حَتّى بَرِئَتْ جِرَاحُهُ فَرَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ».

لا إله إلا الله (العاصمة للدماء):

سَرِيّةُ الْحُرَقَةِ (فيها أسامة بن زيد):

٧٧٥- ثُمّ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَرِيّةً إلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ وَفِيهِمْ أُسَامَةُ بْن زَيْدٍ، فَلَمّا دَنَا مِنْهُمْ بَعَثَ الْأَمِيرُ الطّلَائِعَ فَلَمّا رَجَعُوا بِخَبَرِهِمْ أَقْبَلَ حَتّى إذَا دَنَا مِنْهُمْ لَيْلًا وَقَدْ احْتَلَبُوا وَهَدَؤا، قَامَ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ قَالَ:

"أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ تُطِيعُونِي وَلَا تَعْصُونِي وَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي فَإِنّهُ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ".

ثُمّ رَتّبَهُمْ وَقَالَ: يَا فُلَانُ أَنْتَ وَفُلَانٌ، وَيَا فُلَانُ أَنْتَ وَفُلَانٌ، لَا يُفَارِقْ كُلّ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ وَزَمِيلَهُ، وَإِيّاكُمْ أَنْ يَرْجِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَأَقُولُ أَيْنَ صَاحِبُك؟ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي، فَإِذَا كَبّرْت فَكَبّرُوا وَجَرّدُوا السّيُوفَ. ثُمّ كَبّرُوا وَحَمَلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً وَأَحَاطُوا بِالْقَوْمِ، وَأَخَذَتْهُمْ سُيُوفُ اللّهِ فَهُمْ يَضَعُونَهَا مِنْهُمْ حَيْثُ شَاءُوا وَشِعَارُهُمْ "أَمِتْ أَمِتْ".

حدث هام:

وَخَرَجَ أُسَامَةُ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ (مِرْدَاسُ بْنُ نَهِيكَ) فَلَمّا دَنَا مِنْهُ وَلَحَمَهُ بِالسّيْفِ قَالَ: (لا إلَهَ إلّا اللّهُ)

فَقَتَلَهُ.

ثُمّ اسْتَاقُوا الشّاءَ وَالنّعَمَ وَالذّرّيّةَ.

وَكَانَتْ سُهْمَانُهُمْ عَشَرَةَ أَبْعِرَةٍ لِكُلّ رَجُلٍ أَوْ عِدْلَهَا مِنْ النّعَمِ.

فَلَمّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُخْبِرَ بِمَا صَنَعَ أُسَامَةُ، فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَقَالَ: (أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ ؟)

فَقَالَ: إنّمَا قَالَهَا مُتَعَوّذًا.

قَالَ:(فَهَلّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ)

ثُمّ قَالَ: (مَنْ لَكَ بِلَا إلَهَ إلّا اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؟ فَمَا زَالَ يُكَرّرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتّى تَمَنّى أَنْ يَكُونَ أَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ. وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُعْطِي اللّهَ عَهْدًا أَلّا أَقْتُلَ رَجُلًا يَقُولُ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "بَعْدِي"، فَقَالَ أُسَامَةُ: بَعْدَك.

دلالات وفقْه:

حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) يبين بما لا يدع مجالًا للجدل- أن من قال لا إله إلا الله ، فقد عصم دمه، ولا يجوز قتله بحال، والرجل في هذا الموقف لم يفعل سوى النطق بالكلمة - والغالب أنها خوف السيف، ولم يبين موقفه من الصلاة والزكاة وباقي أحكام الإسلام هل يقرها أو ينكرها ، وبرغم هذا فقد حرّم دمه.

يجب أن يفكر المسلم في هذا أولًا، ثم يترك أحكام الفقه للعلماء الراسخين، وللقضاة ليحكموا بأن فلانًا يستحق القتل (بسبب الردة، أو منع الزكاة، أو ترك الصلاة، أو الزنا بعد الإحصان) فالتشدّد في حرمة الدماء في تلك الأحوال هو واجب كل مسلم أولًا.

وإلا (من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة)، هذا درس خطير لشباب وجماعات ظهرت، تستخف بالدماء، حتى لو قال صاحبها لا إله إلا الله.

سَرِيّةُ غَالِبٍ الْكَلْبِيّ إلَى بَنِي الْمُلَوّحِ:

٧٧٦- وَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ غَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ الْكَلْبِيّ إلَى بَنِي الْمُلَوّحِ بِالْكَدِيدِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ .

روى ابْنُ إسْحَاقَ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ مَكِيثٍ الْجُهَنِيّ قَالَ: فَأَمْهَلْنَاهُمْ حَتّى إذَا رَاحَتْ رَوَائِحُهُمْ وَاحْتَلَبُوا وَسَكَنُوا وَذَهَبَتْ عَتَمَةُ اللّيْلِ، شَنَنّا عَلَيْهِمْ الْغَارَةَ فَقَتَلْنَا مَنْ قَتَلْنَا وَاسْتَقْنَا النّعَمَ، فَوَجّهْنَا قَافِلِينَ بِهِ، وَخَرَجَ صَرِيخُهُمْ إلَى قَوْمِهِمْ، وَخَرَجْنَا سِرَاعًا ، فَجَاءَنَا مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ، حَتّى إذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إلّا بَطْنُ الْوَادِي مِنْ قُدَيْدٍ أَرْسَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ مِنْ حَيْثُ شَاءَ سَيْلًا، لَا وَاَللّهِ مَا رَأَيْنَا قَبْلَ ذَلِكَ مَطَرًا، فَجَاءَ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ يَقْدُمُ عَلَيه فَأَعْجَزْنَا الْقَوْمَ بِمَا فِي أَيْدِينَا.

"اختصرنا كثيرا من الرواية"

سَرِيّةُ بَشِيرِبْنِ سَعْدٍ إلَى جَمْعِ يَمَنَ وَغَطَفَانَ وَحَيّانَ، وعيينة الفزاري:

٧٧٧- ثُمّ قَدِمَ حُسَيْلُ بْنُ نُوَيْرَةَ - وَكَانَ دَلِيلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى خَيْبَرَ - فَقَالَ لَهُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: " مَا وَرَاءَك ؟ " قَالَ: تَرَكْتُ جَمْعًا مِنْ يَمَنَ وَغَطَفَانَ وَحَيّانَ.

وَقَدْ بَعَثَ إلَيْهِمْ عُيَيْنَةُ: إمّا أَنْ تَسِيرُوا إلَيْنَا وَإِمّا أَنْ نَسِيرَ إلَيْكُمْ، فَأَرْسَلُوا إلَيْهِ: أَنْ سِرْ إلَيْنَا وَهُمْ يُرِيدُونَك أَوْ بَعْضَ أَطْرَافِك.

فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَذَكَرَ لَهُمَا ذَلِكَ، فَقَالَا جَمِيعًا: ابْعَثْ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ، فَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً وَبَعَثَ مَعَهُ ثَلَاثَمِائَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا اللّيْلَ وَيَكْمُنُوا النّهَارَ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ حُسَيْلٌ دَلِيلًا فَسَارُوا اللّيْلَ وَكَمَنُوا النّهَارَ.

حَتّى أَتَوْا أَسْفَلَ خَيْبَرَ حَتّى دَنَوْا مِنْ الْقَوْمِ فَأَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِمْ وَبَلَغَ الْخَبَرُ جَمْعَهُمْ فَتَفَرّقُوا.

فَخَرَجَ بَشِيرٌ فِي أَصْحَابِهِ حَتّى أَتَى مَحَالّهُمْ، فَيَجِدُهَا لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ، فَرَجَعَ بِالنَّعَمِ.

فَلَمّا كَانُوا بِسِلَاحٍ لَقُوا عَيْنًا لِعُيَيْنَةَ فَقَتَلُوهُ، ثُمّ لَقُوا جَمْعَ عُيَيْنَةَ، وَعُيَيْنَةُ لَا يَشْعُرُ بِهِمْ فَنَاوَشُوهُمْ. ثُمّ انْكَشَفَ جَمْعُ عُيَيْنَةَ وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ، فَقَدِمُوا بِهِمَا عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَسْلَمَا فَأَرْسَلَهُمَا.

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ لِعُيَيْنَةَ وَقَدْ لَقِيَهُ مُنْهَزِمًا تَعْدُو بِهِ فَرَسُهُ: "قِفْ". قَالَ: "لَا أَقْدِرُ، خَلْفِي الطّلَبُ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: أَمَا آنَ لَك أَنْ تُبْصِرَ بَعْضَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَأَنّ مُحَمّدًا قَدْ وَطِئَ الْبِلَادَ؟ وَأَنْتَ تُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ؟.

قَالَ الْحَارِثُ: فَأَقَمْتُ مِنْ حِينِ زَالَتْ الشّمْسُ إلَى اللّيْلِ وَمَا أَرَى أَحَدًا وَلَا طَلَبُوهُ إلّا الرُّعْبَ الّذِي دَخَلَهُ».

تعقيب:

هذا الرجل عيينة بن حصن، حاول مساعدة يهود خيبر؛حلفائه، ثم سمع صوتًا؛ فرجع إلى بلاده – هذا في غزوة خيبر.

ثم هو اليوم يجمع جموعًا، ولا يكتفي بما أعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أرض خيبر. فيفشل جمعه ولا يقدر على شيء ويصيبه الرعب،

لكن قدر الله غالب، فقد أبقاه الله عز وجل حتى أسلم بعد فتح مكة، لكن ظلت فيه أنفة وجفوة.

سَرِيّةُ ابْنِ أَبِي حَدْرَدِ الأسلمي:

٧٧٨- « وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيّ فِي سَرِيّةٍ وَكَانَ مِنْ قِصّتِهِ مَا ذَكَرَ ابْنُ إسْحَاقَ:

أَنّ رَجُلًا مِنْ جُشْمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ يُقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ أَوْ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ أَقْبَلَ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ حَتّى نَزَلُوا بِالْغَابَةِ يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ قَيْسًا عَلَى مُحَارَبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَكَانَ ذَا اسْمٍ وَشَرَفٍ فِي جُشْمٍ.

قَالَ: فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَجُلَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: اُخْرُجُوا إلَى هَذَا الرّجُلِ حَتّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ، فَقَدّمَ إلَيْنَا شَارِفًا عَجْفَاءَ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَحَدَنَا فَوَاَللّهِ مَا قَامَتْ بِهِ ضَعْفًا حَتّى دَعَّمَهَا الرّجَالُ مِنْ خَلْفِهَا بِأَيْدِيهِمْ حَتّى اسْتَقَلّتْ، وَمَا كَادَتْ. وَقَالَ: تَبْلُغُوا عَلَى هَذِهِ. فَخَرَجْنَا وَمَعَنَا سِلَاحُنَا مِنْ النّبْلِ وَالسّيُوفِ حَتّى إذَا جِئْنَا قَرِيبًا مِنْ الْحَاضِرِ مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ، فَكَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ وَأَمَرْتُ صَاحِبَيّ فَكَمَنّا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ، قُلْت لَهُمَا: إذَا سَمِعْتُمَانِي قَدْ كَبّرْت وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَكَبّرَا وَشِدّا مَعِي.

فَوَاَللّهِ إنّا كَذَلِكَ نَنْتَظِرُ أَنْ نَرَى غِرّةً أَوْ نَرَى شَيْئًا وَقَدْ غَشِيَنَا اللّيْلُ حَتّى ذَهَبَتْ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ رَاعٍ قَدْ سَرَحَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتّى تَخَوّفُوا عَلَيْهِ. فَقَامَ صَاحِبُهُمْ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ وَقَالَ وَاَللّهِ لَأَتْبَعَنّ أَثَرَ رَاعِينَا هَذَا، وَاَللّهِ لَقَدْ أَصَابَهُ شَرّ. فَقَالَ نَفَرٌ مِمّنْ مَعَهُ: وَاَللّهِ لَا تَذْهَبُ، نَحْنُ نَكْفِيك، فَقَالَ: وَاَللّهِ لَا يَذْهَبُ إلّا أَنَا. قَالُوا: فَنَحْنُ مَعَك، وَقَالَ: وَاَللّهِ لَا يَتْبَعُنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ.

وَخَرَجَ حَتّى يَمُرّ بِي فَلَمّا أَمْكَنَنِي نَفَحْته بِسَهْمٍ فَوَضَعْتُهُ فِي فُؤَادِهِ، فَوَاَللّهِ مَا تَكَلّمَ. فَوَثَبْتُ إلَيْهِ فَاحْتَزَزْتُ رَأْسَهُ، ثُمّ شَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ وَكَبّرْت. وَشَدّ صَاحِبَايَ فَكَبّرَا.

فَوَاَللّهِ مَا كَانَ إلّا النّجَاءُ مِمّنْ كَانَ فِيهِ عِنْدَك بِكُلّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَمَا خَفّ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

وَاسْتَقْنَا إبِلًا عَظِيمَةً وَغَنَمًا كَثِيرَةً فَجِئْنَا بِهَا إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَجِئْتُ بِرَأْسِهِ أَحْمِلُهُ مَعِي فَأَعْطَانِي مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا».

عجيبة:

من العجائب أن يتمكن ثلاثة من صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم)من إرعاب قبيلة كاملة وقتل رئيس فيها، والاستيلاء على غنائمها.

ودلالة:

ونؤكد ثانية وثالثة وعاشرة وألف....،أن سبب السرية هو ما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رفاعة بن قيس جمع الجموع ؛لحرب النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بادئًا بحرب.

إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا:

نزلت في قتل عامر الأشجعي في سرية إضم:

٧٧٩- « وَبَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى إِضَمٍ، وَكَانَ فِيهِمْ "أَبُو قَتَادَةَ ، وَمُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ" فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَمَرّ بِهِمْ "عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيّ" عَلَى قَعُودٍ لَهُ، مَعَهُ مُتَيّعٌ لَهُ، وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ، فَسَلّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكُوا عَنْهُ. وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلّمُ بْنُ جَثّامَةَ فَقَتَلَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيّعَهُ.

فَلَمّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَنَزَلَ فِيهِمْ الْقُرْآنُ {يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا فَعِنْدَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيّنُوا إِنّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النّسَاء : ٩٤].

فَلَمّا قَدِمُوا أُخْبِرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: (أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ آمَنْتُ بِاَللّهِ ؟).

وَلَمّا كَانَ عَامُ خَيْبَرَ جَاءَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ يَطْلُبُ بِدَمِ عَامِرِ بْنِ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيّ، وَهُوَ سَيّدُ قَيْسٍ، وَكَانَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَرُدّ عَنْ مُحَلّمٍ وَهُوَ سَيّدٌ خِنْدِفٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِقَوْمِ عَامِرٍ: "هَلْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا الْآنَ مِنّا خَمْسِينَ بَعِيرًا وَخَمْسِينَ إذَا رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ: وَاَللّهِ لَا أَدَعُهُ حَتّى أُذِيقَ نِسَاءَهُ مِنْ الْحُرْقَةِ مِثْلَ مَا أَذَاقَ نِسَائِي، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتّى رَضُوا بِالدّيَةِ.

فَجَاءُوا بِمُحَلِّمٍ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: "اللّهُمّ لَا تَغْفِرْ لِمُحَلِّمٍ"، وَقَالَهَا ثَلَاثًا. فَقَامَ وَإِنّهُ لَيَتَلَقّى دُمُوعَهُ بِطَرَفِ ثَوْبِه - قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَزَعَمَ قَوْمُهُ أَنّهُ اسْتَغْفَرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي سَالِمٌ أَبُو النّضْرِ قَالَ: لَمْ يَقْبَلُوا الدّيَةَ حَتّى قَامَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَخَلَا بِهِمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَيْسٍ سَأَلَكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَتِيلًا تَتْرُكُونَهُ لِيُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ النّاسِ فَمَنَعْتُمُوهُ إيّاهُ. أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَيَغْضَبَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِغَضَبِهِ، أَوْ يَلْعَنَكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَيَلْعَنَكُمْ اللهُ بِلَعْنَتِهِ، وَاَللهِ لَتُسْلِمُنّهُ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَوْ لَآتِيَنّ بِخَمْسِينَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كُلّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنّ الْقَتِيلَ مَا صَلّى قَطّ، فَلَأُطُلّنّ دَمَهُ. فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ أَخَذُوا الدّيَةَ»[1].

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

سَرِيّةُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ حُذَافَةَ السّهْمِيّ:

٧٨٠- «ثَبَتَ فِي " الصّحِيحَيْنِ " عن عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ عَلَى سَرِيّةٍ، بَعَثَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، قَالَ: فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقَدُوا، ثُمّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ وَقَالُوا : إنّمَا فَرَرْنَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ النّارِ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَطُفِئَتْ النّارُ، فَلَمّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إنّمَا الطّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"، وَهَذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ السّهْمِيّ".

قال ابن القيم:

فَإِنْ قِيلَ فَلَوْ دَخَلُوهَا دَخَلُوهَا طَاعَةً لِلّهِ وَرَسُولِهِ فِي ظَنّهِمْ فَكَانُوا مُتَأَوّلِينَ مُخْطِئِينَ فَكَيْفَ يُخَلّدُونَ فِيهَا؟ قِيلَ لَمّا كَانَ إلْقَاءُ نُفُوسِهِمْ فِي النّارِ مَعْصِيَةً يَكُونُونَ بِهَا قَاتِلِي أَنْفُسِهِمْ، فَهَمّوا بِالْمُبَادَرَةِ إلَيْهَا مِنْ غَيْرِ اجْتِهَادٍ مِنْهُمْ هَلْ هُوَ طَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ؟ كَانُوا مُقْدِمِينَ عَلَى مَا هُوَ مُحَرّمٌ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَسُوغُ طَاعَةُ وَلِيّ الْأَمْرِ فِيهِ، لِأَنّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، فَكَانَتْ

---

[1] زاد المعاد ٢/٢٢٥ مع االاختصار.

طَاعَةُ مَنْ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ النّارِ مَعْصِيَةً لِلّهِ وَرَسُولِهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الطّاعَةُ هِيَ سَبَبَ الْعُقُوبَةِ، لِأَنّهَا نَفْسُ الْمَعْصِيَةِ، فَلَوْ دَخَلُوهَا لَكَانُوا عُصَاةً لِلّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ كَانُوا مُطِيعِينَ لِوَلِيّ الْأَمْرِ فَلَمْ تَدْفَعْ طَاعَتُهُمْ لِوَلِيّ الْأَمْرِ مَعْصِيَتَهُمْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ، لِأَنّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ مُسْتَحِقّ لِلْوَعِيدِ، وَاَللّهُ قَدْ نَهَاهُمْ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ»[1].

---

[1] المصدر السابق مع الاختصار.

عمرة القضاء، أو القضية:

خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شهر ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون (سنة ست هـ) ، فخرج إلى العمرة حسب بنود صلح الحديبية:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٧٨١- « فَلَمّا رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ مِنْ خَيْبَرَ ، أَقَامَ بِهَا شَهْرَيْ رَبِيعٍ وَجُمَادَيَيْنِ وَرَجَبًا وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَشَوّالًا ، يَبْعَثُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ غَزْوِهِ وَسَرَايَاهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

ثُمّ خَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشّهْرِ الّذِي صَدّهُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ مُعْتَمِرًا عُمْرَةَ الْقَضَاءِ مَكَانَ عُمْرَتِهِ الّتِي صَدّوهُ عَنْهَا».

عمرة القصاص:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

« وَيُقَالُ لَهَا عُمْرَةُ الْقِصَاصِ، لِأَنّهُمْ صَدّوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ مِنْ سَنَةِ سِتّ، فَاقْتَصّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمْ فَدَخَلَ مَكّةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ الّذِي صَدّوهُ فِيهِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ.

وَبَلَغَنَا عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّهُ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللّهُ فِي ذَلِكَ {وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ}».

إشاعة ضعف المسلمين وكيف ردّ عليها النبي (صلى الله عليه وسلم):

روى مسلم في صحيحه:

٧٨٢- « عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمْ الْحُمَّى وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً، فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ. وَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ»[١].

---

[١] صحيح مسلم ٢٢٢٠ ترقيم العالمية، وكذا رواه البخاري وأبو داود والنسائي وأحمد.

زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم)بميمونة بنت الحارث:

قال ابن القيم (نقلًا عن موسى بن عقبة):

٧٨٣- « وَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ إلَى مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ الْعَامِرِيّةِ، فَخَطَبَهَا إلَيْهِ، فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إلَى الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَكَانَتْ أُخْتُهَا أُمّ الْفَضْلِ تَحْتَهُ، فَزَوّجَهَا الْعَبّاسُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ»[1].

بقاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) بمكة ثلاثًا:

قال ابن القيم:

٧٨٤- « وَتَغَيّبَ رِجَالٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَنْظُرُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَنَقًا وَغَيْظًا، فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَكّةَ ثَلَاثًا. فَلَمّا أَصْبَحَ مِنْ الْيَوْمِ الرّابِعِ أَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزّى وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ يَتَحَدّثُ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَصَاحَ حُوَيْطِبٌ: نُنَاشِدُك اللّهَ وَالْعَقْدَ لَمَا خَرَجْتَ مِنْ أَرْضِنَا فَقَدْ مَضَتْ الثّلَاثُ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : كَذَبْتَ لَا أُمّ لَك لَيْسَتْ بِأَرْضِكَ وَلَا أَرْضِ آبَائِك وَاَللّهِ لَا نَخْرُجُ. ثُمّ نَادَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حُوَيْطِبًا أَوْ سُهَيْلًا فَقَالَ: إنّي قَدْ نَكَحْتُ مِنْكُمْ امْرَأَةً، فَمَا يَضُرّكُمْ أَنْ أَمْكُثَ حَتّى أَدْخُلَ بِهَا وَنَضَعَ الطّعَامَ فَنَأْكُلُ وَتَأْكُلُونَ مَعَنَا فَقَالُوا: نُنَاشِدُك اللّهَ وَالْعَقْدَ إلّا خَرَجْتَ عَنّا.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبَا رَافِعٍ فَأَذّنَ بِالرّحِيلِ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى نَزَلَ بَطْنَ سَرِفَ، فَأَقَامَ بِهَا وَخَلّفَ أَبَا رَافِعٍ لِيَحْمِلَ مَيْمُونَةَ إلَيْهِ حِين يُمْسِي، فَأَقَامَ حَتّى قَدِمَتْ مَيْمُونَةُ وَمَنْ مَعَهَا وَقَدْ لَقُوا أَذًى وَعَنَاءً مِنْ سُفَهَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَصِبْيَانِهِمْ فَبَنَى بِهَا بِسَرِفَ[2]، ثُمّ أَدْلَجَ وَسَارَ حَتّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ. وَقَدّرَ اللّهُ أَنْ يَكُونَ قَبْرُ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ حَيْثُ بَنَى بِهَا»[3].

لم يتزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ميمونة وهو محرم:

قال ابن القيم:

---

[1] **زاد المعاد ٢/٢٢٦**

[2] **موضع قريب من مكة.**

[3] **زاد المعاد ٢/٢٢٧**

٧٨٥- « وَأَمّا قَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ: " إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَزَوّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ فَمِمّا أُسْتُدْرِكَ عَلَيْهِ، وَعُدّ مِنْ وَهْمِهِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ: وَوَهِمَ ابْنُ عَبّاسٍ وَإِنْ كَانَتْ خَالَتَهُ، مَا تَزَوّجَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا بَعْدَ مَا حَلّ - ذَكَرَهُ الْبُخَارِيّ. (زاد المعاد)

٧٨٦- وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمّ عَنْ مَيْمُونَةَ: (تَزَوّجَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَنَحْنُ حَلَالَانِ بِسَرِفَ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ . (زاد المعاد)

٧٨٧- وَقَالَ أَبُو رَافِعٍ: (تَزَوّجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ وَكُنْت الرّسُولَ بَيْنَهُمَا) صَحّ ذَلِكَ عَنْهُ. (زاد المعاد).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ: هَذَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ يَزْعُمُ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَكَحَ ميمونة وهو محرم، وإنما قدم رسول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَكّةَ وَكَانَ الْحِلّ وَالنّكَاحُ جَمِيعًا فَشُبّهَ ذَلِكَ عَلَى النّاسِ. (زاد المعاد)

وَقَدْ قِيلَ إنّهُ تَزَوّجَهَا قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ وَفِي هَذَا نَظَرٌ إلّا أَنْ يَكُونَ وَكّلَ فِي الْعَقْدِ عَلَيْهَا قَبْلَ إحْرَامِهِ وَأَظُنّ الشّافِعِيّ ذَكَرَ ذَلِكَ قَوْلًا.

فَالْأَقْوَالُ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنّهُ تَزَوّجَهَا بَعْدَ حِلّهِ مِنْ الْعُمْرَةِ وَهُوَ قَوْلُ مَيْمُونَةَ نَفْسِهَا وَقَوْلُ السّفِيرِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ أَبُو رَافِعٍ وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ وَجُمْهُورِ أَهْلِ النّقْلِ.

وَالثّانِي: أَنّهُ تَزَوّجَهَا وَهُوَ مُحْرِمٌ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ وَجَمَاعَةٍ.

وَالثّالِثُ: أَنّهُ تَزَوّجَهَا قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ .

وَقَدْ حُمِلَ قَوْلُ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّهُ تَزَوّجَهَا وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى أَنّهُ تَزَوّجَهَا فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ لَا فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، قَالُوا: وَيُقَالُ: (أَحْرَمَ الرّجُلُ) إذَا عَقَدَ الْإِحْرَامَ، وَ(أَحْرَمَ) إذَا دَخَلَ فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ وَإِنْ كَانَ حَلَالًا. بِدَلِيلِ قَوْلِ الشّاعِرِ:

قَتَلُوا ابْنَ عَفّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمًا وَرِعًا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَقْتُولَا

وَإِنّمَا قَتَلُوهُ فِي الْمَدِينَةِ حَلَالًا فِي الشّهْرِ الْحَرَامِ. (زاد المعاد).

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي " صَحِيحِهِ " مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ»[1]. (زاد المعاد).

<u>حضانة ابنة حمزة بن عبد المطلب:</u>

<u>قال ابن القيم:</u>

٧٨٨- « وَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرُوجَ مِنْ مَكَّةَ تَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمّ يَا عَمّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّك، فَحَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ. فَقَالَ عَلِيّ: أَنَا أَخَذْتهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالَتِهَا: وَقَالَ: الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمّ، وَقَالَ لِعَلِيّ أَنْتَ مِنّي وَأَنَا مِنْكَ، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَقَالَ لِزَيْدٍ أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا مُتّفَقٌ عَلَى صِحّتِهِ»[2].

<u>دلالات وعظات من عمرة القضاء:</u>

- سميت عمرة القضاء، وسميت عمرة القضية، أي أنها: العمرة التي كانت عليها القضية (التحاكم) في صلح الحديبية، واختلف الفقهاء، هل على المعتمر الذي أحصر (منع من الوصول إلى البيت الحرام)، هل عليه هَدْيٌ وقضاء؟، أم هَدْيٌ وليس عليه قضاء؟ (وهو الراجح) ، أم ليس عليه هَدْيٌ ولاقضاء؟.
- {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق}، وكان صلح الحديبية فتحًا حقيقيًا ، ومقدمة للفتح الأعظم في السنة الثامنة، وبشائر النصر ظهرت في كون قريش تخلي مكة ثلاثة أيام للمسلمين؛ للعمرة آمنين.
- على المؤمن أن يوقن بنصر الله، يتفضل به سبحانه على من يستحق من عباده.
- والمؤمن الذي رزق التوفيق، يرى نصر الله في مقدماته وبشائره قبل حدوث التمكين، أما المؤمن الآخر ، فهو يائس طالما لم ير الصفحة الأخيرة من النصر والتمكين.
- وفي عمرة القضاء يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يظهر القوة البدنية للمسلمين أثناء الطواف لتكون رسالة (نفسية) للمشركين حتى لا يفكروا في الغدر أو

---
[1] تحقيق ابن القيم في زاد المعاد ٢/ ٢٢٧

[2] زاد المعاد ٢/ ٢٢٨

العدوان، وهذا من معاني (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فالإرهاب هنا هو للحفاظ على العهد والصلح، وليس كما يصورون المسلمين اليوم (إرهابيين) أي: يقتلون النساء والأطفال والمدنيين.

- وبعد مضي ٣ أيام يأتي مندوب قريش إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب خروج المسلمين من مكة، فيستمهله الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يصنع وليمة الزواج، ويدعو قريشًا لحضور الوليمة .رغبة منه صلى الله عليه وسلم في توثيق روابط الصلح والمودة .مع المشركين .فلما أصر سهيل بن عمرو على طلبه .أجابه النبي صلى الله عليه وسلم، حفاظًا على بنود صلح الحديبية في أبسط شروطه - إنه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، أعظم من أوفى بالعهد.
-

إِسْلَامُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:

٧٨٩- « لَمّا انْصَرَفْنَا مَعَ الْأَحْزَابِ عَنْ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ ، كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي ، وَيَسْمَعُونَ مِنّي ، فَقُلْت لَهُمْ تَعْلَمُونَ وَاَللّهِ أَنّي أَرَى أَمْرَ مُحَمّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوّا مُنْكَرًا ، وَإِنّي قَدْ رَأَيْت أَمْرًا ، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ ؟ قَالُوا : وَمَاذَا رَأَيْت ؟ قَالَ رَأَيْت أَنْ نَلْحَقَ بِالنّجَاشِيّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنّا عِنْدَ النّجَاشِيّ ، فَإِنّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبّ إلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْت يَدَيْ مُحَمّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا ، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إلا خَيْرٌ قَالُوا: إنّ هَذَا الرّأْيُ.

وَكَانَ أَحَبّ مَا يُهْدَى إلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمَ[1] . فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمّ خَرَجْنَا حَتّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ.

فَوَاَللّهِ إنّا لَعِنْدَهُ إذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ بَعَثَهُ إلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ. قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ. قَالَ: فَقُلْت

[1] الجلود.

لأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النّجَاشِيّ وَسَأَلْته إيّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ فَإِذَا فَعَلْت ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّي قَدْ أَجْزَأْت عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمّدٍ.

قَالَ: فَدَخَلْت عَلَيْهِ فَسَجَدْت لَهُ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إلَيّ مِنْ بِلادِك شَيْئًا؟ قَالَ قُلْت: نَعَمْ أَيّهَا الْمَلِكُ قَدْ أَهْدَيْت إلَيْك أَدَمًا كَثِيرًا ؛ قَالَ ثُمّ قَرّبْته إلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ. ثُمّ قُلْت لَهُ: أَيّهَا الْمَلِكُ إنّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلا خَرَجَ مِنْ عِنْدِك، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ فَإِنّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا.

قَالَ: فَغَضِبَ ثُمّ مَدّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوْ انْشَقّتْ لِي الأَرْضُ لَدَخَلْت فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمّ قُلْت لَهُ: أَيّهَا الْمَلِكُ وَاَللّهِ لَوْ ظَنَنْت أَنّك تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ. قَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَك رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النّامُوسُ الْأَكْبَرُ الّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ؟ قَالَ قُلْت: أَيّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاك هُوَ؟ قَالَ: وَيْحَك يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتّبِعْهُ، فَإِنّهُ وَاَللّهِ لَعَلَى الْحَقّ، وَلَيَظْهَرَنّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ. قَالَ قُلْت: أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الإِسْلامِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلامِ، ثُمّ خَرَجْت إلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمّا كَانَ عَلَيْهِ وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إسْلامِي.

ثُمّ خَرَجْتُ عَامِدًا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكّةَ ، فَقُلْت : أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟

قَالَ: وَاَللّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ[1] وَإِنّ الرّجُلَ لَنَبِيّ، أَذْهَبُ وَاَللّهِ فَأُسْلِمَ فَحَتّى مَتَى؛ قَالَ: قُلْت: وَاَللّهِ مَا جِئْتُ إلا لأُسْلِمَ.،

قَالَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَتَقَدّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمّ دَنَوْتُ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي أُبَايِعُك عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلا أَذْكُرُ مَا تَأَخّرَ. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا عَمْرُو ، بَايِعْ فَإِنّ الإِسْلامَ يَجُبّ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنّ الْهِجْرَةَ تَجُبّ مَا كَانَ قَبْلَهَا. قَالَ فَبَايَعْتُهُ ، ثُمّ انْصَرَفْت»[2].

<u>تعقيب:</u>

---

[1] ظهر الحق ووضح الطريق وأصل المنسم خف البعير.

[2] سيرة ابن هشام ٣/٢٠٤-٢٠٥ وأحمد في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى، والحاكم في المستدرك وحسن الألباني إسناده في الإرواء.(عن دار الحديث).

- هذه قصة إسلام قائدين عظيمين من قواد الإسلام، وأثرهما في التاريخ الإسلامي أكثر من أن يحصى، فخالد بن الوليد هو فاقئ عين الردة، وقاهر دولتي الفرس والروم، وعمرو بن العاص هو فاتح القطر المحوري في الدولة الإسلامية .مصر.
- سوف نرى جهادهما بعد شهور قليلة من إسلامهما، فلقد ظهرت عبقرية خالد في معركة مؤتة (التالي ذكرها) ، وولَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمْرًا قيادة جيش إلى ذات السلاسل.

وأسلم معهما عثمان بن طلحة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٧٩٠- « وَحَدّثَنِي مَنْ لا أَتّهِمُ أَنّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، كَانَ مَعَهُمَا ، حِينَ أَسْلَمَا»[١].

[١] المصدر السابق (ابن هشام).

الفصل السابع:

معركة مؤتة:

(جمادى الأولى، سنة ثمان)

- من المعارك الكبرى المهمة.
- لا تسمى سرية لكبر حجمها، ولا تسمى غزوة؛ لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يخرج فيها، وإن كان البعض سماها غزوة لكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهدها معهم - بالوحي - وهو في المدينة.
- وهي اللقاء الأول بين المسلمين ودولة الروم أولى القوتين الكبريين في ذلك الزمان.
- ولم يكن المتوقع أن يلتقي الجيش الإسلامي بجيش الروم الكثيف ،وإنما كان التخطيط لمواجهة بعض القبائل الموالية للروم لكن الله قدر ذلك.
- وهي المعركة التي أظهرت العبقرية الحربية لسيدنا خالد بن الوليد ووضعته في موضعه اللائق به. قائدًا للجيش الإسلامي.

سببها:

هو أن شرحبيل بن عمرو الغساني قتل سفيرًا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال ابن القيم:

٩٠٨- « وَكَانَ سَبَبُهَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيّ أَحَدَ بَنِي لِهْبٍ بِكِتَابِهِ إلَى الشّامِ، إلَى مَلِكِ الرّومِ أَوْ بُصْرَى، فَعَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا، ثُمّ قَدّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ - وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَسُولٌ غَيْرُهُ.

فَاشْتَدّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، فَبَعَثَ الْبُعُوثَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَقَالَ: إنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ. فَتَجَهّزَ النّاسُ وَهُمْ ثَلاثَةُ آلافٍ»[1].

جيش الأمراء :

---

[1] زاد المعاد ٢/٢٣٢

هكذا ورد أسمها في حديث أبي قتادة عند أحمد:

٧٩١- « حَدَّثَنَا أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ»[١].

وتوقع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)مقتلهم:

روى البخاري:

٧٩٢- « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»[٢].

وداع الجيش وحماس ابن رواحة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٧٩٣- فَلَمّا حَضَرَ خُرُوجُهُمْ وَدّعَ النّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَلّمُوا عَلَيْهِمْ، فَبَكَى عَبْدُ اللّه بْنُ رَوَاحَةَ فَقَالُوا : مَا يُبْكِيك ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاَللّهِ مَا بِي حُبّ الدّنْيَا وَلا صَبَابَةٌ بِكُمْ، وَلَكِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللّهِ يَذْكُرُ فِيهَا النّار {وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبّكَ حَتْمًا مَقْضِيّا} [مَرْيَمَ : ٧١] فَلَسْت أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصّدَرِ بَعْدَ الْوُرُودِ؟ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ صَحِبَكُمْ اللّهُ بِالسّلامَةِ وَدَفَعَ عَنْكُمْ وَرَدّكُمْ إلَيْنَا صَالِحِينَ. فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

لَكِنّنِي أَسْأَلُ الرّحْمَنَ مَغْفِـــرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزّبَدَا[٣]

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرّانَ[٤] مُجْهِزَةً[٥] ... بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الأَحْشَاءَ وَالْكَبِـدَا

حَتّى يُقَالَ إذَا مَرّوا عَلَى جَدَثِي[٦] ... يَا أَرْشَدَ اللّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

---

[١] مسند أحمد ٢١٥٩ ترقيم العالمية .

[٢] البخاري ٣٩٢٨ ترقيم العالمية.

[٣] الزبد: رغوة الدم (و تطلق على الرغوة التي تخرج من الفم عند الموت).

[٤] حرَّان : ممتلئ غيظًا .

[٥] مُجْهِزَةً: سريعة القتل.

[٦] الجَدَث : القبر.

أخبار جيش الروم، والتفكر في الأمر:

٩١٢- « ثُمّ مَضَوْا حتَّى نَزَلوا مَعَانٍ مِنْ أَرْضِ الشّامِ ، فَبَلَغَ النّاسَ أَنّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مَآبَ، مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ ، فِي مِئَةِ أَلْفٍ مِنْ الرّومِ ، وَانْضَمّ إلَيْهِمْ مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامٍ وَالْقَيْنِ وَبَهْرَاءَ وَبَلِيٍّ مِئَةُ أَلْفٍ مِنْهُمْ. عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيّ ثُمّ أَحَدُ إرَاشَةَ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ.

فَلَمّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ يُفَكّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ وَقَالُوا: نَكْتُبُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوّنَا، فَإِمّا أَنْ يُمِدّنَا بِالرّجَالِ وَإِمّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِيَ لَهُ.

قَالَ: فَشَجّعَ النّاسَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَقَالَ: يَا قَوْمِ وَاَللّهِ إنّ الّتِي تَكْرَهُونَ لَلّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ: الشّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النّاسَ بِعَدَدٍ وَلا قُوّةٍ وَلا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إلا بِهَذَا الدّينِ الّذِي أَكْرَمَنَا اللّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنّمَا هِيَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إمّا ظُهُورٌ وَإِمّا شَهَادَةٌ.

قَالَ فَقَالَ النّاسُ: قَدْ وَاَللّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ . فَمَضَى النّاسُ »[١]

تعقيب:

- لو كان لنا أن نتدبر اليوم لنستخلص الدرس، لقلنا إن الرأي الأول هو الأقرب إلى المصلحة والحكمة، وإن إرسال مندوب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ ليتخذ معهم القرار إما بالمضي قدمًا، أو الانتظار حتى يمدهم بالرجال فذلك عين الصواب.
- أما الرغبة في الشهادة والإقدام إلى ساحة الوغى، فهي أمور مطلوبة على كل حال لكنها تناسب قرارًا يتخذه الفرد لنفسه، أما ما يخص الأمور العامة للمسلمين فيحتاج لصبر وأناة، وكان هذا اختيار سيدنا خالد بن الوليد – في النهاية - وهو العبقرية العسكرية الفذة.

أحداث المعركة الرهيبة غير المتكافئة:

قال ابن القيم:

٧٩٤- « حَتّى إذَا كَانُوا بِتُخُومِ الْبَلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ الْجُمُوعُ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا "مشارِف" فَدَنَا الْعَدُوّ. وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إلَى مُؤْتَةَ، فَالْتَقَى النّاسُ عِنْدَهَا.

[١] سيرة ابن هشام ٢٨٩/٤ ط دار الحديث.

فَتَعَبّى الْمُسْلِمُونَ ثُمّ اقْتَتَلُوا وَالرّايَةُ فِي يَدِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ بِهَا حَتّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ وَخَرّ صَرِيعًا.

وَأَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا حَتّى إذَا أَرْهَقَهُ الْقِتَالُ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهَا، ثُمّ قَاتَلَ حَتّى قُتِلَ، فَكَانَ جَعْفَرٌ أَوّلَ مَنْ عَقَرَ فَرَسَهُ فِي الإِسْلامِ عِنْدَ الْقِتَالِ، فَقُطِعَتْ يَمِينُهُ فَأَخَذَ الرّايَةَ بِيَسَارِهِ، فَقُطِعَتْ يَسَارُهُ فَاحْتَضَنَ الرّايَةَ حَتّى قُتِلَ وَلَهُ ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ سَنَةً.

ثُمّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَتَقَدّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدّدُ بَعْضَ التّرَدّدِ ثُمّ نَزَلَ. فَأَتَاهُ ابْنُ عَمّ لَهُ بِعَرْقٍ مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ: شُدّ بِهَا صُلْبَك فَإِنّك قَدْ لَقِيت فِي أَيّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيت. فَأَخَذَهَا مِنْ يَدِهِ فَانْتَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النّاسِ فَقَالَ: وَأَنْتَ فِي الدّنْيَا؟ ثُمّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ وَتَقَدّمَ فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ»[1].

<u>وعند ابن إسحاق:</u>

٧٩٥- « فَلَمّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرّايَةَ ثُمّ تَقَدّمَ بِهَا ، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدّدُ بَعْضَ التّرَدّدِ ثُمّ قَالَ:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنّهْ ... لَتَنْزِلِنّ أَوْ لَتُكْرَهِنّهْ

إنْ أَجْلَبَ النّاسُ وَشَدّوا الرّنّهْ ... مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنّهْ

قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنّهْ ... هَلْ أَنْتِ إلا نُطْفَةٌ فِي شَنّهْ

وَقَالَ أَيْضًا :

يَا نَفْسُ إلا تُقْتَلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَتِ

وَمَا تَمَنّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيت ... إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

يعنى زَيْدًا وَجَعْفَرًا ؛ ثُمّ نَزَلَ، فَلَمّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمّ لَهُ بِعَرْقٍ مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ شُدّ بِهَذَا صُلْبَك، فَإِنّك قَدْ لَقِيت فِي أَيّامِك هَذِهِ مَا لَقِيت ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمّ انْتَهَسَ مِنْهُ نَهْسَةً ثُمّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ فِي نَاحِيَةِ النّاسِ، فَقَالَ: وَأَنْتَ فِي الدّنْيَا؟ ثُمّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدّمَ فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ»[2].

---

(١) زاد المعاد ٢/٢٣٢

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٢٩٣

القيادة إلى خالد:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٧٩٦- « تَمّ أَخَذَ الرّايَةَ ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ أَخُو بَنِي الْعَجْلانِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. فَاصْطَلَحَ النّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ. فَلَمّا أَخَذَ الرّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ، وَحَاشَى بِهِمْ ثُمّ انْحَازَ وَانْحِيزَ عَنْهُ حَتّى انْصَرَفَ بِالنّاسِ»[١].

وعند البخاري شدة القتال يرويها خالد:

٧٩٧- « عن خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قال: لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إلا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ»[٢].

هل كان هناك قتال ،فيه هزيمة للمشركين؟:

حقق ذلك الإمام ابن حجر في شرح قول النبي(صلى الله عليه وسلم):"حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم".

« وَاخْتَلَفَ أَهْلُ النَّقْلِ فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ : "حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ" هَلْ كَانَ هُنَاكَ قِتَالٌ فِيهِ هَزِيمَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ؟ أَوْ الْمُرَاد بِالْفَتْحِ اِنْحِيَازُهُ بِالْمُسْلِمِينَ حَتَّى رَجَعُوا سَالِمِينَ؟ فَفِي رِوَايَةِ اِبْنِ إِسْحَاق عَنْ عُرْوَة:

"فَحَاشَ خَالِدٌ النَّاسَ وَدَافَعَ وَانْحَازَ وَانْحِيزَ عَنْهُ ، ثُمَّ اِنْصَرَفَ بِالنَّاسِ "وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ بَلاغِ سَعِيدِ بْن أَبِي هِلالٍ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ.

وَذَكَرَ اِبْنُ سَعْدى عَنْ أَبِي عَامِر "أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اِنْهَزَمُوا لَمَّا قُتِلَ عَبْد اللَّه بْن رَوَاحَة حَتَّى لَمْ أَرَ اِثْنَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ اِجْتَمَعُوا عَلَى خَالِد".

وَعِنْد الْوَاقِدِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد اللَّه بْن الْحَارِث بْن فُضَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "لَمَّا أَصْبَحَ خَالِد بْن الْوَلِيد جَعَلَ مُقَدِّمَتَهُ سَاقَةً، وَمَيْمَنَتَهُ مَيْسَرَةً، فَأَنْكَرَ الْعَدُوُّ حَالَهُمْ وَقَالُوا : جَاءَهُمْ مَدَدٌ، فَرَعَبُوا وَانْكَشَفُوا مُنْهَزِمِينَ".

---

[١] سيرة ابن هشام ٤/٢٩٣

[٢] البخاري٣٩٣٢ ترقيم العالمية.

وَعِنْدَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرُ قَالَ: "أُصِيب بِمُوتَةَ نَاسٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَغَنَم الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ أَمْتِعَةِ الْمُشْرِكِينَ".

وَفِي مَغَازِي أَبِي الأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ: "فَحَمَلَ خَالِد عَلَى الرُّومِ فَهَزَمُوهُمْ" وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الثَّانِي. أَوْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنْ يَكُونُوا هَزَمُوا جَانِبًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَخَشِيَ خَالِد أَنْ يَتَكَاثَرَ الْكُفَّارُ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ مِائَة أَلْفٍ، فَانْحَازَ بِهِمْ حَتَّى رَجَعَ بِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَهَذَا السَّنَدُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا مِنْ جِهَةِ الانْقِطَاعِ، وَالآخَر مِنْ جِهَةِ اِبْنِ لَهِيعَةَ الرَّاوِي عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ ، وَكَذَلِكَ الْوَاقِدِيّ، فَقَدْ وَقَعَ فِي الْمَغَازِي لِمُوسَى بْن عُقْبَةَ - وَهِيَ أَصَحُّ الْمَغَازِي كَمَا تَقَدَّمَ - مَا نَصَّهُ:

"ثُمَّ أَخَذَهُ - يَعْنِي اللِّوَاءَ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقُتِلَ، ثُمَّ اِصْطَلَحَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خَالِد بْن الْوَلِيد فَهَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ وَأَظْهَرَ الْمُسْلِمِينَ".

قَالَ الْعِمَاد بْن كَثِير: يُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ خَالِدًا لَمَّا انحازَ بِالْمُسْلِمِينَ وَبَاتَ ، ثُمَّ أَصْبَحَ وَقَدْ غَيَّرَ هَيْئَةَ الْعَسْكَرِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَتَوَهَّمَ الْعَدُوُّ أَنَّهُمْ قَدْ جَاءَ لَهُمْ مَدَدٌ، حَمَلَ عَلَيْهِمْ خَالِد حِينَئِذٍ فَوَلَّوْا فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ، وَرَأَى الرُّجُوعَ بِالْمُسْلِمِينَ هِيَ الْغَنِيمَةُ الْكُبْرَى.

قال ابن حجر: ثُمَّ وَجَدْت فِي "مَغَازِي اِبْن عَائِذ" بِسَنَدٍ مُنْقَطِعٍ أَنَّ خَالِدًا لَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ قَاتَلَهُمْ قِتَالا شَدِيدًا حَتَّى اِنْحَازَ الْفَرِيقَانِ عَنْ غَيْرِ هَزِيمَةٍ، وَقَفَلَ الْمُسْلِمُونَ»[1].

توضيح:

- ظني أن في كلام ابن حجر شيئًا معكوسًا: فقوله (ثم انصرف بالناس فهذا يدل على الأول). أظن أنه يدل على الثاني وهو قوله (أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا سالمين). وكذا الروايات التي تثبت هزيمة المشركين فقال: وهذا يدل على الثاني .فهو في الحقيقة يدل على الأول وهو قوله : هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين.

والخلاصة: هي رأي ابن كثير: بِأَنَّ خَالِدًا لَمَّا انحازَ بِالْمُسْلِمِينَ وَبَاتَ ، ثُمَّ أَصْبَحَ وَقَدْ غَيَّرَ هَيْئَةَ الْعَسْكَرِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَتَوَهَّمَ الْعَدُوُّ أَنَّهُمْ قَدْ جَاءَ لَهُمْ مَدَدٌ ، حَمَلَ عَلَيْهِمْ خَالِد حِينَئِذٍ فَوَلَّوْا فَلَمْ يَتَّبِعْهُمْ ، وَرَأَى الرُّجُوعَ بِالْمُسْلِمِينَ هِيَ الْغَنِيمَةُ الْكُبْرَى.

الوحي أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالغزوة ؛ فذكرها لأصحابه:

[1] فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ٣٩٢٩.

٧٩٨- « عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ. فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»[1].

وروى الإمام أحمد عن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال:

٧٩٩- « بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ، فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا، قَالَ: امْضُوا فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ.

قَالَ فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

نَابَ خَيْرٌ أَوْ ثَابَ خَيْرٌ - شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ»[2].

وروابن إسحاق رواية، فيها تردد ابن رواحة:

٨٠٠- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَلَمّا أُصِيبَ الْقَوْمُ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيمَا بَلَغَنِي: أَخَذَ الرّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ شَهِيدًا ، ثُمّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ شَهِيدًا، قَالَ ثُمّ صَمَتَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى تَغَيّرَتْ وُجُوهُ الْأَنْصَارِ ، وَظَنّوا أَنّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَ ثُمّ قَالَ ثُمّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ شَهِيدًا ، ثُمّ قَالَ لَقَدْ رُفِعُوا إلَيّ فِي الْجَنّةِ ، فِيمَا يَرَى النّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَرَأَيْت

(١) البخاري ٣٩٢٩ ترقيم العالمية.

(٢) مسند أحمد ٢١٥٠٩ العالمية، ورواته ثقات غير خالد بن سمير وهو صدوق يَهِمُ قليلا.

فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَارًا عَنْ سَرِيرَيْ صَاحِبَيْهِ، فَقُلْت : عَمّ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مَضَيَا وَتَرَدّدَ عَبْدُ اللّهِ بَعْضَ التّرَدّدِ ثُمّ مَضَى»[1].

عظة :

هذا الشهيد القائد عبد الله بن رواحة تردد بعض التردد؛ فصار موضعه في الجنة أقل من صاحبيه .واشتد هذا الأمر على قومه الأنصار.

هل يعي المسلمون ذلك ويدركونه، أم إن الناس انغمسوا في لذائذ الدنيا- بل وهمومها، حتى ما يتذكرون ولا يحدثون أنفسهم بالجهاد والغزو - اللهم سلّم.

الرجوع إلى المدينة:

٨٠١- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ:

لَمّا دَنَوْا مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ تَلَقّاهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُسْلِمُونَ. قَالَ: وَلَقِيَهُمْ الصّبْيَانُ يَشْتَدّونَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابّةٍ، فَقَالَ: خُذُوا الصّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ ، وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ. فَأُتِيَ بِعَبْدِ اللّهِ فَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. قَالَ وَجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ عَلَى الْجَيْشِ التّرَابَ وَيَقُولُونَ: يَا فُرّارُ فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ. قَالَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَيْسُوا بِالْفُرّارِ وَلَكِنّهُمْ الْكُرّارُ إنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى»[2].

دلالات وعظات من غزوة مؤتة:

**الاختلاف في الرأي ،في القرارات السياسية والعسكرية:

هذا درس هام وبليغ في اختلاف وجهات النظر في قرارات مصيرية بالنسبة للجيش (وفيه أكثر القوة المقاتلة للمسلمين).

- فهناك من رأى الانتظار وعدم الدخول في حرب غير متكافئة وانتظار قرار النبي (صلى الله عليه وسلم)،ويحتمل أن يكون معه المدد.
- وهناك من رأى أن الشهادة هي ما يحرص عليه المقاتل ولا داعي (لكراهية الحرب): "إن التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون : الشهادة.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢٩٤/٤ وذكره الهيثمي في المجمع ١٦٠/٦ وقال رواه الطبراني ورواته ثقات.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٩٥/٤ والبيهقي في الدلائل وابن كثير في البداية والنهاية (عن دار الحديث).

- وهناك قرار القائد خالد بن الوليد -رضي الله عنه- بالانسحاب لإنقاذ الجيش من هلاك محقق.
- ولم يثبت لنا ترجيح النبي (صلى الله عليه وسلم) لأي الأفعال، غير أنه لم يقبل وصف المنسحبين (بالفُرَّار من سبيل الله).
- وهذا يثبت لنا:

١) أن القرارات السياسية والعسكرية تحتاج إلى حرية حركة في الكر والفر .

٢) وأن الحَكَم في ذلك هو ما يحقق المصلحة.

٣) وأن المصلحة نفسها قد تختلف فيها وجهات النظر، فإن البشر لم يُخلَقُوا على فهم واحد وقرارات متساوية.

٤) وأن الجميع تعايشوا معًا؛ لثقة في أن كلًا منهم غير متهم في حرصه على مصلحة المسلمين، ولم ينكر بعضهم على بعض، ولم يختلفوا اختلافًا يؤدي إلى الشقاق أو الخصام.. وهذا درس خطير يحتاجه المسلمون في كل العصور.

ومن الدلالات أيضًا:

- ما يتميز به المسلمون في الصدر الأول من الثقة بالله والعمل على نصرة دينه، مهما كانت المواجهات والتضحيات ، إنه جيش صغير خرج لملاقاة بعض القبائل، فإذا به يواجه بجيش عرمرم لدولة قيصرية رهيبة هي دولة الروم، وهذا الجيش الرومي هو- للعلم- عشرون ضعف جيش الأحزاب الذي حاصر المدينة المنورة.
- إقدام القادة الثلاثة ليكونوا من أوائل الشهداء في المعركة – حتى إن جعفر رضي الله عنه تقطع يمينه ثم شماله فيحمل اللواء بعضديه!هذا أداء مبهر جعل الجيش يصمد في مواجهة تلك الجحافل الرومية والعربية معًا.
- عبقرية خالد بن الوليد رضي الله عنه في تبديل مواقع الجيش وإيهام العدو بوصول المدد - كل ذلك حتى يتمكن من انسحاب آمن.. فكرة إبداعية من أفكاره العسكرية التي لم يسبقه إليها أحد. هذا بالإضافة إلى تقييمه الصحيح لحقيقة الوضع وضرورة الانسحاب بالجيش، وبرغم هذا فهو البطل الذي اندقت في يده تسعة أسياف يوم مؤته.

- معجزات النبوة التي تلازم حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)طول السيرة النبوية جعلها الله عز وجل تأييدًا لنبيه (صلى الله عليه وسلم)وإثباتًا لحقيقة الرسالة.

سرية ذات السلاسل:

(جمادى الآخرة سنة ثمان)

قال ابن القيم:

« وَهِيَ وَرَاءَ وَادِي الْقُـرَى وَبَيْنَهَـا وَبَـيْنَ الْمَدِينَـةِ عَشَـرَةُ أَيّـامٍ وَكَانَـتْ فِي جُمَـادَى الآخِـرَةِ سَـنَةَ ثَمَانٍ»[1].

سبب الغزوة:

٨٠٣- « قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ جَمْعًا مِنْ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُدْنُوا إلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، فَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ وَبَعَثَهُ فِي ثَلاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ ثَلاثُونَ فَرَسًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ مَرّ بِهِ مِنْ بَلِيّ وَعُذْرَةَ وَبَلْقَيْنِ، فَسَارَ اللّيْلَ وَكَمَنَ النّهَارَ»[2].

عمرو يطلب المدد:

قال (ابن سعد): «فَلَمّا قَرُبَ مِنْ الْقَوْمِ بَلَغَهُ أَنّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ الْجُهَنِيّ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَسْتَمِدّهُ، فَبَعَثَ إلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرّاحِ فِي مِائَتَيْنِ وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَبَعَثَ لَهُ سَرَاةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمْرٍو وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلا يَخْتَلِفَا»[3].

عمرو يتمسك بإمرته:

---

[1] زاد المعاد ٢/٢٣٤

[2] الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٣١

[3] المصدر السابق.

«فَلَمّا لَحِقَ بِهِ أَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَؤُمّ النّاسَ، فَقَالَ عَمْرٌو: إنّمَا قَدِمْتَ عَلَيّ مَدَدًا وَأَنَا الأَمِيرُ، فَأَطَاعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَكَانَ عَمْرٌو يُصَلّي بِالنّاسِ وَسَارَ حَتّى وَطِئَ بِلادَ قُضَاعَةَ فَدَوّخَهَا حَتّى أَتَى إلَى أَقْصَى بِلادِهِمْ.

وَلَقِيَ فِي آخِرِ ذَلِكَ جَمْعًا فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ الْمُسْلِمُونَ، فَهَرَبُوا فِي الْبِلادِ وَتَفَرّقُوا، وَبَعَثَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ بَرِيدًا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ بِقُفُولِهِمْ وَسَلامَتِهِمْ وَمَا كَانَ فِي غَزَاتِهِمْ»[1].

<u>احْتَلَمَ عمرُو وَتَيَمَّمَ:</u>

<u>قال ابن القيم:</u>

٨٠٤- « وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ احْتَلَمَ أَمِيرُ الْجَيْشِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَكَانَتْ لَيْلَةً بَارِدَةً فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الْمَاءِ، فَتَيَمّمَ وَصَلّى بِأَصْحَابِهِ الصّبْحَ. فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو صَلّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟". فَأَخْبَرَهُ بِالّذِي مَنَعَهُ مِنْ الإغْتِسَالِ، وَقَالَ إنّي سَمِعْتُ اللّهَ يَقُولُ {وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}، فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا»[2].

<u>دلالةٌ ومَلْمَحٌ:</u>

- ذكر المباركفوري أن سبب اختيار النبي (صلى الله عليه وسلم) لعمرو بن العاص لقيادة هذه السرية: هو أن أم أبيه كانت من قبيلة (بَلِيّ) ، فلذا كان يعرف طبيعة القبائل والمسالك في تلك الناحية.
- والملمح المهم: هو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولّى عَمرًا قيادة الجيش، ورضي أبو عبيدة أن يكون تحت إمرته ،رغم أنه لم يمر سوى بضعة شهور على إسلامه!!.. إنه الإسلام الذي يضع الناس في المواقع المناسبة لهم.. ويوظف طاقاتهم وقدراتهم قبل أن يعرف العالم قواعد (التوظيف الأمثل).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر.

الفصل الثامن:

الفتح الأعظم فتح مكة:

(رمضان سنة ثمان)

تهتز القلوب وتتحرك المشاعر كلما جاء ذكر فتح مكة هذا الفتح الأعظم الذي فتح الله عز وجل به البلد الأمين لنبيه الأمين (صلى الله عليه وسلم) وأدخل به الإسلام إلى مكة وصارت من يومها في موقع القلب من الجسد الإسلامي، فيها الكعبة المشرفة مطهَّرةً من الأصنام والرجس والأوثان، وفيها الطائفون والمصلون والساعون، الحجاج والمعتمرون ، الجميع يتوجهون إلى هذه القبلة الواحدة، ويعبدون الإله الواحد سبحانه وتعالى، فهي رمز لهذه الوحدة العقدية والقلبية والعبادية والعاطفية للمسلمين في أرجاء الأرض.

وما زال هذا القلب ينبض بالإسلام معلنًا التوحيد إلى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قالَ ابنُ القيِّمِ:

« فَصْلٌ: فِي الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ الّذِي أَعَزّ اللّهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفّارِ وَالْمُشْرِكِينَ.

وَهُوَ الْفَتْحُ الّذِي اسْتَبْشَرَ بِهِ أَهْلُ السّمَاءِ وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ عِزّهِ عَلَى مَنَاكِبِ الْجَوْزَاءِ وَدَخَلَ النّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا.

خَرَجَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِكَتَائِبِ الْإِسْلَامِ وَجُنُودِ الرّحْمَنِ سَنَةَ ثَمَانٍ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ»[1].

سبب الفتح:

شاء الله عز وجل أن تتسبب قريش -بغدرها- في نقض الصلح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعتدي على حلفائه من خزاعة، فيستغيثوا به فيجيبهم، ويجهز الجيش ليكون الفتح. ولقد نسيت قريش أن ميزان القوى قد تغير، وأن الإسلام قد انتشر وكثر أنصاره ومعتنقوه، ولم يعد لقريش طاقة بمواجهة الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] زاد المعاد ٢/٢٣٨

قال ابن القيم:

٨٠٥- « وَكَانَ السّبَبُ الّذِي جَرّ إلَيْهِ وَحَدَا إلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَ "إمَامُ أَهْلِ السّيَرِ وَالْمَغَازِي وَالأَخْبَارِ": "مُحَمّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ" أَنّ بَنِي بَكْرِ (بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ابْنِ كِنَانَةَ) عَدَتْ عَلَى خُزَاعَةَ وَهُمْ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ : فَبَيّتُوهُمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ.

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الثأر القديم.

ثم قال ابن القيم:

فَلَمّا بُعِثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَاءَ الإِسْلامُ حَجَزَ بَيْنَهُمْ وَتَشَاغَلَ النّاسُ بِشَأْنِهِ، فَلَمّا كَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ وَقَعَ الشّرْطُ: أَنّهُ مَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَهْدِهِ فَعَلَ. وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ فَعَلَ.

فَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَهْدِهِ، فَلَمّا اسْتَمَرّتْ الْهُدْنَةُ اغْتَنَمَهَا بَنُو بَكْرٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَأَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوا مِنْهُمْ الثّأْرَ الْقَدِيمَ.

فَخَرَجَ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدّيْلِيّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي بَكْر فَبَيّتَ خُزَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رِجَالا وَتَنَاوَشُوا وَاقْتَتَلُوا. وَأَعَانَتْ قُرَيْشٌ بَنِي بَكْرٍ بِالسّلاحِ، وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ قَاتَلَ مُسْتَخْفِيًا لَيْلا: ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ مِنْهُمْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيّةَ وَحُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزّى وَمِكْرَزَ بْنَ حَفْصٍ، حَتّى حَازَوْا خُزَاعَةَ إلَى الْحَرَمِ. فَلَمّا انْتَهَوْا إلَيْهِ قَالَتْ بَنُو بَكْرٍ: يَا نَوْفَلُ إنّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ، إلَهَك إلَهَك.

فَقَالَ كَلِمَةً عَظِيمَةً لا إلَهَ لَهُ الْيَوْمَ يَا بَنِي بَكْرٍ، أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ فَلَعَمْرِي إنّكُمْ لَتُسْرَقُونَ فِي الْحَرَمِ أَفَلا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ فِيهِ ؟

فَلَمّا دَخَلَتْ خُزَاعَةُ مَكّةَ لَجَأُوا إلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيّ وَدَارِ مَوْلًى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ»[١].

عمرو الخزاعي يناشد رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

٨٠٦- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

---

[١] زاد المعاد ٢/٢٣٨

« فَلَمّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقُرَيْشٌ عَلَى خُزَاعَةَ ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا ، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحَلّوا مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانَ فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ، خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيّ ثُمّ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمّا هَاجَ فَتْحَ مَكّةَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النّاسِ فَقَالَ:

يَا رَبّ إنّي نَاشِدٌ مُحَمّدًا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا[1]

قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنّا وَالِدًا[2] ... ثُمّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللّهِ قَدْ تَجَرّدَا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبّدَا[3]

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا ... إنّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوك الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَك الْمُوَكّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلّ وَأَقَلّ عَدَدَا

هُمْ بَيّتُونَا بِالْوَتِيرِ[4] هُجّدًا ... وَقَتَلُونَا رُكّعًا وَسُجّدَا

(يَقُولُ قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا).

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنُ سَالِمٍ.

ثُمّ عَرَضَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنَانٌ مِنْ السّمَاءِ فَقَالَ إنّ هَذِهِ السّحَابَةَ لَتَسْتَهِلّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ[5]»[6].

بُدَيْل الخزاعي سفيرًا آخر، إلى النبي (صلى الله عليه وسلم):

٨٠٧- « ثُمّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ.

---

(١) الأتلدا: القديم يشير إلي الحلف الذي كان بين خزاعة وبين بني هشام والذي تجدد في صلح الحديبية.

(٢) الخال بمنزلة الوالد وخزاعة هم أخوال عبد مناف، وأمه حبَّى زوجة قصي من خزاعة.

(٣) تربد: تغير غضبا.

(٤) الوتير: ماء الخزاعة.

(٥) بنو كعب هنا هم خزاعة.

(٦) سيرة ابن هشام ٤/٣٠٤ وذكر ابن حجر القصة بأبياتها في الفتح وقال إسناده حسن موصول عن دار الحديث.

ثُمّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إلَى مَكّةَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلنّاسِ: كَأَنّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدّةِ»[1].

ويلتقي أبا سفيان في طريق عودته:

٨٠٨- « وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ قَدْ بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَشُدّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدّةِ وَقَدْ رَهِبُوا الّذِي صَنَعُوا.

فَلَمّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلِ بْنَ وَرْقَاءَ قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْت يَا بُدَيْلُ؟ وَظَنّ أَنّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ: تَسَيّرْت فِي خُزَاعَةَ فِي هَذَا السّاحِلِ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ: أَوَ مَا جِئْت مُحَمّدًا؟ قَالَ لا ، فَلَمّا رَاحَ بُدَيْلِ إلَى مَكّةَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلِ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النّوَى، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتّهُ فَرَأَى فِيهِ النّوَى . فَقَالَ أَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمّدًا»[2].

مظاهر ضعف أبي سفيان ومذلته:

أم حبيبة تطوي عنه الفراش:

٨٠٩- « ثُمّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَوَتْهُ عَنْهُ، فَقَالَ يَا بُنَيّةُ ؟ مَا أَدْرِي أَرَغِبْت بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْت بِهِ عَنّي ؟ قَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ، وَلَمْ أُحِبّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ وَاَللّهِ لَقَدْ أَصَابَك يَا بُنَيّةُ بَعْدِي شَرّ»[3].

محاولات استعطاف أبي بكر وعلي وفاطمة:

٨١٠- « ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَكَلّمَهُ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمّ ذَهَبَ إلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَلّمَهُ أَنْ يُكَلّمَ لَهُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلِ. ثُمّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ فَكَلّمَهُ فَقَالَ: أَأَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ؟ فَوَاَللّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إلا الذّرّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٥/٤ والبيهقي في الدلائل وابن كثير في البداية – دار الحديث

(٢) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤ والطبري تاريخه وابن كثير في البداية . دار الحديث.

(٣) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤.

ثُمّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَضِيَ عَنْهَا، وَعِنْدَهَا حَسَنُ بْنُ عَلِيّ غُلامٌ يَدِبّ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيّ إنّك أَمَسّ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا، وَإِنّي قَدْ جِئْت فِي حَاجَةٍ فَلا أَرْجِعَنّ كَمَا جِئْت خَائِبًا، فَاشْفَعْ لِي إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَقَالَ: وَيْحَك يَا أَبَا سُفْيَانَ وَاَللّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلّمَهُ فِيهِ.

فَالْتَفَتَ إلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ يَا ابْنَةَ مُحَمّدٍ! هَلْ لَك أَنْ تَأْمُرِي بُنَيّك هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ فَيَكُونَ سَيّدَ الْعَرَبِ إلَى آخِرِ الدّهْرِ؟ قَالَتْ: وَاَللّهِ مَا بَلَغَ بُنَيّ ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ إنّي أَرَى الْأُمُورَ قَدْ اشْتَدّتْ عَلَيّ فَانْصَحْنِي ، قَالَ وَاَللّهِ مَا أَعْلَمُ لَك شَيْئًا يُغْنِي عَنْك شَيْئًا ، وَلَكِنّك سَيّدُ بَنِي كِنَانَةَ فَقُمْ فَأَجِرْ بَيْنَ النّاسِ ثُمّ الْحَقْ بِأَرْضِك، قَالَ: أَوَ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنّي شَيْئًا ؟ قَالَ: لا وَاَللّهِ مَا أَظُنّهُ وَلَكِنّي لا أَجِدُ لَك غَيْرَ ذَلِكَ.

فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: أَيّهَا النّاسُ إنّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النّاسِ . ثُمّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فَانْطَلَقَ. فَلَمّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ، قَالُوا : مَا وَرَاءَك؟ قَالَ: جِئْتُ مُحَمّدًا فَكَلّمْته ، فَوَاَللّهِ مَا رَدّ عَلَيّ شَيْئًا ، ثُمّ جِئْت ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطّابِ فَوَجَدْتُهُ أَدْنَى الْعَدُوّ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَعْدَى الْعَدُوّ. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ جِئْتُ عَلِيّا فَوَجَدْته أَلْيَنَ الْقَوْمِ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيّ بِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ فَوَاَللّهِ مَا أَدْرِي هَلْ يُغْنِي ذَلِك شَيْئًا أَمْ لا؟ قَالُوا : وَبِمَ أَمَرَك؟ قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ فَفَعَلْت ، قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمّدٌ ؟ قَالَ: لا ، قَالُوا: وَيْلَك وَاَللّهِ إنْ زَادَ الرّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِك، فَمَا يُغْنِي عَنْك مَا قُلْت. قَالَ لا وَاَللّهِ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ»[1].

دلالات وعظات:

- سبحان الله العظيم.. تبدَّل الحال وذهب عن قريش غرورُها وأصبح للمسلمين شوكة وهيبة .. وجاء أبو سفيان متصاغرًا متذللًا ،يريد أن يمنع بسياسته ودهائه جولة العقاب على غدرهم، وهجومهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] المصدر السابق.

- أبو سفيان وحده تقريبًا يتحرك في المدينة آمنًا واثقًا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لن يمسه بأذى، ولا أي واحد من المسلمين، فلقد عرف عنه صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام- احترام العهود، وتأمين السفراء حتى ولو كان خصمهم غادرًا.

الاستعدادات في سرية وتكتم:

٨١١- « وَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْجَهَازِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهّزُوهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، وَهِيَ تُحَرّكُ بَعْضَ جَهَازِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَقَالَ: أَيْ بُنَيّةُ!! أَأَمَرَكُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ تُجَهّزُوهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَتَجَهّزْ. قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟ قَالَتْ (لا) وَاَللّهِ مَا أَدْرِي . ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَعْلَمَ النّاسَ أَنّهُ سَائِرٌ إلَى مَكّةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدّ وَالتّهَيّؤِ، وَقَالَ: اللّهُمّ خُذْ الْعُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتّى نَبْغَتَهَا فِي بِلادِهَا فَتَجَهّزَ النّاسُ»[1].

تصرف خاطئ من حاطب بن أبي بلتعة:

٨١٢- عَن ابن إسحاقَ:

« لَمّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَسِيرَ إلَى مَكّةَ ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِالّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الأَمْرِ فِي السّيْرِ إلَيْهِمْ، ثُمّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً زَعَمَ مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنّهَا مِنْ مُزَيْنَةَ وَزَعَمَ لِي غَيْرُهُ أَنّهَا سَارَةُ مَوْلاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تُبَلّغَهُ قُرَيْشًا.

فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، ثُمّ فَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا، ثُمّ خَرَجَتْ بِهِ.

وَأَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْخَبَرُ مِنْ السّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ، فَبَعَثَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إلَى قُرَيْشٍ، يُحَذّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ».

وروى البخاري:

٨١٣- « عن عَلِيّ بن أبى طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

[1] سيرة ابن هشام ٣٠٦/٤ رواه ابن إسحاق بدون إسناد، وروي مسندًا عند ابن كثير في البداية ٢٨٠/٤ من طريق ابن إسحاق أيضا، وإسناده صحيح عن دار الحديث.

بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ.

قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ "مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - يَقُولُ كُنْتُ حَلِيفًا - وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)»[١].

خروجُ النبي(صلى الله عليه وسلم)، و إفطارُه في الطريق:

روى البخاري:

٨١٤- « عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنْ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنِصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا»[٢].

---

[١] صحيح البخاري برقم ٣٩٣٩ ترقيم العالمية.

[٢] رواه البخاري برقم ترقيم العالمية ١٨٠٨.

عدة الجيش الإسلامي: عشرة آلاف .كما ورد في حديث البخاري السابق.

إسلامُ العباس، ولقاؤه النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) بالطريق:

سيدنا العباس رضي الله عنه ظل بمكة فترة طويلة ، لم يهاجر لأنه كان دائما يرسل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار الاستعدادات الحربية لقريش ، وقد كان يكتم إسلامه، واختلف الرواة في تاريخ إسلامه، وها هو اليوم يهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فيلقاه في الطريق.

قال ابن إسحاق:

٨١٥- « وَقَدْ كَانَ الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ لَقِيَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِبَعْضِ الطّرِيقِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَقِيَهُ بِالْجُحْفَةِ مُهَاجِرًا بِعِيَالِهِ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِك مُقِيمًا بِمَكّةَ عَلَى سِقَايَتِهِ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْهُ رَاضٍ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ الزّهْرِيّ»[1].

إسلام ابن العم، وابن العمة:

يبدو أن الحوادث سارت في مصلحة الإسلام والمسلمين، ولم يعد في قريش طاقة لاستمرار حالة العداء مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودينه ، فبدأت القلوب تنفتح للإسلام حتى أشد المعاندين، ومنهم هذان الرجلان اللذان كانا يؤذيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة أشد الإيذاء، لذا أعرض عنهما حينما لقيهما في الطريق مهاجرين.

قَالَ ابنُ إسحَاقَ:

٨١٦- « وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيْضًا بِنِيقِ الْعُقَاب ،فِيمَا بَيْنَ مَكّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَالْتَمَسَا الدّخُولَ عَلَيْهِ.

فَكَلّمَتْهُ أُمّ سَلَمَةَ فِيهِمَا ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ ابْنُ عَمّك وَابْنُ عَمّتِك وَصِهْرُك ، قَالَ: لا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَا ابْنُ عَمّي فَهَتَكَ عِرْضِي ، وَأَمّا ابْنُ عَمّتِي وَصِهْرِي فَهُوَ الّذِي قَالَ فِيَّ بِمَكّةَ مَا قَالَ.

قَالَ: فَلَمّا خَرَجَ الْخَبَرُ إلَيْهِمَا بِذَلِكَ وَمَعَ أَبِي سُفْيَان بُنَيٌّ لَهُ، فَقَالَ وَاَللّهِ لَيَأْذَنَنّ لِي أَوْ لآخُذَنّ بِيَدَيْ بُنَيَّ هَذَا ، ثُمّ لَنَذْهَبَنّ فِي الأَرْضِ حَتّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا. فَلَمّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَقّ لَهُمَا، ثُمّ أَذِنَ لَهُمَا، فَدَخَلا عَلَيْهِ فَأَسْلَمَا.

---

[1] سيرة ابن هشام ٣/٣٠٩

وَأَنْشَدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ قَوْلَهُ فِي إسْلامِهِ، وَاعْتَذَرَ إلَيْهِ عَمّا كَانَ مَضَى مِنْهُ فَقَالَ:

لَعَمْرُك إنّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَــةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاتِ خَيْـلَ مُحَمّدِ

لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدِي

هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالَنِي ... مَعَ اللّهِ مَنْ طَرّدْتُ كُلّ مُــطَرّدِ

أَصُدّ وَأَنْأَى جَاهِدًا عَنْ مُحَمّدٍ ... وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمّدِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى "وَدَلّنِي عَلَى الْحَقّ مَنْ طَرّدْتُ كُلّ مُطَرّدِ".

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَزَعَمُوا أَنّهُ حِينَ أَنْشَدَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَوْلَهُ: "وَنَالَنِي مَعَ اللّهِ مَنْ طَرّدْتُ كُلّ مُطَرّدِ" ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلّ مُطَرَّدٍ»[1].

النزول بمر الظهران:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨١٧- «ثُمّ مَضَى حَتّى نَزَلَ مَرّ الظّهْرَانِ فِي عَشَرَةِ آلافٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَسَبَّعَتْ سُلَيْمٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَلّفَتْ سُلَيْمٌ وَأَلّفَتْ مُزَيْنَةُ. وَفِي كُلّ الْقَبَائِلِ عددٌ وَإِسْلامٌ، وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ، فَلَمْ يَتَخَلّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَرّ الظّهْرَانِ، وَقَدْ عُمّيَتْ الأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ»[2].

دلالة:

- نجحت خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أن يتحرك بجيش هائل العدد كهذا الجيش ، ثم لا تعلم به قريش حتى ينزل قريبًا منها في مر الظهران.
- ولقد تدخل الوحي في قصة حاطب؛ لحكمة الله عز وجل ،أن يتم فتح مكة دون حرب ، أو بأقل ما يمكن من القتال.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٠/٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤٣/٣ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع ١٦٥/٦ وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (عن دار الحديث).

(٢) سيرة ابن هشام ٣٠٩/٤

العباس يبحث عن أمان لقريش:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨١٨- «وَخَـرَجَ فِي تِلْـكَ اللّيَـالِي أَبُـو سُـفْيَانَ بْـنُ حَـرْبٍ وَحَكِـيمُ بْـنُ حِـزَامٍ ، وَبُـدَيْلُ بْـنُ وَرْقَـاءَ يَتَحَسّسُونَ الأَخْبَارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ ......"

وقـال: فَلَمّـا نَـزَلَ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ مَـرّ الظّهْـرَانِ قَـالَ الْعَبّـاسُ بْنُ عَبْـدِ الْمُطّلِـبِ: فَقُلْـت: وَاصَبَاحَ قُـرَيْشٍ، وَاَللّهِ لَـئِنْ دَخَـلَ رَسُـولُ اللّهِ صَـلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ مَكّـةَ عَنْـوَةً قَبْـلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إنّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إلَى آخِرِ الدّهْرِ.

قَالَ: فَجَلَسْت عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْبَيْضَاءِ فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا. قَالَ: حَتّى جِئْتُ الأَرَاكَ، فَقُلْت لَعَلّي أَجِدُ بَعْضَ الْحَطّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكّةَ، فَيُخْبِرَهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَخْرُجُوا إلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً.

قَالَ: فَوَاَللّهِ إنّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْت كَاللّيْلَةِ نِيرَانًا قَطّ وَلا عَسْكَرًا.

قَالَ يَقُولُ بُدَيْلٍ: هَذِهِ وَاَللّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ. قَالَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ أَذَلّ وَأَقَلّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا وَعَسْكَرَهَا.

قَالَ فَعَرَفْت صَوْتَهُ. فَقُلْت: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ!! فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟ قَالَ قُلْت: نَعَمْ. قَالَ مَالَك؟ فِدَاك أَبِي وَأُمّي، قَالَ قُلْت: وَيْحَك يَا أَبَا سُفْيَانَ هَذَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي النّاسِ وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاَللّهِ. قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاك أَبِي وَأُمّي؟ قَالَ قُلْت: وَاَللّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِك لَيَضْرِبَنّ عُنُقَك، فَارْكَبْ فِي عَجُزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتّى آتِيَ بِك رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَسْتَأْمِنَهُ لَك»[١].

دلالة:

لا يمنع المسلم إسلامه وكرهه للكافرين أن يُبقِي على صلة الرحم التي تربطه بهم، وأن يميل قلبه إلى الموادعة والأمان ،بدلًا من المواجهة بالسيف والسنان، قد فعل العباس ذلك، وكان خيرًا كثيرًا.

وعند البيهقي رواية عن موسى بن عقبة، بها بعض الاختلاف:

---

[١] سيرة ابن هشام ٤/٣٠٩

٨١٩- « عن موسى بن عقبة قال:

« وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال في اثني عشر ألفًا من المهاجرين والأنصار ، ومن طوائف العرب : مِن أَسْلَمَ ، وغِفار ، ومُزَينة ، وجُهَيْنة ، ومن بني سُلَيْم، وقادوا الخيول، فأخفى الله عز وجل مسيره على أهل مكة ، حتى نزلوا بمر الظهران، وبعثت قريش أبا سفيان ، وحكيم بن حزام ، ومعهما بديل بن ورقاء.

فلما طلعوا على مر الظهران حين بلغوا الأراك ، وذلك عِشاءً رأوا النيران والفساطيط والعسكر ، وسمعوا صهيل الخيل ، فراعهم ذلك ، فقالوا: هذه بنو كعب حمشتها الحرب ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا : هؤلاء أكثر من بني كعب ، قالوا: فلعلهم هوازن انتجعوا الغيث بأرضنا ، لا والله ما نعرف هذا أيضا، فبينما هم كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم عيونًا له بخطيم أبعرتهم، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟

فلما دخل بهم العسكر لقيهم عباس بن عبد المطلب فأجارهم وقال: يا أبا حنظلة، ثكلتك أمك وعشيرتك، هذا محمد صلى الله عليه وسلم في جمع المؤمنين فادخلوا عليه فأسلموا»[١].

<u>في هذه الرواية:</u>

(فأخفى الله عز وجل مسيره على أهل مكة) وهي قضية هامة في العمليات العسكرية عمومًا- وهنا في حرم الله خصوصًا.

ويدل على صعوبة هذا الأمر - التكتم بجيش كبير العدد - ما قاله أبو سفيان «هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟».

<u>جدل عمر و العباس، في أمر أبي سفيان:</u>

٨٢٠- <u>قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ:</u>

---

[١] دلائل النبوة للبيهقي ٧٢/٢ج١٧٨٢ المكتبة الشاملة ، أقول: ومغازي موسى بن عقبة هي أصح المغازي، وقد رواها البيهقي أيضا من طريق موسى عن ابن شهاب.

قَالَ (العباس) فَرَكِبَ (أبو سفيان) خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، قَالَ: فَجِئْت بِهِ كُلّمَا مَرَرْت بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَنَا عَلَيْهَا، قَالُوا عَمّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ.

حَتّى مَرَرْت بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إلَيّ فَلَمّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الدّابّةِ قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ عَدُوّ اللّهِ!! الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَمْكَنَ مِنْك بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، ثُمّ خَرَجَ يَشْتَدّ نَحْوَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَرَكَضْت الْبَغْلَةَ فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدّابّةُ الْبَطِيئَةُ الرّجُلَ الْبَطِيءَ.

قَالَ: فَاقْتَحَمْتُ عَنْ الْبَغْلَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ قُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي قَدْ أَجَرْتُهُ. ثُمّ جَلَسْت إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَأَخَذْت بِرَأْسِهِ فَقُلْت: وَاَللّهِ لاَ يُنَاجِيهِ اللّيْلَةَ دُونِي رَجُلٌ»[1].

صفحة من الحب الخالص للنبي(صلى الله عليه وسلم):

٨٢١- « فَلَمّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ قَالَ قُلْت : مَهْلا يَا عُمَرُ فَوَاَللّهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْت هَذَا ، وَلَكِنّك قَدْ عَرَفْت أَنّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ مَهْلا يَا عَبّاسُ، "فَوَاَللّهِ لإِسْلَامُك يَوْمَ أَسْلَمْت كَانَ أَحَبّ إلَيّ مِنْ إسْلامِ الْخَطّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إلا أَنّي قَدْ عَرَفْت أَنّ إسْلامَك كَانَ أَحَبّ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ إسْلامِ الْخَطّابِ لَوْ أَسْلَمَ"»[2].

دلالة وعظة:

هذا الشعور الفياض بالحب للرسول (صلى الله عليه وسلم) من عمر بن الخطاب متوقع، فهذا حال كل الصحابة.

لكن التعبير عنه هنا من عمر رضي الله عنه ، هَزَّ مشاعري وكياني.

العباس يتهم عمر بأنه متعصب ضد أبي سفيان؛ لأنه ليس من عشيرته، وعمر يشرح للعباس أن إسلام العباس أحب إليه من إسلام أبيه. لا شك أن كل مسلم يرجو لأبيه الخير والهداية

[1] سيرة ابن هشام ٣١١/٤

[2] المصدر السابق

والجنة، لكن لأن ذلك (أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم) ؛فإن عمر يفضل إسلام العباس على إسلام أبيه.

عمر يشرح للعباس أن المسلمين جميعًا انخلعوا من كل روابط الدم والقبيلة إلى رابطة أعلى: هي حب الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم).

ما أروعك يا عمر!!

إسلام أبي سفيان (الذي يحب الفخر):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٨٢٢- «فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: اذْهَبْ بِهِ يَا عَبّاسُ إلَى رَحْلِك ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ. قَالَ فَذَهَبْت بِهِ إلَى رَحْلِي "فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمّا أَصْبَحَ غَدَوْت بِهِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: وَيْحَك يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَك أَنْ تَعْلَمَ أَنّهُ لا إلَهَ إلا اللّهُ ؟ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي مَا أَحْلَمَك وَأَكْرَمَك وَأَوْصَلَك، وَاَللّهِ لَقَدْ ظَنَنْت أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللّهِ إلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنّي شَيْئًا بَعْدُ.

قَالَ: "وَيْحَك يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَك أَنْ تَعْلَمَ أَنّي رَسُولُ اللّهِ؟" قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي ، مَا أَحْلَمَك وَأَكْرَمَك وَأَوْصَلَك، أَمّا هَذِهِ وَاَللّهِ فَإِنّ فِي النّفْسِ مِنْهَا حَتّى الآنَ شَيْئًا. فَقَالَ لَهُ الْعَبّاسُ: وَيْحَك أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لا إلَهَ إلا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُك. قَالَ: فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقّ فَأَسْلَمَ.

قَالَ الْعَبّاسُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا. قَالَ: نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»[1].

دلالة: لا بأس أن يُعْطَى أبو سفيان شيئًا يفتخر به، ولا يضر المسلمين. طالما هو رجل يحب الفخر.

ما الذي أفزع أبا سيفان؟

قال موسى بن عقبة،والزهري:

---

(1) المصدر السابق.

٨٢٣- « فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمكثوا عنده عامة الليل يحادثهم ويسألهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، فقال لهم: اشهدوا أنه لا إله إلا الله، فشهدوا، ثم قال: اشهدوا أني رسول الله ، فشهد حكيم ، وبديل، وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك، وخرج أبو سفيان مع العباس، فلما نودي للصلاة ثار الناس، ففزع أبو سفيان وقال للعباس: ماذا يريدون؟ قال: الصلاة ، ورأى أبو سفيان المسلمين يتلقون وضوء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،فقال : ما رأيت مُلْكًا قط كالليلة ولا مُلك كسرى ، ولا مُلك قيصر ، ولا مُلك بني الأصفر»[1].

<u>دلالة :</u>

شهادة خصم لعلاقة فذة بين النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب، وقد سبقه لنفس المعنى، عروة بن مسعود الثقفي في صلح الحديبية.

وشهادة أخرى من أبي سفيان للنبي صلى الله عليه وسلم:

« بأبي أنت وأمي: ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!»

إنه النبي صلى الله عليه وسلم الذي استمال القلوب بحلمه وكرمه، ووصله للرحم.

الاستعراض العسكري العام:

هذه فكرة عسكرية رائدة من الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو أن يُشْهِدَ أبا سفيان حجم الجيش والجند واستعدادهم للقتال؛ ليكون ذلك أفعل في نفسه فلا تحدثه نفسه .أو من معه، بمحاولة القتال أو الصد عن مكة.

فطلب من العباس أن يمسك أبا سفيان عند (خطم الجبل) وهو بروز من الجبل يضيق الطريق فيمكن أبو سفيان من متابعة هذا الاستعراض.

ألا ترى الجيوش الحديثة تجري هذه الاستعراضات العسكرية؛ لتبعث برسالة إلى الخصم عن مدى قوتها واستعدادها؟!

<u>قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:</u>

---

[1] رواية البيهقي السابقة ح١٧٨٢.

٨٢٤- « فَلَمّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا عَبّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتّى تَمُرّ بِهِ جُنُودُ اللّهِ فَيَرَاهَا. قَالَ فَخَرَجْتُ حَتّى حَبَسْتُهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي ، حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ.

قَالَ وَمَرّتْ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا ، كُلّمَا مَرّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: يَا عَبّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ سُلَيْمٌ فَيَقُول: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ ثُمّ تَمُرّ الْقَبِيلَةُ فَيَقُولُ: يَا عَبّاسُ مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُول: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِمُزَيْنَةَ. حَتّى نَفِدَتْ الْقَبَائِلُ مَا تَمُرّ بِهِ قَبِيلَةٌ إلا يَسْأَلُنِي عَنْهَا ، فَإِذَا أَخْبَرْته بِهِمْ قَالَ مَالِي وَلِبَنِي فُلانٍ.

حَتّى مَرّ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَإِنّمَا قِيلَ لَهَا الْخَضْرَاءُ لِكَثْرَةِ الْحَدِيدِ وَظُهُورِهِ فِيهَا. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لا يُرَى مِنْهُمْ إلا الْحَدَقُ مِنْ الْحَدِيدِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللّهِ يَا عَبّاسُ مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ قُلْت: هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ. قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طَاقَةٌ، وَاَللّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيك الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قَالَ قُلْت: يَا أَبَا سُفْيَانَ . إنّهَا النّبُوّةُ . قَالَ: فَنَعَمْ إذَنْ.

قَالَ قُلْت: النّجَاءَ إلَى قَوْمِك.

حَتّى إذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَذَا مُحَمّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فهُوَ آمِنٌ، فَقَامَتْ إلَيْهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ فَقَالَتْ: أُقْتُلُوا الْحَمِيتَ[١] الدّسِمَ[٢] الأَحْمَسَ[٣] قُبّحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ.

قَالَ: وَيْلَكُمْ لا تَغُرّنّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَإِنّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ. قَالُوا: قَاتَلَك اللّهُ وَمَا تُغْنِي عَنّا دَارُك ؟ قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ. فَتَفَرّقَ النّاسُ إلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ»[٤].

---

[١] الحميت : الزق، لقبته بذلك للفخامة والسمنة

[٢] الدسم: كثير الدهن.

[٣] الأحمس: كثير اللحم.

[٤] سيرة ابن هشام ٣١٢/٤ والطبراني في الكبير وقال الهيثمي في المجمع ١٦٧/٦ رجاله رجال الصحيح وأخرج مسلم بعضه وأبو داود وغيرهم (عن دار الحديث).

الخشوع والتواضع لله تعالى عند النصر:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٨٢٥-« فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا انْتَهَى إلَى ذِي طُوًى وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُعْتَجِرًا بِشُقّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ حَمْرَاءَ، وَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيَضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضُعًا لِلّهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللّهُ بِهِ مِنْ الْفَتْحِ، حَتّى إنّ عُثْنُونَهُ[1] لَيَكَادُ يَمَسّ وَاسِطَةَ الرّحْلِ»[2].

إسلام أبي قحافة:

إنها رحلة انتظار طويلة منذ خرج ابنه الصدِّيق مهاجرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى عاد اليوم منتصرًا بعد ثماني سنين. ها هو الشيخ الكبير وقد كُفَّ بصره ينتظر.

روى الإمام أحمد:

٨٢٦- « عَنْ عبد الله بن الزبير عَنْ جَدَّتِهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي طُوًى، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لابْنَةٍ لَهُ مِنْ أَصْغَرِ وَلَدِهِ: أَيْ بُنَيَّةُ اظْهَرِي بِي عَلَى أَبِي قَبِيسٍ[3] قَالَتْ: وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ.

قَالَتْ فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ مَاذَا تَرَيْنَ؟ قَالَتْ: أَرَى سَوَادًا مُجْتَمِعًا[4] قَالَ: تِلْكَ الْخَيْلُ[5]، قَالَتْ: وَأَرَى رَجُلا يَسْعَى بَيْنَ ذَلِكَ السَّوَادِ مُقْبِلا وَمُدْبِرًا، قَالَ: يَا بُنَيَّةُ ذَلِكَ الْوَازِعُ يَعْنِي الَّذِي يَأْمُرُ الْخَيْلَ وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: قَدْ وَاللَّهِ انْتَشَرَ السَّوَادُ، فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ إِذًا دَفَعَتْ الْخَيْلُ فَأَسْرِعِي بِي إِلَى بَيْتِي. فَانْحَطَّتْ بِهِ وَتَلَقَّاهُ الْخَيْلُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَفِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ طَوْقٌ لَهَا مِنْ وَرِقٍ[6] فَتَلَقَّاهُ الرَّجُلُ، فَاقْتَلَعَهُ مِنْ عُنُقِهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَعُودُهُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ.

---

(١) عثنونه: لحيته.

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٣ والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه – ووافقه الذهبي.

(٣) أي اصعدي بي على جبل أبي قبيس، وكانت مكة بين جبلين أبي قبيس وقعيقعان.

(٤) سوادًا مجتمعاً: حشدا من البشر (يقال للشخص سواد).

(٥) أي مقدمة الجيش من الفرسان راكبي الخيول.

(٦) قلادة من فضة.

قَالَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَأَسْلَمَ وَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَأْسُهُ كَأَنَّهُ ثَغَامَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ. ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ فَقَالَ: أَنْشُدُ بِاللَّهِ وَبِالإِسْلَامِ طَوْقَ أُخْتِي، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: يَا أُخَيَّةُ احْتَسِبِي طَوْقَكِ»[١].

تقسيم الجيش بذي طوى:

قسم النبي (صلى الله عليه وسلم) جيشه بذي طوى هكذا:

- الزبير بن العوام على المجنبة اليسرى، وأمره أن يدخل مكة من كدى (وهي من ناحية عرفة).
- خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وفيها قبائل أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة، وأمره أن يدخل مكة من الليط من أسفل (عن ابن إسحاق).
- أبو عبيدة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم- يتقدمه بالصفَّ من المسلمين، أي : بالرجَّالة- (ابن إسحاق).
- دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها من كَدَاءٍ (روى ذلك البخاري عن عائشة وعن عروة بن الزبير من أكثر من طريق).
- وكداء هي الثنية التي ينزل منها إلى المعلى مقبرة أهل مكة، وهي التي يقال لها الحجون (عن ابن حجر).
- وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من الثنية السفلى من (كُدَا) وهي عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية جبل قعيقعان (ابن حجر).

مقالة سعد بن عبادة:

جاء في رواية البخاري عن عروة بن الزبير (المطولة):

---

[١] مسند أحمد برقم ٢٥٧١٨ ترقيم العالمية رجاله ثقات إلا ابن إسحاق وهو صدوق يدلس (موسوعة حرف) والهيثمي في المجمع وقال رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات والحاكم في المستدرك وقال صحيح علي شرط مسلم (دار الحديث).

٨٢٧- « حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ.

ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: مَا قَالَ؟، قَالَ: كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»[1].

وقد نقل ابن حجر عن مغازي الأموي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دفع الراية إلي قيس بن سعد بن عبادة.

بعض السفهاء يقاتلون خالد بن الوليد بأسفل مكة:

قال موسى بن عقبة (في روايته الطويلة)[2]:

٨٢٨- « وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعة وبني سليم وناسا أسلموا قبل ذلك، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وأمره أن يغرز رايته عند أدنى البيوت ، وبأسفل مكة : بنو بكر ، وبنو الحارث بن عبد مناة وهذيل ، ومن كان معهم من الأحابيش قد استنصرت بهم قريش وأمرتهم أن يكونوا بأسفل مكة".

وقال أيضًا:

"واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة، فلقيته بنو بكر فقاتلوه فهزموا، وقتل من بني بكر قريبا من عشرين رجلًا، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، وانهزموا وقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد، وفر بعضهم حتى دخلوا الدور، وارتفعت طائفة منهم على الجبال ، وأتبعهم المسلمون بالسيوف، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين الأولين وأخريات الناس".

وقال أيضًا:

---

(١) صحيح البخاري (٣٩٤٤) ترقيم العالمية.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل– (٢ /٧٢) ح (١٧٨٢) عن موسى بن عقبة وعن الزهري.

"ودخل رجل من هذيل- حين هزمت بنو بكر- على امرأته فارًّا ، فلامَتْهُ وعجَّزَتْهُ وعَيَّرته بالفرار ، فقال :

وأنت لو رأيتِنا بالخِنْدَمة إذْ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة

ولحقتنا بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمجمه

لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

قال ابن شهاب : قالها حِماس، أخو بني سعد بن ليث.

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: "لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟"، فقال : هم بدءونا بالقتال، ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا بالنبل، وقد كففت يدي ما استطعت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قضاء الله عز وجل خير».

حماس بن قيس الذي حضر الخندمة:

قال ابن إسحاق:

٨٢٩- « وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ:

أَنّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيّةَ وَعِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو كَانُوا قَدْ جَمَعُوا نَاسًا بِالْخَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا.

وَقَدْ كَانَ حِمَاسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ، أَخُو بَنِي بَكْرٍ يُعِدّ سِلاحًا قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَيُصْلِحُ مِنْهُ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ لِمَاذَا تُعِدّ مَا أَرَى؟ قَالَ: لِمُحَمّدِ وَأَصْحَابِهِ. قَالَتْ: وَاَللّهِ مَا أَرَاهُ يَقُومُ لِمُحَمّدِ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ. قَالَ: وَاَللّهِ إنّي لأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَك بَعْضَهُمْ ثُمّ قَالَ:

إنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلّهْ ... هَذَا سِلاحٌ كَامِلٌ وَأَلّهْ

وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السّلّهْ

ثُمّ شَهِدَ الْخَنْدَمَةَ مَعَ صَفْوَانَ وَسُهَيْلٍ وَعِكْرِمَةَ ، فَلَمّا لَقِيَهُمْ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، نَاوَشُوهُمْ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ فَقُتِلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ ، أَحَدُ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فِهْرٍ، وَخُنَيْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أَصْرَمَ، حَلِيفُ بَنِي مُنْقَذٍ وَكَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَشَذّا عَنْهُ فَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ فَقُتِلا جَمِيعًا، قُتِلَ خُنَيْسُ قبل كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ، فَجَعَلَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ثُمّ قَاتَلَ عَنْهُ حَتّى قُتِلَ ......

وَأُصِيبَ مِنْ جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بْنُ الْمَيْلاءِ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.

وَأُصِيبَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ نَاسٌ قَرِيبٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلا أَوْ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلا ثُمّ انْهَزَمُوا، فَخَرَجَ حِمَاسٌ مُنْهَزِمًا حَتّى دَخَلَ بَيْتَهُ ثُمّ قَالَ لامْرَأَتِهِ: أَغْلِقِي عَلَيّ بَابِي، قَالَتْ فَأَيْنَ مَا كُنْت تَقُولُ ؟ فَقَالَ:

إنّكِ لَوْ شَهِدْت يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ ... إذْ فَرّ صَفْوَانُ وَفَرّ عِكْرِمَــــهْ

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُـــوتَمَهْ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ

يَقْطَعْنَ كُلّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَــهْ ... ضَرْبًا فَلا يُسْمَعُ إلا غَمْغَمَـــهْ

لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَـــهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي اللّوْمِ أَدْنَى كَلِمَــهْ »[1].

بحث في: هل فتحت مكة صلحًا أم عنوةً:

ننقل هنا فقرات من بحث ابن القيم يؤكد بها أن مكة فتحت بالقوة (عَنوة):

قال ابن القيم:

"وَفِيهَا الْبَيَانُ الصّرِيحُ بِأَنّ مَكّةَ فُتِحَتْ عَنْوَةً كَمَا ذَهَبَ إلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَلا يُعْرَفُ فِي ذَلِكَ خِلافٌ إلا عَنْ الشّافِعِيّ وَأَحْمَدَ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ.

وَسِيَاقُ الْقِصّةِ أَوْضَحُ شَاهِدٍ لِمَنْ تَأَمّلَهُ لِقَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَلَمّا اسْتَهْجَنَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيّ الْقَوْلَ بِأَنّهَا فُتِحَتْ صُلْحًا، حَكَى قَوْلَ الشّافِعِيّ أَنّهَا فُتِحَتْ عَنْوَةً فِي "وَسِيطِهِ" ، وَقَالَ هَذَا مَذْهَبُهُ.

الأدلة: قال ابن القيم:

قَالَ أَصْحَابُ الصّلْحِ:

(١)- لَوْ فُتِحَتْ عَنْوَةً لَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَيْنَ الْغَانِمِينَ كَمَا قَسَمَ خَيْبَرَ ، وَكَمَا قَسَمَ سَائِرَ الْغَنَائِمِ مِنْ الْمَنْقُولاتِ فَكَانَ يُخَمّسُهَا وَيَقْسِمُهَا.

(٢) قَالُوا: وَلَمّا اسْتَأْمَنَ أَبُو سُفْيَانَ لأَهْلِ مَكّةَ لَمّا أَسْلَمَ، فَأَمّنَهُمْ كَانَ هَذَا عَقْدَ صُلْحٍ مَعَهُمْ.

(٣) قَالُوا: وَلَوْ فُتِحَتْ عَنْوَةً لَمَلَكَ الْغَانِمُونَ رِبَاعَهَا وَدُورَهَا، وَكَانُوا أَحَقّ بِهَا من أهلها، وَجَازَ إخْرَاجُهُمْ مِنْهَا، فَحَيْثُ لَمْ يَحْكُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهَا بِهَذَا الْحُكْمِ بَلْ لَمْ يَرُدّ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ دُورَهُمْ الّتِي أُخْرِجُوا مِنْهَا، وَهِيَ بِأَيْدِي الّذِينَ أَخْرَجُوهُمْ وَأَقَرّهُمْ عَلَى بَيْعِ الدّورِ وَشِرَائِهَا وَإِجَارَتِهَا وَسُكْنَاهَا ، وَالانْتِفَاعِ بِهَا ، وَهَذَا مُنَافٍ لأَحْكَامِ فُتُوحِ الْعَنْوَةِ وَقَدْ صَرّحَ بِإِضَافَةِ الدّورِ إلَى أَهْلِهَا ، فَقَالَ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

---

[1] سيرة ابن هشام (٤ /٣١٤).

قَالَ أَرْبَابُ الْعُنْوَةِ:

(١) لَوْ كَانَ قَدْ صَالَحَهُمْ لَمْ يَكُنْ لأَمَانِهِ الْمُقَيّدِ بِدُخُولِ كُلّ وَاحِدٍ دَارَهُ وَإِغْلاقِهِ بَابَهُ وَإِلْقَائِهِ سِلاحَهُ فَائِدَةٌ.

(٢) وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حَتّى قَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ.

(٣) وَلَمَا قَتَلَ مَقِيسَ بْنَ صُبَابَةَ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ خَطَلٍ وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُمَا، فَإِنّ عَقْدَ الصّلْحِ لَوْ كَانَ قَدْ وَقَعَ لاسْتُثْنِيَ فِيهِ هَؤُلاءِ قَطْعًا ، وَلَنُقِلَ هَذَا وَهَذَا.

(٤) وَلَوْ فُتِحَتْ صُلْحًا، لَمْ يُقَاتِلْهُمْ وَقَدْ قَالَ فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقُولُوا: إنّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ. وَمَعْلُومٌ أَنّ هَذَا الإِذْنَ الْمُخْتَصّ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إنّمَا هُوَ الإِذْنُ فِي الْقِتَالِ لا فِي الصّلْحِ، فَإِنّ الإِذْنَ فِي الصّلْحِ عَامّ.

(٥) وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ فَتْحُهَا صُلْحًا ، لَمْ يَقُلْ إنّ اللهَ قَدْ أَحَلّهَا لَهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَإِنّهَا إذَا فُتِحَتْ صُلْحًا كَانَتْ بَاقِيَةً عَلَى حُرْمَتِهَا، وَلَمْ تَخْرُجْ بِالصّلْحِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَقَدْ أَخْبَرَ بِأَنّهَا فِي تِلْكَ السّاعَةِ لَمْ تَكُنْ حَرَامًا، وَأَنّهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ سَاعَةِ الْحَرْبِ عَادَتْ إلَى حُرْمَتِهَا الأُولَى.

(٦) وَأَيْضًا فَإِنّهَا لَوْ فُتِحَتْ صُلْحًا لَمْ يُعَبّئْ جَيْشَهُ خَيّالَتَهُمْ وَرَجّالَتَهُمْ مَيْمَنَةً وَمَيْسَرَةً وَمَعَهُمْ السّلاحُ، وَقَالَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: "اهْتِفْ لِي بِالأَنْصَارِ" ، فَهَتَفَ بِهِمْ فَجَاءُوا ، فَأَطَافُوا بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَقَالَ "أَتَرَوْنَ إلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ؟" ، ثُمّ قَالَ بِيَدَيْهِ إحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى: "أُحْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتّى تُوَافُونِي عَلَى الصّفَا" ، حَتّى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا رَسُولَ اللهِ أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

(٧) وأيضا: فَكَيْفَ يَكُونُ صُلْحًا، وَإِنّمَا فُتِحَتْ بِإِيجَافِ الْخَيْلِ وَالرّكَابِ، وَلَمْ يَحْبِسْ اللهُ خَيْلَ رَسُولِهِ وَرِكَابَهُ عَنْهَا، كَمَا حَبَسَهَا يَوْمَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، فَإِنّ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الصّلْحِ حَقًا، فَإِنّ الْقَصْوَاءَ لَمّا بَرَكَتْ بِهِ قَالُوا: خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ قَالَ مَا خَلأَتْ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمّ قَالَ: وَاَللهِ لا يَسْأَلُونِي خُطّةً يُعَظّمُونَ فِيهَا حُرْمَةً مِنْ حُرُمَاتِ اللهِ إلا أَعْطَيْتُهُمُوهَا، وَكَذَلِكَ جَرَى عَقْدُ الصّلْحِ بِالْكِتَابِ وَالشّهُودِ وَمَحْضَرِ مَلإٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ، فَكيف جَرَى مِثْلُ هَذَا الصّلْحِ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ وَلا

يُكْتَبُ وَلا يُشْهَدُ عَلَيْهِ وَلا يَحْضُرُهُ أَحَدٌ، وَلا يُنْقَلُ كَيْفِيَّتُهُ وَالشُّرُوطُ فِيهِ هَذَا مِنْ الْمُمْتَنِعِ الْبَيِّنِ امْتِنَاعُهُ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ إنّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ.

(٨) قَالُوا: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إنَّهَا لَوْ فُتِحَتْ عَنْوَةً لَقُسِمَتْ بَيْنَ الْغَانِمِينَ، فَهَذَا مَبْنِيّ عَلَى أَنّ الأَرْضَ دَاخِلَةٌ فِي الْغَنَائِمِ الّتِي قَسَمَهَا اللّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الْغَانِمِينَ بَعْدَ تَخْمِيسِهَا.

وَجُمْهُورُ الصّحَابَةِ وَالأَئِمّةِ بَعْدَهُمْ عَلَى خِلافِ ذَلِكَ، وَأَنّ الأَرْضَ لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي الْغَنَائِمِ الّتِي تَجِبُ قِسْمَتُهَا.

وَهَذِهِ كَانَتْ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ: فَإِنّ بِلالا وَأَصْحَابَهُ لَمّا طَلَبُوا مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنْ يَقْسِمَ بَيْنَهُمْ الأَرْضَ الّتِي افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً وَهِيَ الشّامُ وَمَا حَوْلَهَا، وَقَالُوا لَهُ خُذْ خُمُسَهَا وَاقْسِمْهَا، فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا غَيْرُ الْمَالِ، وَلَكِنْ أَحْبِسُهُ فَيْئًا يَجْرِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ بِلالٌ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ: اقْسِمْهَا بَيْنَنَا ، فَقَالَ عُمَرُ: اللّهُمّ اكْفِنِي بِلالا وَذَوِيهِ. فَمَا حَالَ الْحَوْلُ وَمِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ.

ثُمّ وَافَقَ سَائِرُ الصّحَابَةِ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ - عُمَرَ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - عَلَى ذَلِكَ وَكَذَلِك جَرَى فِي فُتُوحِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ، وَأَرْضِ فَارِسَ، وَسَائِرِ الْبِلادِ الّتِي فُتِحَتْ عَنْوَةً لَمْ يَقْسِمْ مِنْهَا الْخُلَفَاءُ الرّاشِدُونَ قَرْيَةً وَاحِدَةً.

وَلا يَصِحّ أَنْ يُقَالَ إنّهُ اسْتَطَابَ نُفُوسَهُمْ وَوَقَفَهَا بِرِضَاهُمْ فَإِنّهُمْ قَدْ نَازَعُوهُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ يَأْبَى عَلَيْهِمْ. وَدَعَا عَلَى بِلالٍ وَأَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ.

وَكَانَ الّذِي رَآهُ وَفَعَلَهُ عَيْنَ الصّوَابِ وَمَحْضَ التّوْفِيقِ إذْ لَوْ قُسِمَتْ لَتَوَارَثَهَا وَرَثَةُ أُولَئِكَ وَأَقَارِبُهُمْ فَكَانَتْ الْقَرْيَةُ وَالْبَلَدُ تَصِيرُ إلَى امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ صَبِيّ صَغِيرٍ وَالْمُقَاتِلَةُ لا شَيْءَ بِأَيْدِيهِمْ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الْفَسَادِ وَأَكْبَرُهُ. وَهَذَا هُوَ الّذِي خَافَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِنْهُ فَوَفّقَهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ لِتَرْكِ قِسْمَةِ الأَرْضِ وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى الْمُقَاتِلَةِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ فَيْئًا حَتّى يَغْزُوَ مِنْهَا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ.

وَظَهَرَتْ بَرَكَةُ رَأْيِهِ وَيُمْنُهُ عَلَى الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ وَوَافَقَهُ جُمْهُورُ الأَئِمّةِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيّةِ إبْقَائِهَا بِلا قِسْمَةٍ:

فَظَاهِرُ مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَكْثَرُ نُصُوصِهِ عَلَى أَنّ الإِمَامَ مُخَيّرٌ فِيهَا تَخْيِيرَ مَصْلَحَةٍ لا تَخْيِيرَ شَهْوَةٍ، فَإِنْ كَانَ الأَصْلَحُ لِلْمُسْلِمِينَ قِسْمَتَهَا ، قَسَمَهَا ، وَإِنْ كَانَ الأَصْلَحُ أَنْ يَقِفَهَا عَلَى جَمَاعَتِهِمْ وَقَفَهَا، وَإِنْ كَانَ الأَصْلَحُ قِسْمَةَ الْبَعْضِ وَوَقْفَ الْبَعْضِ فَعَلَهُ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَعَلَ الأَقْسَامَ الثّلاثَةَ: فَإِنّهُ قَسَمَ أَرْضَ قُرَيْظَةَ وَالنّضِيرِ، وَتَرَكَ قِسْمَةَ مَكّةَ، وَقَسَمَ بَعْضَ خَيْبَرَ وَتَرَكَ بَعْضَهَا لِمَا يَنُوبُهُ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ[1].

هل يجوز تملك الدور في مكة؟:

قال ابن القيم في موضع آخر:

وَأَمّا مَكّةُ، فَإِنّ فِيهَا شَيْئًا آخَرَ يَمْنَعُ مِنْ قِسْمَتِهَا، وَلَوْ وَجَبَتْ قِسْمَةُ مَا عَدَاهَا مِنْ الْقُرَى، وَهِيَ أَنّهَا لا تُمْلَكُ فَإِنّهَا دَارُ النّسُكِ، وَمُتَعَبّدُ الْخَلْقِ، وَحَرَمُ الرّبّ تَعَالَى الّذِي جَعَلَهُ لِلنّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ. فَهِيَ وَقْفٌ مِنْ اللّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ وَهُمْ فِيهَا سَوَاءٌ.

وَمِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ (أى الذى يسبق إلى المكان يضع رحاله فيه)، قَالَ تَعَالَى: {إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الْحَجّ ٢٥) ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ هُنَا ، الْمُرَادُ بِهِ الْحَرَمُ كُلّه ...

فَالْحَرَمُ وَمَشَاعِرُهُ كَالصّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَالْمَسْعَى وَمِنًى ، وَعَرَفَةَ ، وَمُزْدَلِفَةَ ، لا يَخْتَصّ بِهَا أَحَدٌ دُونَ أَحَدٍ ، بَلْ هِيَ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ النّاسِ إذْ هِيَ مَحَلّ نُسُكِهِمْ وَمُتَعَبّدِهِمْ فَهِيَ مَسْجِدٌ مِنْ اللّهِ وَقَفَهُ وَوَضَعَهُ لِخَلْقِهِ. وَلِهَذَا امْتَنَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُبْنَى لَهُ بَيْتٌ بِمِنًى يُظِلّهُ مِنْ الْحَرّ وَقَالَ مِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ ...

وَلِهَذَا ذَهَبَ جُمْهُورُ الأَئِمّةِ مِنْ السّلَفِ وَالْخَلَفِ إلَى أَنّهُ لا يَجُوزُ بَيْعُ أَرَاضِي مَكّةَ، وَلا إجَارَةُ بُيُوتِهَا، هَذَا مَذْهَبُ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ فِي أَهْلِ مَكّةَ (أى ومعهم فقهاء مكة)، وَمَالِكٍ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَبِي حَنِيفَةَ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَسُفْيَانَ الثّوْرِيّ ، وَالإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ ...

ثم نقل ابن القيم أقوال المجوزين للبيع والإجارة، قال:

---

[1] زاد المعاد (٢ /٢٤٥).

قَـالَ الْمُجَـوّزُونَ لِلْبَيْـعِ وَالإِجَـارَةِ: الـدّلِيلُ عَلَى جَـوَازِ ذَلِـكَ كِتَـابُ اللّهِ وَسُـنّةُ رَسُـولِهِ وَعَمَـلُ أَصْحَابِهِ وَخُلَفَائِـهِ الرّاشِـدِينَ . قَـالَ اللّهُ تَعَـالَى: {لِلْفُقَـرَاءِ الْمُهَـاجِرِينَ الّـذِينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيـارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ} [الْحَشْرَ ٨] ، وَقَالَ {فَالّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [آلَ عِمْرَانَ ١٩٥]، فَأَضَافَ الـدّورَ إلَيْهِمْ وَهَـذِهِ إضَـافَةُ تَمْلِيكٍ وَقَـالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَلّمَ وَقَـدْ قِيلَ لَـهُ: أَيْـنَ تَنْزِلُ غَدًا بِدَارِك بِمَكّةَ؟ فَقَالَ: وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ؟ وَلَمْ يَقُلْ إنّهُ لا دَارَ لِي.

وَإِضَـافَةُ دُورِهِمْ إلَيْهِمْ فِي الأَحَادِيثِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُـذْكَرَ كَـدَارِ أُمّ هَـانِئٍ ، وَدَارِ خَـدِيجَـةَ، وَدَارِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْش.

وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهَا كَمَا يَتَوَارَثُـونَ الْمَنْقُـولَ. وَلِهَـذَا قَـالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَلّمَ وَهَـلْ تَـرَكَ لَنَـا عَقِيلٌ مِنْ مَنْزِلٍ.

وَلَمْ يَزَالُوا قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَبَعْدَهَا، بَلْ قَبْل الْمَبْعَثِ وَبَعْدَهُ مَنْ مَاتَ وَرِثَتْهُ دَارُهُ إلَى الْآنَ.

وَإِذَا جَازَ الْبَيْعُ وَالْمِيرَاثُ فَالإِجَارَةُ أَجْوَزُ وَأَجْوَزُ.

فَهَذَا مَوْقِفُ أَقْدَامِ الْفَرِيقَيْنِ كَمَا تَرَى، وَحُجَجُهُمْ فِي الْقُوّةِ وَالظّهُورِ لا تُدْفَعُ وَحُجَجُ اللّهِ وَبَيّنَاتُهُ لا يُبْطِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا بَلْ يُصَدّقُ بَعْضُهَا بَعْضًـا ، وَيَجِبُ الْعَمَلُ بِمُوجَبِهَا كُلّهَا ، وَالْوَاجِبُ اتّبَاعُ الْحَقّ أَيْنَ كَانَ.

فَالصّوَابُ الْقَـوْلُ بِمُوجَبِ الأَدِلّـةِ مِنْ الْجَـانِبَيْنِ، وَأَنّ الـدّورَ تُمْلَكُ وَتُوهَبُ وَتُـوَرّثُ وَتُبَـاعُ وَيَكُونُ نَقْلُ الْمِلْكِ فِي الْبِنَاءِ لا فِي الأَرْضِ وَالْعَرْصَةِ.

جاء الحق، وزهق الباطل:

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدخل المسجد الحرام:

إنها ساعة انتظرها الكون كله: إعلاء كلمة التوحيد في المسجد الحرام:

روى البخاري:

٨٣٠- « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ قَـالَ: دَخَـلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ مَكَّـةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاثُ مِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُـولُ: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَـقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} {جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيد}»[1].

---

[1] البخاري (٤٣٥١).

وقال ابن القيم:

٨٣١- « ثُمّ نَهَضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ وَحَوْلَهُ حَتّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ. فَأَقْبَلَ إلَى الْحَجَرِ الأَسْوَدِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمّ طَافَ بِالْبَيْتِ وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتّونَ صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِالْقَوْسِ وَيَقُولُ: {جَاءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} (الْإِسْرَاءَ : ٨١) {جَاءَ الْحَقّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} (سَبَأَ٤٩) وَالأَصْنَامُ تَتَسَاقَطُ عَلَى وُجُوهِهَا.

وَكَانَ طَوَافُهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ. وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمًا يَوْمَئِذٍ فَاقْتَصَرَ عَلَى الطّوَافِ. فَلَمّا أَكْمَلَهُ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَأَمَرَ بِهَا فَفُتِحَتْ فَدَخَلَهَا فَرَأَى فِيهَا الصّوَرَ وَرَأَى فِيهَا صُورَةَ إبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ يَسْتَقْسِمَانِ بِالأَزْلامِ، فَقَالَ: قَاتَلَهُمْ اللّهُ.. وَاَللّهِ إنْ اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطّ.

وَرَأَى فِي الْكَعْبَةِ حَمَامَةً مِنْ عَيْدَانٍ فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ وَأَمَرَ بِالصّوَرِ فَمُحِيَتْ . ثُمّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ وَعَلَى أُسَامَةَ وَبِلالٍ فَاسْتَقْبَلَ الْجِدَارَ الّذِي يُقَابِلُ الْبَابَ، حَتّى إذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرُ ثَلاثَةِ أَذْرُعٍ وَقَفَ وَصَلّى هُنَاكَ. ثُمّ دَارَ فِي الْبَيْتِ وَكَبّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَوَحّدَ اللّهَ»[1].

اذهبوا فأنتم الطلقاء:

قال ابن القيم:

٨٣٢- « ثُمّ فَتَحَ الْبَابَ وَقُرَيْشٌ قَدْ مَلأَتْ الْمَسْجِدَ صُفُوفًا يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَصْنَعُ!! فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيْ الْبَابِ وَهُمْ تَحْتَهُ، فَقَالَ:

"لا إلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ. أَلا كُلّ مَأْثُرَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيّ هَاتَيْنِ، إلا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجّ، أَلا وَقَتْلُ الْخَطَإِ شِبْهُ الْعَمْدِ السّوْطُ وَالْعَصَا، فَفِيهِ الدّيَةُ مُغَلّظَةً مِائَةٌ مِنْ الإِبِلِ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلادُهَا.

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنّ اللّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيّةِ وَتَعَظّمَهَا بِالآبَاءِ، النّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ" ثُمّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ {يَا أَيّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الْحُجُرَاتِ١٣].

---

[1] زاد المعاد (٢ /٢٤٥) وأبو داوود (٤٥٤٧) وابن ماجة (٢٦٢٧) والنسائي (٨ /٤١) تخريج دار التقوى.

ثُمّ قَالَ "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟" قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: "فَإِنّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطّلَقَاءُ»[1].

الدلالة الكبرى:

(قريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع)

- هذه قريش، وهذا هو النبي الفاتح المنتصر ينتظرون ما يصنع بهم.
- هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي قالوا عنه ساحر، وقالوا كاذب، وقالوا عنه مجنون.
- هذا هو النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي ألقوا على ظهره سلا جزور، وهو ساجد في المسجد الحرام.
- هذا هو النبي الحليم صلى الله عليه وسلم الذي أمسك عقبة بن أبي معيط بخناقه حتى كاد يخنقه، وأبو بكر يدفع عنه ويقول: أتقتلون رجلًا أن يقول: ربي الله.
- هذا هو النبي الصابر - صلى الله عليه وسلم - الذي تآمروا على قتله ليلة الهجرة.
- هذا هو النبي المهاجر صلى الله عليه وسلم الذي أخرجوه من بلده الحبيب ، مطاردًا ليس معه سوى صاحبه الصديق.
- هذا هو النبي المجاهد صلى الله عليه وسلم الذي دفعهم غرورهم أن يقاتلوه في بلد المهجر المدينة، واستكثروا عليه أن يعيش آمنًا، رغم الغربة والهجرة وما فيهما من المعاناة.
- هو اليوم يقف مرتفعًا فوقهم جميعًا (على باب الكعبة) وهم يصطفون في المسجد الحرام ينتظرون قراره ، وهو الفاتح المنتصر، وقلوبهم ترتعش خوف القتل أو الأسر أو السبي.
- لقد شاء الله عز وجل أن يتغير وجه الكون ، وأن تعمل أسباب الأرض والسماء؛ فيعلو شأن الإسلام وينحدر الكفر، وينتقل المسلمون من الضعف إلى القوة، ومن

[1] المصدر السابق.

القلة إلى الكثرة، ومن الاستضعاف إلى العزة والسيادة والنصر... الله أكبر... لا إله غيره... يعز من يشاء ويذل من يشاء، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

أيها العاملون للإسلام: بعض الصبر.. ابتغاء الأجر.. وانتظارًا للنصر.

الأمانات إلى أهلها:

قال ابن القيم:

٨٣٣- « ثُمّ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ إلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السّقَايَةِ صَلّى اللّهُ عَلَيْك.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ" ؟ فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: "هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ الْيَوْمَ يَوْمُ بِرّ وَوَفَاءٍ"[(١)].

وَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ أَنّ الْعَبّاسَ تَطَاوَلَ يَوْمَئِذٍ لأَخْذِ الْمِفْتَاحِ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَرَدّهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ »[(٢)].

من دلائل النبوة (شهادة عثمان بن طلحة):

قال ابن القيم:

٨٣٤- « وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطّبَقَاتِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ:

كُنّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النّاسِ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ وَنِلْتُ مِنْهُ، فَحَلُمَ عَنّي ثُمّ قَالَ: "يَا عُثْمَانُ لَعَلّك سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْت، فَقُلْتُ: لَقَدْ هَلَكَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ وَذَلّتْ. فَقَالَ: بَلْ عَمَرَتْ وَعَزّتْ يَوْمَئِذٍ)!!!.

وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنّي مَوْقِعًا ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنّ الأَمْرَ سَيَصِيرُ إلَى مَا قَالَ.

فَلَمّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ يَا عُثْمَانُ ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنّي، ثُمّ دَفَعَهُ إلَيّ وَقَالَ: "خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إلا ظَالِمٌ.. يَا عُثْمَانُ إنّ اللّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَكُلُوا مِمّا يَصِلُ إلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ". قَالَ فَلَمّا وَلّيْت نَادَانِي فَرَجَعْتُ إلَيْهِ فَقَالَ: "أَلَمْ يَكُنْ

---

(١) زاد المعاد (٢ /٢٤٦) نقلا عن ابن إسحاق.

(٢) زاد المعاد (٢ /٢٤٦).

الّذِي قُلْتُ لَكَ؟" قَالَ: فَذَكَرْت قَوْلَهُ لِي بِمَكّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ "لَعَلّك سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْت" فَقُلْتُ: بَلَى أَشْهَدُ أَنّكَ رَسُولُ اللّهِ»[1].

بلال فوق الكعبة لإعلان كلمة التوحيد:

لحظة فيها عبرة لمن يعتبر: بلال- عبد بني جمع- يعلو فوق قريش، فوق الكعبة؛ ليصدع بالأذان: بعد أن كان يقول(أحد أحد) تحت سياط التعذيب.

قال ابن القيم:

٨٣٥- « وَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِلالا أَنْ يَصْعَدَ فَيُؤَذّنَ عَلَى الْكَعْبَةِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَعَتّابُ بْنُ أَسِيدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ.

فَقَالَ عَتّابٌ: لَقَدْ أَكْرَمَ اللّهُ أَسِيدًا أَلا يَكُونَ سَمِعَ هَذَا فَيَسْمَعَ مِنْهُ مَا يُغِيظُهُ.

فَقَالَ الْحَارِثُ: أَمَا وَاَللّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنّهُ حَقّ لاتّبَعْته.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَمَا وَاَللّهِ لا أَقُولُ شَيْئًا لَوْ تَكَلّمْت لأَخْبَرَتْ عَنّي هَذِهِ الْحَصْبَاءُ.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ لَهُمْ: "قَدْ عَلِمْتُ الّذِي قُلْتُمْ" ثُمّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَقَالَ الْحَارِثُ وَعَتّابٌ: نَشْهَدُ أَنّك رَسُولُ اللّهِ، وَاَللّهِ مَا اطّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا فَنَقُولَ أَخْبَرَك»[2].

صلاة الشكر في بيت أم هانئ:

روى البخاري:

٨٣٦- « عن أُمِّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ قالتْ:

ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ، قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلا قَدْ أَجَرْتُهُ فُلانَ ابْنَ هُبَيْرَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ. قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَاكَ ضُحًى»[3].

---

[1] زاد المعاد (٢ /٢٤٦). عن الطبقات الكبرى لابن سعد (٢ /١٣٦).

[2] زاد المعاد (٢ /٢٤٦).

[3] صحيح البخاري (٣٤٤) ترقيم العالمية.

وروى أيضًا:

٨٣٧- «عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قال:
مَا حَدَّثَنَا أَحَدٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الضُّحَى غَيْرُ أُمِّ هَانِئٍ، فَإِنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَاغْتَسَلَ وَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، فَلَمْ أَرَ صَلاةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا، غَيْرَ أَنَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ»[1].

قال الحافظ في الفتح:

« وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا اَلْحَدِيثِ عَلَى إِثْبَاتِ سُنَّة اَلضُّحَى، وَحَكَى عِيَاض عَنْ قَوْمٍ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَدِيث أُمّ هَانِئ دَلالَة عَلَى ذَلِكَ، قَالُوا: وَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةُ اَلْفَتْحِ، وَقَدْ صَلاهَا خَالِد بْن اَلْوَلِيد فِي بَعْضِ فُتُوحِهِ كَذَلِكَ.

وَقَالَ عِيَاض أَيْضًا: لَيْسَ حَدِيث أُمّ هَانِئ بِظَاهِرٍ فِي أَنَّهُ قَصَدَ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا سُنَّة اَلضُّحَى، وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّهَا أَخْبَرَتْ عَنْ وَقْتِ صَلاتِهِ فَقَطْ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ قَضَاء عَمَّا شُغِلَ عَنْهُ تِلْكَ اَللَّيْلَةَ مِنْ حِزْبِهِ فِيهِ.

وَتَعَقَّبَهُ اَلنَّوَوِيُّ بِأَنَّ اَلصَّوَابَ صِحَّة اَلاسْتِدْلالِ بِهِ، لِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِ كُرَيْب عَنْ أُمّ هَانِئ "أَنَّ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى سُبْحَة اَلضُّحَى"، وَلِمُسْلِمٍ فِي كِتَاب اَلطَّهَارَة مِنْ طَرِيقِ أَبِي مُرَّةَ عَنْ أُمّ هَانِئ فِي قِصَّة اِغْتِسَاله صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ اَلْفَتْحِ "ثُمَّ صَلَّى ثَمَان رَكَعَات سُبْحَة اَلضُّحَى"»[2].

ودلالة حول إجارة أم هانئ:

- عقد الأمان أثبته الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة كما أثبته للرجل، لكن قال الفقهاء أنه يجوز لآحاد الرجال أو النساء إجارة الواحد أو الاثنين، لكن أمان قرية أو قبيلة لا يكون إلا بقرار الإمام.
- الشاهد في الأمر هو إكرام المرأة (ومساواتها) بالرجل في أمر خطير كهذا، رغم ظروف الزمان والمكان وطبيعة البيئة العربية.

---

[1] صحيح البخاري (١١٠٥) ترقيم العالمية.

[2] فتح الباري بشرح صحيح البخاري– الحديث السابق.

الذين أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقتلهم في مكة بعد الفتح:

(١) عبد الله بن سعد وكيف نجا؟:

٨٣٨- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

« وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ عَهِدَ إلَى أُمَرَائِهِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكّةَ، أَنْ لا يُقَاتِلُوا إلا مَنْ قَاتَلَهُمْ، إلا أَنّهُ قَدْ عَهِدَ فِي نَفَرٍ سَمّاهُمْ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَعْدٍ أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ.

وَإِنّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَتْلِهِ لأَنّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْوَحْيَ فَارْتَدّ مُشْرِكًا رَاجِعًا إلَى قُرَيْشٍ، فَفَرّ إلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفّانَ، وَكَانَ أَخَاهُ لِلرّضَاعَةِ فَغَيّبَهُ حَتّى أَتَى بِهِ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنّ النّاسُ وَأَهْلُ مَكّةَ، فَاسْتَأْمَنَ لَهُ.

فَزَعَمُوا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَمَتَ طَوِيلا، ثُمّ قَالَ نَعَمْ؟ فَلَمّا انْصَرَفَ عَنْهُ عُثْمَانُ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ صَمَتُّ لِيَقُومَ إلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: فَهَلا أَوْمَأْت إلَيّ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: إنّ النّبِيّ لا يَقْتُلُ بِالإِشَارَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : ثُمّ أَسْلَمَ بَعْدُ فَوَلاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ بَعْضَ أَعْمَالِهِ ثُمّ وَلاهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ بَعْدَ عُمَرَ»[١].

(٢) عبد الله بن خطل وسبب قتله:

٨٣٩- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

« وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ خَطَلٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ غَالِبٍ إنّمَا أَمَرَ بقتله أنه كَانَ مُسْلِمًا ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُصَدّقًا ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلَى لَهُ يَخْدُمُهُ وَكَانَ مُسْلِمًا، فَنَزَلَ مَنْزِلا، وَأَمَرَ الْمَوْلَى أَنْ يَذْبَحَ لَهُ تَيْسًا، فَيَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا؟ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا، فَعَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ثُمّ ارْتَدّ مُشْرِكًا»[٢].

إذن فعبد الله بن سعد أبيح دمه؛ لأنه مرتد.

---

[١] سيرة ابن هشام (٤ /٣١٦) عن ابن إسحاق مرسلًا، ورواه النسائي (٧ /١٠٦،١٠٥) ،وأبو داوود في سننه (٢٦٨٣، ٢٣٥٩) (عن دار التقوى) – قلت إسناده حسن بمراجعة موسوعة حرف.

[٢] سيرة ابن هشام (٤ /٣١٧) عن ابن إسحاق، صحيح ،وله شواهد عند البخارى ومسلم وغيرهما.

أما ابن خطل فإنه مرتد، وقاتل لرجل من الأنصار.

قتله:

قال ابن إسحاق: قتله سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي ،اشتركا في دمه.

(٣،٤) المغنيتان:

هما جاريتان لابن خطل.

سبب قتلهما: كانتا تغنيان بهجاء (سبّ) الرسول صلى الله عليه وسلم.

مَصيرهما: قال ابن إسحاق: قُتِلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فأمنها. قال ابن القيم: فأسلمت.

فالحكم العام: أن من يسبّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقتل - ذكره ابن القيم في زاد المعاد.

٥) الحويرث بن نقيذ (ويقال ابن نفيل):

جريمته: قال ابن إسحاق: كان ممن يؤذيه بمكة.

وقال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حَمَلَ فاطمة، وأم كلثوم بنتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة، يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث بن نقيذ ، فرمى بهما إلى الأرض.

مصيره: قتله علي بن أبي طالب.

٦) مقيس ابن صبابة:

جريمته: قتل أنصاريًّا (كان الأنصارى قد قتل أخاه خطأ)

فقتل مقيس الأنصارى ،وارتد مشركًا لقريش.

مصيره: قتله نميلة بن عبد الله - رجل من قومه.

٧) سارة مولاة بني عبد المطلب:

جريمتها: سبُّها للنبي صلى الله عليه وسلم. (قال ابن إسحاق: كانت سارة ممن يؤذيه بمكة).

مصيرها: استؤمن لها؛ فأمنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأسلمت.

٨) هبار بن الأسود:

جريمته: هو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت، فنخس بها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها.

مصيره: فرَّ لما أهدر دمه ،ثم أسلم وحسن إسلامه.

٩) عكرمة بن أبي جهل:

جريمته: كانت جرائمه كثيرة- ربما أهمها قيادته لأوباش قريش لقتال المسلمين في الحرم.

مصيره: فرَّ إلى اليمن، وأسلمت زوجه أم حكيم بنت الحارث بن هشام ،فاستأمنت له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،فأمَّنَه فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله (صلى الله عليه وسلم)فأسلم.

خزاعة تثأر ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلن نهاية الثأر:

حدثت هذه الحادثة ثاني أيام الفتح - قتلت خزاعة ابن الأثوع الهُذَلِيَّ في مكة؛ لأنه سبق أن قتل لهم رجلًا شجاعًا يقال له (أحمر) لقب بذلك ؛لشجاعته.

دخل ابن الأثوع مكة ثاني أيام الفتح - وهو على شركه.

قال ابن إسحاق:

٨٤٠- «فَرَأَتْهُ خُزَاعَةُ ، فَعَرَفُوهُ فَأَحَاطُوا بِهِ وَهُوَ إلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ مَكّةَ ، يَقُولُونَ: أَأَنْتَ قَاتِلُ أَحْمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَنَا قَاتِلُ أَحْمَرَ فَمَهْ؟ قَالَ: إذْ أَقْبَلَ خِرَاشُ بْنُ أُمَيّةَ مُشْتَمِلا عَلَى السّيْفِ، فَقَالَ هَكَذَا عَنْ الرّجُلِ، وَوَاَللّهِ مَا نَظُنّ إلا أَنّهُ يُرِيدُ أَنْ يُفْرِجَ النّاسَ عَنْهُ. فَلَمّا انْفَرَجْنَا عَنْهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ بِالسّيْفِ فِي بَطْنِهِ. فَوَاَللّهِ لكأنى أنظر إليه وَحَشْوَتُه تسِيلُ مِنْ بَطْنِه، وَهوَ يقُولُ: أَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا يَا مَعشرَ خُزَاعَةَ؟ حَتّى انْجَعَفَ[١] فَوَقَعَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ الْقَتْلِ فَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إنْ نَفَعَ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلا لأَدِيَنّهُ[٢].

---

[١] انجعف: سقط سقوطًا شديدًا

[٢] سيرة ابن هشام (٤ /٣٢١) وأخرجه أحمد (٤ /٣٢) وإسناده جيد، وله شاهد عند الترمذي (٤ /١٤٠٦) وأبي داوود في الروايات (٤ /٤٥٠٤) – (عن دار الحديث).

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ الأَسْلَمِيّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ ، قَالَ: لَمّا بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا صَنَعَ خِرَاشُ بْنُ أُمَيّةَ، قَالَ: "إنّ خِرَاشًا لَقَتّالٌ " يَعِيبُهُ بِذَلِكَ » [1].

<u>دلالة:</u> لماذا يدفع الرسول صلى الله عليه وسلم دية القتيل (ابن الأثوع) وهو مشرك وقاتل للأحمر؟

لكي يعلن الرسول صلى الله عليه وسلم انتهاء مرحلة وانتهاء كل آثارها، وبداية مرحلة جديدة يخضع الناس فيها لحكم الإسلام، لا لحكم الأهواء والأعراف القبلية التي تستحل الدماء لأتفه الأسباب.

خطبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثاني أيام الفتح:

<u>روى ابن إسحاق:</u>

٨٤١- « عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيّ قَالَ: إنّا كُنّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ افْتَتَحَ مَكّةَ، فَلَمّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ عَدَتْ خُزَاعَةُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ، فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ:

"يَأَيّهَا النّاسُ إنّ اللّهَ حَرّمَ مَكّةَ يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلا يَحِلّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاَللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا، وَلا يَعْضِدَ فِيهَا شَجَرًا[2]، لَمْ تَحْلِلْ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلا تَحِلّ لأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي إلا هَذِهِ السّاعَةَ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا. أَلا ثُمّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، فَلْيُبَلّغْ الشّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ.

فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ (قَدْ) قَاتَلَ فِيهَا، فَقُولُوا: إنّ اللّهَ قَدْ أَحَلّهَا لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يُحْلِلْهَا لَكُمْ،[3] يَا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ! ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ الْقَتْلِ فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إنْ نَفَعَ، لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلا لأَدِيَنّهُ، فَمَنْ قُتِلَ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النّظَرَيْنِ: إنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ، وَإِنْ شَاءُوا فَعَقْلُهُ، ثُمَّ وَدَي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَلِكَ الرّجُلَ الّذِي قَتَلَتْهُ خُزَاعَةُ»[4].

---

[1] إسناده مرسل وفيه عبد الرحمن بن حرملة صدوق ربما أخطأ (عن دار الحديث).

[2] يعضد: يقطع.

[3] هذا الجزء أخرجه البخاري (١ /١٠٤ فتح) ومسلم (٢ /٩٨٧، ٩٨٨) وغيرهما (عن دار الحديث).

[4] سيرة ابن هشام (٤ /٣٢٢).

في رحاب الخطبة الجليلة للكريم (صلى الله عليه وسلم):

شاءت حكمة الله تبارك وتعالى أن يجعل في العالم مكانًا، يأمن فيه الناس جميعًا وتكون له أحكام مخصوصة...

وإن كانت الأديان نزلت لتحقق للناس الأمن على الأرض بقدر إيمانهم بأحكام الله وعملهم بها، فإن الله عز وجل اختار موضعًا يتحقق فيه المهابة والتكريم والتعظيم، وزيادة في الأمن والأمان، لا توجد في غيره.

وإذا كان هذا المكان المعظم يقصده الناس للتوحيد والذكر والطواف والسعي والحج والعمرة، فوجب أن يؤدي الناس هذه الشعائر في جو من الطمأنينة، والصفاء والنقاء - حتى مرتكب الجريمة الموجبة للقصاص خارج الحرم إذا لجأ إليه لا يقتل في الحرم حتى يخرج منه فلربما كان هذا فرصة له للتوبة والندم، وفرصة لأولياء الدم للعفو وقبول الدية.

وهناك أسرار وحكم لا يعلمها إلا من خلق السموات والأرض، وأنزل الأحكام والشرائع - جل شأنه وعظم سلطانه-.

بعض الأحكام الخاصة بحرمة مكة (البلد الحرام):

١) إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس:

قال ابن القيم:

" فَهَذَا تَحْرِيمٌ شَرْعِيّ قَدَرِيّ سَبَقَ بِهِ قَدَرُهُ يَوْمَ خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ ثُمّ ظَهَرَ بِهِ عَلَى لِسَانِ خَلِيلِهِ إبْرَاهِيمَ وَمُحَمّدٍ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا.

كَمَا فِي " الصّحِيحِ " عَنْهُ أَنّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: اللّهُمّ إنّ إبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ حَرّمَ مَكّةَ ، وَإِنّي أُحَرّمُ الْمَدِينَةَ، فَهَذَا إخْبَارٌ عَنْ ظُهُورِ التّحْرِيمِ السّابِقِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى لِسَانِ إبْرَاهِيمَ، وَلِهَذَا لَمْ يُنَازِعْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ فِي تَحْرِيمِهَا، وَإِنْ تَنَازَعُوا فِي تَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ، وَالصّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ تَحْرِيمُهَا، إذْ قَدْ صَحّ فِيهِ بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لا مَطْعَنَ فِيهَا بِوَجْهٍ"[١].

٢) فلا يحل لأحد أن يسفك بها دمًا:

[١] زاد المعاد (٢ /٢٦٢) دار التقوى.

السؤال المتبادر مباشرة، هل يحل السفك للدماء في غير مكة؟ وإذا كان سفك الدم محرمًا في غيرها، فما الفارق؟ وما معنى هذا التحريم؟

الجواب هو: أن سفك الدم بغير سبب- إلا مجرد العدوان -حرام.. حرام مؤكد بكل معاني التأكيد في غير مكة، وفي مكة.

أما الذي يباح في غير مكة ولا يباح في مكة فهو:

أولًا: إن من ارتكب جناية تكون عقوبتها إقامة الحد (كقطع اليد)، أو عقوبتها القتل (مثل القتل العمد)، ثم لجأ إلى الحرم؛فلا يجوز إقامة الحد عليه في الحرم.

وهو قول عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وابن عباس وجمهور التابعين ومن بعدهم، بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلاف ذلك، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ومن وافقهما.

" وَذَهَبَ مَالِكٌ وَالشّافِعِيّ إلَى أَنّهُ يُسْتَوْفَى مِنْهُ فِي الْحَرَمِ، كَمَا يُسْتَوْفَى مِنْهُ فِي الْحِلّ وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ الْمُنْذِرِ ، وَاحْتُجّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِعُمُومِ النّصُوصِ الدّالّةِ عَلَى اسْتِيفَاءِ الْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ فِي كُلّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ وَبِأَن النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَتَلَ ابْنَ خَطَلٍ، وَهُوَ مُتَعَلّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَبِمَا يُرْوَى عَنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ إنّ الْحَرَمَ لا يُعِيذُ عَاصِيًا وَلا فَارّا بِدَمٍ وَلا بِخَرْبَةٍ[1]"[2].

<u>أما أدلة المذهب الأول:</u>

١) قول النبي (صلى الله عليه وسلم) "فلا يحل لأحد أن يسفك بها دمًا".

٢) قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنًا﴾.

وقوله تعالى : ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا﴾ .

٣) وأما حديث «إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًّا بدم» فالقول: أنه لا يعيذه من عذاب الله، ولكن يعيذه من القصاص في الدنيا ، طالما بقي في الحرم.

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) زاد المعاد لابن القيم.

٤) وأما كون النبي صلى الله عليه وسلم قتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، فهذا كان في الساعة التي أحلت فيها مكة للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم عادت حرمتها كما كانت.

<u>والحالة الثانية لما يباح في غير مكة، ولا يباح فيها:</u>

فهم الجماعة الخارجون على الإمام .خصوصًا إذا كان لهم تأويل، من أمثلة ذلك: عبد الله بن الزبير عندما لجأ إلى الحرم فقاتله الحجاج وقد استند فريق الحجاج إلى حديث «إن الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًّا بدم» وهو استناد باطل، فالصحيح أنهم لا يُقاتَلون فى مكة.

<u>الحالة التي يباح فيها القصاص في مكة:</u>

هي حالة الجاني الذي ارتكب الجناية في داخل الحرم .بخلاف الذي ارتكب ذلك خارجه ثم لجأ إليه.

<u>قال ابن القيم:</u>

« فَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ ، حَدّثَنَا عَبْدُ الرّزّاقِ ، حَدّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قَالَ:

مَنْ سَرَقَ أَوْ قَتَلَ فِي الْحِلّ ثُمّ دَخَلَ الْحَرَمَ ، فَإِنّهُ لا يُجَالَسُ وَلا يُكَلّمُ وَلا يُؤْوَى، وَلَكِنّهُ يُنَاشَدُ حَتّى يَخْرُجَ فَيُؤْخَذُ فَيُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدّ.

وَإِنْ سَرَقَ أَوْ قَتَلَ فِي الْحَرَمِ ، أُقِيمَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ.

وَذَكَرَ الأَثْرَمُ، عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ أَيْضًا: مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فِي الْحَرَمِ، أُقِيمَ عَلَيْهِ مَا أَحْدَثَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ وَقَدْ أَمَرَ اللّهُ سُبْحَانَهُ بِقَتْلِ مَنْ قَاتَلَ فِي الْحَرَمِ ، فَقَالَ: {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} (الْبَقَرَةَ ١٩١).

<u>وَالْفَرْقُ بَيْنَ اللاجِئِ إلى الحرم وَالْمُنْتَهِكِ فِي داخل الحرم مِنْ وُجُوهٍ:</u>

أَحَدُهَا : أَنّ الْجَانِيَ فِيهِ هَاتِكٌ لِحُرْمَتِهِ بِإِقْدَامِهِ عَلَى الْجِنَايَةِ فِيهِ، بِخِلافِ مَنْ جَنَى خَارِجَهُ ثُمّ لَجَأَ إِلَيْهِ، فَإِنّهُ مُعَظّمٌ لِحُرْمَتِهِ مُسْتَشْعِرٌ بِهَا بِالْتِجَائِهِ إِلَيْهِ، فَقِيَاسُ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ بَاطِلٌ.

الثّانِي : أَنّ الْجَانِيَ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ الْمُفْسِدِ الْجَانِي عَلَى بِسَاطِ الْمَلِكِ فِي دَارِهِ وَحَرَمِهِ، وَمَنْ جَنَى خَارِجَهُ ثُمّ لَجَأَ إِلَيْهِ فَإِنّهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ جَنَى خَارِجَ بِسَاطِ السّلْطَانِ وَحَرَمِهِ ثُمّ دَخَلَ إِلَى حَرَمِهِ مُسْتَجِيرًا.

الثّالِثُ: أَنّ الْجَانِيَ فِي الْحَرَمِ قَدْ انْتَهَكَ حُرْمَةَ اللّهِ سُبْحَانَهُ وَحُرْمَةَ بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ فَهُوَ هَاتِكٌ لِحُرْمَتَيْنِ بِخِلافِ غَيْرِهِ.
الرّابِعُ: أَنّهُ لَوْ لَمْ يُقَمْ الْحَدّ عَلَى الْجُنَاةِ فِي الْحَرَمِ ، لَعَمّ الْفَسَادُ وَعَظُمَ الشّرّ فِي حَرَمِ اللّهِ فَإِنّ أَهْلَ الْحَرَمِ كَغَيْرِهِمْ فِي الْحَاجَةِ إلَى صِيَانَةِ نُفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرَعْ الْحَدّ فِي حَقّ مَنْ ارْتَكَبَ الْجَرَائِمَ فِي الْحَرَمِ ، لَتَعَطّلَتْ حُدُودُ اللّهِ وَعَمّ الضّرَرُ لِلْحَرَمِ وَأَهْلِهِ .
والخامسُ: أنَّ اللاجئَ إلى الْحَرَمِ بِمَنْزِلَةِ التّائِبِ الْمُتَنَصّلِ اللاجِئِ إلَى بَيْتِ الرّبّ تَعَالَى ، الْمُتَعَلّقِ بِأَسْتَارِهِ، فَلا يُنَاسِبُ حَالُهُ وَلا حَالُ بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ أَنْ يُهَاجَ بِخِلَافِ الْمُقْدِمِ عَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَتِهِ فَظَهَرَ سِرّ الْفَرْقِ وَتَبَيّنَ أَنّ مَا قَالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ هُوَ مَحْضُ الْفِقْهِ»[1].

إسلام فضالة . من دلائل النبوة:

٨٤٢- « قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدّثَنِي (من أثق به من أهل الرواية): أَنّ فَضَالَةَ بْن عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوّحِ اللّيْثِيّ أَرَادَ قَتْلَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ.
فَلَمّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَفَضَالَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ: مَاذَا كُنْت تُحَدّثُ بِهِ نَفْسَك؟ قَالَ: لا شَيْءَ، كُنْت أَذْكُرُ اللّهَ. قَالَ: فَضَحِكَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، ثُمّ قَالَ: اسْتَغْفِرْ اللّهَ، ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ.

فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاَللّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا مِنْ خَلْقِ اللّهِ شَيْءٌ أَحَبّ إلَيّ مِنْهُ.
قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْت إلَى أَهْلِي فَمَرَرْت بِامْرَأَةٍ كُنْت أَتَحَدّثُ إلَيْهَا، فَقَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ! فَقُلْت: لا ، وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْت لا ... يَأْبَى عَلَيْك اللّهُ وَالإِسْـــلامُ
لَوْمَا رَأَيْتِ مُحَمّدًا وَقَبِيـــــلَهُ ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسّرَ الأَصْـنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللّهِ أَضْحَى بَيّـــنًا ... وَالشّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلامُ»[2]

---

[1] زاد المعاد (٢٦٥/٢).
[2] سيرة ابن هشام ٣٢٣/٤ ونلاحظ أنه من رواية ابن هشام عن غير ابن إسحاق ممن يثق به من أهل العلم عن الزهري وقدرواها ابن القيم في (زاد المعاد) وابن حجر في الإصابة وعزاه إلي ابن عبد البر.

أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس (صلى الله عليه وسلم) يتفضل على صفوان بالأمان:

٨٤٣- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرٍ . عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ، قَالَ:

خَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ يُرِيدُ جُدّةَ لِيَرْكَبَ مِنْهَا إلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ: يَا نَبِيّ اللّهِ، إنّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيّةَ سَيّدُ قَوْمِهِ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْك، لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، فَأَمّنْهُ، صَلّى اللّهُ عَلَيْك. قَالَ: هُوَ آمِنٌ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ فَأَعْطِنِي آيَةً يَعْرِفُ بِهَا أَمَانَك؛ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِمَامَتَهُ الّتِي دَخَلَ فِيهَا مَكّةَ، فَخَرَجَ بِهَا عُمَيْرٌ حَتّى أَدْرَكَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْبَحْرِ.

فَقَالَ: يَا صَفْوَانُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمّي، اللّهَ اللّهَ فِي نَفْسِك أَنْ تُهْلِكَهَا. فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ جِئْتُك بِهِ، قَالَ: وَيْحَك، اُغْرُبْ عَنّي فَلا تُكَلّمْنِي، قَالَ: أَيْ صَفْوَانُ! فِدَاك أَبِي وَأُمّي: أَفْضَلُ النّاسِ وَأَبَرّ النّاسِ وَأَحْلَمُ النّاسِ وَخَيْرُ النّاسِ، ابْنُ عَمّك ، عِزّهُ عِزّك ، وَشَرَفُهُ شَرَفُك وَمُلْكُهُ مُلْكُك ؟ قَالَ: إنّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي ، قَالَ: هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَاكَ وَأَكْرَمُ. فَرَجَعَ مَعَهُ حَتّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَقَالَ صَفْوَانُ: إنّ هَذَا يَزْعُمُ أَنّك قَدْ أَمّنْتَنِي، قَالَ: صَدَقَ. قَالَ: فَاجْعَلْنِي فِيهِ بِالْخِيَارِ شَهْرَيْنِ؟ قَالَ أَنْتَ بِالْخِيَارِ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»[1].

هل يبقى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة ويترك الأنصار؟:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه حديثًا طويلًا جاء فيه:

٨٤٤- « فَقَالَتْ الأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَجَاءَ الْوَحْيُ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لا يَخْفَى عَلَيْنَا، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ.

فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! قَالُوا لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: قُلْتُمْ أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، قَالُوا قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ كَلا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ

[1] أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب، وقال ابن عبد البر، شهرة هذا الحديث أقوى من إسناده (عن دار الحديث).

وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَا الضِّنَّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ»[1].

البيعة بعد الفتح:

جلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الصفا، يبايع الرجال ثم النساء بعد فتح مكة.

جاء في السيرة النبوية لابن كثير:

٨٤٥- « عن الإمام أحمد: عن الأسود بن خلف أنه:

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناس يوم الفتح، قال: جلس عند قرْنٍ، مستقبِلَهُ، فبايع الناس على الإسلام والشهادة. قلت: وما الشهادة ؟ قال: بايعهم على الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله» تفرد به أحمد.

٨٤٦- وعند البيهقى: فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة.

٨٤٧- وقال ابن جرير: "ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا.

قال: فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء، وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها لما كان من صنيعها بحمزة، فهى تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدثها ذلك، فلما دَنَيْنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعهن قال: "بايعنى على ألا تشركن بالله شيئا" فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال.

"ولا تسرقن" فقالت: والله إنى كنت أصبت من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة، وما كنت أدرى أكان ذلك علينا حلالًا أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهدًا لما تقول: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):"وإنك لهند بنت عتبة ؟" قالت: نعم فاعف عما سلف، عفا الله عنك.

ثم قال: "ولا يزنين" فقالت: يا رسول الله! وهل تزني الحرة؟.

---

[1] رواه مسلم برقم ٣٣٣١ ، ٣٣٣٢ ترقيم العالمية.

ثم قال: "ولا تقتلن أولادكن" قالت: قد ربيناهم صغارا أفنقتلهم كبارا؟ فأنت وهم أعلم! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق.

ثم قال: "ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن" فقالت: والله إن إتيان البهتان لَقَبيح، وَلَبعضُ التجاوُزِ أَمْثَلُ.

ثم قال: "ولا يعصيننى" فقالت: في معروف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: "بايعهن واستغفر لهن الله، إن الله غفور رحيم"، فبايعهن عمر.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه".

** وثبت في الصحيحين، "عن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت: لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط".

وفى رواية: ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول: "إنما قولى لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة".

وفى الصحيحين عن عائشة، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفيني ويكفى بنى، فهل على من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ قال: "خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك".

٨٤٩- وروى البيهقي عن عائشة:

"أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خباء - أحب إليَّ من أن يذلوا من أهل أخبائك - أو خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خباء أحب إليَّ من أن يَعِزُّوا من أهل أخبائك أو خبائك".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأيضًا والذى نفس محمد بيده"[١].

---

[١] السيرة النبوية لابن كثير ج٣/ص٦٠٣ المكتبة الشاملة.

في رحاب الفتح الأعظم: الثقة بنصر الله

لقد وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذا النصر والفتح، وبفتح فارس والشام واليمن، وكانت الدعوة الإسلامية في أصعب الظروف، قال ذلك لخباب بن الأرتّ في مكة حينما مرّ عليه خباب وهو يعذب في ظل الكعبة.

قال خباب: يا رسول الله! ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا؟ فأمرهم بالصبر، وقال: والله ليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر ؛حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله تعالى والذئب على غنمه.. ولكنكم تستعجلون.

وفعل ذلك حينما جاءت الأحزاب وحاصرت المدينة وزُلْزِلَ المؤمنون زلزالًا شديدًا، ولما جاءه نقض قريظة العهد كبَّر وبشَّرَ بنصر الله، يجب أن يعي المؤمنون هذا جيدًا.

والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة في أكثر من آية قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾.

وقال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾

وقال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾.

وغير ذلك من الآيات الكريمات التي إذا تدبرها المؤمن؛ هدأت نفسه ونزلت عليه السكينة، مهما تكالب الكفر وقويت شوكة الأعداء، ومهما أصاب المسلمين من ضعف.. عليه أن يجاهد، ويعمل، ويثق بنصر الله، سبحانه ينصر من يشاء، ينصر المستحق للنصر، وقتما يشاء سبحانه، وحينما يكون المسلمون أهلًا للنصر والتمكين.

يجب أن يكون هذا حال أهل الإيمان.

أما الماديون فلا يرون من الأمور إلا ظواهرها، يرجفون في المدينة ويخيفون الناس، ويقولون: انظروا: اليهود يملكون كذا وكذا، والغرب عنده من المال والاقتصاد والسلاح كذا وكذا ، وانظروا حال البلاد العربية والإسلامية وما وصلت إليه من ضعف ومهانة، وهؤلاء لا يقدمون حلولًا للأمة إلا التبعية والصغار والمذلة.

وماذا بعد الفتح ؟

هدم الأصنام:

سرية خالد بن الوليد لهدم العزى:

(٢٥ من رمضان)

قال ابن القيم:

٨٥٠- « فَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزّى لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِيَهْدِمَهَا فَخَرَجَ إلَيْهَا فِي ثَلاثِينَ فَارِسًا مِنْ أَصْحَابِهِ حَتّى انْتَهَوْا إلَيْهَا فَهَدَمَهَا، ثُمّ رَجَعَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ " قَالَ: لا. قَالَ: "فَإِنّكَ لَمْ تَهْدِمْهَا فَارْجِعْ إلَيْهَا فَاهْدِمْهَا".

فَرَجَعَ خَالِدٌ وَهُوَ مُتَغَيّظٌ فَجَرّدَ سَيْفَهُ، فَخَرَجَتْ إلَيْهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ نَاشِرَةُ الرّأْسِ، فَجَعَلَ السّادِنُ يَصِيحُ بِهَا، فَضَرَبَهَا خَالِدٌ فَجَزَلَهَا بِاثْنَتَيْنِ.

وَرَجَعَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: "نَعَمْ تِلْكَ الْعُزّى وَقَدْ أَيِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ فِي بِلادِكُمْ أَبَدًا"، وَكَانَتْ بِنَخْلَةَ وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَجَمِيعِ بَنِي كِنَانَةَ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ أَصْنَامِهِمْ وَكَانَ سَدَنَتُهَا بَنِي شَيْبَانَ»[1].

عمرو بن العاص إلى سواع:

قال ابن القيم:

٨٥٢- « ثُمّ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إلَى سُوَاعٍ وَهُوَ صَنَمٌ لِهُذَيْلٍ لِيَهْدِمَهُ قَالَ عَمْرٌو: فَانْتَهَيْتُ إلَيْهِ وَعِنْدَهُ السّادِنُ، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قُلْتُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَهْدِمَهُ، فَقَالَ: لا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قُلْت: لِمَ ؟ قَالَ: تُمْنَعُ.

قُلْتُ: حَتّى الآنَ أَنْتَ عَلَى الْبَاطِلِ؟ وَيْحَك فَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ؟ قَالَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَكَسَرْته، وَأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوا بَيْتَ خِزَانَتِهِ، فَلَمْ نَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، ثُمّ قُلْتُ لِلسّادِنِ كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ قَالَ أَسْلَمْتُ لِلّهِ»[2].

---

[1] زاد المعاد. وسيرة ابن هشام.

[2] الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٤٥ ، ١٤٦ (تخريج دار الحديث).

هدم مناة:

٨٥٣- « ثُمّ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الأَشْهَلِيّ إلَى مَنَاةَ وَكَانَتْ بِالْمُشَلّلِ عِنْد قُدَيْدٍ لِلأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَغَسّانَ وَغَيْرِهِمْ.

فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا حَتّى انْتَهَى إلَيْهَا وَعِنْدَهَا سَادِنٌ، فَقَالَ السّادِنُ: مَا تُرِيدُ؟ قُلْتُ: هَدْمَ مَنَاةَ قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي إلَيْهَا. وَتَخْرُجُ إلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةُ سَوْدَاءُ ثَائِرَةُ الرّأْسِ تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا، فَقَالَ لَهَا السّادِنُ: مَنَاةُ دُونَكِ بَعْضَ عُصَاتِك، فَضَرَبَهَا سَعْدٌ فَقَتَلَهَا، وَأَقْبَلَ إلَى الصّنَمِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَهَدَمَهُ وَكَسَرُوهُ، وَلَمْ يَجِدُوا فِي خِزَانَتِهِ شَيْئًا»[١].

سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة:

قال ابن القيم:

٨٥٤- « قَالَ ابْنُ سَعْدٍ[٢]: وَلَمّا رَجَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ هَدْمِ الْعُزّى وَرَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُقِيمٌ بِمَكّةَ بَعَثَهُ إلَى بَنِي جُذَيْمَةَ دَاعِيًا إلَى الإِسْلامِ وَلَمْ يَبْعَثْهُ مُقَاتِلا فَخَرَجَ فِي ثَلاثمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَبَنِي سُلَيْمٍ.

فَانْتَهَى إلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : مُسْلِمُونَ قَدْ صَلّيْنَا وَصَدّقْنَا بِمُحَمّدٍ وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَتِنَا وَأَذّنّا فِيهَا. قَالَ: فَمَا بَالُ السّلاحِ عَلَيْكُمْ ؟ قَالُوا : إنّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنْ الْعَرَبِ عَدَاوَةً فَخِفْنَا أَنْ تَكُونُوا هُمْ - وَقَدْ قِيلَ إنّهُمْ قَالُوا صَبَأْنَا وَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا – قَالَ: فَضَعُوا السّلاحَ فَوَضَعُوهُ.

فَقَالَ لَهُمْ: اسْتَأْسِرُوا ، فَاسْتَأْسَرَ الْقَوْمُ.

فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتّفَ بَعْضًا وَفَرّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمّا كَانَ فِي السّحَرِ نَادَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : مَنْ كَانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيَضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَأَمّا بَنُو سُلَيْمٍ فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَأَمّا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فَأَرْسَلُوا أَسْرَاهُمْ فَبَلَغَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا صَنَعَ خَالِدٌ فَقَالَ: "اللّهُمّ إنّي أَبْرَأُ إلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خَالد" وَبَعَثَ عَلِيّا يُودِي لَهُمْ قَتْلاهُمْ وَمَا ذَهَبَ مِنْهُمْ.

---

[١] انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٤٦/٢، ١٤٧ تخريج دار التقوى.

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد ١٤٧/٢، ١٤٨ تخريج دار التقوى.

وَكَانَ بَيْنَ خَالِدٍ وَعَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلامٌ وَشَرّ فِي ذَلِكَ فَبَلَغَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: "مَهْلا يَا خَالِدُ دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، فَوَاَللّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلا رَوْحَتَهُ"[١].

وروى البخاري هذه الواقعة عن ابن عمر رضي الله عنهما:

٨٥٥- « قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ.

حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ، أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقَالَ:

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ"[٢].

تعقيب ودلالات وعظات:

- إنها قصة موجعة مؤلمة، أن يتصور المرء قبيلة مسلمة تقتل بهذه الكيفية الشنيعة بعد أن تضع سلاحها، ويصبح مقاتلوها أسرى. وقول ابن عمر رضي الله عنه: فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا ، هذا القول يعني أن ابن عمر علم أنهم مسلمون، وأن هذه اللفظة: صبأنا ،خطأ منهم، جريًا على تسمية العرب لمن ترك دينه إلى دين آخر (صبأ) وكانوا يقولون لمن أسلم (صبأ).

لقد فهمها ابن عمر، ولم يفهمها خالد، وهو قد أخطأ قطعًا ،ولم يتعمد قتلهم وهم مسلمون.

- لكن خطأ خالد رضي الله عنه مرجعه إلى أمرين:

١) طبيعة عسكرية بحتة في شخصيته تجعله يغلب جانب الشدة على اللين، وجانب الحذر العسكري على جانب الحذر الإنساني والحذر الديني.

---

[١] أخرجه البخاري ٥/ ١٠ وأحمد ٣/ ١١

[٢] رواه البخاري ٣٩٩٤ ترقيم العالمية.

٢) ومرجعه أيضًا إلى أن خالدًا لم يتلق تربية إسلامية تجعله مستوعبًا لكل قواعد الإسلام وأخلاقياته، ورحمته في معاملة الإنسان والطير والحيوان، مثل ابن عمر وابن عوف والمهاجرين والأنصار.

- وعليه، ننبه هنا إلى أن المجاهدين المسلمين في كل زمان ومكان عليهم -قبل حمل السلاح- أن يتلقوا القسط الضروري جدًّا من أحكام الإسلام وعلومه، في كافة المناحي ،وخصوصًا المناحي العسكرية وحرمة الدماء ومعاملة الأسير وغيرها، كما أن على علماء الإسلام أن يشمِّروُا لتربية المجاهدين على الأخلاق الإسلامية، والأخذ بقسط وافر من القرآن، والتزام السنن في العبادات والمعاملات والجهاد والحروب، وكذلك تشمل التربية الإسلامية: التربية على الزهد والرقائق وتَذَكُّرِ اليومِ الآخر وموقف الحساب بين يدي رب الأرباب.
- تصرف النبي صلى الله عليه وسلم برفع يديه بالدعاء "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" يوحي بهذه المعاني وأكثر منها، فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجز الكلمات، وعلينا أن نفصلها.
- كما أنه لم يترك الحقوق تضيع هباء ، فأرسل سيدناعليًّا؛ليدفع ديات المقتولين خطأ.

الفصل التاسع:

غزوة حنين:

في شوال سنة ثمان

تمهيد:

إن رحلة الصراع الطويلة بين الإسلام والشرك، بين المسلمين والمشركين، كانت فيها قريش مركز الصراع في المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ففى المرحلة المكية عاش المسلمون والمشركون من قريش في بلد واحد؛ فكان هذا سببا للمواجهة مكانيًا.

أما السبب الأكبر للصراع فهو كون قريش هم أهل البلد الحرام، وهم الحراس على الوثنية؛ لإقامتهم في البلد الحرام ولكونهم نسل إسماعيل عليه السلام.

وأما في المدينة فلقد انتهى عنصر المكان، وعاش المسلمون في بلد بعيد، لكن ظلت قريش تحمل لواء الحرب ضد المسلمين.

في المدينة: ظهر أعداء جدد- وهم اليهود وقبائل جزيرة العرب المتفرقة هنا وهناك.

- في غزوة الأحزاب انضم لقريش واحدة من أكبر القبائل (غطفان) .
- وبعد فتح مكة بقيت من القبائل الكبيرة [هوازن ، وثقيف] وهاتان القبيلتان هم اللتان اجتمعتا لحرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم؟ في غزوة حنين، ومعهم بعض البطون الأخرى.

تفصيل جيش المشركين (عن ابن إسحاق):

١- هوازن- وزعيمهم مالك بن عوف النصري (ومنازلهم شرق مكة) .

٢- ثقيف كلها – ومساكنهم في الطائف (وهي إلى الجنوب من مكة).

٣- انضم إليهم قبائل نصر وجشم وسعد بن بكر (الذين استرضع فيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في طفولته) وناس من بني هلال وهم قليل.

٤- غاب عنهم من هوازن : كعب ، وكلاب.

٥- حضر من جشم دريد بن الصِمَّة: شيخ كبير مجرب للحروب.

وكانت القيادة العامة لمالك بن عوف النصري.

تاريخ الغزوة:

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين في ٦ شوال.

وفي روايات في ٢٨ رمضان.

وجمع بعضهم (كما قال ابن حجر) بأنه بدأ الخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره.

ومعلوم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دخل مكة في ١٧رمضان (وقيل في ٢٠ رمضان) فيكون بقاؤه فيها ١٩ يومًا حتى خرج إلى حنين (وقيل خمسة عشر يومًا).

عدد الجيش الإسلامي:

(١٢) ألف مقاتل: منهم عشرة آلاف ممن كانوا معه في فتح مكة، وألفان من أهل مكة (الطلقاء) الذين أسلموا بعد الفتح.

العدو بأوطاس بجوار حنين:

وأوطاس غير حنين ،بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا من جهة عرفات.

الحوار بين دُرّيْد ومالك بن عوف:

قال ابن إسحاق:

٨٥٦- « وَجِمَاعُ أَمْرِ النّاسِ إلَى مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النّصْرِيّ، فَلَمّا أَجْمَعَ السّيْرَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَطّ مَعَ النّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، فَلَمّا نَزَلَ بِأَوْطَاسٍ اجتمعَ إليهِ الّنَاسُ وفيهمْ دُرَيْدُ بْنُ الصّمّةِ فِي شِجَارٍ لَهُ[١] يُقَادُ بِهِ.

فَلَمّا نَزَلَ قَالَ: بِأَيّ وَادٍ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا: بِأَوْطَاسٍ قَالَ نِعْمَ مَجَالُ الْخَيْلِ لا حَزْنٌ ضِرْسٌ[٢] وَلا سَهْلٌ دَهْسٌ، مَا لِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ وَبُكَاءَ الصّغِيرِ وَيُعَارَ الشّاءِ؟ قَالُوا: سَاقَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مَعَ النّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ. قَالَ: أَيْنَ مَالِكٌ؟ قِيلَ: هَذَا مَالِكٌ وَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ:

يَا مَالِكُ إنّك قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِك ، وَإِنّ هَذَا يَوْمٌ كَائِنٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ الأَيّامِ، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ وَبُكَاءَ الصّغِيرِ وَيُعَارَ الشّاءِ؟ قَالَ: سُقْت مَعَ النّاسِ أَمْوَالَهُمْ

---

[١] شجار: هودج مكشوف من أعلى.

[٢] حزن: مرتفع من الأرض. ضرس: به حجارة محددة (حادة ومدببة).

وَأَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. قَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: أَرَدْت أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ.

قَالَ: فَأَنْقَضَ بِهِ[1]. ثُمّ قَالَ: رَاعِي ضَأْنٍ وَاَللّهِ!! وَهَلْ يَرُدّ الْمُنْهَزِمَ شَيْءٌ؟ إنّهَا إنْ كَانَتْ لَك لَمْ يَنْفَعْك إلا رَجُلٌ بِسلاحه، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْك فُضِحْت فِي أَهْلِك وَمَالِك.

ثُمّ قَالَ: مَا فَعَلَتْ كَعْبٌ وَكِلابٌ؟ قَالُوا : لَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَالَ: غَابَ الْحَدّ وَالْجِدّ، وَلَوْ كَانَ يَوْمَ عَلاءٍ وَرِفْعَةٍ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ كَعْبٌ وَلا كِلابٌ، وَلَوَدِدْتُ أَنّكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلَتْ كَعْبٌ وَكِلابٌ، فَمَنْ شَهِدَهَا مِنْكُمْ؟ قَالُوا: عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: ذَانِكَ الْجَذَعَانِ[2] مِنْ عَامِرٍ لا يَنْفعَانِ وَلا يَضُرّانِ... يَا مَالِكُ إنّك لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ بَيْضَةِ هَوَازِنَ إلَى نُحُورِ الْخَيْلِ شَيْئًا، ارْفَعْهُمْ إلَى مُتَمَنّعِ بِلادِهِمْ وَعُلْيَا قَوْمِهِمْ ثُمّ الْقَ الصّبَاءَ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ فَإِنْ كَانَتْ لَك لَحِقَ بِك مَنْ وَرَاءَك، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْك أَلْفَاك ذَلِكَ قَدْ أَحْرَزْت أَهْلَك وَمَالَك.

قَالَ وَاَللّهِ لا أَفْعَلُ ذَلِكَ إنّك قَدْ كَبِرْت وَكَبِرَ عَقْلُك . وَاَللّهِ لَتُطِيعُنّنِي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ أَوْ لأَتّكِئَنّ عَلَى هَذَا السّيْفِ حَتّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ بْنِ الصّمّةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ ؟ فَقَالُوا : أَطَعْنَاك ، فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصّمّةِ : هَذَا يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَفُتْنِي :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ ... أَخُبّ فِيهَا وَأَضَعْ

أَقُودُ وَطْفَاءَ الزّمَعْ ... كَأَنّهَا شَاةٌ صَدَعْ»[3]

عيون مالك ترى الملائكة:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨٥٧- «وَحَدّثَنِي أُمَيّةُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ أَنّهُ حَدّثَ أَنّ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عُيُونًا مِنْ رِجَالِهِ ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تَفَرّقَتْ أَوْصَالُهُمْ فَقَالَ وَيْلَكُمْ مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا رَأَيْنَا رِجَالا بِيضًا عَلَى خَيْلٍ بُلْقٍ، فَوَاَللّهِ مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ . أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاَللّهِ مَا رَدّهُ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ أَنْ مَضَى عَلَى مَا يُرِيد»[4].

---

[1] فأنقض به : زجره.

[2] الجذَعان: الجذَع هو الصغير من الضأن . الجذَعان: أي الضعيفان.

[3] سيرة ابن هشام ٤/٣٣٩-٣٤١ عن ابن إسحاق مرسلًا بدون إسناد.

[4] سيرة ابن هشام ٤/٣٤١

أبو حدرد الأسلمي عينًا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم):

قال الحافظ في الفتح:

٨٥٨- « وَلأَبِي دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَن مِنْ حَدِيث سَهْل اِبْن الْحَنْظَلِيَّة:

"أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْر، فَجَاءَ رَجُل فَقَالَ: إِنِّي اِنْطَلَقْت مِنْ بَيْن أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْت جَبَل كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِن عَنْ بَكْرَة أَبِيهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ قَدْ اِجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: تِلْكَ غَنِيمَة الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى".

وَعِنْد اِبْن إِسْحَاق مِنْ حَدِيث جَابِر مَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّجُل هُوَ عَبْد اللَّه بْن أَبِي حَدْرَد الأَسْلَمِيّ »[1].

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨٥٩- « وَلَمّا سَمِعَ بِهِمْ نَبِيّ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ إلَيْهِمْ عَبْدَ اللّهِ بْنَ أَبِي حَدْرَدٍ الأَسْلَمِيّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النّاسِ فَيُقِيمَ فِيهِمْ حَتّى يَعْلَمَ عِلْمَهُمْ ثُمّ يَأْتِيَهُ بِخَبَرِهِمْ . فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ فَدَخَلَ فِيهِمْ، فَأَقَامَ فِيهِمْ حَتّى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَسَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَأَمْرِ هَوَازِنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، ثُمّ أَقْبَلَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ»[2].

لن نغلب اليوم من قلة:

هذه هي المقولة التي اختلف الرواة في قائلها، وهل هي سبب عتاب المولى عز وجل في القرآن (ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم).

قال الحافظ ابن حجر:

٨٦٠- « قَوْله : (وَيَوْم حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتكُمْ): رَوَى يُونُس بْن بُكَيْر فِي "زِيَادَات الْمَغَازِي" عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس قَالَ: قَالَ رَجُل يَوْم حُنَيْنٍ "لَنْ نُغْلَب الْيَوْم مِنْ قِلَّة" ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَة»[3].

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب قوله (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم).

(٢) سيرة ابن هشام ٣٤١/٤

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،نفس الباب.

٨٦١- « وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ مَكّةَ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ حِينَ فَصَلَ مِنْ مَكّةَ إلَى حُنَيْنٍ ، وَرَأَى كَثْرَةَ مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِ اللّهِ: "لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلّة" قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَزَعَمَ بَعْضُ النّاسِ أَنّ رَجُلا مِنْ بَنِي بَكْرٍ قَالَهَا»[1].

تعقيب:

لا يمكن أن نتصور أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يمكن أن يداخله شعور أن الكثرة تسبب النصر، وأن القِلةّ سبب للهزيمة، ولو ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها (لن نغلب اليوم من قلة) فيكون معني (من) أي بسبب القلة ، فالعدد اليوم كثير مقرونًا بجيوش المسلمين المنتصرة بأعداد أقل في الغزوات السابقة، لكن لو هُزِمْنا فسيكون ذلك بسبب آخر:كالغرور مثلًا أو وجود الطلقاء حديثي العهد بالإسلام.

أما لو ثبت أن غيره قالها ـ كما عند ابن حجر ـ فيمكن أن يكون فهما خاطئًا لرجل من المسلمين

(فشقَّ ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم)، وهو الأرجح منطقًا وعقلًا، والأقوى سندًا ،والله أعلم.

استعارة الأدراع من صفوان:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨٦٢- « فَلَمّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ السّيْرَ إلَى هَوَازِنَ لِيَلْقَاهُمْ ذُكِرَ لَهُ أَنّ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ أَدْرَاعًا لَهُ وَسِلاحًا، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ. فَقَالَ: "يا أَبَا أُمَيّةَ أَعِرْنَا سِلاحَك هَذَا نَلْقَ فِيهِ عَدُوّنَا غَدًا"، فَقَالَ صَفْوَانُ: أَغَصْبًا يَا مُحَمّدُ؟ قَالَ: "بَلْ عَارِيَةٌ وَمَضْمُونَةٌ حَتّى نُؤَدّيَهَا إلَيْك"، قَالَ: لَيْسَ بِهَذَا بَأْسٌ. فَأَعْطَاهُ مِئَةَ دِرْعٍ بِمَا يَكْفِيهَا مِنْ السّلاحِ. فَزَعَمُوا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَأَلَهُ أَنْ يَكْفِيَهُمْ حَمْلَهَا، فَفَعَلَ»[2].

بقايا الوثنية : ذات أنواط:

روى ابن إسحاق:

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٤٥/٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٤١/٤ وأخرجه أبو داود ٣٥٦٢/٣ والبيهقي والحاكم وأحمد وإسناده حسن (عن دار الحديث).

٨٦٣- « أَنّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيّةِ. قَالَ: فَسِرْنَا مَعَهُ إلَى حُنَيْنٍ ، قَالَ: وَكَانَتْ كُفّارُ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلّ سَنَةٍ فَيُعَلّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا ، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا.

قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً قَالَ: فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَبَاتِ الطّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "اللّهُ أَكْبَرُ!! قُلْتُمْ وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: "اجْعَلْ لَنَا إلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إنّهَا السّنَنُ لَتَرْكَبُنّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"»[١].

<u>استعدادات مُحكمة لمالك بن عوف:</u>

استعد المشركون جيدًا لهذا اللقاء ، فاستدرجوا المسلمين لوادٍ بين حنين وبين المسلمين، فكان على المسلمين أن يجتازوا هذا الوادي، وكان منحدرًا انحدارًا شديدًا، وكان المشركون مستعدين لذلك، فاختبأوا في شعاب الوادي ومضايقه؛ فكانت لهم الجولة الأولى، وتشتَّتَ المسلمون.

<u>روى ابن إسحاق:</u>

٨٦٤- « عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ: لَمّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ حَطُوطٍ إنّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا، قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصّبْحِ، وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إلَى الْوَادِي ، فَكَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمَضَايِقِهِ. وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيّئُوا وَأَعَدّوا ، فَوَاَللّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطّونَ إلا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدّوا عَلَيْنَا شَدّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَانْشَمَرَ النّاسُ رَاجِعِينَ لا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[٢].

٨٦٥- <u>وَفِي حَدِيث أَنَس عِنْد مُسْلِم قَالَ:</u>

---

[١] سيرة ابن هشام ٣٤٣/٤ إسناده صحيح ،وأخرجه الترمذي وأحمد وعبد الرزاق (من تخرج دار الحديث).

[٢]سيرة ابن هشام

"اِفْتَتَحْنَا مَكَّة ، ثُمَّ إِنَّا غَزَوْنَا حُنَيْنًا، قَالَ : فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ بِأَحْسَن صُفُوفٍ رَأَيْتُ: صَفُّ الْخَيْل ، ثُمَّ الْمُقَاتِلَةُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ مِنْ وَرَاء ذَلِكَ ، ثُمَّ الْغَنَم ثُمَّ النَّعَم . قَالَ : وَنَحْنُ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَعَلَى مَيْمَنَة خَيْلنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَجَعَلَتْ خَيْلنَا تَلُوذ خَلْف ظُهُورِنَا فَلَمْ نَلْبَث أَنْ اِنْكَشَفَتْ خَيْلُنَا وَفَرَّتْ الأَعْرَابُ وَمَنْ تَعْلَمُ مِنْ النَّاس"[1].

أحداث المعركة:

الثابتون والمنهزمون:

بقي النبي (صلى الله عليه وسلم)وحده في بعض مراحل الحرب:

روى البخاري عن أنس قال:

٨٦٦- " أَقْبَلَتْ هَوَازِن وَغَطَفَانَ بِذَرَارِيِّهِمْ وَنَعَمهمْ وَمَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَة آلاف وَمَعَهُ الطُّلَقَاء ، قَالَ : فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْده " الْحَدِيث»[2].

وحيث أن الأخبار تواترت ببقاء عدد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فَيُفْهَمُ من قوله (بقي وحده) كما قال ابن حجر: أي وحده مقبلًا متقدمًا على العدو والذين ثبتوا معه كانوا وراءه، وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة ونحوها..

أربعة :

قال الحافظ في الفتح:

٨٦٧- « وَعِنْد اِبْن أَبِي شَيْبَة مِنْ مُرْسَل الْحَكَم بْن عُتَيْبَة قَالَ : لَمَّا فَرَّ النَّاس يَوْم حُنَيْنٍ جَعَل النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول:

أَنَا النَّبِيّ لا كَذِب   أَنَا اِبْن عَبْد الْمُطَّلِب

فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ ، ثَلاثَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِم، وَرَجُل مِنْ غَيْرهمْ: عَلِيّ وَالْعَبَّاس بَيْن يَدَيْهِ، وَأَبُو سُفْيَان بْنُ الْحَارِث آخِذٌ بِالْعِنَانِ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ الْجَانِب الأَيْسَر . قَالَ : وَلَيْسَ يُقْبِل نَحْوه أَحَدٌ إِلا قُتِلَ»[3].

بين العشرة والمائة:

---

[1] جزء من حديث ١٧٥٦ صحيح مسلم ترقيم العالمية.

[2] جزء من حديث رقم ٣٩٩٢ صحيح البخاري . ترقيم العالمية.

[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ٣٩٧٣ . العالمية.

قال الحافظ في الفتح:

٨٦٨- « رَوَى التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث اِبْن عُمَر بِإِسْنَادٍ حَسَن قَالَ: " لَقَدْ رَأَيْتنَا يَوْم حُنَيْنٍ وَإِنَّ النَّاس لَمُوَلِّينَ ، وَمَا مَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَة رَجُل" وَهَذَا أَكْثَر مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَد مَنْ ثَبَتَ يَوْم حُنَيْنٍ .

وَرَوَى أَحْمَد وَالْحَاكِم مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " كُنْت مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْم حُنَيْنٍ فَوَلَّى عَنْهُ النَّاس؛ وَثَبَتَ مَعَهُ ثَمَانُونَ رَجُلا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار، فَكُنَّا عَلَى أَقْدَامنَا ، وَلَمْ نُوَلِّهِمْ الدُّبُر وَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِمْ السَّكِينَة".

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيّ فِي شَرْح مُسْلِم أَنَّهُ ثَبَتَ مَعَهُ اِثْنَا عَشَر رَجُلا فَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِمَّا ذَكَرَهُ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيثه أَنَّهُ ثَبَتَ مَعَهُ الْعَبَّاس وَابْنه الْفَضْل وَعَلِيّ وَأَبُو سُفْيَان بْن الْحَارِث وَأَخُوهُ رَبِيعَة وَأُسَامَة بْن زَيْد وَأَخُوهُ مِنْ أُمّه أَيْمَن اِبْن أُمّ أَيْمَن ، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْر وَعُمَر ، فَهَؤُلاءِ تِسْعَة ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْر اِبْن مَسْعُود فِي مُرْسَل الْحَاكِم فَهَؤُلاءِ عَشَرَة ، وَوَقَعَ فِي شِعْر الْعَبَّاس بْن عَبْد الْمُطَّلِب أَنَّ الَّذِينَ ثَبَتُوا كَانُوا عَشَرَة فَقَطْ »[1].

<u>كيف تجمع المائة حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):</u>

<u>قال ابن إسحاق:</u>

٨٦٩- « وَانْحَازَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَاتَ الْيَمِينِ ثُمّ قَالَ: أَيْنَ أَيّهَا النّاسُ؟ هَلُمّوا إلَيّ ، أَنَا رَسُولُ اللّهِ أَنَا مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ . قَالَ فَلا شَيْءَ حَمَلَتْ الإِبِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَانْطَلَقَ النّاسُ إلا أَنّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَفَرٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

وَفِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ، وَابْنُهُ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبّاس ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قُتِلَ يَوْمَئِذٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : اسْمُ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ جَعْفَرٌ وَاسْمُ أَبِي سُفْيَانَ الْمُغِيرَةُ وَبَعْضُ النّاسِ يَعُدّ فِيهِمْ قُثَمَ بْنَ الْعَبّاسِ ، وَلا يَعُدّ ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٣٤٣.

٨٧٠- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي الزّهْرِيّ ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ الْعَبّاسِ عَنْ أَبِيهِ الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ قَالَ:

إنّي لَمَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ آخِذٌ بِحَكَمَةِ بَغلتِهِ البيضاءَ قدْ شَجَرْتُها بِهَا، قَالَ: وَكُنْتُ امْرَأً جَسِيمًا شَدِيدَ الصّوْتِ، قَالَ: وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنْ النّاسِ: أَيْنَ أَيّهَا النّاسُ؟ فَلَمْ أَرَ النّاسَ يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ.

فَقَالَ: يَا عَبّاسُ أُصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ: يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السّمُرَةِ!! قَالَ: فَأَجَابُوا: لَبّيْكَ لَبّيْكَ. قَالَ: فَيَذْهَبُ الرّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ فَلا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَيَأْخُذُ دِرْعَهُ فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ وَيَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ وَيُخَلّي سَبِيلَهُ، فَيَؤُمّ الصّوْتَ حَتّى يَنْتَهِيَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، حَتّى إذَا اجْتَمَعَ إلَيْهِ مِنْهُمْ مِئَةٌ اسْتَقْبَلُوا النّاسَ فَاقْتَتَلُوا.

وَكَانَتْ الدّعْوَى أَوّلَ مَا كَانَتْ يَا لَلأَنْصَارِ، ثُمّ خَلَصَتْ أَخَيْرًا: يَا لَلْخَزْرَجِ. وَكَانُوا صُبُرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي رَكَائِبِهِ. فَنَظَرَ إلَى مُجْتَلَدِ الْقَوْمِ وَهُمْ يَجْتَلِدُونَ فَقَالَ الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ»[1].

من الثبات إلى النصر:

روى مسلم في صحيحه عن العباس رضي الله عنه:

٨٧١- "شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ.

فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ

---

[1] سيرة ابن هشام ٤/٣٤٥ والسمرة: اسم الشجرة التي كانت عندها البيعة.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ. فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلا صَيِّتًا: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلادِهَا، فَقَالُوا يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ. قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ[1] يَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. قَالَ ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ! يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ!»[2].

الرسول(صلى الله عليه وسلم) يقود المعركة ويتقدم الصفوف:

٨٧٢- قال: "فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، وفى رواية (قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ"[3].

من دلائل النبوة : الرمي بالحصى:

٨٧٣- « قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ (وفى رواية: انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ).

قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا (حَتَّى هَزَمَهُمْ اللَّهُ)»[4].

مركز الثبات والقيادة والدفع المعنوي:

روى مسلم أيضًا عن أنس بن مالك:

٨٧٤- « قَالَ: ... وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ عَشَرَةُ آلافٍ، وَمَعَهُ الطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ، حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ. قَالَ: فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. قَالَ: فَالْتَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ!! فَقَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ. قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ

[1] أي ينادي بعضهم بعضا للثبات والقتال.

[2] رواه مسلم برقم ٣٣٢٤ ترقيم العالمية. .

[3] تابع الحديث السابق.

[4] بقية الرواية السابقة.

عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ!! قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ. قَالَ: وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ فَنَزَلَ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ»[1].

<u>دلالات وعظات من ثباته (صلى الله عليه وسلم):</u>

في هذه الغزوة تحديدًا، حيث تعرض الجيش لكمين مفاجئ، وحيث انهزم الطلقاء وتشتتت صفوف المسلمين.. هنا يظهر الجانب الحربي من شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي لا يظهر كثيرًا في حياته (صلى الله عليه وسلم) التي تفيض حبًّا ورحمة، وعطفًا ورقة، مع أصحابه ومع الضعفاء من أعدائه : المرأة والطفل والشيخ الكبير والراهب في الصومعة.

<u>نعود إلى موقفنا هذا في حنين:</u>

تأتي لحظة يثبت فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) وحده حيث انهزم الناس، يقاتل، ويتقدم الصفوف ،وفي نفس الوقت ينظر يمينًاوشمالًا ينظر نظرة كلية على ساحة المعركة؛ ليعيد تنظيم جيشه، ويخص أصحاب النجدة والبأس ..السابقين إلى الإسلام المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وفي بعض الساعات يكون ثبات القائد ثبات أمة، وإنقاذًا لها من الهلكة..

ثبت وحده، ومعه أربعة ثم تسعة ثم اثنا عشر، ثم ثمانين ثم مائة لتكون هذه نواة يلتف حولها باقي الجيش الإسلامي ،وتتحول دفة المعركة.

<u>شماتة أبي سفيان وتعقل صفوان:</u>

<u>قال ابن إسحاق:</u>

٨٧٥- « فَلَمّا انْهَزَمَ النّاسُ وَرَأَى مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ جُفَاةِ أَهْلِ مَكّةَ الْهَزِيمَةَ تَكَلّمَ رِجَالٌ مِنْهُمْ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ الضّغْنِ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : لا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَإِنّ الأَزْلامَ لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ.

وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: كَلَدَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ – وَهُوَ مع أَخِيهِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ - مُشْرِكٌ فِي الْمُدّةِ الّتِي جَعَلَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَلا بَطَلَ السّحْرُ الْيَوْمَ. فَقَالَ لَهُ

---

(١) صحيح مسلم ١٧٥٦ ترقيم العالمية.

صَفْوَانُ: أُسْكُتْ فَضّ اللّهُ فَاكَ فَوَاَللّهِ لأَنْ يَرُبّنِي[1] رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبّ إلَيّ مِنْ أَنْ يَرُبّنِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ»[2]

عجيبة:

أبو سفيان الذي أسلم – يشمت لهزيمة المسلمين، وصفوان الذي لم يسلم يرى عكس ذلك تمامًا ، وهذا يوضح لنا: أن إسلام أبي سفيان والطلقاء كان يحتاج إلى تربية إيمانية، حتى يترسخ الإيمان في القلوب.

ويوضح أيضًا أن صفوان بن أمية الذي أعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الحرية للتفكير، قد أوصلته هذه الحرية إلى أن تنبت بذور الإسلام في قلبه.

نماذج من بلاء الرجال والنساء:

علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يقتلان حامل الراية:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨٧٦- «وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ، قَالَ وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ بِيَدِهِ رَايَةٌ سَوْدَاءُ فِي رَأْسِ رُمْحٍ لَهُ طَوِيلٍ أَمَامَ هَوَازِنَ، وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، إذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وَإِذَا فَاتَهُ النّاسُ رَفَعَ رُمْحَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ فَاتّبَعُوهُ .

قَالَ: بَيْنَا ذَلِكَ الرّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إذْ هَوَى لَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ وَرَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ خَلْفِهِ فَضَرَبَ عُرْقُوبَيْ الْجَمَلِ فَوَقَعَ عَلَى عَجُزِهِ، وَوَثَبَ الأَنْصَارِيّ عَلَى الرّجُلِ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَطَنّ قَدَمَهُ[3] بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَانْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ.

قَالَ: وَاجْتَلَدَ النّاسُ، فَوَاَللّهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتّى وَجَدُوا الأُسَارَى مُكَتّفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ»[4].

---

(١) فض الله فاك: كناية عن سقوط الأسنان ، دعاء عليه حتى لا يتكلم بمثل هذا الكلام.

(٢) يربني: يتولى أمري وقيادتي. وكلدة هذا أخو صفوان لأمه.

(٣) أَطَنَّ قدمه: أي قطعها بضربة لها صوت الطنين.

(٤) سيرة ابن هشام ٣٤٥/٤ وأخرجه أحمد في مسنده ٣٧٦/٣ وأبو يعلى والبزار ، وصححه الهيثمي في المجتمع ١٨٠/٦ (تخريج دار الحديث).

أم سليم - نموذج فذ:

حيث ينهزم الرجال ،تثبت أم سليم، بل وترد المنهزمين وتعتزم قتل من يفر من الساحة:

٨٧٧- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْتَفَتَ فَرَأَى أُمّ سُلَيْمٍ ابْنَةَ مِلْحَانَ وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ، وَهِيَ حَازِمَةٌ وَسَطَهَا بِبُرْدٍ لَهَا، وَإِنّهَا لَحَامِلٌ بِعَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَعَهَا جَمَلُ أَبِي طَلْحَةَ، وَقَدْ خَشِيَتْ أَنْ يَعُزّهَا الْجَمَلُ، فَأَدْنَتْ رَأْسَهُ مِنْهَا، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِزَامَتِهِ مَعَ الْخِطَامِ.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أُمّ سُلَيْمٍ؟ قَالَت: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللّهِ .. أُقْتُلْ هَؤُلاءِ الّذِينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْك كَمَا تَقْتُلُ الّذِينَ يُقَاتِلُونَك، فَإِنّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَوْ يَكْفِي اللّهُ يَا أُمّ سُلَيْمٍ ؟

قَالَ: وَمَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: مَا هَذَا الْخِنْجَرُ مَعَكِ يَا أُمّ سُلَيْمٍ؟ قَالَتْ: خِنْجَرٌ أَخَذْته، إنْ دَنَا مِنّي أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: أَلا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا تَقُولُ أُمّ سُلَيْمٍ الرّمَيْصَاءُ»[1].

أبو قتادة ينقذ مسلمًا ،ويجد ريح الموت:

٨٧٨- « قَالَ أَبُو قَتَادَةَ : رَأَيت يَوْمَ حُنَيْنٍ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ مُسْلِمًا وَمُشْرِكًا، قَالَ وَإِذَا رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُرِيدُ أَنْ يُعِينَ صَاحِبَهُ الْمُشْرِكَ عَلَى الْمُسْلِمِ . قَالَ: فَأَتَيْته ، فَضَرَبْت يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا، وَاعْتَنَقَنِي بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَوَاَللّهِ مَا أَرْسَلَنِي حَتّى وَجَدْت رِيحَ الدّمِ - وَيُرْوَى رِيحَ الْمَوْتِ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَكَادَ يَقْتُلُنِي ، فَلَوْلا أَنّ الدّمَ نَزَفَهُ لَقَتَلَنِي ، فَسَقَطَ فَضَرَبْتُه فَقَتَلْتُه ، وَأَجْهَضَنِي عَنْهُ الْقِتَالُ وَمَرّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ فَسَلَبَهُ.

فَلَمّا وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَفَرَغْنَا مِنْ الْقَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ قَتَلَ قَتِيلا فَلَهُ سَلَبُه، فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ وَاَللّهِ لَقَدْ قَتَلْت قَتِيلا ذَا سَلَبٍ فَأَجْهَضَنِي عَنْهُ الْقِتَالُ فَمَا أَدْرِي مَنْ اسْتَلَبَهُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللّهِ وَسَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ عَنّي مِنْ سَلَبِهِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: لا وَاَللّهِ لا يُرْضِيهِ مِنْهُ، تَعْمِدُ إلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللّهِ يُقَاتِلُ عَنْ دِينِ اللّهِ تُقَاسِمُهُ سَلَبَهُ؟! أُرْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ

---

[1] سيرة ابن هشام ٣٤٦/٤ وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد ١٤٤٢/٣، ١٤٤٣ (عن دار الحديث).

وَسَلّمَ: صَدَقَ أُرْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَهُ. فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَأَخَذْته مِنْهُ فَبِعْته ، فَاشْتَرَيْت بِثَمَنِهِ مَخْرَفًا ، فَإِنّهُ لأَوّلُ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي مَنْ لا أَتّهِمُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ إسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ لَقَدْ اسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَحْدَهُ عِشْرِينَ رَجُلا»[1].

انهزمت هوازن واستحر القتل في ثقيف (في بني مالك):

فقتل منهم سبعون رجلًا، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة الذي كان يبغض قريشًا..

قال ابن إسحاق:

٨٧٩- « وَلَمّا هَزَمَ اللّهُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ حُنَيْنٍ ، وَأَمْكَنَ رَسُولَهُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمْ قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ:

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللّهِ خَيْلَ اللاتِ ... وَاَللّهُ أَحَقّ بِالثّبَاتِ

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا انْهَزَمَتْ هَوَازِنُ اسْتَحَرّ الْقَتْلُ مِنْ ثَقِيفٍ فِي بَنِي مَالِكٍ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلا تَحْتَ رَايَتِهِمْ فِيهِمْ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَبِيعَةَ - وَكَانَتْ رَايَتُهُمْ مَعَ ذِي الْخِمَارِ فَلَمّا قُتِلَ أَخَذَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتّى قُتِلَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَأَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ وَهْبِ بْنِ الأَسْوَدِ قَالَ:

لَمّا بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَتْلُهُ قَالَ: "أَبْعَدَهُ اللّهُ فَإِنّهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشًا"[2].

خبر الأحلاف وبنو مالك من ثقيف:

ذكر ابن إسحاق في بداية الغزوة أنه شهدها من ثقيف سيدان:

- ذو الخمار حامل راية بني مالك.
- قارب بن الأسود حامل راية الأحلاف.

وقد قاتل ذو الخمار وبنو مالك ،حتى قتل منهم سبعون.

أما قارب، فقد فَرَّ هو وبنو عمه من الأحلاف فلم يقتل منهم غير رجلين:

- وهب (من بني غيرة)

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٤٧/٤ والحديث عند مسلم برقم ٣٢٩٥ لكن رواية ابن إسحاق أكثر تنسيقا.

(٢) ابن هشام ٣٤٨/٤ وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٩٩٠٤/١١ وقال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه يعقوب بن محمد الزهري وهو ضعيف وقد وثق.

- الجلاّح من بنى كُبَّة.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٨٨٠- « وَكَانَتْ رَايَةُ الأَحْلافِ مَعَ قَارِبِ بْنِ الأَسْوَدِ ، فَلَمّا انْهَزَمَ النّاسُ أَسْنَدَ رَايَتَهُ إلَى شَجَرَةٍ وَهَرَبَ هُوَ وَبَنُو عَمّهِ وَقَوْمُهُ مِنْ الأَحْلافِ، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْ الأَحْلافِ غَيْرُ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ مِنْ غِيَرَةَ يُقَالُ لَهُ وَهْبٌ، وَآخَرُ مِنْ بَنِي كُبّةَ يُقَال لَهُ الْجُلاحُ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ الْجُلاحِ: قُتِلَ الْيَوْمَ سَيّدُ شَبَابِ ثَقِيفٍ إلا مَا كَانَ مِنْ ابْنِ هُنَيْدَةَ يَعْنِي بِابْنِ هُنَيْدَةَ الْحَارِثَ بْنَ أُوَيْسٍ»[١].

تتبُّع فلول المنهزمين:

٨٨١- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَلَمّا انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ أَتَوْا الطّائِفَ وَمَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ بِأَوْطَاسٍ، وَتَوَجّهَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ تَوَجّهَ نَحْوَ نَخْلَةَ إلا بَنُو غِيَرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَتَبِعَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ سَلَكَ فِي نَخْلَةَ مِنْ النّاسِ وَلَمْ تَتْبَعْ مَنْ سَلَكَ الثّنَايَا».

استشهاد أبي عامر الأشعري في أوطاس:

٨٨٢- « روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ.

قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ[٢] فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ جُشَمِيٌّ[٣] بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى (أى أشار ناحية الجشمى وقال لأبى موسى:) فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي.

فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلا تَسْتَحْيِي؟ أَلا تَثْبُتُ؟ فَكَفَّ. فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا

---

(١) ابن هشام ٣٤٩/٤ وذكره ابن كثير في البداية ٣٣٥/٤ والطبراني في تاريخه (١٦٩/٢) تخريج دار الحديث.

(٢) قال الحافظ: أي إلى من التجأ إلى أوطاس، فأدرك بعض من انهزم فناوشوه القتال.

(٣) جشمي: أي من بني جشم (وهم قوم دريد) .

السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ.[1] قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّلامَ وَقُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي.

وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ.

فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ[2] وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا، وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي. فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ. وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنْ النَّاسِ. فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلا كَرِيمًا. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لأَبِي عَامِرٍ وَالأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى»[3].

خلاف في قاتل دُرَيْد بن الصِّمَّة:

٨٨٣- « قال الحافظ في الفتح: وَاخْتُلِفَ فِي قَاتِله فَجَزَمَ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق بِأَنَّهُ رَبِيعَة بْن رُفَيْع السُّلَمِيّ، وَكَانَ يُقَال لَهُ اِبْن الدِّغْنَة. وَيُقَال لَهُ أَيْضًا اِبْن الدُّغُنَّة، وَلَيْسَ هُوَ اِبْن الدُّغُنَّة الْمَذْكُور فِي قِصَّة أَبِي بَكْر فِي الْهِجْرَة.

وَرَوَى الْبَزَّار فِي مُسْنَد أَنَس بِإِسْنَادٍ حَسَن مَا يُشْعِر بِأَنَّ قَاتِل دُرَيْد بْن الصِّمَّة هُوَ الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام وَلَفْظه:

"لَمَّا اِنْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ اِنْحَازَ دُرَيْد بْن الصِّمَّة فِي سِتّمِائَة نَفْس عَلَى أَكَمَة، فَرَأَوْا كَتِيبَة، فَقَالَ: خَلُّوهُمْ لِي، فَخَلُّوهُمْ، فَقَالَ: هَذِهِ قُضَاعَة وَلا بَأْس عَلَيْكُمْ، ثُمَّ رَأَوْا كَتِيبَة مِثْل ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ سَلِيم، ثُمَّ رَأَوْا فَارِسًا وَحْده، فَقَالَ: خَلُّوهُ لِي (الصحيح قال: صفوه لى)، فَقَالُوا مُعْتَجِر بِعِمَامَةٍ سَوْدَاء، فَقَالَ: هَذَا الزُّبَيْر بْن الْعَوَّام، وَهُوَ قَاتِلكُمْ وَمُخْرِجكُمْ مِنْ مَكَانكُمْ هَذَا، قَالَ: فَالْتَفَتَ الزُّبَيْر فَرَآهُمْ. فَقَالَ: عَلامَ هَؤُلاءِ هَاهُنَا؟ فَمَضَى إِلَيْهِمْ، وَتَبِعَهُ جَمَاعَة فَقَتَلُوا مِنْهُمْ ثَلاثمِائَة، فَحَزَّ رَأْس دُرَيْد بْن الصِّمَّة فَجَعَلَهُ بَيْن يَدَيْهِ.

---

[1] خرج الماء من موضع نزع السهم.

[2] مرمَّل : مصنوع من الرمال وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسَّرة.

[3] صحيح البخاري ٣٩٧٩ ترقيم العالمية. .

وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون اِبْن الدُّغُنَّة كَانَ فِي جَمَاعَة الزُّبَيْر فَبَاشَرَ قَتْلَهُ فَنُسِبَ إِلَى الزُّبَيْر مَجَازًا، وَكَانَ دُرَيْد مِنْ الشُّعَرَاءِ الْفُرْسَانِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْجَاهِلِيَّة ، وَيُقَال إِنَّهُ كَانَ لَمَّا قُتِلَ اِبْن عِشْرِينَ - وَيُقَال اِبْن سِتِّينَ - وَمِائَة سَنَة»[١].

استشهاد أبي عامر الأشعري، من قتله؟:

« قَوْله : (فَرُمِيَ أَبُو عَامِر فِي رُكْبَته ، رَمَاهُ جُشَمِيّ) أَيْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَم، وَاخْتُلِفَ فِي اِسْم هَذَا الْجُشَمِيّ فَقَالَ اِبْن إِسْحَاق : زَعَمُوا أَنَّ سَلَمَة بْنَ دُرَيْد بْنَ الصِّمَّة هُوَ الَّذِي رَمَى أَبَا عَامِر بِسَهْمٍ فَأَصَابَ رُكْبَته فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ الرَّايَة أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ فَقَاتَلَهُمْ فَفَتَحَ اللَّه عَلَيْهِ.

وَقَالَ اِبْن هِشَام : حَدَّثَنِي مَنْ أَثِق بِهِ أَنَّ الَّذِي رَمَى أَبَا عَامِر أَخَوَانِ مِنْ بَنِي جُشْمٍ وَهُمَا أَوْفَى وَالْعَلاء اِبْنَا الْحَارِث ، فَأَصَابَ أَحَدهمَا رُكْبَته ، وَقَتَلَهُمَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ .

وَعِنْد اِبْن عَائِذ وَالطَّبَرَانِيّ فِي " الْأَوْسَط " مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَن "لَمَّا هَزَمَ اللَّه الْمُشْرِكِينَ يَوْم حُنَيْنٍ بَعَثَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَيْلِ الطَّلَبِ أَبَا عَامِر الْأَشْعَرِيّ وَأَنَا مَعَهُ. فَقَتَلَ اِبْنُ دُرَيْدٍ أَبَا عَامِر ، فَعَدَلْتُ إِلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ وَأَخَذْتُ اللِّوَاءَ" الْحَدِيث . فَهَذَا يُؤَيِّد مَا ذَكَرَهُ اِبْن إِسْحَاق.

وَذَكَر اِبْن إِسْحَاق فِي الْمَغَازِي أَيْضًا: أَنَّ أَبَا عَامِر لَقِيَ يَوْم أَوْطَاسٍ عَشْرَة مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِخْوَة فَقَتَلَهُمْ وَاحِدًا بَعْد وَاحَدّ، حَتَّى كَانَ الْعَاشِر فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلام وَهُوَ يَقُول: اللَّهُمَّ اِشْهَدْ عَلَيْهِ، فَقَالَ الرَّجُل: اللَّهُمَّ لا تُشْهِد عَلَيَّ، فَكَفّ عَنْهُ أَبُو عَامِر، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ أَسْلَمَ، فَقَتَلَهُ الْعَاشِر، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْد فَحَسَن إِسْلامه، فَكَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّيه شَهِيد أَبِي عَامِر، وَهَذَا يُخَالِف الْحَدِيث الصَّحِيح فِي أَنَّ أَبَا مُوسَى قَتَلَ قَاتَلَ أَبِي عَامِر، وَمَا فِي الصَّحِيح أَوْلَى بِالْقَبُولِ، وَلَعَلَّ الَّذِي ذَكَرَهُ اِبْن إِسْحَاق شَارَكَ فِي قَتْله»[٢].

النهي عن قتل المرأة والطفل والأجير:

٨٨٤- " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَرّ يومئذ بِامْرَأَةٍ وقَدْ قَتَلَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَالنّاسُ . مُتَقَصّفُونَ عَلَيْهَا. فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا: امْرَأَةٌ قَتَلَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: أَدْرِكْ

---

(١) فتح الباري شرح الحديث السابق ٣٩٧٩.

(٢) المصدر السابق.

خَالِـدًا، فَقُـلْ لَـهُ: إنّ رَسُـولَ اللّهِ صَـلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ يَنْهَـاك أَنْ تَقْتُـلَ وَلِيـدًا أَوْ امْـرَأَةً أَوْ عَسِيفًا"[1].

دلالات:

هـذه عظمـة الإسـلام وروعـة الإسـلام، وأخلاقيـات الرحمـة والنبل في شخص الكـريم (صلى الله عليه وسلم).

قال ابن حجر في الفتح :

" قـال مالـك والأوزاعي: لا يجـوز قتـل النسـاء والصـبيان بحـال، حتى لـو تترس أهـل الحـرب بالنسـاء والصـبيان أو تحصـنوا بحصـن أو سـفينة، وجعلـوا معهـم النسـاء والصـبيان لـم يجُـزْ رميهم ولا تحريقهم.

قلـت : وهـذا الـرأي يـرد على مـن أجـاز قتـل النسـاء والذريـة ، إذا لـم يمكـن قتـل آبـائهم إلا مـن خلال ذلك.

وتفصيل ذلك :

روى البخاري :

٨٨٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ:

"مَـرَّ بِيَ النَّبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بِـالأَبْوَاءِ أَوْ بِـوَدَّانَ، وَسُـئِلَ عَـنْ أَهْـلِ الـدَّارِ يُبَيَّتُـونَ مِـنْ الْمُشْـرِكِينَ فَيُصَـابُ مِـنْ نِسَـائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِـمْ. قَـالَ: (هُـمْ مِـنْهُمْ). وَسَـمِعْتُهُ يَقُـولُ: لا حِمَى إِلا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[2]

يفهم من هذا قتل النساء والأطفال ، ولكن قال الحافظ في الفتح :

" قَوْلـه : (هُـمْ مِنْهُمْ) أَيْ فِي الْحُكْـم تِلْـكَ الْحَالَـة، وَلَـيْسَ الْمُـرَاد إِبَاحَـة قَـتْلهمْ بِطَرِيـقِ الْقَصْـد إِلَيْهِمْ، بَلْ الْمُرَاد: إِذَا لَـمْ يُمْكِـن الْوُصُـول إِلَى الآبَاء إِلَا بِوَطْءِ الذُّرِّيَّة فَإِذَا أُصِيبُوا لاخْتِلاطِهِمْ بِهِمْ جَازَ قَتْلهمْ ".

---

[1] العسيف: الأجير، سيرة ابن هشام ٣٥٥/٤ وابن ماجه ٢٨٤٢/٣ وأبو داود ٢٦٦٩/٣ وغيرهما والحديث حسن صحيح (عن دار الحديث).

[2] رواه البخاري برقم (٢٧٩٠) ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

ثم بين الحافظ أن ذلك الحكم قد نُسِخَ فقال: "........... وَكَانَ الزُّهْرِيّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيث قَالَ: "وَأَخْبَرَنِي اِبْن كَعْب بْن مَالِك عَنْ عَمّه أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ إِلَى اِبْن أَبِي الْحَقِيق نَهَى عَنْ قَتْل النِّسَاء وَالصِّبْيَان" اِنْتَهَى، وَكَأَنَّ الزُّهْرِيَّ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى نَسْخ حَدِيث الصَّعْب".

الخلاصة :

الاستقرار في الفقه الإسلامي على رأي مالك والأوزاعي : لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال ، وحتى الفقهاء الذين أجازوا ذلك عند الاضطرار ، فقد رد عليهم ابن حجر فأثبت نسخ ذلك؛ لأن حديث الصعب كان قبل غزوة بدر ، أما النهي، فهو فى مقتل اِبْن أَبِي الْحَقِيق، وفى غزوة حنين، وكلاهما متأخر عن غزوة الأبواء التي فيها حديث الصعب، فيكون ناسخًا لحديث الصعب.

وبدليل حديث البخاري :

٨٨٦- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ."[١].

وحديث " ما كانت هذه لتقاتل " :

روى الإمام أحمد :

٨٨٧- عن رَبَاحِ بْنِ الرَّبِيعِ أَخِي حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَمَرَّ رَبَاحٌ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ مِمَّا أَصَابَتْ الْمُقَدِّمَةُ فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ خَلْقِهَا حَتَّى لَحِقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَانْفَرَجُوا عَنْهَا فَوَقَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

"مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ. فَقَالَ لأَحَدِهِمْ: الْحَقْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: لا تَقْتُلُونَ ذُرِّيَّةً وَلا عَسِيفًا"[٢].

---

[١] رواه البخاري برقم (٢٧٩٢) ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

[٢] مسند أحمد (١٥٤٢٣) بسند رواته ثقات – (موسوعة حرف).

وقد ذكر ابن إسحق في مغازية أن هذه الواقعة كانت بعد معركة حنين.

وهنا ننبه على أمر هام ، وهو:

كون سيدنا خالد- هو، أو مجموعة الجيش التي كان يقودها – قتلوا امرأة ،فهذا مما يدل على أن العرب لم تكن تستنكر هذا الصنيع. ويدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، هو الذي علَّم العرب ، والصحابة، والدنيا بأسرها، هذه المبادئ السامية.

إكرام امرأة من بني سعد بن بكر :

الشيماء (أخت النبي (صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة):

قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

٨٨٨- " وَحَدّثَنِي بَعْضُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ يَوْمَئِذٍ: إنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ ، رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَلا يُفْلِتَنّكُم ، وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ حَدَثًا. فَلَمّا ظَفِرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ سَاقُوهُ وَأَهْلَهُ وَسَاقُوا مَعَهُ الشّيْمَاءَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى أُخْتَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الرّضَاعَةِ، فَعَنُفُوا عَلَيْهَا فِي السّيَاقِ، فَقَالَتْ لِلْمُسْلِمِينَ: تَعَلَمُوا وَاَللّهِ أَنّي لأُخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنْ الرّضَاعَةِ. فَلَمْ يُصَدّقُوهَا حَتّى أَتَوْا بِهَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ السّعْدِيّ قَالَ:

٨٨٩- فَلَمّا أُنْتُهِيَ بِهَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي أُخْتُك مِنْ الرّضَاعَةِ. قَالَ: وَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ عَضّةٌ عَضَضْتَنِيهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرّكَتُك؛ قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْعَلامَةَ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ وَخَيّرَهَا ، وَقَالَ: إنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبّةٌ مُكْرَمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتّعَك وَتَرْجِعِي إلَى قَوْمِك فَعَلْتُ. فَقَالَتْ بَلْ تُمَتّعُنِي وَتَرُدّنِي إلَى قَوْمِي. فَمَتّعَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَدّهَا إلَى قَوْمِهَا.

فَزَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ أَنّهُ أَعْطَاهَا غُلامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ، وَجَارِيَةً فَزَوّجَتْ أَحَدَهُمَا الأُخْرَى، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيّة"[1].

جمع الغنائم، وتأخير توزيعها:

---

[1] سيرة ابن هشام ٣٥٦/٣ وابن حجر في الإصابة ١٢٣/٨ والطبري في تاريخه ١٧١/٢ وابن عبد البر في الاستيعاب، وابن الأثير في أسد الغابة (عن دار الحديث).

قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

٨٩٠- " وَأَمَـرَ رَسُـولُ اللَّه صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ بِالسّـبْيِ وَالْغَنَـائِمِ أَنْ تُجْمَـعَ فَجُمِـعَ ذَلِـكَ كُلّـهُ وَوَجّهُـوهُ إلَى الْجِعِرّانَـةِ ، وَكَانَ السّبْيُ سِتّةَ آلافِ رَأْسٍ. وَالإِبِلُ أَرْبَعَـةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَالْغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وَأَرْبَعَةَ آلافِ أُوقِيّةً فِضّةً.

فَاسْتَأْنَى بِهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً"[١].

توزيع غنائم حنين:

يفهم من سياق ابن القيم أن توزيع الغنائم كان بالجعرانة قبل مسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف، لكن ابن إسحاق صرح بأن ذلك كان بعد غزوة الطائف ورجوع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الجعرانة ،حيث كانت الغنائم محبوسة.

ونحن نرجح منهج ابن القيم أن يكون التوزيع لهذا الكم الهائل من الغنائم، كان قبل مسير النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف، حيث ثقيف قد تحصنت مع زعيمها مالك بن عوف.

قال ابن القيم:

" ثُمّ بَدَأَ بِالأَمْوَالِ فَقَسَمَهَا، وَأَعْطَى الْمُؤَلّفَةَ قُلُوبُهُمْ أَوّلَ النّاسِ. فَأَعْطَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَرْبَعِينَ أُوقِيّةً وَمِائَةً مِنْ الإِبِلِ. فَقَالَ: ابْنِي يَزِيدُ؟ فَقَالَ " أعْطوُهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيّةً وَمِائَةً مِنْ الإِبِلِ" ، فَقَالَ: ابْنِي مُعَاوِيَةُ؟ قَالَ "أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيّةً وَمِائَةً مِنْ الإِبِلِ" ، وَأَعْطَى حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ مِائَةً مِنْ الإِبِلِ ثُمّ سَأَلَهُ مِائَةً أُخْرَى فَأَعْطَاهُ. وَأَعْطَى النّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ مِائَةً مِنْ الإِبِلِ. وَأَعْطَى الْعَلاءَ بْنَ حَارِثَةَ الثّقَفِيّ خَمْسِينَ.

وَذَكَرَ أَصْحَابَ الْمِائَةِ وَأَصْحَابَ الْخَمْسِينَ - وَأَعْطَى الْعَبّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا ، فَكَمّلَ لَهُ الْمِائَةَ.

ثُمّ أَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ بِإِحْصَاءِ الْغَنَائِمِ وَالنّاسِ ثُمّ فَضّهَا عَلَى النّاسِ:

فَكَانَتْ سِهَامُهُمْ لِكُلّ رَجُلٍ "أَرْبَعًا مِنْ الإِبِلِ وَأَرْبَعِينَ شَاةً" . فَإِنْ كَانَ فَارِسًا أَخَذَ "اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيرًا وَعِشْرِينَ وَمِائَةَ شَاةٍ "[٢].

حزن الأنصار:

---

(١) زاد المعاد ٢٧٨/٢.

[٢] زاد المعاد.

روى الإمام أحمد في مسنده:

٨٩١- " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا[١] عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ: قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا، قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ. قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ:

"يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ[٢] بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ[٣] وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ: "أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلا فَأَغْنَيْنَاكَ.. أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ[٤] مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ؟! أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ

---

[١] المصدر السابق.

[٢] وجد: حزن أو غضب.

[٣] قالة: مقالة سيئة.

[٤] جِدَة: غضب.

الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ ؟!

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ".

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا"[1].

دلالات :

حزن فطري،وقيادة روحية، ومشاعر فياضة:

هذا الموقف من أروع المواقف التي تهتز لها مشاعر الإنسان ، كلما قرأها أو سمعها.

** هؤلاء الطلقاء وحديثو العهد بالإسلام يتطلعون إلى الغنيمة، ويتكاثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: "يا رسول الله اقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم"، حتى ألجؤوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال: "أدوا علي ردائي أيها الناس ، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمًا لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذابًا".

** لكن المؤمنين الصادقين - الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - يحبون من هاجر إليهم، ويتقاسمون مع إخوانهم المهاجرين الأموال والديار والنساء، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة- هؤلاء لا يأخذون شيئًا!

** فيحزنون في أنفسهم لأنهم لا يجدون مبررًا لذلك.

** فيأتي الحبيب (صلى الله عليه وسلم) فيذكرهم بفضل الله عليهم – فيعترفون بذلك.

** ثم يعترف لهم بفضلهم وعطائهم: إنهم هم الذين آووا رسول الله وصدقوه ونصروه.

** ثم يرتفع بإيمانهم ومشاعرهم فوق المشاعر البشرية والأرضية والدنيوية.

" أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ؟ أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ

---

(١) اللعاعة: بقلة حمراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا.

وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ.

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا".

** لقد عالج النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذه الكلمات نفوسًا محزونة، وداوى بها جراحة مكتومة، وأرجعهم إلى الأصل الإيماني الذي من أجله أعطَوْا وجاهدوا واستشهدوا.

** وأعطاهم الدرس الأخير: إن المؤمن لا يعطي؛ لكي يأخذ في الدنيا، إنما ينتظر ما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

<u>إسلام وفد هوازن ، وطلبهم السبي والغنائم:</u>

تمهيد:

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قد أخر توزيع غنائم حنين على أمل أن تأتي هوازن مسلمة، فيرد عليهم أموالهم ونساءهم، لكنهم تأخروا؛ فتم توزيع الغنائم - ثم جاءوا بعدها مسلمين وأصبح الموقف كالتالي:

- وزعت الغنائم فصارت ملكًا للمحاربين.
- أسلمت القبيلة (التي استرضع فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم -صغيرًا) وجاءت تستعطف النبي صلى الله عليه وسلم لرد الأموال والنساء.

فكيف تصرف النبي صلى الله عليه وسلم؟:

درس عظيم في القيادة، من القائد الأول ، والمعلم الأول:

<u>قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:</u>

٨٩٢- « ثُمّ أَتَاهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ سَبْيِ هَوَازِنَ سِتّةُ آلَافٍ مِنْ الذّرَارِيّ وَالنّسَاءِ وَمِنْ الْإِبِلِ وَالشّاءِ مَا لَا يُدْرَى مَا عِدّتُهُ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنّ وَفْدَ هَوَازِنَ أَتَوْا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ أَسْلَمُوا.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك، فَامْنُنْ عَلَيْنَا، مَنّ اللّهُ عَلَيْك. قَالَ وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ، ثُمّ أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ زُهَيْرٌ يُكْنَى أَبَا صُرَدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّمَا فِي الْحَظَائِرِ عَمّاتُك[1] وخالاتك وحواضِنُك اللاتى كُنّ يَكْفُلْنَك، وَلَوْ أَنّا مَلَحْنَا[2] لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ، أَوْ لِلنّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ثُمّ نَزَلَ مِنّا بِمِثْلِ الّذِي نَزَلْت بِهِ رَجَوْنَا عَطْفَهُ وَعَائِدَتَهُ عَلَيْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ».

تصرف النبي (صلى الله عليه وسلم):

في هذا الوقت النبي صلى الله عليه وسلم منتصر وفاتح مكة ويستطيع أن يعطي الأوامر بإعادة الغنائم إلى هوازن، ومن يعارض ذلك تتم معاقبته.

لكنه صلى الله عليه وسلم طبيب النفوس، علم أن رد الأموال والسبايا شديد على نفوس جنده المقاتلين، ولذلك خيَّر النبي صلى الله عليه وسلم هوازن بين الأموال أو السبايا؛ ليردها عليهم.

٨٩٣- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

حَدّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبّ إلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ خَيّرْتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا ، بَلْ تَرُدّ إلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَبّ إلَيْنَا.

حكمة النبي القائد (صلى الله عليه وسلم):

أيضًا لم يصدر النبي صلى الله عليه وسلم أوامره المباشرة برد السبايا والاكتفاء بالأموال، لكنه اتخذ موقفًا مؤثرًا عاطفيًا ، وموقفًا عمليًا بالقدوة المباشرة.

١٠١٦ – «قال: فَقَالَ لَهُمْ: أَمّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلّيْت الظّهْرَ بِالنّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا: إنّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللّهِ إلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إلَى رَسُولِ اللّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ.

فَلَمّا صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالنّاسِ الظّهْرَ قَامُوا فَتَكَلّمُوا بِالّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: وَأَمّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ.»

---

[1] عماتك وخالاتك: أي من الرضاعة، وحواضنك: اللاتي أرضعنك صغيرًا.

[2] ملحنا: أرضعنا.

فتبعه المهاجرون والأنصار: وهم الذين تلقوا التربية الإيمانية بالاقتداء والتأسي بالنبي (صلى الله عليه وسلم) عملًا بالقرآن والرغبة فيما عند الله

« قال: فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا. وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ: أَمَا أَنَا وَبَنُو فَزَارَةَ فَلَا. وَقَالَ عَبّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ: أَمّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا. فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ: بَلَى، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ يَقُولُ عَبّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ: وَهّنْتُمُونِي».

صدقت فراسة النبي (صلى الله عليه وسلم):

توقع النبي صلى الله عليه وسلم أن في الجيش أقوامًا من حديثي العهد بالإسلام تصعب عليهم الطاعة مثل عيينة، والأقرع، وابن مرداس.

والنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يأخذهم بالرفق واللين. بدلًا من الأوامر الحادة المشددة. ونلاحظ أن بني سليم خرجوا عن طاعة ابن مرداس إلى طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.. لقد أثرت فيهم مواقف المهاجرين والأنصار ورِفْق النبي صلى الله عليه وسلم بهم.

مزيد من الترضية:

قال « فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَمّا مَنْ تَمَسّكَ مِنْكُمْ بِحَقّهِ مِنْ هَذَا السّبْيِ فله بكل إنسان ست فَرَائِضَ مِنْ أَوّلِ سَبْيٍ أُصِيبُهُ. فَرَدّوا إلَى النّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ.»[١]

رواية البخاري:

٨٩٤- عن مَرْوَانِ بنِ الحكم وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَعِي مَنْ تَرَوْنَ وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ - وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنْ الطَّائِفِ -

---

[١] سيرة ابن هشام (٤ /٣٧٨) وأحمد في مسنده (٢/١٨٤/٢١٨/) وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد من طريقين ورجال أحد إسناديه ثقات) (عن دار الحديث).

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ. فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا»[1].

---

[1] **صحيح البخاري رقم (٣٩٧٦) ترقيم العالمية.**

الفصل العاشر:

غزوة الطائف:

شوال سنة ثمان

هي تتمة لغزوة حنين؛ لمتابعة فلول المنهزمين من قبيلة ثقيف الذين هربوا وتحصنوا في مدينتهم.

قال ابن القيم:

« فَصْلٌ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ: فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ:

٨٩٥- قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: قَالُوا: وَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسِيرَ إِلَى الطَّائِفِ ، بَعَثَ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى ذِي الْكَفَّيْنِ صَنَمِ عَمْرِو بْنِ حُمَمَةَ الدَّوْسِيِّ ، يَهْدِمُهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَمِدَّ قَوْمَهُ وَيُوَافِيَهُ بِالطَّائِفِ. فَخَرَجَ سَرِيعًا إِلَى قَوْمِهِ فَهَدَمَ ذَا الْكَفَّيْنِ وَجَعَلَ يَحُشّ النَّارَ فِي وَجْهِهِ وَيُحَرِّقُهُ وَيَقُولُ:

يَا ذَا الْكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا

إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا

وَانْحَدَرَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعُمِائَةٍ سِرَاعًا، فَوَافَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّائِفِ بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَقَدِمَ بِدَبَّابَةٍ وَمَنْجَنِيقٍ.»[1]

تحصن ثقيف ونزول المسلمين قريبًا من الحصن:

« قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ يُرِيدُ الطَّائِفَ، قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، وَكَانَتْ ثَقِيفٌ قَدْ رَمُّوا حِصْنَهُمْ وَأَدْخَلُوا فِيهِ مَا يَصْلُحُ لَهُمْ لِسَنَةٍ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ وَتَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ. وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ، وَعَسْكَرَ هُنَاكَ. فَرَمَوْا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ

---

(١) زاد المعاد (٢ / ٢٩٠) عن طبقات ابن سعد الكبرى.

رَمْيًا شَدِيدًا، كَأَنّهُ رِجْلُ جَرَادٍ، حَتّى أُصِيبَ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحَةٍ وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا»[1].

الحصار والمنجنيق والدبابة...ولم يفتح الحصن:

« فَارْتَفَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِ الطّائِفِ الْيَوْمَ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ فَضَرَبَ لَهُمَا قُبّتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلّي بَيْنَ الْقُبّتَيْنِ مُدّةَ حِصَارِ الطّائِفِ، فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً.

وَنَصَبَ عَلَيْهِمْ الْمَنْجَنِيقَ وَهُوَ أَوّلُ مَا رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: حَدّثَنَا قَبِيصَةُ ، حَدّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ مَكْحُولٍ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطّائِفِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

٨٩٦- حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ الشّدْخَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطّائِفِ، دَخَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَحْتَ دَبّابَةٍ[2] ثُمّ دَخَلُوا بِهَا إلَى جِدَارِ الطّائِفِ لِيُحْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكَكَ الْحَدِيدِ مُحْمَاةً بِالنّارِ فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنّبْلِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالًا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ، فَوَقَعَ النّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: فَسَأَلُوهُ أَنْ يَدَعَهَا لِلّهِ وَلِلرّحِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "فَإِنّي أَدَعُهَا لِلّهِ وَلِلرّحِمِ".

فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَيّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنْ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إلَيْنَا فَهُوَ حُرّ. فَخَرَجَ مِنْهُمْ بَضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ[3]، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدَفَعَ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَمُونُهُ. فَشَقّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الطّائِفِ مَشَقّةً شَدِيدَةً».[4]

الرحيل...ولم يفتح الحصن:

قال ابن القيم:

---

(٢) المصدر السابق.

(٣) الدبابة: كانت بناء من خشب يدخل تحتها الجنود لنقب الجدار وتقيهم من السهام.

(٤) أبو بكرة: تسوَّر الحصن وتدلي منه ببكرة مستديرة فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) أبا بكرة.

٤ – زاد المعاد (٢/ ٢٩٠).

٨٩٧- « وَلَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي فَتْحِ الطّائِفِ، وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدّيلِيّ ، فَقَالَ مَا تَرَى؟ فَقَالَ ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ إنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرّك.

فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ، فَأَذّنَ فِي النّاسِ بِالرّحِيلِ فَضَجّ النّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: نَرْحَلُ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطّائِفُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ فَغَدَوْا فَأَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَاتٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنّا قَافِلُونَ غَدًا إنْ شَاءَ اللّهُ فَسُرّوا بِذَلِكَ وَأَذْعَنُوا، وَجَعَلُوا يَرْحَلُونَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَضْحَكُ.

فَلَمّا ارْتَحَلُوا وَاسْتَقَلّوا، قَالَ قُولُوا: آيِبُونَ تَائِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبّنَا حَامِدُونَ. وَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُدْعُ اللّهَ عَلَى ثَقِيفٍ. فَقَالَ: اللّهُمّ اهْدِ ثَقِيفًا وائْتِ بِهِمْ.

<u>عُمْرَةُ الْجِعِرّانَةِ:</u>

وَاسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالطّائِفِ جَمَاعَةٌ ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الطّائِفِ إلَى الْجِعِرّانَةِ، ثُمّ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ فَقَضَى عُمْرَتَهُ ثُمّ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ»[1].

دلالات، وعظات ،حول غزوة الطائف:

- الحصون: كانت وسيلة فعالة في ذلك الزمان لحماية القبيلة الأضعف من العدو الأقوى، وفي هذا الموضع استطاع الثقفيون المقاومة، ولم يتمكن المسلمون من فتح حصنهم.
- <u>بين حصون خيبر، وحصن ثقيف:</u>

فتحت حصون خيبر، وحصون اليهود عمومًا، ولم يفتح حصن الطائف. ولذلك تفسير عندي، والله أعلم:

[1] زاد المعاد (٢ /٢٩١).

أولًا: اليهود كانوا منهزمين من داخلهم وسبب ذلك: أنهم يعرفون في أنفسهم جيدًا أنهم خالفوا التوراة وحرفوها، وعصوا أوامر الله عز وجل وقتلوا الأنبياء، ونقضوا المواثيق فاستحقوا بذلك العقاب الرباني، فكانوا يتوقعونه.

ثانيًا: كانوا يعرفون من التوراة أن محمدًا (صلى الله عليه وسلم) هو النبي الخاتم الذي بشَّر به موسى وعيسى، وأنه سيظهر عليهم.

ثالثًا: أصيب اليهود بأمراض الجدل والتردد وعدم حسم القرار.. كانوا يجادلون في أحكام الله، ويجادلون أنبياءهم، ويجادلون زعماءهم، وكل ذلك أضعف قدرتهم على اتخاذ القرار.

رابعًا: طبيعة القبائل العربية كانت أشد شراسة في القتال وأكثر حمية، وهذه الطبيعة العربية الفطرية التي تتغنى بالشجاعة وتذم الخوف، قد أفادت الإسلام بعد دخول العرب فيه، واستطاعوا بفطرتهم وبالدين الذي يتعامل مع هذه الفطرة أن يهزموا اليهود والفرس والروم.

خامسًا: ثعلب في جحر: لم يكن لدى المسلمين- في تصوري- الدافع القوي لفتح الحصن، وفي ميزان الشرع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ربما رأى أن استمرار الحصار، وأعباءه، والخسائر التي تقع في المسلمين جراء محاولات اقتحامه، لا ضرورة لها.. لماذا؟:

- لأن أهل الطائف أصبحوا مثل (ثعلب في جحر) أي محكوم عليه بالنهاية إن آجلًا أو عاجلًا ، فماذا ستفعل ثقيف وهي في نقطة وسط جزيرة العرب والقبائل من حولها تدخل في دين الله أفواجًا، إنهم سوف يأتون مسلمين، وإن تأخر ذلك زمنًا، وقول نوفل (إن أقمت عليه أخذته) يبين أن فتح الحصن ممكن، لكن بتكاليف كبيرة (وإن تركته لم يضّرك)، وهذا توصيف دقيق للحالة.

وعظات:

1) لمَّا استصعب الناس قرار الرجوع دون فتح الحصن ؛طاوعهم النبي صلى الله عليه سلم، حتى إذا أصابتهم الجراحات اقتنعوا.. إنه منهج في القيادة للتعليم والتربية.
2) (اللهمَّ اهْدِ ثقيفًا وائْتِ بهم) هذا هو (الرحمة المهداة) صلى الله عليه سلم.

تتمة قصة ثقيف:

كانت بعد (تبوك) ، لكننا نسوقها هنا تتمة للحديث، وجمعًا لما تفرق من الأحداث.

كان التتابع الزمني هكذا:

- عروة بن مسعود الثقفي- الذي لم يشهد حنينًا والطائف ،لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم.
- رجع إلى ثقيف داعيًا إلى الإسلام؛ فقتلته قبيلته.
- ثم ذهب وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه سلم في رمضان سنة ٩ هـ بعد عودته من تبوك.

٨٩٨- قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

وَقَـدِمَ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ الْمَدِينَـةَ مِنْ تَبُـوكَ فِي رَمَضَـانَ وَقَـدِمَ عَلَيْـهِ فِي ذَلِـكَ الشّهْرِ وَفْدُ ثَقِيفٍ. وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنّ رَسُـولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَمّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ اتّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثّقَفِيّ، حَتّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَى الْمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ. فَقَـالَ لَـهُ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ كَمَا يَتَحَـدّثُ قَوْمُهُ: إنّهُمْ قَـاتَلُوك، وَعَرَفَ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الِامْتِنَاعِ الّذِي كَانَ مِنْهُمْ. فَقَالَ عُرْوَةُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا أَحَبّ إلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ من "أَبْصَارِهِمْ".

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحَبّبًا مُطَاعًا، فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إلَى الْإِسْلَامِ رَجَاءَ أَنْ لَا يُخَالِفُوهُ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ. فَلَمّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَى عَلِيّةٍ لَهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ رَمَوْهُ بِالنّبْلِ مِنْ كُلّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ. فَتَزْعُمُ بَنُو مَالِكٍ أَنّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ مَالِكٍ، وَتَزْعُمُ الْأَحْلَافُ أَنّهُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي عَتّابِ بْنِ مَالِكٍ يُقَالُ لَهُ وَهْبُ بْنُ جَابِرٍ. فَقِيلَ لِعُرْوَةَ: مَا تَرَى فِي دَمِك؟ قَالَ: كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي اللّهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللّهُ إلَيّ، فَلَيْسَ فِي إلّا مَا فِي الشّهَدَاءِ الّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ فَادْفِنُونِي مَعَهُمْ فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ.

فَزَعَمُوا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ فِيهِ: إنّ مِثْلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمِثْلِ صَاحِبِ يَاسِينَ فِي قَوْمِهِ »[١].

عبد ياليل يخشى مصير عروة:

٨٩٩- قَالَ ابنُ إسْحَاقَ:

« ثُمّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُرًا، ثُمّ إنّهُمْ ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ وَرَأَوْا أَنّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا.

فَأْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ وَأَجْمَعُوا أَنْ يُرْسِلُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَجُلًا ، كَمَا أَرْسَلُوا عُرْوَةَ. فَكَلّمُوا عَبْدَ يَالَيْلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، وَكَانَ سِنّ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَرَضُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ وَخَشِيَ أَنْ يُصْنَعَ بِهِ إذَا رَجَعَ كَمَا صُنِعَ بِعُرْوَةِ. فَقَالَ: لَسْت فَاعِلًا حَتّى تُرْسِلُوا مَعِي رِجَالًا ، فَأَجْمَعُوا أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ رَجُلَيْنِ مِنْ الْأَحْلَافِ، وَثَلَاثَةً مِنْ بَنِي مَالِكٍ فَيَكُونُوا سِتّةً....

فَخَرَجَ بِهِمْ عَبْدُ يَالَيْلَ وَهُوَ نَابُ الْقَوْمَ وَصَاحِبُ أَمْرِهِمْ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِمْ إلّا خَشْيَةَ مِنْ مِثْلِ مَا صُنِعَ بِعُرْوَةِ بْنِ مَسْعُودٍ لِكَيْ يَشْغَلَ كُلّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَى الطّائِفِ رَهْطَهُ.»[٢].

أبو بكرٍ الصّدّيقُ والبشارة:

« فَلَمّا دَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ ، وَنَزَلُوا قَنَاةَ ، أَلْفَوْا بِهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[٣]، يَرْعَى فِي نَوْبَتِهِ رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَكَانَتْ رِعْيَتُهَا نُوَبًا عَلَى أَصْحَابِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَلَمّا رَآهُمْ تَرَكَ الرّكَابَ عِنْدَ الثّقَفِيّينَ وَضَبَرَ[٤] يَشْتَدّ ، لِيُبَشّرَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبِ ثَقِيفٍ أَنْ قَدْ قَدِمُوا يُرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ بِأَنْ يَشْرُطَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شُرُوطًا، وَيَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

---

[١] سيرة ابن هشام (٤ /٤١٥) والحاكم في المستدرك (٣ /٦١٥) وغيرهما، و الهيثمي في المجمع (٩ /٤٨٦) وقال: رواه الطبراني وروى عن الزهري بنحوه وكلاهما مرسل وإسنادها حسن.

[٢] سيرة ابن هشام (٤ /٤١٥) حذفنا بعض الأسماء اختصارا.

[٣] وهو صحابي مهاجري، ومن قبيلة ثقيف.

[٤] ضبر: وثب أو قفز مثل الفرس.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُغِيرَةِ: أَقْسَمْت عَلَيْك بِاَللّهِ لَا تَسْبِقُنِي إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى أَكُونَ أَنَا أُحَدّثُهُ. فَفَعَلَ الْمُغِيرَةُ.

فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ».[١]

شروطهم المرفوضة، ورضوخهم للرسول (صلى الله عليه وسلم):

٩٠٠- « ثُمّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إلَى أَصْحَابِهِ فَرَوّحَ الظّهْرَ مَعَهُمْ وَعَلّمَهُمْ كَيْفَ يُحَيّونَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إلّا بِتَحِيّةِ الْجَاهِلِيّةِ.

وَلَمّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ كَمَا يَزْعُمُونَ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، هُوَ الّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، حَتّى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ بِيَدِهِ. وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ حَتّى أَسْلَمُوا وَفَرَغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ.

وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمْ الطّاغِيَةَ، وَهِيَ اللّات ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ. فَأَبَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَمَا بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ حَتّى سَأَلُوا شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَهَا شَيْئًا مُسَمّى. وَإِنّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيّهِمْ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتّى يَدْخُلَهُمْ الْإِسْلَامُ.

فَأَبَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فَيَهْدِمَاهَا، وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطّاغِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنْ الصّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَمّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمّا الصّلَاةُ فَإِنّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ. فَقَالُوا: يَا مُحَمّدُ فَسَنُؤْتِيكَهَا، وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً»[٢].

أميرهم أحرصهم على التَّفَقُّه:

(١) تابع الرواية السابقة.

(٢) تابع الرواية السابقة.

٩٠١- « فَلَمّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِتَابَهُمْ أَمّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ ، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنّا، وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التّفَقّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التّفَقّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلّمِ الْقُرْآنِ»[١].

متابعةالقضاء على رموز الشرك:

هدم اللات:

٩٠٢- قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ:

فَلَمّا فَرَغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَوَجّهُوا إلَى بِلَادِهِمْ رَاجِعِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، فِي هَدْمِ الطّاغِيَةِ. فَخَرَجَا مَعَ الْقَوْمِ حَتّى إذَا قَدِمُوا الطّائِفَ أَرَادَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنْ يُقَدّمَ أَبَا سُفْيَانَ، فَأَبَى ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اُدْخُلْ أَنْتَ عَلَى قَوْمِك؛ وَأَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَالِهِ بِذِي الْهَدْمِ؛ فَلَمّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ وَقَامَ قَوْمُهُ دُونَهُ بَنُو مُعَتّبٍ، خَشْيَةَ أَنْ يُرْمَى أَوْ يُصَابَ كَمَا أُصِيبَ عُرْوَةُ. وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسّرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا وَيَقُلْنَ:

لَتُبْكَيَنّ دُفّاعُ ... أَسْلَمَهَا الرّضّاعُ

لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعَ

وَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُغِيرَةُ يَضْرِبُهَا بِالْفَأْسِ: وَاهًا لَك، آهًا لَك. فَلَمّا هَدَمَهَا الْمُغِيرَةُ وَأَخَذَ مَالَهَا وَحُلِيّهَا، أَرْسَلَ إلَى أَبِي سُفْيَانَ وَحُلِيّهَا مَجْمُوعٌ وَمَا لَهَا مِنْ الذّهَبِ وَالْجَزْعِ.»[٢]

---

[١] سيرة ابن هشام (٤ /٤١٥– ٤١٧) وأبو داوود (٣ / ٣٠٢٦) وأحمد في مسنده ورجاله ثقات (عن دار الحديث).

[٢] سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق مرسلًا.

الفصل الحادي عشر:

خاتمة الغزوات غزوة تبوك:

رجب سنة تسع

هذه آخر غزوة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،وبهذا نقترب من نهاية الرحلة الشريفة، وختام حياة النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم).

تمهيد:

لقد تميزت غزوة تبوك بسمات عدة نوجز بعضها:

١- هي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا.

٢- هي الصدام الثاني مع دولة الروم وحلفائها من الغساسنة بعد سرية مؤتة.

٣- تشترك غزوة تبوك مع الأحزاب في خاصية- ذكرها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في فقه السيرة - وهي أن المسلمين تحملوا الشدائد الكثيرة في الإعداد للغزوة؛ فكافأهم الله عز وجل بهزيمة عدوهم دون قتال يذكر.

٤- ظهرت فيها أفعال المنافقين بصورة فجَّة - أكثر مما ظهر في أحد والأحزاب- فلقد كان فيها: التثبيط والإرجاف والتخويف من حرب الروم، وكان فيها التخلف، وكان فيها مسجد الضرار وكان فيها مؤامرة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم من عدد من المنافقين. ولقد نزلت سورة (براءة) تفضحهم حتى سماها ابن عباس (الفاضحة).

٥- سُمِّى جيش تبوك جيش العسرة؛ لقلة الزاد وقلة الماء وشدة الحر، وطول الطريق.

٦- ظهرت فيها نماذج فذة من التضحية بالمال، من عثمان بن عفان، وأبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

٧- خرج فيها أكبر جيش مع النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاثون ألفًا.

٨- فيها حديث الثلاثة الذين خُلِّفوا - وهم من المؤمنين الصادقين الذين تخلفوا دون عذر عن الجهاد- وهي حادثة نادرة في السيرة.

٩- فيها كثير من دلائل النبوة ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم ،نذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

سبب الغزوة:

مع استعراضنا لموقف المسلمين في المدينة، وتعدد جهات العداء: قريش في مكة، واليهود والمنافقون في المدينة ، وقبائل الجزيرة العربية المترامية الأطراف، لا يمكن أن يُتَصوَّر أن النبي صلى الله عليه وسلم يفكر في محاربة دولة الروم ليفتح على نفسه جبهة ضخمة بحجم دولة الروم.

فالتفكير المنطقي يسوقنا إلى أنه إذا كانت هناك حرب بين المسلمين والروم، فلا بد أن تكون اضطرارية وأن يكون الروم هم البادئون.

فكيف كانت أسباب الحرب مع الروم ؟

نُذَكِّرُ أولًا بسبب غزوة مؤتة: قتل سفير النبي (صلى الله عليه وسلم):

قال ابن القيم :

" فَصْلٌ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ:

٩١٣- "وَهِيَ بِأَدْنَى الْبَلْقَاءِ مِنْ أَرْضِ الشّامِ، وَكَانَتْ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ.

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيّ أَحَدَ بَنِي لِهْبٍ بِكِتَابِهِ إلَى الشّامِ إلَى مَلِكِ الرّومِ أَوْ بُصْرَى، فَعَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا ثُمّ قَدّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ - وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَسُولٌ غَيْرُهُ - فَاشْتَدّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ.

فَبَعَثَ الْبُعُوثَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ: إنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَتَجَهّزَ النّاسُ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ."(١)

إذن سبب غزوة مؤتة : قتل السفير:

وشرحبيل الغساني قاتل السفير، ما هو إلا ملك تابع للدولة الرومانية .

أما قتل السفير فمعانيه خطيرة:

---

(١) زاد المعاد (٢/٢٣٢).

إن الدولة إذا جاءها سفير من دولة أخرى -وهي دولة تحترم نفسها -عاملت السفير معاملة حسنة ،مهما كانت حالة العداء بينها وبين الدولة الأخرى، لكن:

* الدولة التي لا تعامل السفير معاملة حسنة.
* ولا تكتفي بمجرد الرد السيئ عليه.
* ولا تكتفي مثلًا بتمزيق الرسالة.
* ولا تكتفي مثلًا بسجنه أو أخذه رهينة.
* ثم تجتمع على قتل رجل فرد أعزل ، يحمل رسالة -فهي دولة أو قبيلة:

- تعلن الحرب على دولة السفير، وتستخف بها.
- وتعلنها حربًا قذرة.
- وتبدأها بجريمة حرب شنعاء .قتل سفير.

إن قتل الأسير الذي شارك في الحرب - ولم يرتكب جريمة ضد الإنسانية - عمل شنيع، فكيف بقتل السفير الذي لم يشارك في حرب أصلًا؟!.

والنتيجة: جهز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا الجيش الضخم المكون من ثلاثة آلاف مقاتل ، فى معركة مؤتة.

وما هو سبب غزوة تبوك ؟:

يستخلص من الروايات أن لها سببين :

أولهما: أن معركة مؤتة لم تحقق هدفها من الثأر لمقتل الحارث بن عمير الأزدي سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قتله شرحبيل. ذلك أن المسلمين كانوا في مؤتة ثلاثة آلاف ، بينما كان الروم وحلفاؤهم من قبائل الشام أكثر من مائتي ألف.

الثاني: أن القيصر بعد مؤتة، بدأ يجهز جيشًا كبيرًا؛ للقضاء على قوة المسلمين الناشئة، وجاءت الأخبار بذلك.

وهذا السبب الثاني، هو الذي حمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الخروج بالناس في زمن العسرة، ذلك أن الأمر لم يكن يحتمل التأخير.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

" وَكَانَتْ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ وَجدْبٍ مِنْ الْبِلَادِ وَحِينَ طَابَتْ الثّمَارُ وَالنّاسُ يُحِبّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ وَيَكْرَهُونَ شُخُوصَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ".[1]

وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

٩١٤- " قَالَ : إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ.

وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَرَجَعَ عِشَاءً، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ؟! فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.. قُلْتُ: مَا هُوَ؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ! طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ»[2].

يفهم من الحديث السابق:

أن المسلمين كانوا في حالة ترقب وحذر شديدين ، حتى إن أي طارق عليهم يظنونه نذيرًا للجيش.

ومعنى آخر مهم:

لماذا بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بدولة الروم ، ولم يبدأ بدولة الفرس لقتالها؟

فالمتوقع أن تكون البداية ضد دولة الفرس - لو كان الأمر حربًا لنشر الإسلام كما يظن البعض:

- لأن دولة الروم على عقيدة أهل الكتاب من النصارى، وهم أقرب للمسلمين من أهل الشرك من المجوس، ولذا بشر القرآن الكريم المسلمين بنصر الروم على الفرس في سورة (الروم) قال تعالى:

---

(١) سيرة ابن هشام (٣٩٧/٤) ط دار الحديث.

(٢) صحيح البخاري (٢٢٨٨).

﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

- ولأن رد كسرى على كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان قبيحًا، ومزق الكتاب ، لكنه لم يقتل السفير، بينما كان رد هرقل على كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر احترامًا وكياسة.

إذن...فلقد كان المنطقي أن تكون البداية بحرب الفرس – لكن قتل السفير الحارث بن عمير الأزدي- هو الذي عجل بالصدام بين النبي (صلى الله عليه وسلم) والقبائل الخاضعة للروم في مؤتة، وانضم إليهم هرقل بجيشه فكانت الحرب بين المسلمين وبين الروم.

هذا هو التفسير الواقعي للحوادث التي أدت إلى غزوة تبوك.

وحشود الروم تقترب:

قال ابن حجر:

٩١٥- « وَكَانَ السَّبَب فِيهَا مَا ذَكَرَهُ اِبْن سَعْد وَشَيْخه وَغَيْره قَالُوا : بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْأَنْبَاط الَّذِينَ يَقْدَمُونَ بِالزَّيْتِ مِنْ الشَّام إِلَى الْمَدِينَة أَنَّ الرُّوم جَمَعَتْ جُمُوعًا ، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُمْ لَخْم وَجُذَام وَغَيْرهمْ مِنْ مُتَنَصِّرَة الْعَرَب ، وَجَاءَتْ مُقَدِّمَتهمْ إِلَى الْبَلْقَاء ، فَنَدَبَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس إِلَى الْخُرُوج ، وَأَعْلَمَهُمْ بِجِهَةِ غَزْوَهُمْ».

الأمر لا يحتمل التأخير:

إذن، الأخبار بحشود الروم ومُتَنَصِّرَةِ العرب لم تترك لنا مجالًا لذكر مَنْ البادئ بالعدوان. وأيضًا، توقيت الغزوة لم يكن مناسبًا ،لكنه كان توقيتًا اضطراريًا. ولذلك قرر الرسول (صلى الله عليه وسلم)الغزو، رغم العوائق:

- شدة الحر.
- قلة الطعام، وقلة الماء.
- قلة الظَّهر.
- وكثرة عدد الجيش الذي يحتاج إلى الطعام والشراب والظَّهر.

- وعائق آخر ، أن هذا التوقيت كان موسم جمع الثمار؛ فيصعب على الناس تركها ،وهي حصاد عام.

رَوَى ابنُ إسْحاقَ:

٩١٦- «أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالتّهَيّؤِ لِغَزْوِ الرّومِ، وَذَلِكَ فِي زَمَانٍ مِنْ عُسْرَةِ النّاسِ وَشِدّةٍ مِنْ الْحَرّ وَجَدْبٍ مِنْ الْبِلَادِ، وَحِينَ طَابَتْ الثّمَارُ وَالنّاسُ يُحِبّونَ الْمُقَامَ فِي ثِمَارِهِمْ وَظِلَالِهِمْ، وَيَكْرَهُونَ الشّخُوصَ عَلَى الْحَالِ مِنْ الزّمَانِ الّذِي هُمْ عَلَيْهِ.»[١].

وقالَ ابنُ حَجَرٍ:

٩١٧- « وَفِي حَدِيث اِبْن عَبَّاس "قِيلَ لِعُمَر: حَدِّثْنَا عَنْ شَأْن سَاعَة الْعُسْرَة، قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوك فِي قَيْظ شَدِيد، فَأَصَابَنَا عَطَش" الْحَدِيث أَخْرَجَهُ اِبْن خُزَيْمَةَ .

٩١٨- وَفِي تَفْسِير عَبْد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ اِبْن عَقِيل قَالَ: "خَرَجُوا فِي قِلَّة مِنْ الظَّهْر وَفِي حَرّ شَدِيد حَتَّى كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِير فَيَشْرَبُونَ مَا فِي كَرِشه مِنْ الْمَاء، فَكَانَ ذَلِكَ عُسْرَة مِنْ الْمَاء وَفِي الظَّهْر وَفِي النَّفَقَة، فَسُمِّيَتْ غَزْوَة الْعُسْرَة"»[٢].

جهاد المال:

الجيش ثلاثون ألفًا ، وهو يحتاج إلى طعام وشراب وظَهْر (الجمال والخيول) وبغير أن يتوفر ذلك، لا يمكن خروج الجيش.

ومن هنا تظهر أهمية جهاد المال، والذي يذكره القرآن قبل جهاد النفس، وقد يتصور البعض أنه أقل أهمية وهذا خطأ، إن القوة الاقتصادية هي التي تسبق القوة العسكرية، وهي القاعدة التي تنبني عليها قوة الدولة العسكرية: شراء السلاح أو تصنيعه، ونفقات الجند، والنفقة على الخدمات الأساسية للمجتمع.

نفقة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

٩١٩- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَدّ فِي سَفَرِهِ وَأَمَرَ النّاسَ بِالْجِهَازِ وَالِانْكِمَاشِ وَحَضّ أَهْلَ الْغِنَى عَلَى النّفَقَةِ وَالْحُمْلَانِ فِي سَبِيلِ اللّهِ، فَحَمَلَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَاحْتَسَبُوا، وَأَنْفَقَ عُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ فِي ذَلِكَ نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَهَا.

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ /٣٩٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة).

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ أَنّ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ أَنْفَقَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: اللّهُمّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ، فَإِنّي عَنْهُ رَاضٍ»[1].

<u>وروى الترمذي:</u>

٩٢٠- « عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ عَنْ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ!! مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ!!»[2].

<u>وروى أيضًا:</u>

٩٢١- «عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَيَنْثُرُهَا فِي حِجْرِهِ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ» [3].

<u>وروى الإمام أحمد:</u>

٩٢٢- « عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَثَّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا. قَالَ: ثُمَّ حَثَّ فَقَالَ عُثْمَانُ: عَلَيَّ مِائَةٌ أُخْرَى بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ مَرْقَاةً مِنْ الْمِنْبَرِ ثُمَّ حَثَّ فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: عَلَيَّ مِائَةٌ أُخْرَى بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا.

قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا يُحَرِّكُهَا - وَأَخْرَجَ عَبْدُ الصَّمَدِ يَدَهُ كَالْمُتَعَجِّبِ - مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا[4].

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/ ٣٩٩).

[2] رواه الترمذي برقم(٣٦٣٣) ترقيم العالمية، وقال حديث غريب من هذا الوجه.

[3] رواه الترمذي برقم (٣٦٣٤) ترقيم العالمية، وقد حسنه.

[4] رواه أحمد (١٦٠٩٩) ورواته ثقات إلا فرقد أبي طلحة وهو مجهول – لكن شواهد الحديث كثيرة كما ذكرنا سابقًا.

وقال المباركفوري (في الرحيق المحتوم):

حتى بلغ مقدار صدقته تسمعائة بعير ومائة فرس سوى النقود – قلت: لكنه لم يذكر المصدر الذي نقل عنه.

تسابق الصحابة إلي البذل والعطاء :

عبد الرحمن بن عوف:

جاء في «الظلال» :

٩٢٣- « وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن أبي حاتم عن عكرمة - بألفاظ مختلفة - قال:

حث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الصدقة (يعني: في غزوة تبوك) فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف (أي: درهم) ، فقال يا رسول الله، مالي ،ثمانية آلاف، جئتك بنصفها وأمسكت نصفها.

فقال: «بارك الله لك فيما أمسكت ، وفيما أعطيت».

وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال: يا رسول الله أصبت صاعين من تمر، صاع أقرضه لربي، وصاع لعيالي. قال: فلمزة المنافقون، وقالوا: ما الذي أعطى ابن عوف إلا رياء، وقالوا: ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا؟!

في روايات أخرى أنهم قالوا عن أبي عقيل (وهو الذي بات يعمل عند يهودي ليحصل على صاعين أجرًا له، جاء بأحدهما لرسول الله - صلى الله عليه وسلم):- إنه إنما أراد أن يذكر بنفسه!».[١]

أبو بكر وعمر:

قال الصَّلَّابِي:

٩٢٤- « وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله، وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي،فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يومًا - فجئت بنصف مالي.

---

[١] في ظلال قوله تعالى:" إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم" للشهيد سيد قطب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيت لأهلك؟" قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أبقيت لأهلك؟" قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا»[١].

٩٢٥- وقال الواقدي:

وَحَضّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ وَرَغّبَهُمْ فِيهِ وَأَمَرَهُمْ بِالصّدَقَةِ، فَحَمَلُوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً. فَكَانَ أَوّلَ مَنْ حَمَلَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ جَاءَ بِمَالِهِ كُلّهِ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: هَلْ أَبْقَيْت شَيْئًا؟ قَالَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ بِنِصْفِ مَالِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: هَلْ أَبْقَيْت شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ نِصْفَ مَا جِئْت بِهِ.

وَبَلَغَ عُمَرَ مَا جَاءَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: مَا اسْتَبَقْنَا إلَى الْخَيْرِ إلّا سَبَقَنِي إلَيْهِ.

وَحَمَلَ الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ عَلَيْهِ السّلَامُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَالًا، وَحَمَلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَالًا، وَحَمَلَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ إلَيْهِ مَالًا ، مِائَتَيْ أُوقِيّةٍ. وَحَمَلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ إلَيْهِ مَالًا. وَحَمَلَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ إلَيْهِ مَالًا. وَتَصَدّقَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيّ بِتِسْعِينَ وَسْقًا تَمْرًا»[٢].

التَّوْرِية في الغزوات إلا تبوك:

جاء في حديث كعب بن مالك عند البخاري:

٩٢٦- « وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ»[٣]

---

[١] السيرة النبوية : عرض وقائع وتحليل أحداث – علي محمد الصلابي.

[٢] مغازي الواقدي (١/ ٩٩٠).

[٣] جزء من حديث مشهور عند البخاري برقم (٤٠٦٦) ترقيم العالمية.

البكاؤون:

هذا اللفظ مأخوذ من التعبير القرآني {تولَّوْا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون} ، هؤلاء بكَوْا؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون.

هؤلاء هم الوجه الآخر الفقير من المجتمع الإسلامي، في مقابل المُنْفِقِين المتصدقين من أثرياء الصحابة.

ليسوا من المنفقين ولا أصحاب المكانة الاجتماعية ، وبرغم هذا خلَّد القرآن مواقفهم .ورفع عنهم الحرج، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم- حين العودة من تبوك- أنهم شاركوا المجاهدين في الأجر (وهم بالمدينة).

هؤلاء كانت لهم مواقف مؤثرة:

٩٢٧- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ (مختصرًا):

"ثُمّ إنّ رِجَالًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُمْ الْبَكّاءُونَ، وَهُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ: (سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ) ، (وَعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ) ، وَ(أَبُو لَيْلَى عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ) ، (وَعَمْرُو بْنُ حُمَامِ بْنِ الْجَمُوحِ)، وَ(عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْمُغَفّلِ) ، (وَهَرَمِيّ بْنُ عَبْدِ اللّهِ)،وَ(عِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ) الْفَزَارِيّ.

فَاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فَقَالَ: لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَتَوَلّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدّمْعِ حَزَنًا أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ»[1] .

انحلت مشكلة اثنين منهم:

٩٢٨- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَبَلَغَنِي أَنّ ابْنَ يَامِينَ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ كَعْبٍ النّضْرِيّ لَقَى أَبَا لَيْلَى عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ كَعْبٍ وَعَبْدَ اللّهِ بْنَ مُغَفّلٍ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمَا؟ قَالَا: جِئْنَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِيَحْمِلَنَا ، فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَقَوّى بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ. فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا لَهُ فَارْتَحَلَاهُ، وَزَوّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ تَمْرٍ فَخَرَجَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ»[2].

---

[1] ابن هشام (٣٩٩/٤)، والبيهقي في الدلائل(٢١٨/٥) وتفسير الطبري (١٤٥/١٠) وغيرهما وأصله في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري (عن دار الحديث).

[2] ابن هشام (٤٠٠/٤) وابن حجر في فتح الباري (٧١٥/٧)وابن كثير في البداية، والطبري في التاريخ (عن دار الحديث).

وانحلت مشكلة أصحاب أبي موسى:

رَوَى الْبُخاريُّ:

٩٢٩- « عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ[١] لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ أَصْحَابِي أَرْسَلُونِي إِلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانُ وَلَا أَشْعُرُ، وَرَجَعْتُ حَزِينًا مِنْ مَنْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَأَخْبَرْتُهُمْ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا سُوَيْعَةً إِذْ سَمِعْتُ بِلَالًا يُنَادِي: أَيْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ! فَأَجَبْتُهُ فَقَالَ: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوكَ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ قَالَ: خُذْ هَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ وَهَذَيْنِ الْقَرِينَيْنِ لِسِتَّةِ أَبْعِرَةٍ[٢] ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ، فَانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحَابِكَ، فَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ - أَوْ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ فَارْكَبُوهُنَّ.

فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِمْ بِهِنَّ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُكُمْ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدَعُكُمْ حَتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ - إِلَى مَنْ سَمِعَ مَقَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا تَظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا: لِي وَاللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَنَا لَمُصَدَّقٌ وَلَنَفْعَلَنَّ مَا أَحْبَبْتَ.

فَانْطَلَقَ أَبُو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُمْ، حَتَّى أَتَوْا الَّذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْعَهُ إِيَّاهُمْ ثُمَّ إِعْطَاءَهُمْ بَعْدُ، فَحَدَّثُوهُمْ بِمِثْلِ مَا حَدَّثَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسَى » [٣].

صَدَقَةُ عُلْبَةَ بن زيد:

قال ابن القيم:

---

[١] الحملان: أي يحملهم على دابة يركبون عليها إلى الجهاد.

[٢] لستة أبعرة: القرينين: أي الجملين المشدودين أحدهما إلي الآخر، يحتمل أن الراوي اختصر واحدة من (هذين القرينين، وهذين القرينين، وهذين القرينين).

[٣] رواه البخاري برقم (٤٠٦٣) ترقيم العالمية.

٩٣٠- «وَقَامَ عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ فَصَلّى مِنْ اللّيْلِ وَبَكَى وَقَالَ: اللّهُمّ إنّك قَدْ أَمَرْتَ بالجهادِ ورغَّبتَ فيهِ، ثُمَّ لم تجعلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوّى بِهِ مَعَ رَسُولِك، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِك مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنّي أَتَصَدّقُ عَلَى كُلّ مُسْلِمٍ بِكُلّ مَظْلِمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ.

ثُمّ أَصْبَحَ مَعَ النّاسِ فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَيْنَ الْمُتَصَدّقُ هَذِهِ اللّيْلَةَ؟. فَلَمْ يَقُمْ إلَيْهِ أَحَدٌ. ثُمّ قَالَ: أَيْنَ الْمُتَصَدّقُ؟ فَلْيَقُمْ. فَقَامَ إلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَبْشِرْ، فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزّكَاةِ الْمُتَقَبّلَةِ»[1].

عظات:

هذا موقف أثر فيَّ تأثيرًا كبيرًا من زمن ، منذ قرأت هذا الموقف في (الظلال):

- إن هذا الصحابي يعلم قيمة الجهاد ، والأوامر القرآنية فيه، وترغيب النبي (صلى الله عليه وسلم) في الجهاد، والأجر المدّخر للمجاهدين.
- ثم وقف موقف (الفقير المتذلل إلى الله عز وجل).
- وجعل ذُلَّه وفَقْرَهُ إلى الله تعالى في جوف الليل – في صلاة الليل -وهي أفضل الصلاة بعد المفروضة.
- ووفقه الله تعالى إلى نوع جديد فريد من الصدقات: التصدق على كل مسلم بكل مظلمة في مال أو جسدٍ أو عِرض.
- وهذا لون بديع من ألوان روابط «الأخوة في الله» بين المسلمين ، التي لا تكتمل ولا تدوم إلا أن يكون عند (الأخ) هذا القدر الكافي من التسامح وسلامة الصدر والصفح عن مظالم إخوانه، فالإنسان لا يتصور أن يعيش في مجتمع من الملائكة لا يخطئون، ولو حاسب كل أخ على خطئه، أو عامَلَهُ بمثل خطئه، فسوف يجد نفسه في النهاية ...ليس له أخ!!!
- ولن يجد في النهاية من يتسامح معه إذا أخطأ.
- وقد أقرّ اللهُ ورسولُه (صلى الله عليه وسلم) هذه الصدقةَ، وتقبَّلها الله عز وجلّ منه.

شركاء في الأجر:

---

[1] زاد المعاد (٢/٣٠٥) ولم يذكر تخريجه.

٩٣١- روى البخاري:

« عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ»[1].

دلالة:

هذا الحديث العظيم ،أصل من أصول الإسلام وشريعته:

- إن الإنسان المؤمن يؤجر على عمل لم يعملْه.
- يؤجر بمجرد نيته أن يعمل، والنية الخالصة لا تكون إلا من قلب عامر بالإيمان، ولا يعلمها إلا علام الغيوب.
- شريطة أن يمنعه مانع شرعي (مقبول شرعًا).
- وهذا من فيض رحمة الله وكرمه وعلمه بعباده وضعفهم .سبحانه وتعالى.

المنافقون وأعمالهم، و أقوالهم ،ومؤامراتهم:

الجَد بن قيس يسقط في الفتنة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٩٣٢- « فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ ذَلِك لِلْجَدّ بْنِ قِيسٍ أَحَدِ بَنِي سَلِمَةَ: يَا جَدّ، هَلْ لَك الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَوْ تَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنّي؟ فَوَاَللّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدّ عُجْبًا بِالنّسَاءِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى إنْ رَأَيْتَ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَك.

فَفِي الْجَدّ بْنِ قِيسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} أَيْ إنْ كَانَ إنّمَا خَشَى الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَلَيْسَ ذَلِك

---

[1] رواه البخاري برقم (٤٠٧١) ترقيم العالمية.

بِهِ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنْ الْفِتْنَةِ أَكْبَرُ بِتَخَلّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَالرّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: وَإِنّ جَهَنّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ»[1].

نارُ جَهنم أشد حرًّا:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٣٣- « وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرّ.. زَهَادَةً فِي الْجِهَادِ وَشَكًّا فِي الْحَقّ، وَإِرْجَافًا بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ:
{وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرّ قُلْ نَارُ جَهَنّمَ أَشَدّ حَرّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}»[2] .

المتآمرون في بيت سويلم اليهودي:

٩٣٤- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

« وَحَدّثَنِي الثّقَةُ عَمّنْ حَدّثَهُ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ عَنْ إسْحَاقَ بْنِ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ حَارِثَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ:

بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ نَاسًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُوَيْلِمٍ الْيَهُودِيّ، وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْدَ جَاسُومَ، يُثَبّطُونَ النّاسَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إلَيْهِمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ. فَفَعَلَ طَلْحَةُ، فَاقْتَحَمَ الضّحّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ وَاقْتَحَمَ أَصْحَابُهُ فَأَفْلَتُوا»[3].

التخويف من قتال الروم:

(وحديث مخشن بن حمير، وقولهم كنا نخوض ونلعب):

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

[1] سيرة ابن إسحاق (٣٩٨/٤) . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢١٣/٥) وابن جرير الطبري (١٨١/٢) وغيرهم . عن دار الحديث. قلت: والرواية من جملة ما رواه ابن إسحاق عن جمع من شيوخه أمثال الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من الثقات.

[2] المصدر السابق . سيرة ابن هشام.

[3] واضح أن في سند ابن هشام مجهولان لم يذكرهما فالرواية تؤخذ بحذر لأن السند ضعيف.

٩٣٥- وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ، يُقَالُ لَهُ مُخَشَّنُ بْنُ حُمَيِّر - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ مَخْشِيّ - يُشِيرُونَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إلَى تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتَحْسِبُونَ جِلّادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ وَاَللّهِ لَكَأَنّا بِكَمْ غَدًا مُقَرّنِينَ فِي الْحِبَالِ إرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ(لهم): وَاَللّهِ لَوَدِدْت أَنّي أُقَاضَي عَلَى أَنْ يُضْرَبُ كُلُّ (رَجُلٍ) مِنّا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَإِنّا نَنْفَلِتُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فِيمَا بَلَغَنِي - لِعَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكْ الْقَوْمَ فَإِنّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا.

فَانْطَلَقَ إلَيْهِمْ عَمّارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}.

وَقَالَ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي - وَكَانَ الّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ - فَتَسَمّى عَبْدَ الرّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ»[1].

مقالة المنافقين في عليّ، يقابلها وسام من الرسول صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما .واللفظ لمسلم:

٩٣٦ – « عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ خَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[2].

وقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

[1] سيرة ابن هشام (٤٠٧/٤) وذكره ابن كثير في التفسير(٣٨١/٢) ، وابن حجر في الإصابة (٧٥/٦)وعزاه إلى تفسير الكلبي بسنده إلى ابن عباس وبسند آخر إلي ابن مسعود. عن دار الحديث.

[2] مسلم (٤٤١٩) والبخاري (٤٠٦٤).

٩٣٧- «وَخَلّفَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ عَلَى أَهْلِهِ وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ فَأَرْجَفَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا: مَا خَلّفَهُ إلّا اسْتِثْقَالًا لَهُ وَتَخَفّفًا مِنْهُ. فَلَمّا قَالَ ذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ أَخَذَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُرْفِ، فَقَالَ: يَا نَبِيّ اللّهِ زَعَمَ الْمُنَافِقُونَ أَنّكَ إنّمَا خَلّفْتنِي أَنّك اسْتَثْقَلْتنِي وَتَخَفّفْتْ مِنّي، فَقَالَ: كَذَبُوا، وَلَكِنّنِي خَلّفْتُك لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِك، أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيّ أَنْ تَكُونَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إلّا أَنّهُ لَا نَبِيّ بَعْدِي، فَرَجَعَ عَلَيّ إلَى الْمَدِينَةِ ؛ وَمَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى سَفَرِهِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُكَانَةَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ أَنّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لِعَلِيّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ»[١].

وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله تعالى، وقد ذكر لي أنهم نفر من بني غفار.

وقال ابن سعد (في الطبقات): وهم اثنان وثمانون رجلًا.

المخلفون من المؤمنين:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٣٨- « ثُمّ اسْتَتَبّ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَفَرُهُ وَأَجْمَعَ السّيْرَ وَقَدْ كَانَ نَفَرٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْطَأَتْ بِهِمْ النّيّةُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى تَخَلّفُوا عَنْهُ عَنْ غَيْرِ شَكّ وَلَا ارْتِيَابٍ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيّةَ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ. وَكَانُوا نَفَرَ صِدْقٍ لَا يُتّهَمُونَ فِي إسْلَامِهِمْ»[٢].

خروج الرسول (صلى الله عليه وسلم):

معسكر النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعسكر ابن سلول:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

[١] سيرة ابن هشام (٤٠١/٤) وشاهده في الصحيحين كما سبق.

[٢] سيرة ابن هشام (٤٠٠/٤).

٩٣٩- « فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ضَرَبَ عَسْكَرَهُ عَلَى ثَنِيّةِ الْوَدَاعِ.
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيّ وَذَكَرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمّدٍ الدّرَاوَرْدِيّ عَنْ أَبِيهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ، مَخْرَجَهُ إلَى تَبُوكَ، سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ.
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَضَرَبَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ مَعَهُ عَلَى حِدَةٍ عَسْكَرَهُ أَسْفَلَ مِنْهُ نَحْوَ ذُبَابٍ، وَكَانَ فِيمَا يَزْعُمُونَ لَيْسَ بِأَقَلّ الْعَسْكَرَيْنِ. فَلَمّا سَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَخَلّفَ عَنْهُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ، فِيمَنْ تَخَلّفَ مِنْ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الرّيْبِ»[1].

تعقيب:

قول ابن إسحاق عن معسكر ابن سلول أنه (لم يكن بأقل العسكرين) وَهْمٌ أكيد منه، ولذلك ذكره بصيغة (التمريض) أي عدم التأكيد قال (فيما يزعمون) وقد ذكره كذلك ابن القيم دون تعقيب، لكن صاحب (المنهج الحركي) أ.محمد منير الغضبان، أنكر ذلك - وهو مُحِقٌّ - لأنه لا يُتَصَوَّرُ بعد افتضاح أمر ابن سلول في بني المصطلق وحديث الإفك وبعد انتصارات المسلمين - لا يتصور أن يكون معه قرابة ثلاثين ألفًا ،مثل جيش الرسول صى الله عليه وسلم، ثم ينسحبون ولا يشعر بهم النبي صلى الله عليه وسلم.
وقد ذكر كعب بن مالك رضي الله عنه في حديثه أن الذين جاءوا بعد الغزوة يعتذرون كانوا بضعة وثمانين رجلًا، وهذا هو الأقرب للمنطق، والأقوى سندًا، والله أعلم.

أحداث الطريق إلى تبوك:

المرور بديار ثمود بالحِجْر:

روىالبخاري:

٩٤٠- «عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ» [2].

ورواه مسلم أيضًا:

---

[1] المصدر السابق.
[2] صحيح البخاري برقم (٤٠٦٧) ترقيم العالمية.

٩٤١- «عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحِجْرِ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا»[1].

وقال الحافظ في الفتح:

" أَنْ يُصِيبكُمْ " أَيْ خَشْيَة أَنْ يُصِيبكُمْ، وَوَجْه هَذِهِ الْخَشْيَة أَنَّ الْبُكَاء يَبْعَثهُ عَلَى التَّفَكُّر وَالِاعْتِبَار، فَكَأَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالتَّفَكُّرِ فِي أَحْوَال تُوجِب الْبُكَاء مِنْ تَقْدِير اللَّه تَعَالَى عَلَى أُولَئِكَ بِالْكُفْرِ مَعَ تَمْكِينه لَهُمْ فِي الْأَرْض وَإِمْهَالهمْ مُدَّة طَوِيلَة ثُمَّ إِيقَاع نِقْمَته بِهِمْ وَشِدَّة عَذَابه، وَهُوَ سُبْحَانه مُقَلِّب الْقُلُوب فَلَا يَأْمَن الْمُؤْمِن أَنْ تَكُون عَاقِبَته إِلَى مِثْل ذَلِكَ.

وَالتَّفَكُّر أَيْضًا فِي مُقَابَلَة أُولَئِكَ نِعْمَة اللَّه بِالْكُفْرِ وَإِهْمَالهمْ إِعْمَال عُقُولهمْ فِيمَا يُوجِب الْإِيمَان بِهِ وَالطَّاعَة لَهُ ، فَمَنْ مَرَّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَفَكَّر فِيمَا يُوجِب الْبُكَاء اِعْتِبَارًا بِأَحْوَالِهِمْ فَقَدْ شَابَهَهُمْ فِي الْإِهْمَال ، وَدَلَّ عَلَى قَسَاوَة قَلْبه وَعَدَم خُشُوعه ، فَلَا يَأْمَن أَنْ يَجُرّهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَمَل بِمِثْلِ أَعْمَالهمْ فَيُصِيبهُ مَا أَصَابَهُمْ ، وَبِهَذَا يَنْدَفِع اِعْتِرَاض مَنْ قَالَ: كَيْف يُصِيب عَذَاب الظَّالِمِينَ مَنْ لَيْسَ بِظَالِمٍ؟ لِأَنَّهُ بِهَذَا التَّقْرِير لَا يَأْمَن أَنْ يَصِير ظَالِمًا فَيُعَذَّب بِظُلْمِهِ.

وَفِي الْحَدِيث الْحَثّ عَلَى الْمُرَاقَبَة ، وَالزَّجْر عَنْ السُّكْنَى فِي دِيَار الْمُعَذَّبِينَ ، وَالْإِسْرَاع عِنْد الْمُرُور بِهَا ، وَقَدْ أُشِير إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْله تَعَالَى (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسهمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْف فَعَلْنَا بِهِمْ)".

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٩٤٢- « وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ مَرّ بِالْحِجْرِ[2] نَزَلَهَا ، وَاسْتَقَى النّاسُ مِنْ بِئْرِهَا. فَلَمّا رَاحُوا قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا ، وَلَا تَتَوَضّئُوا مِنْهُ لِلصّلَاةِ وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللّيْلَةَ إلّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ.

فَفَعَلَ النّاسُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، إلّا أَنّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ.

---

[1] صحيح مسلم برقم (٥٢٣٩) ترقيم العالمية، زجر: أي زجر الدابة. حتى خلفها: أي حتى ترك ديار ثمود.

[2] الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام.

فَأَمّا الّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِنّهُ خُنِقَ عَلَى مَذْهَبِهِ[1]، وَأَمّا الّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فَاحْتَمَلَتْهُ الرّيحُ حَتّى طَرَحَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيّئٍ . فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهِ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ؟ ثُمّ دَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلّذِي أُصِيبَ عَلَى مَذْهَبِهِ فَشُفِيَ، وَأَمّا الْآخَرُ الّذِي وَقَعَ بِجَبَلَيْ طَيّئٍ فَإِنّ طَيّئًا أَهْدَتْهُ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ»[2].

شدة العطش:

روى ابن خزيمة:

٩٤٣ - « عن عبد الله بن عباس: "أنه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى أنْ كان الرجل لَيَذهبُ يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل ينحَرُ بعيره فيعصِر فَرْثَه فيشربُه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا، فادع لنا، فقال: « أتحب ذلك؟» قال: نعم ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلمت، ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر»[3].

دلائل النبوة لا تقنع المنافقين:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٤٤- « عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيَدٍ قَالَ: لَقَدْ أَخْبَرَنِي رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْمُنَافِقِينَ مَعْرُوفٌ نِفَاقُهُ كَانَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَيْثُ سَارَ، فَلَمّا كَانَ مِنْ أَمْرِ النّاسِ بِالْحِجْرِ مَا كَانَ وَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ دَعَا، فَأَرْسَلَ اللّهُ السّحَابَةَ فَأَمْطَرَتْ حَتّى ارْتَوَى النّاسُ، قَالُوا: أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ نَقُولُ: وَيْحَك، هَلْ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ؟ قَالَ: سَحَابَةٌ مَارّةٌ»[4].

ضلَّت ناقةُ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم):

---

[1] خنق على مذهبة: أصابه مثل الشلل حين خرج لقضاء حاجته (التبرز).

[2] حديث مرسل حسن، وشواهده في الصحيحين كما ذكرنا.

[3] صحيح ابن خزيمة برقم (١٠١) المكتبة الشاملة.

[4] سيرة ابن هشام (٤٠٣/٤) وإسناده جيد، وشاهده في صحيح ابن خزيمة.

فكان هذا فرصة لبعض المنافقين (زيد بن اللُّصَيْت) ، أن يقول وأن يشكك في نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه لا يعرف أين ناقته، فلما أخبره الله عز وجل بمكانها ؛ لم يغير ذلك شيئًا من نفاق المنافق (زيد بن اللصيت).

متابعة دلائل النبوة:

وهي كثيرة، لا حصر لها، فنذكر منها في هذه الغزوة حتى الآن:

- إخبار الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقيام ريح في ديار ثمود.
- وحدوث ما حدث للرجلين اللذين خالفا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للذي خنق على مذهبه، وشفاؤه.
- ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربَّه لإنزال المطر، ومجيء السحابة على المعسكر فقط.
- وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بمكان الدابة .ردًّا على المنافقين.

وهذا حديث الدابة:

٩٤٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

"ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَارَ حَتّى إذَا كَانَ بِبَعْضِ الطّرِيقِ ضَلّتْ نَاقَتُهُ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا ، وَعِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رجلٌ من أصحابِهِ يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ ، وَكَانَ عَقَبِيّا بَدْرِيّا؟ وَكَانَ فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بْنُ اللّصَيْتِ الْقَيْنُقَاعِيّ، وَكَانَ مُنَافِقًا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيَدٍ ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَالُوا:

فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللّصَيْتِ[1] وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ - وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَلَيْسَ مُحَمّدٌ يَزْعُمُ أَنّهُ نَبِيّ ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إنّ رَجُلًا قَالَ هَذَا مُحَمّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنّهُ نَبِيّ ، وَيَزْعُمُ أَنّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنّي وَاَللّهِ مَا أَعْلَمُ إلّا مَا عَلّمَنِي

(١) أي كان في خيمة عُمارة بن حزم.

اللّهُ، وَقَدْ دَلّنِي اللّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي ، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا ، فَجَاءُوا بِهَا.

فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إلَى رَحْلِهِ فَقَالَ: وَاَللّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدّثَنَاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ آنِفًا، عَنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا - لِلّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِمّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: زَيْدٌ وَاَللّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ وَيَقُولُ إلَيّ عِبَادَ اللّهِ إنّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ!! أُخْرُجْ أَيْ عَدُوّ اللّهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَزَعَمَ بَعْضُ النّاسِ أَنّ زَيْدًا تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ بَعْضُ النّاسِ لَمْ يَزَلْ مُتّهَمًا بِشَرّ حَتّى هَلَكَ[1]».

عزمة أبي خيثمة:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٤٦ – «ثُمّ إنّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَيّامًا إلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارّ. فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهُمَا فِي حَائِطِهِ، قَدْ رَشّتْ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا ، وَبَرّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً وَهَيّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا.

فَلَمّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي الضّحّ[2] وَالرّيحِ وَالْحَرّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيّأٍ وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ فِي مَالِهِ مُقِيمٌ؟! مَا هَذَا بِالنّصَفِ. ثُمّ قَالَ: وَاَللّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَهَيّئَا لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا.

ثُمّ قَدّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ، ثُمّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ.

وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عُمَيْرِ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ فِي الطّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَتَرَافَقَا، حَتّى إذَا دَنَوَا مِنْ تَبُوكَ قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ: إنّ لِي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْك أَنْ تَخَلّفَ عَنّي حَتّى آتِيَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَفَعَلَ.

---

[1] سيرة ابن هشام (٤٠٤/٤) وإسناده صحيح حيث صرح ابن إسحاق بالتحديث عن الثقات.

[2] الضح: الشمس .

حَتّى إذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ قَالَ النّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ وَاَللّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ. فَلَمّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلّمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَوْلَى لَكَ[1] يَا أَبَا خَيْثَمَةَ. ثُمّ أَخْبَرَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْخَبَرَ ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ»[2] .

رحم الله أبا ذر يمشي وحده:

٩٤٧-« ثُمّ مَضَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَائِرًا ، فَجَعَلَ يَتَخَلّفُ عَنْهُ الرّجُلُ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللّهِ تَخَلّفَ فُلَانٌ! فَيَقُولُ: دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيَلْحَقُهُ اللّهُ تَعَالَى بِكَمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمْ اللّهُ مِنْهُ.

حَتّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ تَخَلّفَ أَبُو ذَرّ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ! فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيَلْحَقُهُ اللّهُ بِكَمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمْ اللّهُ مِنْهُ.

وَتَلَوّمَ أَبُو ذَرّ عَلَى بَعِيرِهِ، فَلَمّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَاشِيًا. وَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، فَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ هَذَا الرّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطّرِيقِ وَحْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: كُنْ أَبَا ذَرّ. فَلَمّا تَأَمّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ وَاَللّهِ أَبُو ذَرّ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: رَحِمَ اللّهُ أَبَا ذَرّ، يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ.

وَقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٤٨- فَحَدّثَنِي بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ الْأَسْلَمِيّ ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمّا نَفَى عُثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إلَى الرّبَذَةِ ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدَرُهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إلّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ، فَأَوْصَاهُمَا أَنْ اغْسِلَانِي وَكَفّنَانِي، ثُمّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطّرِيقِ فَأَوّلُ رَكْبٍ يَمُرّ بِكَمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرّ صَاحِبُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ. فَلَمّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ، ثُمّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطّرِيقِ.

---

[1] أولى لك: كلمة تهديد.

[2] سيرة ابن هشام (٤/٤٠١ –٤٠٢)، وشاهده عند البخاري ومسلم وأحمد من حديث كعب بن مالك.

وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمّارٍ.. فَلَمْ يَرُعْهُمْ إلّا بِالْجِنَازَةِ عَلَى ظَهْرِ الطّرِيقِ قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطَؤُهَا!! وَقَامَ إلَيْهِمْ الْغُلَامُ فَقَالَ: هَذَا أَبُو ذَرّ صَاحِبُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ.

قَالَ فَاسْتَهَلّ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَمْشِي وَحْدَك وَتَمُوتُ وَحْدَك، وَتُبْعَثُ وَحْدَك. ثُمّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ. ثُمّ حَدّثَهُمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي مَسِيرِهِ إلَى تَبُوكَ»[1]

<u>وقال ابن القيم:</u>

قُلْت: وَفِي هَذِهِ الْقِصّةِ نَظَرٌ فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمِ بْنُ حِبّانَ فِي "صَحِيحِهِ" وَغَيْرُهُ فِي قِصّةِ وَفَاتِهِ:

٩٤٩- عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمّ ذَرّ قَالَتْ:

"لَمّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرّ الْوَفَاةُ بَكَيْتُ فَقَالَ: مَا يُبْكِيك؟ فَقُلْت: مَا لِي لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوتُ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُك كَفَنًا، وَلَا يَدَانِ لِي فِي تَغْيِيبِك؟ قَالَ: أَبْشِرِي وَلَا تَبْكِي فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ: "لَيَمُوتَنّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُولَئِكَ النّفَرِ إلّا وَقَدْ مَاتَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ، فَأَنَا ذَلِكَ الرّجُلُ، فَوَاَللّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْت فَأَبْصِرِي الطّرِيقَ. فَقُلْت: أَنّى وَقَدْ ذَهَبَ الْحَاجّ وَتَقَطّعَتْ الطّرُقُ؟ فَقَالَ: اذْهَبِي فَتَبَصّرِي.

قَالَتْ: فَكُنْتُ أُسْنِدُ إلَى الْكَثِيبِ أَتَبَصّرُ.. ثُمّ أَرْجِعُ فَأُمَرّضُهُ. فَبَيْنَا أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ إذْ أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِحَالِهِمْ كَأَنّهُمْ الرّخَمُ، تَخُبّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ. قَالَتْ: فَأَشَرْتُ إلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوا إلَيّ حَتّى وَقَفُوا عَلَيّ فَقَالُوا: يَا أَمَةَ اللّهِ مَا لَك؟ قُلْت: امْرُؤٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَمُوتُ تُكَفّنُونَهُ قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قُلْت: أَبُو ذَرّ. قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ؟ قُلْت: نَعَمْ. فَفَدّوْهُ بِآبَائِهِمْ وَأُمّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوا إلَيْهِ حَتّى دَخَلُوا عَلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُمْ: أَبْشِرُوا فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ: "لَيَمُوتَنّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ" وَلَيْسَ مِنْ أُولَئِكَ النّفَرِ رَجُلٌ إلّا وَقَدْ هَلَكَ فِي جَمَاعَةٍ، وَاَللّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْت. إنّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُنِي كَفَنًا لِي أَوْ

---

[1] سيرة ابن هشام (٤٠٥/٤) والحديث بطوله عند الحاكم (٥٠/٣) وقال صحيح ، وقال الذهبي: فيه إرسال، وانظر إلي تحقيق ابن القيم التالي عندنا.

لِامْرَأَتِي لَمْ أُكَفَّنْ إِلَّا فِي ثَوْبٍ هُوَ لِي أَوْ لَهَا، فَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ اللّهَ أَنْ لَا يُكَفِّنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا. وَلَيْسَ مِنْ أُولَئِكَ النّفَرِ أَحَدٌ إِلّا وَقَدْ قَارَفَ بَعْضَ مَا قَالَ إِلّا فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: أَنَا يَا عَمّ أُكَفّنُك فِي رِدَائِي هَذَا وَفِي ثَوْبَيْنِ مِنْ عَيْبَتِي مِنْ غَزْلِ أُمّي. قَالَ: أَنْتَ فَكَفّنّي. فَكَفَّنَهُ الْأَنْصَارِيّ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي نَفَرٍ كُلّهُمْ يَمَانٍ»[١].

ومن دلائل النبوة: عين تبوك:

روى الإمام مسلم:

٩٥٠- «عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلَاةَ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا.

ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ.

فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟ قَالَا: نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ.

قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَوْ قَالَ غَزِيرٍ شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ.

ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا»[٢].

من روائع خطبه، وجوامع كلمه (صلى الله عليه وسلم):

هذه هي خطبته (صلى الله عليه وسلم) في اليوم الذي أصبح فيه في تبوك، خطبةٌ جمعت خَيْرَي الدنيا والآخرة، وأخبرنا فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) عن:

- أصدق الحديث، وأوثق العرى.

---

[١] زاد المعاد (٢/٣٠٨).

[٢] صحيح مسلم (٤٢٢٩) ترقيم العالمية.

- وشر الأمور، وخير الهدي.
- وشر العمر، وأشرف الموت.
- وخير الغنى.

تفكر يا أخي...ثم أقرأ الخطبة كاملة.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٥١- « فَصْلٌ فِي خُطْبَتِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِتَبُوكَ وَصَلَاتِهِ: ذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ فِي "الدّلَائِلِ" وَالْحَاكِمُ، مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَاسْتَرْقَدَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيْلَةً لَمّا كَانَ مِنْهَا عَلَى لَيْلَةٍ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ فِيهَا حَتّى كَانَتْ الشّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ، قَالَ: "أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَا بِلَالُ أكلأ لَنَا الْفَجْرَ؟" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ ذَهَبَ بِي مِنْ النّوْمِ الّذِي ذَهَبَ بِك.

فَانْتَقَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمّ صَلّى، ثُمّ ذَهَبَ بَقِيّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ.

فَأَصْبَحَ بِتَبُوكَ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمّ قَالَ:

" أَمّا بَعْدُ فَإِنّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللّهِ.

وَأَوْثَقَ الْعُرَى كَلِمَةُ التّقْوَى.

وَخَيْرَ الْمِلَلِ مِلّةُ إبْرَاهِيمَ.

وَخَيْرَ السّنَنِ سُنّةُ مُحَمّدٍ.

وَأَشْرَفَ الْحَدِيثِ ذِكْرُ اللّهِ.

وَأَحْسَنَ الْقَصَصِ هَذَا الْقُرْآنُ.

وَخَيْرَ الْأُمُورِ عَوَازِمُهَا.

وَشَرّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا.

وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ.

وَأَشْرَفَ الْمَوْتِ قَتْلُ الشّهَدَاءِ.

وَأَعْمَى الْعَمَى الضّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى.

وَخَيْرَ الْأَعْمَالِ مَا نَفَعَ.

وَخَيْرَ الْهُدَى مَا أُتّبِعَ.

وَشَرّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ.

وَالْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السّفْلَى.

وَمَا قَلّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمّا كَثُرَ وَأَلْهَى.

وَشَرّ الْمَعْذِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ.

وَشَرّ النّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمِنْ النّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجُمُعَةَ إلّا دُبُرًا وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُ اللّهَ إلّا هَجْرًا وَمِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا اللّسَانُ الْكَذّابُ.

وَخَيْرُ الْغِنَى غِنَى النّفْسِ.

وَخَيْرُ الزّادِ التّقْوَى.

وَرَأْسُ الْحُكْمِ مَخَافَةُ اللّهِ عَزّ وَجَلّ.

وَخَيْرُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ. وَالِارْتِيَابُ مِنْ الْكُفْرِ.

وَالنّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيّةِ. وَالْغُلُولُ مِنْ جُثَا جَهَنّمَ.

وَالسّكْرُ كَيّ مِنْ النّارِ.

وَالشّعْرُ مِنْ إبْلِيسَ.

وَالْخَمْرُ جِمَاعُ الْإِثْمِ.

وَشَرّ الْمَأْكَلِ مَالُ الْيَتِيمُ.

وَالسّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَالشّقِيّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمّهِ.

وَإِنّمَا يَصِيرُ أَحَدُكُمْ إلَى مَوْضِعِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ وَالْأَمْرُ إلَى الْآخِرَةِ.

وَمَلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ.

وَشَرّ الرّوَايَا رَوَايَا الْكَذِبِ.

وَكُلّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ.

وَسِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللّهِ وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ.

وَمَنْ يَتَأَلّ عَلَى اللّهِ يُكَذّبْهُ.

وَمَنْ يَغْفِرْ يُغْفَرْ لَهُ. وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ يَكْظِمْ الْغَيْظَ يَأْجُرْهُ اللّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرّزِيّةِ يُعَوّضُهُ اللّهُ.
وَمَنْ يَبْتَغِ السّمْعَةَ يُسَمّعْ اللّهُ بِهِ.
وَمَنْ يَتَصَبّرْ يُضْعِفْ اللّهُ لَهُ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ يُعَذّبْهُ اللّهُ" ثُمّ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا»[١].

لم يحدث في تبوك قتال:

لم يذكر أحد من رواة السيرة أنه حدث قتال في تبوك، والظاهر أن "المباركفوري" استنتج «أن الرومان وحلفاءهم لما سمعوا بزحف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخذهم الرعب ؛فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد داخل حدودهم».

مصالحة يوحنة صاحب أيلة، وأهل جرباء وأذرح:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٥٢- « وَلَمّا انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى تَبُوكَ، أَتَاهُ يُحَنّةُ بْنُ رُؤْبَةَ، صَاحِبُ أَيْلَةَ ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ.
وَأَتَاهُ أَهْلَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ ، فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ فَكَتَبَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَهُمْ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُمْ.

كِتَابُ الرّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) لِيُحَنّةَ:

فَكَتَبَ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ: "بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنْ اللّهِ، ومن مُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللّهِ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفُنُهُمْ وَسَيّارَتُهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا، فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ. وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ»[٢].

ومن دلائل النبوة: (ستجده يصيد البقر):

أسر أكيدر دومة الجندل، ومصالحته:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

---

[١] زاد المعاد (٣١١/٢) نقلا عن البيهقي في دلائل النبوة، والحاكم في المستدرك.
[٢] سيرة ابن هشام (٤٠٦/٤) ، وزاد المعاد(٣٠٩/٢).

٩٥٣- «ثُمّ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَهُ إلَى أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ، وَهُوَ أُكَيْدِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِخَالِدِ: "إنّك سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ".

فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتّى إذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ وَفِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ، فَبَاتَتْ الْبَقَرُ تَحُكّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ. فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: هَلْ رَأَيْت مِثْلَ هَذَا قَطّ؟ قَالَ: لَا وَاَللّهِ. قَالَتْ: فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا أَحَدَ.

فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ لَهُ، وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ أَخٌ يُقَالُ لَهُ حَسّانُ. فَرَكِبَ وَخَرَجُوا مَعَهُ بِمُطَارِدِهِمْ. فَلَمّا خَرَجُوا تَلَقّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَخَذَتْهُ. وَقَتَلُوا أَخَاهُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُخَوّصٌ بِالذّهَبِ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ فَبَعَثَ بِهِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ»[1].

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

ثُمّ إنّ خَالِدًا قَدِمَ بِأُكَيْدِرٍ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ ثُمّ خَلّى سَبِيلَهُ فَرَجَعَ إلَى قَرْيَتِهِ».

مناديل سعد بن معاذ:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٥٤- « فَحَدّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:

رَأَيْت قَبَاءَ أُكَيْدِرٍ حِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ وَيَتَعَجّبُونَ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ فَوَاَلّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا»[2].

زيادات على قصة الأكيدر في زاد المعاد:

قال ابن القيم .بعد ذكر ما قاله ابن إسحاق:

---

[1] سيرة ابن هشام (٤٠٧/٤) وهو هنا مرسل لكنه موصول عند البيهقي في السنن (١٨٧/٩) وذكر ابن حجر في الإصابة (١٤٢/١) قال:" وقد وقع لنا مسندا (مختصر تخريج دار الحديث).

[2] سيرة ابن هشام (٤٠٧/٤) والحديث صحيح وهو عند البخاري ومسلم وغيرهما.

٩٥٥- « وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَالِدًا فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدّمَ. قَالَ: وَأَجَارَ خَالِدٌ أُكَيْدِرًا مِنْ الْقَتْلِ حَتّى يَأْتِيَ بِهِ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. عَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فَفَعَلَ وَصَالَحَهُ عَلَى أَلْفَيْ بَعِيرٍ وَثَمَانِمِائَةِ رَأْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ دِرْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ رُمْحٍ.

فَعَزَلَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَفِيّةُ خَالِصًا، ثُمّ قَسَمَ الْغَنِيمَةَ فَأَخْرَجَ الْخُمُسَ، فَكَانَ لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

ثُمّ قَسَمَ مَا بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ فَصَارَ لِكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خُمُسُ فَرَائِضَ.

وَذَكَرَ ابْنُ عَائِذٍ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنّ أُكَيْدِرًا قَالَ عَنْ الْبَقَرِ وَاَللّهِ مَا رَأَيْتهَا قَطّ أَتَتْنَا إلّا الْبَارِحَةَ وَلَقَدْ كُنْتُ أُضْمِرُ لَهَا الْيَوْمَيْنِ وَالثّلَاثَةَ وَلَكِنْ قَدّرَ اللّهُ.

٩٥٦- قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: وَاجْتَمَعَ أُكَيْدِرٌ وَيُحَنّةُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَدَعَاهُمَا إلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَيَا وَأَقَرّا بِالْجِزْيَةِ. فَقَاضَاهُمَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى قَضِيّةِ دَوْمَةَ، وَعَلَى تَبُوكَ، وَعَلَى أَيْلَةَ، وَعَلَى تَيْمَاءَ، وَكَتَبَ لَهُمَا كِتَابًا»[1]

العودة المظفرة:

حقق رسول الله (صلى الله على وسلم) كل أهدافه من الغزوة، بعد أن أقام في تبوك بضع عشرة ليلة (كما ذكر ابن إسحاق). أما تلك الأهداف فمنها:

- رد الروم عن التفكير في جمع الجموع لمهاجمة المدينة المنورة.
- بسط الأمن والأمان، في ربوع تلك المنطقة.
- ثبت للقبائل المتحالفة مع الروم، أن الروم لن ينفعوهم إذا استمر الصراع مع القوة الناشئة في المدينة؛ لأنها قوة عقيدة.
- هربت قبائل الغساسنة ، وجاء الأكيدر ويوحنة، يطلبون الصلح والأمان، مما يعني أن السيادة على جزيرة العرب أصبحت للإسلام والمسلمين.

مؤامرة المنافقين لقتل النبي(صلى الله عليه وسلم) في طريق العودة:

---

[1] زاد المعاد (٢/ ٣١٠)

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٥٧- « ذَكَرَ أَبُو الْأَسْوَدِ فِي " مَغَازِيهِ " عَنْ عُرْوَةَ قَالَ:

وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَكَرَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ. فَتَآمَرُوا أَنْ يَطْرَحُوهُ مِنْ رَأْسِ عَقَبَةٍ فِي الطَّرِيقِ فَلَمَّا بَلَغُوا الْعَقَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ بِبَطْنِ الْوَادِي فَإِنَّهُ أَوْسَعُ لَكُمْ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَقَبَةَ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِبَطْنِ الْوَادِي إِلَّا النَّفَرَ الَّذِينَ هَمُّوا بِالْمَكْرِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا سُمِعُوا بِذَلِكَ اسْتَعَدُّوا وَتَلَثَّمُوا وَقَدْ هَمُّوا بِأَمْرٍ عَظِيمٍ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَمَشَيَا مَعَهُ وَأَمَرَ عَمَّارًا أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ النَّاقَةِ وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَسُوقَهَا.

فَبَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا وَكْزَةَ الْقَوْمِ مِنْ وَرَائِهِمْ قَدْ غَشَوْهُ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَ حُذَيْفَةَ أَنْ يَرُدَّهُمْ، وَأَبْصَرَ حُذَيْفَةُ غَضَبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ وَمَعَهُ مِحْجَنٌ وَاسْتَقْبَلَ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ فَضَرَبَهَا ضَرْبًا بِالْمِحْجَنِ، وَأَبْصَرَ الْقَوْمَ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ وَلَا يَشْعُرُ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْمُسَافِرِ، فَأَرْعَبَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ حِينَ أَبْصَرُوا حُذَيْفَةَ وَظَنُّوا أَنَّ مَكْرَهُمْ قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، فَأَسْرَعُوا حَتَّى خَالَطُوا النَّاسَ وَأَقْبَلَ حُذَيْفَةُ حَتَّى أَدْرَكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ: اضْرِبْ الرَّاحِلَةَ يَا حُذَيْفَةُ وَامْشِ أَنْتَ يَا عَمَّارُ فَأَسْرَعُوا حَتَّى اسْتَوَوْا بِأَعْلَاهَا فَخَرَجُوا مِنْ الْعَقَبَةِ يَنْتَظِرُونَ النَّاسَ.

فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُذَيْفَةَ: هَلْ عَرَفْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ أَوْ الرَّكْبِ أَحَدًا؟ قَالَ: حُذَيْفَةُ عَرَفْتُ رَاحِلَةَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ. وَقَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ وَغَشِيَتْهُمْ وَهُمْ مُتَلَثِّمُونَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ شَأْنُ الرَّكْبِ وَمَا أَرَادُوا؟ قَالُوا: لَا وَاَللهِ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: فَإِنّهُمْ مَكَرُوا لِيَسِيرُوا مَعِي حَتّى إذَا اطّلَعْتُ فِي الْعَقَبَةِ طَرَحُونِي مِنْهَا. قَالُوا: أَوَلَا تَأْمُرُ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللّهِ إذًا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؟ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدّثَ النّاسُ وَيَقُولُوا: إنّ مُحَمّدًا قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي أَصْحَابِهِ فَسَمّاهُمْ لَهُمَا وَقَالَ: اُكْتُمَاهُمْ»[١].

العودة إلى المدينة، وحرق مسجد الضرار:

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٥٨- « وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ تَبُوكَ حَتّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ.

وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضّرَارِ أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَجَهّزُ إلَى تَبُوكَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِذِي الْعِلّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ الشّاتِيَةِ وَإِنّا نُحِبّ أَنْ تَأْتِيَنَا فَتُصَلّيَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: إنّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا إنْ شَاءَ اللّهُ لَأَتَيْنَاكُمْ فَصَلّيْنَا لَكُمْ فِيهِ. فَلَمّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ جَاءَهُ خَبَرُ الْمَسْجِدِ مِنْ السّمَاءِ.

فَدَعَا مَالِكَ بْنَ الدّخْشُمِ أَخَا بَنِي سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ وَمَعْنَ بْنَ عَدِيّ الْعَجْلَانِيّ فَقَالَ: انْطَلِقَا إلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرّقَاهُ. فَخَرَجَا مُسْرِعَيْنِ حَتّى أَتَيَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ وَهُمْ رَهْطُ مَالِكِ بْنِ الدّخْشُمِ، فَقَالَ مَالِكٌ لِمَعْنٍ: أَنْظِرْنِي حَتّى أَخْرُجَ إلَيْك بِنَارٍ مِنْ أَهْلِي، وَدَخَلَ إلَى أَهْلِهِ فَأَخَذَ سَعَفًا مِنْ النّخْلِ فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمّ خَرَجَا يَشْتَدّانِ حَتّى دَخَلَاهُ - وَفِيهِ أهله فحرقاه وَهَدَمَاهُ فَتَفَرّقُوا عَنْهُ.

فَأَنْزَلَ اللّهُ فِيهِ {وَالّذِينَ اتّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} إلَى آخِرِ الْقِصّةِ»[٢].

طلع البدر علينا:

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٥٩- « فَلَمّا دَنَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النّاسُ لِتَلَقّيهِ وَخَرَجَ النّسَاءُ والصِّبيانُ والوَلَائِدُ يَقُلْنَ:

---

[١] زاد المعاد (٣١٣/٢) نقلها ابن القيم عن مغازي أبي الأسود، ثم نقل رواية ابن إسحاق لكنه نقدها من ثلاثة وجوه، فاقتصرنا على الرواية السابقة، وهي عند أحمد أيضا في المسند.

[٢] زاد المعاد (٣١٥/٢)

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيّاتِ الْوَدَاع

وَجَبَ الشّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلّهِ دَاعٍ

وَبَعْضُ الرّوَاةِ يَهِمُ فِي هَذَا وَيَقُولُ إنّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَقْدِمِهِ إلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكّةَ..

وَهُوَ وَهْمٌ ظَاهِرٌ، لِأَنّ ثَنِيّاتِ الْوَدَاعِ إنّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشّامِ لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكّةَ إلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا يَمُرّ بِهَا إلّا إذَا تَوَجّهَ إلَى الشّامِ.

فَلَمّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبّنَا وَنُحِبّهُ»[1].

العودة المظفرة والبدء بالمسجد:

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٦٠- « وَلَمّا دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمّ جَلَسَ لِلنّاسِ فَجَاءَهُ الْمُخَلّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللّهِ، وَجَاءَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ...»

المخلفون وحديث كعب بن مالك:

هذا حديث طويل رائع ، فيه حشد ضخم من المعاني والدلالات والعظات، والحديث عند البخاري ومسلم وابن إسحاق وأكثر الرواة:

وسنختار رواية الإمام البخاري:

رَوَى البُخَارِيُّ :

٩٦١- « أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ - حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ - قَالَ كَعْبٌ:

لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.

وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا.

---

[1] المصدر السابق.

كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ.

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ[١] - يُرِيدُ الدِّيوَانَ - قَالَ كَعْبٌ فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ.

وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتْ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ.

فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا.

ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا.

فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ[٢] الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ.

فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا[٣] عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ.

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: "مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟" فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ[٤]. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) لا يجمعهم كتاب مكتوب.

(٢) أي فات وسبق.

(٣) أي مطعونا في دينه مستحقرًا.

(٤) العرب تصف الرداء الحسن بالعطف لوقوعه علي عطفي الرجل.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي. فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ.

وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: "مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟" فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ[1] فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ.. لَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ!! وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ.

فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ.

فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا[2] فِيهِمَا أُسْوَةٌ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

---

(١) أي تغضب علي.

(٢) الظاهرأنه من كلام الرواة والراجح أنهما لم يشهدا بدرًا كما قال ابن الجوزى ووافقه ابن حجر .

وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً.

فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ[1] مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ[2] بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ[3] بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ

---

[1] مأخوذ من استنباط الماء، وكان أهل الشام أهل فلاحة.

[2] تيممت:أي قصدت، التنور: ما يخبز فيه.

[3] فسجرته: أوقدته.

خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ، قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ.

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا.

فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ "قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ" سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

[يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ]

قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ. فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ" قَالَ قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: "لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي؛ مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} إِلَى قَوْلِهِ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ} إِلَى قَوْلِهِ {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنْ الْغَزْوِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ»[1].

نظرة عامة على غزوة تبوك:

١) جيش العسرة:

هذا الوصف يبين الحالة التي عاشها الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم -مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وليس في تبوك وحدها، عاشوا الفقر والجوع وقلة المال وقلة الظهر، وبرغم هذا كان عطاؤهم فذًّا على مدار التاريخ البشري كله؛ فصاروا نجومًا يُهتدى بها.

لئن كان البعض (يغبط) الصحابة على أنهم غنموا أروع شيء في الدنيا ألا وهو: صحبة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والنظر إليه ، والاستماع إليه، والتعلم منه والتربية على يديه، لكنهم كانوا عند مستوى هذه المكانة، فتحملوا كل الظروف والأحوال، غزوات وسرايا متلاحقات،

---

[1] رواه البخاري برقم (٤٠٦٦) ترقيم العالمية.

جراح وشهداء، أيام صعبة في مواجهات مع أعداء يملأون الأرض، وتحملوا أيضًا ترك حظوظ النفس والشهوات، ما الوقت الذي بقي لهم ليعطوه للزراعة والتجارة ورعاية الأسرة؟.. إنه القليل ، وكان ما عند الله خير لهم وأبقى.

٢) <u>ضعف النفس البشرية وعزمات الإيمان:</u>

الصحابة لم يكونوا ملائكة، بل كانت فيهم نوازع بشرية، يتولى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه علاجها: فهذا أبو خيثمة، يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الإيمان استيقظ في نفسه سريعًا لترك الزوجتين والعريش والظل والماء البارد، وينطلق حتى يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا كعب بن مالك ورفيقاه يصل الأمر بهم إلى التخلف التام عن الغزوة!!!دون أي عذر لهم سوى الاستسلام لوسوسة النفس والشيطان، حتى فاتتهم الغزوة ، وقعدوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن هؤلاء الثلاثة لهم حديث مستقل.

٣) <u>النفاق في المجتمع الإسلامي:</u>

المنافقون نوعية صعبة من الأعداء؛ لأن العدو الصريح يُقاتل قتالًا صريحًا حتى ينهزم، لكن المنافقين ابتكروا طريقة عجيبة في العداء وهي: إظهار الإسلام وإبطان الكفر، والعداوة والتفرغ للمؤامرات والدسائس، والطعن في الظهر، لا في المواجهة، وخصوصًا في أوقات المحن والشدائد.

لقد ذكرهم القرآن في سورة البقرة، وآل عمران، وسورة (المنافقون)، وسورة (براءة) التى سميت الفاضحة؛ لفضح أعمالهم وأقوالهم، وكذا في سورة النور، ذكرهم القرآن بأوصافهم؛ ليعرفهم المسلمون ويعرفوا أعمالهم ويحذروا منها.

<u>إذن شاءت حكمة الله عز وجل:</u>

- ألا تتقرر عقوبة في الدنيا للمنافقين!! عَصَمَتْهُم (لا إله إلا الله) وإن كانوا يقولونها عن غير إيمان.
- وأن يستمر ضررهم وحصد المسلمين ثمرات أليمة لنفاقهم.
- فيكون على المسلمين أن يتقنوا منهجًا إضافيًّا في الحروب، ألا وهو الحذر من عدو مجهول غير معلوم: فيحتاطوا من سلاح (الإشاعات) كما فى حديث الإفك ،

وأحاديث التشكيك في المنهج والرسالة والنبوة . وهي تتكرر في كل زمان ومكان، وأن يتحسبوا للحظة انسحاب المنافقين من الجيش (كما في أحد) فيجب أن تجري الحسابات على احتمال وجود مرضى النفوس داخل الصفوف. وألا يضعفوا أو يهتزوا حينما ينسحب المنافقون في اللحظات الحاسمة ، بل ويجب أن يحتاطوا؛ لاحتمال اتصال العدو بهذا الطابور الخامس من المرضى في صفوف المجتمع الإسلامي.

- أما المنافقون فعقوبتهم في الآخرة: الدرك الأسفل من النار، ليعلم الناس أن الدنيا ليست مكانًا لاستيفاء كل الحقوق، ومعاقبة كل المجرمين لكن الإله المطَّلع .سبحانه . هو الذي يجري العدل في يوم الحساب فلا تُظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل...

٣) أبو ذر الغفاري:

نموذج وحده .. روعة صحابي .. وهمة عالية.. وقدرة فذَّة على الاستقلال والأداء الفردي.

فقصة إسلامه تبين ذلك ، إذ يسافر وحده قرابة ٤٠٠ كم ، معه زاد قليل ويعيش على ماء زمزم أيامًا عديدة - وحده- حتى يلقاه سيدنا علي فيوصله إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فيسلم ، ثم يخرج وحده ليصرخ ب (لا إله إلا الله) وسط قريش فيتحمل وحده الأذى، ويُكَرِّر ذلك في اليوم الثاني ، ثم يرجع إلى قبيلته ليبقى .وحده. محافظًا على الإسلام، وداعية له حتى يهاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) فيلحق به.

وفي غزوة تبوك : يعالج بعيره، فيتلوَّم عليه، فيحمل زاده على ظهره ويمشى وحده مسافة ٧٠٠ كم في الحر الشديد والعطش الشديد، وما أقسى الصحراء على المسافر وحده بعيدًا عن القافلة!

لذا لا يكون غريبًا أن يبعث وحده. أي أُمَّةً وحده .تكريمًا وتشريفًا له، وقبلها يموت وحده، أي منفيًّا عن المدينة، في غربة ووحشة ويتحمل ذلك طاعة لوليّ الأمر .سيدنا عثمان .رغم اختلاف أبي ذر الشديد معه .. رضي الله عنهم أجمعين.

٤) حديث المخلفين الثلاثة:

وفيه من الدلالات والعظات ما لا يحصى:

١- تقييم سيدنا كعب لليلة العقبة أنها أهم في تأثيرها على مجريات الأحداث في السيرة من غزوة بدر، وإن كانت بدر أشهر في الناس، وهذا ينم عن عقل وبصيرة، عند سيدنا كعب.

٢- يتكلم عن مكنونات النفس وحديثها الداخلي كطبيب نفسيّ حاذق ،فيعترف أن تخلفه لم يكن عن عذر، بل كان في أقوى وأيسر حالاته .وهذا صدق مع النفس، يسبقه صدقه مع الله عز وجل، ويفسر ذلك بأنه نوع من أنواع التكاسل والتسويف، والتردد، وقلة العزيمة، فهو في كل يوم يتجهز الناس، وهو يقول :(أنا قادرعلى ذلك إن أردت)، وهو درس لكل من يؤجل الطاعة أو عمل الخير . حتى تضيع منه الفرصة.

٣- كان يحزنه بعد التخلف أنه لا يرى في المدينة إلا منافقًا (مغموصًا) في النفاق ، أو رجلًا ممن عذرهم الله تعالى. وهذا وصف رائع لحالة النفير العام في المجتمع الإسلامي من أجل الجهاد.

٤- الجيش ثلاثون ألفًا، والمخلفون (من الصادقين) ثلاثة ، أي واحد لكل عشرة آلاف، برغم عدم وجود (أحكام عسكرية .أو فرض أحكام عرفية).

٥- في انتظار عودة النبي(صلى الله عليه وسلم) يحدث نفسه: أي الأعذار يسوقها للنبي صلى الله عليه وسلم؟ ثم يستيقظ الإيمان ، ويقرر الصدق .طبعًا .مهما كانت النتائج أو العقوبات.

٦- يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم، ويتبسم تَبَسُّمَ المغضب، وهو وصف عجيب: كيف يجتمع الغضب والتبسم في آن واحد؟! إنه منهج نبوي كريم في التربية: الغضب من المقصِّر، ولكنه لا يُيْئِسُه من مودته ومحبته والأمل في التوبة والمغفرة.

٧- يصارح النبي (صلى الله عليه وسلم)مصارحة إيمانية عالية المستوى : لقد آثر الصدق مع الله عز وجل ويرجو من الله عقبى، رغم أن ذلك يُغضب النبي (صلى

الله عليه وسلم) عليه، فهذا أحب إليه من حديث كذب، يُرْضِي به النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الله عز وجل سوف يسخط على كعب..

٨- النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب المنافقين ؛لأنهم لا يستحقون هذا الشرف، وقرر عقوبة الثلاثة الذين صدقوا؛ لأن العقوبة شرف لهم في الدنيا، فهى إقرار بصدقهم، وتكفير لذنبهم، وإمهال لهم حتى يصدقوا التوبة والندم فيتوب الله عليهم.

٩- النبي صلى الله عليه وسلم لم يشكل لهم محاكمة عسكرية تحكم على المتهرب من الخدمة العسكرية بالإعدام أو السجن المؤبد .كما يفعل الناس اليوم- وإنما قرر منع الناس من كلامهم! ، ذلك أن الإسلام لا يريد من المسلم أن يخرج للجهاد مكرهًا خائفًا من العقوبة فقط، فما قيمة الجندي الذي يحارب خوفًا من العقوبة؟ الإسلام يريد أن يخرج المقاتل رغبة فيما عند الله، ومتمنيًا الشهادة ؛لأنه يؤمن إيمانًا عميقًا بأجر المجاهد وأجر الشهيد عند الله.

١٠- المجتمع المسلم كله يلتزم بهذه المقاطعة.

١١- استعداد تام من كعب أن يطلق زوجته، لو أمره النبي صلى الله عليه وسلم.

١٢- ملك غسان يتابع أخبار المسلمين، وملك غسان هو في الحقيقة المهزوم في غزوة تبوك، الذي فر من مواجهة الجيش الإسلامى، وهو -اليوم-يبحث عن نقطة ضعف يداري بها هزيمته فيتصورها في كعب ، ولكن مصير رسالة الغساني ، هو: الحرق... خاب ظنه.

١٣- ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم: فالإنسان حينما يكون سعيدًا مطمئن النفس حسن العلاقة مع ربِّه عز وجل ومع إخوانه المؤمنين؛ يصبح الكوخ والخيمة بالنسبة له قصرًا عظيمًا، والعكس صحيح، تضيق الدنيا بالإنسان ويضيق بها، وهو في حالة المعصية وانقطاع الصلة مع ربه -سبحانه . ومع الناس.

١٤- رحمة الله عز وجل تدرك العبد التائب مهما كانت المعصية، فتتنزل توبة الله عليهم فجر اليوم الخمسين من المقاطعة!.

١٥- وانظر إلى المجتمع الذي خاصمهم، كيف كانت فرحته بهم بعد التوبة، وانظر إلى المتسابقين إلى كعب وإخوانه بالبشارة، هذا يركب الفرس، وهذا يسبق الفرس بصوته (أبشر يا كعب بن مالك)، ما كل هذا الحب؟! وهذا الفرح بتوبة الله عز وجل على أخيهم.. لقد كانت العقوبة: عقوبة المحبين.

١٦- وفي المسجد : يستقبله المهنئون فوجًا بعد فوج.

وفي المسجد: سُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان وجهه كالقمر.

١٧- وكل هذا لا يغني عن قراءة الحديث مرات ومرات ، ففي كل ثنايا السطور تكتشف من المعاني الإيمانية ما لا يمكن حصره.

حَجّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق بِالنّاسِ:
سَنَةَ تِسْعٍ

٩٦٢- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

ثُمّ أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَقِيّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَشَوّالًا وَذَا الْقَعدَةِ ثُمّ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى الْحَجّ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ لِيُقِيمَ لِلْمُسْلِمِينَ حَجّهُمْ وَالنّاسُ مِنْ أَهْلِ الشّرْكِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ حَجّهِمْ . فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

وَنَزَلَتْ بَرَاءَةٌ فِي نَقْضِ مَا بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الْعَهْدِ الّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: أَنْ لَا يُصَدّ عَنْ الْبَيْتِ أَحَدٌ جَاءَهُ، وَلَا يَخَافُ أَحَدٌ فِي الشّهْرِ الْحِرَامِ .

وَكَانَ ذَلِكَ عَهْدًا عَامّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النّاسِ مِنْ أَهْلِ الشّرْكِ.

وَكَانَتْ بَيْنَ ذَلِكَ عُهُودٌ بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ قَبَائِلَ مِنْ الْعَرَبِ خَصَائِص، إلَى آجَالٍ مُسَمّاةٍ.»[1]

الإمام علي رضي الله عنه، مبعوث بسورة براءة:

٩٦٣- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

وَحَدّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ عَبّادِ بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ (أَبِي جَعْفَرٍ) مُحَمّدِ بْنِ عَلِيّ - رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ - أَنّهُ قَالَ:

لَمّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصّدّيقَ لِيُقِيمَ لِلنّاسِ الْحَجّ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ بَعَثْت بِهَا إلَى أَبِي بَكْرٍ!! فَقَالَ: لَا يُؤَدّي عَنّي إلّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمّ دَعَا عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أُخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةٍ، وَأَذّنْ فِي النّاسِ يَوْمَ النّحْرِ إذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى:

أَنّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إلَى مُدّتِهِ.

---

[1] سيرة ابن هشام ٤/٤٢٠

فَخَـرَجَ عَلِيّ بْـنُ أَبِي طَالِـبٍ رِضْـوَانُ اللّهِ عَلَيْـهِ عَلَى نَاقَـةِ رَسُـولِ اللّهِ صَـلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ الْعَضْبَاءَ، حَتّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ بِالطّرِيقِ فَلَمّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطّرِيقِ قَالَ: أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟ فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمّ مَضَيَا .

فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنّاسِ الْحَجّ وَالْعَرَبُ إذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السّنَةِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ الْحَجّ الّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيّةِ، حَتّى إذَا كَانَ يَوْمُ النّحْرِ قَامَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَأَذّنَ فِي النّاسِ بِالّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَالَ:

أَيّهَا النّاسُ؛ إنّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنّةَ كَافِرٌ ، وَلَا يَحُجّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إلَى مُدّتِهِ. وَأَجّلَ النّاسَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذّنَ فِيهِمْ لِيَرْجِعَ كُلّ قَوْمٍ إلَى مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ، ثُمّ لَا عَهْدٌ لِمُشْرِكٍ وَلَا ذِمّةٌ، إلّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَهْدٌ إلَى مُدّةٍ فَهُوَ لَهُ إلَى مُدّتِهِ.

فَلَمْ يَحُجّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. ثُمّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ»[١].

<u>وروى البخاري:</u>

٩٦٤- « أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ نُؤَذِّنُ بِمِنًى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٌ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْل مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»[٢].

<u>توضيح:</u>

يظن البعض أن سورة براءة نزلت بآية السيف، أي قتال كل من لم يُسْلم بعد انقضاء الأشهر الأربعة، ونحن نرى أن ذلك مختص بمشركي الجزيرة الذين بدءوا بالعدوان ونقضوا

---

[١] سيرة ابن هشام ٤٢١/٤ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في الفتح، وقال إسناده مرسل وله شاهد من حديث عن أحمد ٢٩٩/٢ قال عنه أحمد شاكر إسناده صحيح – عن دار الحديث.

[٢] صحيح البخاري برقم (٣٥٦) ترقيم العالمية.

العهود، بدليل قوله تعالى «وهم بدءوكم أول مرة» وفي الآية «ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول».

وسنذكر في الفصل التالي بحثًا عن مشروعية الحرب في الإسلام.

موت عبد الله بن أبي بن سلول:

وصلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) عليه:

٩٦٥- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

وَحَدّثَنِي الزّهْرِيّ عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ يَقُولُ: "لَمّا تُوُفّيَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبَيّ ، دُعِيَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلصّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إلَيْهِ فَلَمّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصّلَاةَ تَحَوّلْتُ حَتّى قُمْت فِي صَدْرِهِ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ أَتُصَلّي عَلَى عَدُوّ اللّهِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبَيّ ابْنِ سَلُولَ؟ الْقَائِلِ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَالْقَائِلِ كَذَا يَوْمَ كَذَا؟ أُعَدّدُ أَيّامَهُ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَتَبَسّمُ، حَتّى إذَا أَكْثَرْت قَالَ: يَا عُمَرُ أَخّرْ عَنّي، إنّي قَدْ خُيّرْت فَاخْتَرْت، قَدْ قِيلَ لِي: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ} فَلَوْ أَعْلَمُ أَنّي إنْ زِدْت عَلَى السّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْت.

قَالَ: ثُمّ صَلّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَمَشَى مَعَهُ حَتّى قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتّى فُرِغَ مِنْهُ. قَالَ: فَعَجِبْتُ لِي وَلِجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَاَللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَوَاَللّهِ مَا كَانَ إلّا يَسِيرًا حَتّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ {وَلَا تُصَلّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إنّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} فَمَا صَلّى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ حَتّى قَبَضَهُ اللّهُ تَعَالَى».[١]

تعليق على الموقف:

- النبي الأمين بعثه الله رحمة للعالمين - حتى المشرك والمنافق والمذنب والعاصي - فكان اجتهاده (صلى الله عليه وسلم) أنه مخيَّر بين الاستغفار وعدم الاستغفار.

---

[١] سيرة ابن هشام (٤٢٧/٤) وأخرجه البخاري في كتاب (التفسير باب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) (٤٦٧١/٨) تخريج دار الحديث.

- وسيدنا عمر هو الملهم الذي وافقه القرآن في مواضع كثيرة ، شديد في الحق ، لا يعترض على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه يخشى من التسامح النبوي أن ينفع هؤلاء المنافقين ، بعدما كان من جرائمهم.
- ويتنزل الوحي ليحسم القضية .لا صلاة على منافق أبدًا من النبي صلى الله عليه وسلم.
- ويصعب القياس على هذا الموقف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ،الذي كان الوحي يخبره، لكن ربما ينفع هذا بعض أفراد الناس أن يعلم عن منافق ويسمع منه كلمات كفر صريح، ثم هو ينكر ذلك أمام الناس أو القاضي ، فلا حرج على هذا المسلم ألا يصلي على هذا المنافق إذا مات ، دون أن يحكم هو عليه بالكفر دون تحقيق وقضية أمام القاضي.

الفصل الثاني عشر:

بحث فقهي حول

مشروعية الحرب في الإسلام:

« هذا موضوع من أخطر المواضيع في عصرنا الحاضر، ويدخل فيه موقف الإسلام من غير المسلمين عمومًا:

لقد فهم البعض أنها علاقة حرب أبدًا، وعلاقة عداء أبدًا، وكان سبب هذا الفهم عند بعض المسلمين إما: فهم خاطئ للنصوص- وسوف نناقشه بما يشرح الصدر، إن شاء الله تعالى وإما: شدة ما يرون من عدوان على ديار المسلمين وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، مما يدفعهم أن يضعوا كل غير المسلمين في سلة واحدة، ويخضعونهم لحكم واحد.

وإني أسوق هنا عددًا من **القواعد التي تحكم علاقة المسلم بغيره،**

ثم نسوق بعدها الأدلة الواضحة الصريحة إن شاء الله تعالى..

القاعدة الأولى : الإسلام لا يبيح البدء بالعدوان مطلقًا.

القاعدة الثانية : الإسلام لا يُكرِهُ أَحدًا على ترك دينه والدخول في الإسلام.

القاعدة الثالثة: الإسلام يبيح إقامة معاهدات سلام وأمان مع غير المسلمين "بشروطها".

القاعدة الرابعة: الإسلام جاء دين رحمة ودعوة إلى عبادة الله والإيمان به بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا لا يمنع من مودة غير المسلمين ومعاملتهم بالبر والحسنى - إذا لم يعتدوا على المسلمين.

القاعدة الخامسة: الإسلام دعا إلى الجهاد في سبيل الله وقتال الذين يعتدون على المسلمين، ولا يبيح للمسلمين الخضوع والقعود والذلة أمام المعتدين، وعليه تحمل كل النصوص التي تدعو إلى القتال والجهاد ... فهي مخصوصة برد العدوان.

القاعدة السادسة: القتال دفاعًا عن الدعوة، وهو يحتاج لبعض التفصيل والشرح.

الأدلة على القواعد السابقة:

الدليل الأول:

قولـه تعـالى :"وَقَـاتِلُوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ الَّـذِينَ يُقَـاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَـدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِـبُّ الْمُعْتَـدِينَ" (البقرة ١٩٠).

وقوله تعالى: "فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ" البقرة ١٩١.

وقوله تعالى: "فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِين" البقرة ١٩٣.

وقوله تعالى: "فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا" النساء ٩٠.

وقوله تعالى:"لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة ٨.

النصوص واضحة قاطعة:

هذه نصوص قرآنية كثيرة واضحة وقاطعة الدلالة في أن الله تعالى أجاز لنا رد عدوان المعتدي، بل أوجب علينا ذلك، لكنه سبحانه لا يبيح ولا يجيز العدوان على آمن مسالم ، لم يبغنا شرًا ولم يبادئنا بعدوان ،ولم يتحالف مع عدو لنا.

ولنأخذ نموذجًا من هذه النصوص ؛ لنظل نكرره ونؤكده إذا اشتبه علينا نص آخر، وهو قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".

في علم الأصول:

إن جملة "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" ، جملة خبرية والخبر لا يدخل عليه النسخ، أي أن هذا حكم مؤبد لا يتغير.

فهل يقول عاقل "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" قد نسخت فأصبح - سبحانه وتعالي - يحب المعتدين ويدعو إلى العدوان .. حاشا لله.

جاء في تفسير الظلال للشهيد سيد قطب:

"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" والعدوان يكون بتجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الآمنين المسالمين الذين لا يشكلون خطرًا على الدعوة الإسلامية، ولا على الجماعة المسلمة كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين،

كما يكون بتجاوز آداب القتال التي شرعها الإسلام ووضع بها حدًا للشناعات التي عرفتها حروب الجاهليات الغابرة والحاضرة على السواء.

وأورد طائفة من أحاديث الرسول(صلى الله عليه وسلم)تبين هذه الآداب ،منها حديث بريدة في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول :"اغزوا في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله، ولا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ، ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع".

وجاء في تفسير ابن كثير:

عن أبي العالية في قوله تعالي : "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا" قال : هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه .... حتى قال: هذه منسوخة بقوله تعالي "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوَهُمْ" يقول ابن كثير: وفي هذا نظر ، قوله "الذين يقاتلونكم " إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم ا.هـ.

نلاحظ في قول ابن كثير: {إغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم} تناسق مع المنحى الذي نَحَوْنَاه مِن: " قتال من قاتَلَنا واعتدى علينا".

ملحوظة : سوف نناقش أقوال المخالفين لهذا المنهج بعد أن نستكمل أدلتنا.. والله المستعان.

الدليل الثاني :

قوله تعالى : "وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ" الأنفال ٦١-٦٢ .

فإن الآية الكريمة تدعو المسلمين إلى وقف الحرب ،إذا جنح العدو للسلم ،وليس إذا جنح العدو للإيمان وترك دينه، فإن الكف عنه في هذه الحالة يعني تركه سالمًا آمنًا على دينه، وهذا يخالف قول من قالوا بإهدار دم الكافر ،لمجرد كفره.

الدليل الثالث:

قوله تعالى: "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ" البقرة ٢٥٦ .

وقوله تعالى: "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف ٢٩.

وقوله تعالى: "أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" يونس ٩٩.

لا يمكن أن تكون كل هذه الآيات منسوخة - كما يدعي البعض - ويكون الإسلام دعا إلى الحرب من أجل إكراه الناس على الدخول في الدين.

إن هذه الآيات تقرر الحرية الدينية في أعلى وأكمل صورها.

الدليل الرابع : أحاديث الرسول(صلى الله عليه وسلم):

١- (٩٦٦) عن ابن عمر رضي الله عنه قال : "وُجِدَتْ امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان".[١]

معنى ذلك أن هؤلاء النساء والصبيان كانوا مشركين ،ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتالهم أو قتلهم ؛لأنهم ليسوا محاربين ولا يقدرون على العدوان على المسلمين.

هذا بجانب خلق الرحمة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وفي تشريع الإسلام .

٢- حديث بريدة:

٩٦٧- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا" [٢]

وفي رواية عند أحمد:

٩٦٨- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: "اخْرُجُوا بِسْمِ اللَّهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ".[٣]

٣- ما رواه أحمد فى مسنده: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَمَرَّ رَبَاحٌ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ مِمَّا أَصَابَتْ الْمُقَدِّمَةُ، فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ خَلْقِهَا حَتَّى لَحِقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَانْفَرَجُوا عَنْهَا فَوَقَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[١]- رواه مالك والشيخان وغيرهما.

[٢] - رواه مسلم (٣٢٦١) وأحمد (١٧٤٠٠) وغيرهما. ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

[٣] - رواه أحمد (٢٥٩٢) .ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

وَسَلَّمَ فَقَالَ: "مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ" فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: الْحَقْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ لَا تَقْتُلُونَ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا".[1]

في هذا النص يتبين أن علة القتال ، وسببه في الإسلام، أن يكون الطرف الآخر محاربًا، فإذا كانت المرأة لا تقاتل، أو الراهب، أو الفلاح أو غيرهم ، فلماذا نقاتلهم؟.

الدليل الخامس : سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حروبه وغزواته:

* وقد وفينا هذا الأمر استقراءً لكل حروب الرسول صلى الله عليه وسلم فى الباب السابق.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه لحرب إحدى القبائل يمر على كثير من القبائل غير المسلمة ،لكنها غير معتدية فلا يقاتلها.

وقد أبرم الرسول(صلى الله عليه وسلم) عهودًا كثيرة مع قبائل غير مسلمة نذكر منها مثلًا: خروج الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأبواء .قبل بدر .لملاقاة قريش في صفر ٢ هجرية فلم يلق كيدًا ، وعقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشي الضمري سيد بني ضمرة .

ومثله مع بني مدلج في غزوة ذي العشيرة،

والمشهور جدًا أن قبيلة خزاعة دخلت في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فيهم المسلمون والمشركون عندما عقد النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش في سنة ٦ هجرية، إذن لا يمنع الإسلام التحالف مع بعض المشركين، وليس مجرد تركهم وعدم الاعتداء عليهم.

إن الذي يقرأ هذه النصوص الواضحة، قاطعة الدلالة، يقرؤها بعقل مستنير وقلب مفتوح، لا يمكن إلا أن يخرج بتلك القواعد الستة التي ذكرناها، والتي يوجزها قوله تعالي: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا" ، وقوله تعالي : "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ".

فإذا كانت هناك نصوص تحتمل أوجهًا أخرى، فلا بد من فهمها، فهمًا لا يتعارض مع هذه النصوص واضحة الدلالة.

<u>أقوال بعض العلماء ومناقشتها:</u>

---

[1] – رواه أحمد (١٥٤٢٣). ترقيم العالمية – موسوعة حرف.

قال ابن كثير في التفسير:

"وقوله: "فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ" يقول: فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك، وقتال المؤمنين، فَكُفُّوا عنهم، فإنّ مَنْ قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم، ولا عُدوانَ إلا على الظالمين، وهذا معنى قول مجاهد: لا يُقَاتَلُ إلا من قاتل".

نقول :هذا دليل من أقوال السلف على ما قدمنا من رأي،

لكن ابن كثير يقول :

"أو يكون تقديره؛ فإن انتهوا فقد تَخَلَّصُوا من الظلم، وهو الشرك. فلا عدوان عليهم بعد ذلك، والمراد بالعُدْوان هاهنا المعاقبة والمقاتلة، كقوله: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} وقوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى: ٤٠]، {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل: ١٢٦]. ولهذا قال عكرمة وقتادة: الظالم: الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله".

نقول : هذا التقدير يرى قتال المشرك عمومًا، ويفسر الظلم بالشرك، والعدوان على الظالمين يعني العدوان على المشركين، لكننا نقول إن ما قاله مجاهد أصح والله أعلم، أي:(لا يُقَاتَلُ إلا من قاتل).

وقال الرازي في تفسيره:

"المسألة الرابعة : اختلفوا في المراد بقوله : {الذين يقاتلونكم} على وجوه:

أولها : وهو قول ابن عباس، المراد منه: قاتلوا الذين يقاتلونكم إما على وجه الدفع عن الحج – أى المنع من الحج - أو على وجه المقاتلة ابتداء، وهذا الوجه موافق لما رويناه عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية.

وثانيها : قاتلوا كل من له قدرة وأهلية على القتال.

وثالثها : قاتلوا كل من له قدرة على القتال وأهلية كذلك، سوى من جنح للسلم ، قال تعالى : " وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فاجنح لَهَا " الأنفال : ٦١ واعلم أن القول الأول أقرب إلى الظاهر، لأن ظاهر قوله تعالى : {الذين يقاتلونكم} يقتضي كونهم فاعلين للقتال، فأما المستعد للقتال والمتأهل له قبل إقدامه عليه، فإنه لا يوصف بكونه مقاتلًا إلا على سبيل المجاز" .ا.هـ

اختيارنا: هو استثناء من جنح للسلم، وعدم مقاتلة المستعد أو المتأهل للقتال، بل من باشر القتال عدوانًا علينا.

<u>وقال البغوي في التفسير:</u>

(وقاتلوا فى سبيل الله): أي: فى طاعة الله ، (الذين يقاتلونكم) كان فى ابتداء الإسلام، أمر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) بالكف عن قتال المشركين ،ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية، وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال، ثم أمره بقتال المشركين كافة، قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله {فاقتلوا المشركين} فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل نسخ بقوله {فاقتلوا المشركين} قريب من سبعين آية. وقوله {وَلا تَعْتَدُوا} أي لا تبدؤوهم بالقتال. وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة، أُمِر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقتال المقاتلين ومعنى قوله: {وَلا تَعْتَدُوا} أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من ألقى إليكم السلام، هذا قول ابن عباس ومجاهد".

<u>تعقيب</u>: قوله (وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة) هو الصواب ؛لأن النسخ لا يدخل على الخبر كما قلنا.

<u>القتال دفاعًا عن الدعوة:</u>

ذكرنا في القاعدة السادسة أن القتال يشرع دفاعًا عن الدعوة وقلنا إن ذلك يحتاج إلىبعض التفصيل ، وحاصله :

<u>الدفاع عن الدعوة إلى الله إذا وقف أحد في سبيلها:</u>

* بتعذيب من آمن بها .

* أو بصد من أراد الدخول فيها .

* أو بمنع الداعي من تبليغها.[١]

وسنجد أن ذلك يتمشى مع نفس المنطق السابق ، وهو أن هناك طرفًا آخر لم يتركنا آمنين ، واعتدى على المسلمين بتعذيب المؤمنين أو منع الدخول في الإسلام ،أو منع الدعاة من تبليغ الدعوة .

---

١ – **ذكر ذلك الشيخ سيد سابق في فقه السنة المجلد الثالث.**

ودليل ذلك قوله تعالى : "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" والفتنة هي إكراه المسلم أوتعذيبه ؛ حتى يكفر .. فلا يجادل أحد في وجوب الدفاع عن هذا المسلم.

وبرغم ذلك يقول الله عز وجل " فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِين".

ولمزيد من التفصيل نفرق بين حالتين:

* حالة تعرض المسلمين في بلد إلى قتل جماعى، وتطهير عرقى بسبب الدين، مثاله في عصرنا ما حدث للمسلمين في البوسنة، حيث تعرضوا للقتل الجماعي والتطهير العرقي الذي مارسه الصرب ضدهم ، لمجرد كونهم مسلمين .. وفي هذه الحالة طالب المجتمع الدولي كله . وليس المسلمون فقط . بضرورة التدخل العسكري ؛لإنقاذ المسلمين.

* وحالة تعرض الأقليات المسلمة في بعض البلاد إلى مجرد صراع ثقافي أو هجوم إعلامي، أو تضييق وتمييز وظيفي.. هنا يرجح جانب المواجهة بالحجة والعلم والإعلام وغيرها من الأدوات للحصول على حقوقهم في بلاد غير مسلمة، خصوصًا إذا كانت تلك البلاد تحفظ دماء المسلمين من مواطنيها.

الآراء المخالفة والرد عليها:

هناك بعض آراء تستدل ببعض النصوص، ولا توافق على المنهج الذي ذهبنا إليه ، وهذه الآراء لا تتطابق في رؤيتها ، وإنما تختلف أيضًا فيما بينها.

فمن هذه الآراء أن الإسلام يدعو إلى قتال المخالفين في العقيدة؛ حتى يسلموا إن كانوا مشركين، أو يعطوا الجزية إن كانوا من أهل الكتاب.

ومن الآراء رأي يقول: إن الإسلام لا يقاتل الناس حتى يسلموا ،بل يقاتل الحكام والحكومات حتى يزيل السلطة الحاكمة التي تحول بين الناس وبين حرية العقيدة، ثم يترك للناس حرية العقيدة بعد ذلك فلا يُكْرَهُ أحد على الدخول في الإسلام.

وتتفق آراؤهم على استنكار أقوال من يقولون - مثلنا - إن الإسلام لا يحارب إلا من يعتدي على المسلمين. ويعتبرون ذلك هزيمة نفسية وثقافية ؛ نتيجة واقع الضعف الشديد عند المسلمين.

وسوف نسوق أمثلة لهذه الآراء، ثم نستعرض الأدلة التي استدلوا بها،ثم نقوم بالرد عليها إن شاء الله تعالى:

الآراء المخالفة:

نذكر أطرافًا مختصرة من هذه الآراء ، يكون فيها توضيح للفكرة ونبتعد عن المطولات ، ولا ندعي استيعاب كل من كتب في هذا الموضوع ، لكن الأمثلة فيها كفاية لتوضيح المراد.

قال البغوي: وقال الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمره بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله {فاقتلوا المشركين} فصارت هذه الآية: (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم) منسوخة بها، وقيل نسخ بقوله {فاقتلوا المشركين} قريب من سبعين آية.

ويقول ابن كثير:

ثم أمر تعالى بقتال الكفَّار: {حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي: شرك. قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل بن حيان، والسُّدي، وزيد بن أسلم.

{وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} أي: يكونَ دينُ الله هو الظاهر على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيحين: عن أبي موسى الأشعري، قال: سُئِل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويقاتل حَميَّة، ويقاتل رياء، أيّ ذلك في سبيل الله؟

فقال:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله ".

وفي تفسير سورة التوبة عند ابن كثير:

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} قال: حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون في الأرض حيثما شاءوا، وأجَّل من ليس له عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم، [من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك خمسون ليلة، فإذا انسلخ الأشهر الحرم] أمره بأن يضع السيف فيمن لا عهد له.

وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس.

وقال الضحاك بعد قوله: فذلك خمسون ليلة: فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينهم وبينه عهد، يقتلهم حتى يدخلوا في الإسلام. وأمر ممن كان له

عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر خلون من ربيع الآخر، أن يضع فيهم السيف حتى يدخلوا في الإسلام.

ويقول الشيخ سعيد حوى .رحمه الله. في كتاب " جند الله ثقافة وأخلاقًا":

(إخضاع العالم لكلمة الله - إقامة دولة الإسلام العالمية: كخطوة أخيرة مفروضة على المسلمين "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، لقد أمرنا الله أن نجاهد حتى لا يبقى في الأرض شبر لم يخضع لكلمته؛ لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإنهاء فتنة المسلم عن دينه بأي شكل من أشكال الفتنة، الضغوط أو العروض أو الإغراءات أو منازعة النظام، وليست هذه المسألة كذلك مما يجوز فيه الأخذ والرد فهو أمر محتم علينا، وعلينا أن نحقق وسائله".

ويقول الشيخ رمضان البوطي في " فقه السيرة ":

(ثم شرع بعد ذلك قتال كل من وقف عقبة في طريق إقامة المجتمع الإسلامي على ألا يُقبل من الملاحدة والوثنيين إلا الإسلام ، أما أهل الكتاب فيكفي خضوعهم للمجتمع الإسلامي وانضواؤهم في دولته، على أن يدفعوا للدولة ما يسمى الجزية، مكان ما يدفعه المسلمون من الزكاة، وعند هذه المرحلة الأخيرة استقر حكم الجهاد في الإسلام.

وعن هذه المرحلة يقول الله تعالي "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" التوبة ١٢٣

ويقول الشيخ سيد قطب .رحمه الله تعالى في ظلال سورة التوبة: (مع بعض الاختصار)

"الذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد على منهج هذا الدين في الجهاد، لا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا الجهاد، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها، الذين يصنعون هذا يخلطون خلطًا شديدًا،ويلبسون منهج هذا الدين لبسًا مضللًا، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية، ويقولون .وهم منهزمون روحيًا وعقليًا تحت ضغط الواقع البائس لذراري المسلمين : (إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع)،ويحسبون أنهم يسدون لهذا الدين جميلًا، بتخليه عن منهجه، وهو إزالة الطواغيت جميعًا من الأرض ، وتعبيد الناس لله وحده لا بقهرهم على اعتناق عقيدته، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية".

أدلة المخالفين ومناقشتها :

الدليل الأول :

٩٦٨- قول الرسول صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[١]

الدليل الثاني:

قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ" التحريم (٧٣).

الدليل الثالث:

قوله تعالى: "فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ" التوبة (٥).

الدليل الرابع:

قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً" التوبة ٣٦

الدليل الخامس:

قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المُتَّقِينَ" التوبة (١٢٣)

الدليل السادس:

قوله تعالى : "قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" التوبة ٢٩

وجه الدلالة من هذه النصوص: يقول هذا الفريق :

قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ...."

فيه دليل على أن غاية القتال في الإسلام هي أن يسلم الناس... ويؤيده الأمر بقتال الكفار في الآيات السابقة.

---

[١] – متفق عليه.

والجواب على ذلك من عدة وجوه :

أولًا: إن هذا الفهم يعارضه نصوص كثيرة سبق أن ذكرناها ونذكر بها:

قوله تعالى: "لا إكراه في الدين" يعارض الفهم السابق لأنه لا يُكْرَهُ أحد بالقتال ،على الدخول في دين الإسلام.

ويعارضه قوله تعالى: "وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".

ويعارضه نهي الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن قتل النساء والشيوخ والرهبان وغيرهم ، وهم على غير دين الإسلام.

ثانيًا: نحن نؤمن ونقر - وكذلك كل علماء السنة والجماعة - بأنه لا يتعارض حديث صحيح مع آية من كتاب الله، ولا تتعارض آية مع آية أخرى، أو حديث صحيح مع آخر صحيح، إذن فما سبب هذا التعارض الظاهري؟

سبب التعارض هو في فهمنا -نحن- للنصوص فما القول في هذا التعارض بين النصوص؟

نقول: للجمع بين هذه النصوص وإزالة ما يبدو من تعارض ظاهري لابد من الحديث عن (العام والخاص)، وهو علم هام وضروري من علوم أصول الفقه:

العام: هو اللفظ الدال على كثيرين، والمستغرق في دلالته لجميع ما يصلح له مثل:

الرجال: لفظ عام يشمل كل الرجال.

الناس: لفظ عام يشمل كل الناس.

المطلَّقات: لفظ عام يشمل كل المطلقات .

أما الخاص: فهو اللفظ الذي وضع لمعنى واحد على سبيل الانفراد مثل: أسد أو رجل أو زيد أو إبراهيم ، فما دام المسمى المراد واحدًا؛ فهو الخاص.

دلالة الخاص : قطعية تنفي أي احتمال آخر .

أما دلالة العام : فعند المالكية والشافعية والحنابلة أن دلالة العام على العموم ظنية؛ لأن دلالته من قبيل الظاهر الذي يحتمل التخصيص، واحتمال التخصيص كثير في العام؛ لأنه بالاستقراء اللغوي نجد التخصيص يدخل كثيرًا من ألفاظ العموم.

(تراجع كتب أصول الفقه مثل: الموافقات للشاطبي ،وأصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف ،والشيخ محمد أبو زهرة، و غيرهم).

تطبيق العام والخاص على قضيتنا:

في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ..... " لفظ (الناس) لفظ عام ولكنه لا يشمل كل الناس.

بدليل نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء و الأطفال والشيوخ والرهبان ، فهؤلاء من الناس وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتلهم.

وإذا نظرنا في شرح الحديث عند ابن حجر في " فتح الباري " نجده يناقش قضية أن أهل الكتاب لا يقاتَلون حتى يسلموا، ولكن حتى يعطوا الجزية فهذا التعارض الظاهري بين الحديث والآية (السابق ذكرها) .. يفسره ابن حجر بقوله : الجواب من أوجه:

أولها : دعوى النسخ (.....).

ثانيها : أن يكون من العام الذي خص منه البعض (......) .

ثالثها : أن يكون من العام الذي أريد به الخاص ، فيكون المراد بالناس في قوله (أقاتل الناس) أي:المشركين من غير أهل الكتاب.

ولنا توجيه يخص هذه القضية:

هو أن يكون الحديث من العام الذي أريد به الخاص ، فيكون المراد بالناس في قوله صلى الله عليه وسلم " أقاتل الناس" أي: المشركين الذين يقاتلوننا أو يعتدون علينا، وبهذا يتفق الحديث مع قوله تعالى : {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

وإذا تقرر هذا يكون المراد بقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة) أي المشركين المعتدين عليكم بدليل بقية الآية الكريمة (كما يقاتلونكم كافة) ، ويكون المراد بقوله تعالى : (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوَهُمْ) المقصود بهم: مشركو جزيرة العرب الذين قامت الحروب بينكم وبينهم طوال الفترة السابقة .

وهذا بدليل قوله تعالى أيضًا في نفس الآيات الأولى من سورة التوبة : (إِلاالَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) فليس المقصود كل المشركين، ولكن هناك استثناءات متفق عليها، وهى المنع من قتل النساء والأطفال، فهذا يبين أن المقصود ليس كل المشركين.

تابع الرد على المخالفين:

ثالثًا : الرد على دعوى النسخ :

يقول البعض إن آيات سورة التوبة هي من آخر ما نزل من القرآن ولذلك فهي ناسخة لآيات البقرة التي فيها "وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" وقد سبق أن ذكرنا المنقول عن ابن عباس ومجاهد في أن الآيات التي في البقرة غير منسوخة (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).

والجواب على دعوى النسخ:

أن هذا كلام غير مقبول :لا من حيث الفهم العام للقرآن، ولا من حيث اطمئنان القلب، ولا من حيث قواعد الناسخ والمنسوخ .....لماذا؟

لأنه إذا كانت كل آية من القرآن تنسخ (تلغي حكم) ما قبلها لأبطلنا أكثر أحكام الإسلام ، فتأخُّرُ نزول آية، ليس دليلًا وحده على النسخ .. وإنما نلجأ للقول بالنسخ إذا:

*نص الشارع على النسخ مثل قوله تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) فهنا بيَّن القرآن وجود قبلة أولى، نسخت بالتوجه إلى القبلة الثانية (الكعبة) .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم : " كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور .. ألا فزوروها؛ فإنها تذكركم بالآخرة".

هنا واضح نسخ الحكم الأول بنص الحديث.

كذلك نلجأ للقول بالنسخ إذا استحال الجمع بين النصوص المتعارضة بأي وجه من الوجوه.[١]

وقد رأينا أن الجمع بين النصوص ممكن إذا اعتبرنا كلمة (الناس) و (المشركين) كلمات عامة خصصتها الآيات والأحاديث الأخرى بقتال المعتدين منهم.

رابعًا: تأمل وتدبر في آيات سورة التوبة:

وهذه آيات سورة التوبة التي هي من آخر ما نزل من القرآن، تقرر نفس المنهج الذي أخذنا به وتوضحه بأوضح بيان:

---

(١) يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) في (أصول الفقه المهمة) : " ولا يعدل إلى النسخ إلا بنص من الشارع أو تعارض النصين الصحيحين الذين لا يمكن حمل كل منهما على معنى مناسب".

ففي سورة التوبة قوله تعالى : "إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً " هؤلاء مستثنون من القتال طالما أنهم محافظون على العهود لم يعتدوا ،ولم يساعدوا أحدًا في عدوانه علينا.

وقوله تعالى : "إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِين" والاستقامة هنا تعني :المعاملة الطيبة والعلاقات الطيبة التي لا تتماشى مع فكرة قتال كل المشركين أبدًا .

وقوله تعالى في سورة التوبة أيضًا:

"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" انظر إلى روعة المنهج الإسلامي الذي يكفل للمستجير .طالب الحماية .أن نوفرها له ونحميه ونتولى توصيله آمنًا مطمئنًا إلى أهله ..هل يتماشى هذا مع دعوى قتال كل المشركين.

وتبين السورة أن حالة الحرب كانت قائمة مع قبائل الشرك في الجزيرة يتبين ذلك من قوله تعالى: "كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً".

وتبين سورة التوبة نوعية المشركين الذين نقاتلهم، قال تعالى : " كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً"، وقال تعالى : "أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ"؟

فمن هاتين الآيتين يتضح تمامًا بما لا يدع مجالًا للشك أن هؤلاء نوعية مجرمة ظالمة معتدية من المشركين ، نوعية لم تحفظ عهدًا، ولم ترع حرمة حينما كانت لها الغلبة على المسلمين . نوعية كانت البادئة بالعدوان "وهم بدءوكم أول مرة".

هل بعد ذلك يقال إن آيات سورة التوبة نسخت آيات سورة البقرة ونسخت غيرها وغيرها الكثير من الآيات التي تؤكد هذه القاعدة:

" وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ "؟.»

الفصل الثالث عشر:

عام الوفود:

وهو سنة تسع من الهجرة وفيه دخل الناس في دين الله أفواجًا، وسببه المباشر: فتح مكة، وهزيمة هوازن وثقيف في حنين.

والوفود كثيرة، أكثر من سبعين .سنذكر بعضها مما فيه دلالات وعظات، وبعضها سبق ذكره، سوف نشير إليه ، وبعضها كان قبل فتح مكة ، وبعضها بعد الفتح.

العرب كانت تنتظر نتيجة الحرب بين قريش والمسلمين:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

« وَإِنّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَرَبّصُ بِالْإِسْلَامِ أَمْرَ هَذَا الْحَيّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْرَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَذَلِكَ أَنّ قُرَيْشًا كَانُوا إمَامَ النّاسِ وَهَادِيَهُمْ وَأَهْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَصَرِيحَ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ بْنِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السّلَامُ، وَقَادَةَ الْعَرَبِ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ الّتِي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَخِلَافَهُ.

فَلَمّا افْتُتِحَتْ مَكّةُ، وَدَانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، وَدَوّخَهَا الْإِسْلَامُ وَعَرَفَتْ الْعَرَبُ أَنّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَا عَدَاوَتِهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللّهِ . كَمَا قَالَ عَزّ وَجَلّ أَفْوَاجًا، يَضْرِبُونَ إلَيْهِ مِنْ كُلّ وَجْهٍ.

يَقُولُ اللّهُ تَعَالَى لِنَبِيّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كَانَ تَوّابًا} أَيْ فَاحْمَدْ اللّهَ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِك، وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كَانَ تَوّابًا.»[1]

وفد ثقيف:

سبق ذكره بعد غزوة الطائف استكمالًا لقصة ثقيف بعد حنين والطائف.

وفيه ذكر عروة بن مسعود ، وذكر هدم اللات.

وفد تميم: (نزول سورة الحجرات):

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/٤٣٣).

وقد سبق ذكره أيضًا في البعوث والسرايا في سنة تسع بعد قصة ثقيف، وذكرنا روايتين في كلتيهما نزول سورة الحجرات بعد ندائهم (اخرج إلينا يا محمد)، لكن في الرواية الأولى :أن قدومهم كان بسبب سرية عيينة بن حصن الفزاري فأَسَر منهم رجالًا ونساء ، فقدم رؤساؤهم بعد ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وسلم).

وفد بني عامر:

ومنهم عامر بن الطفيل -عدو الله - الذي أضمر الغدر ومات بالغدة:

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: (مختصرًا):

٩٧٠- «وَقَدَمِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطّفَيْلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ ، وَجَبّارُ بْنُ سَلْمَى ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثّلَاثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشَيَاطِينَهُمْ.

فَقَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطّفَيْلِ عَدُوّ اللّهِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يُرِيدُ الْغَدْرَ بِهِ وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ يَا عَامِرُ إنّ النّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلِمْ. قَالَ: وَاَللّهِ لَقَدْ كُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتّى تَتْبَعَ الْعَرَبُ عَقِبِي، أَفَأَنَا أَتْبَعُ عَقِبَ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ؟ ثُمّ قَالَ لِأَرْبَدَ: إذَا قَدِمْنَا عَلَى الرّجُلِ فَإِنّي سَأَشْغَلُ عَنْك وَجْهَهُ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَاعْلُهُ بِالسّيْفِ.

فَلَمّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ عَامِرُ بْنُ الطّفَيْلِ: يَا مُحَمّدُ خَالِنِي ، قَالَ: لَا وَاَللّهِ حَتّى تُؤْمِنَ بِاَللّهِ وَحْدَهُ. قَالَ: يَا مُحَمّدُ خَالِنِي.. وَجَعَلَ يُكَلّمُهُ وَيَنْتَظِرُ مِنْ أَرْبَدَ مَا كَانَ أَمَرَهُ بِهِ.

فَجَعَلَ أَرْبَدُ لَا يُحِيرُ شَيْئًا؛ قَالَ فَلَمّا رَأَى عَامِرُ مَا يَصْنَعُ أَرْبَدُ قَالَ: يَا مُحَمّدُ خَالِنِي، قَالَ: لَا حَتّى تُؤْمِنَ بِاَللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

فَلَمّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: أَمَا وَاَللّهِ لَأَمْلَأَنّهَا عَلَيْك خَيْلًا وَرِجَالًا ؛ فَلَمّا وَلّى قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: اللّهُمّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطّفَيْلِ.

فَلَمّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ: وَيْلَك يَا أَرْبَدُ، أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمَرْتُك بِهِ؟ وَاَللّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخْوَفَ عِنْدِي عَلَى نَفْسِي مِنْك. وَايْمُ اللّهِ لَا أَخَافُك بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا.

قَالَ: لَا أَبَا لَك، لَا تَعْجَلْ عَلَيّ، وَاَللّهِ مَا هَمَمْت بِالّذِي أَمَرْتنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إلّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرّجُلِ حَتّى مَا أَرَى غَيْرَك، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسّيْفِ؟

وَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إلَى بِلَادِهِمْ حَتّى إذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطّرِيقِ بَعَثَ اللّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطّفَيْلِ الطّاعُونَ فِي عُنُقِهِ، فَقَتَلَهُ اللّهُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ. فَجَعَلَ يقول: يا بَنِي عَامِرٍ: أَغُدّةٌ كَغُدّةِ الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ؟ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ أَغُدّةٌ كَغُدّةِ الْإِبِلِ وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيّةٍ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ خَرَجَ أَصْحَابُهُ حِينَ وَارَوْهُ حِينَ قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عَامِرٍ شَاتِينَ. فَلَمّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَك يَا أَرْبَدُ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ وَاَللّهِ لَقَدْ دَعَانَا إلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيَهُ بِالنّبْلِ حَتّى أَقْتُلَهُ، فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ بِيَوْمِ أَوْ يَوْمَيْنِ مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يَتْبَعُهُ فَأَرْسَلَ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُمَا.[1]

وفي صحيح البخاري:

٩٧١- « عن أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ خَالَهُ أَخٌ لِأُمِّ سُلَيْمٍ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا. وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيَّرَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ فَقَالَ: يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ.

فَطُعِنَ عَامِرٌ (أى أصابه الطاعون) فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ فَقَالَ غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ، ائْتُونِي بِفَرَسِي فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ»[2]

ضمام بن ثعلبة
يسأل عن الأركان الخمسة):

رَوَىابْنُ إسْحَاقَ:

٩٧٢- « عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ، قَالَ: بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمّ عَقَلَهُ ثُمّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ -

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/٤٣٩) وزاد المعاد (٢/٢٤٢) وله شاهد في صحيح البخاري نذكره فى الحديث التالى.

[2] صحيح البخاري (٣٧٨٢) العالمية.

وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ - وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ - فَأَقْبَلَ حَتّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ:
أَيّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ؟
قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ.
قَالَ: أَمُحَمّدٌ ؟ قَالَ نَعَمْ.
قَالَ: يَا بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، إنّي سَائِلُك وَمُغَلّظٌ عَلَيْك فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدَنّ فِي نَفْسِك، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمّا بَدَا لَك.
قَالَ: أَنْشُدُكَ اللّهَ إلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، آللّهُ بَعَثَك إلَيْنَا رَسُولًا؟ قَالَ: اللّهُمّ نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْشُدُك اللّهَ إلَهَك وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَك، آللّهُ أَمَرَك أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قَالَ: اللّهُمّ نَعَمْ.
قَالَ: فَأَنْشُدُك اللّهَ إلَهَك وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَك ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَك، آللّهُ أَمَرَك أَنْ نُصَلّيَ هَذِهِ الصّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: اللّهُمّ نَعَمْ.
قَالَ: ثُمّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً . الزّكَاةَ وَالصّيَامَ وَالْحَجّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلّهَا، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الّتِي قَبْلَهَا.
حَتّى إذَا فَرَغَ قَالَ فَإِنّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّدًا رَسُولَ اللّهِ، وَسَأُؤَدّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتنِي عَنْهُ ثُمّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ، ثُمّ انْصَرَفَ إلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا.
قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ[1] دَخَلَ الْجَنّةَ.
قَالَ: فَأَتَى بَعِيرَهُ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ ثُمّ خَرَجَ حَتّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فَكَانَ أَوّلُ مَا تَكَلّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: بِئْسَ اللّاتُ وَالْعُزّى. قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ اتّقِ الْبَرَصَ اتّقِ الْجُذَامَ اتّقِ الْجُنُونَ. قَالَ:
وَيْلَكُمْ إنّهُمَا وَاَللّهِ لَا يَضُرّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ؛ إنّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ.

---

(١) هما الضفيرتان.

قَالَ: فَوَاَللّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إلّا مُسْلِمًا.
قَالَ: يَقُولُ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَبّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ»[1].

وَرَوى البُخَارِيُّ:

٩٧٣- « عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَصِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ.
قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ.
قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»[2].

قال الحافظ في الفتح: وهذا الرجل، جزم ابن بطال وآخرون بأنه ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر.. لكن تعقبه القرطبي بأن سياقهما مختلف وأسئلتهما متباينة.

وفد عبد القيس:

٩٧٤- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:
وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْجَارُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَنْشٍ أَخُو عَبْدِ الْقَيْسِ.
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَدّثَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ:
لَمّا انْتَهَى إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَلّمَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُ إلَيْهِ وَرَغّبَهُ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ إنّي قَدْ كُنْت عَلَى دِينٍ وَإِنّي تَارِكٌ دِينِي لِدِينِك، أَفَتَضْمَنُ لِي دِينِي؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: نَعَمْ أَنَا ضَامِنٌ أَنْ قَدْ هَدَاك اللّهُ إلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/ ٤٤) وله شواهد قوية في الصحيحين كما في حديث البخاري التالي.
[2] صحيح البخاري (٤٤) العالمية.

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ الْجَارُودُ رَاجِعًا إِلَى قَوْمِهِ. وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ صُلْبًا عَلَى دِينِهِ حَتّى هَلَكَ (مات).

وَقَدْ أَدْرَكَ الرِّدَّةَ، فَلَمّا رَجَعَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْهُمْ إلَى دِينِهِمْ الْأَوّلِ (ارتدُّوا) مَعَ الْغَرُورِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ النّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، قَامَ الْجَارُودُ فَتَكَلّمَ فَتَشَهّدَ شهادة الحقّ وَدَعَا إلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: أَيّهَا النّاسُ إنّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأُكَفّرُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى: وَأَكْفِي مَنْ لَمْ يَشْهَدْ»[1].

<u>وروَى البُخَاريُّ:</u>

٩٧٥- « حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ:

كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ. وَسَأَلُوهُ عَنْ الْأَشْرِبَةِ.

فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ الْحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ وَقَالَ احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ »[2].

إضافات وشروح (أخذناها عن شرح ابن حجر في الفتح):

* وفد عبد القيس المذكورون في الحديث كانوا أربعة عشر راكبًا، كبيرهم الأَشَجّ (وهو المنذر بن عائذ)، وقد روي أنهم كانوا أربعين، ويجمع بين الروايتين بأن الأربعة عشر كانوا رؤوس الوفد، وكان الباقون أتباعًا .

* (غيرَ خزايا): لأنهم أسلموا طوعًا، من غير حرب أو سبي، فلم يصبهم خزي ولا فضيحة.

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/٤٤٥) مع بعض الاختصار.

[2] صحيح البخاري برقم (٥١) ترقيم العالمية.

(ولا ندامى): المقصود غيرنادمين فهو تبشير لهم بالخير في العاقبة.
* (وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر): كانت مساكن عبد القيس بالبحرين ويأتون سفرًا طويلًا ، وفيه دليل على تقدُّم إسلام القبيلة على قبائل مضر التي كانت حول المدينة، ويدل على سَبقهم أيضًا ما رواه المصنف في الجمعة عن ابن عباس قال: (إن أول جمعة جُمِّعت بعدَ جمعةٍ في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت في مسجد عبد القيس) فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام.
* (فأمرهم بأربع): لم يذكر الحج لأنه لم يكن فُرض بعد.
* (ونهاهم عن أربع: عن الحَنْتم.. الخ): أي نهاهم عما في الحنتم أى ما ينتبذ في الحنتم، والحنتم: هي الجَرَّة، يوضع فيها ما ينتبذ.
(الدُّبَاء): هو القرع، والمراد هو اليابس منه، ويوضع فيه ما يراد أن يكون نبيذًا.
(النَّقير) أصل النخلة (جذع النخلة) يُنقر فيُتخذ منه وعاء، لنفس الغرض (النبيذ).
(المزَفَّت): ما طُلي بالزفت (المُقَيَّر) ماطُلي بالقار.
ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها ؛لأنه يسرع فيها الإسكار[1] وربما شرب منها من لا يشعر بذلك. ثم نسخ النهي، وثبتت الرخصة بعد ذلك في الانتباذ في كل وعاء مع النهي عن شرب كل مسكر».

وفد بني حنيفة، ومعهم مسيلمة الكذاب:

رَوَى البُخارِيُّ:

٩٧٦- «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ[2] مِنْ قَوْمِهِ.
فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ

---

(١) يتحول النبيذ فيها إلى الخمر بسرعة
(٢) ذكر الواقدي أنهم كانوا سبعة عشر نفسًا.

الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ[1] لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ[2] وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ.

فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا.. فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ»[3] .

قال الحافظ في آخر شرح الحديث:

« وَيُؤْخَذ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّة مَنْقَبَةٌ لِلصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، لِأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَلَّى نَفْخ السِّوَارَيْنِ بِنَفْسِهِ حَتَّى طَارَا، فَأَمَّا الْأَسْوَد فَقُتِلَ فِي زَمَنه، وَأَمَّا مُسَيْلِمَة فَكَانَ الْقَائِم عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق، فَقَامَ مَقَام النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، وَيُؤْخَذ مِنْهُ أَنَّ السِّوَار وَسَائِر آلَات أَنْوَاع الْحُلِيّ اللَّائِقَة بِالنِّسَاءِ تَعْبِير لِلرِّجَالِ بِمَا يَسُوءهُمْ وَلَا يَسُرّهُمْ، وَسَيَأْتِي مَزِيد لِذَلِكَ فِي كِتَاب التَّعْبِير إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى».

رِدَّةُ مسيلمة – ورسالته ، ورسله إلى النبي (صلى الله عليه وسلم):

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

٩٧٧- « فَلَمّا انْتَهَوْا إلَى الْيَمَامَةِ ارْتَدّ عَدُوّ اللّهِ وَتَنَبّأَ وَتَكَذّبَ لَهُمْ، وَقَالَ: إنّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ. وَقَالَ لِوَفْدِهِ الّذِينَ كَانُوا مَعَهُ: أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ حِينَ ذَكَرْتُمُونِي لَهُ أَمَا إنّهُ لَيْسَ بِشَرّكُمْ مَكَانًا؛ مَا ذَاكَ إلّا لِمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنّي قَدْ أُشْرِكْت فِي الْأَمْرِ مَعَهُ.

ثُمّ جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمْ الْأَسَاجِيعَ وَيَقُولُ لَهُمْ فِيمَا يَقُولُ مُضَاهَاةً لِلْقُرْآنِ "لَقَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَى الْحُبْلَى، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنَ صِفَاقٍ وَحَشًى". وَأَحَلّ لَهُمْ الْخَمْرَ وَالزّنَا، وَوَضَعَ عَنْهُمْ الصّلَاةَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِأَنّهُ نَبِيّ، فَأَصْفَقَتْ مَعَهُ حَنِيفَةُ عَلَى ذَلِكَ»[4].

وقال فى موضع آخر:

---

[1] أي خالفت الحق.

[2] أي يهلكك مقتولا: وقد قتل في معركة اليمامة زمن الصدّيق رضي الله عنه.

[3] صحيح البخاري (٣٣٥١) ترقيم العالمية.

[4] سيرة ابن هشام (٤/٤٤٦).

٩٧٨- وَقَدْ كَانَ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ ، قَدْ كَتَبَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللّهِ إلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ: سَلَامٌ عَلَيْك؛ أَمّا بَعْدُ فَإِنّي قَدْ أُشْرِكْت فِي الْأَمْرِ مَعَك، وَإِنّ لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ الْأَرْضِ وَلَكِنّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولَانِ لَهُ بِهَذَا الْكِتَابِ.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَحَدّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَشْجَعَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيّ ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ لَهُمَا حِينَ قَرَأَ كِتَابَهُ: فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟ قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ. فَقَالَ: أَمَا وَاَللّهِ لَوْلَا أَنّ الرّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْت أَعْنَاقَكُمَا. ثُمّ كَتَبَ إلَى مُسَيْلِمَةَ: (بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ، إلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابِ: السّلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى. أَمّا بَعْدُ {فَإِنّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يُشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ}) وَذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ»[١] .

وفد طَيِّئ:

النبي (صلى الله عليه وسلم) يمتدح زيدَ الخيل:

٩٧٩- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ :

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفْدُ طَيّئٍ فِيهِمْ زَيْدُ الْخَيْلِ ، وَهُوَ سَيّدُهُمْ فَلَمّا انْتَهَوْا إلَيْهِ كَلّمُوهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا ، فَحَسُنَ إسْلَامُهُمْ.

وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَمَا حَدّثَنِي مَنْ لَا أَتّهِمُ مِنْ رِجَالِ طَيّئٍ: مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنْ الْعَرَبِ بِفَضْلِ ثُمّ جَاءَنِي، إلّا رَأَيْته دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ إلّا زَيْدَ الْخَيْلِ: فَإِنّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلّ مَا كَانَ فِيهِ.

ثُمّ سَمّاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَيْدَ الْخَيْرِ وَقَطَعَ لَهُ فَيْدًا وَأَرَضِينَ مَعَهُ وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ.

---

[١] سيرة ابن هشام (٤/٤٦٣).

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ راجِعًا إلى قومِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: إنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ حُمّى الْمَدِينَةِ!! فَإِنّهُ قَالَ - قَدْ سَمّاهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِاسْمِ غَيْرِ الْحُمّى ، وَغَيْرِ أُمّ مَلْدَمٍ فَلَمْ يَثْبُتْهُ.

فَلَمّا انْتَهَى مِنْ بَلَدِ نَجْدٍ إلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِ يُقَالُ لَهُ فَرَدَةَ ، أَصَابَتْهُ الْحُمّى بِهَا فَمَاتَ وَلَمّا أَحَسّ زَيْدٌ بِالْمَوْتِ قَالَ:

أَمُرْتَحِلٌ قَوْمِي الْمَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُتْرَكُ فِي بَيْتٍ بِفَرَدَةَ مُنْجِدِ

أَلَا رُبّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادَنِي ... عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُنّ يَجْهَد

فَلَمّا مَاتَ عَمَدَتْ امْرَأَتُهُ إلَى مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ كُتُبِهِ الّتِي قَطَعَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَحَرّقَتْهَا بِالنّارِ»[1].

وعدي بن حاتم الطائي:

سبق وأن ذكرنا قصة إسلامه ، حينما أوردنا خبر سرية علي بن أبي طالب إلى طيئ.

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/٤٤٧) والبيهقي في الدلائل(٥/٣٣٧) وابن سعد في الطبقات (١/٣٢١) وابن حجرفي الإصابة(٣/٣٥) – عن دار الحديث، قلت كلام ابن إسحاق مرسل.

قدوم وفد الأشعريين، وأهل اليمن:

روى الإمام أحمد:

٩٨٠- «عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ مِنْكُمْ قُلُوبًا. قَالَ فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ كَانُوا يَرْتَجِزُونَ يَقُولُونَ:

غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّهْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ»[1].

وروى البخاري في صحيحه:

٩٨١- «عن أَبى هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا.

الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ.

السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ،

وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ»[2].

شرح وتوضيح:

وصف اليمانيين برقة الفؤاد، وبأن الإيمان يمان، لا ينفي الإيمان عن غيرهم، واتصافهم بهذه الصفات لا ينفي كون غيرهم (كأبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار) أفضل منهم. و(الفدّادين) من الفديد ، وهو الصوت الشديد ، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم.

وقوله (حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر) ففي شرح النووي:

١١٠٤- «وَأَمَّا قَرْنَا الشَّيْطَان فَجَانِبَا رَأْسِهِ، وَقِيلَ: هُمَا جَمْعَاهُ اللَّذَانِ يُغْرِيهِمَا بِإِضْلَالِ النَّاس، وَقِيلَ: شِيعَتَاهُ مِنْ الْكُفَّار . وَالْمُرَاد بِذَلِكَ اِخْتِصَاص الْمَشْرِق بِمَزِيدٍ مِنْ تَسَلُّط الشَّيْطَان وَمِنْ الْكُفْر كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيث الْآخَر: "رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْو الْمَشْرِق" وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَهْده صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

---

[1] مسند الإمام أحمد (١١٥٨٨) ترقيم العالمية ورواته ثقات وفيهم حميد بن أبي حميد مدلس (موسوعة حرف)، أقول لكنه صرح بالتحديث – فالحديث صحيح ، وعمومًا، فأكثر الأئمة وثقوا حميدًا إلا محمد بن سعد الذي قال ثقة ربما دلَّس.

[2] صحيح البخارى برقم (٤٠٣٧) ترقيم العالمية.

وَسَلَّمَ حِين قَالَ ذَلِكَ، وَيَكُون حِين يَخْرُج الدَّجَّال مِنْ الْمَشْرِق. وَهُوَ فِيمَا بَيْن ذَلِكَ مَنْشَأ الْفِتَن الْعَظِيمَة، وَمَثَار الْكَفَرَة التُّرْك الْغَاشِمَة الْعَاتِيَة الشَّدِيدَة الْبَأْس» .

<u>وقال ابن القيم في زاد المعاد:</u>

٩٨٢- «عَنْ مُحَمّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

"كُنّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنّهُمْ السّحَابُ هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْض" فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: إلّا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللّهِ! فَسَكَتَ، ثُمّ قَالَ: إلّا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللّهِ! فَسَكَتَ ثُمّ قَالَ: "إلّا أَنْتُمْ".. كَلِمَةً ضَعِيفَةً.

٩٨٣- <u>قال: وَفِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيّ:</u>

"أَنّ نَفَرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ جَاءُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: أَبْشِرُوا يَا بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالُوا: بَشّرْتنَا فَأَعْطِنَا، فَتَغَيّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيُمْنِ فَقَالَ: "اقْبَلُوا الْبُشْرَى إذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ" قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا، ثُمّ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ ! جِئْنَا لِنَتَفَقّهَ فِي الدّينِ وَنَسْأَلَك عَنْ أَوّلِ هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ: " كَانَ اللّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذّكْرِ كُلّ شَيْءٍ»[1].

قدوم وفد الأزد:

- قدم صرد بن عبد الله (الأزدي) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجاهد أهل الشرك.
- قدم رجلان من جرش إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرهما النبي أن قومهما أصيبا.
- كان الذي انتصر عليهم هو (صُرَد).
- رجع الرجلان فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم الجميع وجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

<u>وهذه هي القصة كما رواها ابن إسحاق قال:</u>

---

[1] صحيح البخاري (٢٩٥٣) ترقيم العالمية.

٩٨٤- «وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صُرَدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ الْأَزْدِيّ ، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إسْلَامُهُ فِي وَفْدٍ مِنْ الْأَزْدِ، فَأَمّرَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ . وَأَمَرُوهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِمَنْ أَسْلَمَ مَنْ كَانَ يَلِيهِ مِنْ أَهْلِ الشّرْكِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ.

فَخَرَجَ صُرَدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ يَسِيرُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى نَزَلَ بِجُرَشَ، وَهِيَ يَوْمئِذٍ مَدِينَةٌ مُعَلّقَةٌ وَبِهَا قَبَائِلُ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ ، وَقَدْ ضَوَتْ إلَيْهِمْ خَثْعَمُ، فَدَخَلُوهَا مَعَهُمْ حِينَ سَمِعُوا بِسَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إلَيْهِمْ، فَحَاصَرُوهُمْ فِيهَا قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ وَامْتَنَعُوا فِيهَا مِنْهُ، ثُمّ إنّهُ رَجَعَ عَنْهُمْ قَافِلًا، حَتّى إذَا كَانَ إلَى جَبَلٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ (شَكَرُ) ظَنّ أَهْلُ جُرَشَ أَنّهُ إنّمَا وَلّى عَنْهُمْ مُنْهَزِمًا، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ حَتّى إذَا أَدْرَكُوهُ، عَطَفَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ قَتْلًا شَدِيدًا.

<u>إخْبَارُ الرّسُولِ وَافِدِي جُرَشَ بِمَا حَدّثَ لِقَوْمِهِمْ:</u>

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ جَرْش بَعَثُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ يَرْتَادَانِ وَيَنْظُرَانِ، فَبَيْنَا هُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَشِيّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إذْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: بِأَيّ بِلَادِ اللّهِ شَكْرُ؟ فَقَامَ إلَيْهِ الْجُرَشِيّانِ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللّهِ بِبِلَادِنَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ (كَشْرُ) ، وَكَذَلِكَ يُسَمّيهِ أَهْلُ جُرَشَ، فَقَالَ إنّهُ لَيْسَ بِكَشْرَ وَلَكِنّهُ (شَكْرُ)؛ قَالَا: فَمَا شَأْنُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ إنّ بُدْنَ اللّهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الْآنَ.

قَالَ: فَجَلَسَ الرّجُلَانِ إلَى أَبِي بَكْرٍ أَوْ إلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُمَا: وَيْحَكُمَا إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَيَنْعِى لَكُمَا قَوْمكُمَا، فَقُومَا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَاسْأَلَاهُ أَنْ يَدْعُوَ اللّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمِكُمَا؛ فَقَامَا إلَيْهِ فَسَأَلَاهُ ذَلِكَ فَقَالَ: اللّهُمّ ارْفَعْ عَنْهُمْ.

فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ رَاجِعِينَ إلَى قَوْمِهِمَا، فَوَجَدَا قَوْمَهُمَا قَدْ أُصِيبُوا يَوْمَ أَصَابَهُمْ صُرَدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ فِي الْيَوْمِ الّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا قَالَ وَفِي السّاعَةِ الّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ.

وَخَرَجَ وَفْدُ جُرَشَ حَتّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَسْلَمُوا، وَحَمَى لَهُمْ حِمًى حَوْلَ قَرْيَتِهِمْ»[١].

---

[١] سيرة ابن هشام (٤ /٤٥٣)، ورواه البيهقي في الدلائل وابن كثير في البداية وابن القيم في (زاد المعاد)، وأشار إليه ابن حجر في (الإصابة).

قدوم وفد بني الحارث بن كعب (بنجران):

بعد مسير خالد بن الوليد إليهم:

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٨٥ – قَالَ ابنُ إِسْحَاقَ: «ثُمّ بَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخَرَ أَوْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ عَشْرٍ إلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَان، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ اسْتَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلْهُمْ.

فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فَبَعَثَ الرّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلّ وَجْهٍ وَيَدْعُونَ إلَى الْإِسْلَامِ وَيَقُولُونَ: أَيّهَا النّاسُ أَسْلِمُوا لِتَسْلَمُوا، فَأَسْلَمَ النّاسُ وَدَخَلُوا فِيمَا دُعُوا إلَيْهِ، فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدٌ يُعَلّمُهُمْ الْإِسْلَامَ.

وَكَتَبَ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِذَلِكَ، فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ يُقْبِلَ، وَيُقْبِلَ مَعَهُ وَفْدُهُمْ.

فَأَقْبَلَ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُهُمْ فِيهِمْ: (قَيْسُ بْنُ الْحُصَيْنِ ذِي الْغَصّةِ)، (وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ)، (وَيَزِيدُ بْنُ الْمُحَجّلِ) وَ(عَبْدُ اللّهِ بْنُ قُرَادٍ) وَ(شَدّادُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ).

وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيّةِ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُنْ نَغْلِبُ أَحَدًا. قَالَ: بَلَى. قَالُوا: كُنّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَتَفَرّقُ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ. قَالَ: صَدَقْتُمْ.

وَأَمّرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ الْحُصَيْنِ فَرَجَعُوا إلَى قَوْمِهِمْ فِي بَقِيّةٍ مِنْ شَوّالٍ أَوْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَلَمْ يَمْكُثُوا إلّا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ حَتّى تُوُفّيَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ» [١] .

قدوم وفد همدان:

(استعصوا على خالد بن الوليد، وأسلموا على يَدَي علي بن أبي طالب):

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٨٦- « رَوَى الْبَيْهَقِيّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي إسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ:

---

[١] زاد المعاد– نقلا عن ابن هشام، وطبقات ابن سعد.

"أَنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْت فِيمَنْ خَرَجَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَأَقَمْنَا سِتّةَ أَشْهُرٍ يَدعُوهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ.

ثُمّ إنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعَثَ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُقْفِلَ خَالِدًا إلّا رَجُلًا مِمّنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبّ أَنْ يُعْقِبَ مَعَ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، فَلْيُعْقِبْ مَعَهُ.

قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقّبَ مَعَ عَلِيّ، فَلَمّا دَنَوْنَا مِنْ الْقَوْمِ خَرَجُوا إلَيْنَا.

فَصَلّى بِنَا عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ثُمّ صَفّنَا صَفّا وَاحِدًا، ثُمّ تَقَدّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَرَأَ عليهم كتاب رسول الله صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِإِسْلَامِهِمْ.

فَلَمّا قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْكِتَابَ خَرّ سَاجِدًا، ثُمّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ السّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ السّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ".

وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيّ»[١].

قدوم وفد دَوْس:

سبق أن ذكرنا إسلام الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسي- في المرحلة المكية. وأوردنا رواية مجيئه المدينة زمن خيبر.

وهذا هو الجزء الأخير من الرواية: قال: (الطفيل):

١١٠٩- « ثُمّ دَعَوْتُ دَوْسًا إلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَئُوا عَلَيَّ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزّنَى فَادْعُ اللّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: "اللّهُمّ اهْدِ دَوْسًا" ثُمّ قَالَ: "ارْجِعْ إلَى قَوْمِك فَادْعُهُمْ إلَى اللّهِ وَارْفُقْ بِهِمْ" فَرَجَعْتُ إلَيْهِمْ فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إلَى اللّهِ، ثُمّ قَدِمْتُ عَلى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ

---

[١] زاد المعاد (٢ /٣٥٢) وأخرجه البخاري (٥/ ٢٠٦)، أبو داود (١٧٩٧) النسائي (٥ / ١٤٨) تخريج دار التقوى.

وَسَلّمَ بِخَيْبَرَ، فَنَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِخَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ».

موقفهم بعد الردة:

قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

٩٨٧- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَلَمّا قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَارْتَدّتْ الْعَرَبُ خَرَجَ الطّفَيْلُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، حَتّى فَرَغُوا مِنْ طُلَيْحَةَ، ثُمّ سَارَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إلَى الْيَمَامَةِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ الطّفَيْلِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إنّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا فَاعْبُرُوهَا لِي: رَأَيْت أَنّ رَأْسِي قَدْ حُلِقَ، وَأَنّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ فَمِي طَائِرٌ، وَأَنّ امْرَأَةً لَقِيَتْنِي فَأَدْخَلَتْنِي فِي فَرْجِهَا، وَرَأَيْتُ أَنّ ابْنِي يَطْلُبُنِي طَلَبًا حَثِيثًا، ثُمّ رَأَيْتُهُ حُبِسَ عَنّي.

قَالُوا: خَيْرًا رَأَيْت، قَالَ: أَمَا وَاَللّهِ إنّي قَدْ أَوّلْتُهَا. قَالُوا: وَمَا أَوّلْتَهَا؟ قَالَ أَمّا حَلْقُ رَأْسِي فَوَضْعُهُ، وَأَمّا الطّائِرُ الّذِي خَرَجَ مِنْ فَمِي فَرُوحِي، وَأَمّا الْمَرْأَةُ الّتِي أَدْخَلَتْنِي فِي فرجها فَالْأَرْضُ تُحْفَرُ لِي ، فَأُغَيّبُ فِيهَا، وَأَمّا طَلَبُ ابْنِي إيّايَ وَحَبْسُهُ عَنّي فَإِنّي أَرَاهُ سَيَجْهَدُ لِأَنْ يُصِيبَهُ مِنْ الشّهَادَةِ مَا أَصَابَنِي. فَقُتِلَ الطّفَيْلُ شَهِيدًا بِالْيَمَامَةِ وَجُرِحَ ابْنُهُ عَمْرُو جُرْحًا شَدِيدًا، ثُمّ قُتِلَ عَامَ الْيَرْمُوكِ شَهِيدًا فِي زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ»[1].

قدوم وفد نصارى نجران:

وقصة المباهلة:

أورد ابن إسحاق قصة هذا الوفد بعد ذكر الهجرة ووصول النبي(صلى الله عليه وسلم) المدينة، والكلام على موقف اليهود من الرسالة، وكأن ابن إسحاق أراد أن يجمع حديث أهل الكتاب وموقفهم من النبي(صلى الله عليه وسلم)في فصل واحد.

لكن ابن القيم (في زاد المعاد) أورد القصة بكاملها- نقلًا عن ابن إسحاق- في عام الوفود، ولم يذكر أي من الإمامين التاريخ المحدد للوفد.

ونحن نورد القصة هنا مع ملاحظتين:

[1] زاد المعاد (٢ /٣٥٣) عن ابن إسحاق.

١- ننقلها من زاد المعاد - وهو يروي عن ابن إسحاق - تقديرًا لقدرة الإمام ابن القيم في نقد الروايات.

٢- الرواية طويلة والأسماء المذكورة ترهق القارئ في متابعتها، لذا سوف نختصر بعض الأسماء، ونحذف أجزاء من الرواية، ثم نقسم الحديث مع وضع عناوين جانبية للفقرات من عندنا؛ تيسيرًا على القارئ، والله المستعان:

قدوم الوفد:

قَالَ ابنُ القَيِّمِ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

٩٨٨- « وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ بِالْمَدِينَةِ. فَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ قَالَ:

لَمّا قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِدَهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَحَانَتْ صَلَاتُهُمْ فَقَامُوا يُصَلّونَ فِي مسجده، فأرادَ الناسُ منعَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعُوهُمْ فَاسْتَقْبَلُوا الْمَشْرِقَ فَصَلّوْا صَلَاتَهُمْ».

قادة الوفد هم:

العاقب: (عبد المسيح) – أمير القوم.

والسيد: (الأيهم) – قائد القافلة

وأبو حارثة بن علقمة: الحبر والإمام.

نتابع الرواية:

«عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ سِتّونَ رَاكِبًا مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَالْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إلَيْهِمْ يَئُولُ أَمْرُهُمْ:

(الْعَاقِبُ) أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ وَالّذِي لَا يَصْدُرُونَ إلّا عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ،

و(السّيّدُ): ثِمَالُهُمْ وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ وَاسْمُهُ الْأَيْهَمُ

و(أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ) أُسْقُفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ وَصَاحِبُ مِدْرَاسِهِمْ.

وَكَانَ أَبُو حَارِثَةَ قَدْ شَرُفَ فِيهِمْ وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ وَكَانَتْ مُلُوكُ الرّومِ مِنْ أَهْلِ النّصْرَانِيّةِ قَدْ شَرّفُوهُ وَمَوّلُوهُ وَأَخْدَمُوهُ وَبَنَوْا لَهُ الْكَنَائِسَ وَبَسَطُوا عَلَيْهِ الْكَرَامَاتِ لِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عِلْمِهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي دِينِهِمْ.

فَلَمّا وَجّهُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ نَجْرَانَ جَلَسَ أَبُو حَارِثَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ مُوَجّهًا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَإِلَى جَنْبِهِ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ كُرْزُ بْنُ عَلْقَمَةَ يُسَايِرُهُ إذْ عَثَرَتْ بَغْلَةُ أَبِي حَارِثَةَ.

فَقَالَ لَهُ كُرْزٌ: تَعِسَ الْأَبْعَدُ. يُرِيدُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . فَقَالَ لَهُ أَبُو حَارِثَةَ: بَلْ أَنْتَ تَعِسْتَ. فَقَالَ: وَلِمَ يَا أَخِي ؟ فَقَالَ: وَاَللّهِ إنّهُ النّبِيّ الْأُمّيّ الّذِي كُنّا نَنْتَظِرُهُ. فَقَالَ لَهُ كُرْزٌ: فَمَا يَمْنَعُك مِنْ اتّبَاعِهِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا؟ فَقَالَ: مَا صَنَعَ بِنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ شَرّفُونَا وَمَوّلُونَا وَأَكْرَمُونَا، وَقَدْ أَبَوْا إلّا خِلَافَهُ، وَلَوْ فَعَلْتُ نَزَعُوا مِنّا كُلّ مَا تَرَى، فَأَضْمَرَ عَلَيْهَا مِنْهُ أَخُوهُ كُرْزُ بْنُ عَلْقَمَةَ حَتّى أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ».

توضيح: هذه إذن رواية ابن إسحاق عن كرز بن علقمة، الذي أسلم بسبب حديث أخيه الحبر (أبو حارثة).

النزاع في إبراهيم عليه السلام:

٩٨٩- « رَوَى ابنُ إِسْحَاقَ عنِ ابنِ عَبّاسٍ قَالَ:

اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ؛ فَقَالَتْ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ إلّا يَهُودِيّا.. وَقَالَتْ النّصَارَى: مَا كَانَ إلّا نَصْرَانِيّا، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ فِيهِمْ {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلّذِينَ اتّبَعُوهُ وَهَذَا النّبِيّ وَالّذِينَ آمَنُوا وَاللّهُ وَلِيّ الْمُؤْمِنِينَ}.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَحْبَارِ: أَتُرِيدُ مِنّا يَا مُحَمّدُ أَنْ نَعْبُدَك كَمَا تَعْبُدُ النّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ: أَوَ ذَلِكَ تُرِيدُ يَا مُحَمّدُ وَإِلَيْهِ تَدْعُونَا؟

فَقَـالَ رَسُـولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ: مَعَـاذَ اللّهِ أَنْ أَعْبُـدَ غَيْرَ اللّهِ، أَوْ آمُـرَ بِعِبَـادَةِ غَيْرِهِ، مَـا بِذَلِكَ بَعَثَنِي وَلَا أَمَرَنِي.

فَـأَنْزَلَ اللّهُ عَـزّ وَجَـلّ فِي ذَلِـكَ {مَـا كَانَ لِبَشَـرٍ أَنْ يُؤْتِيَـهُ اللّهُ الْكِتَـابَ وَالْحُكْـمَ وَالنّبُـوّةَ ثُـمّ يَقُـولَ لِلنّـاسِ كُونُـوا عِبَـادًا لِي مِنْ دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ كُونُـوا رَبّانِيّينَ بِمَـا كُنْـتُمْ تُعَلّمُـونَ الْكِتَـابَ وَبِمَـا كُنْـتُمْ تَدْرُسُــونَ * وَلَا يَــأْمُرَكُمْ أَنْ تَتّخِــذُوا الْمَلَائِكَــةَ وَالنّبِيّــينَ أَرْبَابًــا أَيَــأْمُرُكُمْ بِــالْكُفْرِ بَعْــدَ إِذْ أَنْــتُمْ مُسْلِمُونَ} [آلِ عِمْرَانَ ٧٩].

<u>نُزُولُ فَواتِحِ آلِ عِمْرَانَ فِي وَفْدِ نَجْرَانَ:</u>

٩٩٠- قال: وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ:

لَمّا قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ نَزَلَ فِيهِمْ فَاتِحَةُ آلِ عِمْرَانَ إلَى رَأْسِ الثّمَانِينَ مِنْهَا).

<u>رواية ابن القيم عن الحاكم:</u>

اكتفى ابن القيم بالجزء السابق من رواية ابن إسحاق، ثم روى عن الحاكم (صاحب المستدرك) هذه الرواية الطويلة:

٩٩١- <u>قَالَ ابنُ القَيّم</u>: « وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ الْحَاكِمِ عَنْ الْأَصَمّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْجَبّارِ عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ يَسُوعَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ - قَالَ يُونُسُ وَكَانَ نَصْرَانِيّا فَأَسْلَمَ:

إنّ رَسُـولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلّمَ كَتَـبَ إلَى أَهْـلِ نَجْـرَانَ "بِاسْـمِ إلَـهِ إبْـرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ:

أَمّا بَعْدُ فَإِنّي أَدْعُوكُمْ إلَى عِبَادَةِ اللّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَأَدْعُوكُمْ إلَى وِلَايَةِ اللّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجِزْيَةُ، فَإِنْ أبيتمْ فقَدْ آذَنتُكُم بحربٍ والسلام».

<u>الأسقف يشاور ثلاثة من أهل نجران في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم):</u>

<u>تابع الرواية:</u>

« فَلَمّا أَتَى الْأُسْقُفَ الْكِتَابُ فَقَرَأَهُ، فَظِعَ بِهِ وَذَعَرَ بِهِ ذُعْرًا شَدِيدًا، فَبَعَثَ إلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ: (شُرَحْبِيلُ بْنُ وَدَاعَةَ) - وَكَانَ مِنْ هَمْدَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُدْعَى إذَا نَزَلَ مُعْضِلَةٌ

قَبْلَهُ، لَا الْأَيْهَمُ وَلَا السَّيِّدُ وَلَا الْعَاقِبُ - فَدَفَعَ الْأُسْقُفُ كِتَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَيْهِ فقَرَأَهُ، فَقَالَ الْأَسْقُفُ: يَا أَبَا مَرْيَمَ مَا رَأْيُك؟ فَقَالَ شُرَحْبِيلُ:

قَدْ عَلِمْتَ مَا وَعَدَ اللّهُ إبْرَاهِيمَ فِي ذُرّيّةِ إسْمَاعِيلَ مِنْ النّبُوّةِ، فَمَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ ذَلِكَ الرّجُلُ، لَيْسَ لِي فِي النّبُوّةِ رَأْيٌ.

فَقَالَ لَهُ الْأَسْقُفُ: تَنَحّ فَاجْلِسْ ، فَتَنَحّى شُرَحْبِيلُ فَجَلَسَ نَاحِيَةً.

فَبَعَثَ الْأُسْقُفُ إلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ (عَبْدُ اللّهِ بْنُ شُرَحْبِيلَ) وَهُوَ مِنْ (ذِي أَصْبَحَ مِنْ حِمْيَرَ) فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنْ الرّأْيِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ.

فَقَالَ لَهُ الْأَسْقُفُ تَنَحّ فَاجْلِسْ فَتَنَحّى فَجَلَسَ نَاحِيَةً.

فَبَعَثَ الْأُسْقُفُ إلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ يُقَالُ لَهُ (جَبّارُ بْنُ فَيْضٍ) مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنْ الرّأْيِ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شُرَحْبِيلَ وَعَبْدِ اللّهِ، فَأَمَرَهُ الْأُسْقُفُ فَتَنَحّى».

الأسقف يشاور أهل الوادي:

تابع الرواية:

«فَلَمّا اجْتَمَعَ الرّأْيُ مِنْهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ جَمِيعًا، أَمَرَ الْأُسْقُفُ بِالنّاقُوسِ فَضُرِبَ بِهِ وَرُفِعَتْ الْمُسُوحُ فِي الصّوَامِعِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إذَا فَزِعُوا بِالنّهَارِ، وَإِذَا كَانَ فَزَعُهُمْ بِاللّيْلِ ضُرِبَ النّاقُوسُ وَرُفِعَتْ النّيرَانُ فِي الصّوَامِعِ، فَاجْتَمَعَ - حِينَ ضُرِبَ بِالنّاقُوسِ وَرُفِعَتْ الْمُسُوحُ - أَهْلُ الْوَادِي أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ - وَطُولُ الْوَادِي مَسِيرَةَ يَوْمٍ لِلرّاكِبِ السّرِيعِ وَفِيهِ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ قَرْيَةً وَعِشْرُونَ وَمِائَةَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ - فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ الرّأْيِ فِيهِ».

إرسال الوفد:

تابع الرواية:

« فَاجْتَمَعَ رَأْيُ أَهْلِ الْوَادِي مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا شُرَحْبِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ الْهَمْدَانِي - وَعَبْدَ اللّهِ بْنَ شُرَحْبِيلَ - وَجَبّارَ بْنَ فَيْضٍ الْحَارِثِيّ فَيَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ».

الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يكلمهم بسبب ملابسهم (من الحرير المذهب):

تابع الرواية:

«فَانْطَلَقَ الْوَفْدُ حَتّى إِذَا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَضَعُوا ثِيَابَ السّفَرِ عَنْهُمْ، وَلَبِسُوا حُلَلًا لَهُمْ يَجُرّونَهَا مِنْ الْحِبَرَةِ وَخَوَاتِيمَ الذّهَبِ، ثُمّ انْطَلَقُوا حَتّى أَتَوْا صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَلّمُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِمْ السّلَامَ. وَتَصَدَّوْا لِكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَلَمْ يُكَلّمْهُمْ وَعَلَيْهِمْ تِلْكَ الْحُلَلُ وَالْخَوَاتِيمُ الذّهَبُ.

فَانْطَلَقُوا يَتّبِعُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ، وَعَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ - وَكَانَا مَعْرِفَةً لَهُمْ كَانَا يُخْرِجَانِ الْعِيرَ فِي الْجَاهِلِيّةِ إلَى نَجْرَانَ فَيُشْتَرَى لَهُمَا مِنْ بُرّهَا وَثَمَرِهَا وَذُرَتِهَا - فَوَجَدُوهُمَا فِي نَاسٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي مَجْلِسٍ. فَقَالُوا: يَا عُثْمَانُ وَيَا عَبْدَ الرّحْمَنِ! إنّ نَبِيّكُمْ كَتَبَ إلَيْنَا بِكِتَابٍ فَأَقْبَلْنَا مُجِيبِينَ لَهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْنَا سَلَامَنَا وَتَصَدّيْنَا لِكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَأَعْيَانَا أَنْ يُكَلّمَنَا، فَمَا الرّأْيُ مِنْكُمَا أَنَعُودُ؟

فَقَالَا لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،وَهُوَ فِي الْقَوْمِ: مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ عَلِيّ لِعُثْمَانَ وَعَبْدِ الرّحْمَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَرَى أَنْ يَضَعُوا حُلَلَهُمْ هَذِهِ وَخَوَاتِيمَهُمْ وَيَلْبَسُوا ثِيَابَ سَفَرِهِمْ ثُمّ يَأْتُوا إلَيْهِ.

فَفَعَلَ الْوَفْدُ ذَلِكَ فَوَضَعُوا حُلَلَهُمْ وَخَوَاتِيمَهُمْ ثُمّ عَادُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَسَلّمُوا عَلَيْهِ فَرَدّ سَلَامَهُمْ ثُمّ سَأَلَهُمْ وَسَأَلُوهُ».

<u>سؤالهم عن عيسى، ونزول آية المباهلة:</u>

<u>تابع الرواية:</u>

«فَلَمْ تَزَلْ بِهِ وَبِهِمْ الْمَسْأَلَةُ حَتّى قَالُوا لَهُ: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السّلَامُ؟ فَإِنّا نَرْجِعُ إلَى قَوْمِنَا وَنَحْنُ نَصَارَى فَيَسُرّنَا إنْ كُنْت نَبِيّا أَنْ نَعْلَمَ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ يَوْمِي هَذَا، فَأَقِيمُوا حَتّى أُخْبِرَكُمْ بِمَا يُقَالُ لِي فِي عِيسَى عَلَيْهِ السّلَام. فَأَصْبَحَ الْغَدُ وَقَدْ أَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ {إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقّ مِنْ رَبّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آلِ عِمْرَانَ ٥٩ - ٦١]. فَأَبَوْا أَنْ يُقِرّوا بِذَلِكَ».

<u>استعداد النبي (صلى الله عليه وسلم) للمباهلة (الملاعنة):</u>

«فَلَمّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْغَدَ بَعْدَمَا أَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي خَمِيلٍ لَـهُ، وَفَاطِمَـةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا تَمْشِي عِنْـدَ ظَهْـرِهِ لِلْمُبَاهَلَةِ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ عِدّةُ نِسْوَةٍ».

تسليم الوفد لشرحبيل، وخوفهم من الملاعنة:

«فَقَالَ شُرَحْبِيلُ لِصَاحِبَيْهِ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ شُرَحْبِيلَ وَيَا جَبّارُ بْنُ فَيْضٍ قَدْ عَلِمْتُمَا أَنّ الْوَادِيَ إذَا اجْتَمَعَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ لم يَرِدُوا ولم يصْدُرُوا إلا عن رأْيِى، وإِنّى أَرَى أَمْرًا مُقْبِلًا، وَأَرَى وَاَللّهِ إنْ كَانَ هَذَا الرّجُلُ مَلِكًا مَبْعُوثًا فَكُنّا أَوّلَ الْعَرَبِ طَعَنَ فِي عَيْنِهِ وَرَدّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ لَا يَذْهَبُ لَنَا مِنْ صَدْرِهِ وَلَا مِنْ صُدُورِ قَوْمِهِ حَتّى يُصِيبُونَا بِجَائِحَةٍ وَإِنّا أَدْنَى الْعَرَبِ مِنْهُمْ جِوَارًا.. وَإِنْ كَانَ هَذَا الرّجُلُ نَبِيّا مُرْسَلًا فَلَاعَنّاهُ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنّا شَعْرَةٌ وَلَا ظُفْرٌ إلّا هَلَكَ.

فَقَالَ لَهُ صَاحِبَاهُ: فَمَا الرّأْيُ؟ فَقَدْ وَضَعَتْك الْأُمُورُ عَلَى ذِرَاعٍ فَهَاتِ رَأْيَك؟ فَقَالَ: رَأْيِي أَنْ أُحَكّمَهُ فَإِنّي أَرَى رَجُلًا لَا يَحْكُمُ شَطَطًا أَبَدًا. فَقَالَا لَهُ: أَنْتَ وَذَاكَ.

فَلَقِيَ شُرَحْبِيلُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: إنّي قَدْ رَأَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُلَاعَنَتِك، فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ شُرَحْبِيلُ: حُكْمُك الْيَوْمَ إلَى اللّيْلِ وَلَيْلَتَك إلَى الصّبَاحِ فَمَهْمَا حَكَمْت فِينَا فَهُوَ جَائِزٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: لَعَلّ وَرَاءَكَ أَحَدًا يُثَرّبُ عَلَيْك (أى يراجعك ويلومك)، فَقَالَ لَهُ شُرَحْبِيلُ: سَلْ صَاحِبِيّ، فَسَأَلَهُمَا فَقَالَا: مَا يَرِدُ الْوَادِي وَلَا يَصْدُرُ إلّا عَنْ رَأْيِ شُرَحْبِيلَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "كَافِرٌ" أَوْ قَالَ "جَاحِدٌ مُوَفّق».

توضيح:

كلام شرحبيل بتحكيم النبي (صلى الله عليه وسلم)معناه :أنهم نزلوا على حكمه الذي يصدره عليهم في يوم وليلة، فكان حكم النبي (صلى الله عليه وسلم)هو الجزية.

وكتب لهم كتابًا بذلك ، وأعطاهم الأمان.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (جاحد موفَّق) أي أنه لم يؤمن بالإسلام ولكنه وُفِّق لرأي جيد وهو النزول على حكم النبي (صلى الله عليه وسلم).

تابع الرواية:

«فَرَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَمْ يُلَاعِنْهُمْ، حَتّى إذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَوْهُ فَكَتَبَ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ:

"بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ هَذَا مَا كَتَبَ مُحَمّدٌ النّبِيّ رَسُولُ اللّهِ لِنَجْرَانَ - إذْ كَانَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ:

* فِي كُلّ ثَمَرَةٍ وَفِي كُلّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ وَرَقِيقٍ" [توضيح: أي: يحكم النبى(صلى الله عليه وسلم) في كل هذا.]

*فَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلّهُ" عَلَى أَلْفَيْ حُلّةٍ: [توضيح: أي:فتفضل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)عليهم وترك ذلك كله في مقابل ألفى حلة ...الخ].

* فِي كُلّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلّةٍ * وَفِي كُلّ صَفَرٍ أَلْفُ حُلّةٍ * وَكُلّ حُلّةٍ أُوقِيّةٌ مَا زَادَتْ عَلَى الْخَرَاجِ أَوْ نَقَصَتْ عَلَى الْأَوَاقِي فَبِحِسَابٍ" [توضيح: يعني :تقيم الأشياء المدفوعة بالأوقية وتحسب الزيادة والنقصان – والله أعلم]،

* "وَمَا قَضَوْا مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ أَوْ عَرَضٍ أُخِذَ مِنْهُمْ بِحِسَابٍ [توضيح: أي: تُقَيَّمُ الدروع والخيل المأخوذة منهم، وتحسب من الجزية المتفق عليها].

* "وَعَلَى نَجْرَانَ مُثْوَاةُ رُسُلِي وَمُتْعَتُهُمْ بِهَا عِشْرِينَ فَدُونَهُ. [توضيح: أي:تتكفل نجران بإقامة المبعوثين ومعاشهم، عشرين يومًا].

* "وَلَا يُحْبَسُ رَسُولٌ فَوْقَ شَهْرٍ" [توضيح: أي: لا يبقى هناك أكثر من شهر].

* "وَعَلَيْهِمْ عَارِيَةُ ثَلَاثِينَ دِرْعًا وَثَلَاثِينَ فَرَسًا وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا. [توضيح: أي عليهم أن يقرضوا هذه الأشياء للرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم يردها إليهم].

* إذَا كَانَ كَيْدٌ بِالْيَمَنِ وَمَغْدَرَةٌ وَمَا هَلَكَ مِمّا أَعَارُوا رَسُولِي مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ فَهُوَ ضَمَانٌ عَلَى رَسُولِي حَتّى يُؤَدّيَهُ إلَيْهِمْ. [توضيح: معناه: أن أي شئ يتلف يكون مضمونًا من قبل مبعوث النبي(صلى الله عليه وسلم)].

- وَلِنَجْرَانَ وَحَسْبُهَا: جِوَارُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ؛ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلّتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَتَبَعِهِمْ.

- وَأَنْ لَا يُغَيِّرُوا مِمّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلّتِهِمْ، وَلَا يُغَيّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفِيّتِهِ وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيّتِهِ وَلَا وَافِهٍ عَنْ وَفهِيّتِهِ.
- وَكُلّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ رِيبَةٌ وَلَا دَمُ جَاهِلِيّةٍ.
- وَلَا يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ.
- وَمَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ حَقّا فَبَيْنَهُمْ النّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ.
- وَمَنْ أَكَلَ رِبًا مِنْ ذِي قَبْلُ فَذِمّتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ.
- وَلَا يُؤْخَذُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِظُلْمِ آخَرَ.
- وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ جِوَارُ اللهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللهِ حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْقَلِبِينَ بِظُلْم.

شَهِدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَغَيْلَانُ بْنُ عَمْرٍو وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيّ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَكُتِبَ حَتّى إذَا قَبَضُوا كِتَابَهُمْ انْصَرَفُوا إلَى نَجْرَانَ».

رواية البيهقي عن أمين الأمة:

قَالَ ابنُ القَيّمِ: «وَرَوَى الْبَيْهَقِيّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إلَى ابْنِ مَسْعُودٍ:

٩٩٢- أَنّ السّيّدَ وَالْعَاقِبَ أَتَيَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، فَأَرَادَ أَنْ يُلَاعِنَهُمَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تُلَاعِنْهُ فَوَاَللّهِ إنْ كَانَ نَبِيّا فَلَاعَنْتَهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالُوا لَهُ: نُعْطِيَك مَا سَأَلْت، فَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إلّا أَمِينًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: "لَأَبْعَثَنّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقّ أَمِينٍ" فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُهُ فَقَالَ: "قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرّاحِ" فَلَمّا قَامَ قَالَ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمّة».

وَرَوَى البُخَارِي عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:

٩٩٣- جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا. قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا.

فَقَالَ "لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ" فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»[1].

(1) رواه البخاري برقم (٤٠٢٩) ترقيم العالمية.

الباب الأخير:

صفحةُ الختامِ

الفصل الأول:

حَجَّة الوداع:

حجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في السنة العاشرة ، خرج في ٢٥ من ذي القعدة، وسميت حَجة الوداع؛ لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لقي ربه راضيًا مرضيًا بعدها بقليل؛ ولأنه لم يحج بعدها غيرها .وهي حَجته الوحيدة (صلى الله عليه وسلم) ، وكانت من مقدمات ختام حياته الشريفة (صلى الله عليه وسلم).

وهذه الحجة روتها معظم كتب السيرة والسنة، وبين الرواة اختلاف في كون النبي(صلى الله عليه وسلم) حج مفرِدًا ، أم قارنًا ، أم متمتعًا ، وخلص النووي في النهاية إلى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعل كل ذلك ، بأن بدأها مُفرِدًا بالحج، ثم أدخل عليها العمرة فصار قارنًا، أما التمتع، فمن رواه من الصحابة فقد قصد التمتع اللغوي؛ لكونه أدى الحج والعمرة فى نفس الموسم.

وسوف نختار من بين هذه الروايات، حديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم، وهو مما انفرد به مسلم دون البخاري، ورواه أبو داود كرواية مسلم.

والحديث عظيم ومشتمل على فوائد ونفائس مهمة..

وسوف نذكر الحديث مجزءًا،

وبعد كل فقرة نورد شرحها ،

ومرجعنا فيه شرح النووي، لكن بتصرف وتيسير واختصار ، والله المستعان.

روى مسلم بسنده [١] :

٩٩٤- (عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ عَنْ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي، فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أَخِي سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى،

[١] صحيح مسلم برقم (٢١٣٧) ترقيم العالمية.

وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ عَلَى الْمِشْجَبِ فَصَلَّى بِنَا.

فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا فَقَالَ:

"إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ.

فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي.

فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.

فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ" وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَهُ.

<u>شروح:</u>

(فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَل ثُمَّ وَضَعَ كَفّه بَيْن ثَدْيَيَّ) فيه مُلَاطَفَة الزَّائِر بِمَا يَلِيق بِهِ وَتَأْنِيسه ، وَهَذَا سَبَب حَلّ جَابِر زِرَّيْ مُحَمَّد بْن عَلِيّ وَوَضْع يَده بَيْن ثَدْيَيْهِ.

(وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ) جَوَاز الصَّلَاة فِي ثَوْب وَاحِد مَعَ التَّمَكُّن مِنْ الزِّيَادَة عَلَيْهِ.

(قَامَ فِي نِسَاجَة) ثَوْب كَالطَّيْلَسَانِ وَشِبْهه.

(الْمِشْجَب) إِسْم لِأَعْوَادٍ يُوضَع عَلَيْهَا الثِّيَاب وَمَتَاع الْبَيْت .

(ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاس فِي الْعَاشِرَة أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجّ) مَعْنَاهُ أَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ وَأَشَاعَهُ بَيْنهمْ لِيَتَأَهَّبُوا لِلْحَجِّ مَعَهُ، وَيَتَعَلَّمُوا الْمَنَاسِك وَالْأَحْكَام، وَيَشْهَدُوا أَقْوَاله وَأَفْعَاله، وَيُوصِيهِمْ لِيُبَلِّغ الشَّاهِد الْغَائِب وَتَشِيع دَعْوَة الْإِسْلَام ، وَتَبْلُغ الرِّسَالَة الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ.

(اِغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي) فِيهِ اِسْتِحْبَاب غُسْل الْإِحْرَام لِلنُّفَسَاءِ، والِاسْتِثْفَار: هُوَ أَنْ تَشُدّ فِي وَسَطهَا شَيْئًا وَتَأْخُذ خِرْقَة عَرِيضَة تَجْعَلهَا عَلَى مَحَلّ الدَّم وَتَشُدّ طَرَفَيْهَا مِنْ قُدَّامهَا وَمِنْ وَرَائِهَا فِي ذَلِكَ الْمَشْدُود فِي وَسَطهَا.

(ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاء) كَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوق : الْقَصْوَاء ، وَالْجَدْعَاء ، وَالْعَضْبَاء. والْقَصْوَاء الَّتِي قُطِعَ طَرَف أُذُنهَا، والْجَدْع أَكْثَر مِنْهُ، فَإِنْ جَاوَزَ الرُّبْع فَهِيَ عَضْبَاء.

(فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيك لَك لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْد وَالنِّعْمَة لَك وَالْمُلْك لَا شَرِيك لَك ، وَأَهَلَّ النَّاس بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْهُ ، وَلَزِمَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَته) قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى : فِيهِ إِشَارَة إِلَى مَا رُوِيَ مِنْ زِيَادَة النَّاس فِي التَّلْبِيَة مِنْ الثَّنَاء وَالذِّكْر كَمَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَزِيد: (لَبَّيْكَ ذَا النَّعْمَاء وَالْفَضْل الْحَسَن، لَبَّيْكَ مَرْهُوبًا مِنْك وَمَرْغُوبًا إِلَيْك)، وَعَنْ اِبْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْر بِيَدَيْك وَالرَّغْبَاء إِلَيْك وَالْعَمَل)، وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ : (لَبَّيْكَ حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا) . قَالَ الْقَاضِي: قَالَ أَكْثَر الْعُلَمَاء: الْمُسْتَحَبّ الِاقْتِصَار عَلَى تَلْبِيَة رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِهِ قَالَ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَاَللَّه أَعْلَم.

متابعة الرواية:

(قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ: عَنْهُ لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ. حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا. ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَرَأَ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. فَكَانَ أَبِي يَقُولُ وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنْ الصَّفَا قَرَأَ {إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ. فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ.

حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ)، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا. حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ: "لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقْ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً) فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ: دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ، لَا بَلْ لِأَبَدٍ أَبَدٍ".

شروح:

(قَالَ جَابِر لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجّ لَسْنَا نَعْرِف الْعُمْرَة) فِيهِ دَلِيل لِمَنْ قَالَ بِتَرْجِيحِ الْإِفْرَاد فِي الحج، وَقَدْ سَبَقَتْ الإشارة إلى أن الإمامَ النوويَّ جمعَ بينَ الرواياتِ الصحيحةِ ، بأنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بدأَ الحجَّ (مفردًا) ، ثمَّ أدْخَلَ عليهِ العمرةَ بالنِّيَّةِ فصار (قارنًا)، وأنَّ مَنْ رَوَى التمتُّعَ كانَ يقصدُ المعنى اللُّغويَّ للكلمةِ، لأنَّهُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أدَّى النُّسُكينِ: الحجَّ والعمرةَ، ولم يقصدْ أنَّهُ تمتَّعَ أيْ تحلَّلَ من إحرامهِ بعدَ العمرةِ، وليرْجعْ مَنْ شَاءَ إلى شرحِ صحيحِ مسلمٍ.

(فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا) فِيهِ أَنَّ السُّنَّة الرَّمَل فِي الثَّلَاث الْأُوَل، وَيَمْشِي عَلَى عَادَته فِي الْأَرْبَع الْأَخِيرَة. قَالَ الْعُلَمَاء: الرَّمَل هُوَ أَسْرَع الْمَشْي مَعَ تَقَارُب الْخُطَى. قَالَ أَصْحَابُنَا: وَلَا يُسْتَحَبّ الرَّمَل إِلَّا فِي طَوَاف وَاحِد فِي حَجّ أَوْ عُمْرَة ، أَمَّا إِذَا طَافَ فِي غَيْر حَجّ أَوْ عُمْرَة فَلَا رَمَل بِلَا خِلَاف.

(اِسْتَلَمَ الرُّكْن) فَمَعْنَاهُ مَسَحَهُ بِيَدِهِ، وَهُوَ سُنَّة فِي كُلّ طَوَاف.

(ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَام إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام فَقَرَأَ {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَام إِبْرَاهِيم مُصَلًّى} فَجَعَلَ الْمَقَام بَيْنه وَبَيْن الْبَيْت) هَذَا دَلِيل لِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاء أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ طَائِف إِذَا فَرَغَ مِنْ طَوَافه أَنْ يُصَلِّي خَلْف الْمَقَام رَكْعَتَيْ الطَّوَاف، وَاخْتَلَفُوا هَلْ هُمَا وَاجِبَتَانِ أَمْ سُنَّة؟

وَالسُّنَّة أَنْ يُصَلِّيهِمَا خَلْف الْمَقَام ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَل فَفِي الْحِجْر ، وَإِلَّا فَفِي الْمَسْجِد وَإِلَّا فَفِي مَكَّة وَسَائِر الْحَرَم، وَلَوْ صَلَّاهُمَا فِي وَطَنه وَغَيْره مِنْ أَقَاصِي الْأَرْض جَازَ وَفَاتَتْهُ الْفَضِيلَة.

(فَكَانَ أَبِي يَقُول - وَلَا أَعْلَمهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقْرَأ فِي الرَّكْعَتَيْنِ {قُلْ هُوَ اللَّه أَحَد} وَ {قُلْ يَا أَيّهَا الْكَافِرُونَ}.

مَعْنَى هَذَا الْكَلَام أَنَّ جَعْفَر قَال: وَلَا أَعْلَم أَبِي ذَكَرَ تِلْكَ الْقِرَاءَة عَنْ قِرَاءَة جَابِر فِي صَلَاة جَابِر، بَلْ عَنْ جَابِر عَنْ قِرَاءَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَلَاة هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ.

(ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَة حَتَّى اِنْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْن الْوَادِي حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَة) فِيهِ إِسْقَاط لَفْظَة لَا بُدّ مِنْهَا وَهِيَ (حَتَّى اِنْصَبَّتْ قَدَمَاهُ رَمَلَ فِي بَطْن الْوَادِي) ، وَلَا بُدّ مِنْهَا، وَقَدْ ثَبَتَتْ هَذِهِ اللَّفْظَة فِي غَيْر رِوَايَة مُسْلِم، وَفِي الْمُوَطَّإِ: (حَتَّى إِذَا اِنْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْن الْوَادِي سَعَى حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ) ، وَسَعَى بِمَعْنَى رَمَلَ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيث:

اِسْتِحْبَاب السَّعْي الشَّدِيد [أقول: الجري الخفيف] فِي بَطْن الْوَادِي حَتَّى يَصْعَد، ثُمَّ يَمْشِي بَاقِي الْمَسَافَة إِلَى الْمَرْوَة عَلَى عَادَة مَشْيه، وَهَذَا السَّعْي مُسْتَحَبّ فِي كُلّ مَرَّة مِنْ الْمَرَّات السَّبْع فِي هَذَا الْمَوْضِع.

متابعة الرواية:

قال: (وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنْ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا.

قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ.

قَالَ فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنْ الْيَمَنِ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ).

<u>شروح:</u>

قوله (فَوَجَدَ فَاطِمَة مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا) فِيهِ إِنْكَار الرَّجُل عَلَى زَوْجَته مَا رَآهُ مِنْهَا مِنْ نَقْص فِي دِينهَا، لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوز فَأَنْكَرَهُ.

قَوْله: (فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَة) التَّحْرِيش الْإِغْرَاء وَالْمُرَاد هُنَا أَنْ يَذْكُر لَهُ مَا يَقْتَضِي عِتَابهَا.

(قُلْت: إِنِّي أُهِلّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيه أَنَّهُ يَجُوز تَعْلِيق الْإِحْرَام بِإِحْرَامٍ كَإِحْرَامِ فُلَان.

(فَحَلَّ النَّاس كُلّهمْ وَقَصَّرُوا إِلَّا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْي) وَفِيهِ إِطْلَاق اللَّفْظ الْعَامّ وَإِرَادَة الْخُصُوص؛ لِأَنَّ عَائِشَة لَمْ تَحِلّ ، وَلَمْ تَكُنْ مِمَّنْ سَاقَ الْهَدْي، فَالْمُرَاد بِقَوْلِهِ (حَلَّ النَّاس كُلّهمْ) أَيْ مُعْظَمهمْ.

<u>متابعة الرواية:</u>

(فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتْ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتْ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ - كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ - وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ.

وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ. وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.

وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ.. اللَّهُمَّ اشْهَدْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

شروح:

(فَلَمَّا كَانَ يَوْم التَّرْوِيَة تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ) يَوْم التَّرْوِيَة هُوَ الثَّامِن مِنْ ذِي الْحِجَّة.

(وَرَكِبَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاء وَالْفَجْرَ) فِيهِ بَيَان سُنَن:

إِحْدَاهَا أَنَّ الرُّكُوب فِي تِلْكَ الْمَوَاطِن أَفْضَل مِنْ الْمَشْي، كَمَا أَنَّهُ فِي جُمْلَة الطَّرِيق أَفْضَل مِنْ الْمَشْي.

وَالسُّنَّة الثَّانِيَة: أَنْ يُصَلِّي بِمِنًى هَذِهِ الصَّلَوَات الْخَمْس.

وَالثَّالِثَة: أَنْ يَبِيت بِمِنًى هَذِهِ اللَّيْلَة وَهِيَ لَيْلَة التَّاسِع مِنْ ذِي الْحِجَّة، وَهَذَا الْمَبِيت سُنَّة لَيْسَ بِرُكْنٍ وَلَا وَاجِب، فَلَوْ تَرَكَهُ فَلَا دَم عَلَيْهِ بِالْإِجْمَاعِ.

(وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعْر تُضْرَب لَهُ بِنَمِرَة) فِيهِ اِسْتِحْبَاب النُّزُول بِنَمِرَة إِذَا ذَهَبُوا مِنْ مِنًى، لِأَنَّ السُّنَّة أَلَّا يَدْخُلُوا عَرَفَات إِلَّا بَعْد زَوَال الشَّمْس وَبَعْد صَلَاتَيْ الظُّهْر وَالْعَصْر جَمْعًا.

(بِنَمِرَة) هِيَ مَوْضِع بِجَانِبِ عَرَفَات وَلَيْسَتْ مِنْ عَرَفَات.

(وَلَا تَشُكّ قُرَيْش إِلَّا أَنَّهُ وَاقِف عِنْد الْمَشْعَر الْحَرَام كَمَا كَانَتْ قُرَيْش تَصْنَع فِي الْجَاهِلِيَّة) مَعْنَى هَذَا أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّة تَقِف بِالْمَشْعَرِ الْحَرَام، وَهُوَ جَبَل فِي الْمُزْدَلِفَة ، يُقَال لَهُ قُزَح . وَقِيلَ: إِنَّ الْمَشْعَر الْحَرَام كُلّ الْمُزْدَلِفَة – وَكَانَ سَائِر الْعَرَب يَتَجَاوَزُونَ الْمُزْدَلِفَة وَيَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَظَنَّتْ قُرَيْش أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقِف فِي الْمَشْعَر الْحَرَام عَلَى عَادَتهمْ وَلَا يَتَجَاوَزهُ، فَتَجَاوَزَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَرَفَات، لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى أَمَرَ بِذَلِكَ فِي قَوْله تَعَالَى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاس} أَيْ سَائِر الْعَرَب غَيْر قُرَيْش.

وَإِنَّمَا كَانَتْ قُرَيْش تَقِف بِالْمُزْدَلِفَةِ لِأَنَّهَا مِنْ الْحَرَم، وَكَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْل حَرَم اللَّه فَلَا نَخْرُج مِنْهُ.

(فَأَجَازَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَجَازَ: مَعْنَاهُ جَاوَزَ الْمُزْدَلِفَة وَلَمْ يَقِف بِهَا بَلْ تَوَجَّهَ إِلَى عَرَفَات.

(فَرُحِلَتْ) أَيْ جُعِلَ عَلَيْهَا الرَّحْل.
(بَطْن الْـوَادِي) هُـوَ وَادِي (عُرَنَـة) وَلَيْسَـتْ عُرَنَـة مِنْ أَرْض عَرَفَـات عِنْـد الشَّـافِعِيّ وَالْعُلَمَـاء كَافَّـة إِلَّا مَالِكًا فَقَالَ: هِيَ مِنْ عَرَفَات.

(إِنَّ دِمَـاءَكُمْ وَأَمْـوَالكُمْ حَـرَام عَلَـيْكُمْ كَحُرْمَـةِ يَـوْمكُمْ هَـذَا فِي شَـهْركُمْ هَـذَا) مَعْنَـاهُ مُتَأَكِّـدَة التَّحْرِيم شَدِيدَته.
(فَـاتَّقُوا اللَّه فِي النِّسَـاء فَـإِنَّكُمْ أَخَـذْتُمُوهُنَّ بِأَمَـانِ اللَّه) فِيـهِ الْحَـثُّ عَلَى مُرَاعَـاة حَـقّ النِّسَـاء وَالْوَصِيَّةُ بِهِنَّ وَمُعَاشَرَتُهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ.
(وَاسْـتَحْلَلْتُمْ فُـرُوجهنَّ بِكَلِمَـةِ اللَّه) قِيـلَ : مَعْنَـاهُ قَوْلـه تَعَـالَى: {فَإِمْسَـاك بِمَعْـرُوفٍ أَوْ تَسْـرِيح بِإِحْسَـانٍ} وَقِيـلَ : الْمُـرَاد كَلِمَـة التَّوْحِيـد وَهِيَ لَا إِلَـه إِلَّا اللَّه مُحَمَّـد رَسُـول اللَّه صَـلَّى اللَّه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، إِذْ لَا تَحِلّ مُسْلِمَة لِغَيْرِ مُسْلِم ، وَقِيلَ: الْمُرَاد بِإِبَاحَةِ اللَّه، وَالْكَلِمَة قَوْله تَعَالَى: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاء} وَهَذَا الثَّالِث هُوَ الصَّحِيح، وَبِالْأَوَّلِ قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَالْهَرَوِيّ وَغَيْرهمَا.
وَقِيلَ : الْمُرَاد بِالْكَلِمَةِ الْإِيجَاب وَالْقَبُول، وَمَعْنَاهُ عَلَى هَذَا بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّه تَعَالَى بِهَا. وَاَللَّه أَعْلَم.
(وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُـوطِئْنَ فُرُشَـكُمْ أَحَـدًا تَكْرَهُونَـهُ، فَـإِنْ فَعَلْـنَ ذَلِـكَ فَاضْـرِبُوهُنَّ ضَـرْبًا غَيْر مُبَرِّح) قَالَ الْمَازِرِيُّ: قِيلَ: الْمُرَاد بِذَلِكَ أَنْ لَا يَسْتَخْلِينَ بِالرِّجَالِ، وَلَمْ يُرِدْ زِنَاهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ يُوجِب جَلْدهَا، وَلِأَنَّ ذَلِكَ حَرَام مَعَ مَنْ يَكْرَههُ الزَّوْج وَمَنْ لَا يَكْرَهُهُ.
وَقَـالَ الْقَاضِي عِيَاض: كَانَتْ عَـادَة الْعَرَب حَدِيث الرِّجَـال مَعَ النِّسَـاء، وَلَـمْ يَكُـنْ ذَلِـكَ عَيْبًا وَلَا رِيبَة عِنْدهمْ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَة الْحِجَاب نُهُوا عَنْ ذَلِكَ. هَذَا كَلَام الْقَاضِي.
وَالْمُخْتَار أَنَّ مَعْنَاهُ: أَلَّا يَأْذَنَّ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ فِي دُخُول بُيُوتكُمْ وَالْجُلُوس فِي مَنَازِلكُمْ سَـوَاء كَانَ الْمَأْذُون لَهُ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا أَوْ اِمْرَأَة أَوْ أَحَدًا مِنْ مَحَارِم الزَّوْجَة. فَالنَّهْي يَتَنَاوَل جَمِيع ذَلِكَ.
أَمَّا الضَّـرْب الْمُبَرِّح: فَهُـوَ الضَّـرْب الشَّـدِيد الشَّـاقّ، وَمَعْنَـاهُ اِضْـرِبُوهُنَّ ضَـرْبًا لَـيْسَ بِشَـدِيدٍ وَلَا شَاقّ.

(فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَة يَرْفَعهَا إِلَى السَّمَاء وَيَنْكُتهَا إِلَى النَّاس: اللَّهُمَّ اِشْهَدْ) هَكَذَا ضَبَطْنَاهُ (يَنْكُتهَا)، قَالَ الْقَاضِي: وَهُوَ بَعِيد الْمَعْنَى. قَالَ: قِيلَ: صَوَابه (يَنْكُبهَا) وَمَعْنَاهُ يُقَلِّبهَا وَيُرَدِّدهَا إِلَى النَّاس مُشِيرًا إِلَيْهِمْ، وَمِنْهُ (نَكَبَ كِنَانَته) إِذَا قَلَبَهَ.

متابعة الرواية:

(ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ جَبَلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَذَهَبَتْ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ.

كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنْ الْجِبَال أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا).

شروح:

(ثُمَّ أَذَّنَ ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْر ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْر وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنهمَا شَيْئًا) فِيهِ أَنَّهُ يُشْرَع الْجَمْع بَيْن الظُّهْر وَالْعَصْر هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْم، وَقَدْ أَجْمَعَتْ الْأُمَّة عَلَيْهِ.

(ثُمَّ رَكِبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِف فَجَعَلَ بَطْن نَاقَته الْقَصْوَاء إِلَى الصَّخَرَات، وَجَعَلَ حَبْل الْمُشَاة بَيْن يَدَيْهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَة فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْس ، وَذَهَبَتْ الصُّفْرَة قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْص) فِي هَذَا الْفَصْل مَسَائِل وَآدَاب لِلْوُقُوفِ:

مِنْهَا أَنَّهُ إِذَا فَرَغَ مِنْ الصَّلَاتَيْنِ عَجَّلَ الذَّهَاب إِلَى الْمَوْقِف (فى عرفات).

وَمِنْهَا أَنَّ الْوُقُوف رَاكِبًا أَفْضَل. وَفِيهِ خِلَاف بَيْن الْعُلَمَاء.

وَمِنْهَا أَنَّهُ يُسْتَحَبّ أَنْ يَقِف عِنْد الصَّخَرَات الْمَذْكُورَات وَهِيَ صَخَرَات مُفْتَرِشَات فِي أَسْفَل جَبَل الرَّحْمَة، وَهُوَ الْجَبَل الَّذِي بِوَسَطِ أَرْض عَرَفَات ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْقِف الْمُسْتَحَبّ، وَأَمَّا مَا أُشْتُهِرَ بَيْن الْعَوَامّ مِنْ الاِعْتِنَاء بِصُعُودِ الْجَبَل وَتَوَهُّمهمْ أَنَّهُ لَا يَصِحّ الْوُقُوف إِلَّا فِيهِ فَغَلَط، بَلْ الصَّوَاب جَوَاز الْوُقُوف فِي كُلّ جُزْء مِنْ أَرْض عَرَفَات، وَأَنَّ الْفَضِيلَة فِي مَوْقِف رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْد الصَّخَرَات، فَإِنْ عَجَزَ فَلْيَقْرَبْ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَان.

وَمِنْهَا اِسْتِحْبَاب اِسْتِقْبَال الْكَعْبَة فِي الْوُقُوف.

وَمِنْهَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى فِي الْوُقُوف حَتَّى تَغْرُب الشَّمْس وَيَتَحَقَّق كَمَال غُرُوبهَا، ثُمَّ يُفِيض إِلَى مُزْدَلِفَة ، فَلَوْ أَفَاضَ قَبْل غُرُوب الشَّمْس صَحَّ وُقُوفه وَحَجّه، وَيُجْبَر ذَلِكَ بِدَمٍ . وَهَلْ الدَّم وَاجِب أَمْ مُسْتَحَبّ فِيهِ قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيّ أَصَحّهمَا أَنَّهُ سُنَّة، وَالثَّانِي وَاجِب، وَهُمَا مَبْنِيَّانِ عَلَى أَنَّ الْجَمْع بَيْن اللَّيْل وَالنَّهَار وَاجِب عَلَى مَنْ وَقَفَ بِالنَّهَارِ أَمْ لَا. وَفِيهِ قَوْلَانِ أَصَحّهمَا سُنَّة، وَالثَّانِي وَاجِب.

وَأَمَّا وَقْت الْوُقُوف فَهُوَ مَا بَيْن زَوَال الشَّمْس يَوْم عَرَفَة وَطُلُوع الْفَجْر الثَّانِي يَوْم النَّحْر، فَمَنْ حَصَلَ بِعَرَفَاتٍ فِي جُزْء مِنْ هَذَا الزَّمَان صَحَّ وُقُوفه، وَمَنْ فَاتَهُ ذَلِكَ فَاتَهُ الْحَجّ. هَذَا مَذْهَب الشَّافِعِيّ وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء. وَقَالَ مَالِك: لَا يَصِحّ الْوُقُوف فِي النَّهَار مُنْفَرِدًا، بَلْ لَا بُدّ مِنْ اللَّيْل وَحْده، فَإِنْ اِقْتَصَرَ عَلَى اللَّيْل كَفَاهُ وَإِنْ اِقْتَصَرَ عَلَى النَّهَار لَمْ يَصِحّ وُقُوفه.

(وَجَعَلَ حَبْل الْمُشَاة بَيْن يَدَيْهِ) مَعْنَاهُ طَرِيقهمْ وَحَيْثُ تَسْلُك الرَّجَّالَة.

(وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَام حَتَّى أَنَّ رَأْسهَا لَيُصِيبُ مَوْرِك رَحْلِهِ) مَعْنَى (شَنَقَ) ضَمّ وَضَيَّقَ، وَ (مَوْرِك الرَّحْل) الْمَوْضِع الَّذِي يُثْنِي الرَّاكِب رِجْله عَلَيْهِ قُدَّام وَاسِطَة الرَّحْل إِذَا مَلَّ مِنْ الرُّكُوب، وَفِي هَذَا اِسْتِحْبَاب الرِّفْق فِي السَّيْر مِنْ الرَّاكِب بِالْمُشَاةِ، وَبِأَصْحَابِ الدَّوَابّ الضَّعِيفَة.

(يَقُول بِيَدِهِ السَّكِينَة السَّكِينَة) أَيْ اِلْزَمُوا السَّكِينَة، وَهِيَ الرِّفْق وَالطُّمَأْنِينَة . فَفِيهِ أَنَّ السَّكِينَة فِي الدَّفْع مِنْ عَرَفَات سُنَّة ، فَإِذَا وَجَدَ فُرْجَة يُسْرِع كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيث الْآخَر.

(كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنْ الْحِبَال أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَد حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَة) الحبل هُنَا بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَة ، وَهُوَ التَّلّ اللَّطِيف مِنْ الرَّمْل الضَّخْم.

(الْمُزْدَلِفَة) مَعْرُوفَة، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ مِنْ التَّزَلُّف وَالِازْدِلَاف، وَهُوَ التَّقَرُّب، لِأَنَّ الْحُجَّاج إِذَا أَفَاضُوا مِنْ عَرَفَات اِزْدَلَفُوا إِلَيْهَا أَيْ مَضَوْا إِلَيْهَا وَتَقَرَّبُوا مِنْهَا، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَجِيءِ النَّاس

إِلَيْهَا فِي زُلَف مِنْ اللَّيْل أَيْ سَاعَات، وَتُسَمَّى (جَمْعًا) بِفَتْحِ الْجِيم وَإِسْكَان الْمِيم، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ النَّاس فِيهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُزْدَلِفَة كُلّهَا مِنْ الْحَرَم.

(حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَة فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِب وَالْعِشَاء بِأَذَانٍ وَاحِد وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّح بَيْنهمَا شَيْئًا) فِيهِ فَوَائِد:

مِنْهَا أَنَّ السُّنَّة لِلدَّافِعِ مِنْ عَرَفَات أَنْ يُؤَخِّر الْمَغْرِب إِلَى وَقْت الْعِشَاء، وَيَكُون هَذَا التَّأْخِير بِنِيَّةِ الْجَمْع، ثُمَّ يَجْمَع بَيْنهمَا فِي الْمُزْدَلِفَة فِي وَقْت الْعِشَاء، وَهَذَا مُجْمَع عَلَيْهِ.

وَمِنْهَا أَنْ يُصَلِّي الصَّلَاتَيْنِ فِي وَقْت الثَّانِيَة بِأَذَانٍ لِلْأُولَى، وَإِقَامَتَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدَة إِقَامَة.

(لَمْ يُسَبِّح بَيْنهمَا) فَمَعْنَاهُ لَمْ يُصَلِّ بَيْنهمَا نَافِلَة، وَالنَّافِلَة تُسَمَّى سُبْحَة لِاشْتِمَالِهَا عَلَى التَّسْبِيح ، فَفِيهِ الْمُوَالَاة بَيْن الصَّلَاتَيْنِ الْمَجْمُوعَتَيْنِ.

(ثُمَّ اِضْطَجَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْر فَصَلَّى الْفَجْر حِين تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْح بِأَذَانٍ وَإِقَامَة) فِي هَذَا الْفَصْل مَسَائِل:

<u>إِحْدَاهَا</u>: أَنَّ الْمَبِيت بِمُزْدَلِفَة لَيْلَة النَّحْر بَعْد الدَّفْع مِنْ عَرَفَات نُسُك، وَهَذَا مُجْمَع عَلَيْهِ، لَكِنْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء هَلْ هُوَ وَاجِب أَمْ رُكْن أَمْ سُنَّة؟ وَالصَّحِيح مِنْ قَوْلَيْ الشَّافِعِيّ أَنَّهُ وَاجِب لَوْ تَرَكَهُ أَثِمَ وَصَحَّ حَجّه وَلَزِمَهُ دَم. وَالثَّانِي: أَنَّهُ سُنَّة لَا إِثْم فِي تَرْكه وَلَا يَجِب فِيهِ دَم.

<u>الْمَسْأَلَة الثَّانِيَة</u>: السُّنَّة أَنْ يُبَالِغ بِتَقْدِيمِ صَلَاة الصُّبْح فِي هَذَا الْمَوْضِع وَيَتَأَكَّد التَّبْكِير بِهَا فِي هَذَا الْيَوْم أَكْثَر مِنْ تَأَكُّده فِي سَائِر السَّنَة، لِلِاقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ وَظَائِف هَذَا الْيَوْم كَثِيرَة فَسُنَّ الْمُبَالَغَة بِالتَّبْكِيرِ بِالصُّبْحِ لِيَتَّسِع الْوَقْت لِلْوَظَائِفِ.

<u>الثَّالِثَة</u>: يُسَنّ الْأَذَان وَالْإِقَامَة لِهَذِهِ الصَّلَاة وَكَذَلِكَ غَيْرهَا مِنْ صَلَوَات الْمُسَافِر.

(ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاء حَتَّى أَتَى الْمَشْعَر الْحَرَام فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَة فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا وَدَفَعَ قَبْل أَنْ تَطْلُع الشَّمْس): الْمَشْعَر الْحَرَام وَالْمُرَاد بِهِ هُنَا (قُزَح) بِضَمِّ الْقَاف وَفَتْح الزَّاي وَبِحَاءٍ مُهْمَلَة، وَهُوَ جَبَل مَعْرُوف فِي الْمُزْدَلِفَة. وَهَذَا الْحَدِيث حُجَّة الْفُقَهَاء فِي أَنَّ الْمَشْعَر الْحَرَام هُوَ قُزَح، وَقَالَ جَمَاهِير الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْل السِّيَر وَالْحَدِيث: الْمَشْعَر الْحَرَام جَمِيع الْمُزْدَلِفَة.

(فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ ....) إِلَى آخِره فِيهِ أَنَّ الْوُقُوف عَلَى قُزَح مِنْ مَنَاسِك الْحَجّ، وَهَذَا لَا خِلَاف فِيهِ، لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فِي وَقْت الدَّفْع مِنْهُ، فَقَالَ اِبْن مَسْعُود وَابْن عُمَر وَأَبُو حَنِيفَة وَالشَّافِعِيّ

وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء: لَا يَزَال وَاقِفًا فِيهِ يَدْعُو وَيَذْكُر حَتَّى يُسْفِر الصُّبْح جِدًّا كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيث، وَقَالَ مَالِك: يَدْفَع مِنْهُ قَبْل الْإِسْفَار وَاَللَّه أَعْلَم. وَقَوْله: (أَسْفَرَ جِدًّا) الضَّمِير فِي (أَسْفَرَ) يَعُود إِلَى الْفَجْر الْمَذْكُور أَوَّلًا.

متابعة الرواية:

(فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنْ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ.

حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ فَحَرَّكَ قَلِيلًا، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ.

فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ: انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ)[١].

شروح:

(مَرَّتْ بِهِ ظُعُن يَجْرِينَ) الظُّعُن: جَمْع ظَعِينَة، وَأَصْل الظَّعِينَة الْبَعِير الَّذِي عَلَيْهِ اِمْرَأَة، ثُمَّ تُسَمَّى بِهِ الْمَرْأَة مَجَازًا لِمُلَابَسَتِهَا الْبَعِير.

---

[١] – صحيح مسلم برقم (٢١٣٧) ترقيم العالمية.

(فَطَفِقَ الْفَضْل يَنْظُر إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَده عَلَى وَجْه الْفَضْل) فِيهِ الْحَثّ عَلَى غَضّ بَصَر الرجال عَنْ الْأَجْنَبِيَّات، وَغَضّ بصر النساء عَنْ الرِّجَال الْأَجَانِب، وَهَذَا مَعْنَى قَوْله :

(وَكَانَ أَبْيَض وَسِيمًا حَسَن الشَّعْر) يَعْنِي أَنَّهُ بِصِفَةِ مَنْ تُفْتَتَن النِّسَاء بِهِ لِحُسْنِهِ.

وَفِي رِوَايَة التِّرْمِذِيّ وَغَيْره فِي هَذَا الْحَدِيث "أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَى عُنُق الْفَضْل، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاس: لَوَيْت عُنُق اِبْن عَمّك، قَالَ: رَأَيْت شَابًّا وَشَابَّة فَلَمْ آمَن الشَّيْطَان عَلَيْهِمَا"، فَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ وَضْعه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَده عَلَى وَجْه الْفَضْل كَانَ لِدَفْعِ الْفِتْنَة عَنْهُ وَعَنْهَا.

وَفِيهِ أَنَّ مَنْ رَأَى مُنْكَرًا وَأَمْكَنَهُ إِزَالَته بِيَدِهِ لَزِمَهُ إِزَالَتُه ، فَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَنْكَفّ الْمَقُول لَهُ وَأَمْكَنَهُ بِيَدِهِ أَثِمَ مَا دَامَ مُقْتَصِرًا عَلَى اللِّسَان وَاَللَّه أَعْلَم.

(حَتَّى أَتَى بَطْن مُحَسِّر فَحَرَّكَ قَلِيلًا) سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ فِيل أَصْحَاب الْفِيل حُسِرَ فِيهِ أَيْ أُعْيِيَ وَكَّلَ، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: {يَنْقَلِب إِلَيْك الْبَصَر خَاسِئًا وَهُوَ حَسِير} وَأَمَّا قَوْله: (فَحَرَّكَ قَلِيلًا) فَهِيَ سُنَّة مِنْ سُنَن السَّيْر فِي ذَلِكَ الْمَوْضِع، يُسْرِع الْمَاشِي وَيُحَرِّك الرَّاكِب دَابَّته فِي وَادِي مُحَسِّر. ، وَيَكُون ذَلِكَ قَدْر رَمْيَة حَجَر. وَاَللَّه أَعْلَم.

(ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيق الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُج عَلَى الْجَمْرَة الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَة الَّتِي عِنْد الشَّجَرَة فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَات يُكَبِّر مَعَ كُلّ حَصَاة مِنْهَا حَصَى الْخَذْف رَمَى مِنْ بَطْن الْوَادِي) أَمَّا قَوْله: (سَلَكَ الطَّرِيق الْوُسْطَى) فَفِيهِ أَنَّ سُلُوك هَذَا الطَّرِيق فِي الرُّجُوع مِنْ عَرَفَات سُنَّة، وَهُوَ غَيْر الطَّرِيق الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ إِلَى عَرَفَات، وَأَمَّا (الْجَمْرَة الْكُبْرَى) فَهِيَ جَمْرَة الْعَقَبَة ، وَهِيَ الَّتِي عِنْد الشَّجَرَة.

وَفِيهِ أَنَّ السُّنَّة لِلْحَاجّ إِذَا دَفَعَ مِنْ مُزْدَلِفَة فَوَصَلَ مِنًى أَنْ يَبْدَأ بِجَمْرَةِ الْعَقَبَة، وَلَا يَفْعَل شَيْئًا قَبْل رَمْيهَا، وَيَكُون ذَلِكَ قَبْل نُزُوله.

وَفِيهِ أَنَّ الرَّمْي بِسَبْعِ حَصَيَات، وَأَنَّ قَدْرهنَّ بِقَدْرِ حَصَى الْخَذْف، وَهُوَ نَحْو حَبَّة الْبَاقِلَّاء.

وَفِيهِ أَنَّهُ يَجِب التَّفْرِيق بَيْن الْحَصَيَات فَيَرْمِيهِنَّ وَاحِدَة وَاحِدَة، فَإِنْ رَمَى السَّبْعَة رَمْيَة وَاحِدَة حُسِبَ ذَلِكَ كُلّه حَصَاة وَاحِدَة عِنْدنَا وَعِنْد الْأَكْثَرِينَ.

<u>وَأَمَّا حُكْم الرَّمْي:</u>

فَالْمَشْرُوع مِنْهُ يَوْم النَّحْر رَمْي جَمْرَة الْعَقَبَة لَا غَيْر بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ نُسُك بِإِجْمَاعِهِمْ، وَمَذْهَبنَا أَنَّهُ وَاجِب لَيْسَ بِرُكْنٍ، فَإِنْ تَرَكَهُ حَتَّى فَاتَتْهُ أَيَّام الرَّمْي عَصَى وَلَزِمَهُ دَم وَصَحَّ حَجّه.

(ثُمَّ اِنْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَر فنحر ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيه) فِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْمَنْحَر مَوْضِعٌ مُعَيَّنٌ مِنْ مِنًى، وَحَيْثُ ذَبَحَ مِنْهَا أَوْ مِنْ الْحَرَم أَجْزَأَهُ.

وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب تَكْثِير الْهَدْي وَكَانَ هَدْي النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ السَّنَة مِائَة بَدَنَة .

وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب ذَبْح الْمُهْدِي هَدْيه بِنَفْسِهِ ، وَجَوَاز الِاسْتِنَابَة فِيهِ ، وَذَلِكَ جَائِز بِالْإِجْمَاعِ إِذَا كَانَ النَّائِب مُسْلِمًا ، وَيَجُوز عِنْدنَا أَنْ يَكُون النَّائِب كَافِرًا كِتَابِيًّا بِشَرْطِ أَنْ يَنْوِي صَاحِب الْهَدْي عِنْد دَفْعه إِلَيْهِ أَوْ عِنْد ذَبْحه . وَقَوْله : (مَا غَبَرَ) أَيْ مَا بَقِيَ.

وَالظَّاهِر أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَرَ الْبُدْن الَّتِي جَاءَتْ مَعَهُ مِنْ الْمَدِينَة ، وَكَانَتْ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَة التِّرْمِذِيّ وَأَعْطَى عَلِيًّا الْبَدَن الَّتِي جَاءَتْ مَعَهُ مِنْ الْيَمَن ، وَهِيَ تَمَام الْمِائَة . وَاَللَّه أَعْلَم .

(أَمَرَ مِنْ كُلّ بَدَنَة بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْر فَطُبِخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقهَا)

الْبَضْعَة بِفَتْحِ الْبَاء لَا غَيْر ، وَهِيَ الْقِطْعَة مِنْ اللَّحْم ، وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب الْأَكْل منْ هَدْي التَّطَوُّع وَأُضْحِيَّته.

(ثُمَّ رَكِبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْت فَصَلَّى بِمَكَّة الظُّهْر) هَذَا الطَّوَاف هُوَ طَوَاف الْإِفَاضَة ، وَهُوَ رُكْن مِنْ أَرْكَان الْحَجّ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّل وَقْته عِنْدنَا مِنْ نِصْف لَيْلَة النَّحْر ، وَأَفْضَله بَعْد رَمْي جَمْرَة الْعَقَبَة وَذَبْح الْهَدْي وَالْحَلْق ، وَيَكُون ذَلِكَ ضَحْوَة يَوْم النَّحْر ، وَيَجُوز فِي جَمِيع يَوْم النَّحْر بِلَا كَرَاهَة ، وَيُكْرَه تَأْخِيره عَنْهُ بِلَا عُذْر ، وَتَأْخِيره عَنْ أَيَّام التَّشْرِيق أَشَدّ كَرَاهَة ، وَلَا يَحْرُم تَأْخِيره سِنِينَ مُتَطَاوِلَة ، وَلَا آخِر لِوَقْتِهِ ، بَلْ يَصِحّ مَا دَامَ الْإِنْسَان حَيًّا . وَشَرْطه أَنْ يَكُون بَعْد الْوُقُوف بِعَرَفَاتٍ، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْرَع فِي طَوَاف الْإِفَاضَة رَمَل وَلَا اِضْطِبَاع إِذَا كَانَ قَدْ رَمَلَ وَاضْطَبَعَ عَقِب طَوَاف الْقُدُوم ، وَلَوْ طَافَ بِنِيَّةِ الْوَدَاع أَوْ الْقُدُوم أَوْ التَّطَوُّع وَعَلَيْهِ طَوَاف إِفَاضَة وَقَعَ عَنْ طَوَاف الْإِفَاضَة بِلَا خِلَاف عِنْدنَا، نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيّ.

(فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْت فَصَلَّى الظُّهْر) فِيهِ مَحْذُوف تَقْدِيره فَأَفَاضَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ طَوَاف الْإِفَاضَة ثُمَّ صَلَّى الظُّهْر فَحَذَفَ ذِكْر الطَّوَاف لِدَلَالَةِ الْكَلَام عَلَيْهِ .

(فَأَتَى بَنِي عَبْد الْمُطَّلِب يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَم فَقَالَ: اِنْزِعُوا بَنِي عَبْد الْمُطَّلِب فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبكُمْ النَّاس عَلَى سِقَايَتكُمْ لَنَزَعْت مَعَكُمْ فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ) أَمَّا قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اِنْزِعُوا) مَعْنَاهُ اِسْتَقُوا بِالدِّلَاءِ وَانْزِعُوهَا بِالرِّشَاءِ. وَأَمَّا قَوْله: (فَأَتَى بَنِي عَبْد الْمُطَّلِب) فَمَعْنَاهُ أَتَاهُمْ بَعْد فَرَاغه مِنْ طَوَاف الْإِفَاضَة. وَقَوْله: (يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَم) مَعْنَاهُ يَغْرِفُونَ بِالدِّلَاءِ وَيَصُبُّونَهُ فِي الْحِيَاض وَنَحْوهَا وَيُسْبِلُونَهُ لِلنَّاسِ. وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْلَا أَنْ يَغْلِبكُمْ النَّاس لَنَزَعْت مَعَكُمْ) مَعْنَاهُ لَوْلَا خَوْفِي أَنْ يَعْتَقِد النَّاس ذَلِكَ مِنْ مَنَاسِك الْحَجّ وَيَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَغْلِبُونَكُمْ وَيَدْفَعُونَكُمْ عَنْ الِاسْتِقَاء لَاسْتَقَيْت مَعَكُمْ لِكَثْرَةِ فَضِيلَة هَذَا الِاسْتِقَاء».

خطبة النبي(صلى الله عليه وسلم) الثانية (يوم النحر):

سبق ذكر الخطبة الأولى في الحج في يوم عرفات:

أما يوم النحر (العاشر من ذي الحجة) : فقد روى الشيخان:

٩٩٥- « عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا بَلَى. قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا بَلَى.

قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلَا لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ وَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ صَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ»[1].

---

[1] البخاري (٥١٢٤) ومسلم (٣١٧٩) ترقيم العالمية.

وهناك رواية مشابهة عن خطبة للنبي (صلى الله عليه وسلم)أوسط أيام التشريق (١٢ من ذي الحجة):

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة نزل النبي (صلى الله عليه وسلم)من مِنَى إلى البيت العتيق، فطاف طواف الوداع ، ثم ركب إلى المدينة المنورة.

آخر بعث جَهَّزَهُ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم):

بعث أسامة إلى فلسطين:

قال ابن إسحاق:

٩٩٦- « قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَبَعَثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إلى الشّامِ ، وَأَمَرَهُ أَنّ يُوطِئَ الْخَيْلَ تُخُومَ الْبَلْقَاءِ وَالدّارُومِ ، مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ ، فَتَجَهّزَ النّاسُ وَأَوْعَبَ مَعَ أُسَامَةَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوّلُونَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهُوَ آخِرُ بَعْثٍ بَعَثَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ»[١].

سبب الغزوة:

ذكر المباركفوري أن سببها هو أن دولة الروم صارت تقتل من أتباعها من يدخل في الإسلام كما فعلت بـ(فروة بن عمرو الجذامي) الذي كان واليًا على معان من قبل الروم[٢].

الطعن في إمارة أسامة يغضب النبي (صلى الله عليه وسلم):

روىالبخاري:

٩٩٧- «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ابْنَ عُمَرَ قَالَ:

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»[٣].

سبب الطعن في إمارته:

هل هو صغر سنه؟ أم كون سيدنا أسامة وأبوه كانا من الموالي؟ ، الراجح هو الثاني ،كما ذكر ابن حجر في فتح الباري.

الجيش يتوقف بعد أخبار مرض النبي (صلى الله عليه وسلم):

---

[١] سيرة ابن هشام (٤/٤٩٤) وشاهده عند البخاري وغيره كما في الحديث الذي يليه.

[٢] الرحيق المختوم (١/٣٩٥) ط دار الوفاء.

[٣] صحيح البخاري (٤١٠٩) ترقيم العالمية.

٩٩٨- « قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ:

أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَبْطَأَ النّاسَ فِي بَعْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُوَ فِي وَجَعِهِ فَخَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَدْ كَانَ النّاسُ قَالُوا فِي إِمْرَةِ أُسَامَةَ : أَمّرَ غُلَامًا حَدَثًا عَلَى جِلّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمّ قَالَ أَيّهَا النّاسُ أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَإِنّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا.

قَالَ ثُمّ نَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَانْكَمَشَ النّاسُ فِي جَهَازِهِمْ اسْتَعَزّ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَجَعُهُ فَخَرَجَ أُسَامَةُ وَخَرَجَ جَيْشُهُ مَعَهُ حَتّى نَزَلُوا الْجُرْفَ، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى فَرْسَخٍ فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ وَتَتَامّ إلَيْهِ النّاسُ وَثَقُلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَقَامَ أُسَامَةُ وَالنّاسُ لِيَنْظُرُوا مَا اللّهُ قَاضٍ فِي رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ »[1].

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/٥٠٥)

الفصل الثانى:

ختام الحياة الشريفة الطاهرة:

آن أوان فراق الحبيب ، وغياب الجسد الطاهر.

قدر من أقدار الله - القدرالحتمي الذي كتبه الخالق على عباده أجمعين ولم يستثن منهم أحدًا، إن المولى جلت عظمته، خلق الخلق، وخلق الموت والحياة؛ لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ، وليست دار ديمومة وبقاء.

آن أوان انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى، وما أشد ذلك وأصعبه على أصحابه وعلى أمته إلى يوم القيامة!!!...صلوات الله عليك وسلامه يا حبيبي يا رسول الله.

<u>مقدمات:</u>

من تلك المقدمات ، اعتكافه (صلى الله عليه وسلم) في رمضان الأخير عشرين يومًا، ومن تلك المقدمات أن جبريل عليه السلام عارضه القرآن مرتين في ذلك الشهر، وكان قبل ذلك مرة واحدة في رمضان، ومن تلك المقدمات قوله (صلى الله عليه وسلم)في حجة الوداع: "لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبدًا".

ومن تلك المقدمات نزول قوله تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ فكان هذا إيذانًا بأن مهمته (صلى الله عليه وسلم) على الأرض قد اكتملت ، وليس بعد الكمال إلا النقصان، ومن تلك المقدمات نزول: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وكانت بمثابة نعي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)إلى نفسه.

<u>تاريخ الوفاة:</u>

جاء في تحقيق الحافظ في (الفتح) :

قال: «وكانت وفاته يوم الإثنين بلا خلاف من ربيع الأول، وكاد يكون إجماعًا ، وقال «ثم عند ابن إسحاق والجمهور ، أنها كانت في الثاني عشر منه » .

لكنه ذكر أقوالًا أخرى .كعادته في الأمانة العلمية- لكننا نقتصر هنا على هذا الراجح.

<u>مدة المرض:</u>

قال الحافظ: «فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يومًا» وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه ، وقيل عشرة أيام، أقول: يعني يكون ابتداء المرض في اليوم الأخير من شهر صفر (٢٩ أو ٣٠ منه) بالإضافة إلى ١٢ يوم من ربيع الأول من السنة العاشرة من الهجرة.

ابتداء المرض في بيت السيدة ميمونة (أم المؤمنين):

قال الحافظ (وأما ابتداؤه فكان في بيت ميمونة كما سيأتي، ثم ذكر أقوالًا منها: (في بيت زينب بنت جحش) ، و(في بيت ريحانة) قال: والأول المعتمد.

ابتداء المرض:

قال ابن إسحاق (بعد ذكر بعث أسامة وتجهز الناس):

٩٩٩- فَبَيْنَا النّاسُ عَلَى ذَلِكَ اُبْتُدِئَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِشَكْوِهِ الّذِي قَبَضَهُ اللّهُ فِيهِ إلَى مَا أَرَادَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ أَوْ فِي أَوّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ فَكَانَ أَوّلُ مَا اُبْتُدِئَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا ذُكِرَ لِي ، أَنّهُ خَرَجَ إلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ثُمّ رَجَعَ إلَى أَهْلِهِ فَلَمّا أَصْبَحَ اُبْتُدِئَ بِوَجَعِهِ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ »[1].

البداية بعد الصلاة على أهل البقيع:

روى الإمام أحمد:

١٠٠٠- « عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى أَهْلِ الْبَقِيعِ فَصَلَّى عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الثَّانِيَةِ قَالَ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ أَسْرِجْ لِي دَابَّتِي قَالَ فَرَكِبَ فَمَشَيْتُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَمْسَكْتُ الدَّابَّةُ وَوَقَفَ عَلَيْهِمْ أَوْ قَالَ قَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِيَهْنِيكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِمَّا فِيهِ النَّاسُ أَتَتْ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا الْآخِرَةُ أَشَدُّ مِنْ الْأُولَى فَلْيَهْنِيكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ثُمَّ رَجَعَ.

---

[1] سيرة ابن هشام (٤/٤٩٤).

فَقَالَ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي أُعْطِيتُ أَوْ قَالَ خُيِّرْتُ مَفَاتِيحَ مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَالْجَنَّةَ أَوْ لِقَاءَ رَبِّي فَقُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي قَالَ لَأَنْ تُرَدَّ عَلَى عَقِبِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَمَا لَبِثَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا حَتَّى قُبِضَ [1] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي رواية ابن إسحاق عن هذه الصلاة:

قال: «ثم استغفر لأهل البقيع .ثم انصرف فبدأ برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجعه الذي قبض فيه».

الصداع بعد العودة من البقيع:

روى ابن إسحاق:

١٠٠١- « عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَتْ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الْبَقِيعِ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ وَارْأَسَاهُ ، فَقَالَ بَلْ أَنَا وَاَللّهِ يَا عَائِشَةُ وَارْأَسَاهُ . قَالَتْ ثُمّ قَالَ وَمَا ضَرّكِ لَوْ مُتّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْك وَكَفّنْتُك، وَصَلّيْت عَلَيْك وَدَفَنْتُك؟ قَالَتْ قُلْت: وَاَللّهِ لَكَأَنّي بِك، لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إلَى بَيْتِي، فَأَعْرَسْت فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِك، قَالَتْ فَتَبَسّمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَتَامّ بِهِ وَجَعُهُ [2] وَهُوَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ حَتّى اسْتَعَزّ بِهِ وَهُوَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَدَعَا نِسَاءَهُ فَاسْتَأْذَنَهُنّ فِي أَنْ يُمَرّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنّ لَه».

وعند البخاري رواية مشابهة:

١٠٠٢- « قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَارَأْسَاهْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكِ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ وَأَدْعُو لَكِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَا ثُكْلِيَاهْ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَظَلَلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ»[3].

شرح وتوضيح:

---

[1] مسند أحمد (١٥٤٢٤) بإسناد صحيح رجاله ثقات (موسوعة حرف) وصححه الذهبي ، والهيثمي في المجمع وفي سيرة ابن هشام مثله.

[2] سيرة ابن هشام (٤/٤٩٥).

[3] صحيح البخاري(٦٦٧٧)ترقيم العالمية.

هنا ملاطفة بين الحبيب وزوجه ، وكلاهما يشكو وجعًا برأسه ، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يضاحك عائشة أنها لو ماتت قبله؛ لصلى عليها واستغفر لها.

وهي تصرخ (واثكلياه) تخشى إن ماتت ، أن يتزوج الرسول (صلى الله عليه وسلم)بعدها في نفس اليوم ، وهي ممازحة منها أيضًا؛ لأنها تعلم قوله تعالى: « لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ».

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتنقل بين بيوت نسائه:

بعد هذا الصداع ظل النبي(صلى الله عليه وسلم) مريضًا، ولكن يبدو أن المرض لم يشتد عليه إلا في بيت ميمونة، وشعر أنه لن يستطيع الانتقال بين بيوت نسائه ؛فاستأذنهن أن يُمَرّض في بيت عائشة رضي الله عنها.

روىالإمام مسلم :

١٠٠٣-« أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا وَأَذِنَّ لَهُ قَالَتْ فَخَرَجَ وَيَدٌ لَهُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ وَيَدٌ لَهُ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ أَتَدْرِي مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ هُوَ عَلِيٌّ».[١]

دلالات:

- يتضح من الرواية ثقل المرض، حتى يصل الأمر أن الحبيب صلى الله عليه وسلم لا يقدر على القيام والمشي إلا مستندًا على رجُلَين.
- في هذا المرض الشديد لا ينسى الحبيب صلى الله عليه وسلم أصحاب الحقوق عليه . نساءه- فلا يستقر في بيت عائشة رضي الله عنها حتى يستأذن نساءه.
- أمْرُ عائشة في إخفائها اسم (علي) رضي الله عنه ، أمر بسيط لا يجب أن يؤول بسوء نية ، فإنها تغضب في نفسها منذ قال سيدناعلي للنبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث الإفك: "طلقها.. النساء كثير".رغم أنها هي مَنْ تثق في براءتها...أمر بشري طبيعي.

---

[١] صحيح مسلم (٦٣٠) ترقيم العالمية وأحمد برقم (٢٤٧٢٥) العالمية . وغيرها.

السيدة عائشة تقرأ عليه بالمعوذات:

روى البخاري:

١٠٠٤- « عن عُـرْوَةَ أَنَّ عَـائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ»[١].

وصايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) على المنبر:

يفهم من سياق الروايات المتعددة أن هذه الوصايا على المنبر كانت بعد أن تم صب الماء على رأسه (صلى الله عليه وسلم)؛فأحس بخنقة من نفسه ؛فخرج عاصبًا رأسه ، فقعد على المنبر وأوصى، وأن ذلك كان يوم الأربعاء ، أو الخميس قبل صلاة المغرب الأخيرة في المسجد.

الإغماء من شدة الحرارة، ثم الإفاقة ، ثم الوصايا:

قال ابن إسحاق:

١٠٠٥- « ثمّ غُمِرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَاشْتَدّ بِهِ وَجَعُهُ فَقَالَ هَرِيقُوا عَلَيّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ آبَارٍ شَتّى ، حَتّى أَخْرُجَ إلَى النّاسِ فَأَعْهَدُ إلَيْهِمْ . قَالَتْ فَأَقْعَدْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، ثُمّ صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْمَاءَ حَتّى طَفِقَ يَقُولُ حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ»[٢].

وروى البخاري:

١٠٠٦- « عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ.. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا.. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ.

---

[١] صحيح البخاري(٤٠٨٥) ترقيم العالمية.

[٢] ابن هشام (٥٠١/٤) وشواهده نذكرها في الروايات التالية.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ إِلَّا خُلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»[1].

الوصية بالأنصار:

١٠٠٧- « عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قال: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكُمْ قَالُوا ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ.

قَالَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ قَالَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»[2].

الوصية بإنفاذ بعث أسامة:

١٠٠٨-« قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ:

أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَبْطَأَ النّاسَ فِي بَعْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُوَ فِي وَجَعِهِ فَخَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَدْ كَانَ النّاسُ قَالُوا فِي إمْرَةِ أُسَامَةَ : أَمّرَ غُلَامًا حَدَثًا عَلَى جِلّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمّ قَالَ أَيّهَا النّاسُ أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ قُلْتُمْ فِي إمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَإِنّهُ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا قَالَ ثُمّ نَزَلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ»[3].

آخر صلاة في المسجد : المغرب:

روى البخاري ومسلم والنسائي واللفظ للبخاري:

---

[1] صحيح البخاري (٣٦١٥) ترقيم العالمية.

[2] صحيح البخاري(٣٥١٥) ترقيم العالمية.

[3] سيرة ابن هشام (٥٠١/٤)

١٠٠٩- « عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ»[١].

الإغماء في صلاة العشاء:

يفهم من الروايات أن صلاة المغرب الأخيرة ، أما صلاة العشاء هذه التي فيها الإغماء فكانت يوم الخميس ٧ من ربيع الأول.

روى البخاري:

١٠١٠- « عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ بَلَى:

ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَصَلَّى النَّاسُ قُلْنَا لَا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ قَالَ ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ قَالَتْ فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ.. ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَلَّى النَّاسُ قُلْنَا لَا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ قَالَتْ فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ.. ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ أَصَلَّى النَّاسُ قُلْنَا لَا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ.. ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ أَصَلَّى النَّاسُ فَقُلْنَا لَا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَام لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ»[٢].

مروا أبا بكر فليصل بالناس:

متابعة الرواية:

قالت: « فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ».

عائشة وحفصة تراجعان:

١٠١١-« عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ.

---

[١] صحيح البخاري (٤٠٧٦) ومسلم (٧٠٤) والنسائي (٧٥٤) ترقيم العالمية.

[٢] جزء من حديث البخاري رقم (٦٤٦) ترقيم العالمية.

قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ
فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَهْ إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ" قَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا»[1].

سبب مراجعة عائشة:

روى البخاري عن عائشة قالت:

١٠١٢- « قَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا وَلَا كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ»[2].

أزمة صلاة عمر قبل أبي بكر:

روى أبو داود، وأحمد ،واللفظ له:

١٠١٣- « عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ قَالَ لَمَّا اسْتُعِزَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَالَ دَعَا بِلَالٌ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ قَالَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا عُمَرُ فِي النَّاسِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا فَقَالَ قُمْ يَا عُمَرُ فَصَلِّ بِالنَّاسِ.

قَالَ فَقَامَ فَلَمَّا كَبَّرَ عُمَرُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ قَالَ فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ.

قَالَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ قَالَ لِي عُمَرُ وَيْحَكَ مَاذَا صَنَعْتَ بِي يَا ابْنَ زَمْعَةَ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ حِينَ أَمَرْتَنِي إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكَ بِذَلِكَ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ

[1] صحيح البخاري (٦٧٥) ترقيم العالمية.

[2] صحيح البخاري (٤٠٩٠) ترقيم العالمية.

قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ حِينَ لَمْ أَرَ أَبَا بَكْرٍ رَأَيْتُكَ أَحَقَّ مَنْ حَضَرَ بِالصَّلَاةِ»[١].

وثيقة بعهد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم تكتب:

١٠١٤- « عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَقَالَ ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ فَقَالُوا مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ فَقَالَ دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ.. وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ: قَالَ أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ -وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَ فَنَسِيتُهَا»[٢].

شرح وإيضاح:

قولهم: (ما شأنه؟ أَهَجَرَ؟ .. استفهموه) أمر كبير وخطير ومعناه هل يهذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولو كان في حالة مرض، وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؟ والجواب عند الحافظ في الفتح:

قال الحافظ (بتصرف يسير):

« وَقَدْ تَكَلَّمَ عِيَاض وَغَيْره عَلَى هَذَا الْمَوْضِع فَأَطَالُوا ، وَلَخَصَّهُ الْقُرْطُبِيّ تَلْخِيصًا حَسَنًا ثُمَّ لَخَّصْته مِنْ كَلَامه ، وَحَاصِله أَنَّ قَوْله هَجَرَ الرَّاجِح فِيهِ إِثْبَات هَمْزَة الِاسْتِفْهَام وَبِفَتَحَاتٍ عَلَى أَنَّهُ فِعْل مَاضٍ ، وَالْهُجْر: الْهَذَيَان وَالْمُرَاد بِهِ هُنَا مَا يَقَع مِنْ كَلَام الْمَرِيض الَّذِي لَا يَنْتَظِم وَلَا يُعْتَدّ بِهِ لِعَدَمِ فَائِدَته . وَوُقُوع ذَلِكَ مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَحِيل لِأَنَّهُ مَعْصُوم فِي صِحَّته وَمَرَضه لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى) وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لَا أَقُول فِي الْغَضَب وَالرِّضَا إِلَّا حَقًّا " وَإِذَا عُرِفَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا قَالَهُ مَنْ قَالَهُ مُنْكِرًا عَلَى مَنْ يُوقَف فِي اِمْتِثَال أَمْره بِإِحْضَارِ الْكَتِف وَالدَّوَاة فَكَأَنَّهُ قَالَ : كَيْفَ تَتَوَقَّف أَتَظُنُّ أَنَّهُ كَغَيْرِهِ يَقُول الْهَذَيَان فِي مَرَضه؟ اِمْتَثِلْ أَمْره وَأَحْضِرْهُ مَا طَلَبَ فَإِنَّهُ لَا يَقُول إِلَّا الْحَقّ ، قَالَ : هَذَا أَحْسَن الْأَجْوِبَة.

---

[١] مسند أحمد (١٨١٤٨) العالمية وأبو داود ، والإسناد رجاله ثقات.

[٢] صحيح البخاري (٤٠٧٨) ترقيم العالمية.

قَالَ : وَيَحْتَمِل أَنَّ بَعْضهمْ قَالَ ذَلِكَ عَنْ شَكّ عَرَضَ لَهُ، وَلَكِنْ يُبْعِدهُ (احتمال بعيد) أَنْ لَا يُنْكِرهُ الْبَاقُونَ عَلَيْهِ مَعَ كَوْنهمْ مِنْ كِبَار الصَّحَابَة ، وَلَوْ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ لَنُقِلَ ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الَّذِي قَالَ ذَلِكَ صَدَرَ عَنْ دَهَش وَحَيْرَة كَمَا أَصَابَ كَثِيرًا مِنْهُمْ عِنْد مَوْته ... ».

<u>خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس:</u>

النص على كونها صلاة الظهر، هو في حديث البخاري، الذي سنورده وفيه أيضًا أن أبا بكر كان إمام الناس، لكن في أي يوم كان ذلك ؟ـ الراجح أنه كان يوم السبت أو الأحد بعد يوم الخميس الذي ذكرناه.

لأنها لم تكن يوم الجمعة فالنص على أنها صلاة الظهر، ولم تكن يوم الاثنين ففيه حدثت الوفاة قبل صلاة الظهر، فلم يبق إلا احتمال أن يكون السبت والأحد ، من الأيام التي صلاها أبو بكر إمامًا، وهي عشاء الخميس ٧ ربيع الأول إلى صلاة الفجر من يوم الاثنين (يوم الوفاة) فيكون أبو بكر قد صلى بالناس (١٧) صلاة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم).

١٠١٥- <u>في حديث البخاري : قالت عائشة</u> :

« ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ قَالَ أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ»[١].

---

[١] جزء من حديث رقم (٦٤٦).

الفصل الثالث:

اليوم الأخير:

فجر يوم الاثنين:

قال ابن إسحاق: وقال الزهري:

١٠١٦- « حَدّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : أَنّهُ لَمّا كَانَ يَوْمُ الإثنين الذى قُبِضَ فيهِ رسولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خَرَجَ إلَى النّاسِ وَهُمْ يُصَلّونَ الصّبْحَ فَرَفَعَ السّتْرَ وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَامَ عَلَى بَابِ عَائِشَةَ فَكَادَ الْمُسْلِمُونَ يُفْتَتَنُونَ فِي صَلَاتِهِمْ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ رَأَوْهُ فَرَحًا بِهِ وَتَفَرّجُوا، فَأَشَارَ إلَيْهِمْ أَنْ اُثْبُتُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ قَالَ فَتَبَسّمَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سُرُورًا لَمّا رَأَى مِنْ هَيْئَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحَسَنَ هَيْئَةً مِنْهُ تِلْكَ السّاعَةَ قَالَ ثُمّ رَجَعَ وَانْصَرَفَ النّاسُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ أَفْرَقَ مِنْ وَجَعِهِ فَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إلَى أَهْلِهِ بِالسّنْحِ »[١].

ورو‌ى أحمد أيضًا:

١٠١٧- « عَنْ أَنَسٍ قَالَ آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ كَشَفَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ فَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَتَحَرَّكُوا فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ اثْبُتُوا وَيَلْقَى السَّجْفَ وَتُوُفِّيَ فِي آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

وروىالبخاري:

١٠١٨- « عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنْ

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/٥٠٥)

(٢) مسند أحمد رقم (١١٦٢٩) العالمية.

الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوُفِّيَ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْم»[1].

تبيان:

أخذ ابن حجر من هذا الحديث أمرين:

١) الأول: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يصل بهم صلاة الصبح هذه.

٢) الثاني : أن الوفاة كانت في أول النصف الثاني من يوم الاثنين، جمعًا بين قول ابن إسحاق (توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم،) وفي هذا الحديث قوله (وتوفي من آخر ذلك اليوم).

قال الحافظ:

١٠١٩- « وَقَدْ جَزَمَ مُوسَى بْن عُقْبَة عَنْ اِبْن شِهَاب بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ حِين زَاغَتْ الشَّمْس ، وَكَذَا لِأَبِي الْأَسْوَد عَنْ عُرْوَة ، فَهَذَا يُؤَيِّد الْجَمْع الَّذِي أَشَرْت إِلَيْهِ»[2].

---

[1] – البخارى (٦٣٩) ترقيم العالمية.

[2] صحيح البخاري (٦٣٩) ترقيم العالمية.

الفصل الرابع:

الساعات الأخيرة:

إنها ساعات أليمة شديدة الوقع على الإنسان المسلم الذى يقرأ ويتذكر أحداثها، وهو يستحضر مشهد الحبيب (صلى الله عليه وسلم) وهو يعاني شدة الموت وسكراته، وتزداد عليه الحمى، ويزداد عرقه وهو يمسح العرق عن وجهه. وفيها الحوار المحزن المبكي بينه وبين السيدة فاطمة، آخر بناته وأولاده حياةً بعد إخوتها، وبعد أبيها الحبيب (صلى الله عليه وسلم) ، وفيها مشهد الرقدة الأخيرة على صدر الزوجة الحبيبة السيدة عائشة رضى الله عنها، وهو لا يستطيع أن يُلَيّن السواك ،فهي تلينه له، وفيها إحساسه بأثر السم الذي أكله في شاة خيبر، وفيها وصاياه الأخيرة: الصلاة – والعبيد – وعدم اتخاذ القبور مساجد.

وفيها اللحظة الأخيرة حين خَيَّرَهُ الوحى، فاختار الرفيق الأعلى، وصعدت الروح الطاهرة إلى أعلى عليين، وبقي الجسد الطاهر على الأرض، لعله يخفف وقع الأحزان على من زاره من المسلمين الذين أحبوا نبيهم أكثر من حبهم لأنفسهم وأولادهم والناس أجمعين.

وهذه هى الروايات بنصوصها:

<u>السيدة فاطمة بجوار أبيها (صلى الله عليه وسلم):</u>

١٠٢٠- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

" دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ قَالَتْ فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ"[١].

١٠٢١- وعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

" لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: وَا كَرْبَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهْ مَنْ

---

[١] – صحيح البخارى (٣٣٥٤) ترقيم العالمية.

جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ"[1].

أثر السم – من ثلاث سنين:

١٠٢٢- قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

"كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ".[2]

وفي ساعات الشدة يحذر النبي (صلى الله عليه وسلم):

١٠٢٣- عن عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَا:

" لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ يَقُولُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا"[3].

الوصية بالصلاة وبالعبيد:

١٠٢٤- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ:

" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ".[4]

١٠٢٥- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

" كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ".[5]

---

[1] – صحيح البخارى (٤١٠٣) ترقيم العالمية.

[2] – صحيح البخارى (باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم).

[3] – صحيح البخارى (٤١٧) ترقيم العالمية.

[4] – سنن ابن ماجة (١٦١٤) ترقيم العالمية، ومثله عند أحمد والنسائي، وفتح الباري.

[5] – سنن ابن ماجة (٢٦٨٨) ترقيم العالمية.

اللحظة الأخيرة على صدر السيدة عائشة:

١٠٢٦- عن عَائِشَةَ قالَتْ:

" إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ.

دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ".[1]

ثم خُيِّر...فاختار:

١٠٢٧- وعَنْ عَائِشَةَ أيضًا قَالَتْ:

" كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ: { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } الْآيَةَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ".[2]

١٠٢٨- وقَالَتْ أيضًا:

" لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى".[3]

١٠٢٩- وعنها قَالَتْ:

---

[1] – صحيح البخاري (٤٠٩٤) ترقيم العالمية.

[2] – صحيح البخاري (٤٠٨١) ترقيم العالمية.

[3] – صحيح البخاري (٤٠٨٢) ترقيم العالمية.

" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُحَيَّا أَوْ يُخَيَّرَ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى".[١]

وهكذا رحل الحبيب(صلى الله عليه وسلم):

وانتهت حياة أعظم مخلوق في الوجود...خير البشر، وأفضل الأنبياء، بعد أن قضى حياة عامرة حافلة بالدعوة والإبلاغ والجهاد، وأقام الدولة الإسلامية التي اتسعت بعد وفاته – على هدي من سننه وسيرته حتى سادت الدنيا-

بلغ الرسالة الخاتمة بأفصح بيان لم يترك لبسًا ولا غموضًا.

وترك الأمة على المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها – ناصع مضيء واضح – لايزيغ عنها إلا هالك.

وكما ترك رسالة كاملة شاملة، ترك جيلًا عظيمًا رائعًا من خلفائه وأصحابه، حفظوا القرآن وأحكامه، وحافظوا على السنة وهديها وكانوا خير تلاميذ لأعظم معلم وقائد وهاد.

اللهم صل وسلم وبارك على النبي الكريم محمد

وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

[١] – صحيح البخاري (٤٠٨٣) ترقيم العالمية.

الفصل الخامس:

بعد الوفاة:

هول الفاجعة على عمر:

١٠٣٠- قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:

قَالَ الزّهْرِيّ، وَحَدّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

" لَمّا تُوُفّيَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، فَقَالَ إنّ رِجَالًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ تُوُفّيَ وَإِنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَا مَاتَ وَلَكِنّهُ ذَهَبَ إلَى رَبّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمّ رَجَعَ إلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ وَوَاللهِ لَيَرْجِعَنّ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كَمَا رَجَعَ مُوسَى، فَلَيَقْطَعَنّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَات".

قوة إيمان الصّديق:

قَالَ: وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، وَعُمَرُ يُكَلّمُ النّاسَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَى شَيْءٍ حَتّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مُسَجّى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ بُرْدٌ حِبَرَةٌ فَأَقْبَلَ حَتّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ. قَالَ ثُمّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبّلَهُ ثُمّ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، أَمّا الْمَوْتَةُ الّتِي كَتَبَ اللّهُ عَلَيْك فَقَدْ ذُقْتهَا، ثُمّ لَنْ تُصِيبَك بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا.

قَالَ ثُمّ رَدّ الْبُرْدَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثُمّ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلّمُ النّاسَ فَقَالَ عَلَى رِسْلِك يَا عُمَرُ أَنْصِتْ فَأَبَى إلّا أَنْ يَتَكَلّمَ، فَلَمّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ لَا يَنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ فَلَمّا سَمِعَ النّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ:

(أَيّهَا النّاسُ إنّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمّدًا فَإِنّ مُحَمّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنّ اللّهَ حَيّ لَا يَمُوتُ). قَالَ ثُمّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ { وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ }. قَالَ فَوَاَللّهِ لَكَأَنّ النّاسُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حَتّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمئِذٍ قَالَ وَأَخَذَهَا النّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ عُمَرُ وَاَللّهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ

سَمِعْت أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعَقِرْت حَتّى وَقَعْت إلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ وَعَرَفْت أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَدْ مَاتَ.

<u>وقد روى البخاري قريبًا من ذلك:</u>

١٠٣١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالْعَالِيَةِ فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ وَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ:

(أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ) وَقَالَ {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} وَقَالَ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} قَالَ فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ".[١]

<u>طبت حيًا و ميتًا يا رسول الله:</u>

<u>الغسل:</u>

١٠٣٢- <u>قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ:</u>

" فَلَمّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَقْبَلَ النّاسُ عَلَى جَهَازِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ الثّلَاثَاءِ فَحَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَصْحَابِنَا: أَنّ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَالْفَضْلَ بْنَ الْعَبّاسِ وَقُثَمَ بْنَ الْعَبّاسِ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَشُقْرَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ هُمْ الّذِينَ وُلُوا غَسْلَهُ.

[١] – صحيح البخاري(٣٣٩٤) ترقيم العالمية.

وَأَنّ أَوْسَ بْنَ خَوْلِيّ. أَحَدَ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْشُدُك اللّهَ يَا عَلِيّ وَحَظّنَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَ أَوْسُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَأَهْلِ بَدْرٍ قَالَ أُدْخُلْ فَدَخَلَ فَجَلَسَ وَحَضَرَ غَسْلَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

فَأَسْنَدَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إلَى صَدْرِهِ وَكَانَ الْعَبّاسُ وَالْفَضْلُ وَقُثَمُ يُقَلّبُونَهُ مَعَهُ وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشُقْرَانُ مَوْلَاهُ هُمَا اللّذَانِ يَصُبّانِ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَعَلِيّ يُغَسّلُهُ قَدْ أَسْنَدَهُ إلَى صَدْرِهِ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يُدَلّكُهُ بِهِ مِنْ وَرَائِهِ لَا يُفْضَى بِيَدِهِ إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَعَلِيّ يَقُولُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي، مَا أَطْيَبَك حَيّا وَمَيّتًا وَلَمْ يُرَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ شَيْءٌ مِمّا يُرَى مِنْ الْمَيّتِ.[1]

<u>قَالَ ابن إسْحَاقَ</u>: وَحَدّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبّادٍ

١٠٣٣- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

" لَمّا أَرَادُوا غَسْلَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اخْتَلَفُوا فِيهِ. فَقَالُوا: وَاَللّهِ مَا نَدْرِي، أَنُجَرّدُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرّدُ مَوْتَانَا، أَوْ نُغَسّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ قَالَتْ فَلَمّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللّهُ عَلَيْهِمْ النّوْمَ حَتّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إلّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ ثُمّ كَلّمَهُمْ مُكَلّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ أَنْ اغْسِلُوا النّبِيّ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ قَالَتْ فَقَامُوا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَغَسّلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَصُبّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَدْلُكُونَهُ وَالْقَمِيصُ دُونَ أَيْدِيهِمْ".[2]

<u>الكفن:</u>

١٠٣٤- <u>روى البخاري</u>: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

"كُفِّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ سُحُولٍ[3] كُرْسُفٍ[4] لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ".[5]

---

[1] – سيرة ابن هشام (٥١٢/٤) ، وله شاهد عند ابن ماجة (١٤٦٧/١) وإسناده صحيح – عن دار الحديث.

[2] سيرة ابن هشام (٥١٢/٤) ، وأبو داود (٣١٤١/٣) ، وإسناده صحيح – عن دار الحديث.

[3] – سحول: أى بيض جمع أبيض.

[4] – كرسف: الكرسف هو القطن.

[5] – صحيح البخاري (١١٩٢)، ترقيم العالمية.

في القبر يوضع الجسد الطيب، ويُلحد:

١٠٣٥- روى ابن ماجة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

" لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ وَآخَرُ يَضْرَحُ فَقَالُوا نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاهُ فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ".[1]

دفن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيث قُبض ، والصلاة عليه:

١٠٣٦- قال ابن إسحاق:

فَلَمّا فُرِغَ مِنْ جَهَازِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَ الثّلَاثَاءِ وُضِعَ فِي سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ. فَقَالَ قَائِلٌ نَدْفِنُهُ فِي مَسْجِدِهِ وَقَالَ قَائِلٌ بَلْ نَدْفِنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إنّي سَمِعْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَقُولُ: "مَا قُبِضَ نَبِيّ إلّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ"، فَرُفِعَ فِرَاشُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الّذِي تُوُفّيَ عَلَيْهِ فَحُفِرَ لَهُ تَحْتَهُ ثُمّ دَخَلَ النّاسُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يُصَلّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا، دَخَلَ الرّجَالُ حَتّى إذَا فَرَغُوا أُدْخِلَ النّسَاءُ حَتّى إذَا فَرَغَ النّسَاءُ أُدْخِلَ الصّبْيَانُ. وَلَمْ يَؤُمّ النّاسَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحَدٌ. ثم دُفِن رسولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ وَسَطِ اللّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ".[2]

[1] – سنن ابن ماجة (١٥٤٦) ترقيم العالمية، ورواته ثقات – عن موسوعة حرف.

[2] – سيرة ابن هشام (٥١٣/٤) ، وله شاهد صحيح عند الترمذي (١٠١٨/٣) – عن دار الحديث.

الفصل السادس:

أمهات المؤمنين:

أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم):

هذه فقرة موجزة للتعريف بالبيت النبوي الطاهر.

كَانَ جَمِيعُ مَنْ تَزَوّجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ:

١- خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ:

وَهِيَ أَوّلُ مَنْ تَزَوّجَ زَوّجَهُ إيّاهَا أَبُوهَا خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ، وَيُقَالُ أَخُوهَا عَمْرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِشْرِينَ بَكْرَةً فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلَدَهُ كُلّهُمْ إلّا إبْرَاهِيمَ

وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي هَالَةَ بْنِ مَالِكٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي هَالَةَ عِنْدَ عُتَيّقِ بْنِ عَابِدٍ.

تَزَوّجَهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبْلَ النّبُوّةِ وَلَهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً وَلَمْ يَتَزَوّجْ عَلَيْهَا حَتّى مَاتَتْ وَأَوْلَادُهُ كُلّهُمْ مِنْهَا إلّا إبْرَاهِيمَ: الإناث: رقية، وأم كلثوم، وفاطمة، والذكور: القاسم وعبد الله، (ويلقب بالطيب والطاهر).

قال ابن القيم: وَهِيَ الّتِي آزَرَتْهُ عَلَى النّبُوّةِ وَجَاهَدَتْ مَعَهُ وَوَاسَتْهُ بِنَفْسِهَا وَمَالِهَا وَأَرْسَلَ اللّهُ إلَيْهَا السّلَامَ مَعَ جِبْرِيلَ وَهَذِهِ خَاصّةً لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا وَمَاتَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ.

٢- سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ:

ثُمّ تَزَوّجَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بَعْدَ مَوْتِ خديجة بِأَيّامٍ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ الْقُرَشِيّةَ

زَوّجَهُ إيّاهَا سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو، وَيُقَال أَبُو حَاطِبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ السّكْرَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ.

وَهِيَ الّتِي وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ.

٣- عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ:

وَتَزَوّجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ بِمَكّةَ، وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ أَوْ عَشْرٍ وَلَمْ يَتَزَوّجْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِكْرًا غَيْرَهَا، زَوّجَهُ إيّاهَا أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ.

قال ابن القيم: هي الْمُبَرّأَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ حَبِيبَةَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَعَرَضَهَا عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَبْلَ نِكَاحِهَا فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَقَالَ هَذِهِ زَوْجَتُك.. تَزَوّجَ بِهَا فِي السّنَةِ الْأُولَى مِنْ الْهِجْرَةِ وَعُمْرُهَا تِسْعُ سِنِينَ وَلَمْ يَتَزَوّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ غَيْرَهَا، وَكَانَتْ أَحَبّ الْخَلْقِ إلَيْهِ، وَنَزَلَ عُذْرُهَا مِنْ السّمَاءِ، وَاتّفَقَتْ الْأُمّةُ عَلَى كُفْرِ قَاذِفِهَا، وَهِيَ أَفْقَهُ نِسَائِهِ وَأَعْلَمُهُنّ بَلْ أَفْقَهُ نِسَاءِ الْأُمّةِ وَأَعْلَمُهُنّ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَكَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَرْجِعُونَ إلَى قَوْلِهَا وَيَسْتَفْتُونَهَا. وَقِيلَ إنّهَا أَسْقَطَتْ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سِقْطًا وَلَمْ يَثْبُتْ.

٤- حَفْصَةَ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ:

ثمّ تَزَوّجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ ، زَوّجَهُ إيّاهَا أَبُوهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ خميس بْنِ حذافة السّهْمِيّ .

وَذَكَرَ أَبُو دَاوُد أَنّهُ طَلّقَهَا ثُمّ رَاجَعَهَا.

٥- زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ:

ثُمّ تَزَوّج زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَة بْنِ الْحَارِثِ الْقَيْسِيّةِ مِنْ بَنِي هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ وَتُوُفّيَتْ عِنْدَهُ بَعْدَ ضَمّهِ لَهَا بِشَهْرَيْنِ.

وَكَانَتْ تُسْمَى أُمّ الْمَسَاكِينِ لِرَحْمَتِهَا إيّاهُمْ وَرِقّتِهَا عَلَيْهِمْ.

زَوّجَهُ إيّاهَا قَبِيصَةُ بْنُ عَمْرٍو الْهِلَالِيّ وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَتْ قَبْلَ عُبَيْدَةَ عِنْدَ جَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَمّهَا.

٦- أُمّ سَلَمَةَ:

وَتَزَوّجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُمّ سَلَمَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيّةَ، وَاسْمُهَا هِنْدُ؛ زَوّجَهُ إيّاهَا سَلَمَةُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ابْنُهَا، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِرَاشًا حَشْوُهُ لِيفٌ وَقَدَحًا، وَصَحْفَةً وَمِجَشّةً وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللّهِ، فَوَلَدَتْ لَهُ سَلَمَةَ وَعُمَرَ وَزَيْنَبَ وَرُقَيّةَ.

وهناك اختلاف فيمن كان الولي الذى زوج رسول الله، فقيل ابنها سلمة، وقيل ابن عمها عمر بن الخطاب، وقيل ابنها عمر، وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: ظَاهِرُ كَلَامِ أَحْمَدَ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا يَشْتَرِطُ فِي نِكَاحِهِ الْوَلِيّ وَأَنّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ.

٧- زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ:

قال ابن القيم: ثُمّ تَزَوّجَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَة وَهِيَ ابْنَةُ عَمّتِهِ أُمَيْمَةَ وَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَلَمّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوّجْنَاكَهَا } [الْأَحْزَابُ ٣٧] وَبِذَلِكَ كَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى نِسَاءِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَقُولُ زَوّجَكُنّ أَهَالِيكُنّ وَزَوّجَنِي اللّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

وَمِنْ خَوَاصّهَا أَنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ هُوَ وَلِيّهَا الّذِي زَوّجَهَا لِرَسُولِهِ مِنْ فَوْقِ سَمَوَاتِهِ وَتُوُفّيَتْ فِي أَوّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ وَكَانَتْ أَوّلًا عِنْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَة وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَبَنّاهُ فَلَمّا طَلّقَهَا زَيْدٌ زَوّجَهُ اللّهُ تَعَالَى إيّاهَا لِتَتَأَسّى بِهِ أُمّتُهُ فِي نِكَاحِ أَزْوَاجِ مَنْ تَبَنّوْهُ.

وقال ابن إسحاق: زَوّجَهُ إيّاهَا أَخُوهَا أَبُو أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ.

٨- جُوَيْرِيَة:

وَتَزَوّجَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ جُوَيْرِيَة بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْمُصْطَلِقِيّة وَكَانَتْ مِنْ سبايا بَنِي الْمُصْطَلِق فَوَقَعَتْ فِي السّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشّمّاسِ الْأَنْصَارِيّ، فَكَاتَبَهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا. فَقَالَ لَهَا: هَلْ لَك فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكِ ؟ قَالَتْ وَمَا هُوَ ؟ قَالَ أَقْضِي عَنْك كِتَابَتَك وَأَتَزَوّجُك ؟ فَقَالَتْ نَعَمْ فَتَزَوّجَهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَال: لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَمَعَهُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، فَكَانَ بِذَاتِ الْجَيْشِ دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَدِيعَةً وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَاظِ بِهَا، وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ.

فَأَقْبَلَ أَبُوهَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ بِفِدَاءِ ابْنَتِهِ فَلَمّا كَانَ بِالْعَقِيقِ نَظَرَ إِلَى الْإِبِلِ الّتِي جَاءَ بِهَا لِلْفِدَاءِ فَرَغِبَ فِي بَعِيرَيْنِ مِنْهَا، فَغَيّبَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ الْعَقِيقِ، ثُمّ أَتَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَصَبْتُمْ ابْنَتِي، وَهَذَا فِدَاؤُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللّذَانِ غَيّبْت بِالْعَقِيقِ فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ الْحَارِثُ أَشْهَدُ أَنّ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ، وَأَنّك رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْك، فَوَاَللّهِ مَا اطّلَعَ عَلَى ذَلِكَ إلّا اللّهُ تَعَالَى فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ.

وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ وَنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَرْسَلَ إلَى الْبَعِيرَيْنِ فَجَاءَ بِهِمَا، فَدَفَعَ الْإِبِلَ إلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدُفِعَتْ إلَيْهِ ابْنَتُهُ جُوَيْرِيَةُ، فَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إسْلَامُهَا، وَخَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَبِيهَا، فَزَوّجَهُ إيّاهَا، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عِنْدَ ابْنِ عَمّ لَهَا يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ اشْتَرَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوّجَهَا، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ.

٩- أُمّ حَبِيبَةَ:

ثمَّ تَزَوّجَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أُمّ حَبِيبَةَ، وَاسْمُهَا رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، زَوّجَهُ إيّاهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَهُمَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَصْدَقَهَا النّجَاشِيّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِينَارٍ، وَهُوَ الّذِي كَانَ خَطَبَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ الْأَسَدِيّ.

وَحُمِلتْ إلى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ الحبشة وَمَاتَتْ فِي خلافة أَخِيهَا مُعَاوِيَةَ.

١٠- صَفِيّةُ بِنْتُ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ:

وَتَزَوّجَ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ صَفِيّةَ بِنْتَ حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ سَيّدِ بَنِي النّضِيرِ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ أَخِي مُوسَى فَهِيَ ابْنَةُ نَبِيّ وَزَوْجَةُ نَبِيّ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ لَهُ مِنْ الصّفِيّ – من خيبر - أَمَةً فَأَعْتَقَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا.

وَأَوْلَمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَلِيمَةً مَا فِيهَا شَحْمٌ وَلَا لَحْمٌ كَانَ سَوِيقًا وَتَمْرًا، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ.

١١- مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْهِلَالِيّةَ:

ثُمّ تَزَوّجَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْهِلَالِيّةَ وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوّجَ بِهَا تَزَوّجَهَا بِمَكّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ بَعْدَ أَنْ حَلّ مِنْهَا عَلَى الصّحِيحِ. زَوّجَهُ إيّاهَا الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ – لأنها أخت زوجه أم الفضل - وَأَصْدَقَهَا الْعَبّاسُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ الْعُزّى - من بنى عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ.

وَيُقَالُ إنّهَا الّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَذَلِكَ أَنّ خِطْبَةَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ انْتَهَتْ إلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا، فَقَالَتْ الْبَعِيرُ وَمَا عَلَيْهِ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنّبِيّ }.

وَيُقَالُ إنّ الّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَيُقَالُ أُمّ شَرِيكٍ غَزِيّة بِنْتُ جَابِرِ بْنِ وَهْبٍ - مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ، وَيُقَالُ بَلْ هِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيّ، فَأَرْجَأَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

** رَيْحَانَةُ: (الخلاف في كونها زوجة أم من السراري):

قال ابن القيم: قِيلَ وَمِنْ أَزْوَاجِهِ رَيْحَانَةُ بِنْتُ زَيْدٍ النّضَرِيّة. وَقِيلَ الْقُرَظِيّة سُبِيَتْ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ. فَكَانَتْ صَفِيّ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوّجَهَا ثُمّ طَلّقَهَا تَطْلِيقَةً ثُمّ رَاجَعَهَا. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ بَلْ كَانَتْ أَمَتَهُ وَكَانَ يَطَؤُهَا بِمِلْكِ الْيَمِينِ حَتّى تُوُفّيَ عَنْهَا فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي السّرَارِيّ لَا فِي الزّوْجَاتِ ورجحه ابن القيم.

فَهَؤُلَاءِ اللّاتِي بَنَى بِهِنّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إحْدَى عَشَرَةَ فَمَاتَ قَبْلَهُ مِنْهُنّ ثِنْتَانِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ. وَتُوُفّيَ عَنْ تِسْعٍ.

ثنتان لم يدخل بهما:

أَسَمَاءُ بِنْتُ النّعْمَانِ الْكِنْدِيّةُ:

تَزَوّجَهَا فَوَجَدَ بِهَا بَيَاضًا، فَمَتّعَهَا وَرَدّهَا إلَى أَهْلِهَا.

وَعَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدَ الْكِلَابِيّةِ:

وَكَانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ فَلَمّا قَدِمَتْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ اسْتَعَاذَتْ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ "مَنِيعٌ عَائِذٌ اللّهَ" فَرَدّهَا إلَى أَهْلِهَا،

وَيُقَالُ إنّ الّتِي اسْتَعَاذَتْ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ كِنْدِيّةُ بِنْتُ عَمّ لِأَسْمَاءِ بِنْتِ النّعْمَانِ وَيُقَالُ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ دَعَاهَا، فَقَالَتْ إنّا قَوْمٌ نُؤْتَى وَلَا نَأْتِي؛ فَرَدّهَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى أَهْلِهَا.

النبي(صلى الله عليه وسلم) فى بيته مع أزواجه:

قَبَساتٌ مضيئة:

هذا موضوع يحتاج إلى مصنفات مستقلة ، لكننا سوف نختار بعض المواقف التي تبين كيف كان النبى (صلى الله عليه وسلم)كريمًا رحيمًا ودودًا بسيطًا مع أزواجه، وكيف كان صبره على هناتهن البشرية.

وفاؤه لذكرى السيدة خديجة:

الروايات متعددة عند البخاري ومسلم ، نذكر منها ما رواه مسلم:

١٠٣٧- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

" مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا".[١]

---

١ – صحيح مسلم (٤٤٦٤) ترقيم العالمية.

١٠٣٨- وروى أيضا عنها قالت:

" مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ".[١]

مع السيدة عائشة (رضي الله عنها):

النماذج كثيرة لعدة أسباب: منها أن السيدة عائشة كانت صغيرة السن فكان لها معاملة خاصة، بالإضافة إلى أنها أحب نسائه إليه (صلى الله عليه وسلم)،وكثرة الروايات ترجع إلى أن السيدة عائشة حفظت ووعت وعاشت وروت وكانت فقيهة عالمة – رضي الله عنها-.

١٠٣٩- روى مسلم عنها:

" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ".[٢]

١٠٤٠- وروى أحمد فى مسنده:

" عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ فِيهَا قِلَادَةٌ مِنْ جَزْعٍ فَقَالَ لَأَدْفَعَنَّهَا إِلَى أَحَبِّ أَهْلِي إِلَيَّ فَقَالَتْ النِّسَاءُ ذَهَبَتْ بِهَا ابْنَةُ أَبِي قُحَافَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ فَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِهَا".[٣]

وفي روايات أخرى ،ذكر عائشة أن الدنيا أظلمت عليها، وخشيت أن يعطيها واحدة من نسائه غيرها، فلما أعطاها أُمامة، سُرّى عنها.

دلالات:

هذا الحوار المنزلي، والمنافسة في الحب بين النساء، والوقت الذي أعطاه الحبيب (صلي الله عليه وسلم)لهن للتسلية والترفيه- دروس هامة لكل ذوي المهام الكبرى في أهمية العناية والرعاية للزوجة والأهل والبيت.

---

[١] – صحيح مسلم (٤٤٦٥) ترقيم العالمية.

[٢] – صحيح مسلم (٥٠٣٥) ترقيم العالمية.

[٣] – مسند أحمد (٢٣٥٦٣) ترقيم العالمية، وقال البيهقي فى المجمع إسناده حسن.

مناداتها بالتدليل:

١٠٤١- روى البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

" قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[١]

حوار المحبين:

١٠٤٢- روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قَالَتْ فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ فَقَالَ أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ قَالَتْ قُلْتُ أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ"[٢].

مشاورته السيدة أم سلمة:

حدث ذلك في صلح الحديبية، حيث اشتد حزن المسلمين من شروط الصلح:

١٠٤٣- جاء في زاد المعاد:

فَلَمّا فَرَغَ مِنْ قَضِيّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمّ احْلِقُوا فَوَاَللّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ حَتّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرّاتٍ فَلَمّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمّ سَلَمَةَ. فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النّاسِ فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَتُحِبّ ذَلِكَ ؟ أُخْرُجْ ثُمّ لَا تُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتّى تَنْحَرَ بُدْنَك وَتَدْعُوَ حَالِقَك فَيَحْلِقَكَ فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمّا رَأَى النّاسُ ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمّا.

دلالات:

في هذا الموقف دلالات في علوم السياسة وقواعد الشورى عظيمة، إذ إننا في عالم اليوم ، نشكو استبداد الحكام بالقرارات المصيرية حتى أوردوا الأمة موارد الهلكة، فهم لا يشاورون

---

[١] – البخاري (٣٤٨٤) ترقيم العالمية.

[٢] – البخاري (٤٨٢٧) ترقيم العالمية.

المتخصصين ولا أهل الرأي من الرجال أو النساء، وهذا معلم البشرية يأخذ بمشورة (أم سلمة) في زمن البداوة ؛ليعلي شأن المرأة ومكانتها السياسية، ويؤكد على قواعد الشورى وفوائدها.

ترضية السيدة صفية:

وهى الأسيرة في حرب انهزم فيها اليهود بعد غدرهم ومؤامراتهم، وصارت من السبي، من حق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تكون له (ملك يمين)، لكنه يعتقها ويكرمها ويتزوجها، رغم أن أباها هو الذي ناصب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العداء طيلة حياته -لعنه الله-.

١٠٤٤- روى الطبرانى عنِ ابنِ عمرَ قالَ:

" كانَ بعيْنَيْ صفيّةَ خُضرةٌ فقالَ لها النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: ما هذهِ الخضرةُ بعينيكِ قالت: قلتُ لزوجي: إنِّي رأيتُ فيمَا يرَى النائمُ كأن قمراً وقعَ في حجري فلَطَمَنِي وقال أتريدينَ ملكَ يثربَ.

قالتْ: ومَا كانَ أبغضَ إليَّ منْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ قتلَ أبِي وزوجِي فما زالَ يعتذرُ إليَّ وقال يا صفية إنَّ أباكِ ألَّبَ علَيَّ العربَ وفعلَ وفعلَ حتَّى ذَهبَ ذلكَ منْ نفْسِي.

حكمة تعدد زوجاته(صلى الله عليه وسلم):

هذا موضوع تكلم فيه كثير من العلماء بما لم يدع مزيدًا ، يمكن إضافته – غير أننا نلخص الأمر فى مسألتين:

الأولى: دفع شبهة الأعداء حول شهوانية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وشدة شغفه بالنساء، وهذا يُرَدُّ عليه بإيجاز في:

١- إن النبي (صلى الله عليه وسلم)تأخر سن زواجه حتى الخامسة والعشرين، وهى سن كبيرة فى بيئة جزيرة العرب ؛ لانشغاله بالتفكر قبل الدعوة.

٢- تزوج النبي (صلى الله عليه وسلم) من السيدة خديجة وهى تكبره ب(١٥) سنة، وعاش معها زهرة شبابه (٢٥) سنة – دون أن يتزوج عليها.

٣- من أزواجه من لم تكن لها حاجة في الرجال، وأبقاها فى عصمته إكرامًا لها (سودة بنت زمعة).

٤- من أزواجه كبيرة السن التى ماتت بعد شهرين من الزواج (زينب بنت خزيمة).

٥- كل أزواجه (صلى الله عليه وسلم) – عدا السيدة عائشة – لم تكن بكرًا ، والشهواني يرغب فى الأبكار.

والمسألة الثانية: هي حكمة التعدد: ونوجز ذلك فيما يلي:

١- أن زواجه كان بأمر الله تعالى، وهذا ثابت بنصوص قطعية خصوصًا في زواج عائشة، وزينب بنت جحش- رضي الله عنهما-.

٢- النسب والمصاهرة كانت إكرامًا منه(صلى الله عليه وسلم) لأصحابه الكبار أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

٣- النسب والمصاهرة فتحت آفاقًا للدعوة والمودة مع كثير من قبائل العرب، وقد كانت تحترم هذه المصاهرة جدًّا.

٤- الزواج كان تشريفًا وتكريمًا للسابقات من المؤمنات اللاتي سبقن إلى الإسلام وإلى الهجرة – مثل أم سلمة، وأم حبيبة، فأم سلمة استشهد زوجها وتركها مع عيال كثيرة، وأم حبيبة ارتد زوجها وتَنصَّر، وهي في بلاد الحبشة ،فكان زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) منها – على بعد المسافة – تطييبًا لنفسها.

٥- حالة الزواج بزينب بنت جحش كانت مقصودة ؛ لإبطال عادة التبني، ولا يقبل الناس ذلك من أحد إلا النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد كان الأمر صعبًا عليه أيضًا.

٦- الزواج بهذا العدد من النساء كان فرصة عظمى، لينقلوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى نساء المؤمنين ، الحديث والسنة والعلم، فكانت كثرة العدد فرصة لنشر هذه السنن، وخصوصًا العلاقة بين المرء وزوجه.

وختامًا

فإن المؤمن الصادق يمتلئ خضوعًا واستسلامًا لحكمة الله وأمره، ويمتلئ يقينًا بأن كل ما جاء عن الحبيب (صلى الله عليه وسلم) ما هو إلا وحيٌ يوحى، وكل ما فعله النبي (صلى الله عليه وسلم) منزه عن كل نقص ونقيصة، ومتصف بكل مكارم الأخلاق والأفعال...

اللهم صل وسلم وبارك على خير الخلق أجمعين،
محمد النبي الأمين وعلى آله وصحابته والتابعين.

المؤلف في سطور

- د. علي السيد أحمد بطيخ.
- من مواليد أوسيم - محافظة الجيزة – مصر ١٩٥٥.
- حصل على بكالوريوس الطب من كلية طب قصر العينى جامعة القاهرة عام ١٩٧٩.
- حصل على ماجستير ودرجة أخصائي في الجراحة العامة عام ١٩٨٥ م وحصل على درجة استشاري الجراحة عام ٢٠٠٠ م.
- حصل على ليسانس الشريعة والقانون من جامعة الأزهر ٢٠٠١ م.
- انتخب عضوا بنقابة أطباء الجيزة عام ١٩٨٤ وتجددت عام ١٩٩٠.
- انتخب رئيسا للمجلس الشعبي المحلي لمدينة أوسيم منتخبا على قوائم المعارضة الإسلامية عام ١٩٩٢ م.
- ترشح لعضوية مجلس الشعب ١٩٩٥ حيث قام النظام آنذاك بتزوير الانتخابات ضد كل أطياف المعارضة فلم يدخل المجلس إلا عضو واحد في تلك الانتخابات.
- وكما اعتبر تلك المشاركات السياسية عملا من أعمال الدعوة لخدمة الإسلام والمسلمين ساهم أيضا بإلقاء خطب جمعة ودروس رمضانية في مساجد عدة ، وكان الشغف بالسيرة النبوية المطهرة وما فيها من دروس وعبر محورا رئيسا في تلك الخطب والدروس ، مما دفع بعض الإخوة إلى اقتراح تأليف كتاب في هذه السيرة العطرة.
- وبالتوازي مع إعداد هذا المصنف كان هناك جهد مواز في الحديث النبوي الشريف تمثل في مشروع لتيسير كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) حيث أنجز منه أكثر من ١٤٠٠ حديث حتى الآن.

- وكانت المشاركة في عديد من الأنشطة داخل مواقع تربوية وإدارية بالحركة الإسلامية عملا ابتدأ منذ أواخر السبعينيات من القرن الماضي كميدان من ميادين الدعوة وخدمة الإسلام وحتى الهجرة إلى تركيا عام ٢٠١٥ م ، ومازال مستمرا فضلا من الله ونعمة.